الجلد الاول من شرح عين العلم

هذا شرح للعالم الفاضل الاديب * والكامل المدقق الاريب * على بن سلطان محمد القارى * روح الله مهجته فى فراديس الجنان * واعلى منزلته ما بقيت آثاره على صفائح الاوان * على متن متين مسمى بـ (عين العلم وزين الحلم) صنفه بعض علماء الهند وصلحائهم على ماصرح الشيخ ابن حجر فى شرح المقدمة * وقيل بعض علماء بلخ ومشايخهم والله اعلم بصحيح نيته * فى اخفاء ترجمته * وهو رحمه الله تعالى وارضاه اختصر احياء العلوم لحجة الاسلام * و برهان الانام * مع كثرة مجلداتها الى هذه الاوراق المعدودة وبالغ فى جمعها وتهذيبها * واستقصى فى ضبطها وترتيبها * فهو لغاية الايجاز ونهاية الالغاز * كاد ان يبلغ الى حد الاعجاز * فلله دره رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه

(كمرك رسوماتندن مستثنادر)



فهرس الجلد الاول من كتاب عين العلم



بسم الله الرحمن الرحيم

* وصلى الله على سيدنا محمد * وعلى آله وصحبه وسلم *

الحمد لله العلى العظيم العليم * على ما هدانا الى الطريق القويم * والصلاة والتسليم على نبيه الكريم * وعلى آله واصحابه واتباعه واحزابه المقيمين المديمين على الصراط المستقيم (اما بعد) فيقول خادم كلام ربه القديم * وحديث رسوله النخيم على بن سلطان محمد القارى * عاملهما الله البارى * بلطفه الخفى * وكرمه الوفى * ان هذا فتح شرح مجمل مجمل غير مطل ولا مخل ممل لكتاب عين العلم وزين الحلم الذى من غاية الايجاز * ونهاية الالغاز كاد ان يكون من انواع الاعجاز * وهو فى الحقيقة مختصر احياء العلوم * لحجة الاسلام وبرهان الانام * رجاء ان استفيض من بركات كلمات العلماء الاصفياء * واستفيد من نفحات صفايح المشايخ الاولياء وان اذكر فى جملتهم * واحشر فى زمرتهم * وان قصرت فى متابعتهم * وخدمتهم اضطرارا بمحبتهم * واكتفاء بمودتهم (واقول كما قال القائل من ذوى الفضائل (لى سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه * ان لم اكن منهم فلى فى حبهم عز وجاه (* قال المصنف رحمه الله * ونفعنا ببركات علومه وتقواه وهو من فضلاء الهند وصلحائهم على ما صرح به الشيخ ابن حجر فى شرح مقدمته وقيل انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله اعلم بتصحيح نيته فى تحقيق ترجمته (بسم الله الرحمن الرحيم) قد بسطنا الكلام * فى غير هذا المقام * على مفردات البسملة ومركباتها ومبانيها ومعانيها وما ورد فيها وسائر متعلقاتها (وبه ثقتى) اى وثوقى واعتمادى بكرمه وجوده لا بغيره اذ لا عبرة بوجوده وشهوده

وقد اكتفى بالبسملة مبنى لتضمنها الحمدلة معنى (يارب) اغثنى فى شدتى وهو على حذف ياء المتكلم وابقاء الكسر دلالة عليها واشارة اليها وفى الابتداء به فى مقام المناجاة والدعاء بالنداء اشعار بانه رب العالمين عموما كما يفيد فاتحة فاتحة الكتاب ورائحة نافحة فصل الخطاب ورب كل فرد من افراد بنى آدم خصوصا كما يومى اليه حديث * ادبنى ربى فاحسن تأديبى * وقول بعضهم حسبى ربى من كل مربى ويدل عليه خبر رضيت بالله ربا ثم زاد فى مقام التأكيد ونظام التأييد لافادة اظهار العبودية فى معرض الربوبية بقوله (يارباه) بلفظ المندوب لمد الصوت المطلوب فى الندبة والمرغوب فى الفجأة والمنادى يحتمل تعلقه بثقتى والاظهر تعلقه بقوله (وباسمك) اى لا بغيره (ابتدى) كما هو واجب على المنتهى والمبتدى (وبك) اى بحكمك (انتهى) وبعونك افتدى (وبنور قدسك) اى المطهر المحصور فى صدر صدرى الذى هو محل ظهور انسك اشارة الى قوله * فمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه (اهتدى) ايماء الى قوله سبحانه * ومن يهدى الله فهو المهتدى * وقوله * قل ان الهدى هدى الله * والمعنى انه يهدى به عبده بالقاء نوره فى قلبه فيهدى الى طريق ربه ويفرق بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل فى اعتقاده وعمله (الله الله) اى اتق الله مرة بعد اخرى فى امر الدنيا والعقبى واحذر عن مخالفة المولى فلا يراك فيما نهاك فان العاقبة للتقوى والاعادة المشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * اى ظاهرا وباطنا والتقدير استغيث بالله واستعين بطلب رضاه فيما ارجو واخشاه والحاصل لما اهتدى بنور قدسه ودخل فى قلبه بعض انسه وتبين له الامر بكمال ظهوره ورأى نفسه متلوثة بالدنيا معرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرها بقوله الله الله اى اتق الله اتق الله لقوله سبحانه وتعالى * ويحذركم الله نفسه * ولقوله عز وعلا * واتقوا الله ويعلمكم الله * وعلامة التقوى هى الزهد فى الدنيا والميل فى العقبى رجاء لمرضات المولى ولما كانت النفس بطبعها مائلة الى الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق له من تحصيل عباداتها قال مخاطبا لنفسه او معاتبا او خطابا عاما لاسيما اذا كان له مصاحب (الام) اصله الى ما بحرف الجار وما الاستفهامية وكتب الى بالالف هنا لشدة الاتصال فى مرتبته النظامية وحذف الالف من ما اكتفاء بالحركة الفتحية البيانية واقتفاء برسم المصاحف العثمانية والمعنى الى متى ايها المخاطب المعاتب (تمد) اى تطمح وتتوجه (الى زهرة الحياة الدنيا) اى بهجتها وزينتها (عينيك) وفيه اقتباس من قوله تعالى * ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى * وقوله سبحانه * ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم * وروى انه عليه السلام رأى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه

الاموال لنا لنقوينا بها ولا نفقناها فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم *لقداعطيتم
سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع يعنى قراءتها مع التأمل فى مبانيها
والتعمل بمعانيها خير من تلك القوافل ومافيها بل لامناسبة بين الاموال الفانية والاحوال
الباقية ومن هنا قال الصديق فى مقام التحقيق من اوتى القرآن ورأى ان احدا اوتى
من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقال ابو القاسم القشيرى
غار سبحانه على عبده ان يستعمله فى النظر الى غيره ويقال اذا لم يسلم له اشباع نظر ظاهره
الى الدنيا فكيف يسلم له سكون قلبه الى غير المولى (وحتام) اى وحتى متى (تنكص) اى ترجع
عن القيام بالاقدام على الله والاقبال على سبيل رضاه وفيه تلميح الى فعل ابليس
وماوقع منه من نوع تلبيس كما اخبر الله عنه بقوله *واذ زين لهم الشيطان اعمالهم* الى ان قال
* نكص على عقبيه * الآية وتلويح الى قوله سبحانه* قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم
على اعقابكم تنكصون (بعدابتاس نار) اى بعد ابصار نار واستيناس انوار
واحساس اسرار واخبار من دياراس بها بعض اقبار (على عقبيك) اى متوجها
الى دار اكدار فيها انواع حجاب وغبار وفى الكلام اقتباس من قوله تعالى *آنس
من جانب الطور نارا * اى نار نور دار اوالمعنى بعد ظهور الحق وطريق الصدق آثارا
وقيل ابتاس النار كناية عن استيناس النفس بالآفات الدنيوية المانعة عن العبادات
الاخروية وهذا على تقدير ان يكون على عقبيك ظرف الابتاس واما على تقدير كونه
متعلقا بتنكص فالمعنى الى متى ترجع على عقبيك عن طريق العبادة وسبيل اهل الارادة
الذى يسلك بهم الى مقام السيادة والسعادة بعدما عاينت يقينا نار هداية الحق التى بها
من نار جهنم يقينا (يجبهك) من جبهه بالتخفيف اى رده او بالتشديد اى نكس رأسه
اى ابعدك عن مقام القبول ويقعدك عن طلب الوصول (الشهوات الخسيسة) اى
المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانيسة واللهوات الفانية الحاجزة عن الدرجات
الباقية (الاحجام) اى الاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى (ام يعوقك) من عاق
اوعوق اى او يمنعك ويصدك (الزخارف المموهة) اى الزينات المتوهمة الملفقة
(عن الاقدام) على عمل الآخرة الفاخرة المحققة (مالك) اى ما حالك او اى شئ حاصل لك
فى ما كلك حال كوك فى مقام اقبالك وزمان استقبالك (نسعى فى المباهات) اى المفاخرة
فى غير الحالات الفاخرة التى ينفع فى الآخرة وفى نسخة المماراة اى المجادلة والمخاصمة
(والمجاراة) اى المسابقة والمقاطعة فى المحاورات (وجمع الحطام) اى من اموال الشبهة
والحرام (لنشر الصيت) اى لانتشار الجاه عند العوام كالانعام (ورفع القدر) اى بالقعود
فى مقام الصدر عند معرض القدر (وصرف وجوه الانام) اى بالتردد اليك فى الليالى
والايام (وتنسى نعيم جنات) اى بساتين موعودة للمتقين باقية (ونهر) اى وانهار
جارية فيها عين عافية من آفات سارية (فى مقعد صدق) اى مكان مرضى ومجلس
حق (عند مليك مقتدر) اى مقربين فى غاية الاعتبار عند من تعالى امره فى الملك

والاقتدار بحيث ابهم على ذوى الافهام والاسرار فهى عندية منزلة ومكانة لاعندية
منزل ومكان اعلوشانه ورفعة برهانه قال جعفر الصادق مدح المكان بالصدق
فلا يقعد فيها الا اهل الصدق وهو المقعد الذى يصدق الله فيه مواعيد
اوليائه بان يبيح لهم النظر الى وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه وقال الواسطى
ليس محل من اشتغل بنفسه وتلذذ بمطعمه ومشربه وملبسه لكن من كان شغله
بالحق وانسه والقيام بامره ونظره الى ربه *فى مقعد صدق عند مليك مقتدر *وقيل
الصدق فى عبادته من لايتعبد على ملاحظة الاطماع والاغراض ومطالبة الاعراض
والاعواض (وماشانك) اى وما عذرك فى مقام حذرك (ترغب) اى تعرض وتبعد
(عن علم سماه ربك الاعلى بالفقه) حيث قال تعالى *لعلهم يفقهون* وقال* فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين (والحكمة) حيث قال عزوجل * يؤتى
الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا (والنور) حيث قال سبحانه
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال* افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه (والهدى) حيث قال عزوعلا * قل ان هدى الله هو الهدى* والسلام على
من اتبع الهدى* وهو علم الكتاب والسنة واجماع ائمة بهم يقتدى وهو علم المعاملة واما
ماسبق من قوله بنور قدسك اهتدى هو علم المكاشفة لان من كوشف فعرف الحق يتعين
عليه ان يرغب فى علم المعاملة الذى يعرف به احكام الله وطريق عبادة مولاه (وترغب)
اى تميل وتخوض (فيما احدثه قرون) اى طبقات بعد خير القرون من قرن الصحابة
والتابعين واتباعهم (وشافيها) اى شاع وظهر فيما بينهم (الكذب) اى فى حكاياتهم
(والبدعة) فى اعتقاداتهم (والهوى) اى هوى ارباب النفوس ومشتهياتهم
من العلوم التى غير نافعة ولا رافعة بل ضارة دافعة كعلم المنطق والكلام والهيئة وسائر
علوم الفلاسفة (قفا) خطاب لصاحبيه كأنه شبه نفسه ان يكون فى سفر يسير
مع رفيقيه فاذا بلغ منازل الاحباب وقد ارتحلوا ومضوا ودخلوا فى مقام الحجاب غلب
عليه وجد فراقهم وحرارة اشتياقهم وغشيه البكاء فى ميدان البيداء فلم يتمالك فى مهالك
الازمنة ان يتجاوز مسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف صاحبيه وقال قفا (نبك)
بالاتفاق على حزن الفراق وقيل اصله قف قف فحذف الثانى وعوض عنه الالف لان
الفاعل كالجزء من الفعل وقيل اصله قفن ابدل نونه الفا والمعنى فماديها المخاطب مع
الرجل المعاتب نبك (على رسوم علوم الدين) اى آثارها المندرسة فى ديارها المنقلبة
بعد اقبالها الى ادبارها بقلة علماء الشريعة واخبارها (واطلال اعمال اليقين) اى وعلى
انطماس علامات اعمال اهل اليقين حيث اختلطت بافعال ارباب الرياء والسمعة ولو كانوا
من المجتهدين فى امر الدين بفقد المشايخ العاملين الكاملين فى مقام الطريقة والجامعين
للاخلاق الواصلين الى مرتبة الحقيقة (ودمن كمالات الاحوال) بكسر الدال وفتح

المبهى وعلى زوال آثار كمال ارباب الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود اهل الشهود في زوايا المشاهد الحقيقة والمعارف الدقيقة (وواردات مشاهدات الجمال) وكذا على صادرات مطالعات الجلال لغيبة ارباب الحضرة في مقام التوحيد واصحاب الجذبة في مرتبة التأييد (غدت الديار) اى صارت ديار العلوم وجدار الفهوم (عافية) اى خربة واهية (وظلت الآثار) اى وصارت آثار الاسلام واخبار الاحكام (بافية) وفيه ايماء الى قوله عليه السلام يأتى على الناس زمان لم يبق من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه مساجدهم عامرة وقلوبهم خربة (واصبح لاصحاب) اى العلماء الكبار الذين بمنزلة الاصحاب الوارد فيهم * اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (راحلين) اى مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله تعالى * فلا يرون انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها * اى باخذ العلماء من اكنافها (واضحى الاعراب) اى الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله سبحانه * الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله (نازلين) اى فى مقام العلماء العاملين وفيه ايماء الى قرب القيامة وعلامات وقوع الساعة التى تورث الندامة لاهل الملامة كما ورد فى حديث جبريل وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان (فيا اسفى) اى تأسفى (على منام القلوب وقيام الالسنة) اى على غفلة القلوب القاسية وحدة الالسنة الراسية وفيه اشارة الى ما ورد فى ذم علماء آخر الزمان ان قلوبهم امر من الصبر والسنتهم احلى من العسل (ومضاء العلوم) اى وعلى مضى العلوم الفاخرة وذهاب علماء الآخرة (وبقاء الاوعية) اى علماء السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ الرواية دون ضبط الدراية والكتب البالية والحجب العالية (ويالهفى) بفتحتين اى تعطشى (على صيرورة الحلل) اى حال ذوى الشمائل (كتبا ورسائل) اى مشحونة بقيل وقال واظهار فضال (وانقلاب العمل اجوبة ومسائل) اى يبحثون فيها ولا يعملون بها يخوضون فيما ليس تحتها طائل (وياحسرتى) اى تحسرى (على انطماس المعنى عن الاسم) اى محو المعنى المراد عن المبنى والمواد (واندراس الحقيقة عن الرسم) اى رسم الشريعة والطريقة (ويا سوأتى) اى فضيحتى (على خلو القشر) اى العلوم الآلية من الاعراب والاعراب (عن اللباب) اى لباب العلوم المأخوذة من الكتاب الذى يذكره لاولى الالباب فى جمع الفصول والابواب (واغترار القوم) اى اهل الزمان من ارباب الحجاب (بلامع السراب) اى الاعمال الظاهرة الخالية عن الاحوال الطاهرة وفيه تلويح الى قوله سبحانه * والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء * ولله در القائل من اعلامهم

(شعر)

* لا والذى حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من بطحائها *
ما ابصرت عينى خيام قبيلة * الا بكيت احبتى بفنائها *

(اما الخيام) جمع خيمة (فانها كخيامهم) اى فى منازل الحى ومقامهم (وارى نساء الحى غير نسائهم) اى الاولى التى كن فى نعت الجمال ووصف الكمال من العفة والحياء والخدمة والسخاء والمعنى انه ظهر السفهاء فى صورة الفقهاء والجهلاء فى هيئة المشايخ العرفاء (خطر ببالى) جواب شرط مقدر اى لما كان الامر كذلك خطر فى خاطرى هنالك (ان اريح بالى) اى ادخل فى الراحة قلبى فى ميدان حب ربى وفى نسخة بالزاى اى ازيل حزن قلبى وتشتت بالى وتفرق حالى (بتفصح تلك العلوم) اى بتفحص صفحات العلوم النافعة الذاخرة فى الدنيا والآخرة (واسرارها) اى ودقايقها وحقايقها الفاخرة (وتتبع سير الرجال) اى سلوك اصحاب الحال وفى نسخة مسير وفى اخرى بكسر السين وفتح الباء اى شمائل ارباب الفضائل واصحاب الفواضل (وآثارها) اى اللامعة انوارها تحت استارها (رجاء ان احث) ان احرض واحرص (على اتباعهم) بتشديد التاء اى على متابعتهم وموافقتهم فى الدنيا (وان ابعث فى اشياعهم) اى احشر فى اتباعهم فى العقبى (فامتريت اطباء الطاقة) اى حاولت وعالجت صرف الوسع والقدرة (واحتملت اعباء المشقة) اى وتحملت اثقال المشاق فى طريق المحبة وسبيل المعذرة (وبالغت فى جمعها) اى ضبط افرادها (وتهذيبها) اى تنقيتها وحذف زوائدها (واستقصيت فى ضبطها وترتيبها) اى ضبط معانيها وحفظ مبانيها (مع انى سكيت نادى البيان) بكسر السين وتشديد الكاف اى كثير السكوت فى مجلس التبيان (وسكيت حلبة الرهان) بضم السين وتخفيف الكاف المفتوحة ويشدد اى واخر الخيل فى ميدان المسابقة والجولان والجريان يجرى فيه الافراس العشرة على عرف ذلك الزمان ويرهن للسبق مال يأخذ من سبق فرسه ذلك المكان وفيه تلويح الى قول من قال عند الامتحان يكرم المرأ او يهان (واتحفت به) اى بتصنيف هذا (الفرع العلى) اى الرفيع (من الاصل العلوى) اى المنسوب الى على المنيع (والغصن السنى) اى المنسوب الى اهل السنة والجماعة العزيز الوجود فيما بين السادة او السنى بفتح فكسر اى الشريف الجلى الحسنى (من الشجر الحسينى) وفى نسخة الحسنى اى المنسوب الى احد اولاد فاطمة الزهرى وفيه تنبيه على ان كل علوى ليس بحسينى ولا حسنى كمحمد بن الحنفية وسائر اولاد على (ارفع السراة) جمع السرى (عمادا) بكسر العين اى اعلى الاشراف اعتمادا يقال فلان رفيع العماد اى شريف سنى الذكر على الصيت وقيل العماد فى الاصل عيدان يرفع بها البنيان فكنى بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه وقيل بل يراد بها حقيقتها اى مرتفع العماد فوق البنيان ليراه الضيفان فيقعدونه وذوا الحاجات فيطلبونه (واطول الكماة) جمع الكمى (نجادا) بكسر النون بعده جيم وهو حمائل السيف وهو كناية عن طول قامته وطول شانه والمعنى افضل شجعان زمانه استنادا (واكثر الكرام رمادا)

كناية عن كثرة الجود المستلزم لكثرة الطبخ فى منزل الشهود المستلزم لكثرة الرماد ودوام وقود ناره ليلا فى تلال البلاد فيهتدى به الضيفان من العباد (واكبر العظام وسادا) كناية عن كونه معظما موقرا فى قلوب العباد والزهاد (وهو ابن بنى عدنان) فانه عليه السلام محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لوى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والى هنا من النسب الشريف لاخلاف فيه بين العلماء الاعيان وانما الخلاف فيما فوقه مختلف البيان ولذا روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ فى النسب الى عدنان امسك عما بعده من عنان البيان وقال كذب النسابون اى فى هذا الشان قال تعالى * وقرونا بين ذلك كثيرا * قال ابن عباس ولو شاء الله ان يعلمه لعلمه وقال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يجاوزه وفى مسند الفردوس عن ابن عباس انه عليه السلام كان اذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون وقال السهيلى الاصح فى هذا الحديث انه من قول ابن مسعود وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ قوله تعالى * الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله * قال كذب النسابون يعنى انهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد فى الكتاب وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لايعرفون * وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال من اخبره بما هنالك (وسمى جده خليل الرحمن) يعنى اسم الممدوح ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل ابى ولده الجليل اسمعيل جد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (ركن الدين) اى المدار عليه (المشار اليه) المشهود لديه (قطب الشرع) النافع فى العقبى (المدار عليه) كالتفسير بما قبله مشيرا الى علمه ومعرفته والحاصل انه جامع بين الفضائل الدنيوية والشمائل الاخروية (طاهر الذيل عن دنس الهوى) كناية عن صلاحه وديانته (عازف القلب) اى صارفه (عن لذة الدنيا) اشارة الى ورعه وزهده وحسن رعايته (راسخ القدم فى شريعة المصطفى) ايماء الى ثباته فى امر الدين واستقامته (صارف العنان الى طريق المرتضى) اشعار بانه على مذهب الصوفى وسلوك طريقته وايماء بانه متصف بصفات الانبياء ومقامات الاولياء وانه تابع لجده الاعلى والادنى (بلغه الله الى الكمال الاعلى) اى فى الدنيا والاخرى (واوصله الى السعادة القصوى) اى والسيادة العظمى وهى رضاء المولى (وادام المجد بين ثوبيه) اى العظمة فى ذاته (واقام الكرم بين برديه) اى السخاوة فى صفاته قال صاحب المفتاح المجد بين ثوبه والكرم بين برديه من الكناية المطلوب بها تخصيص الصفة بالموصوف اراد القائل ان لايصرح بتخصيص المجد والكرم بالممدوح فجعلهما بين ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان

محلهما ثوبان وبردان وهما مشتملان على الممدوح فتم غرضه بذلك ذكره الطيبى وانا بحمد الله سبحانه لم اجعل تصنيفى هذا ولا ما سبق لى من تاليف باسم احد من الامراء والوزراء وانما اردت به ابتغاء وجه الله وشفاعة نبيه يوم القيامة (فحصل بحسن لطف رحمانى وعميم فضل ربانى) اى بتوفيقه وتسهيله لهذا التأليف وتحصيله (كتاب حجمه عندى صغير) لانه فى اوراق معدودات يتم بها الكتاب بغير طريق الاطناب (ليسهل الحفظ) اى بالجنان (والاستصحاب) اى مع الابدان (وعلمه) اى معلوماته (على ظنى غزير) اى كثير لاشتماله على جميع ما فى الاحياء من اربع مجلدات لكمال الاستقصاء فهو كاللباب وانما قال على ظنى هضما لنفسه فى هذا الباب ولان صاحب البيت ادرى بما فيه لعدم الحجاب (يغنى عما عداه فى الباب) اى باب التصوف وفصل الخطاب (وابوابه عشرون) بابا فيها كفاية لارباب الالباب * فالباب الاول فى الورد * والثانى فى الانفاق * والثالث فى الصوم * والرابع فى السفر * والخامس فى التزوج * والسادس فى الكسب * والسابع فى المعيشة * والثامن فى الصحبة * والتاسع فى الصمت * والعاشر فى الاناءة * والحادى عشر فى العزلة * والثانى عشر فى التواضع * والثالث عشر فى الاخلاص * والرابع عشر فى التفويض * والخامس عشر فى نفى الخواطر * والسادس عشر فى التوبة * والسابع عشر فى الصبر والشكر * والثامن عشر فى الخوف والرجاء * والتاسع عشر فى الفقر والزهد * والعشرون فى التوحيد والتوكل واليقين (قد صدرت) اى ابتدأت (بمقدمة فى العلم والمعرفة (هى احرى) اى اليق واولى (بالتقديم وذيلت) اى ختمت واخرت (بخاتمة) فى المحبة (حق) اى اجدر واحق (ان يقع بها التتميم) لئلا يحتاج الى الترميم (واسمه المطابق للمسمى عين العلم) الذى نتيجته وثمرته ان يكون زين الحلم بل هو معدن اسرار الشريعة والطريقة ومنبع انوار المعرفة والحقيقة (واساسه) اى مدار بنائه ونبراسه (الكتاب والسنة وشيم الصحابة الشم) بضم الشين وتشديد الميم جمع الاشم اى سير الاصحاب الكبار من ذوى الافتخار وفيه الاشعار بان اجماع الصحابة واكثرهم هو الاولى بالاعتبار لانهم من اولى الايدى والابصار (معرى) اى خال ومجرد (عما حدث) اى اخترع وابتدع (من وضع غير مشروع) كالآراء الفاسدة والاهواء الكاسدة (لايسمن) ذلك الموضوع او غير المشروع (ولايغنى من جوع) اى لايفيد الزيادة والاستزادة ولاينفع حين الافادة والاستفادة (ليس التكحل فى العينين كالكحل) بفتحتين اشارة الى ان تمويه الكتاب بالتكلف من الاعمال المحدثة كالتكحل صفة وتهذيبه على ما اتفق عليه الجمهور من السلف كالعين المكحلة خلقة لايزول بازالة احد ولو تكلف فى مشقة وفيه تنبيه نبيه على ان طريق النجاة للانام هو متابعته عليه السلام واصحابه الكرام فى جميع احكام الاسلام كما يشير اليه قوله تعالى * قل ان كنتم

تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله * و يدل عليه حديث * اصحابى كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم * وخبر لا تجتمع امتى على الضلالة * وعليكم بالسواد الاعظم والله
سبحانه اعلم فالحمد لله ازلا وابدا لانشرك به احدا (نحمده) فى كل آن ونشكره فى كل
زمان (ونستعينه) فى كل شان (ونتوكل عليه) فى كل مكان (ونعوذ بالله من شرور انفسنا)
اى من الاخلاق الدنية (ومن سيئات اعمالنا) من الاحوال الردية (ونشهد ان لا اله)
موجود او معبود او مشهود (الا الله) اى الذات المستجمع لكمال الصفات فلا نعبد الا
اياه ولا نلتفت الى ما سواه (وحده) منفردا بالذات (لا شريك له) فى كمال الصفات
(ونشهد ان محمدا عبده ورسوله) وحبيبه وخليله (اعطاه الله تعالى) خبر او دعاء
(الوسيلة) وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن الوسيلة فقال هى مرتبة لا ينالها
الا واحد وارجو ان اكون انا فمن سأل لى الوسيلة من الله تعالى حلت له الشفاعة
(والفضيلة) اى الزيادة فى المرتبة المنيعة (والدرجة الرفيعة) اى فى المنزلة البديعة
(وبعثه) اى حشره ونشره (مقاما محمودا) يحمده الاولون والآخرون ويغبطه
النبيون والمرسلون والملائكة المقربون (الذى وعده) اى بقوله * عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا * وما وعده لم يكن الا موجودا وانما عبر به عنه بعسى للاشعار بانه لا يجب
على الله سبحانه شئ للعباد وان الامور انما تكون وفق ما قضاه واراد (وصلى الله عليه)
اصالة (وعلى اهله) اى اهل بيته من ازواجه واقاربه واحبائه (وآله) اى من يؤل
اليه امره من اتباعه واصحابه واحزابه (وسلم تسليما) اى يقرنه تعظيما وتكريما

﴿ المقدمة فى العلم ﴾ وقد ورد العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة
قائمة او فريضة عادلة والمراد بها اجماع الامة او اتفاق الائمة رواه ابو داود وابن ماجه
والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر وفى رواية الديلمى عنه العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة
ماضية ولا ادرى وانما لم يذكر الاجماع لان مستنده اما الكتاب او السنة والحديث رواه
ابو داود وابن ماجه عنه مرفوعا وقد روى ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابى
هريرة ما ادرى اعزير نبى ام لا وروى احمد وابو يعلى والبزار والحاكم وصحح اسناده
والطبرانى من حديث جبير بن مطعم ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث
ابن عمر انه لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادرى حتى نزل جبريل وفيه تنبيه
نبيه على ان العجز عن درك الادراك ادراك * ومنه قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا
وقول الرسل يوم القيمة لا علم لنا (بسم الله الرحمن الرحيم) ولا يحيطون به علما
وهو بكل شئ عليم (العلم علمان) اى علم الآخرة او المعتبر فى الاحوال الفاخرة او النافع
فى المرتبة الزاخرة او علم التصوف والاحوال الذاخرة نوعان وقد ورد العلم علمان فعلم
فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم رواه ابن ابى
شيبة والحكيم عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر مرفوعا ﴿ علم المكاشفة ﴾

وهو

وهو ما يطلب منه كشف المعلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق
والرضاء والقبض والبسط والمحو والصحو والهيبة والانس والفناء والانتفاء واللوامع
والطوالع واللوايح والروايح والاستتار والاستتار ومقابله المعاملة وهو ما يطلب منه
مع الكشف العمل به (وهو نور يظهر فى القلب) اما بالجذبة الالهية او بالرياضة
الشرعية عند تطهير القلب وتزكيته من الاخلاق الدنية والصفات الردية (فيشاهد
به الغيب) اى ما غاب عن غيره من العلوم المتعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود
صفاته فى مكوناته ومصنوعاته كما يشير اليه قوله عز وجل * سنريهم آياتنا فى الآفاق
وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق * الآية (وهو متحقق) اى ثابت الى يوم القيمة
لاصحاب السلامة من الندامة والملامة (فورد) دليلا لقوله فيشاهد به الغيب (اذا دخل
النور فى القلب انشرح) اى انفتح (اى عاين الغيب) من غير الريب (وانفسح) اى
اى انبسط واتسع وانفتح (اى احتمل البلاء وحفظ السر) اى فى مقام الولاء والابتلاء
وفى المعالم عند قوله تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام * اى لقبول
ما فيه من الاحكام ولما نزلت هذه الآية سئل عليه السلام عن شرح الصدر قال
نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة اى علامة
قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول
الموت وعن على كرم الله وجهه علم الباطن سر من اسرار الله تعالى عز وجل وحكم
من حكم الله تعالى يقذفه فى قلوب من يشاء من عباده رواه الديلمى وابو عبد الرحمن
السلمى (ولا يصرح به) اى لا يمكن التعبير عن علم المكاشفة (لفقد الرواية) اى
تصريحا بل روى احيانا تلويحا لانه من الامور الوجدانية فلا يمكن ان يروى وينقل
الا بالرموز والاشارات الايمائية الوجدانية فان العاقل يكفيه الاشارة والغافل ما يفيده
الا صريح العبارة ولذا قيل العلم نقطة كثرها الجاهلون ومع هذا كل حزب بما
لديهم فرحون والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة دون علم المكاشفة التى لا رخصة
فى ايداعها فى الكتب وان كانت هى غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر السالكين وعلم
المعاملة طريق اليه ودليل عليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا فى علم الطريق
والارشاد الى الحق واما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل
والاجمال علما منهم بقصور افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبيا فما لهم
سبيل الى العدول عن نهج التأسى ومنهاج الاقتداء (وورد ان من العلم) اى من جملته
علم خفى فيه الفنون (كهيئة المكنون) من الدر المصون (لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله)
رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابى هريرة بلفظ ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه
الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لا ينكره الا اهل العزة بالله عز وجل وفى هذا المقام
قيل من عرف ربه كل لسانه فان بيان حقائق الذات والصفات يعظم شانه ويجل

برهانه واما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فمحمول على العلوم الظاهرة والذخائر الفاخرة من سائر الامور المتعلقة بالدنيا والآخرة وقيل من عرف الله كل لسانه فى بيان الذات وطال بيانه فى شان الصفات وقيل من عرفه بالصفات الجمالية طال لسانه ومن عرفه بالنعوت الجلالية كل بيانه (وهو) اى علم المكاشفة (الافضل) اى من علم المعاملة لان شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم اشرفية ما يتعلق به سبحانه من الذات والصفات وما اخبر به من المغيبات (لانه المقصود) الاكمل والمقصود بالذات ولذا ينقل بانتقاله حال الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل ليعمل به فى سائر الاوقات ولذا ينتهى بانتقال صاحبه الى دار الآخرة حيث لا تكليف فيها

﴿ وعلم المعاملة ﴾ اى النوع الثانى (وهو العلم بما يقرب اليه تعالى) من المأمورات (وما يبعد عنه) من المنهيات وينقسم الى قسمين الى علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والى باطن يتعلق باحوال القلوب ثم الجارى على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التى هى بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم (وهو) اى علم المعاملة (مقدم) اى على العمل او على علم المكاشفة وهو اظهر من حيث دليله الوارد لكن يشكل بقوله (لانه الشرط) فتدبر فانه قد تتقدم الجذبة على السلوك فى الخدمة اللهم الا ان يقال انه الشرط الغالبى كما يدل عليه استثناؤه الآتى (فورد) اى فى كلامه سبحانه (والذين جاهدوا فينا) اى اجتهدوا فى طاعتنا وعبادتنا (لنهدينهم سبلنا) اى طرق معرفتنا ووصلنا او المعنى والذين جاهدوا فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا التى ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ويدل عليه قوله تعالى * والذين اهتدوا زادهم هدى (اصبت) اى وورد اصبت (فالزم حين اخبر حارثة رضى الله عنه بانكشاف الغيب) اى من احوال العقبى (بعد عزوفه) اى بعد صرف السالك قلبه واعراضه (عن الدنيا) والحديث فى الجامع الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطى عن الحارث بن مالك وحارثة بن النعمان الانصارى ففى رواية الطبرانى وابو نعيم عن الحارث بن مالك الانصارى قال مررت بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال كيف اصبحت ياحارث قلت اصبحت مؤمنا حقا فقال انظر ما تقول فان لكل شىء حقيقة وما حقيقة ايمانك قلت قد عزفت نفسى عن الدنيا واسهرت لذلك ليلى واظمأت نهارى وكأنى انظر الى عرش ربى بارزا وكأنى انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى انظر الى اهل النار يتضاغون وفى رواية يتعاوون فيها فقال ياحارث عرفت فالزم قالها ثلاثا وفى رواية ابن عساكر قال له عليه السلام وانت امرؤ نور الله قلبه عرفت فالزم وفى رواية العسكرى فى الامثال عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لحارثة بن النعمان كيف اصبحت الى ان قال ابصرت فالزم ثم قال عبد نور الله الايمان فى قلبه فقال يانبى الله ادع لى بالشهادة فدعا له قال فنودى

يوما ياخيل الله اركبى فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد وفى رواية ابن النجار فبلغ ذلك امه فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان يكن فى الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن فى النار بكيت ما عشت فى الدنيا فقال ياام الحارث او حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة فى جنات والحارث فى الفردوس الاعلى فرجعت وهى تضحك وتقول بخ بخ ياحارثة (الا) استثناء من قوله مقدم اى لكن قد يؤخر علم المعاملة (ان جذبته العناية كما فى سحرة فرعون) فانهم وصلوا الى الحق الحقيق بدون المجاهدة فى الطريق فانه روى انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم فيها وقد ورد جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وورد ان لله فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والحاصل ان السلوك الى الله تعالى اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة على المجاهدة كما يشير اليه قوله سبحانه * الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب والطريق الثانى سلوك الحكماء واكثر الاولياء والاول مسلك الانبياء وبعض الاصفياء كما يدل عليه قوله تعالى * ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان * اى تفصيله فى الخطاب ومعرض البيان * ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء * اى من اهل العرفان * وابلغ منه * وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك (ولا ينفك) اى علم المعاملة (عنه) اى عن علم المكاشفة كما قدمنا من لزوم وجود احدهما مقدما او مؤخرا والحاصل ان بعد الجذبة وحصول المكاشفة يلزم علم المعاملة واما قبل الجذبة فلا بد من المجاهدة فانها شرط وجود المكاشفة وخلاصته ان علم المعاملة غير لازم لحصول علم المكاشفة ابتداء واما الدوامه فلا بد منه انتهاء كما ان عمر حصل له الجذبة وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة والخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم ايضا لدوام علم المكاشفة والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية الفورية الآتية من عالم الامر والا فصاحب علم المعاملة ايضا لا يخلو عن نوع جذبة ربانية الا انها ضعيفة تدريجية من عالم الخلق وقد قال تعالى * الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين * ومن هنا قيل الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق الا انها تختلف باختلاف حجب الخلائق والعوائق ثم اعلم انه لا يلزم من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس فى المقابلة وزبدته ان كل من سعى لم يدرك ما تمنى لكن ما ادرك ما تمنى الا من سعى فلله الآخرة والاولى (فورد) اى فى الحديث مما يدل على لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة (التجافى عن دار الغرور) اى التبعد والتزهد عن الدنيا (والانابة الى دار الخلود) اى الرجوع الى زاد العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله اشتياقا للمولى (حين سئل) اى النبى عليه السلام (عن علامة ذلك النور) كما قدمنا (هذا) اى العلم المنقسم الى قسمين من المكاشفة والمعاملة (ما ورد بفضله) اى فضل تعلمه وتعليمه (الشرع) اى المطابق للعقل والطبع من الكتاب والسنة واخبار الائمة اما الكتاب فقوله تعالى * شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم * وقوله * يرفع الله الذين آمنوا

منكم والذين اوتوا العلم درجات عن ابن عباس للعلماء درجة فوق درجة المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله تعالى * قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * وقوله * انما يخشى الله من عباده العلماء * وقوله قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب * وقوله * وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا * وقوله * وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * وقوله * ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم * وقوله * بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم * واما السنة فقوله عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين متفق عليه وزاد الطبرانى ويلهمه رشده العلماء ورثة الانبياء ابو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث ابى الدرداء ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك ابو نعيم فى الحلية عن انس فقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وابقى خصلتان لا يجتمعان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين الترمذى عن ابى هريرة افضل الناس المؤمن العالم اذا احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على ابى الدرداء الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل الحاكم فى تاريخ نيسابور عن ابى الدرداء اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل ابو نعيم عن ابن عباس لموت قبيلة ايسر من موت عالم الطبرانى وغيره عن ابى الدرداء الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا متفق عليه عن ابى هريرة يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء فترجح مداد العلماء ابن عبد البر عن ابى الدرداء من حفظ على امتى اربعين حديثا من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة ابن عبد البر عن ابن عمر من حمل من امتى اربعين حديثا لقى الله يوم القيمة فقيها عالما ابن عبد البر عن انس من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب الخطيب عن ابن جزء اوحى الله تعالى الى ابراهيم يا ابراهيم انى عليم احب كل عليم ابن عبد البر تعليقا العالم امين الله فى الارض ابن عبد البر عن معاذ صنفان من امتى اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء ابو نعيم عن ابن عباس اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم عن عائشة يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه عن عثمان ما عبد الله بشئ افضل من فقه فى الدين الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه ابن عبد البر عن انس اصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس

زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل الطبرانى عن حزام بن حكيم عن عمه والمعنى اظهار العمل حينئذ خير من اظهار العلم ليقتدى الناس فلا ينافيه ما سبق من الاحاديث الدالة على افضلية العلم مطلقا يا رسول الله اى الاعمال افضل قال العلم بالله عز وجل فقيل نسئل عن العمل وتجيب عن العلم فقيل ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثيرا من العمل لا ينفع مع الجهل بالله ابن عبد البر عن انس يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء انى لم اضع علمى فيكم الا لعلمى بكم ولم اضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم الطبرانى عن ابى موسى (فالمراد) اى فمراد الشارع (المكاشفة فيما ورد) والفاء للتعليل اى ولان المراد علم المكاشفة (فضل العالم على العابد كفضلى على امتى) ولفظ الترمذى والدارمى عن ابى الدرداء كفضلى على ادناكم وفيه مبالغة لا تخفى اى فى حديث مشهور ورد ورواه احمد والترمذى وابو داود وابن ماجه والدارمى وابن حبان ولفظه ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وفى لفظ الترمذى عن ابى امامة فضل العالم على العابد كفضلى على ادنى رجل من اصحابى وقال حسن صحيح وورد فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ابن عدى عن ابى هريرة وابو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف وروى الاصبهانى فى الترغيب والترهيب عن ابن عمر بين العالم والعابد سبعون درجة وكذا فى مسند الفردوس عن ابى هريرة واما ما فى الاحياء مائة درجة فلا اصل له (اذ غيره) اى غير علم المكاشفة وهو علم المعاملة (تبع للعمل لثبوته) اى العلم (شرطا له) اى للعمل فلا عمل بلا علم وقد يوجد علم بلا عمل والمعنى ان كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم بعلم المكاشفة والا فلو اريد منه فضل العالم علم المعاملة لزم تفضيل العالم على العالم او على العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد بقوله فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا حل كلامه وبيان مرامه والظاهر ان المراد بالعالم هنا هو الجامع بين علمى المكاشفة والمعاملة بل المستجمع بين علم الشريعة وعمل الطريقة المؤدى الى مرتبة الحقيقة ثم التحقيق ان العلم بدون العمل غير مفيد والعمل بغير العلم غير صحيح فلا بد للعالم من العمل وللعابد من العلم فالمراد بالعالم فى الحديث من يعمل ما يجب عليه ويصرف الى العلم ما يفضل من الاوقات لديه وبالعابد من يعلم ما يجب عليه من العلم ويصرف بقية اوقاته الى العمل وانما فضل العالم على العابد لان نفع العلم متعد ونفع العمل قاصر ولان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وكلاهما افضل من النوافل كما لا يخفى على ذوى الفضائل ولان العلم من صفات الله والعمل من صفات العبد ولان الفضيلتين خير من واحدة فان العلم ايضا عمل اى عمل وخلاصته ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد هنا العالم العامل

كما يشير اليه قوله عليه السلام تعوذوا بالله من علم لاينفع رواه ابن ماجه باسناد حسن عن جابر وعن عمر من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل ويؤيده حديث * الدال على الخير كفاعله رواه الترمذى من حديث انس عن الحسن لولا العلماء لصار الناس مثل البهايم وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال ليس احد يسألنى عن شئ (والمعاملة) اى والمراد علم المعاملة (القلبية الواجبة فيما ورد طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه وضعفه احمد والبيهقى وغيرهما (لامتناع ارادة غيرها) اى غير المعاملة القلبية اقول بل الحمل على المعنى الاعم هو الاتم ليشمل المعاملة القالبية الواجبة وانما يصح كلام الماتن على قضية نادرة الوقوع فحينئذ يمتنع ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان احدهما ما يكون فرضا على العبد بحكم الاسلام فهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد الانوار النفسية وازالة الاخلاق الردية واثبات الشمائل الرضية وثانيهما ما هو فرض عليه عند تجدد الحادثة كدخول وقت الصلاة والصوم ووجوب الحج والزكاة وعلم البيع والشراء وسائر المعاملات واما العبد اذا اسلم فى وقت لم يجب عليه فيه هذه الاشياء فليس عليه ان يعلمها لانه لم يدرك وقتها وما لم يدرك وقتها لا يكون فرضا علمها اذ لو قدر موته قبل تجددها لم يطالب يوم القيمة بتعلم علمها وانما يكون الفرض عليه حينئذ علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لا يخلو اما ان يكون متصفا برذيلة فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها او لا يكون فيجب عليه تحصيل علم الباطن ايضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها ودسائسها الخفية ومعرفة الخواطر الردية وما يكون بينه وبين الله فى ذلك الوقت من الاحوال الباطنة القلبية فلو وجد فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشتغل لتحصيل علم المعاملة القلبية كان تاركا للفرض مسئولا عنه يوم القيمة وان لم يتجدد له من تلك الفروض الظاهرة شئ كالصلاة ونحوها فافهم والله اعلم وهذا بيان ما اجمل بقوله (اما التوحيد) اى علمه (ف) ليس المراد به (للحصول) اى لحصوله لكل مسلم وفيه انه لابد له من بقائه ودوامه وحفظه من تخريب نظامه (واما الصلاة) اى امتناع ارادة الصلاة به (فلجواز ان يتأهلها شخص) اى يصير اهل وجوبها رجل او امرأة (وقت الضحى) بالبلوغ او الاسلام (ومات قبل الظهر) يعنى فلا يجب على كل مسلم ويدفع بان هذا امر نادر على انه مشروط بشرائط فى تعلقها فالحكم بعد تحققها (واما غيرهما) اى من التوحيد والصلاة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم المعاملة (فاظهر) اى فى امتناع ارادته والجواب ما تقدم والله اعلم وبسط الكلام فى مرام هذا المقام ان العلماء اختلفوا فى العلم الذى هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة وتعصبوا ونزل كل فريق وجوبه على العلم الذى هو بصدده

فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد وبه يعلم ذات الله وصفاته وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام من المعاملات وقال المتصوفة المراد به علم الاخلاق وما يتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة والتحقيق ان هذه العلوم كلها من فروض الكفاية واما فرض العين على كل احد فبعضها مما يجب به الرعاية (وعلم الآخرة) اى والمراد علم ينفع فى الآخرة (مطلقا) اى مع قطع النظر عن المعاملة والمكاشفة (فيما ورد) اى فى كلامه المجيد (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون لئلا يفضل علماء الزمان على الصحابة) وفيه ان الظاهر فى معنى الآية عدم استواء العلماء والجهلاء واما مراتب العلماء من الانبياء والصحابة والتابعين والفقهاء والمشايخ الاولياء فمختلفة بحسب منازل مؤتلفة (فمجادلة الكلام) اى علم المنطق والكلام (والتعمق فى فتاوى ندور وقوعها محدث) اى بدعة الا ان الاولى مذمومة والثانية فى الجملة محمودة (وما ورد) اى والمراد علم الآخرة فيما جاء من القرآن * فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة (ليتفقهوا فى الدين لاختصاص الانذار والحذر) فى قوله سبحانه * ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون (به) اى مختص بعلم الآخرة (فالمحدث مما سبق ذكره يقسى القلب) اى لعدم مدخليته فى الانذار والحذر وانما ينور القلب بذكر الرب وما يتعلق به من الترغيب والترهيب ففى العوارف لما صار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بالعلم والاحياء بالعلم رتبة الفقيه فى الدين صار الفقه فيه اكمل رتب المجتهدين وهو علم الزاهد فى الدنيا الراغب فى العقبى الطالب للولى وهو الاعلى (وايضا) اى ثم يؤيد ما قدمناه (وصف الشارع الفقيه بانه بمقت الناس) اى ببغضهم بالمعاصى (فى ذات الله) اى لاجل رضاه (ولم يقنطهم من رحمته) لقوله تعالى * لا تقنطوا من رحمة الله * وقوله * لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * (ولم يؤمنهم من مكره) لقوله سبحانه * افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * بل يجعل نفسه وغيره بين الخوف والرجاء ولو ظهر له مقامات الاولياء لقوله تعالى * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * والانسان لا يخلو من العصيان ولو بالنسيان (ولم يرغب عن القرآن) اى وما هو مقتبس منه (الى غيره) اى الى غير القرآن من العلوم المحدثة (ويرى له) اى للقرآن (وجوها كثيرة) اى من ظاهر وباطن وحد ومطلع وتأويلات عبارات ورموز واشارات لفظ الوارد عنه عليه السلام انه قال * الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من رحمة الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ابو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق وابو بكر بن السنى وابن عبد البر من حديث على وقال ابن عبد البر اكثرهم يوقفونه على على وفى حديث آخر لا يفقه

العبد حتى يمقت الناس فى ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ابن عبد البر من حديث شداد بن اوس وقال لا يصح مرفوعا وروى ايضا موقوفا على ابى الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا قلت فيه ايماء الى ماقيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب فظهر ان المراد بالفقه ما يحصل به الانذار والحذر وهو علم الآخرة فقد سأل فرقد السبخى الحسن البصرى عن شئ فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونه فقال الحسن ثكلتك فرقد وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد فى الدنيا الراغب فى الاخرى البصير بذنبه المداوم على عبادة الله الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعاتهم ثم اعلم انه ورد فى فضيلة التعلم والتعليم آيات واخبار كثيرة وآثار شهيرة منها قوله تعالى * فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * وقوله عليه السلام من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة رواه مسلم من حديث ابى هريرة وقوله ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع احمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال وقوله لان تغدو فتعلم بابا من العلم خير من ان تصلى مائة ركعة ابن عبد البر من حديث ابى ذر والخبر عند ابن ماجه بلفظ آخر وقوله * باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصرى وجاء مرفوعا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث ابى ذر وقوله * اطلبوا العلم ولو كان بالصين * ابن عدى والبيهقى فى المدخل والشعب من حديث انس وقال متنه مشهور واسانيده ضعيفة وقوله العلم خزائن الله ومفاتيحها السؤال فاسئلوا فانه يؤجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم رواه ابو نعيم من حديث على مرفوعا باسناد ضعيف وقوله لا ينبغى للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه الطبرانى فى الاوسط وابن مردويه فى التفسير وابن السنى وابو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف وقوله ومن جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الانبياء فى الجنة درجة واحدة الدارمى وابن السنى فى رياضة المتعلمين من حديث الحسن اى ابن على او البصرى فالحديث مرسل واما قول الغزالى فى حديث ابى ذر حضور مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بالعلم فقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر وقال الحافظ العراقى ولم اجده من طريق ابى ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطى فى الجامع الكبير فى مسند ابى ذر يا اباذر لان تغدو لتعلم آية من كتاب الله خير لك من ان تصلى مائة ركعة وان تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به اولم يعمل به خير من ان تصلى الف ركعة تطوعا رواه ابن ماجه والحاكم فى تاريخه عنه واما ماورد فى فضيلة التعليم فمنه قوله تعالى * واذ اخذ الله

ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه * وهذا ايجاب للتعليم وقوله * وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * وهذا دليل على ذم كتمان الحق والتحريم وقوله * ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا * وقوله * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة * وقوله * ويعلمهم الكتاب والحكمة * ومنه قوله عليه السلام ما آتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين ان يبينه للناس ولا يكتمه ابو نعيم من حديث ابن مسعود وقوله لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم احمد من حديث معاذ * وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد انه قال ذلك لعلى رضى الله عنه * وقوله من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطى ثواب سبعين صديقا الديلمى من حديث ابن مسعود * وقوله اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله انتم عندى كبعض ملائكتى اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ابو العباس المرهبى من حديث ابن عباس وقوله ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا جهالا ان سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وقوله من علم علما فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ابو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وقوله نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوى عليها ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة الطبرانى من حديث ابن عباس نحوه وقوله الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ذكر الله وما والاه او معلم او متعلم الترمذى وابن ماجه من حديث ابى هريرة وقوله ان الله وملائكته واهل السموات واهل الارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذى من حديث ابى امامة وقوله ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه فبلغه ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ولابى نعيم من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ ما اهدى مسلم لاخيه هدية افضل من كلمة تزيده هدى او ترده عن ردى ورواه البيهقى فى الشعب ايضا وقوله كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها او يعلمها خير له من عبادة سنة ابن المبارك فى الزهد والرقائق من رواية زيد بن اسلم مرسلا نحوه وقوله على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله ابن عبد البر من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ولابن السنى وابى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فرأى مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثانى يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسئلون الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم

وماهؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمرو (ثم حقه) اى حق علم المعاملة وهو اثنان وعشرون منها (العمل) والمعنى لابد للعبد من العمل بالعلم فان العلم بمنزلة الشجرة والعمل فى مرتبة الثمرة فالشرف للشجرة لكونها الاصل لكن الانتفاع بالثمرة التى هى الفرع فكذا حقيقة العلم والعمل فى قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم لقول عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما وقول نبينا عليه الصلوة والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه والحاصل ان العالم العامل فى منزلة النبيين واذا انضم اليه التعليم فهو فى مرتبة المرسلين (فورد) فى ذم ترك العمل (كبر مقتا عند الله الآية) والمقت اشد الغضب تمامها * ان تقولوا مالا تفعلون * وفى معناه * اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون * وانشد

* لاتنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم *

ثم اعلم انه كثر فى التصانيف الخلافية ذكر الآية والحديث والبيت قبل تمامها فقد يكون الباعث على ذلك اختصار ما هنالك وقد يكون الاستدلال على المطلوب يتوقف على اواخرها وهو محفوظ ومعروف عند اهلها فيذكر صدرها ويشير الى آخرها بقوله الآية ونحوها اما بالنصب على اضمار اقرأ وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع بتقدير مبتدأ او خبر كالمورد والمروى والجر على تقدير الى آخر الآية وامثالها (اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه) اى لم يوفقه للعمل به ومن جملة عمله نفع غيره ان احتاج الى علمه والحديث رواه الطبرانى فى الصغير وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ابى هريرة وورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات (والاحتراز) اى وحق علم المعاملة اجتناب صاحبه (عن الفتوى) اذا لم يتعين لها (لعدم قيامهم) اى الصحابة (بها الا بضعة عشر) بكسر الموحدة ما بين الثلاث الى التسع وكان قبض عليه السلام عن مائة الف واربع وعشرين الفا من الصحابة الكرام فهم يسير من كثير من اهل التقوى (وورد لا يفتى الا اميرا ومأمورا ومتكلف) الطبرانى عن عبادة بن الصامت وعن عوف بن مالك ايضا فالامير هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذى يتكلف تلك العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر فينبغى له الحذر كل الحذر وعن حذيفة انما يفتى احد ثلاثة من عرف الناسخ والمنسوخ اورجل ولى سلطان فلا يجد بدا من ذلك او متكلف ابن عساكر قال الحجة وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفى بعض الروايات بدل المتكلف المرائى فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين عليه للحاجة اليه فلم يقصد به الا طلب الجاه والمال وعن ابى حصين قال ان احدهم ليفتى فى المسئلة

ولو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها اهل بدر ابن عساكر وعن ابن سيرين ان عمر قال لابى موسى اما بلغنى انك تفتى الناس ولست بامير قال بلى قال فول حارها من تولى قارها عبدالرزاق والدينورى فى المجالسة وابن عبد البر فى العلم وابن عساكر وعن عبدالله بن بشير ان على بن ابى طالب سئل عن مسئلة فقال لاعلم لى بها ثم قال وابردها على الكبد سئلت عما لم اعلم فقلت لا اعلم رواه سعد ان بن نصر وسئل مالك عن اربعين مسئلة فقال فى ست وثلاثين لا ادرى ومن يرد غير وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدرى وعن ابى يوسف سمعت اباحنيفة يقول لولا الخوف من الله تعالى ما افتيت احدا لكون الهنألهم والوزر علينا وسئل عن مسئلة فقال سلوا مولاى الحسن وذكر الكردرى منه وناهيك عن نهى الفتوى قوله عليه السلام اجرؤكم على الفتيا اجرؤكم على النار رواه الدارمى عن ابى عبدالله بن ابى جعفر مرسلا (والاستبصار) اى وحق علم المعاملة بعد فتوى المفتين طلب البصيرة بعين الاعتبار واخذ القول بدليل الخاص من غير استبدال بالنظر من بين اخيار (فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون) احمد من حديث وابصة ويؤيده حديث دع ما يريبك الى مالا يريبك الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان من حديث الحسن بن على وحديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا بأس به مخافة ما به بأس الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث عطية السعدى وحديث الاثم حواز القلوب البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود وهو بتشديد الزى جمع حازة وهى الامور التى تحزفيها اى تؤثر كما يؤثر الحز والحك فى الشئ وهو ما يخطر فيها من المعاصى لفقد الطمانينة اليها ويروى بتشديد الواو اى يحوزها او يملكها ويغلب عليها ويروى حزاز بزايين الاولى مشددة فعال من الحز فيعتمد فى العلوم على بصيرته وادراكه بصفاء قلبه لا على صحفه وكتبه ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما اشار اليه بقوله (ولان المقلد وعاء العلم) عطف على فورد لانه فى معنى التعليل والمعنى ان الذى يقبل قول الغير ولو كان مجتهدا انما هو وعاء العلم اى ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ فى الدراية وانما نصيبه الرواية ومن هنا قال ابو حنيفة وغيره لايحل لاحد ان يقول بقولنا مالم يعلم من اين قلنا (والشفقة فى التعليم) اى ومن حق علم المعاملة على المعلم بالنسبة الى المتعلم (فورد انا لكم مثل الوالد لولده) ابو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث ابى هريرة وقال تعالى * النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم * وفى قراءة شاذة وهو اب لهم بل هو افضل واكمل من الوالدين فان قصده انقاذهم من نار الآخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الولد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة اعنى معلم علوم الآخرة او علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا

واما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله ثم كما ان حق ابناء الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتواد ولا يكونوا الا كذلك ان كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون الى الله سبحانه وتعالى وسالكون اليه والطريق هو الدنيا وسنونها وشهورها منازل الطريق والتوافق في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والتوافق في طريقه الاعلى ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذا لا يكون بين ابناء الآخرة تنازع ولا سعة في سعادات الدنيا فلذا لا تنفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى * انما المؤمنون اخوة * وداخلون في مقتضى قوله سبحانه * الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين * ومعزولون عن منصب قوله عليه السلام لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (فلا يضن) بفتح الضاد وكسرها نفيا اونهيا اى فلا يبخل على احد بعلمه لان العلم لا يحل منعه (فورد من كتم علما الجم بلجام من نار) ابن ماجه وغيره من حديث ابى هريرة (الا) استثناء من قوله فلا يضن اى فلا يبخل بالعلم الا (عن غير اهله) وهو الذى يريد ان يتوصل الى المال والجاه ونحوه (فورد لا تطرحوا الدر فى افواه الكلاب) رواه ابن النجار عن انس ولفظه لا تطرحوا الدر فى افواه الخنازير وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر فى اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير وقال ايضا لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير اهلها فقد جهل ومن منعها اهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذى حق حقه وسئل بعض العلماء عن شئ فلم يجب فقال السائل اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه فكتمته فليلجمنى وقوله تعالى * ولا تؤتوا السفهاء اموالكم * فيه تنبيه نبيه على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم فى اعطاء غير المستحق باقل من الظلم فى منع المستحق

(شعر)

* فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم *

(والتعريض) اى لا التصريح (بالمنع ابقاء للهيبة وهو المأمور) اى فى المنع كما ورد فى الحديث المأثور والمعنى ان من حقوق المعلم ان يزجر المتعلم بالتعريض اذا وقع منه تقصير وقلة ادب فى القول او الفعل حال تقرير ولا يصرح ما امكن وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة

ويورث الجراءة على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جريج مرسلا انه عليه السلام بينما هو يخطب يوم الجمعة اذا رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى عليه السلام عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبى الله انى قد جمعت معكم فقال عليه السلام اولم ارك تتخطى رقاب الناس فعرض عليه السلام بالمنع عن التخطى بانه يحبط اجر عمله ولم يصرح له مع ما فيه من امالة النفوس الذكية والاذهان البهية الى استنباط المعانى الخفية فيفيد فرح التفطن رغبة فى العمل به بخلاف التصريح فانه ربما يوقعه فى الاصرار على القبيح فقد روى لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شئ يطلب وقد قيل الانسان حريص على ما منع كما يشير اليه قوله تعالى حكاية * ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين (والاقتصار على قدر الفهم فورد امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم) ابو داود من حديث عائشة بلفظ انزلوا الناس منازلهم وفى رواية عن ابن عمر نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ويؤيده حديث كلموا الناس بما تعرفون ودعوا ما تنكرون البخارى موقوفا على على ورفعه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابى نعيم ويقويه حديث ما حدث احدكم قوما بحديث لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم العقيلى فى الضعفاء وابن السنى وابو نعيم فى الرياضة من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم فى مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه وفى رواية ما احد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وفى رواية لابى نعيم عن ابن عباس لا تحدثوا امتى من احاديث الا بما تحمله عقولهم وعن على قال حدثوا الناس بما تعرفون اتريدون ان يكذب الله ورسوله البخارى وفى رواية عنه ايها الناس تحبون ان يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بما تعرفون ودعوا ما تنكرون الخطيب وفى رواية عنه واشار الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة ولقد صدق قلوب الابرار قبور الاسرار (وقطع الطمع) اى عن الخلق خصوصا عن التلميذ وهو سكون النفس الى منفعة مشكوكة (فورد) اى فى آيات كثيرة (قل لا اسئلكم عليه اجر) تمامها * ان اجرى الا على رب العالمين * ولان فساد الدين الطمع كما ان صلاح الدين الورع على ما روى عن الحسن (ونية العمل) بنفسه (والتعليم) لغيره فى التعلم اى لا لقصد المال والجاه والاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة وهذا من حقوق تجب على المتعلم (فورد من تعلم للمباهاة) اى للمفاخرة (او المماراة) اى المجادلة (او لصرف وجوه الناس) اى اليه تعظيما وتكريما (فهو فى النار) ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح ولفظه لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار وفى رواية لابن ماجه عن ابى هريرة بلفظ من تعلم العلم ليباهى به العلماء او يمارى به

السفهاء او يصرف وجوه الناس اليه ادخله الله جهنم وفى رواية لابى داود عنه من تعلم صرف الكلام ليسبى به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وفى رواية الترمذى عن كعب بن مالك بلفظ من تعلم العلم ليجارى به العلماء او ليمارى به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار وقد كثر طرقه بحيث كاد ان يكون متواترا (والانقطاع) عن سائر الامور التى فيها نوع من النزاع (لشغل العلائق) اى العوائق بتعلق الخلائق عن خدمة الخالق ويشير اليه قوله تعالى * وتبتل اليه تبتيلا * اى انقطع اليه واعتمد عليه واقصد الحضور لديه ولقوله تعالى * ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وقال بعضهم العلم لايعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على خطر (والتملق) هو الافراط فى التواضع والتذلل (فودر ليس من اخلاق المؤمن التملق الا فى طلب العلم) رواه الخطيب (والتسليم) اى تسليم المتعلم للمعلم لان العالم الربانى يربى المتعلم بصغار العلم قبل كباره ولقوله (اهلاك مريض لايسلم) اى امره (للطبيب) اى فيما يحميه وفيما يعينه (والحضور للانتفاع) اى ومن حق العلم حضور القلب مع الرب ليحصل له الانتفاع فى مقام الكسب (فورد) اى فى قوله تعالى (ان فى ذلك) اى فيما سبق من اول سورة ق او فى القرآن (لذكرى) اى تذكرة او منفعة وموعظة (لمن كان له قلب) اى حاضر وتمام الآية * اوالقى السمع وهو شهيد * اى بجميع حواسه (وترك الاستنكاف) اى الانفة عن الطلب او المطلوب منه فان العلم يؤتى ولايأتى (لانه تكبر) اى بغير حق وقد قال تعالى * سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا (ولقياس) اى ومن حق العلم ترك قياس المبتدى على المنتهى فى كثرة الطاعة وقلة اجتناب الشبهة (لاستبداله) اى لاختيار المنتهى (الحضور) اى مع الله (بالنوافل) اذ النهاية رد الاعمال الى الباطن وتسكين الجوارح الا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظر انه كسل و بطالة واهمال وغفلة وهيهات فذلك مرابطة القلب فى عين الشهود والحضور مع الرب (واحالة البحر) اى ولتغيره (النجاسة مادون الكوز) شبه المنتهى بالبحر والمبتدى بالكوز فلا يقاس الملوك بالحدادين ومن هنا قال بعض المشايخ من رأنى فى البداية صار صديقا ومن رأنى فى النهاية صار زنديقا (وتقديم الاهم) اى من العلوم تعلما وتعليما (فيبدأ بفرض العين) اى المتعين على كل احد (هو علم مايجب من اعتقاد) اى اجمالا او تفصيلا تقليدا او تحقيقا كما بينته فى شرح الفقه الاكبر تدقيقا (وفعل) اى عمل من صلاة وصوم ونحوهما (وترك) اى من قتل نفس وشرب خمر وامثالهما ومحلهما كتب الفقه (ظاهرا) وهو ظاهر (وباطنا) كترك ارادة المعصية (ثم علم الآخرة) اى معرفة تفاصيل احوالها ومواقفها واهوالها او علم لاينفع الا فى الآخرة وآمالها والمراد به

علم التصوف وتحسين الاخلاق الباطنية وتزيين الاحوال السرية (فهو المقرب اليه تعالى) اى ظاهرا وباطنا بخلاف غيره اذ قد يبعده عنه سبحانه لما يشتمل عليه من انواع التقصير واصناف التكدير من الرياء والسمعة والعجب والغرور فى التقرير والتحرير ومن هنا قال الامام مالك من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق (وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم اخاف عليه من سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به والتسليم لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له شئ من هذا العلم بدعة وكبر وقيل من كان محبا للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم فاقل عقوبة من ينكره ان لايرزق منه شيئا وانشد

* وارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه *

هذا ومجمل مايجب عليك من الاعتقاد على وجه الاقتصاد فى مقام الاستفادة ان تعلم ان لك الها عالما قادرا حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا احدا فردا صمدا لاشريك له ابدا ولاضد له ولاند ولاشبيه ليس كمثله شئ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد متصفا بصفات الكمال جامعا بين نعوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام وصاحب الافضال والانعام متنزها عن الحدوث منفردا بالقدم خالقا لكل شئ من حيز العدم كلامه قديم وارادته وعلمه مقدسان عن كل نقص وآفة لايوصف بصفات المحدثين ولايجوز عليه مايجوز على المحدودين ولاتتضمنه الامكنة والجهات ولاتمر عليه الازمنة والساعات ولاتحل له الحوادث والعاهات وان محمدا عبده ورسوله وخليله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو الصادق المصدوق فيما جاء به من الله سبحانه وفيما ورد على لسانه من امر الآخرة وغرائب شانه ويجب عليه اعتقاد ماكان عليه السلف من ان الله سبحانه يرى فى الآخرة لانه موجود لكنه غير محدود وان القرآن كلام الله غير مخلوق ليس بحروف مقطعة ولا باصوات مختلفة فهو حال وحادث فينا محفوظ فى قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب بايدينا ملحوظ باعيننا ونعتقد ايضا ان لايقع فى الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الابقضاء الله وقدره ووفق ارادته ومشيئته فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله لاحد من خلقه وان حقه واجب على غيره وهو العبادة ثم من اثابه فهو بفضله ومن عاقبه فهو بعدله ولايسأل عما يفعل وهم يسألون و نعتقد جميع ماثبت بالسنة من امور الآخرة كالجنة والنار والحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان فهذه اصول الايمان درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين على اعتقادها والتمسك بها ووقع الاجماع عليها قبل تنوع البدع وبدو الاهواء وقال الحجة علم الآخرة ينقسم الى المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست

اعنى بالمعرفة الاعتقاد الذى تلقنه العامى رواية بل ذلك نوع يقين من دراية هو ثمرة نور يقذفه الله فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى الى رتبة ايمان ابى بكر الصديق والله تعالى ولى التوفيق ومن اهم المهمات معرفة الواجبات ليكتسبها والسيئات ليجتنبها اذ كيف تقوم الطاعات لا تعرف ما هى اوكيف يفعلها مع وجود الملاهى ام كيف يجتنب المعاصى من غيران يعرف انها من المناهى فيجب عليكم ان تحكم احكام الشرع من الاصل والفرع فربما انت مقيم على كفر و بدعة اوعلى غفلة مما يفسد عليك طهارتك اوصلاتك او يخرجهما عن كونهما على وفق السنة ثم مدار هذا الشان ايضا على العبادات الباطنة التى هى من فروض الاعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضاء والقضاء والتوبة والانابة والصبر والشكر والاخلاص فى النية ونحوها مما سيجئ ذكرها ويجب الاتصاف بها وكذا المعاصى الباطنة من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول الامل وخوف الفقر والرياء والكبر مما سيأتى بيانها ويجب اجتنابها حتى يصون النفس عما شانها و يكون منعوته بما زانها فان هذه المذكورات كلها فرائض الله سبحانه على الامر بها والنهى عن اضدادها فى كتابه القديم وعلى لسان رسوله القويم فقد قال تعالى * فتوكلوا ان كنتم مؤمنين * واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون * واصبروا ان الله مع الصابرين * وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين * ونحو ذلك من الآيات كما نص على الامر بالصوم والصلوة فما بالك اقبلت على العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الزائدة والامر بها من رب واحد فى كتاب واحد على رسول واحد بل غفلت عنها ولا عرفت شيئا منها وعلى الجملة فكل ما لا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه فرض لا يسوغ لاحد تركه (فاذا فرغ عن القيام بفرض العين علما وعملا) اى فعلا وتركا (ساغ ان يشرع فى فروض الكفاية كالتفسير) اى وما يتعلق به من علم القراءة واسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ و العام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو الذى يسمى اصول الفقه و يتناول السنة ايضا وما يتوقف عليه من علم اللغة والصرف والنحو (والاخبار) اى الاحاديث والآثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر احوالها (والفتاوى) اى فروع الفقه واصوله (غير متجاوز الى النوادر) اى كما نقل عن السلف الاكابر فيكفيك من التفسير وجيز الواحدى اوالجلالين ووسطه المدارك اوالمعالم ونهايته الدر المنثور فى التفسير المأثور ومن الحديث يكفيك ما فى الصحيحين والتوسط منه نحو المشكوة والنهاية وتيسير الوصول الى جامع الاصول و الجامع الكبير للحافظ السيوطى واما لاستغراق فى علم واحد طلبا للاستقصاء فممنوع فان العلم كثير والعمر قصير (ولا مستغرق) اى بكليته فى فرض الكفاية وهى كما قال الحجة كل علم لا يستغنى عنه فى قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها قال ولا يتعجب من قولنا

ان الطب والحساب من فروض الكفاية فان اصول الصناعات كذلك كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة وهى اخس الصنائع فانه لو خلا بلد عن الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذى انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله قلت واغرب من هذا ان صنعة السرابادية ايضا من فروض الكفاية (مشتغل عن المقصود) اى الذى هو الحضور بين يدى المعبود والاستغراق فى لجة بحر الشهود فقد قال الطحاوى حدثنا ابن ابى عمران قال حدثنا محمد بن مروان الخفاف قال سمعت اسمعيل ابن حماد بن ابى حنيفة يقول قال محمد بن الحسن كنت آتى عند داود الطائى فاسئله عن مسئلة فان وقع فى قلبه انها مما احتاج اليه لامر دينى اجابنى فيها وان وقع فى قلبه انها على خلاف ذلك تبسم فى وجهى وقال ان لنا شغلا (والاقتصار) اى ومن حقوق علم المعاملة الاختصار (على الواقع) اى من القضايا (والقريب منه) اى من لوافع فى البلايا (فى المناظرة) اى بطريق المشاورة (فهو المأثور) اى عن الجمهور فان الصحابة ما تناظروا ولا تشاوروا الا فى مسئلة واقعة اوقريبة الوقوع غالبا (واختيار الخلوة) اى للمناظرة (لقربها الى جمع الهمة وصفاء الفكرة والبعد عن الرياء والعجب) لان فى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء و يوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان اومبطلا (وسبيل التشاور) اى واختياره لقوله عز وجل * وامرهم شورى بينهم * والحديث ما خاب من استشار (والتعاون) لقوله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى (فهو المأثور) لا على سبيل المراء والخصومة والرياء (فيجيز الانتقال) اى فيجوز انتقال خصمه من معاونة ومشاورة (عن دليل واشكال) اى الى دليل آخر واشكال اظهر بان اعتقد ولا انه دليل واشكال قبل المشورة والتعاون فعلم بعدهما انه غير دليل واشكال فينتقل (ولا يدعى علم مجهول) كما اذا قال احد المتناظرين هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو اوضح فاذكره فيصر المعترض و يقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذ لا يلزمنى ذكره ولا يعرف هذا المسكين ان قوله اما كذب ولا يعرف معنى وانما يدعيه تعجيزا لخصمه فهو فاسق كذاب عصى الله سبحانه و تكون دعواه دعوى علم مجهول اوقوله صدق فقد فسق باخفاء ما عرفه من امر الشرع وقد سأل اخوه المسلم واظهار مثل ذلك واجب كما لا يخفى فيكون سكوته سكوتا عن معلوم زاعما عدم لزوم الذكر وهو قد وجب عليه وهذا معنى قوله (ولا يسكت عن معلوم زاعما) اى مدعيا (انه عالم بعد) اى بعد سؤال المناظرة و (لزوم الذكر) كما هو شان المناظرين اذا قاس المستدل على اصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على ان الحكم فى الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو اوضح واولى فاذكره الى آخر ما سبق (فهى) اى المذكورات من عدم اجازة الانتقال والادعاء والسكوت (قواعد محدثة) اى اصطلاحات مبتدعة مستقبحة (جاذبة الى المهلكات) من الحسد والتكبر و كتمان الحق واذى المسلم وغير

ذلك (يحرم التمسك بها) اى ويجب العمل بخلافها (و يشكر) اى المناظر (المصيب و يعترف بالخطاء) فعن محمد بن كعب قال سأل رجل عليا عن مسئلة فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا قال على اصبت واخطأت وفوق كل ذى علم عليم اخرجه ابن جرير وابن عبد البر وقد ثبت ان امرأة ردت على عمر رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل واستدرك ابن مسعود على ابى موسى الاشعرى فقال ابو موسى الاشعرى لا تسألونى عن شئ وهذا الحبر بين اظهركم وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال هو فى الجنة وكان اذ ذاك امير الكوفة فقال ابن مسعود اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه واعاد الجواب وقال ابن مسعود وانا اقول ان قتل فاصاب الحق فهو فى الجنة فقال ابو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الان فيه لانكره واستبعده وقال لا يحتاج الى ان يقال انه اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظرى زمانك اليوم كيف تسود وجه احدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد فى مجاحدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيى من تشبيه نفسه بالصحابة فى تعاونهم على النظر فى الحق (ولا يهتم به) اى برأيه الخطأ لان هذا شان الاجتهاد ولانه اذا اصاب فله اجران واذا اخطأ فله اجر فلا يخلو عن الخير بالكلية (فهو المأثور) اى المنقول عن الجمهور قبل ولا يقدر على هذا الا ثقاة العالم الربانى اوالولى الصمدانى و(لانه) دليل آخر لعدم الاهتمام اى ولان المناظر اذا كان طالب الحق (فانشد ضالة فلا فرق بين ظهوره منه او من غيره) كما يشير اليه قوله عليه السلام الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها اخرجه الترمذى عن ابى هريرة مرفوعا (و يقدم) اى المناظر قبل البحث (افحام النفس) اى اسكات نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها امارة بالسوء (والشيطان) وكذا افحام الشيطان (اشد معاداتهما) قال تعالى * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا * وقال عليه السلام اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ومن لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو اعدى عدو له ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل المجتهد فيها مصيب او مساهم للمصيب فى الاجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين فى حزب الرحمن والله المستعان هذا وقد ورد من ترك المراء وهو مبطل بنى الله بيتا فى ربض الجنة اى وسطها ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى اعلى الجنة الترمذى وحسنه من حديث انس (والتمسك) عطف على اختيار الحلوة اى والاعتصام (فى الاصول) اى الاعتقاديات (بالكتاب) اذا كان مقطوع الدلالة (والسنة) اى المتواترة مبنى اومعنى (والاجماع) اى اجماع الامة ونحو ذلك (والاعراض عن اعتراض خاطر اوناظر) اى ومن حق العالم ان يعرض عما اعترض فى خاطره اوفى قول مناظره اذا كان هذا الاعتراض مخالفا للادلة الثلاثة المذكورة (لاعتصامها عن الهوى)

اى هوى النفس (والوسوسة) اى وسوسة الشيطان (دون غيرها) اى بخلاف ما عداها من المقايسات العقلية ونحوها (وتأييد الاعتقاد) اى تقويته وتأكيده (بالمعاملة) والمعنى انه اذا علم واعتقد شيئا واجبا اوسنة اومندوبا فمن حقه ان يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا اذا اعتقد شيئا حراما اومكروها فمن حقه ان يؤيد اعتقاده ذلك بالترك (فهو) اى تأييده بها (طريق المكاشفة) اى الموصل الى علم المكاشفة والمشاهدة فمن اشتغل بالعلم بالهدى ولازم طريق التقوى ونهى النفس عن الهوى يفتح له ابواب الهداية ومايوصله الى مقام النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * وقوله * والذين اهتدوا زادهم هدى * وقوله عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم (و دلة القرآن) اى وتأييده بادلة القرآن خصوصا فانها قطعية لامحالة و يرجع الاجماع والسنة اليها (فيها) اى بالادلة القرآنية (كانوا) اى السلف (يحاجون) اى يباحثون من فقه القرآن (و يقاتلون من لم يفقه فلا بيان) اى يوجد (بعد بيانه) اى بيان القرآن وقد قال تعالى * هذا بيان للناس * وقال * هذا بلاغ للناس * اى كفاية لهم فى امر دينهم ودنياهم وآخرتهم وفى الحديث من لم يتغن بالقرآن فليس منا اى من لم يستغن عن غيره و يؤيده قوله تعالى * اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون * (وصحبة الصالحين) اى وتأييد الاعتقاد بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف لهم بنور الصلاح مالم ينكشف لغيرهم من العلوم وقد قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين * (و صفء الوعظ) اى وتأييده باستماع الوعظ (اللين) ى المؤثر للقلوب امامن الوعاظ اومن كتب الصوفية (وترك مجادلة الكلام) اى وتأييده بترك مجادلة علم الكلام على طريقة المنطقيين والحكماء الخارجين عن دائرة الاسلام (فهو صنعة جدل) بفتح فكسر اى مجادل اوبفتحتين فان المجادلة مراء يتعلق باظهار المذاهب وهو يعرف بكراهة اصابة الخصم وارادة خطائه واظهار فضل النفس وهو موضوع (لتحيير العامى الذى يضر) بصيغة المجهول (ضرره) اى يضر الجدل مثل ضرر العامى وضرر العامى خلل اعتقاده بواسطة المناظرة بانه يقع فى خاطره ان العلماء لما يترددون فى المسئلة كيف نعتقدها على طريق الجزم وهذا معنى قوله (لتشويشه الحق ببعث الشبهة وتحريك العقيدة وازالة الجزم) فهذا ضرره بالنسبة الى العامى واما ضرره بالنسبة الى العالم فقد بينه بقوله (وتوكيده) عطف على تحييره اى فهو صنعة جدل لتأكيده (الباطل بتأييد الاصرار) اى بتقوية الاستمرار على المجادلة فى الآيات والاخبار (للعنت الجدلى) اى لطلب زلة من يجادل معه ومشقته (وحل الافحام) اى و يحمل الالزام (على قصور الطبع) وذلك لان المماراة تصير عادة فيه طبيعة فلا يسمع كلاما الا و ينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه فى ادلة القرآن والفاظ الشرع فيصرف البعض منها بالبعض ولذا ذم الجدل فى الكتاب والسنة فقد ورد ماضل قو

بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ * ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون * الترمذى وابن ماجه من حديث ابى امامة قال الترمذى حديث حسن صحيح وقال عزوجل * وكان الانسان اكثر شئ جدلا * وفى الحديث فى معنى قوله تعالى * فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون * الآية هم اهل الجدل الذين عنى الله بقوله تعالى * فاحذروهم * متفق عليه من حديث عائشة وقال بعض السلف يكون فى آخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفى بعض الاخبار انكم فى زمان الهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل ذكره الحجة وقال العراقى لم اجد له اصلا وفى الخبر المشهور ابغض الخلق الى الله تعالى الالد الخصم متفق عليه من حديث عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى * ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على مافى قلبه وهو الد الخصام * ومن هنا قيل اعتقاد العامى الذى لم يشتغل بالكلام راسخ قوى فى احكام الاسلام واعتقاد الجدلى الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل فى الهواء بل يشابه الهباء تقيه الرياح المختلفة فى الصحراء كما فى الاحياء (ومن ثمة) تكتب بالتاء لئلا تشتبه بثم ثم تقرأ بفتح لمثلثة من غير تاء وصلا وهاء وقفا وخلاف ذلك عد من غلط العامة كذا فى غاية التحقيق اى ومن اجل ذلك وما يتفرع عليه هنالك (تزعزع) اى تزلزل (عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر) اى بالادلة النظرية العقليه فقط (دون العامى المتقى) اى المعتمد على الادلة النقلية والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين من الائمة لا يتزعزع بل يزداد رسوخا بما سمعه من ادلة القرآن و بما يرد عليه من شواهد الحديث فى ميدان البيان و بما يسرى اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين (الا) ستثناء من قوله تحجير العامى الذى يضر ضرره اى الا (فى عامى اعتقد بدعة مسموعة) اى من جماعة مبتدعة (والف الجدل حتى لا يفيده سواه) والغالب انه لا يفيده بل لا يزيده الا ضلالا وتبارا كما يشير اليه قوله تعالى * وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا * فان القرآن كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما يومى اليه قوله تعالى * يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا (فمن ثمة) اى من اجل انه يرجى انه يفيد فى الجملة اولاقامة الحجة (صار) اى علم المناظرة (مباحا) عند بعضهم (بل من فروض الكفاية) اى عند بعض ارباب الدراية (فى زمان البدع) اى ايام ظهور انواع البدعة (صونا للعقائد) اى عن تزلزلها فى القواعد وهو انما يكون مباحا وفرض كفاية (على الذكى) اى الفطن (الفصيح) اى القادر على التقرير والتحرير (المتدين المتجرد له) اى لتحصيله هذا الفن (ليقدر على الفهم) اى اولا (والتقرير) اى التفهيم ثانيا (والثبات على الحق) اى ثالثا (والاستكمال لازالة الشبهة دون العامة) اى لا يباح لعامة الناس ان يخوضوا فى هذا البحر العظيم فان فيه من الخطر الفخيم والمراد بالعامى هنا من لم يستحكم عقائده بالكتاب والسنة واجماع الامة وسائر الادلة العقلية والحجج النقلية (لانه) اى علم النظر (دواء) فيحتاج اليه عند الحاجة كالادوية والعامى ليس

له معرفة بكيفية استعمال هذا الدواء فلا حاجة اليه بل استعماله وبال عليه (بخلاف ماسبق) اى من الادلة الثلاثة التى هى الكتاب والسنة واجماع الامة (فهو غذاء) اى فانها كالغذاء للبدن فلا بد للعامى منها فقد قال فتح الموصلى اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت فقالوا بلى فقال وهذا القلب اذا منع عنه الحكمة و العلم ثلثة ايام يموت واما دقائق المعتقدات وحقائق المختلفات فيستغنى عنه العامى حتى لو مات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك فقد مات على الاسلام اجماعا (بكلام واضح) اى هو من فروض الكفاية على الذكى الفصيح بكلام ظاهر (سديد) اى مسدد باهر (قريب من الشرع ليقرب) اى ذلك الكلام (من الفهم) اى الذى يقتضيه الطبع (ويبعد عن ورود الشبهة والهوى) اى هوى النفس او هوى البدعة (والوسوسة) اى الناشئة من النفس والشيطان (دون التعمق المشوش) اى ولا يباح لمن ينظر فى علم النظر ان يتعمق فيه بحيث يشوش عليه ما يعنيه (والتجاوز) اى دون التعدى (الى هذيانات) اى وترهات تؤذى بها الطبايع وتمجها الاسماع (اخترعها المبتدعة) اى من الخوارج والروافض والمعتزلة ثم اعلم ان المصنف فى هذا المقام تبع حجة الاسلام فى اباحة علم الكلام واقتفاه فى تفاصيل ما ذكره من المرام الا ان السلف الكرام وجماعة من الخلف الفخام اتفقوا على ان علم الكلام من العلوم المذمومة وهو ما تنصب فيه الادلة العقلية وتنقل فيه اقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية والا فعلم العقائد بالحجج الشرعية والبراهين النقلية اشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتتماته اللازمة لديه فعن الشافعى لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من ان يلقاه بشئ من علم الكلام وذكر فى غياث المفتى عن ابى يوسف انه لا يجوز الصلاة خلف المتكلم وان تكلم بحق لانه مبتدع ولا يجوز خلف المبتدع وكان ابو حنيفة يكره الجدال على سبيل الحق حتى روى عن ابى يوسف انه قال كنا جلوسا عند ابى حنيفة اذ دخل جماعة فى ايديهم رجلان فقالوا ان احد هذين يقول القرآن مخلوق وهذا ينازعه و يقول غير مخلوق قال لا تصلوا خلفهما فقلت اما الاول فنعم فانه لا يقول بقدم القرآن واما الآخر فماباله لا يصلى خلفه فقال انهما يتنازعان فى الدين والمنازعة فى الدين بدعة كذا فى مفتاح السعادة ومن جملة العلوم المذمومة علم المنطق الذى هو يسمى بدهليز الكفر فقد صنفه شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مستقلة فى تحريمه ونقل عن الائمة الاربعة ما يدل على تسليمه ومن جملتها علم السحر كما يدل عليه قوله تعالى * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر * ومنها علم النجوم فقد ورد تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم انتهوا ابن مردويه والدارقطنى عن ابن عمر رب معلم حروف ابى جاد دارس فى النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة الطبرانى عن ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد احمد وابو

دادود وابن ماجه عن ابن عباس مثل الناظر فى النجوم كالناظر فى عين الشمس كلما اشتد
نظره فيها ذهب بصره الديلمى عن ابى هريرة وعن الربيع بن بسرة الجهنى قال لما غزا
عمر واراد الخروج الى الشام خرجت معه فلما اراد ان يدلج نظرت فاذا القمر فى الدبران
فاردت ان اذكر ذلك لعمر فعرفت انه يكره ذكر النجوم فقلت له يا ابا حفص انظر
الى القمر ما احسن استوائه الليلة فنظر فاذا هو فى الدبران فقال قد عرفت ما تريد ابن بسرة
تقول ان القمر فى الدبران والله ما يخرج شمس ولا قمر الا بالله الواحد القهار الخطيب
وابن عساكر وعن عبدالله بن عوف بن الاحمر ان ابى مسافر بن عوف بن الاحمر
قال لعلى بن ابى طالب حين انصرف من الانبار الى اهل النهروان يا امير المؤمنين
لاتسر فى هذه الساعة وسر فى ثلاث ساعات يمضين من النهار قال على ولم قال لانك
ان سرت فى هذه الساعة اصابك انت واصحابك بلاء وضر شديد وان سرت فى الساعة
التى امرتك بها ظفرت وظهرت وطلبت فقال على ماكان لمحمد صلى الله عليه وسلم
منجم ولالنا من بعده هل تعلم ما فى بطن فرسى هذه قال ان حسبت علمت قال من صدقك
بهذا القول كذب القران قال الله تعالى * ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم
ما فى الارحام * الآية ماكان محمد صلى الله عليه وسلم يدعى ما ادعيت علمه تزعم انك تهدى
الى علم الساعة التى يصيب السوء من سافر فيها قال نعم قال من صدقك بهذا القول
استغنى عن الله فى صرف المكروه عنه وينبغى للمقيم بامرك ان يوليك الامر
دون الله ربه لانك انت تزعم هدايته الى الساعة التى ينجو من السوء من سافر فيها
فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه ان يكون كمن اتخذ دون الله ندا وضدا اللهم لاطير
الا طيرك ولاخير الا خيرك ولااله غيرك نكذبك ونخالفك ونسير فى هذه الساعة التى تنهانا
عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم هذه النجوم الا ما يهتدى به فى ظلمات
البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر فى النار والله لئن بلغنى انك تنظر فى النجوم
وتعمل بها لاخلدنك فى الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ماكان لى سلطان
ثم سار فى الساعة التى نهاه عنها فاتى اهل النهروان فقتلهم ثم قال لو سرنا
فى الساعة التى امرنا بها فظفرنا اوظهرنا لقال قائل سار فى الساعة التى امر بها
المنجم ماكان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولالنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى
وقيصر وسائر البلدان ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفى ما سواه
الحارث والخطيب وعن على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ياعلى لاتجالس اصحاب
النجوم الخرائطى فى مساوى الاخلاق والديلمى * ومنها علم الرمل والفال ولو
من المصحف فانه من قبيل الازلام المنصوص فى القرآن انه من الحرام وعن معاوية
ابن الحكم مرفوعا كان نبى من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك احمد ومسلم
وابو داود ومنها علم النسب والتوغل فى الصرف والنحو ونحوهما فعن ابى هريرة
مرفوعا تعلموا من انسابكم ماتصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية

ماتعرفون به كتاب الله ثم انتهوا البيهقى وعن ابى هريرة مرفوعا علم النسب علم
لاينفع وجهالة لاتضر ابن عبد البر وعن ابن عباس مرفوعا كذب النسابون قال الله
تعالى * وقرونا بين ذلك كثيرا * ابن سعد وابن عساكر وفى رواية الديلمى عن عطاء
عن ابن عباس وابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعا
من الناس على رجل فقال ما هذا قالوا يارسول الله رجل علامة قال وما العلامة قالوا
اعلم الناس بانساب العرب وبالشعر وبما اختلف فيه العرب فقال النبى صلى الله عليه وسلم
هذا علم لاينفع وجهالة لاتضر الديلمى ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات
كالكيمياء والسيمياء واما المباح فالعلم بالاشعار التى لاسخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجرى
مجراه ومنها الشطحيات وهى الدعاوى الطويلة العريضة فى العشق مع الله والوصال
المغنى عن الاعمال الظاهرة حتى ينتهى قوم الى دعوى الاتحاد من العينية والحلول
وغيرهما من انواع الاتحاد ودعوى ارتفاع الحجب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة
بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور
الحلاج الذى صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق
وبما حكى عن ابى يزيد البسطامى انه قال سبحانى سبحانى وهذا فن من الكلام عظيم ضرره
فى العوام حتى ترك جماعة من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوى
فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الاعمال مع تزكية النفس
بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى ذلك لانفسهم ولاعن تلقف
كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم لم يعجزوا ان يقولوا ان هذا انكار مصدره
العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لايلوح الا من الباطن
بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله قد استطار فى بعض البلاد شرره وعظم فى العوام
ضرره حتى من نطق بشئ فقتله افضل فى دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد
البسطامى فلا يصح عنه ما حكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز
وجل فى كلام يردده فى نفسه كما لو سمع وهو يقول * اننى انا الله لا اله الا انا
فاعبدنى فانه كان ينبغى ان يفهم ذلك منه الا على سبيل الحكاية كذا فى الاحياء
ومنها قراءة كتاب الفصوص المخالف للنصوص فانه مشتمل على انواع من كفريات
صريحة التى ليس لها تأويلات صحيحة وقد قال ابن المقرى فى الارشاد ان طائفة
ابن العربى شر من اليهود والنصارى وقد عملت فى هذه المسئلة رسالة مستقلة وقد حرم
بعض فقهائنا مطالعة تفسير الكشاف لما فيه من الاعتزال وكذا ينبغى الاحتراز
عن مواضع فى البيضاوى تبع فيه مذاهب الحكماء والله سبحانه وتعالى اعلم بحقايق
الاشياء ومنها الطامات وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور
باطنة لاتسبق منها الى الافهام كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا ايضا حرام وضرره
عظيم فان الالفاظ اذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل

عن صاحب الشرع من غير ضرورة تدعو اليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ و يسقط به منفعة كلام الله تعالى و كلام رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فان ما سبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر و يمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدعة الشائعة العظيمة الضرر وانما قصد اصحابها الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب ومستلذة له و بهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم جميع الشريعة بتأويل ظاهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكى الغزالى من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية ومثال تأويل اهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى * اذهب الى فرعون انه طغى * اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل انسان وفى قوله * وان الق عصاك * الى كل ما يتوكأ عليه وما يعتمده مما سوى الله فينبغى ان يلقيه وفى قوله عليه السلام تسحروا فان فى السحور بركة اراد به الاستغفار فى الاسحار وامثال ذلك حتى يحرفوا القرآن من اوله الى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له كابى جهل وابى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة ومالم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل الى الفاظها وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عليه السلام يتناول الطعام فى السحر كما فى البخارى ويقول تسحروا وهلموا الى الغذاء المبارك كما رواه ابو داود وغيره فهذه امور تدرك بالتواتر والحس و بعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى امور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شئ من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله عليه السلام فى الترمذى وسننه من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورأيه تقرير امر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن عليه و يحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية او نقلية او لغوية ولا ينبغى ان يفهم من الحديث انه يجب ان لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فان من الآيات ما نقل عن الصحابة والتابعين خمسة معان وستة وسبعة واكثر ونعلم قطعا ان جميعها غير مسموعة عن النبى صلى الله عليه وسلم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولذا قال عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل كما رواه احمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التأويلات مع علمه بانه غير مراده بالالفاظ و يزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهى من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو فى نفسه حق ولكنه لم ينطق به الشرع كمن يضع فى كل مسئلة يرى انها حق حديثا عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم فذلك ظلم وضلال ودخول فى الوعيد المفهوم من قوله عليه السلام فى الصحيحين من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر فى تأويلات هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للفقه بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية واما اذا اورد الالفاظ والمبانى على مراد الشرع من المعانى بحسب العبارات ثم زاد على ظواهرها مما يستفاد من اسرارها بطريق الاشارات فذلك نور على نور وجمع بين بطون وظهور * ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور * (وفى الفروع) عطف على فى الاصول اى ومن حق العلم التمسك فى علم الفروع المسمى بالفقه (بالمجمع عليه) اى ان وجد اجماعا او بالمتفق عليه بين الاربعة مثل تعجيل صلاة المغرب (ثم الاحوط) كمسح كل الرأس فان الخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع وكذا اذا كان حنفيا ومس ذكره اولمس امرأة يتوضأ واذا كان شافعيا لا يتوضأ من القلتين واذا رعف او افتصد او فعل نحوه يتوضأ وهذه الطريقة السنية طريقة الصوفية حتى قيل ان هذا مذهب خامس فى القواعد الفقهية (ثم الاوثق) اى اذا لم يمكن الاحوط للتعارض فيتمسك بالاقوى (دليلا) كالاسفار بالفجر دون الغلس ووضع اليمين دون الارسال وقد بينا الادلة بيننا و بين المخالفين معنا فى شرح النقاية والله ولى الهداية فى البداية والنهاية (ثم قول من ظن) اى اذا لم يكن مجتهدا او لم يظهر له دليل ولا بد له ان يقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه (انه افضل) وفى مقام الفقه اكمل لان نفسه حينئذ ينقاد الى قوله ويخضع لرأيه ويتبادر الى امتثال امره ونهيه وزاد ابن حجر فى نسخة اصله قوله والعمل به اكيد وهذه زيادة فائدة ان صحت لها منفعة عائدة ثم قال وكل من ابى حنيفة ومالك والشافعى امتاز باقليم لا يعرف فيه غير اتباعه او يكون فيه اتباعه اكثر كاقليم الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعى وكالغرب على سعته بالنسبة الى مالك وكالروم والهند وماوراء النهر بالنسبة لابى حنيفة انتهى ولا يخفى ان المغرب مختص بالامام مالك واما ما ذكره من اقليم الحجاز وما بعده فمخلوط بالشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون فى النجد وتوابعه وكذا فى البصرة و بغداد والحصاء ونواحيها واما شمس علم ابى حنيفة فقد اشرق على الشرق وغلب على فرق اكثر الفرق فان كثرة الاروام وغلبة الهنود والاعجام ربما يكون اضعافا مضاعفة على اتباع مالك والشافعى واظن ان الحنفية تكون ثلثى اهل الاسلام كما يكون المؤمنون ثلثى اهل الجنة فى دار المقام ثم الكثرة اصل معتبر عند العلماء الاعلام كما يشير اليه ما روى عليكم بالسواد الاعظم والله اعلم (كابى حنيفة عندنا) معشر الحنفية وكغيره من الائمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع كل طائفة مذهبهم (فورد) اى من طرق لكنها كلها واهية (ابو حنيفة سراج امتى) حديث موضوع كما قاله الصغانى وغيره بل قال السيوطى وما يورد فى ذكر ابى حنيفة من الاحاديث فباطل كذب لا اصل له نعم اخرج الشيخان عن ابى هريرة ان النبى

صلى الله عليه وسلم قال * لوكان العلم عند الثريا لتناوله رجال من ابناء فارس قال السيوطى هذا اهل صحيح يعتمد عليه فى البشارة بابى حنيفة وفى الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقا على اختلاف فى انه هل روى عن الصحابة ام لا كما بينه فى شرح مسند الامام وقد ورد خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ومما يصلح للاستدلال به على عظم شان ابى حنيفة ماروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال * ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمه قال شمس الائمة الكردرى ان هذا الحديث محمول على ابى حنيفة لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن حجر المكى فى الخيرات الحسان فى مناقب ابى حنيفة النعمان وقد ثبت ان اباه ثابتا ذهب به الى على بن ابى طالب كرم الله وجهه وهو صغير فدعاله بالبركة فيه وفى ذريته (وسمع) بصيغة المجهول والمعلوم (فى المنام) انه عليه السلام قال بعدما قيل اين اطلبك يارسول الله (انا عند علم ابى حنيفة) وفى شرح ابن حجر وسمع فى المنام البارى تعالى يقول انا عند علم ابى حنيفة اى بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه وفى الآخذين به (وسلم المخالفون) كمالك والشافعى وغيرهما (سبقه فى الفقه) اى غايته فى هذا الفن اصولا وفروعا فقد قال الشافعى قيل لمالك هل رأيت اباحنيفة قال نعم رأيت رجلا لوكلمك فى هذه السارية اى بجعلها ذهبا لقام بحجته وهذا من كمال انصاف مالك مع علو مقامه هنالك وغاية مبالغة فى بلاغة الامام وبيان المرام فى جميع المقام وقال الشافعى الخلق كلهم عيال ابى حنيفة فى الفقه وفى رواية عنه من اراد ان يتبحر فى الفقه فهو عيال على ابى حنيفة وقال ايضا من اراد ان يعرف الفقه فليلزم ابا حنيفة واصحابه ذكره ابن حجر وذكر ايضا ان الشافعى لما دخل بغداد وزار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه فى التكبير وفى رواية ان الركعتين كانت الصبح وانه لم يقنت فقيل له فى ذلك فقال ليس ادبنا مع هذا الامام ان نظهر خلافه بحضرته والفضل ماشهدت به الاضداد وقال النضر بن اسمعيل كان الناس نياما عن الفقه حتى ايقظهم ابو حنيفة ودخل على امير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن اخذت العلم قال عن اصحاب عمر ومن اصحاب على ومن اصحاب ابن مسعود فقال له المنصور لقد استوثقت وكان يقول اذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وعن اصحابه اخذنا بعض اقوالهم ولم نزاحمهم وعن التابعين فزاحمناهم فهم رجال ونحن رجال وذكر الامام الاسفرائينى باسناده الى على ابن المدينى وهو من اساتذة البخارى وهو الذى طعن فى حديث القلتين سمعت عبد الرزاق يقول قال معمر ماعرف احدا بعد الحسن اى البصرى يتكلم فى الفقه احسن معرفة من ابى حنيفة ومجمل الكلام فى مرام هذا المقام ان تقليد الافضل افضل باتفاق علماء الاعلام وقيل بل يتعين ثم تقليد الاقدم فى الاستنباط اولى واتم فالامام الاعظم والهمام الاقدم هو ابو حنيفة فانه افضل زمانا واكمل شانا فانه من التابعين دون سائر المجتهدين ثم انه اقدم برهانا واتم بيانا

لتقدمه واختصاصه بتدوين الفقه اصلا وفرعا فانه صور المسائل واجاب عنها واوضح الاسباب والعلل منها وبنى مايتفرع عليها فهو الذى اخذ الماء من عين المأخذ وعض عليها بالنواجذ وغيره انما التقط مامن اقلامه سقط ومع هذا ينبغى ان لايعتقد ان اصحابنا مصيبون قطعا وان مخالفيهم يخطئون جزما فان المجتهد يخطئ ويصيب والحق عند الله واحد على ماذكر فى المصفى وشرح البزدوى ولايمكن المجتهد من اصابة الحق قطعا بل على غلبة الظن حتى اذا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا فى الفروع نجيب بان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب مخالفنا خطأ يحتمل الصواب على مافى جواهر الفقه وغيره وهذا لاينافى قولنا الاجمالى ان مذهب الاربعة حق لاتفاقهم على مأخذهم من الكتاب والسنة واما قول بعضهم يجب ان نجيب بماقدمنا فليس فى محله اذلم يظهر دليل وجوبه نعم ينبغى ان يقول كذا بناء على غلبة ظنه ثم فى الاصول نقول نحن على الحق ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم من اهل البدعة المنابذتهم ظواهر الكتاب والسنة (وكان يقوم كل الليل) بعد ان كان يحيى نصفه فاشار اليه انسان وهو يمشى فقال هذا هو الذى يحيى الليل كله فلم يزل بعده يقوم الليل كله وقال انا استحى من ان اوصف بعبادة ليست فى يعنى احترازا من دخوله فى قوله تعالى يحبون ان يحمدوا بمالم يفعلوا (وسمع هاتفا) اى فى المنام كما قاله ابن حجر او بين النوم واليقظة كالالهام (فى الكعبة) اى بعد ان ختم القرآن فى ركعتين (ان يا اباحنيفة اخلصت خدمتى واحسنت معرفتى فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة) ذكر فى آخر خزانة المفتين انه حكى ان اباحنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ نصف القرآن وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن فلما سلم بكى وناجى وقال الهى ماعبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك ولكن عرفك حق معرفتك فهبه نقصان عبادته لكمال معرفته فهتف هاتف من جانب البيت قد عرفت واخلصت المعرفة وخدمت واحسنت الخدمة فقد غفرنا لك ولمن تبعك وكان على مذهبك الى قيام الساعة انتهى ولايخفى ان الصلاة على قدم واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل ان تبين له هذه المسئلة او الكراهة مختصة بالفريضة فان امر النوافل مبنى على التوسعة وههنا اشكال آخر حيث قال الام عرفناك حق معرفتك والمشهور على السنة العوام وسائر الاعلام ماعرفناك حق معرفتك والجواب انه اراد حق المعرفة قدر ما اوجبه الله تعالى عليه بحسب الوسع والطاقة وانهم ارادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبر عنه بالاحاطة وقد قال تعالى * ولايحيطون به علما * وقال * وما اوتيتم من العلم الا قليلا * ولايحيطون بشئ من علمه الا بماشاء * واما العبادة حق العبادة المعبر عنه بالتقوى حق تقاته المعبر بان يطاع ولايعصى ويذكر فلاينسى فكل احد عاجز عن ذلك كما اخبر الله به عنه بقوله تعالى * كلا لما يقض ما امره * فالانسان

محل النسيان والمخلوق فى مقام النقصان والله المستعان وهو ضعيف لعموم قوله سبحانه فاسئلوا اهل الذكران كنتم لا تعلمون * وقوله عليه السلام اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم ولذا قيل من تبع عالما لقى الله سالما (وتلمذله كبار من المشايخ) مثل ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض وداود الطائى وابن المبارك والليث بن سعد والامام مالك على ماذكره ابن حجر ونحوهم لكن لا يخفى ان تلمذ مالك لابى حنيفة غير ظاهر نعم قد يكون كل منهما اخذ عن صاحبه والله اعلم بحقيقة منصبهما واما مشايخه فذكر الكردرى ان ابا حنيفة ادرك الامام محمد بن على بن حسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم ويسمى محمد الباقر لتبقره فى العلوم وتبحره وكذا ادرك ولده الامام جعفر الصادق وكذا زيد بن اسلم مولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا ربيعة الراى شيخ الامام مالك وكذا شعبة بن الحجاج الذى يقال له امير المؤمنين فى الحديث ومنهم الامام الاوزاعى امام اهل الشام وكان من جلالته ان مالكا والثورى احدهما يقود حماره والآخر يسوقه ومنهم عطاء ابن ابى رباح المكى كان جعد الشعر اسود افطس اشل اعور ثم عمى بعد ذلك قال ابو حنيفة مارأيت افقه من حماد ولا اجمع من عطاء ومنهم ابو بكر بن عاصم بن ابى النجود بفتح النون وضم الجيم الامام فى القراءة تابعى جليل القدر ومنهم عامر بن شرحبيل الشعبى قال ادركت خمسمائة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وكان يعجبه هذا البيت (شعر) ليست الاحلام فى حال النهى * انما الاحلام فى حال الغضب * قلت وهو مقتبس من قوله عليه السلام الصبر عند الصدمة الاولى وفى الجملة بلغ عدد مشايخ امامنا اربعة آلاف واما اصحابه فلا تعد ولا تحصى بلا خلاف وقد نظم بعضهم هذا المعنى بحسن المبنى (شعر)

غدا مذهب النعمان خير المذاهب * كما القمر الوضاح خير الكواكب * تفقه فى خير القرون مع التقى * فمشربه لاشك خير المشارب * ثلاثة آلاف والف شيوخه * واصحابه مثل النجوم الثواقب *

(وتحمل لتقلد القضاء) بان يكون قاضى قضاة جميع الدنيا وكذا لتولية مفاتيح خزائن بيت المال شرقا وغربا وعجما وعربا (ماتحمل) اى من الضرب والحبس والشتم ايثارا لعذاب الدنيا على عقاب العقبى من كمال التقوى وعن الامام احمد انه ذكر اباحنيفة فقال كان زاهدا ورعا وضرب على القضاء احدى وعشرين سوطا فابى وعن سهل بن مزاحم بذلت له الدنيا بحذافيرها وضرب عليها بالسياط فلم يقبلها من قليلها ولا كثيرها (وماخالط الظلمة) اى باختياره (وما قبل منهم شيئا) لكمال اقتداره فعن النضر بن محمد الرقى قال لقيته ببغداد وانا اريد الكوفة فقال قل لابنى حماد قوتى فى الشهر درهمان من سويق وقد حبسته عنى فعجله الى وكان فى ذلك اليوم حبسه المنصور للقضاء ببغداد وروى ان المنصور كان يريد ان يقرب الامام فيقول الامام لا لانك ان قربتنى افتنتنى وان ابعدتنى احزنتنى وليس عندك ما ارجوك له وليس عندى ما اخافك عليه وانا غنى عن اغنائك فلن اغشاك فمن يغشاك ومثله ذكر عن الامام محمد بن الحسن انه قال لعيسى بن موسى والى الكوفة وزاد فى آخره مما انشأ قائلا (شعر)

* كسرة خبز وقعب ماء * وفرد ثوب مع السلامة * خير من العيش فى نعيم * يكون من بعده ندامة *

ثم ماذكرنا من افعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هبيرة والى الكوفة مثله ايضا فى زمان المراونة كما رواه العسكرى وغيره عن يحيى بن اكثم عن ابى داود قال اراد ابن هبيرة ان يولى الامام قضاء الكوفة فابى فحلف ابن هبيرة ان لم يقبله يضرب به بالسياط على رأسه ويحبسه فحلف الامام على انه لا يلى منه فقيل له انه حلف على ان يضربك قال ضربه فى الدنيا اهون من معالجة مقامع الحديد فى العقبى والله لا افعل ولو قتلنى فقيل انه حلف لا يخليك وانه يريد بناء قصر فتول له عد اللبن فقال لو سألنى ان اعد له ابواب المسجد مافعلت فذكر للامير فقال ابلغ قدره ان يعارضنى فى اليمين فدعاه فشافهه وحلف ان لم يقبل يضرب على رأسه عشرين سوطا فقال اذكر مقامك بين يدى الله تعالى فانه اذل من مقامى هذا ولا تهددنى فانى اقول لا اله الا الله محمد رسول الله والله يسألك عنى حيث لا يقبل منك الجواب الا بالحق فاومأ الى الجلاد ان امسك وبات فى السجن واصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب وعن ابن المبارك ان الرجال فى الاسم سواء حتى يقعوا فى البلوى فقد ضرب ابو حنيفة على رأسه فى السجن حتى يدخل فى الحكم فصبر على الذل والضرب فى الحبس طلبا للسلامة فى دينه وعن ابى عبد الله بن حفص الكبير البخارى ان الفتنة لما ظهر بخراسان دعا ابن هبيرة العلماء كابن ابى ليلى وابن شبرمة وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا من عمله وعرض على ابى حنيفة ان يكون الخاتم فى يده لا ينفذ كتابا الا من تحت امره فابى فحلف الامير انه ان لم يله نضربه فى كل جمعة سبعة اسواط فقال الفقهاء لابى حنيفة انا اخوانك نناشدك على ان لا تهلك نفسك وكلنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال لو اراد منى ان اعد ابواب مسجد واسط لم اعد له فكيف وهو يريد منى ان يكتب فى دم رجل واختم له والله لا ادخل فى ذلك فقال ابن ابى ليلى دعوه فانه مصيب فحبسه الشرطى جمعتين وضربه اربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الامير فقال الا ناصح لهذا ان يستمهلنى فاستمهله وقال اشاور اخوانى فخلاه فهرب الى مكة فى سنة مائة وثلاثين الى ان صارت الخلافة للعباسية اقام بها فقدم الكوفة فى زمن المنصور فعظمه وامر له بجائزة عشرة آلاف الف درهم وجارية فلم يقبلها وروى انه كان يتمثل كثيرا

شعر

* اعطاء ذى العرش خير من عطائكم * وسيبه واسع يرجى وينتظر *
* انتم يكدر ما تعطون منكم * والله يعطى بلا من ولا كدر *

وروى انه لما ارسل اليه ابو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم على يد الحسن بن قحطبة ولم يمكنه ردها اوصى ابنه حمادا انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على دينه (وما اشتغل بالدعوة) اى بدعوة الناس الى مذهبه (الا بالاشارة النبوية فى المنام) اليه ليدعوهم الى مذهبه (بعدما قصدا لانزواء

اى الاستخفاء عن الانام وحكاية رؤيا الامام مشهورة بانه ينبش قبره عليه السلام
و يؤلف العظام الكرام بوضع بعضها فى موضع مناسب للمقام فعبر ابن سيرين
من اجلاء التابعين للمنام ان صاحبها رجل يحيى به الله سنن الاسلام مما ميتت فيما
بين الانام والاظهر ان يقال مما تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين العظام فجمعها
الامام ورتبها اصولا وفروعا يلتئم به الاحكام على وجه الاحكام (وما استظل بحائط
المديون حين اتاه متقاضيا) اى طالبا لقضاء دينه فعن يزيد بن هارون رأيته يوما بفناء
دار غريم له قد قام فى الشمس فانكرت فقال لى على ماله مال اخاف ان اجلس فى ظله
ومثله عن يحيى بن زائدة الا انه قال حلفته بالله العظيم عن مانع الاستظلال فقال
اخاف ان يكون قرضا جر منفعة قال وما اراه على الناس لكن على العالم ان يأخذ بعلمه
اكثر مما يدعو اليه والمعنى انه ينبغى له ان يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير اليه قوله
عليه السلام استفت قلبك وان افتاك المفتون وقد اغرب شمس الائمة حيث رد هذا فى كتاب
الصرف وقال انه من التكلف لا من التزهد انتهى وهذا جرأة عظيمة منه وجريمة
جسيمة عنه ومما يرد عليه ما ذكر فى صفات الصالحين ان امرأة سألت الامام احمد
ان شموع آل طاهر تعبر من محلنا ونغزل فى ضوئه ونحن على السطوح طاقة او طاقتين
فهل يحل لنا ثمن ذلك الغزل فقال الامام احمد من انت قالت اخت بشر الحافى قال
مازال هذا الورع الصافى يخرج من آل بشر فعلم بهذا ان دقائق الورع مما لا غاية لها
ولا نهاية فلا يقاس الملوك بالحد ادين (وتصدق بجميع مال اتى به وكيله لما خلط به ثمن
ثوب معيب مبيع مخفيا) كان حفص بن عبد الرحمن شريك الامام فبعثه الى تجارة
وقال له فى ثوب كذا عيب فباع بلا بيانه وجاء بربح فتصدق بحصته وفاسخه الشركة قال
المرغينانى وكان الربح خمسة وثلاثين الف درهم وعن ابن المبيح انه قال الامام ما ملكت
اكثر من اربعة آلاف درهم منذ اكثر من اربعين سنة الا اخرجتها وانما امسكتها لقوله
على رضى الله عنه اربعة آلاف درهم وما دونها نفقة ولولا انى اخاف ان الجئ الى هؤلاء
ما تركت واحدا منها (وترك لحم الغنم) اى اكله (لما فقدت شاة فى الكوفة) فعن ابن
المبارك وقعت اغنام من الغارة فى الكوفة فسأل عن مدة حياة الغنم فقيل سبع سنين
فما اكل اللحم سبع سنين وهذه المذكورات بعض مناقبه ونذرة يسيرة من جملة مراتبه
منضمة (الى مناقب) اى كثيرة (يعسر تعدادها) اى قصد استيفاء ايرادها
وقد لخصت مناقبه العلية ومناقب اصحابه الجلية وذيلته بطبقات اتباعه الحنفية
وسميته بالاثمار الجنية فى الاسماء الحنفية واختصرت على مناقب الامام هنا تبعا للمصنف
اختصارا وقد اوردت مناقب الامام فى شرح المشكوة استكثارا

﴿ الباب الاول فى الورد ﴾

اصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى * ولما ورد ماء مدين * والماء المرشح المعد المهيأ

للورود ومنه قوله سبحانه * بئس الورد المورود * ويسمى كل قول وفعل يأتيه الانسان فى وقت
معين على وجه مبين وردا وهو المراد هنا واما حديث صاحب الورد ملعون وتارك الورد
ملعون فباطل لا اصل له (ورد) اى فى قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)
اى ليعرفونى فيعبدونى او ليعبدونى فيعرفونى كما هو شأن المراد والمريد فى مسالك المناسك
المعبر عنهما بالمجذوب والسالك (وهى) اى العبادة المأخوذة من يعبدون (انواع)
اى اصناف ستة (منها الصلاة) وهى افضلها واكملها واشملها واجلها (فورد
ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد) اى الايمان بالله ورسوله (احب اليه من الصلاة)
كذا فى الاحياء مع زيادة ولو كان شئ احب اليه منها لتعبد به الملائكة فمنهم راكع
ومنهم ساجد وقائم وقاعد وقال العراقى لم اجده هكذا وآخر الحديث عند الطبرانى
من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر (من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر)
البزار من حديث ابى الدرداء باسناد فيه مقال ذكر العراقى فى رواية الطبرانى
عن ابن عباس من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان وفى الاوسط عن انس
من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر جهارا (اى قارب الكفر) لان المعاصى بريده (يقال
دخل البلدة لمن قاربها) فالمراد به المعنى المجازى المعبر عنه بالمشارد خلافا للخوارج
ومن تبعهم فى حمله على الكفر الحقيقى او معناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه او عمل
عمل الكفرة او كفر فى عاقبة امره او محمول على مستحل تاركه او منكر فرضيته وفى رواية
احمد والبيهقى من حديث ام ايمن ورجال اسناده ثقات من ترك الصلوة متعمدا فقد
برئ من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وفى رواية الطبرانى فى الاسط من حديث انس
اول ما يحاسب به العبد الصلاة فان فسدت فسد سائر عمله والاحاديث فى هذا الباب
كثيرة شهيرة وناهيك فى شرفها قوله تعالى * ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر *
(وحقها) اى حق الصلوة اللائق بها (ان يطهر الظاهر) اى ظاهره (عن الحدث)
اى النجس الحكمى من الاصغر والاكبر بدنا (والنجس) اى الحقيقى المسمى بالخبث بدنا
وثوبا والنجس بالفتح عين النجاسة وبالكسر المتنجس (والجوارح عن الجريمة) اى
واعضاءه عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة (والقلب عن الذميمة) اى الاخلاق
الباطنة الدنية والاحوال الواردة الردية (والسر) اى الذى لا يطلع عليه الا الله (عما
سواه تعالى) اى يطهره عن حضور غير الله وخطوره لاستهلاك غيره فى جنب تجلى نوره
والغاية القصوى فى عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة
فى السر ما لم يرحل ما سوى الله تعالى عنه ولذا قال عز وجل * قل الله ثم ذرهم فى خوضهم
يلعبون * لانهما لا يجتمعان فى قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه
واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته بالعقائد السنية وبالشمائل البهية
الرضية ولم يتصف بها ما لم يتنظف عن نقايضها من العقائد الفاسدة والاخلاق

الكاسدة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذا تطهير الجوارح عن المناهى والملاهى احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى وخلاصته ان التخلية نصف الايمان والتحلية نصف الايقان وبهما كمال العرفان فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة من طبقات الاتقان ولن ينال العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذمومة وعمارته بالخلق المحمودة ولن يصل الى ذلك مالم يفرغ عن طهارة الظواهر عن المناهى وعمارتها بالطاعات كما هى وكلما عز المطلوب وشرف المحبوب صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمنى او ينال بالهوينا قال تعالى * ليس باماينكم ولااماني اهل الكتاب * الآية (هذا) اى المذكور من الطهارة فى كل رتبة (نصف) اى نصف حق عمل الصلوة (والآخر) اى النصف الثانى (هو العمارة بالطاعة ظاهرا وباطنا) اى عمارة الجوارح والجوانح بالعبادة المختلفة من القيام والقراءة والركوع والسجود والقعود وسائر الاحوال المؤتلفة (فورد الطهور) بفتح الطاء وضمها بمعنى المصدر او ما يطهر به (نصف الايمان) احمد ومسلم والترمذى عن ابى مالك الاشعرى فى حديث طويل والمعنى ان الايمان يطهر نجاسة الباطن والطهور يطهر نجاسة الظاهر كذا فى النهاية وقيل المراد بالايمان الصلوة كما قال تعالى * وما كان الله ليضيع ايمانكم * اى صلاتكم الى بيت المقدس فيراد بنصفها شطرها و بعضها فانه اقوى شرطها (والاصل) اى فى التطهير الذى عليه مدار العمل (طهارة الباطن) لانه محل النظر الالهى حيث ورد ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم (فهم) اى الصحابة (كانوا يبالغون فيها) اى فى طهارة الباطن (ويتساهلون فى الظاهر) اى يتسامحون فى طهارة الظاهر (حتى كانوا) اى احيانا (يمشون حفاة) اى بلا نعل (فى الطين) اى طين الازقة ويجلسون عليها (ويصلون معه) اى من غير غسله ويأكلون من دقيق البر وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون عن عرق الابل والخيل والحمير مع كثرة تمرغها فى النجاسات وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يمعن احدهم فى طهارة الظاهر ويستقصى فى مجاريها ويستوعب جميع اوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الاولين واستغراقهم جمع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى امر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان ونحوه من الغسول

والصابون من البدع المحدثة وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء (وصلى عليه السلام متنعلا) اى لابسا نعله اى مرة (فاخبر) اى اخبره جبريل عليه السلام (بتلطخ) اى باصابة نجاسة (فنزع) اى نعله بعمل قليل (واتم) اى صلاته من غير استئناف ولا اعادة والحديث رواه ابوداود والحاكم وصححه من حديث ابى سعيد الخدرى وقد قال بعضهم الصلاة فى النعلين افضل لانه لما نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه باخبار جبريل عليه السلام له ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا نعالنا وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء فاخذها منكرا لخلع النعال واما اهل زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر اومشى على الارض حافيا اوصلى على الارض اوعلى بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة اومشى على الفرش من غير غلاف القدم من ادم ونحوه اوتوضأ من آنية عجوز اورجل غير متقشف اقاموا عليه النكير ولقبوه بالقذير واستنكفوا عن مؤاكلته واستكرهوا عن مخالطته فسموا البذاذة التى هى من الايمان قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس تحقيقه وعلمه ولم يبق الا اسمه ورسمه (ولكن للظاهر) اى لطهارته ايضا (اثر فى تنوير الباطن) للارتباط الذى بينهما ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن حتى ان المجامع فى حال مباشرته لو ادمن النظر الى بياض مشرف او حمرة قانية الى ان غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود الى ذلك اللون الذى غلب عليه وان الجنين اذا تحرك فى البطن وكانت الام مشاهدة فى تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها فى عالم الخيال من باطنها نزعت صورة ذلك الجنين الى تلك الصورة الحسنة التى شاهدتها امه فعلم من هاتين الصورتين ان للظاهر اثرا فى عالم الباطن (كما يصادف) اى يوجد اثره (عند اسباغ الوضوء) بفتح الواو وضمها اى اكماله واسباغه (وسائر الاعمال الظاهرة) اى حيث تتأثر بها الاحوال الباطنة (لارتباط الملك) اى عالم الظاهر السفلى (بالملكوت) وهو عالم الباطن العلوى كما اذا كان شخص يرشح كل يوم بالماء جانب جداره البرانى فلا شك ان اثر ذلك الترشح يظهر فى الجدار من جانب الطرف الداخلانى وقد ورد مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار عذب على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدنس احمد ومسلم عن جابر وفى الاحياء ان الانسان اذا اسبغ الوضوء واستشعر نظافة ظاهره وجد فى قلبه صفاء وانشراحا لم يكن يصادفه قبله وذلك النظافة العلاقة التى بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر الانسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم الملكوت والغيب فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء

الذى وصفناه فاعلم ان الجدار الذى استولى على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس باللطائف والاشياء الخفية ولم يبق فى قوته الادراك الامور الجلية فاشتغل بجلاء قلبك وتصفية باطنك فان ذلك اوجب عليك من كل شئ انت فيه (ومن ثمة) اى ومن اجل ارتباط الملك بالملكوت (تصدق رؤيا من اعتاد الصدق) اى وتكذب رؤيا من اعتاد الكذب كما قيل كل اناء يترشح بما فيه (فتداوم تفريع على قوله لكن للظاهر اثر فى تنوير الباطن والمعنى اذا كان كذلك فواظب (على الوضوء) فقد ورد دم على الطهارة يوسع عليك الرزق بل ينبغى ان يجدد الطهارة لكل صلوة كما كان يفعله عليه السلام نظرا الى ظاهر الآية وانما صلى عليه السلام عام الفتح خمس صلوات بوضوء واحد فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعت يا عمر يعنى ليعرف انه ليس بفرض فتقدير الآية اذا قمتم الى الصلاة وانتم محدثون لان الاصل فى الامر ان يكون للوجوب والحديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات ابو داود والترمذى وابن ماجه من حديث عمر باسناد ضعيف والضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا مع ان كثرة الطرق ترقى الضعيف حسنا وفاقا واما حديث الوضوء على الوضوء نور على نور فقال العراقى لم اجد له اصلا وتعقبه العسقلانى بقوله رواه رزين فى مسنده وهو حديث ضعيف وينبغى ان يستنجى لمقعدته بثلاثة احجار فان انقى بها كفى والا استعمل رابعة فان انقى بها والا استعمل خامسة لان الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث ابى هريرة فيأخذ الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة وكذا يمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة فيديرها حول المسربة ادارة ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا فى ثلاثة مواضع اوفى ثلاثة احجار اوفى ثلاثة مواضع من جدار جاز له ذلك الى ان لا يرى الرطوبة فى محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجى بالماء بان يفيضه على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى له اثر يدركه الكف بحس المس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطل فان ذلك منبع للوسواس لاكثر الناس ويقول عند دخوله فى المطهر بسم الله اللهم انى اعوذبك من الخبث والخبائث واذا فرغ عنه غفرانك الحمد لله الذى اذهب عنى ما يؤذينى وابقى على ما ينفعنى واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روى انه لما نزل قوله تعالى * فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ما هذه الطهارة التى اثنى الله بها عليكم فقالوا كنا نجمع بين الماء والحجر كذا فى الاحياء وقال العراقى الحديث فى اهل قباء وجمعهم بين الماء والحجر والبزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه

ابن ماجه والحاكم وصححه من حديث ابى ايوب وجابر وانس فى الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر فقول النووى تبعا لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر فى اهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم والله اعلم (ويتوضأ بعد) نحو (الغيبة) وهى بكسر الغين ان تذكر اخاك بما يكرهه فى الغيبة وقد ورد الغيبة تنقض الوضوء والصلوة رواه الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر وفى معناها الكذب والنميمة وسائر الاقوال الذميمة بل قال بعض المشايخ اذا ذكرت الدنيا توضأ واذا ذكرت الآخرة اغتسل يعنى ان الدنيا هى الشهوة الصغرى والعقبى هى الكبرى وكل منهما مانع عن كمال التوجه الى حضرة المولى وفى شرح المنية والمستحب ان يتوضأ لكل صلوة وان كان على طهارة لانه ربما جرى على لسانه كذب اوغيبة اوسيئة بها يأثم قلبه فينبغى ان يجدد الوضوء لدفع ذلك كما يتوضأ لدفع الحدث الظاهر فان كان لا يمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوى بتيممه رفع الاثم وفى العوارف تجديد الوضوء مستحب بشرط ان يصلى بالوضوء ما تيسر والا فمكروه (والقهقهة وان لم تكن فى الصلوة) اى فانها اذا كانت فى الصلوة تنقض الوضوء عندنا (ولكل صلوة قبل الوقت) عملا بقوله تعالى * وسارعوا الى مغفرة من ربكم * الآية فى شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول او الغائط ان يتيمم الى ان يبلغ الماء فيتوضأ هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الاحياء فى بيان طول الامل وقصره انه عليه السلام كان يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضى ساعة وقال لعلى لا ابلغه وحكى عن ذى النون المصرى انه كان على شط النيل يتيمم ويقول اخاف ان يدركنى الموت قبل ان توضأ كما فى شرح السنة (وعلاء الاناء للآتية) اى استعدادا للصلاة الآتية ويكره ان يستخلصها لنفسه كذا فى السراجية (ويطيل الغرة والتحجيل) اى عند غسل وجهه ويديه ومرفقيه والغرة بياض الجبهة والحجل بياض قوائم الفرس ونحوه وقد ورد ان هذه الامة يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء وقال عليه السلام من استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل متفق عليه من حديث ابى هريرة وروى يبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء اخرجه مسلم من حديثه (ويستقبل القبلة) اى حين الوضوء فورد اشرف المجالس ما استقبل به القبلة الطبرانى عن ابن عباس (ولا يستعين بغيره) اى مهما امكن فانه افضل اذ الاجر على قدر المشقة (ولا يتكلم بكلام الدنيا والبشر) اى فى اثناء الوضوء وفى فتاوى الحجة التكلم فى اثناء الوضوء مكروه وفى الاغتسال اشد كراهة وفى العوارف ادب الصوفية فى الوضوء حضور القلب فى غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين يقول اذا حضر القلب فى الوضوء يحضر فى الصلاة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة فى الصلوة وينوى رفع الحدث او استباحة الصلوة او القربة الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله فقد ورد لا وضوء لمن لم يسم الله الترمذى وابن ماجه من حديث سعيد بن زيد احد العشرة والتسمية فى اول

الوضوء سنة عند الجمهور وواجب عند احمد بهذا الحديث ويستحب ان يقدم على البسملة التعوذ ويقول اعوذبك من همزات الشياطين واعوذبك رب ان يحضرون بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام ويغسل يديه ثلاثا قبل ان يدخلهما الاناء لقوله عليه السلام اذا استيقظ احدكم من منامه فلا يغمسن يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاثا فان احدكم لايدرى اين باتت يده مالك والشافعى واحمد والشيخان والاربعة عن ابى هريرة و يقول عند غسل يده اللهم انى اسألك اليمن والبركة واعوذبك من الشوأم والهلكة ثم يتمضمض ثلاثا و يبالغ فيه الا ان يكون صائما كما ورد به الخبر ويقول اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وتلاوة كتابك ويستنشق ثلاثا ويقول اللهم ارحنى رائحة الجنة مع الابرار واعذنى بك من روائح اهل النار ويستنثر ثلاثا فورد اذا استيقظ احدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه الشيخان عن ابى هريرة ويغسل وجهه ثلاثا و يقول اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولاتسود وجهى يوم تسود وجوه اعدائك (ويفتح العين) اى عند غسل الوجه هو غير معروف بل قيل انه فيه خطر العمى فهو حرج مدفوع عنه نعم يدخل الاصبع فى محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما فقد روى انه عليه السلام فعل ذلك اخرج احمد من حديث ابى امامة كان يتعاهد الماقين وروى الدار قطنى من حديث ابى هريرة باسناد ضعيف اشربوا الماء اعينكم اى حواليها لما تقدم والله اعلم ويغسل اللحية اللطيفة والكثيفة ويخللها فقد ورد خللوا الحاكم وقصوا اظفاركم فان الشيطان يجرى بين اللحم والظفر الخطيب فى الجامع وابن عساكر عن جابر ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة اعنى ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا بل يفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية وقد ورد كان عليه السلام اذا توضأ خلل لحيته بالماء رواه احمد والحاكم عن عائشة وفى رواية ابى داود والحاكم عن انس كان اذا توضأ اخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه فخلل به لحيته وقال هكذا امرنى ربى وفى رواية ابن ماجه عن ابن عمر كان اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها والعرك المعالجة والدلك ثم يغسل يديه مع مرفقيه ثلاثا ثلاثا فورد انه عليه السلام اذا توضأ ادار الماء على مرفقيه الدار قطنى عن جابر وفى رواية ابن ماجه عن ابى رافع كان اذا توضأ حرك خاتمه ويبدأ باليمنى ويقول اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند اليسرى اللهم اعوذبك ان تعطينى كتابى بشمالى اومن وراء ظهرى ثم يستوعب رأسه بالمسح ويقول اللهم غشنى برحمتك وانزل على من بركاتك واظلنى تحت عرشك يوم لاظل الاظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما وباطنهما ويقول اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعنى منادى

الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عليه السلام مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف و يقول اللهم فك رقبتى من النار واعوذبك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا و يقول اللهم ثبت قدمى على الصراط يوم تزل فيه الاقدام و يقول عند غسل اليسرى اللهم اعوذبك ان تزل قدمى على الصراط يوم تزل اقدام المنافقين فى النار و يخلل باليد اليسرى من اصابع الرجل اليمنى و يبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى و يختم بالخنصر من الرجل اليسرى فقد ورد خلل اصابع يديك ورجليك احمد عن ابن عباس وفى رواية الدار قطنى عن ابى هريرة خللوا بين اصابعكم لايخللها الله يوم القيمة بالنار وفى رواية الطبرانى عن واثلة من لم يخلل اصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيمة (ويسمى فى كل عضو) وقيل ويسلم ايضا على النبى صلى الله عليه وسلم (ويتشهد فيه) اى فى كل عضو ففى المحيط من الادب ان يقول عند كل عضو اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله (وبعد الفراغ) اى ويتشهد بعد فراغ الوضوء ايضا فقد ورد من توضأ فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم و بحمدك لا اله الا انت عملت سوء او ظلمت نفسى استغفرك واتوب اليك فاغفرلى وتب على انك انت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى من عبادك الصالحين واجعلنى عبدا صبورا شكورا واجعلنى اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله و يقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيمة كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث من توضأ باحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء ابو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون قوله ثم رفع (و يشرب بقية الماء) اى فضل الوضوء كله او بعضه (قائما مستقبلا) لما ورد فى اثر على موقوفا ومرفوعا فعن شمس الائمة الحلوانى وان شاء قائما وان شاء قاعدا وذكر شيخ الاسلام المعروف بخواهر زاده انه يشرب ذلك قائما ولا يشرب قائما الا فى موضعين احدهما هذا والثانى عند زمزم والله اعلم (و يسرح اللحية بعده) اى بعد فراغ الوضوء الترمذى فى الشمائل من حديث انس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفى الشمائل ايضا باسناد حسن انه عليه السلام كان يترجل غبا وعند ابى داود والترمذى والنسائى من حديث عبد الله بن مغفل النهى عن الترجل الا غبا باسناد صحيح وفى الخبر المشهور انه عليه السلام كان لايفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر وهى سنة العرب كذا فى الاحياء والمدرى

القرن يقال له ادرى رأسه حكه قال العراقى حديث كان لايفارق المشط والمدرى فى سفر ولاحضر ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث ابى سعيد كان لايفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف قال الحجة وفى حديث غريب انه كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وقال العراقى تقدم حديث انس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحاكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط وكان عليه السلام كث اللحية قدملأت مابين منكبيه وكذلك كان ابوبكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قدملأت مابين منكبيه ذكره فى الاحياء وقال العراقى حديث كان كث اللحية الترمذى فى الشمائل من حديث هند بن ابى هالة وابو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على واصله عند الترمذى قال وفى حديث اغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها اجتمع قوم الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته يتطلع فى الجب يسوى من رأسه ولحيته قلت اوتفعل ذلك يارسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده ان يتجمل لاخوانه اذاخرج اليهم قال العراقى ابن عدى وقال حديث منكر هذا وقيل لداود الطائى لم لاتسرح لحيتك قال انى اذالفارغ وفى قوت القلوب قال السرى فى اللحية شرك ان كان تسريحها لاجل الناس وتركها لاجل اظهار الزهد رياء وقال لودخل على داخل فسحت لحيتى لاجله لظننت انى مشرك وتحقيقه ماقال الحجة ان الجاهل ربما يظن ان فعله عليه السلام ذلك من حب التزين للانام قياسا على اخلاق غيره فى الدين وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقدكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى فى تعظيم امر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم وفى تحسين صورته فى اعينهم كيلا تستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصدواجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق الى الحق وهو ان يراعى من ظاهره مالايوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل هذه الامور على النية فانها فى انفسها اعمال تكتسب الاوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث باللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بماهواهم منه محبوب ومشكور وهذه احوال باطنة بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غيررايج دليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره ويزعم ان قصده الخير فيرى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى رب العالمين وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعث من فى القبور ويحصل مافى الصدور * فعند ذلك تميز السبيكة الخالصة من البهرج فنعوذبالله من الخزى يوم الفزع الاكبر (ويجتنب اناء يتأذى

من ريحه الملائكة كالصفر) ومثله النحاس تبع الاحياء لكن ورد انه عليه السلام كان يعجبه ان يتوضأ من مخضب من صفر ابن سعد عن زينب بنت جحش لكن يؤيد مافى شرح السنة من الادب ان يتوضأ من اناء الخزف ولايتوضأ من النحاس والصفر لان الوضوء به منهى عنه وفيه ايضا روى عن ابن عمر انه كره الوضوء فى اناء صفر وفى الشرعة لايتوضأ من اناء نحاس وصفر قالوا الملائكة تنفرون من ريحهما (والماء المشمس) اى ويجتنبه لانه يورث البرص اذاكان فى اناء نحو الصفر فى بلاد حارة وهذا فى الاوانى دون الحياض وفى الاحياء ويكره ان يتوضأ فى اناء صفر وان يتوضأ بالمشمس وذلك من جهة الطب وروى عن ابن عمر وابى هريرة كراهية الاناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء فى اناء صفر فابى ان يتوضأ منه ولعل كراهية ذلك عن ابن عمر انتهى وفى الشرعة لايتوضأ بالماء المسخن بالشمس وفى درر البحور ولايكره الوضوء بالماء المسخن بالنجاسات وبه قال ابوحنيفة خلافا لمالك واحمد ولابماء زمزم وبه قال ابوحنيفة ومالك خلافا لاحمد ولابأس بالمشمس فى البرك والبحار والانهار وفاقا (والاسراف فى الماء) قال تعالى * ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين * وتوضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم واساء ابو داود والنسائى واللفظ له وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن جده وقال عليه السلام سيكون قوم من هذه الامة يعتدون فى الدعاء والطهور ابوداود وابن حبان والحاكم من حديث عبدالله ابن مغفل (والضرب به). اى ويجتنب لطم وجهه بالماء (ونشفه على وجه) اى قول (فهو يوزن) اى فى ميزان العمل (دون وجه) اى قول آخر (فهومروى) ففى الاحياء كره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهرى لكن روى معاذ انه عليه السلام مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة انه كانت له منشفة ولكن طعن فى هذه الرواية عن عائشة قال العراقى حديث معاذ الترمذى وقال غريب واسناده ضعيف وحديث عائشة الترمذى وقال ليس بالقائم قال ولايصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب شئ (ونفض اليد) اى ويجتنبه ففى الاحياء ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء (ويواظب على السواك) اى استعماله اوعلى الاستياك (من الاراك) اى خصوصا فهوالافضل الوارد والافيجوز من كل شجرة مرة لانه اطيب لنكهة الفم وازال للبلغم وانقى للصدر واقوى للمعدة واهضم للطعام وليكن رطبا مستويا قليل العقد طول الشبر وغلظ الخنصر ولايقوم الاصبع مقام الخشبة عندوجودها (طولاوعرضا) وان اقتصر فعرضا (فى كل صلوة) حتى عندبعض ائمتنا ايضا (ووضوء) اى فى كل وضوء اتفاقا ومحله ابتداء الوضوء كما فى الاحياء اوحال المضمضة لانه من تكميلها وقدقال عليه السلام صلوة على اثر سواك افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك ابونعيم فى كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد

ضعيف ورواه احمد والحاكم وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة بلفظ مرسعين صلوة وقال لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة متفق عليه من حديث ابي هريرة وفي رواية لامرتهم بالسواك مع كل وضوء مالك والشافعي والبيهقي عن ابي هريرة وفي رواية احمد والنسائي عن ابي هريرة لامرتهم عند كل صلوة بوضوء ومع كل وضوء بسواك وفي رواية الحاكم عن العباس لفرضت عليهم السواك عند كل صلوة كما فرضت عليهم الوضوء وفي رواية الحاكم والبيهقي عن ابي هريرة لفرضت عليهم السواك مع الوضوء وفي رواية ابي يعلى عن مكحول مرسلا لامرتهم بالسواك والطيب عند كل صلوة وفي رواية ابي نعيم عن ابن عمر لامرتهم ان يستاكوا بالاسحار (وعند قراءة القرآن) فقد ورد ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك ابونعيم في الحلية من حديث علي ورواه ابن ماجة موقوفا على علي وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا واسناده جيد (وتغير الفم بنحو الجوع والنوم) ونحوهما من طول الصمت اواكل مايكره رائحته فورد مالي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا والقلح محركة صفر الاسنان البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب واحمد والبغوي من حديث تمام بن العباس والبيهقي من حديث ابن عباس وهو مضطرب وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على ان السواك مستقل غير متعلق بالوضوء والصلوة وعن ابن عباس انه قال لم نزل صلى الله عليه وسلم أمرنا بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء رواه احمد وقال عليه السلام عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا وقال علي السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يدورون والسواك على آذانهم الخطيب في كتاب اسماء من روى عن مالك وعن ابي داود والترمذي وصححه ان زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على اذنه موضع القلم من اذن الكاتب وفي شرح السنة اما كيفية الاستياك فينبغي ان يبدأ بالجانب الايمن من الاعلى والاسفل ثم بالايسر كذلك ثم في مابين ذلك ويستاك بالوتر لان الله وتر يحب الوتر وفي الخلاصة كيفيته ان يعالج المسواك بعرضه للاسنان الظاهرة وبطوله لغيرها ويبدء للعليا من جانب الايمن وللسفلى من جانبها ثم للعليا من جانب الايسر ثم للسفلى من جانبها وفي شرح السنة واما النهي فيه فينبغي ان لايستاك قائما ولا بين القوم ولا في الحمام ويكره عند الشافعية بالعشي للصائم وتحقيقه في غير هذا المقام وفي الخانية عن ابن المبارك لو انكر اهل بلدة السواك لقاتلهم كما يقاتل المرتدين (ويحافظ الجماعة) عطف على يداوم على الوضوء اي ويراعي صلوة الجماعة فورد صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (في اقرب المساجد الا ان يكون في الابعد

نية) اي صالحة للعدول عن الاقرب كحضور عالم وشيخ واعظ وكونه اقدم المساجد او عمر بالمال الحلال ونحوه من الاحوال ففي الكبرى مسجدان يصلي الرجل في اقدمهما بناء لان له زيادة حرمة فان كانا سواء ففي اقربهما وان استويا فهو مخير لانه لاترجيح لاحدهما وان كان قوم احدهما اكثر فان كان هو فقيها يذهب الى الذي قومه اقل ليكثر الناس بذهابه الى ذلك المسجد وان لم يكن يذهب حيث احب رجل في محلته مسجد يحضر المسجد الجامع لكثرة جماعته فالصلوة في مسجده افضل قل اهل مسجده او كثر لان لمسجده حقا عليه وليس لذلك المسجد حق عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجمع وفي الخانية اذا كان امام الحي مرائيا يأكل الربوا له ان يتحول الى مسجد آخر (ساعيا اليه) اي حال كونه ماشيا الى المسجد مطلقا لقوله تعالى * فاسعوا الى ذكر الله (بنية اجابة النداء) اي نداء الداعي الى عبادة رب السماء قال تعالى * ومن احسن قولا ممن دعا الى الله * الآية فقد قال ابن عباس من سمع النداء ثم لم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملأ اذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من ان يسمع النداء ثم لايجيبه (خاشعا) متواضعا متذللا في طريقه (غير متخطي رقبة) اي عند دخوله (ولا مار بين يدي مصل) فقد ورد لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان ان يقف اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه مالك واصحاب الكتب الستة عن ابي جهيم وفي رواية ابن ابي شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن مرسلا او يعلم المار بين يدي المصلي لاحب ان ينكسر فخذه ولا يمر بين يديه والمختار ان المرور حرام اذا وقع بين المصلي ومسجده سواء كان له سترة اولا ويحمل عليه ماروى الطحاوي من ان المرور بين يدي المصلي بحضرة الكعبة يجوز او يحمل على انه في وقت غير قيام الفرض واعتدال صفه بان يصلي في طريق الطائفين فانه لاحرمة له حينئذ واما اذا كان بينهما فرجة فلابأس لماروى ابوداود والنسائي وابن ماجة عن المطلب بن ابي وداعة قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في المسجد الحرام مما يلي باب بني سهم والناس يطوفون بينه وبين القبلة مما بين يديه ليس بينه وبينهما سترة (ولا يتكلم فيه بكلام الدنيا) فروي في الاثر اوفي الخبر الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش كذا في الاحياء وقال العراقي لم اقف له على اصل قلت ومعناه صحيح اذ قد ورد * يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم حاجة ابن حبان من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث انس وقال صحيح الاسناد (ويؤدي في الصف الاول) فانه الافضل (بازاء الامام) اي بحذائه فهو الافضل لاخذه الحظ من الجانبين (اوعن يمينه) وقد يكون يساره افضل اذا كان الناس هناك اقل (ويتم الاركان) اي حد الامكان (ويراعي السنن) اي الرواتب اوسنن الصلوات (والآداب) اي المستحبات في جميع

الابواب (فورد فى الكل) اى فى كل ماذكر (فضائل) اى فى الصف الاول لقوله عليه السلام اوتعلمون مافى الصف الاول ماكانت الاقرعة مسلم وابن ماجة عن ابى هريرة واما فى اتمام الاركان فقوله اتموا الركوع والسجود فوالذى نفسى بيده انى لاراكم من وراء ظهرى اذا ركعتم واذا سجدتم احمد والشيخان عن انس واما فى السنن فقوله من صلى فى اليوم والليلة اثنى عشرة ركعة تطوعا بنى الله له بيتا فى الجنة مسلم وغيره عن ام حبيبة وتفصيله ماورد فى حديث آخر ركعتان قبل الفجر وبعد الظهر والمغرب والعشاء واربع قبل الظهر (ولايدافع الامامة) فانه من امارة القيامة فقد ورد عن سلامة بنت الحر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان تتدافع اهل المسجد لا يجدون اماما يصلى بهم احمد وابوداود وابن ماجة وروى عبد الرزاق فى مسنده حديثا بلفظ تنازع ثلاثة فى الامامة فخسف بهم ومحله اذا علم من نفسه القيام بشروطها والقوم لايكرهونه وليس وراءه احد هو افضل منه (وكان مدافعتهم) اى ممانعة بعض الصحابة من ذوى التقوى (لايثار الاولى) اى بذلك المقام الاعلى (اوخوف السهو) اى فى المبنى (اوالتشويش) اى تشويش الخاطر فى حضور المعنى واحتياجه الى اخلاصه فى تطويل الصلوة وتحسينها لاسيما اذا لم يكن له عادة الامامة وكان مستحييا فى تلك الاقامة (وهى) اى الامامة (افضل من الاذان فهو عليه السلام وخلفاؤه) اى اصحابه الكرام (اختاروها) اى من بين الانام (وماورد) اى كما رواه البخارى فى التاريخ العقيلى فى الضعفاء والطبرانى فى الاوسط عن ابن عباس باسناد ضعيف انه عليه السلام قال له رجل يارسول الله دلنى على عمل ادخل به الجنة فقال (كن مؤذنا فان لم تستطع فكن اماما) وفى رواية فقال لا استطيع فقال كن اماما فقال لااستطيع فقال صل بازاء الامام فلعله (محمول على ان القوم كانوا لايرضون امامته) اذ الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم لها ثم بعد ذلك توهم انه ربما يقدر عليها (فورد فيه ان لاتجاوز الصلوة الرأس) اصل الحديث هذا من ام قوما وهم له كارهون فان صلاته لاتجاوز ترقوته اى حلقه ورأسه رواه الطبرانى عن جنادة وفى رواية العقيلى عن ابن عمر من ام قوما وفيهم من هو اقرأ منه لكتاب الله واعلم لم يزل فى سفال الى يوم القيامة (ويراعى الاعمال الباطنة) فانها اهم ونفعها اتم (وهى ستة (الحضور) اى مع الرب (وهو استغراق القلب بما هو فيه) اى بالركن الذى شرع فيه (والافراغ) اى تفريغ القلب وتخليصه (عن غيره) اى غير ماهو بصدده مما يوافقه او ينافيه (وهو) اى الافراغ انما يكون (بصرف الهمة) اى الاهتمام (اليه) اى الى ذلك الركن الواجب عليه (فهى) اى الهمة (تستتبع القلب) فى صرفه الى ذكر الرب (وهو) اى صرف الهمة (يذكر منافعها) اى فوائد الصلوة ومرافقها (كقربه تعالى ورضاه) اى بالمقام الاعلى (والمكاشفة) اى القريبة بالمشاهدة التى هى

المرتبة الاجلى (عاجلا) اى فى الدنيا (والفوز بالسعادة الابدية) اى والسيادة السرمدية (والنظر الى وجهه الكريم) الذى هو اعلى مراتب النعيم (آجلا) اى فى العقبى (وخساسة الدنيا ومهماتها) اى وبذكر كثافتها وانقلاباتها فانها كثيرة العناء قليلة الغناء دنية الشركاء سريعة الفناء عديمة البقاء (والفهم) اى الادراك لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ والمعنى فاشتمال القلب على العلم ببعض اللفظ هو الذى اريد بالتفهم وهذا معنى قوله (وهو اشتماله) اى القلب (على المعنى وهو) اى اشتماله (بتوجيه الذهن الى الذكر) من الثناء والحمد والقراءة والتسبيح والدعاء ونحوها (ومداومة الفكر) اى فى لفظ الذكر ومبناه ليفهم معناه (ودفع الخواطر) اى المانعة عن فهم مقتضاه وهذا مقام يتفاوت الناس فى ادناه واقصاه فكم من معان لطيفة ومعارف شريفة يفهمها المصلى فى اثناء صلاته وذكره ولم يكن خطر ذلك قبله بباله وفكره ومن هذا الوجه كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء وماحية عن المنكر فان تفهم تلك الامور تمنع من الفحشاء لامحالة فقد ورد من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الابعدا الطبرانى وابن ابى حاتم فى تفسيره من حديث عمران بن الحصين وابن جرير فى تفسيره من حديث ابن مسعود ومن مرسل الحسن واحمد فى الزهد عن ابن مسعود مرفوعا (والتعظيم) اى عرفان المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة على المحبة (وهو بذكر عظمته تعالى) مع رفعة الجلالة (وحقارة النفس) اى مع رداءتها وكمالها فى الرذالة والسفالة والجهالة وهو امر وراء الحضور والفهم اذ الرجل يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فى مبناه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم امر زائد عليهما (والهيبة وهى خوف ينشأ عن التعظيم) كما روى انه عليه السلام من رآه فجاءة هابه ومن خالطه احبه (وهو) اى الخوف المسمى بالهيبة (بذكر نفاذ قدرته تعالى) وفق مشيئته وحكمته (وقهره مع عدم المبالاة) بجميع من فى يد قبضته كما ورد خلقت هؤلاء الجنة ولاابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وتحقيقه ان من لايخاف لايسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد ومايجرى مجراه من الاسباب الحسية لايسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم تسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره الاجلال (والرجاء) اى الامل (وهو) الوثوق (بذكر عموم رحمته) اى شمول رفقه ورأفته (وسبقها غضبه) كما ورد سبقت رحمتى غضبى وفى لفظ غلبت (وصدق مواعيده) اى عدم تخلف اخباره لعباده من وعده ووعيده لقوله سبحانه * ان الله لايخلف الميعاد * ولا شك انه امر زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لايرجو مبرته والعبد ينبغى ان يكون راجيا بصلاته ثواب الله كما انه يخاف بتقصيره عقاب الله ومنه قوله تعالى * يدعوننا رغبا ورهبا * وادعوه خوفا وطمعا *

(والحياء) وهو انكسار النفس من الخجلة وظهور التقصير وعند بعض الصوفية استتار من مشاهدة شدة التنوير (وهو بذكر العجز والتقصير عن شكره تعالى) فان العجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق ومنه قوله عليه السلام *سبحانك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك* وهو زائد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب و بقصور التعظيم والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغير اوكبير (فان تعسر المراعاة) بان لم تتيسر مراعاة الاعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور الحقايق (يجتهد فى قطع العلايق) اى لتعلقات ودفع العوايق المشغلات المتعلقة بالخلايق ليخلص له حضور القلب مع الخالق (فظاهرا) بتسعة اشياء (بضم العين) اى فى النوافل دون الفرائض وانما كره فى الفرائض دون النوافل مع ان التغميض لدفع الشواغل لان مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة ولذا جوز اداؤها قاعدا وراكبا من غير عذر فيها (والاداء فى بيت مظلم قريب الجدار) ومنه الخلاوى الصوفية الابرار حتى لا يتسع مسافة بصر النظار (والاحتراز عن البيت المنقش) اى بانواع الزينة والكتابة والانية (والفراش المصبوغ) اى بالالوان والاشكال وكذا لا يترك بين يديه ما يشغل حسه لديه وكان ابن عمر لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه ومسحه وقد قال عليه السلام لعثمان ابن ابى شيبة انى نسيت ان اقول لك تخمر القدرين اللذين فى البيت فانه لا ينبغى ان يكون فى البيت شئ يشغل الناس عن صلاتهم كذا فى الاحياء وتعقبه العراقى بان الحديث رواه ابوداود من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما فى مسند احمد فقوله لعثمان بن ابى شيبة وهم (وكونه حاقنا) اى محبوس البول لحديث ابن ماجة من حديث ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلى الرجل وهو حاقن ولابى داود من حديث ابى هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصلى وهو حاقن ولابى داود والترمذى وحسنه نحوه من حديث ثوبان (وحاقبا) بالموحدة محبوس الغائط او الريح لحديث مسلم عن عائشة لا صلوة بحضرة طعام وهو يدافعه الاخبثان واما حديث النهى عن صلوة الحاقب ففى الاحياء وقال العراقى لم اجده بهذا اللفظ (وحازقا) ضيق الخف وفى معناه السروال وقد ورد النهى عن صلوة الحازق وعزاه رزين الى الترمذى لكن قال العراقى لم اجده عنده والذى ذكره صاحب الغريب حديث لا رأى لحازق وهو صاحب الخف الضيق (وجايعا) لحديث اذا حضر العشاء والعشاء واقيمت الصلوة فابدأوا بالعشاء متفق عليه وفى معناه اذا كان عطشان والاحسن منهما ان يكون شبعان (وغضوبا) اى ممتلئ الغضب بحديث لا يدخل احدكم الصلوة وهو مغضب ولا يصلين احدكم وهو غضبان كذا فى الاحياء وقال العراقى لم اجده (ونحوها) اى من كل فعل خطر للمصلى ان يفعل

بعد الصلوة فيفعله قبلها ان امكن (وباطنا) بخمسة اشياء (بذكر الآخرة) وتصور مواقفها واحوالها وشدائد اهوالها وتفاوت ما آلها فى آمالها (وموقف المناجاة) اى مع قاضى الحاجات فورد المصلى يناجى ربه (وخطر المقام) اى بين يدى الملك العلام المذكر يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين (ودفع الخواطر) اى المشتغلة للسرائر والضمائر (وصرف النفس الى الفهم) اى ودفعها عن خطرات الوهم (ويبالغ فيه) اى فى دفع العوائق عن عمل الباطن ومراعاته (فكانوا) اى السلف (يبالغون) اى فى تحسين حالاته وتزيين مقاماته (حتى لو كان يشغلهم ذكر مال) عن فكر حال (يتصدقون به تكفيرا وان كان) اى المال (خطيرا) اى عظيما كثيرا فروى ان ابا طلحة الانصارى صلى فى حائط له فيه شجر فاعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبد الله ابن ابى بكر وعن رجل آخر انه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمواد الفكر به وكفارة لما جرى من نقصان الصلوة بسببه فاذا اردت الخلاص من الآفات فاقلع شجرة الشهوات فانها اذا تفرعت باغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار فلا تطمعن ان تصفو لك لذة المناجاة فى الصلوة مع تلك الشهوات (فالاصل) اى فى مراتب العبادة (عمل الباطن) لانه النافع فى مقام الزيادة للسعادة (فورد اقم الصلوة لذكرى) اى لاجل ذكركم آياتى اولاجل ذكرى اياكم ولذكر الله اكبر فاذكرونى اذكركم او وقت ذكركم صلاتى وفكركم صلاتى وفى الاحياء ظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلوة لذكره وقوله سبحانه * ولا تكن من الغافلين * نهى وظاهره التحريم (لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اى من حب الدنيا) او حيارى فى غير ذكر المولى (اومن كثرة الهموم) فى الامر المقسوم وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الدين كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقوله حتى تعلموا ما تقولون تعليل لنهى السكران وهو مطرد فى الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار الدنيا واشغال الناس (لا ينظر الله الى صلوة) اى نظر قبول ورحمة اونظر رعاية وعناية (لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه) اى عند عبادة ربه لم اجد له اصلا بهذا اللفظ قاله العراقى (ان العبد ليصلى الصلوة وانما يكتب ما عقل منها) وفى الاحياء ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها قال العراقى لم اجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلوة من رواية عثمان بن ابى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه ابو منصور الديلمى

فی مسند الفردوس من حدیث ابی بن کعب ولابن المبارک فی الزهد مرفوعا علی عمار لایکتب للرجل من صلاته ماسها عنه والتحقیق فیه ان المصلی یناجی ربه متفق علیه والکلام مع الغفلة لیس بمناجات البتة فمتی یکون فی قوله اهدنا الصراط المستقیم داعیا وسائلا اذا کان قلبه ساهیا وغافلا وورد کم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ومااراد به الا الغافل کذا فی الاحیاء وقال العراقی رواه النسائی وابن ماجة من حدیث ابی هریرة* رب قائم لیس له من قیامه الا السهر* ولاحمد* رب قائم حظه من صلاته السهر* واسناده حسن (هذا) ای خذ هذا اوالامر هذا (وانمایکون القول) کالقراءة ونحوها (والفعل) کالرکوع والسجود (عبادة للمعنی) فی القول (والتعظیم) فی الفعل (دون اللفظ) ای غیر تلفظ الانسان باللسان (والحرکة) ای التحرک بالجوارح والارکان فقد قال بعض اهل الشان فی معرض هذا البیان* ان الکلام لفی الفؤاد وانما* جعل اللسان علی الفؤاد دلیلا* قیل لما سمع الجنید هذا اعاد صلاة ثلاثین سنة صلاها بلاحضور الجنان وفی الاحیاء لوحلف انسان والله لاشکرن فلانا ولاثنین علیه ولاسألنه حاجة ثم جرت هذه الالفاظ الدالة علی هذه المعانی علی لسانه فی النوم لم یبر فی یمینه وکذا لوجری علی لسانه فی ظلمة وذلک الانسان حاضر وهو لایعرف حضوره ولایراه یصیر بارا فی یمینه اذ لایکون کلامه خطابا ونطقا معه مالم یکن حاضرا فی قلبه ولو کانت تجری هذه الکلمات علی لسانه وهو حاضر فی بیاض النهار الا انه غافل لکونه مستغرق الهم بفکر من الافکار ولم یکن له قصد وتوجیه الخطاب الیه عند نطقه لم یصر بارا فی یمینه ولاشک فی ان المقصود من القراءة والاذکار والحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله تعالی وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلایراه ولایشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه یتحرک بحکم العادة وما ابعد هذا عند المقصود بالصلوة التی شرعت لتصقیل القلب وتجدید ذکر الرب ورسوخ عقد الایمان به فهذا مما یدل من حیث المعنی علی اشتراط حضور القلب مع الرب (فان قلت فعلی هذا) الذی ذکرته من جعل القول والفعل للمعنی والتعظیم (تبطل) الصلوة (دون الحضور) ای عند عدم حضور القلب حیث جعلته شرطا فی صحتها (وهو خلاف الاجماع) ای اتفاق الفقهاء لما سیأتی من مخالفة بعض العلماء فالمراد اتفاق الجمهور فانهم لم یشترطوا حضور القلب فی صحتها الا عند التکبیرة الاولی المقرونة بالنیة الاعلی (قلت انه) ای ادعاء الاجماع (ممنوع) والاتفاق مدفوع (لبطلانها عند سفیان) ای الثوری (فی روایة) ای کما نقل بشر بن الحارث فیما روی عنه ابوطالب المکی عن الثوری انه قال (من لم یخشع قلبه فی صلوته (فسدت صلاته) قلت ویؤیده قوله تعالی قد افلح المؤمنون الذین هم فی صلوتهم خاشعون (وعن الحسن) ای البصری (انها) ای الصلوة (بلاحضور القلب توجب العقوبة) قلت وای عقوبة اقوی من الغفلة وقد قیل الحجاب اشد العذاب

قال تعالی* کلا انهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون* وفی الاحیاء روی عن الحسن انه قال کل صلوة لایحضر فیها القلب فهی الی العقوبة اسرع وفیه ان الصلوة یشترط فیها النیة ولاتحصل النیة الا لحضور الطویة واما استیعاب الحضور فغیر مفهوم من کلامه ومن کلام غیره فیمکن الجمع بین قولهما المذکور وبین قول الجمهور وعن معاذ بن جبل انه قال من عرف من علی یمینه وشماله متعمدا وهو فی الصلوة فلا صلوة له ای کاملة وروی ایضا مسندا کذا فی الاحیاء وسکت عنه العراقی وقال علیه السلام ان العبد لیصلی الصلوة لایکتب له منها سدسها ولا عشرها وانما یکتب للعبد من صلاته ماعقل منها ابوداود والنسائی وابن حبان من حدیث عمار بن یاسر بنحوه (وان کلامنا فی المنفعة الاخرویة) هذا جواب آخر وبیانه ان الفقهاء لایتصرفون فی الباطن ولامطلع لهم علی مافی القلوب ولایتکلمون فی طریق الآخرة بل یتبعون ظاهر احکام الدنیا علی ظاهر اعمال الجوارح فظاهر الاعمال کاف بسقوط تعزیر السلطان فامانه هل ینفع فی الآخرة فلیس هذا من حدود الفقه (وعن عبد الواحد بن زید وقوع الاجماع علی عدم النفع) ای النفع الکامل قال الحجة فجعله اجماعا ومانقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعین وعن علماء الآخرة اکثر من ان یحصی والحق الرجوع الی ادلة الشرع والآیات والاخبار والآثار ظاهرة فی هذا الشرط وهذا معنی قوله (وان اشتراط الشرع اياه) ای الحضور (ظاهر غیر ان مقام الفتوی فی تکلیف الظاهر علی حسب قصور الخلق) بفتح الخاء والسین ای بتقیید بقدره (فلواشترط) ای الحضور (للجواز) ای لصحة الصلوة (لوقعوا) ای الجمهور (فی حرج) ای عظیم یؤدی الی المحظور لعجزهم عن کمال الحظور (واذی) ای ولافضی اشتراطه (الی ترکها رأسا) وهو المحذور (وهو التحقیق) ای فی مقام التدقیق فانه لایمکن ان یشترط علی الناس کلهم احضار القلب فی جمیع الصلوة فان ذلک یعجز عنه کل البشر الا الاقلین واذا لم یمکن اشتراط الاستیعاب للضرورة فلا مردله الاان یشترط منه ماینطلق علیه الاسم ولو کان فی لحظة واحدة واولی اللحظات به اول الصلوة فاقتصر علی التکلیف لذلک ومع ذلک نرجوان لایکون حال الغافل فی جمیع صلاته مثل حال تارک الصلوة بالکلیة فانه بالجملة اقدم علی الفعل ظاهرا فاحضر القلب لحظة وکیف لا والذی یصلی مع الحدث ناسیا فصلاته باطلة عند الله تعالی ولکن له اجرما بحسب فعله وعلی قدر قصوره وعذره وعلی هذا الرجاء فقد یخشی ان یکون حال الغافل اشر من حال التارک وکیف لا والذی یحضر للخدمة ویتهاون بالحضرة ویتکلم بکلام الغافل المستحقر اشد حالا من الذی یعرض عن الخدمة ویتهاون بالحضرة فاذا تعارض اسباب الخوف والرجاء صار الامر مخطرا فی نفسه فالیک الخیرة بعده فی ترک الاحتیاط اوالتسامل ومع هذا فلا مطمع لاحد فی مخالفة

الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى الناشئة من عموم البلوى هذا وروى من احب غير الله فلا تصفو له صلاة عن الخواطر المذمومة فان من احب شيئا اكثر ذكره كما ورد فى الخبر فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فتدبر فخذ ما صفا ودع ما كدر (ثم من اهمن) اى اشبع النظر واسبغ الفكر (فيما ورد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وانما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع) حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذى والنسائى من حديث الفضل بن العباس باسناد مضطرب (علم انها) اى الصلوة (هو الحضور) اى بكمال الشعور والا فصلاة الغافل لا تمنعه عن الفحشاء وقد نقصم الناس الى غافل يتم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها والى من يتمها ولم يغب قلبه فى لحظة عنها بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه ومن هنا لم يحس مسلمة بن يسار بسقوط اسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه وشماله وكان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام يسمع من ميلين وجماعة كان تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم (هذا) اى مضى هذا او خذ هذا (والاولياء انما يكاشفون فيها) اى فى الصلوة مع حضورها ودوام نورها (لا سيما فى السجود) فانه اقرب مقام الى واجب الوجود وصاحب الكرم والجود (على حسب الصفاء) اى على تفاوت درجات ارباب الوفاء ومن هنا قال بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثل هيئاتهم فى الصلوة من الطمأنينة والهدو ومن وجود النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون (ثم اعلم ان كل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه فليتخلص منه باخراجه عن طينه ليقوم فى مرتبة يقينه كما روى عنه عليه السلام انه لبس الخميصة التى اتاه بها ابو جهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلاته وقال اذهبوا بها الى ابى جهم فانها الهتنى عن صلاتى وائتونى بانبجانية ابى جهم متفق عليه من حديث عائشة وامر صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى الصلوة اذ كان جديدا فامر ان ينزع عنها ويرد الشراك الخلق فيها ابن المبارك فى الزهد من حديث ابى النضر مرسلا باسناد صحيح وكان عليه السلام قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد فقال تواضعت لربى كيلا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما ابو عبدالله بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عايشة باسناد ضعيف وكان فى يده خاتم ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا نظره اليه ونظره اليكم كذا فى الاحياء وقال العراقى اخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان ان الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق والحاصل ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين ولا يحدثون انفسهم فيها بشئ من امور الدنيا

فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع لامثالنا خلاف ما هنالك وليته سلم من الصلوة شطرها او ثلثها من الوسواس والخواطر المتقلبة بالرأس فنكون فيمن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهم الدنيا وهم الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء فيه خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج الخل منه لا محالة فلا يجتمعان والله المستعان (ومنها) اى من انواع الورد ﴿ قراءة القرآن ﴾ (فورد خيركم من تعلم القرآن وعلمه) البخارى من حديث عثمان ومن قرأ القرآن ثم رأى ان احدا افضل مما اوتى فقد استصغر ما عظمه الله الطبرانى من حديث عبدالله بن عمرو بسند ضعيف ولعله مقتبس من قوله سبحانه ۞ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ومن هنا قال الفضيل ينبغى لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم ويؤيده حديث من لم يستغن بالقرآن فليس منا اى من لم يستغن به عن غيره وورد من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين الترمذى من حديث ابى سعيد وقال حسن غريب افضل عبادة امتى قراءة القرآن ابو نعيم من حديث النعمان بن بشير اهل القرآن اهل الله وخاصته النسائى وابن ماجه والحاكم من حديث انس باسناد حسن (وحقها) اى القراءة (ان ينوى ايناس وحشة الدنيا) اى بذكر العقبى والدرجات الحسنى (وقضاء حق الشوق الى المولى) لان المناجاة والمكالمة معه تعالى فيه ينتهى به الى الشوق وزيادة الذوق الى قربه الاعلى (وضبط احكام العبودية) بحفظ حقوق مقام الربوبية (ويتوضأ) اى يتطهر (ويتطيب) بأى طيب كان او يتنظف فى جميع الاركان (ويتأدب) بقدر الامكان (ويجوز الاضطجاع فورد الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال على رضى الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس فى الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ فى غير الصلوة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وعن على اقرؤا القرآن على كل حال الا وانت جنب ابو الحسن بن صخر فى فوائده (والافضل فى الليل) لانه اقرب الى النيل (فالقلب فيه افرغ) قال تعالى * ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا * اى شغلا كثيرا (وفى المصحف افضل فهو يضعف الاجر لاعمال الجوارح) اى من اللسان والعين والاذن لزيادة حظ النظر من الحواس وافادة نقص الوسواس من اشتغال الناس ومع هذا لا بد من حضور القلب وشعوره بكلام الرب وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع وقد خرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لكثرة قراءته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرؤن القرآن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر

على الشافعى فى السحر و بين يديه المصحف فقال شغلكم الفقه عن القرآن
انى لاصلى العتمة واضع المصحف بين يدى فلا اطبقه حتى اصبح وقد ورد اعطوا
اعينكم حظها من العبادة النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجايبه
الحكيم الترمذى والبيهقى عن ابى سعيد (و يستظهره) اى وحفظها اى و يحفظه غيبا
و يضبطه قلبا كما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم واكثر اصحابه رعاية لقوله تعالى
* انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * وقد قيل كن حافظا نقيا لا مصحفيا نقيا (فورد
فيه) اى فى الاستظهار (تخفيف العذاب عن الوالدين وان كانا مشركين) لم اجده
وقد روى ابو داود عن سهل بن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن
وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا
لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بما فيه وفى رواية البس والداه حلة لا تقوم بها الدنيا
وما فيها وورد * اقرؤا القرآن فان الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن تمام فى رواية عن ابى
امامة مرفوعا لو كان القرآن فى اهاب ما مسته النار احمد والدارمى والطبرانى (ولا ينساه
فورد انه يذنب) اى ذنب كبير فهو خبر ان وزيدت الباء فيه لان الكلام فى قوة
اليس نسيان القرآن بذنب ونظيره قوله تعالى * اولم يروا ان الله الذى خلق السموات
والارض ولم يعى بخلقهن بقادر * وقد يقال انه اطلق المصدر واراد به الفاعل على طريقة
رجل عدل اى فورد انه مذنب وفى نسخة يذنب اى يصير ذا ذنب عظيم وروى من اعظم
الذنوب ان يتعلم الرجل آية من القرآن ثم ينساه قيل ونزل قوله تعالى فى حقه * ومن اعرض
عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى
وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * مع ان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ونسيانه عندنا محمول على انه لم يقدر ان يقرأ نظرا وعند
الشافعى ومن تبعه ان ينسى غالبه حفظا وهو كبيرة اتفاقا (ولا يختم فى اقل من ثلاثة
ايام فورد انه يمنع التفقه) ولفظ الحديث من قرأ القرآن فى اقل من ثلاث لم يفقهه
رواه اصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو و صححه الترمذى و ذلك لان الزيادة عليه
تمنع الترتيل وتدفع ادراك ما فى التنزيل وقد قالت عائشة لما سمعت رجلا يهذ القرآن
هذا ان هذا ما قرأ ولا سكت (وجاء فى اربعين) وهو يناسب الاربعينات الصوفية
الصفية وقد ورد اقرؤا القرآن فى اربعين الترمذى عن ابن عمرو ومنهم من يختم فى الشهر
مرة يقرأ كل يوم جزأ من ثلاثين اجزاء وورد اقرأ القرآن فى كل شهر اقرأه فى عشرين ليلة
اقرأه فى عشر اقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك رواه الشيخان وابو داود عن ابن عمر
وفى رواية الطبرانى عنه اقرؤا القرآن فى خمس وبعضهم قرأه فى اليوم والليلة مرة
و بعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى الثلاث (وفى اسبوع) وقد امر النبى صلى الله

عليه وسلم عبد الله بن عمرو ان يختم القرآن فى كل سبع متفق عليه من حديثه وكان
جماعة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود
وابى بن كعب ففى الختم اربع درجات الختم فى كل شهر والختم فى يوم وليلة وقد كرهه
جماعة وكأنه مبالغة فى الاقتصار كما ان الاول مبالغة فى الاستكثار و بينهما درجتان
معتدلتان اختارهما الابرار احديهما فى الاسبوع مرة وهى الاولى والاحرى والثانية
فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث وهو الرخصة فى الكثرة (والاحزاب المروية
سبعة) اى الاوراد المأثورة سبعة اقسام (ثلاث سور) وهى بعد الفاتحة البقرة وآل
عمران والنساء (ثم خمس) وهى المائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة (ثم سبع)
وهى يونس وهود و يوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل (ثم تسع) وهى
بنى اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان
(ثم احدى عشرة) وهى الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان
والسجدة والاحزاب وسبأ وفاطر ويس (ثم ثلاث عشرة) وهى والصفات وص
والزمر وحواميم السبع والقتال والفتح والحجرات ففى كل مرتبة بزيادة سورتين
(ثم الباقى) وهى ق الى الناس و ينسب الى على كرم الله وجهه انه اشار الى هذا
الترتيب بطريق الرمز والايماء حيث قال * فمى بشوق * فالفاء فاتحة والميم مائدة والياء
يونس والباء بنى اسرائيل والشين الشعراء والواو والصفات والقاف ق وقد قال
العراقى تحزيب القرآن على سبعة احزاب رواه ابو داود وابن ماجه من حديث
اوس بن حذيفة قال اوس فسألت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة
وحزب المفصل وفى رواية الطبرانى فسألنا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن فقالوا كان يجزيه ثلاثا فذكره
مرفوعا باسناد حسن (وكان عثمان رضى الله عنه يبتدئ ليلة الجمعة) فانها فى الليالى
افضل والقراءة بالليل امثل (و يتم المائدة) اى فى ليلته و بقيته يوم جمعته (ثم هود) اى
يبتديه فى ليلة السبت اونهاره (ثم مريم ثم طس ثم ص ثم الرحمن ثم الباقى) وهو يحتمل
ان يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ما سبق مرفوعا او هو رواية اخرى عنه عليه السلام
وان كان فى الظاهر موقوفا (وهذا) اى التحزيب بهذا الترتيب (للعامل ظاهرا)
فى مقام التهذيب من الصوم والصلاة والتلاوة والاذكار (واما صاحب الباطن)
اى المراعى لاحوال القلب وحضوره مع الرب (فعلى حسب حاله) اى ما يقتضيه
من الكثرة والقلة فى قراءته كسائر افعاله فانه ان كان من العابدين السالكين بطريق
العمل فلا ينبغى ان ينقص من ختمتين فى الاسبوع وان كان من السالكين باعمال القلب
وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا بأس ان يقتصر فى الاسبوع على مرة

وان كان ناقد الفكر فى معانى القرآن ومبانى الفرقان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لحاجته لكثرة التردد والتأمل فى الوعد والوعيد (ويرتل) اى يترسل و يتمهل (لتوقف التدبر عليه) وقد قال عز وجل * كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب * (وكونه اقرب الى التعظيم والتأثير) اى تعظيم الرب وتأثير القلب قال تعالى * ورتل القرآن ترتيلا * وهو المستحب فى قراءته وقال عز وعلا * الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته (وهو المروى) فقد نعتت ام سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا ابوداود والنسائى والترمذى وقال حسن صحيح وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الى من ان اقرأ القرآن كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الى من ان اقرأ البقرة وآل عمران مهذرما (ويبكى) فانه مستحب قال تعالى حكاية عن الانبياء والاصفياء * اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا و بكيا * وقال * ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان الى قوله يبكون ويزيدهم خشوعا * ومن هنا قال ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قلت وكذا اذا قرأ سجدة مريم ولابد من البكاء والتباكى اوالحزن على فقدهما (فورد اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا) ابن ماجه من حديث سعد ابن ابى وقاص (فاذا قرأتموه فتحازنوا) صدر الحديث ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ابو يعلى وابونعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف ويقويه حديث ان الله يحب كل حزين الطبرانى والقضاعى بسندهما الى ابى الدرداء مرفوعا ويؤيده قوله سبحانه * ان الله لا يحب الفرحين * ويعضده حديث اقرؤا القرآن بالحزن فانه نزل بالحزن رواه ابو يعلى وابونعيم فى الحلية والطبرانى فى الاوسط عن بريدة وعن الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الاكثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه ومشغلته وقلت راحته و بطالته وقال عليه السلام لابن مسعود اقرأ على قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت * فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا * رأيت عيناه تذرفان بالدمع فقال لى حسبك الآن (وهو) اى وجه احضار الحزن انما يحصل (بالتأمل فى مواعيده) من التهديد والوعيد (ومواثيقه) من العهد الاكيد (والتقصير فيها) اى فى لوازمها من الاوامر والزواجر فيحزن له لا محالة ويبكى (والا) اى فان لم يحضره حزن و بكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية والصدور الوافية (فيبكى على فقد ان بكائه) اى فليبك على فقد حزنه و بكائه (فهو اعظم المصائب) فى مقام بلائه (و يتعوذ فى الافتتاح) اى ابتداء القراءة مطلقا (فقد ورد فاذا قرأت القرآن) اى اردت قراءته وقيل بعد فراغه ولا منع من الجمع (فاستعذ بالله) اى من الشيطان الرجيم والامر للاستحباب

عند الجمهور وقيل للايجاب (ويفتتح) اى يبتدئ ختمة اخرى (عند الختم) اى الختمة الاولى (رغما للشيطان) اى ورضى للرحمن ولقوله تعالى * فاذا فرغت * اى من عبادة * فانصب * اى فاتعب فى اخرى وللآخرة خير لك من الاولى (فهو مأثور) بل مروى مشهور فعن زرارة بن ابى اوفى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل اى الاعمال افضل فقال عليه السلام * الحال المرتحل اى عمله فقيل ما الحال المرتحل فقال الخاتم المفتتح وفى رواية فتح القرآن وختمه صاحب القرآن يضرب من اوله الى آخره ومن آخره الى اوله كلما حل ارتحل ورواه البيهقى فى شعب الايمان بسند مرفوعا ولفظه عليكم بالحال المرتحل ووافقه الطبرانى فى مسنده فينبغى انه اذا قرأ سورة الناس ان يقرأ سورة الفاتحة وصدر سورة البقرة الى المفلحون و يدعو بما كان يقوله عليه السلام عند ختم القرآن اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرنى منه ما نسيت وعلمنى منه ما جهلت وارزقنى تلاوته آناء الليل والنهار واجعله حجة لى يارب العالمين ابومنصور المظفر بن الحسين الارجانى فى فضائل القرآن وابو بكر ابن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق ابى ذر الهروى من رواية داود بن قيس معضلا (ويسأل امر اموامر جوامر اعليه ويتعوذ عن مخوف) اى اذا وصل اليه اوقرئ لديه (ويوافق ذكرا) اى فيذكر نبذة وكذا يوافق تسبيحا وتكبيرا كما اذا قرأ * يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا * فيذكر ثلاث مرات اواكثر ويسبح كذلك (اودعاء) اى دعا كما اذا قرأ * ادعونى استجب لكم واجيب دعوة الداع اذا دعان * وكذا استغفر فى مقام يليق به كقوله تعالى * استغفروا ربكم انه كان غفارا * (فالكل مأثور) بل مروى مذكور قال حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية رحمة الا سأل ولا بآية تسبيح الا سبح رواه مسلم باختلاف لفظ (ويسر) اى ويخفى القراءة (ان خاف الرياء) اى على نفسه (اوتشويش مصل) فى محضره ولا فيجوز الجهر به لتلذذ الاذن بسببه وحصول الاستماع لغيره (فورد يفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفا) البيهقى فى الشعب من حديث عائشة وفضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة ابو داود والنسائى والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر وخير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى احمد وابن حبان من حديث سعد بن ابى وقاص وفى الخبر لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابوداود من حديث البياضى دون قوله بين المغرب والعشاء وللبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر

بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلى فقل له يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته فقال يا ايها المصلى ان كنت تريد الله عزوجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر وخفف فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة (والا) اى وان لم يكن خوف رياء ولا تشويش مصل (فيجهر) اى جوازا او استحبابا (فهو ينبه القلب) اى يوقظ قلب القارى (و يجمع الهمة) فى ذكر الرب البارى (ويصرف السمع اليه و ينفى النوم والكسل) اى فيتلذذ باستماعه لديه (و يزيد فى النشاط) اى نشاط النفس اليه (و يوقظ الراقد) اى فى اول الليل وآخره فيكون هو سبب احيائه وباعث ذكره ودعائه (و يرغب فى العبادة) اى من سمعه من اهل الطاعة والسعادة (فورد ان الملائكة) صدر الحديث اذا قام احدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة اى الحفظة (وعمار الدار) بضم العين وتشديد الميم جمع عامر اى ساكنوها اى من مسلمى الجن (يستمعون قراءته و يصلون بصلاته) رواه بنحوه بزيادة فيه ابو بكر البزار ونص المقدسى فى المواعظ من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر ومنقطع (والمتعدى) اى العمل الذى يتعدى ثوابه الى الغير (افضل) من العمل اللازم القاصر على صاحبه (وتضاعف النية يضاعف الاجر) فمهما حضره شىء من النيات المتقدمة فالجهر افضل وان اجتمعت النيات المتعددة تتضاعف الاجر والمثوبة وبكثرة النيات فى العبادات يزكو عمل الابرار و يزيد فى الدرجات (والاحب) فى السر والجهر (النظر الى صلاح القلب) اى فى حضوره مع الرب (فصوب عليه السلام ابابكر فى الاسرار وعمر فى الجهر بعد الفحص عن النية) روى انه عليه السلام مر على ثلاثة نفر من اصحابه مختلفى الاحوال فمر على ابى بكر وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذى اناجيه هو يسمعنى ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن ابوداود من حديث ابى هريرة باسناد صحيح نحوه وفى رواية انه عليه السلام قال لابى بكر لم خفضت صوتك فقال اسمعت من ناجيت وقال لعمر ولم رفعت صوتك قال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال لابى بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض قليلا وهو مناسب دليلا لقوله سبحانه * ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا * ولعله عليه السلام دعاهما لمقام جمع الجمع فان الصديق كان فى جمع الصرف والفاروق فى منع التفرقة وقيل لئلا يكون كل منهما عاملا الا بنابعته فى جميع حالته (و يحسن الصوت) اى بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط بغير النظم (به) اى بالقرآن (فورد ما اذن الله لشىء) اى ما سمع وقبل واقبل (اذنه) بفتحتين منصوبا (لشىء)

اى من المسموعات اى مثل سماعه وقبوله واقباله (لحسن الصوت بالقرآن) متفق عليه من حديث ابى هريرة بلفظ ما اذن الله لشىء ما اذن لنبى يتغنى بالقرآن زاد مسلم لنبى حسن الصوت وفى رواية كاذنه لنبى يتغنى بالقرآن وقال عليه السلام زينوا القرآن باصواتكم ابو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب وقال من لم يتغن بالقرآن فليس منا اى من لم يترنم وهو اقرب لغة من معنى الاستغناء (وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ليلة ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ماحبسك قالت يارسول الله كنت اسمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام عليه السلام حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى ابى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى امتى مثله ابن ماجه من حديث عائشة ورجال اسناده ثقات واستمع عليه السلام ايضا ذات ليلة الى عبدالله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأ على قراءة ابن ام عبد احمد والنسائى فى الكبرى من حديث عمر وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن مسعود ان ابابكر وعمر بشرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يقرء القرآن الحديث قال الترمذى حسن صحيح وقال عليه السلام لابن مسعود اقرأ على فقال يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل فقال انى احب ان اسمعه من غيرى فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه تفيضان متفق عليه من حديث ابن مسعود (واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابى موسى فقال لقد اوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث ابى موسى وفى الخبر كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقال عليه السلام من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيمة احمد من حديث ابى هريرة (مكتفيا على الترغيب) اى على قدر الرغبة (والتأثير) اى وتأثير النسبة فورد اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه كذا فى الاحياء وقال العراقى متفق عليه من حديث جندب بن عبدالله البجلى باللفظ الثانى دون قوله ولانت جلودكم قلت ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى * الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله * وورد ان من احسن الصوت بالقرآن الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى ابن ماجه من حديث جابر بسند ضعيف ولا نسمع القرآن من احد اشهى منه ممن يخشى الله تعالى الحاكم ابو عبدالله (غير مغير نظمه) اى مبناه بتغيير مخرج حروفه وصفاتها وتبديل حركاتها وسكناتها وزيادة فى مدتها وكيفياتها (ولا مراع قواعد الموسيق فى نغماتها المذمومة) فى الشريعة (المنسوبة الى المبتدعة) بل الى الكفرة الفجرة كما يشير اليه قوله تعالى * افمن هذا الحديث تعجبون

وتضحكون ولاتبكون وانتم سامدون* اى مغنون وهامدون وخامدون (ولامشتغل عن التدبر) فى آيه وآلائه وقصص رسله وانبيائه وانوع بلائه لاهل ولائه ثم اهلاك اعدائه وانجاء احبائه والتأمل فى احكامه من اوامره وزواجره والتفكر فى مبدأ امره ومنتهى عمره ومواقف القيامة واحوالها ودرجات الجنة وحسن آمالها ومنالها ودركات النار واختلاف اهوالها (ويعظمه) اى كما كان عكرمة بن ابى جهل اذا نشر المصحف غشى عليه ويقول هو كلام ربى هو كلام ربى (فورد لوانزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) وتمام الآية وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (من قرأ القرآن فرأى ان احدا اوتى افضل مما اوتى فقد استصغر ماعظم الله) اى واستعظم ماصغره الله وقدسبق الكلام على مبناه ومعناه (ويحضر القلب) فى التلاوة (لماسبق) فى حق الصلوة (انه الاصل) فى معرفة الرب (وبه فسرما ورد) فى التنزيل (يايحيى خذ الكتاب بقوة) اى بقوة القلب واحضاره فى مكتب الرب (ويتدبر فورد) فى التنزيل (ليدبروا آياته) تمامه وليتذكر اولوا الالباب فالتدبر سبب التذكر (وكان اهتمامهم بالتفقه) اى الدراية (دون اللقلقة) اى كثرة القراءة والرواية قال على لاخير فى عبادة لافقه فيها ولافى قراءة لاتدبر فيها وكان بعضهم يقول كل آية لاافهمها ولايكون قلبى فيها لااعد ثوابا لها وقد روى عن عامر بن قيس انه قال الوسواس يعترينى فى الصلوة فقيل له افى امر الدنيا فقال لان اختلف فى الاسنة احب الى من ذلك ولكن يشتغل قلبى بموقفى بين يدى ربى واين اذهب وكيف انصرف قال الحجة فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغلهم عن فهم ماهو فيه والشيطان لايقدر على مثله الا ان يشغله بمهم دينى ولكنه يمنعه عن الافضل ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا هذا وقد كثر اعتناء الصحابة بالقرآن من حيث معناه دون حفظ مبناه (حتى لم يستظهره) اى لم يحفظ جميعه (الابضعة عشر) صحابيا من اكابر الصحابة واجلاهم فى القراءة كالخلفاء الاربعة وابى بن كعب وابن مسعود وزيد بن ثابت وسالم مولى ابى حذيفة وفى الاحياء مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الاستة اختلف منهم فى اثنين قال العراقى قوله مات عن عشرين الفا لعله اراد بالمدينة والافقد روينا عن ابى زرعة الرازى انه قال قبض عن مائة الف واربعة عشر الفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع انتهى واما من حفظ القرآن فى عهده ففى الصحيحين من حديث انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وابوزيد قلت من ابوزيد قال احد عمومتى وزاد ابن ابى شيبة فى المصنف من رواية الشعبى مرسلا وابى الدرداء وسعيد

ابن عبيد وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر استقرؤا القرآن من اربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابى حذيفة ومعاذ بن جبل وابى بن كعب (بل الكثير منهم لم يحفظ الاسورة) كالبقرة (اوسورتين) كالزهراوين وكان الذى يحفظ البقرة والانعام من علمائهم وروى ابن الانبارى بسنده الى عمر قال كان الفاضل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر هذه الامة من يحفظ من القرآن السورة اونحوها الحديث وسنده ضعيف والترمذى وحسنه من حديث ابى هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذوعدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مامعه من القرآن فاتى على رجل من احدثهم سنا فقال مامعك يافلان قال معى كذا وكذا وسورة البقرة فقال امعك سورة البقرة قال اذهب فانت اميرهم الحديث (ويرددمرارا) اى من حق القرآن ان يكرر المقرو مرة بعدمرة (فقدقام عليه السلام ليلة بآية) واحدة يرددها وهى *ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم* النسائى وابن ماجه بسند صحيح عن ابى ذر (وقرأ عليه السلام آية بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة ابوذر الهروى فى معجمه عن ابى هريرة بسند ضعيف وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية *ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات* الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية* وامتازوا اليوم ايها المجرمون (ويتفهم) بان يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه ويستوضح من كل آية مايليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله ومصنوعاته وذكر احوال انبيائه واوليائه وبيان حال اعدائه وذكر اوامره وزواجره وبيان درجات جنته ودركات ناره (وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن) وانواره (وظهور المكاشفة) للقلب واسراره (فوردان للقرآن ظهرا وبطنا) تمامه وحدا ومطلعا ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود وروى عن ابن مسعود مرفوعا ايضا ان القرآن انزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم المعنى والحد احكام الاحكام والمطلع ماينكشف من المرام بعد هذا المقام واخرج النسائى من رواية ابى جحيفة قال سألنا عليا رضى الله عنه فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شئ سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرئ النسمة الا ان يعطى الله عزوجل عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم شئ ماليس فى القرآن وقال مرة ماليس عند الناس (لايفقه العبد) اى كل الفقه (حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة) قال ابو الدرداء لايفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وعن الامام جعفر الصادق ان كتاب الله على اربعة اشياء العبارة والاشارة واللطائف والحقايق فالعبارة للعوام والاشارة للخواص واللطائف للاولياء والحقايق للانبياء اقول وفى الحقيقة لايعرف حقايق كلامه ودقايق مرامه غيره

سبحانه بتمامه لان كلامه الازلى من نعته العلى وكما لانهاية لذاته ولاغاية لصفاته فان تحت كل حرف من حروفه بحرا من بحار الاسرار ونهرا من انهار الانوار وقد قال عز من قائل ايماء الى عجز معرفة من سواه *ولوان مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله* اى طرائق مبانيها ولطائف معانيها ومن هنا قال على لوشئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقد قيل لايكون المريد حتى يجد فى القرآن كل مايريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد وفى الخبر لولا ان الشياطين يحدقون على قلوب ابن آدم لنظروا الى الملكوت ومبانى القرآن من جملة الملكوت رواه احمد عن ابى هريرة (اقرأوا القرآن والتمسوا غرائبه) ابن ابى شيبة فى مصنفه وابو يعلى الموصلى والبيهقى فى شعبه من حديث ابى هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف وعن ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن هذا وقد شرط الله عز وجل الانابة فى الفهم والتذكر فى العلم فقال *تبصرة وذكرى لكل عبد منيب* وقال* ومايتذكر الامن ينيب* وقال* انمايتذكر اولوا الالباب* والذى آثر غرور الدنيا على سرور العقبى فليس من ذوى الالباب فلذا لاينكشف له اسرار الكتاب وانوار الخطاب وقد ورد اذا عظمت امتى الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى قال الفضيل يعنى حرموا فهم القرآن كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل ابن عياض قال ذكر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى *واوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ* قال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكانما كلمه الرحمن وقال بعض اهل الفضائل هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهود لنتدبرها فى الصلوات فنقف عليها فى الخلوات ونتعبد بها فى الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ماذا زرع القرآن فى قلوبكم يااهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقال قتادة لم يجالس هذا القرآن احد الاقام بزيادة اونقصان قال تعالى* وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا* واذا قيل من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله عز وجل مالك ولكلامى وانت معرض عنى دع عنك كلامى اذا لم تتب الى ومما يدل على ان مدار القرآن على فهمه والعمل بامره ونهيه ما رواه ابو داود والنسائى فى الكبرى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمر قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئنى يارسول الله فاقرأه اذازلزلت الارض حتى فرغ منها فقال الرجل والذى بعثك بالحق لاازيد عليها ابدا ثم ادبر الرجل فقال عليه السلام افلح الرويجل . لاحمد والنسائى فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق

انه صاحب القضية وقال حسبى لاابالى ان لااسمع غير هذه وعن جعفر الصادق والله لقد تجلى الله سبحانه لخلقه فى كلامه ولكنهم لايبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال مازلت اردد الآية فى قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته وكان رضى الله عنه تصور ان الله سبحانه جعل لسانه بمنزلة شجرة موسى عليه السلام وانه نودى فى شانه ماصدر من الكلام فى ذلك المقام وفق المرام ومن هنا قال بعض الحكماء كنت اقرء القرآن فلم اجد له حلاوة حتى تلوته كأنى اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على اصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأنى اسمعه جبريل يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الآن اسمعه المتكلم به سبحانه فعندها وجدت له لذة ونعيما لااصبر عنه فقال عثمان وحذيفة لوطهرت القلوب لم يشبع من قراءة القرآن وعن ثابت البنانى كابدت القرآن عشرين سنة تنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله سبحانه* ففروا الى الله* قيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بما تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فيستغفر الله مما سواه ولايعبد الااياه ولايقصد فى الدارين ماعداه (امامن فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار) اى فليهيئ مكانه من نار جهنم رواه الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند ابى داود فى رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبرى (فمحمول) اى وعيده (على القطع على مراده تعالى) اى اذا لم يعلم انه مراده كما فى الآيات المتشابهات والالفاظ المشتركة فى اللغات والا فمن المعلوم ان قوله تعالى *اقيموا الصلوة وآتوا الزكاة* اراد الله بهما العبادتين احديهما بدنية والاخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث قالوا المراد بالصلوة وصل الصلوات وبالزكاة طهارة القلب عن الكائنات (والاحتجاج لاثبات الهوى) بان يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتناول القرآن على مقتضاه ليحتج على تصحيح غرضه ومدعاه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لايلوح له من القرآن ذلك المعنى (دون الاستنباط) اى لايحمل على استنباط المعانى من مدارك المبانى فى الآيات المحتملات (لفقد السماع) اى لعدم سماع جميع المعانى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير السبع المثانى (الافى بعض آيات) تعد نادرات فى واقعات (واختلافهم) اى ولاختلاف الصحابة والمفسرين (على اقوال) اى مخالفة (يمتنع التوفيق بينهما) اى لايمكن الجمع بينهما لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فنعلم على القطع ان كل مفسر قال فى المعنى ماظهر له باستنباط فى المبنى حتى قالوا فى الحروف التى هى اوائل السور سبعة اقاويل مختلفة بل سبعين قولا غيره تلفقة (وورد لعلمه الذين يستنبطونه منهم) الآية والعبرة بعموم

اللفظ لا بخصوص السبب فانبت لاهل العلم استنباطها ومعلوم انه وراء السماع فجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله بشرط تذكر فى محله الاليق به ومن ذلك استخراج ابى بكر رضى الله عنه موت النبى صلى الله عليه وسلم من قوله سبحانه *اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى* فان الكمال يشير الى الزوال كوصول الشمس الى وسط السماء فهو استخراج للمعنى لا يفهم من ظاهر المبنى (اللهم فقهه فى الدين) اى ابن عباس (وعلمه التأويل) البخارى من حديث ابن عباس فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما معنى تخصيصه بذلك ثم اذا كان الاستنباط ممنوعا فينبغى ان لا يقبل ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من قبل انفسهم على قدر فهمهم و يقال هو تفسير بالرأى لانهم لم يسمعوه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس كذلك فافهم فان اكثر القرآن ما تبين الا بقوله عليه السلام ثم ما تبين باقوال اصحابه الكرام واتباعه العظام من العلماء الاعلام (و يتخلى عن الموانع) اى و يجتنب عن موانع الفهم (كتحقيق المخارج) اى مخارج الحروف وتدقيق صفاتها (واداء اللفظ) من ترقيق وتغليظ وروم واشمام ومد وقصر وقف مراعاتها بالمبالغة فى تحسين حالاتها والا فهما من الواجبات المتعلقة بالقراءة (وقواعد الموسيقى) اى و يتخلى عنها بان لا يلحن فى القراءة لحنا جليا كما لا ينبغى ان يلحن فيها لحنا خفيا ففى المقدمة الجزرية * والاخذ بالتجويد حتم لازم * من لم يجود القرآن آثم * فانه به الاله انزلا * وهكذا منه الينا وصلا (والاصرار على الذنب) اى و يتخلى عن الاصرار على الكبائر والصغائر فانه لا صغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار وقد قال تعالى *والذين اذا فعلوا فاحشة اوظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (والاتصاف بالذميمة) اى من الاخلاق الردية والاحوال الدنية (فورد) اى فى نعت القرآن (تبصرة وذكرى) اى تذكرة (لكل عبد منيب) والانابة هى الرجوع من الغفلة الى اليقظة كما ان التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة فهى والاوبة اخص من التوبة ولذا جاء فى وصف الانبياء والاولياء انه اواب فاستغفر ربه وخر راكعا واناب (و يقدر) اى يفرض القارئ و يقرر انه المراد (فى كل خطاب) من الامر والنهى وغيرهما كالوعد والوعيد فى كلام البارى (فورد) فى التنزيل (واوحى الى هذا القرآن لانذركم به) وقد سبق الكلام عليه وما يناسبه المرام لديه (اقرأ القرآن ما نهاك) اى ما دام ينهاك عن الكسل والغفلة ونحوهما من المذمة وتمام الحديث واذا لم ينهك فلست تقرؤه الطبرانى من حديث عبد الله بن عمر بسند ضعيف (وقصة) اى و يقدر انه المراد فى كل قصة مشتملة على صحة ونعمة اومحنة وغصة (فهى للتنبيه فورد) فى التنزيل (وكلا) اى وكل ما يحتاج اليه و يصفه بقوله (نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك) بدل كل من كل

واذا كان قلبه الاعلى يحتاج الى التثبيت فغيره اولى وورد اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك (و يتأثر) اى القارئ (باختلاف حال القلب) اى تقلبه (بحسب المعنى) اى يتفاوت معنى كلام ربه (فيفرح فيشتاق و يخاف) كلها لف ونشرها المرتب (عند آية رحمة وجنة وعذاب ونحوها) من التوبيخ والتهديد والوعد والوعيد والانذار والابشار (و يترقى فيه) اى فى مراتب التأثير من المقام الادنى الى المقام الاعلى (فالادنى) اى فى مقام الترقى (تقديرا انه يقرأ بين يديه تعالى) اى كما يقرأ بين يدى معلمه قال تعالى *الرحمن علم القرآن* فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه وسامع لما يبدو لديه و يجرى عليه فيفيد هذا الحال التملق والسؤال والتضرع والابتهال (ثم انه تعالى) اى يقدر انه سبحانه (يخاطبه) اى من وراء حجاب فيورثه الهيبة والعظمة وحقارة نفسه ان يكون متكلما بكتابه اومستمعا لخطابه اوواقفا بجنابه ومتعلقا ببابه فيفيد التأدب بآدابه (ثم رؤية المتكلم) بان قرأ اسم الذات كاسم الله والحق (وصفاته) كاسم الحى والعليم والسميع والبصير والقدير (وافعاله) اى كاسماء افعاله مما اثره محسوس فى مخلوقاته كالمحيى والخالق والرازق والمصور والوهاب (والاولان) اى من الاحوال (لاصحاب اليمين) اى المطيعين من المسلمين (وغيرهما) اى من المراتب المذكورة من انواع حالات الترقى (للغافلين) وقد تقدم تحقيق حصول الاحوال الكاملة للعلماء الكاملين (و يرى) اى و ينبغى ان يرى السالك ولو كان فى اعلى المسالك (دخوله فيما ورد فى العاصين والمقصرين دون المقربين وذوى اليقين) اى المعتبرين فى امر الدين ﴿ ومنها ﴾ اى من انواع الورد ﴿ الصلوة عليه ﴾ اى على النبى صلى الله عليه وسلم (ففيه وعد صحبته) اى رفقته فى منزلته (وشفاعته) لاهل محبته اما دليل الاول فقوله عليه السلام اولى الناس بى اى بقربى فى العقبى اكثرهم على صلوة) اى فى الدنيا الترمذى وابن حبان عن ابن مسعود ويؤيده رواية البيهقى باسناد حسن عن ابى امامة فمن كان اكثرهم على صلوة كان اقربهم منى منزلة واما الثانى فورد اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ثم اسئلوا الله لى الوسيلة فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وورد شفاعتى لاهل الكبائر من امتى الترمذى وحسنه والبيهقى وصححه (وورد انها صدقة) رواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة بلفظ اكثروا الصلوة على فانها زكوة لكم اى بمنزلة زكوة وصدقة لفقرائكم واغنيائكم ومن صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب الطبرانى فى الاوسط وابو الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث ابى هريرة بسند ضعيف وفى رواية ابن ابى حاتم عن انس مرفوعا صلوا على فان الصلوة كفارة لكم فمن صلى على واحدا صلى الله عليه عشرا وفى روايته ايضا عن ابى كاهل من صلى على كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة ثلاث مرات حبا لى وشوقا الى كان حقا على الله ان يغفر له ذنوب تلك الليلة وذلك اليوم (وحقها

ان تقرن) اى الصلوة (بالسلام فورد صلوا عليه وسلموا تسليما) وظاهره الجمع بينهما
فى كل موضع لكن لا يجب كما توهم النووى اذ الواو لمطلق الجمع فاذا صلى فى وقت وسلم
فى آخر فقد خرج عن عهدة الامرين كما فى قوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقد
جعلت فى المسألة رسالة مستقلة (والصلوة) بالخفض اى و يقرن بالصلوة (على سائر
الانبياء) او بالرفع اى من حق الصلوة على النبى الصلوة على سائر الانبياء وكذا الملائكة
المقربين اصالة (واهل البيت والصحابة) اى تبعا (فهو المأثور) وعليه الجمهور
وقيل يجمع بين الصلوة والسلام لنبينا و يقتصر على السلام فى الانبياء والملائكة
(ولا يذكر عند العطسة) فيه خلاف (والذبح) وهو مكروه قال صاحب المحيط لان
فيه ايهام الاهلال له (والتعجب) اى رؤية ما يستغرب فانه ممنوع وفى فتاوى قاضيخان
رجل يقرأ القرآن وسمع اسم النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الناطفى انه لا يجب عليه
الصلوة لان قراءة القرآن على النظم والتأليف افضل من الصلوة ولو فيها
من التشريف فاذا فرغ من القراءة ان صلى عليه كان حسنا وان لم يصل لم يأثم والله سبحانه
اعلم والظاهر انه ان يستثنى ما اذا قرأ او سمع آية يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما فانه يجب عليه الصلوة والسلام حينئذ واوفى الصلوة كما صرحوا بذلك فى حال
الخطبة وقد ورد من ذكرت عنده فليصل على النسائى والطبرانى فى الاوسط وابو يعلى
وابن السنى ورواه احمد وابن حبان والحاكم وصححه من ذكرنى فليصل على ابو يعلى
عن انس والظاهر ان الامر للوجوب لكن قال الطحاوى انه يتداخل فى المجلس
كسجدة التلاوة ومما يدل على الايجاب حديث رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
على اى ذل فى الباب ولصق بالتراب وابتلى بالحجاب رواه الترمذى وابن حبان والبزار
والطبرانى من حديث ابى هريرة وحسنه الترمذى البخيل من ذكرت عنده فلم يصل
على الترمذى والنسائى عن على وابن حبان والحاكم عن حسين بن على رضى الله عنهما
والاخبار فى هذا كثيرة والآثار شهيرة وقد ذكرت نبذة يسيرة فى شرح الصلوات المحمديه
والصلات الاحمديه ﴿ومنها﴾ اى من جملة الاوراد بل اجل ورد للعباد والعباد
فى جميع البلاد (الاذكار) ككلمة التوحيد والتمجيد واسماء الله والتسبيح والتحميد
(المروية) فى الاخبار المرضية (الوارد فيها الفضائل) اى الكثيرة الشهيرة فى الكتاب
والسنة المصطفوية اما الكتاب فقوله تعالى * فاذكرونى اذكركم * قال ثابت البنانى
انى اعلم متى يذكرنى ربى سبحانه وتعالى ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك قال اذا ذكرته
ذكرنى وقوله اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقوله حكاية كى نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا وقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة
واجرا عظيما وقوله فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم
قال ابن عباس اى بالليل والنهار والبر والبحر والسفر والحضر والغناء والفقر والمرض

والصحة والسر والعلانية وقوله فى ذم المنافقين * ولا يذكرون الله الا قليلا * وقوله * واذكر
ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن
من الغافلين * وقوله * ولذكر الله اكبر * قال ابن عباس له وجهان احدهما ان ذكر الله
لكم اكبر من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله اكبر من كل عبادة سواه واما السنة فقوله
عليه السلام ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابر المغازى رواه البزار والطبرانى فى الاوسط
عن ابن مسعود وقوله تعالى انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه ابن ماجه وابن
حبان من حديث ابى هريرة والحاكم من حديث ابى الدرداء وقال صحيح الاسناد وقوله
من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن ابى شيبة فى مصنفه والطبرانى
من حديث معاذ وقوله لما سئل اى الاعمال افضل قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله
ابن حبان والطبرانى فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ وقوله عز وجل اذا
ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه واذا تقرب
الى شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت
اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة لديه والحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة
وقوله عز وعلا من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل مما اعطى السائلين البخارى
فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى شعب الايمان من حديث عمر بن الخطاب
وقوله عليه السلام لو ان رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر لله
افضل الطبرانى فى الكبير عن ابى موسى وقوله مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر
ربه مثل الحى والميت رواه الشيخان عن ابى موسى الاشعرى وقوله اذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر رواه احمد والترمذى
والبيهقى عن انس واخرج الترمذى من حديث ابى هريرة مرفوعا اذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا قلت وما رياض الجنة قال المساجد قلت وما الرتع يا رسول الله قال
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقوله ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة
مرت بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبرانى وابن السنى عن معاذ وقوله اكثروا
ذكر الله حتى يقولوا مجنون احمد وابن حبان وابو يعلى وابن السنى والحاكم والبيهقى
من حديث ابى سعيد الخدرى ﴿ومنها﴾ اى من اصناف الورد (الدعاء فورد الدعاء
مخ العبادة) الترمذى من حديث انس والدعاء هو العبادة اصحاب السنن الاربعة والحاكم
وقال صحيح الاسناد وقال الترمذى حسن صحيح ليس شئ اكرم عند الله من الدعاء
الترمذى وقال غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ما من مسلم
ينصب وجهه لله فى مسألة الا اعطاها اياه اما ان يعجلها واما ان يدخرها له احمد عن
ابى هريرة الدعاء سلاح المؤمن ابو يعلى والحاكم عن على من سره ان يستجيب الله له
عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء الترمذى والحاكم عن ابى هريرة وقال صحيح

الاسناد من لم يدع الله غضب عليه ابن ابى شيبة فى مصنفه من حديث ابى هريرة ونعم ماقيل

(شعر) الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسأل يغضب

واختلف هل الافضل هو الدعاء او السكوت تحت جريان القضاء مع ان الدعاء لاينافى الرضاء فقيل الاول افضل لحديث الدعاء مخ العبادة وقيل الثانى اكمل لقوله عليه السلام من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين و يؤيده قول الخليل عليه السلام علمه بحالى يغنى عن سؤالى وقيل يختلف باختلاف الاوقات من البسط والقبض والخوف والرجاء ونحوها من الحالات وقيل ماكان لنفسه فالسكوت اولى وماكان لغيره فالدعاء احرى (وحقه) اى الدعاء (ان يترصد) اى ينتظر (شرائف الاوقات) لما ورد فيه فضيلة من يوم) كيوم عرفة و يوم الجمعة (وليلة) كليلة الجمعة وليلة القدر (وسحر) وهو قبيل الصبح على ماذكره الجوهرى والسدس الاخير على ماقاله الزمخشرى والثلث الاخير على مايفهم من كلام الغزالى لقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وقيل ان يعقوب عليه السلام انما قال لبنيه سوف استغفر لكم ربى ليدعو فى وقت السحر فقيل انه قام فى وقت السحر يدعو واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء وعن عائشة ماالفى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الاعلى فى بيتى اوعندى الا نائما متفق عليه ولم يقل البخارى الاعلى (وجوف الليل) اى وسطه واثنائه كله اونصفه (وعند الزوال) اى الاستواء فانه بمنزلة نصف الليل ولانهما غالبا وقت الغفلة او بعد الزوال الاخير لما ورد فيه من فتح ابواب السماء (وصعود الامام يوم الجمعة وفى جلسة الخطيب) اى على المنبر (وغروب الشمس فيها) اى وعنده فى الجمعة اقوال فى ساعة الجمعة وقد بيناها مع غيرها من الاقوال وما ورد فيما سبق من اوقات الدعاء فى شرح الحصن الحصين (وبين الاذان والاقامة) يوم الجمعة اومطلقا فورد الدعاء بين الاذان والاقامة لايرد وقد جعله صاحب الحصن فى الاحوال والحديث رواه ابوداود والترمذى والنسائى وابن حبان عن انس وزاد الترمذى قالوا فانقول يارسول الله قال اسئلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة (وبين الظهر والعصر يوم الاربعاء) لم اجده وكان حقه ان يذكر رمضان فى اوقات الاجابة فروى البزار والطبرانى عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وحضر رمضان اتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة و يحط الخطايا ويستجيب الدعاء الحديث (والاحوال) اى وان يترصد شرائف الاحوال كالغزو (ونزول المطر) رواه الشافعى فى الام مرسلا وقال قدحفظت عن غير واحد جرب الاجابة عنده (واداء الفرض) ظاهره بعد ادائه و يحتمل وقوعه فى اثنائه قال ابو هريرة

ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة وروى ابوداود والحاكم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان لاتردان اوقلما تردان الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلتحم بعضهم بعضا وفى رواية عنه ايضا مرفوعا قال ووقت المطر اوتحت المطر (وختم القرآن) خصوصا من القارئ فعن العرباض مرفوعا من صلى صلوة فريضة فله دعوة مستجابة الطبرانى فى الكبير وعن الحكم بن عتبة قال مجاهد وعنده ابن ابى لبابة واناس يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذى ارادوا ان يختموا ارسلوا الى والى سلمة بن كهيل فقالوا انا كنا نعرض المصاحف فاردنا ان نختم اليوم فاحببنا ان تشهدونا انه كان يقال اذا ختم القرآن نزلت الرحمة عند ختمه رواه ابن ابى شيبة فى مصنفه وابو بكر بن ابى داود فى كتاب المصاحف بسند صحيح (والمشى الى المسجد) فورد انه عليه السلام اذا خرج للصلوة قال اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وعن يمينى نورا وعن شمالى نورا وخلفى نورا رواه الشيخان وغيرهما عن ابن عباس وفى رواية كان يقول اللهم انى اسألك بحق السائلين عليك و بحق ممشاى اليك فانى لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء وانى خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ان تنقذنى من النار وان تدخلنى فى الجنة مع الابرار (والصوم) اى حاله فورد الصائم لايرد دعوته الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابى هريرة (والافطار) اى وقته فورد ان للصائم عند فطره لدعوة ماترد ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر (والسجدة) اى حال السجود فورد اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء رواه مسلم (والرقة) اى رقة القلب ودمعة العين بذكر الرب (والتيقظ لجلاله تعالى) فانهما من علامات الاجابة (والمرض) فقد ورد اذا مرض العبد ثلاثة ايام خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ابو الفتح عن انس وعن عمر مرفوعا اذا دخلت على مريض فمره يدعولك فان دعاءه كدعاء الملائكة كذا فى المشكوة (والغربة) فقد روى البزار عن ابى هريرة ثلاث حق على الله ان لايرد لهم دعوة الصائم حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع (وقراءة الاخلاص) لم اجده (والكون فى الجماعة تبلغ مائة) ذكر فى الحصن الحصين فى احوال الاجابة اجتماع المسلمين وقال رواه الجماعة عن ام عطية الانصارية (والوقوف بعرفات) فورد خير الدعاء دعاء يوم عرفة الترمذى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (والملتزم) وكذا زاوية الكعبة وعند زمزم (وعند قبره صلى الله عليه وسلم) وكذا فى مساجده ومشاهده (والكل مأثور) والبعض مشهور وفى الحصن زيادات عليه وقد شرحنا لديه من بيان اماكن الاجابة والذين يرجى لهم الاجابة وقد خلط المصنف بين الاحوال والرجال والامكنة والازمنة (ويستقبل القبلة ويرفع يديه)

لما روى مسلم عن جابر انه عليه السلام اتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وللنسائى من حديث اسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات (حتى يرى ما تحت ابطيه ضاما كفيه جاعلا بطنهما نحو السماء فهو مروى) اى عن انس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه فى الدعاء متفق عليه لكنه مقيد بالاستسقاء وعن ابن عباس كان عليه السلام اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف وعن عمر كان عليه السلام اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه الترمذى وقال غريب والحاكم فى المستدرك وسكت عليه (وورد انه تعالى يستحيى ان يردهما صفرا) بكسر الصاد اى خاليا فعن سلمان ان ربكم حيى كريم يستحيى من عبده اذا رفع يديه ان يردهما صفرا ابوداود والترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما (دون العين) اى لا برفعهما الى السماء حال الدعاء (فهو منهى عنه) فعن ابى هريرة مرفوعا لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او ليخطفن ابصارهم رواه مسلم ولا يبالغ فى رفع صوته لما روى ابوموسى الاشعرى قال قدمنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا اصواتهم فقال ايها الناس ان الذى تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذى تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث ابى موسى يا ايها الناس ان الذى تدعون ليس باصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لابى داود وعن عبد الله بن مغفل مرفوعا سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وفى رواية والطهور ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم ويؤيده قوله تعالى * ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين * وورد اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه وفى لفظ صوته ابومنصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث الحسن فالاخفاء فى الدعاء افضل لتلك الآية واثنى له تعالى ثناء على زكريا * اذنادى ربه نداء خفيا (ويفتتح) اى يبتدئ الدعاء (بالتحميد) كما فى سورة الفاتحة وقع الثناء قبل الدعاء وقال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد (والصلوة) اى على النبى عليه السلام فورد من حديث فضالة بن عبيد قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى احدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء رواه الجماعة وورد اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلوة على فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضى احديهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكى كذا فى الاحياء وقال العراقى لم اجده مرفوعا وانما هو موقوف على ابى الدرداء (ويختتم) اى الدعاء (بهما)

اى بالحمد لقوله تعالى * وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين * وبالصلوة (لكونهما) يكونان (مقبولين فلا ترد حاجته فى البين) قال ابو سليمان الدارانى من اراد ان يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يسئل الله حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله تعالى يقبل الصلاتين وهو اكرم ان يدع ما بينهما (ويقدم) على دعائه (ربنا) اى يا ربنا (خمسا فورد فيه) اى فى حق تقديم ربنا خمسا وهو قوله تعالى * ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك * الى قوله (فاستجاب لهم ربهم وحاجة الآخرة) اى ويقدمها على حاجة الدنيا لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا (لتسارع النجاح) اى الفوز والفلاح (ويجتنب الجهر والمخافة) اى بل يجعل دعاءه وسط الحالة (فورد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) اى بدعائك كما قالت عائشة وهو متفق عليه وتمام الآية * وابتغ بين ذلك سبيلا * لكن الظاهر ان المراد بصلاتك بقراءتك فيها كما تقدم وهو اما فى التهجد او المعنى لا تجهر بصلاتك على الدوام ولا تخافت بها فى تمام الايام وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجعل بعض الصلوات جهرية كالصبح والعشائين والجمعة والتراويح وبعضها سرية كالظهر والعصر وسائر النوافل وكان عليه السلام اذا قرأ من الليل رفع طورا وخفض طورا ابو نصر عن ابى هريرة (ولا يتكلف بالسجع) فى الدعاء فان حال الداعى ينبغى ان يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه (فورد اياكم والسجع فى الدعاء) وتمامه بحسب احدكم ان يقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذبك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وهو غريب بهذا السياق وللبخارى عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فانى عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لا يفعلون الا ذلك اى عدم تكلف السجع ثم المنع انما هو التكلف فى السجع بخلاف ما اذا ورد على مقتضى الطبع والا ففى الادعية المأثورة على لسان صاحب الشرع جاءت كلمات متوازنة مؤتلفة الا انها غير متكلفة كقوله عليه السلام اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفون بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد الترمذى من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب وكقوله اللهم انى اعوذبك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع احمد وابن حبان والحاكم عن انس وزيد فى رواية ومن هؤلاء الاربع وكقوله اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا احمد فى مسنده عن ابى سعيد مرفوعا (والاولى ان يقتصر على المأثور لئلا يسأل ما لا صلاح فيه) فانه اذا جاوزه قد يعتدى فيسأل ما لا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن فى دعوته ولذا روى عن معاذ ان العلماء يحتاج اليهم فى الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا ولا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء ولانه عليه السلام تعليما لامته الكرام ما ترك

شيئا مرغوبا الا دعا الله وطلبه ولا امرا مرهوبا الا سأل الله وتعوذه وقد جمعت
الدعوات المصطفوية مع الدعوات القرآنية وسميته بالحزب الافخم والورد الاعظم
(ويتضرع) اى بالاستكانة والتذلل عنده (ويخفى) اى الدعاء عن غيره (فورد*
ادعوا ربكم تضرعا وخفية) والقياس على الذكر اولانه احد انواعه وقد ورد* واذكر
ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول* وفى الحديث وخير الذكر الخفى
(ويحقق الرجاء) اى فى اجابة الدعاء لحديث لا يقل احدكم اللهم اغفر لى ان شئت اللهم
ارحمنى ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له متفق عليه من حديث ابى هريرة ولحديث
اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شئ رواه مسلم من حديث ابى هريرة
(فورد ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة) تمامه واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من
قلب غافل الترمذى من حديث ابى هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد
وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عزوجل اجاب
دعاء اشر الخلق ابليس اذ قال رب انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
وما احسن من قال من اهل الحال لو كان فيه خير لقال انظرنى مكان انظرنى (ويلح) اى
يكرر الدعاء (فورد ان الله يحب الملحين فى الدعاء) الحكيم وابن عدى والبيهقى عن عائشة
اما ما ورد من حديث ان الله يبغض السائل الملحف فمحمول على سائل الخلق لمخالفته
كلام الحق فى مدح الصحابة لا يسألون الناس الحافا واقله التثليث فعن ابن مسعود
كان عليه السلام اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم واصله متفق عليه
(ولا يستعجل) بان يستبطئ الاجابة (فورد يستجاب لاحدكم ما لم يعجل) تمامه فيقول
فدعوت فلم يستجب لى متفق عليه من حديث ابى هريرة وقال بعضهم انى اسأل الله
تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابنى وانا ارجو الاجابة سألت الله ان يوفقنى لترك
ما لا يعنينى وقد ورد اذا سأل احدكم ربه مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته
تتم الصالحات ومن ابطأ عنه من ذلك شئ فليقل الحمد لله على كل حال البيهقى فى الدعوات
من حديث ابى هريرة والحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف
وللبيهقى فى كتاب الصفات من حديث حبيب بن ابى ثابت قال حدثنا شيخ لنا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا جاءه شئ يكرهه قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه
شئ يعجبه قال الحمد لله المنعم المتفضل الذى بنعمته تتم الصالحات (ولا يذكر الطاعة)
اى طاعته السابقة عند الدعوة (فهو يورث العجب) اى والمقام يقتضى المذلة وفيه
نظر اذ جعله صاحب الحصن من آداب الدعاء تقديم عمل صالح كما فى حديث ابى بكر
رضى الله عنه فى صلوة التوبة رواه الاربعة وكذا ذكر عمل صالح عند الشدة ويدل عليه
حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال بينما ثلثة نفر يتماشون اخذهم المطر فآووا الى غار
فى الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض
انظروا اعمالا عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال احدهم الحديث

الطويل (ولا المعصية) اى ولا يذكرها (فهو ينفى الايقان) اى بالاجابة وان كان
فى حيز الامكان والاولى ان يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون ادعى الى الاجابة
كما سيأتى اليه الاشارة وقد تقدم ايضا فى طى العبارة (وقد جاء النذر) اى فى الكتاب
والسنة فيجوز ان تقول مثلا ان استجاب الله دعائى فلله على ان اصلى كذا او اصوم
كذا ونحو هذا (لقصة مريم رضى الله عنها) فقالت امها حنة امرأة عمران
رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم الآيات وحيث
قالت مريم انى نذرت لله خمسين صوما ولقوله تعالى فى وصف الابرار* يوفون بالنذر
ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا*
الآيات (والاضطرار) عطف على الرجاء اى وتحقق الاضطرار وهو اظهار كمال
الاحتياج والافتقار (فورد امن يجيب المضطر اذا دعاه) وهو يعم الكفار (والاصل) اى
فى قبول الاجابة (التوبة) اى حصولها بان يجتنب الحرام فى مأكله ومشربه وملبسه ومكسبه
لما رواه مسلم والترمذى عن ابى هريرة رفعه انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه
الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فانى يستجاب لذلك
(ورد المظالم) فانه من اركان التوبة وقال سفيان الثورى بلغنى ان بنى اسرائيل قحطوا
سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال
يبكون ويتضرعون فاوحى الله عزوجل الى انبيائهم لو مشيتم الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم
وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فانى لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا
حتى تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم (وتوجيه الهمة اليه تعالى) اى
تخليص قصد القلب الى جانب الرب وعدم الالتفات الى ما سواه فى المطلب فان همة
الرجال تهد الجبال بل هو من اركان الدعاء قال تعالى* فادعوا الله مخلصين له الدين
وقال* فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (فالنافع) اى من الدعاء
او من المأثور (هو الحضور) اى مع الله فى مجلس الانس والسرور (اذ المقصود
الانس به تعالى) الموجب للنور فى الصدور واما الحور والقصور وسائر انواع الحبور
فالالتفات اليها نوع من التقصير والقصور (وبه) اى بالانس فى حضرة القدس (يرجى
خير الخاتمة) اللاحقة التى مدارها على العناية السابقة كما يشير اليه قوله تعالى* ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى (ويلازمه) اى يلازم مطلق الدعاء (فى الرخاء) اى فى حال
النعماء والآلاء (ليندفع البلاء) اى فى السراء والضراء فورد من سره ان يستجيب الله له
عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء الترمذى عن ابى هريرة والحاكم عن سلمان
وقال صحيح الاسناد وروى البيهقى والخطيب عن جابر مرفوعا لقد بارك الله فى حاجة
اكثر الدعاء فيها اعطيها او منعها (ويرغب فى دعاء ذى فضيلة دينية) اى من العلماء
الاعلام والمشايخ الكرام والامام العادل للانام (فورد) ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام

العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم وللبيهقى عن ابى هريرة ثلاثة لا يرد الله دعوتهم الذاكر الله كثيرا والمظلوم والامام المقسط وقد ثبت انه عليه السلام قال لعمر حين اعتمر شاركنى فى دعائك يا اخى وروى مسلم من حديث عمر انه قال لاويس القرنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يأتى عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرئ منه الاموضع درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله لابره فان استطعت ان تستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له (ويتقى دعاء المظلوم) فورد اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله وعزتى وجلالى لانصرنك ولو بعد حين الطبرانى فى الكبير والضياء عن خزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمر ولفظه اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كأنها شرارة واحمد والطيالسى من حديث ابى هريرة دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره على نفسه واسناده حسن والظاهر ان المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل ان يكون المراد به الكافر لما فى رواية ولو كان كافرا رواه احمد وابو يعلى والضياء عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان كان كافرا فانه ليس دونها حجاب ولابن حبان من حديث ابى ذر الغفارى قلت يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها يا ايها الملك المسلط المبتلى المغرور انى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا اردها وان كانت من كافر (ولا يدعو على احد) لئلا يهلك بسبب دعائه احد ولو كان ظالما لقوله تعالى * فمن عفا واصلح فاجره على الله (فالكل مأثور) اى وعامله فى كله مأجور ❊ ومنها ❊ اى من جملة الاوراد (التفكر) فورد ويتفكرون فى خلق السموات والارض) اى فى مخلوقاتهما او فى كيفية ايجادهما او ابقائهما بامدادهما وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر (تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة) ذكره الفاكهانى من كلام السرى السقطى وقال قال ابن عباس وابو الدرداء فكر ساعة خير من قيام ليلة انتهى واخرجه الديلمى عن انس وفى الجامع الصغير للسيوطى فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة ابو الشيخ فى العظمة عن ابى هريرة فقيل هو الذى ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرحب والرغبة الى الزهد والقناعة وقيل هو الذى يحدث مشاهدة فانها نتيجة المراقبة (وهو) اى التفكر (طلب المعرفة) بنظر الفكرة (اوله التذكر) اى اول التفكر تذكر ما نسى من جهة الغفلة (وهو) اى التذكر (احضار القلب) من اضافة المصدر الى فاعله (المعارف) اى معرفة نعمته الظاهرة والباطنة واعلم ان المواظبة على الاوراد هو الطريق الى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لان الناظرين بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا فى لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله وعارفا بمولاه وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة على فكر المطلوب وان المعرفة

لا تحصل الا بدوام الذكر والفكر فيه وفى صفاته وافعاله وليس فى الوجود سوى ذاته وصفاته وافعاله فى مصنوعاته ثم لم يتيسر دوام الذكر والفكر الا بتوديع الدنيا وشهواتها والاكتفاء منها على قدر البلغة وضرورياتها وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات الليل وساعات النهار فى وظائف الاذكار ولطائف الافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملالة لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد من الافعال والاحوال اظهرت الملال والاستثقال وقد ورد ان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت من اصل وفرع لتكثر بالانتقال لذتها وتغزر باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها ولله در القائل من ذوى الفضائل (شعر) لا تصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل هذا طبع للبشر * فاصله اصلا لا يتغيروا اما الملائكة فهم لا يسأمون فكل جمع منهم على طاعة مستمرون ولذا ينقسم الاوراد بقسمة مختلفة لاوقاتها وحالاتها والذكر والفكر ينبغى ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثر الحالات فان النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا والبطالات فان صرف العبد شطر اوقاته مثلا الى تدبيرات الدنيا وشهواتها والشطر الآخر الى العبادات وتحسين حالاتها رجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها فى الطبع والهوى اذ الوقتان متساويان فانى يتقاومان فالطبع لاحدهما مرجح لا محالة اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويتباعدان عن طريق العقبى فمن اراد ان يدخل الجنة بغير المحاسبة فليستغرق اوقاته فى الطاعة قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون * وورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقال عز وعلا * كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا * ومن اراد ان يترجح كفة حسناته ويثقل ميزان خيراته فليستوعب فى الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا وآخر سيئا فامره مخطر ومقتطع ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله تعالى منتظر متوقع فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه ولطفه وحلمه (وجدواه العلم) اى ثمرة الفكر وفائدته ونتيجته ثلاثة مترتبة وهى العلم والحال والعمل هذا معنى قوله (وهو) اى العلم (حصول المعرفة المثمر للحال وهو) اى الحال (تأثر القلب المثمر للعمل وهو) اى العمل (خدمة الجوارح) اى الاعضاء فى الطاعة وتوضيحه ان ثمرة الفكر ثلثة العلم والحال والعمل ولكن ثمرته الخاصة هى العلم نعم اذا حصل العلم فى القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات وهذا يكشف لك عن فضيلة الفكر وانه خير من الذكر لان فى الفكر ذكرا وزيادة وذكر القلب خير من عمل الاركان (ومجراه) اى مجرى التفكر ومسراه شيئان (اما المعاملة) وهو مبدأ السلوك فى طريق المجاملة (وحقه) اى حق

التفكر فى المعاملة الظاهرة (ان يبدأ) اى يبتدئ بالنظر والتأمل (فى معاصيه الظاهرة) واحدا بعد واحد ويتفكر فى كل (هل هذا محظور) اى حرام او مكروه (ثم هل يوجد فيه) اى المحذور المذكور (ثم ما التدبير فى دفعه) بالسعى المشكور (ثم فى طاعته) اى وبعد ذلك يتفكر فى انواع طاعته الظاهرة ويتأمل فى كل فرد منها (هل هذا مندوب) اى مستحب اوسنة مؤكدة او واجب اوفرض محتم (ثم هل هذا مقدور) اى مصور له بانه مستطيع فى تحصيله من الزكوة والحج ونحوهما المستغنى عن تفصيله (ثم فى الباطن كذلك) اى بعد ذلك يتفكر فى المعاصى الباطنية من الاخلاق الردية والاحوال الدنية هل شئ منها يوجد فيه وما علاجه واخراجه حيث يدافع المقصود وينافيه وكذا فى الطاعات الباطنية من الشمائل الرضية والفضائل البهية نفيا واثباتا (و اما المكاشفة) عطف على المعاملة اى ومجراه الادلى الامور المكاشفة المتعلقة بالمولى (فهو) اى التفكر الموجب للمكاشفة انما هو (فى اسمائه الحسنى وصفاته العليا) الواردة فى الكتاب والسنة (وملكوت السموات والارض) اى وبواطنها المملوءة من العجائب والغرائب فى الطول والعرض (اما الذات المقدس فلاسبيل اليه الا بالذكر) لقوله تعالى * ولا يحيطون به علما * وقال على كل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك وقال عز وعلا ليس كمثله شئ * وقال بعضهم كل اسم لتخلق الا اسم الله فانه لمجرد التعلق (فورد لا تفكروا فى ذات الله) ابن ابى شيبة فى كتاب العرش عن ابن عباس موقوفا وابو نعيم فى الحلية عنه مرفوعا بلفظ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله ذكره الزركشى وهو موقوف على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلانى فى فتح البارى فى كتاب التوحيد وفى الجامع الصغير للسيوطى تفكروا فى كل شئ ولا تفكروا فى ذات الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك ابو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس وفى رواية له عن ابى ذر بلفظ تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا وله ايضا عن ابن عباس تفكروا فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق فانكم لا تقدرون قدره ايماء الى قوله تعالى * وما قدروا الله حق قدره * اى ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته وفى رواية تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى الله ابو الشيخ والطبرانى فى الاوسط ابن عدى والبيهقى عن ابن عمرو ابو نعيم فى الحلية عن ابن عباس ولفظه تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله (والعقل يعجز عنه) اى عن ادراك ذاته سبحانه (عجز الخفاش عن ضوء النهار) اى لضعف بصر الخفاش وقوة نور الشمس فهو عز وجل من غاية نوره مخفى عن ظهوره ومن هنا قيل * العجز عن درك الادراك ادراك (وحقائق الصفات كذلك) اى لا يدرك كنهها هنالك (فلا يطيقه الا الخواص) من الانبياء وكمل الاولياء (احيانا) فى اعلى مراتب مقامهم (ولا يذكرون للعوام الا على قدر افهامهم)

لتقيدهم بتصورات اشكالهم وامثالهم فى عقولهم واوهامهم (فعلى العبد) السالك طريق الارادة (ان يديم العبادة) بالصلوة والتلاوة (ظاهرا وباطنا) بالذكر والفكر ويترك المألوف والعادة (لتحصيل محبته تعالى اذهى اهم) من المطلوبات واتم من المقصودات وقد قال تعالى * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله * الآيات وعن عائشة من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله رواه ابن السنى فى رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال العراقى وتحقيق هذا الخبر انه مقته الله فتركه ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت عليه الملالة (ففى النهار يشتغل) بالاذكار والافكار (بعد الفجر) اى ظهور الصبح والاسفار (الى الاشراق) اى طلوع الشمس وضوء النهار لقوله تعالى * يسبحن بالعشى والاشراق (لازما مكانه) وملازما شانه (الا ان يخاف الرياء) فى عبادة ربه سبحانه (او التشويش) اى تشويش الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الحق هنالك (فيرجع ويلزم زاوية) اى معدة لذلك (فكانوا) اى السلف (يبالغون فى رعايته) اى مراعاة هذا الوقت (ويعيبون المتكلم فيه) اى بكلام الدنيا ويخوفونه بالمقت (ووردانه) اى احياءه (احب من عتق اربع رقاب من ولد اسمعيل) بفتح الواو واللام وبضم فسكون اى اولاده واحفاده من العرب (وبعد العصر الى المغرب كذلك) اى يشتغل بعد اداء العصر الى غروب الشمس كما ذكر هنالك واصل الحديث لان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلوة الغدوة حتى تطلع الشمس احب الى من ان اعتق اربعة من ولد اسمعيل ولان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلوة العصر الى ان تغرب الشمس احب الى من ان اعتق اربعة ابو داود بسند حسن عن انس وفى رواية له لان اقعد فى مجلس ذكر الله من صلوة الغدوة الى طلوع الشمس احب الى من ان اعتق اربعة رقاب وروى احمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن جابر بن سمرة انه عليه السلام كان اذا صلى الغدوة جلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى رواية الترمذى عن انس من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (وكان تعظيمهم) اى السلف (اياه) اى ما بعد العصر (اكثر) من تعظيم ما بعد الفجر اذ هو وقت الغفلة وبعد وجود المعصية والحديث الاعمال بالخواتيم فينبغى قيامه بالاستغفار ودوامه بالاذكار والافكار ومحاسبة ما جرى له من اعمال الفجار فعن الحسن كانوا اشد تعظيما للعشى منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول النهار للدنيا وآخره للعقبى فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره فليشتغل بتدارك تقصيره فى امره وليحضر فى قلبه ان نهار العمر له انتهاء تغرب فيه شمس الحيوة ولا يكون له بعدها طلوع وابتداء وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضى لا محالة جملتها بانقضاء آحادها المحدودة (وورد) فى تخصيص فضل هذين الوقتين (واذكر اسم ربك بكرة

واصيلا) اى صبحا وعشيا (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وقال تعالى * واذكر ربك كثيرا (وسبح بالعشى والابكار) اى اطراف النهار (يا ابن آدم اذكرنى بعد) صلوة (الفجر ساعة وبعد) صلوة (العصر ساعة اكفك مؤنة ما بينهما) ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا عن الحسن (ويقرأ المسبعات العشر) فانه المستغاث للعسر (فى الوقتين) المذكورين (ففيه فضل كثير) كما ذكره فى الاحياء لكن قال العراقى حديث كرز بن وبرة عن رجل من اهل الشام عن ابراهيم التيمى ان الخضر علمه المسبعات العشر وقال فى آخرها اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له اصل ولم يصح فى حديث قط اجتماع الخضر بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا مماته انتهى والعشرة هى فاتحة الكتاب والكافرون والاخلاص والمعوذتان وآية الكرسى والصلوة على النبى عليه السلام واللهم اغفرلى ولوالدى وللمؤمنين والمؤمنات وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم واللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم كل واحدة من العشرة يقرؤها سبع مرات (وكذلك) اى يشتغل بالعبادة (ما بين الاشراق) وهو اول طلوع الشمس (والضحى) وهو الضحوة الكبرى وهو الربع بالتخمين الاحرى ثم فيه تفصيل بالنسبة الى اهل الارادة (ان كان مجردا لها) اى للعبادة (يشتغل بما سبق من العبادات) يعنى التلاوة والذكر والفكر والصلوة ونحوها من الطاعات (ينتقل) حال او بدل اشتمال او بيان انتقال (من نوع عبادة الى اخرى على حسب صلاح قلبه) فيما يراه حينئذ اولى واحرى فى الدنيا والاخرى وانما ينتقل فى تلك الحالة (قطعا للملالة) ودفعا للكسالة ورفعا للبطالة فورد عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبرانى عن عمران ابن حصين فقد كان فى الصحابة من ورده فى اليوم اثنى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون الفا وكان فيهم من ورده ثلاثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل فى اورادهم فى الصلوة مائة ركعة فى اليوم والليلة وكان بعضهم اكثر ورده القرآن فيختم فى اليوم مرتين او مرة وكان بعضهم يمضى اليوم والليلة فى التفكر فى آية واحدة وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة يطوف فى كل يوم سبعين اسبوعا وفى كل ليلة سبعين اسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك مكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان (والافضل قراءة القرآن فى قيام الصلوة متدبرا) اى ليلا ونهارا (ففيه) اى فى جمعهما يحصل (الصلوة والتلاوة والتعلم) اى بفهم المبنى وتصور المعنى (والحضور) مع المولى (والذكر) اى وانواع الذكر واصناف الفكر فى الهيئات

المخلفة والحالات المؤتلفة وهذا فى حق المنتهى واما المبتدى ففى حقه دوام الذكر المجرد افضل والقراءة بالنسبة الى المتوسط امثل على ما قاله العارف السهروردى فى المعارف (وبغيره) اى ويشتغل بغير ما سبق ايضا من الحسنات (كعيادة المريض) لاسيما الفقير والغريب (وتشييع الجنازة) خصوصا للعلماء والاولياء (واعانة المسلم) واغاثته فى الامر المهم (وحضور مجلس العلم فهى عبادات) اى عظيمة وفيها مثوبات جسيمة (وكانوا يفعلونها ما بين الاشراق والضحى) اى فى غالب احيانهم وعرف اهل زمانهم (وان لم يكن) اى السالك (متجردا) للعبادة (فالعالم او المتعلم يشتغل بالعلم) اى يشتغلان بتعليمه وتعلمه (فوردانه) اى الاشتغال بالعلم (افضل من صلوة الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقراءة القرآن) وتقدم ان هذا الحديث لا يصح فالاولى ان يستدل بنحو فضل العالم على العابد كفضلى على ادناكم ثم قراءة القرآن انما تعد من العبادة اذا كانت مجرد التلاوة واما تعلمه وما يتعلق به من انواع القراءة فهو من افضل العلوم فان شرف العلم بشرف المعلوم (غير ان المراد) اى المقصود هنا (بالعلم علم الآخرة) اى علم ينفع فى الآخرة كالكتاب والسنة الفاخرة (لما سبق) فى المقدمة من تقسيم علماء الدنيا وعلماء الآخرة وان غير علم الآخرة يقسى القلب فضلا عن حصول الثواب ووصول القرب (فيتفكر) اى كل من العالم والمتعلم (فى حل المشكل بعد الاشراق) او قبله بعد اداء الفجر فانه افضل بالاتفاق (فالقلب فيه) اى فى صدور النهار (اصفى) اى ابعد من الاكدار (لكونه بعد الذكر) اى بعد وقوع الصلوة والاذكار (قبل عمل الدنيا) وما يتعلق بهذه الدار المشتملة على انواع من الاوزار وقد ورد اللهم بارك لامتى فى بكورها (والمشتغل بامور الناس) اى عموم المسلمين (كالقاضى والوالى) وهو الامام المتولى وكذا المدرس والمفتى (اوامور) اى امور نفسه (كالكاسب) ونحوه (يشتغل بتلك الامور مراعيا بشروطها) كما هو المشهور وقد قيل لا ينبغى ان يوجد المؤمن الا فى ثلاثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او كسب لا بد منه فيحضره (ذاكرا فى اثنائها) اقوله تعالى * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * الآية (محضرا قلبه) مراعيا ربه (قاصرا كسبه على الحاجة) اى قدر الضرورة له فى امر المعيشة من النفقة (الا) اى لكنه يجوز له الزيادة (للصدقة) اى لاجل ان يتصدق على ذى الحاجة (فقيل هو) اى الكسب للتصدق (احب من الذكر لانه) اى نفقة التصدق (متعد) للغير والذكر قاصر ثوابه على الذاكر (وقيل الذكر) هو الافضل من التصدق وهذا هو الظاهر فقد ورد لو ان رجلا يقسم دراهم وآخر يذكر لكان الذاكر لله افضل ولقول عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقد اتفق المشايخ على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر (والاولى النظر الى صلاح القلب) اى

والهام الرب فقد يصلح للواحد الكسب للتصدق فيكون اولى فى حقه من الذكر وقد يصلح الذكر للآخر فيكون اولى من الكسب للتصدق ويشير اليه قوله تعالى * ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا * وحديث ان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسد حاله وان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسد حاله ومن هنا قال عمر الفقر والغنى مطيتان لا ابالى ايهما اركب لكن الفقر اسلم والله اعلم (و يديم الورد فورد احب الاعمال ادومها وان قل) متفق عليه من حديث عائشة (بل يزيد) اى المريد فى الورد ان كان من اهل المزيد كمية او كيفية (فورد لا بورك لى فى يوم لا ازداد فيه خيرا) اى علما او عملا والحديث كذا فى الاحياء وقال العراقى ورد علما بدل خيرا وقلت واصل الحديث على ما فى الجامع الصغير اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله تعالى فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم الطبرانى فى الاوسط وابن عدى وابونعيم فى الحلية عن عائشة (ويجمع) فى يوم واحد (بين الصوم والصدقة والعيادة والتشييع فورد من جمعها فى يوم غفر له او ادخل الجنة) شك من الراوى قال العراقى حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة غفر له وفى رواية دخل الجنة مسلم من حديث ابى هريرة ما اجتمعن فى امرئ الا دخل الجنة انتهى وفى الجامع الكبير للسيوطى عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من اصبح اليوم منكم صائما قال ابو بكر انا قال من عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال من شيع اليوم منكم جنازة قال ابو بكر انا قال وجبت لك الجنة رواه البخارى وليس فيه ذكر الصدقة وله في رواية اخرى اوسقط من الكاتب وفى الجامع الصغير من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب البيهقى عن ابى هريرة وفى رواية له ولابن عدى والبخارى فى تاريخه عن جابر من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا واطعم مسكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة (اما فى الليل) اى فى ورده (فالاحوط ان يوتر) اى يصلى الوتر (قبل النوم فيحتمل ان لا يستيقظ) اذ النوم اخو الموت (او) يستيقظ و(يكره القيام) لاستثقال المنام فيتركه (ولو ادركه الموت لذهب به) اى بالوتر فيكون آثما فى الفوت (وفيه) اى وفى تقديم العمل (قصر الامل) وفى التأخير آفات لاحتمال قرب الاجل قال ابو هريرة اوصانى خليلى ان اوتر قبل ان انام متفق عليه (والاقوى) اى الافضل والاولى (ان يؤخر الوتر لمن يألف) اى يعتاد ويثق (بالقيام) بعد المنام وقد قالت عائشة اوتر عليه السلام اول الليل واوسطه وآخره وانتهى فى وتره الى السحر متفق عليه (ويقرأ يس) فى كل ليلة والافضل فى التهجد فلابن حبان من حديث جندب من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له ولابى منصور الغزنوى من حديث على يا على اكثر من قراءة يس الحديث (وسجدة) الاولى والسجدة

فالترمذى من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك (ولقمان) لم اجده وكذا فى الاحياء لم يذكره (والدخان) فالترمذى من حديث ابى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك (والملك) وقد سبق ولابى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث (والزمر) فالترمذى من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر وقال حسن غريب (والواقعة) فللحارث بن ابى اسامة من حديث ابن مسعود من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم يصبه فاقة ابدا (والمسبحات الست) اى السور المصدرة بالتسبيح وهى الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى فالترمذى وقال حسن وابو داود والنسائى فى الكبرى من حديث عرباض ابن سارية كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة و يقول فيها انها افضل من الف آية (و ينام) اى بعد القيام (عند الغلبة) اى غلبة النوم (فهو المأثور) فقد روى ابو داود والنسائى من حديث عائشة ما من امرئ تكون له صلوة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وفى رواية النسائى وابن ماجه من حديث ابى الدرداء بسند صحيح من اتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله (وورد كانوا قليلا من الليل) اى من زمانه (ما يهجعون) اى الذى يرقدون فيه او كانوا ما يرقدون قليلا من الليل فاخر مراعاة للفواصل او كانوا قليلا من عبادنا ما يرقدون من الليل اى بعضه او كله وقيل ما زائدة ويهجعون خبر كان وقليل ظرف اى ينامون فى زمن يسير من الليل و يقومون اكثره والآيات والاخبار والآثار فى احياء الليل كثيرة شهيرة منها سورة المزمل وقوله تعالى * تتجافى جنوبهم عن المضاجع * الآيات وفى الحديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم الترمذى من حديث بلال والطبرانى والبيهقى من حديث ابى امامة بسند حسن وعن المغيرة بن شعبة قام النبى صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا الترمذى فى الشمائل واصله فى الصحيحين وذكر عنده رجل نام حتى اصبح فقال ذاك بال الشيطان فى اذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (ولا يصلى بعدها) اى بعد غلبة النوم (فورد) حين قيل ان فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل (ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليرقد) وقد ورد قيامه عليه السلام اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له فى الليل نومتان كذا فى الاحياء قال العراقى رواه ابو داود والترمذى وصححه وابن ماجه من حديث ام سلمة كان يصلى و ينام قدر ما صلى ثم يصلى قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح وللبخارى من حديث

ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى اربع ركعات ثم نام ثم قام انتهى وفى الشمائل عن عائشة كان اذا لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم اوغلبته عيناه صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة وفى مسلم عنها انه عليه السلام كان اذانام من الليل من وجع اوغيره فلم يقم من الليل صلى اثنتى عشرة ركعة اى تداركا لمافاته من التهجد بقوله تعالى * وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اواراد شكورا * وفى صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه من الليل اوعن شئ منه فقرأ مابين صلوة الفجر وصلوة الظهر كان كمن قرأ من الليل (لاتكابدوا الليل) اى لاتغالبوه فورد ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الاغلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة البخارى والنسائى عن ابى هريرة عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه احمد والحاكم والبيهقى (وفيه) اى فى التهجد بعد غلبة النوم (التعبد على ملال وجاء) اى فى ذمه (انمه اكبر من نفعه) اذربما يجرى على لسانه موجب ذمه واثمه (وتحمل مالايطاق) اى وفيه تكليف مالايستطيع وقد قال تعالى * ولاتحملنا مالاطاقة لنابه * ولايكلف الله نفسا الاوسعها (وورد تكلفوا من الدين) اى الاعمال (ماتطيقون) فعن عمران بن حصين عليكم من الاعمال ماتطيقون فان الله لايمل حتى تملوا الطبرانى (وتبغيض العبادة) اى وفيه ابغاضها (الى النفس) وفى نسخة بالنون والصاد المهملة اى تمريرها اليهانى شدة تكريرها (وورد لاتبغض) بالوجهين (اليك عبادة الله) لم اجده منى ويوافقه ماسبق معنى (و يجتهد فى القيام) اى بعد المنام (فورد) فى نعت عباد الرحمن (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما صل من الليل ولوقدر حلب شاة) رواه ابو يعلى من حديث ابن عباس فى صلوة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة ولابى الوليد بن المغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لابدمن صلوة الليل ولوحلبة ناقة اوحلبة شاة (فالاولى ان يقوم كل الليل) اى ان قدر عليه وفيه انه بظاهره خلاف الكتاب والسنة ومناف لماتقتضيه الحكمة ففى القرآن * قم الليل الاقليلا * ومن الليل فتهجد * وفى السنة انى انام واقوم وافطر واصوم ولم يحفظ عنه عليه السلام انه سهر ليلة كاملة فى جميع الايام واما الحكمة فقد جعل الله النوم سباتا اى راحة للابدان ومن فيه على الانسان حيث قال * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * (وهو) اى احياء الليل كله (لمن تجرد له) اى لقيامه ومنع النفس عن منامه اوجعل المنام فى نهاره بدلا عن قيامه فى مرامه (وقوى يقينه) اى وصلب دينه (فيتلذذ به ويتغذى) اى روحه بسببه فيهون عليه شدة امره و تحلو عليه مرارة صبره ومن الاسباب المعينة على سهره خوف يغلب على قلبه مع قصر امله بحثه على تكثير

عمله اورجاء يحمله على تكلفه وتحمله كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين ويقابله ان ذكر الجنة طير نوم الراقدين وكما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى ولذى النون المصرى (شعر)

* منع القرآن بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها ان تهجعا *
* فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلت اليه تخضعا *

ومن اشرف البواعث الحب لله فانه فى قيامه لايتكلم فى حرف من كلامه الا وهو مناج به حضرت ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ماخطر بقلبه فاذا كمل فى محبة ربه احب لامحالة الخلوة به وتلذذه المناجاة بسببه فيحمله تلك اللذة على طول القيام ودفع المنام وقال بعض الاعلام ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الاما يجده اهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال آخر لذة المناجاة ليست من الدنيا وانما هى من الجنة اظهرها الله لاوليائه لايجدها سواهم وقال على بن بكار منذ اربعين سنة مااحزننى شئ سوى طلوع الفجر وقال الفضيل اذاغربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذاطلعت حزنت لدخول الناس على وقال ابوسليمان اهل الليل فى ليلهم الذمن اهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء فى الدنيا وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء ومنهم ابوحنيفة امام الفقهاء (وهو) اى قيام الليل كله (محكى عن اربعين منهم) اى من التابعين قال ابوطالب المكى ان ذلك حكى على سبيل التواتر والاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة منهم سعيد بن المسيب وفضيل وطاوس ووهب بن منبه والربيع بن خيثم وابوسليمان الدارانى والخواص ومالك بن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى ويحيى البكاء ومحمد بن المنكدر وكهمس بن المنهال وكان يختم القرآن فى الشهر تسعين ختمة ومالم يفهمه رجع وهذا كاد ان يكون من قبيل خرق العادة من طى اللسان او بسط الزمان والله المستعان (ثم النصف) اى يقوم نصف الليل (وواظب عليه) اى قيام النصف (من لايحصى) من السلف (ثم الثلث ثم السدس) فعن عائشة كان يقوم اذاسمع الصارخ يعنى الديك وهذا يكون السدس فادونه والحديث متفق عليه وفى الجملة ربما كان عليه السلام يقوم نصف الليل اوثلثه اوسدسه ففى الصحيحين من حديث ابن عباس نام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل اوقبله بقليل او بعده بقليل استيقظ الحديث وهو المطابق لقوله سبحانه وتعالى * قم الليل الاقليلا نصفه اوانقص منه قليلا اوزدعليه * والموافق لقوله تعالى * ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه * فاثبت انه قام الثلثين ولابى داود نام حتى اذا ذهب ثلث الليل اونصفه استيقظ الحديث ولمسلم من حديث عائشة فيبعث الله ماشاء ان يبعثه من الليل (والاحب ان يجعل) اى سهره (فى الجوف) اى اوساط الليل (فورد ركعتان فى جوف الليل خير من الدنيا ومافيها ولولا ان اشق

على امتى لفرضتهما) آدم بن ابى اياس فى الثواب ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر قال العراقى ولا يصح قلت والضعيف يعمل به فى الفضائل اتفاقا (ثم) اى بعد السدس (ركعتان او اربع) وكان الاولى ان يقول اربع ركعات او ركعتان ولو قعودا فقد ثبت انه عليه السلام ما مات حتى كان اكثر صلاته من النوافل جلوسا (ثم احياء ما بين العشائين) فقيل نزل فيه قوله تعالى * تتجافى جنوبهم عن المضاجع * وعن محمد بن المنكدر من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها صلوة الاوابين وعن ابى هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة الترمذى وابن ماجه وفى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى اربع ركعات بعد المغرب قبل ان يتكلم احدا رفعت له فى عليين وكان كمن ادرك ليلة القدر فى المسجد الاقصى ولعل الجمع بين الروايتين ان الاربع يراد به المستحب بعد الركعتين من المؤكدة وورد من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى له قصر فى الجنة فقال عمر اذا نكثر قصورنا يا رسول الله فقال عليه السلام اكثر رواه ابن المبارك فى الزهد من رواية عبد الكريم بن الحارث مرسلا وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود فى هذا الوقت الا ورأيته يصلى فسألته فقال نعم هى صلوة الغفلة وقال احمد بن ابى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى اصوم النهار واتعشى ما بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيى ما بينهما فقال اجمع ما بينهما فقلت ان لم يتيسر فقال افطر وصل ما بينهما (والقيام قبل الصبح) اى ليدرك احياء بعض الليل من اوله وآخره فقد ورد من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكانما صلى الليل كله احمد ومسلم عن عثمان (وروى) اى فى الحديث (المنام كلما غلب والقيام كلما استيقظ وهو افضل) مما ذكر من التقديرات (لانه اشق) والحديث فيه قد سبق (والمعين عليه) اى على القيام تسعة اشياء (ان لا يكثر الاكل فهو سبب لكثرة الشرب القائد الى كثرة النوم) وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة لزيادة الفائدة فى امر الدين ويقول يا معشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتحسروا عند الموت كثيرا (ولا يتكلف) بالنهار (فى امور تعنى) بالنون من العناء او بالياء من الاعياء اى يتعب (الاعضاء وتضعف الاعصاب) الاجزاء (ويقيل) بفتح اوله من القيلولة فانها من السنن المنقولة والمراد منها الاستراحة نصف النهار وان لم يكن منها نوم فورد قيلوا فان الشياطين لا تقيل الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الطب عن انس وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم ولهوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون (ولا يذنب) اى فى النهار (فهو) اى الذنب والعصيان (سبب الحرمان) فينبغى ان يجتنب الاوزار بالنهار حتى

يقوم بالليل مع الابرار قال رجل للحسن يا ابا سعيد انى ابيت معافى واحب قيام الليل واعد طهورى فما لى لا اقوم قال ذنوبك قيدتك وقال الثورى حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما هو ذلك الذنب قال رأيت رجلا يبكى فقلت هذا مراء وقال ابو سليمان الدارانى لا يفوت احد صلوة جماعة الا بذنب قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد يجر الى الكثير فكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة بل هذا هو الاكثر وهذه الامور المذكورة من الاسباب الظاهرة التى بها تيسر قيام الليل واما الاسباب الباطنة فقوله (ويفرغ القلب عن هموم الدنيا) فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام بامر العقبى وان قام فى بعض اوقاته فلا يتفكر فى صلاته الا فى تفاريق مهماته وفى مثل ذلك يقال * وانت اذا استيقظت ايضا فنائم * بخلاف العالم فان نومه عبادة ويقظته افادة وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة (ويلازم الخوف منه تعالى) اى من مناقشة حسابه (ومن اليم عقابه) وحجابه من بابه (ويقصر الامل) بان ينتظر الاجل ليكثر العمل (ويذكر ما ورد فى فضله) اى فضيلة القيام من الآيات والاخبار عنه عليه السلام (وما وعد عليه) اى الله سبحانه من القربة اليه والمثوبة لديه (والاصل) اى الذى عليه مدار الاسباب (محبته تعالى) والاقبال على المولى والزهد فى الدنيا والاستعداد فى العقبى (واستحكام الايمان) اى بالعرفان والايقان (ليكون متغذيا به) فى جميع الازمان وكما ان للاشباح غداء وعشاء فكذا للارواح غذاء ودواء فمن ايقن نزول رحمته وحصول مغفرته فى وقت السحر ونحوه لا يفوته قيام الليل ولا فى سفره فقد روى النسائى عن حميد بن عبد الرحمن ان رجلا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قلت وانا فى سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لارقبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر فى الافق فقال * ربنا ما خلقت هذا باطلا * حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد وفى رواية الى آخر السورة ثم استل من فراشه سواكا وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث وفى رواية اخذ سواكه من مؤخرة الرحل وهذا صريح فى انه كان فى سفر (ويراعى فواضل الليالى كالاوتار من العشر الاواخر من رمضان) اذ فيها تطلب ليلة القدر كما فى الاخبار الكثيرة والآثار الشهيرة لاسيما السبع والعشرين فان عليه اكثر الصحابة والتابعين (والسابعة عشر منه) فعن ابن الزبير انها ليلة القدر وهى ليلة صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر (والاولى من المحرم) فانه الشهر المكرم ومبدأ العام المفخم فاسرار البداية تدل على انوار النهاية (والعاشرة منه) اى من المحرم وهى ليلة عاشوراء (والاولى من رجب) وقد كان عليه السلام اذا رأى هلال رجب قال اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان وبلغنى انه شهر الغفران ويقال فيه

سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من جميع الذنوب والآثام ثم رأيت
المنوفى قال وقد افاد صاحب ترغيب الطالب فى اشرف المطالب انه رأى بخط الشيخ
الحافظ كمال الدين الدميرى عن ابن عباس مرفوعا من قال فى شهر رجب وشعبان
استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم واتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه
لا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا نشورا سبع مرات اوحى الله تعالى الى الملكين الموكلين
ان خرقا صحيفة ذنوبه ويكفينا فى ثبوت وروده ادخال الحافظ الدميرى بنقله بخطه
ساكتا عنه ولو كان موضوعا لبينه فانه امام فى هذا الفن واقل مراتبه ان يكون
ضعيفا والضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال اتفاقا (والخامسة عشر) وهى ليلة النصف
منه (والسابعة عشر والعشر بن منه) وفى الاحياء وليلة سبع وعشرين منه قال وهى
ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة فورد للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى
اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل
ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة
ويستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من امر دنياه
وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله الا ان يدعو فى معصية قال
العراقى ذكر ابو موسى المدينى فى كتاب فضائل الليالى والايام ان ابا محمد الخبازى رواه
من طريق الحاكم ابى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن ابان عن انس مرفوعا
ومحمد بن الفضل وابان ضعيفان جدا والحديث منكر من جملتها حديث ابى هريرة
من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم
الذى هبط فيه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم ابو موسى المدينى من رواية شهر بن
حوشب عنه (والخامسة عشر من شعبان) وفى الاحياء واما ليلة النصف من شعبان
فيصلى فيها مائة ركعة ويقرأ فى كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب
كانوا لا يتركونها فقال العراقى حديث باطل نعم لابن ماجه من حديث على اذا كانت
ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وفى الاثر عن عمر انه كان يقول
فى ليلة النصف من شعبان اللهم ان كنت كتبتنى من السعداء فاثبتنى وان كنت كتبتنى
من الاشقياء فامح واكتبنى فى السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب
(وليلة عرفة) لم اجد له اصلا (والعيدان) اى وليلتى العيدين فقد روى من احيى ليلتى
العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ابن ماجه باسناد ضعيف من حديث ابى امامة
(والايام) اى ويراعى فضائل الايام (كالعيد) اى يومى العيدين (والتشريق)
اى ايامها او لم يكن فى منى (وما يجيئ) اى فى آخر الباب الثالث من الصوم (ان شاء الله
تعالى والافضل يوم الجمعة وليلته) وهو سيد الايام عند الملائكة كما ورد ويوم المزيد
فى الآخرة لزيادة حصول اللقاء فيه لاهل الولاء وورد خير يوم طلعت عليه الشمس
يوم الجمعة مسلم عن ابى هريرة وان لله تعالى فى كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار

ابن عدى وابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث انس وقيل يوم عرفة
افضل وقيل يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم عرفة افضل ايام السنة وقد ورد من مات
يوم الجمعة او ليلة الجمعة كتب له اجر شهيد ووقى فتنة القبر ابو نعيم فى الحلية من حديث
جابر وللترمذى نحوه من حديث عبد الله بن عمرو والحكيم فى النوادر وعن عائشة
مرفوعا اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة ابن حبان
فى الضعفاء وابو نعيم وهو ضعيف (فلا يعطل) اى من الطاعة (عصر الخميس فهو
متبرك) اى بقربه لليلة الجمعة وكذا اوله متبرك فلابن ماجه عن ابى هريرة والطبرانى
فى الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم الخميس وفى رواية
قال عليه السلام اغدوا فى طلب العلم فانى سألت ربى ان يبارك لامتى فى بكورها
يوم الخميس واما ما اشتهر فى هذا اللهم بارك لامتى فى سبتها وخميسها فباطل
لا اصل له (ويستعد لصلوة الجمعة بغسل الثياب) اى فى اول النهار او فى يوم الخميس
وهو الاولى ليقدر على التبكير الاعلى (والاغتسال) وهو سنة مؤكدة للصلوة على الاصح
ويشهد له ما ورد من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا ابن حبان والبيهقى
من حديث ابن عمر وقيل او جوبه وهو ظاهر حديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم
متفق عليه من حديث ابى سعيد وعن نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل الشيخان
وابن حبان وقد قال عمر لعثمان لما دخل يخطب اهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال
ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء وقد علمت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل متفق عليه من حديث ابى هريرة
وقد علم جواز ترك الغسل بما ورد من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل
فالغسل افضل ابو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث سمرة وكان عليه
السلام ربما اغتسل يوم الجمعة وربما ترك احيانا الطبرانى عن ابن عباس وورد
رحم الله من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر اصحاب السنن وحسنه الترمذى وابن
حبان والحاكم وصححه من حديث اوس بن اوس (والتطيب) اى استعمال الطيب
المناسب له فورد طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه
وخفى ريحه ابو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابى هريرة وقال الشافعى
من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وورد حقا على المسلمين ان يغتسلوا
يوم الجمعة وليمس احدهم من طيب اهله فان لم يجد فالماء له طيب الترمذى
عن البراء (وتفريغ القلب عن الشواغل) كما يشير اليه قوله تعالى * اذا نودى
للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع * وفى معناه كل
شاغل عنها ظاهرا او باطنا (ومن ثم جاء) اى من اجل تفريغ القلب ورد
(ان يأتى اهله) اى يجامع قاصد الجمعة امرأته او امته وحمل عليه رواية

غسل بالتشديد اى حمل اهله على الغسل قال العراقى ومن اغتسل غسل الجنابة
فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزأه
وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى الجنابة انتهى ولا يخفى
ان تكرار الغسل من غير فصل بعبادة يعد من الاسراف فالاولى ان يغتسل واحدا
وينويهما وفى الاحياء ومن اغتسل ثم احدث توضأ ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز
عن ذلك انتهى ولا يخفى ان هذا محمول على ان الغسل لليوم لا للصلوة (ويقلم الاظفار)
اى فى اول يوم الجمعة فعن ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وعن
ابى هريرة انه عليه السلام كان يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يروح
الى الصلوة البيهقى فى الشعب وله ايضا من مرسل ابى جعفر الباقر قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يستحب ان يأخذ من اظفاره وشاربه يوم الجمعة او يوم الخميس
اذا اراد التبكير وسئل احمد عنه فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم الخميس
وعنه يتخير قال العسقلانى وهذا هو المعتمد انه يستحب كيف ما احتاج اليه وورد قصوا
اظافيركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر الخطيب فى الجامع باسناد ضعيف
من حديث جابر وقد جاء الامر بتنظيف ما تحت الاظفار فى رواية الطبرانى من حديث
وابصة بن معبد سألت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن كل شئ حتى سألته
عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وسنده ضعيف
وورد انه عليه السلام استبطأ الوحى فقيل له يا رسول الله لقد ابطأ عنك جبريل فقال
ولم لا يبطئ عنى وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون
رواجبكم ولا تغسلون براجمكم احمد من حديث ابن عباس والرواجب رؤس الانامل
وما تحت الاظفار من الوسخ والبراجم معاطف ظهور الانامل قال الغزالى ولم ار
فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روى عنه عليه السلام
انه بدأ بالمسبحة اليمنى وختم بابهامه اليمنى وابتدأ باليسرى بالخنصر الى الابهام وتعقبه
العراقى بقوله لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبد الله المازنى فى الرد على الغزالى وشنع
عليه به قلت لا تشنيع عليه حيث انه بين على ما ثبت لديه مع انه نفى رؤية رواية خبر
مسند اليه والحاصل ان التقليم من باب التنظيف فهو وغيره من قص شاربه ونتف
الابط وحلق العانة يقدم على الغسل (ويتعمم) فعن ابى الدرداء ان الله وملائكته
يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة الطبرانى وابن عدى وعن ابن عمر مرفوعا
صلوة بعمامة تعدل بخمس وعشرين وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة وعن انس
مرفوعا الصلوة فى العمامة بعشرة آلاف حسنة الديلمى وحكم بعض الحفاظ بضعفه بل
بوضعه لكن فى الجامع الصغير للسيوطى وقد التزم فيه ان لا يورده موضوعا عن ابن
عمر رواية ابن عساكر صلوة تطوع او فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلوة

بلا عمامة وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة بلا عمامة (ولا يركب) لانه اقرب
الى حسن الادب والتواضع مع الرب والظاهر قوله تعالى *فاسعوا الى ذكر الله* ولانه
اشق والاجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج والعمرة (ويبالغ فى التبكير)
ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء (فهو المأثور) اى صح فضل
البكور فقد ورد من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ومن راح
فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب
كبشا ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما اهدى دجاجة ومن راح فى الساعة
الخامسة فكأنما اهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام
واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلوة
ليس له من الفضل شئ متفق عليه من حديث ابى هريرة الا ان قوله ورفعت الاقلام
عند البيهقى من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وذكر ابن مردويه فى التفسير
من حديث على باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام
وغدا سائر الملائكة الى المساجد التى تجمع فيها يوم الجمعة واقلاما من ذهب وصحفا
من فضة يكتبون الاول فالاول على مراتبهم ووردان الملائكة تفتقدون العبد
اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل فلان وما الذى اخره
عن وقته فيقولون اللهم ان كان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه وان كان
اخره شغل فافرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك البيهقى
من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بسند حسن ومن فوائد البكور عدم تخطى
رقاب اهل الحضور فقد ورد من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا
الى جهنم الترمذى وابن ماجه من حديث معاذ بن انس وروى ابن
جريج مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذا رأى رجلا
يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم عارض الرجل
حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع معنا اليوم فقال يا نبى الله قد جمعت قال اولم
ارك تخطى رقاب الناس ابن المبارك فى الرقائق وفيه اشارة الى ان الله تعالى احبط عمله
ونقص امله وفى حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلى معنا قال اولم ترنى قال رأيتك
انيت وآذيت اى تأخرت عن البكور وآذيت الحضور والحديث رواه ابو داود والنسائى
وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا وقيل لبشر بن الحارث
نراك تبكر وتصلى فى آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد
فاشاربه الى ان ذلك اسلم لقلبه وقيل لسفيان الثورى البس فى الخبر ادن فاستمع فقال
ويحك ذلك للخلفاء الراشدين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب
الى الله تعالى وروى عن على وعثمان رضى الله عنهما من استمع وانصت فله اجران

ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران وورد حديث ابى هريرة اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت متفق عليه ولابى داود من حديث على من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ولاحمد من حديث ابن عباس والذى يقول له انصت ليس له جمعة وحديث ابى ذر لما سأل ابيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى انزلت هذه السورة فاومأ اليه ان اسكت فلما نزل النبى صلى الله عليه وسلم قال له ابى اذهب فلا جمعة لك فشكاه ابوذر الى النبى عليه السلام فقال صدق ابى واطع ابيا البيهقى وقال فى المعرفة اسناده صحيح ولابن ماجه من حديث جابر ان السائل له ابو الدرداء وابو ذر ولاحمد من حديث ابى الدرداء انه سأل ابيا ولابن حبان من حديث جابر ان السائل عبدالله ابن مسعود ولابى يعلى من حديث جابر قال قال سعد بن ابى وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم يا سعد قال لانه كان يتكلم وانت تخطب فقال صدق سعد (ويصلى قبل الجلوس فى الجامع اربعا بالاخلاص) اى منضمة بقراءة الاخلاص (خمسين مرة) بعد الفاتحة (فى كل ركعة) فقد نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له كذا فى الاحياء وقال العراقى حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله احد مائة مرة الحديث رواه الخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا وفى نسخة بعد الحديث الدار قطنى فى غرائب مالك وقال لا يصح (ففى الكل) اى فى جميع ما سبق من الغسل الى هنا (فضائل) لارباب الشمائل واذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا وروى عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك كذا فى الاحياء وسكت عنه العراقى وقد رأيت الحديث فى الجامع الصغير مستندا الى ابن السنى عن عائشة بلفظ من قرأ بعد صلوة الجمعة قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس سبع مرات اعاذه الله بها من السوء الى الجمعة الاخرى فقال من داوم هذا الدعاء اغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلى بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضى الله عنهما انه كان عليه السلام يصلى بعد الجمعة ركعتين متفق عليه وروى ابوهريرة اربعا رواه مسلم وروى على وعبدالله ستا البيهقى موقوفا على على وله موقوفا على ابن مسعود اربعا ولابى داود من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا والكل صحيح فى احوال مختلفة والاكثر افضل (ويشتغل بعد الاقامة) اى بعد فراغ اقامة صلوة الجمعة (لصلوة جنازة او تعلم)

العلوم شرعية (او زيارة اخ فيه) اى فى حبه (تعالى) شانه (فيها) اى بمثلها (فممر ما ورد وابتغوا من فضل الله) فقد قال انس فى قوله تعالى * فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله * اما انه ليس ابتغاء المعاش اطلاب الدنيا لكن عيادة مريض اوشهود جنازة او تعلم علم او زيارة اخ فى الله (لا باستماع القصص) اى من الاخبار التى بينت فى التواريخ (فهو بدعة فكانوا) اى الصحابة (يخرجون القصاص من المسجد) فقد حضر ابن عمر فى المسجد الى مجلسه فاذا قاص يقص فى موضعه فقال له قم عن مجلسى فقال لا اقوم فقد جلست وسبقتك فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه من مجلسه ولو كان ذلك من السنة لم يستحل اقامته فقد قال عليه السلام كما فى الصحيحين لا يقيمن اخاه احدكم من مجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه يعود اليه وروى ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده (ويرقب الساعة المرجوة الموعود فيها) اى فى تلك الساعة (الاجابة) اى غالبا ففى الخبر المشهور ان فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه اياه الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزنى وفى خبر آخر لا يصادفها عبد يصلى متفق عليه من حديث ابى هريرة (واختلف فيها) اى فى تعيين تلك الساعة (على طلوع الشمس) اى على اقوال قيل عند طلوع الشمس (والزوال) اى عنده او بعده وقيل بعد الاذان الاول (وصعود الامام) اى على المنبر وقعوده (والقيام للصلوة) اى صلوة الجمعة كما بينا ادلتها فى شرح الحصن (ومنتهى الاستحباب فى العصر) اى اوله او آخره (والغروب) اى وقته فقيل هى آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل ما بين العصر الى الغروب (وروى فيه) اى فى حين الغروب او فيما ذكر من ما بين العصر والغروب والاول انسب لقوله (رعاية فاطمة رضى الله عنها) وكانت تروية عن ابيها عليه السلام وكانت توكل الخادم لفقد هذا الوقت لتقوم فى طلب المرام وفى رواية تأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فاذا تدلى جناحها الاسفل يؤذنها بسقوطها فتأخذ فاطمة رضى الله عنها فى الدعاء والاستغفار الى غروبها قال العراقى حديث فاطمة فى ساعة الجمعة رواه الدار قطنى فى العلل والبيهقى فى الشعب وعليه الاختلاف (ورواتها) اى رواية رعايتها (تؤيد ما روى لا يوافقها) اى الساعة وفى رواية لا يصادفها (عبد) اى مسلم (يصلى) اى يدعو بقرينة قوله (الا استجيب له) وقد قال كعب الاحبار انها فى آخر ساعة فى يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابوهريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلوة قال

كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد منتظرا للصلوة فهو فى الصلوة
قال بلى قال فذلك صلوة فسكت ابوهريرة وكان كعب يقول الان هذه رحمة
من الله تعالى للقائمين بحق اليوم وان ارسالها بعد الفراغ من اتمام العمل كذا
فى الاحياء وتعقبه العراقى بان كعبا هو القائل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام
واما كعب فانما قال انها فى كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ابوداود والترمذى
والنسائى وابن حبان من حديث ابى هريرة ولابن ماجه نحوه من حديث عبد الله
ابن سلام انتهى وروى البيهقى فى الشعب عن فاطمة مرفوعا ان فى الجمعة لساعة
لايوافقها مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه اذا تدلى نصف الشمس للغروب
هكذا رأيت فى هامش نسخة والله اعلم (والمبهمة كليلة القدر) وكالصلوة الوسطى
والاسم الاعظم (فيستغرق اليوم لرعايته) اى لمراعاة ادراكها (وهو) اى الابهام
(اصوب) وفى الاحياء قيل انه يتنقل فى ساعات الجمعة كتنقل ليلة القدر وهو الاشبه
وله سر لايليق بعلم المعاملة ذكره لكن ينبغى ان تصدق بما قال عليه السلام ان لربكم
فى ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغى ان العبد
فى جميع نهاره متعرض لها باحضار القلب وملازمة ذكر الرب والنزوع عن
وساوس الدنيا وهو اجس النفس والهوى فعساه ان يحظى بشئ من تلك النفحات
انتهى والحديث رواه الترمذى والحكيم فى النوادر والطبرانى فى الاوسط من حديث
محمد بن مسلمة ولابن عبد البر فى التمهيد نحوه من حديث انس ورواه ابن ابى الدنيا
فى كتاب الفرج من حديث ابى هريرة (ويكثر الصلوة عليه عليه السلام) اى فى يوم الجمعة
وليلتها فقد ورد اكثروا الصلوة على فى الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلاتكم
تعرض على البيهقى عن ابى هريرة وابن عدى عن انس وفى رواية البيهقى
عن انس اكثروا من الصلوة على فى يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا
وشافعا يوم القيمة وفى رواية ابن ماجه عن ابى الدرداء اكثروا من الصلوة على يوم
الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته
حين يفرغ منها وفى رواية للبيهقى عن ابى امامة اكثروا من الصلوة على فى كل جمعة
فان صلوة امتى تعرض على فى كل يوم جمعة فمن كان اكثرهم على صلوة كان اقربهم
منى منزلة وكانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم الف مرة ويقولون سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وروى من صلى على يوم الجمعة ثمانين
مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم
صل على عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وتعقد واحدة الدار قطنى من رواية
ابن المسيب قال اظنه عن ابى هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث
حسن وفى الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضاء

ولحقه اداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو اهله
واجزه افضل ما جزيت نبيا عن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين
والصالحين يا ارحم الراحمين يقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها سبع جمع فى كل
جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته وان اراد ان يزيد اتى بالصلوة المأثورة فيقول *
اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامى بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك
ورحمتك وتحيتك على محمد رسولك سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين
ورسول رب العالمين وقائد الخير وفاتح البر ونبى الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما
محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه فيغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل
والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيعة اللهم اعط
محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل
ميزانه وابلج حجته وارفع فى اعلى درجات المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته
واجعلنا من اهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته واوردنا حوضه واسقنا بكأسه
غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يارب العالمين * ابن
ابى عاصم فى كتاب الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود بسند
ضعيف ووقفه ابن ماجه على ابن مسعود (وقراءة القرآن) اى يكثرها فيه فيقرأ سورة
الكهف خاصة فعن ابى سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطى
نورا من حيث يقرأ الى مكة وغفر له من الجمعة الى الجمعة وفضل ثلاثة ايام
وصلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح ويمسى وعوفى من الداء والدبيلة وذات
الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال رواه البيهقى (ويتصدق) اى يوم الجمعة
فى غير الجامع او لغير السائل فيه فقد قال ابن مسعود اذا سأل الرجل فى المسجد فقد
استحق ان لا يعطى (بشيئين مختلفين) كدرهم ودينار او ثوب وقرص او خبز وادام
او فاكهتين مختلفتين فعن كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين
مختلفين من الصدقة ثم رجع وركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما
ثم يقول * اللهم انى اسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله الذى لا اله الا هو
الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم * لم يسأل الله شيئا الا اعطاه وفى رواية ابن حبان
عن ابى هريرة مرفوعا من انفق زوجين من شئ من الاشياء فى سبيل الله دعى من ابواب
الجنة هذا خير وللجنة ابواب الحديث ورواه الخطيب عن انس بلفظ ما من مسلم
ينفق زوجين فى سبيل الله عز وجل الا دعته الجنة هلم هلم ولا يخفى ان المتبادر من
الزوجين ان يكون الشيئان متفقين لا مختلفين كدرهمين ودينارين وثوبين وعن
بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم يقول حين
يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم اسألك ان تغفرلى وترحمنى وتعافينى

من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له (ويصلى) اى يوم الجمعة (صلوة التسبيح) وقد بسطت الكلام عليها فى شرح الحصن رواية ودراية وعلما وعملا وقد علمها عليه السلام لعمه العباس وقال له صلها فى كل جمعة الحديث ابو داود وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال (وفى الكل) اى جميع ما تقدم (فضائل) اى واردة عن اصحاب الشمائل (وجاء قراءة يس والسجدة والدخان والملك) اى فى ليلة الجمعة وقد سبق بيانها وبرهانها (والمسبحات الست) اى المتقدم شانها (والاكثار بالاخلاص) اى بقراءة سورة الاخلاص (فقراءتها الف مرة فى عشر ركعات او عشرين افضل من الختم) اى ختم القرآن بدونها اوفى غير الصلوة وهذا لم اجده مرويا لكن ورد من قرأ قل هو الله احد الف مرة فقد اشترى نفسه من الله الخرائطى فى فوائده عن حذيفة واما حديث قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن فرواه مالك واحمد والبخارى وابو داود والنسائى عن ابى سعيد وجماعة عن جماعة كاد ان يكون متواترا وفى الاحياء الاحسن ان تجعل وقته للصلوة الى الزوال وبعد الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار وسائر الاذكار وينبغى ان يلازم المسجد حتى يصلى العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل ويقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعنى فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله تعالى متفكرا فى آلائه شاكرا لله على نعمائه من جملتها توفيقه للطاعة خائفا من تقصيره مراقبا قلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة فلا ينبغى فى الجامع وغيره من المساجد التكلم بحديث الدنيا فانه عليه السلام قال يأتى على الناس زمان يكون حديثهم فى مساجدهم بأمور دنياهم ليس لله عز وجل فيهم حاجة فلا تجالسوهم البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا واسند الحاكم من حديث انس وصححه ولابن حبان من حديث ابن مسعود ونحوه (ولا يخصه بصوم وقيام الليل فهو) اى التخصيص (منهى عنه) روى مسلم عن ابى هريرة لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام الا ان يكون فى صوم يصوم احدكم وفى رواية احمد عن ابى هريرة لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم (ويحافظ الرواتب) اى السنن المؤكدة بعد الفرائض وقبلها (وسائر السنن) اى المستحبة (كالتهجد) فى الليل (والضحى) فى النهار ركعتين او اربعا او ستا او ثمانيا او ثنى عشر فورد انه عليه السلام كان اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت وكانت فى ربع النهار من جانب المشرق صلى اربعا الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث على (واحياء ما بين العشائين) اى بالعبادة او بعشرين

ركعة او ست ركعات مطلقا ففى الكل فضائل وبعضها تقدم (والعيد) اى ويراعى عيد فطر او اضحى بالتكبير ونحوه (ويستعد له كالجمعة) من الغسل والتزين والتطيب (ويرجع عن المصلى) اى مصلى العيد حالة الاياب (فى غير طريق الذهاب فهو مروى) اى من فعله عليه السلام رواه مسلم (والتراويح) اى ويراعيها وهى عشرين ركعة واداؤها سنة مؤكدة (ويختم فيه فهو مأثور) اى عن الصحابة (ويختار الانفراد) عن الجماعة (ان خاف الرياء والجماعة) اى ويختارها (ان خاف الكسل) وقيل الانفراد افضل لقوله عليه السلام فضل صلوة التطوع فى بيته على صلاته فى المسجد كفضل الصلوة المكتوبة فى المسجد على صلاته فى البيت آدم بن اياس فى كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن ابى شيبة فى المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم موقوفا وفى سنن ابى داود باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلوة المرء فى بيته افضل من صلاته فى مسجدى هذا الا المكتوبة وعن انس صلوة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلوة وصلوة فى المسجد الحرام تعدل بمائة الف صلوة والصلوة بارض الرباط تعدل بالفى الف صلوة واكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل لا يريد بهما الا ما عند الله عز وجل ابو الشيخ فى الثواب وذكر ابو الوليد الصفار فى كتاب الصلوة تعليقا من حديث الاوزاعى قال دخلت على يحيى فاسندلى حديثا وهو صلوة فى مسجدى هذا افضل من الف صلوة فى غيره وصلوة فى المسجد الحرام افضل من مائة الف صلوة فى مسجدى وافضل من هذا كله رجل يصلى ركعتين فى زاوية بيته لا يعلمها الا الله وقيل ان الجماعة افضل لفعل عمر رضى الله عنه فانه عليه السلام قد خرج فيها ليلتين او ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت ان تفرض عليكم متفق عليه من حديث عائشة وجمع عمر الناس عليها فى الجماعة حيث امن الوجوب بانقطاع الوحى (ويخير) اى فى صلوة التراويح منفردا ومع جماعة (ان أمنهما) اى الرياء والكسل وانما يخير (لتضمن الجماعة البركة) المشتملة على السرور (والانفراد قوة الحضور) المتضمن لكثرة النور والحاصل ان هذه السنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلوة الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيهما جماعة نعم صلى عليه السلام التراويح بالجماعة ثم تركها خشية ان تكتب على الامة ثم كان الناس يصلون فرادى وجماعات مختلفة فجمعهم عمر على امام واحد وقال نعمت البدعة اى الحسنة وهى الجماعة المجتمعة المشيرة الى الفة الامة (والكسوف) اى ويراعى صلوة الكسوف وكذا الخسوف وتفصيلهما فى كتب الفقه وقد ورد ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله تعالى والى الصلوة قاله لما مات ولده ابراهيم عليه السلام وخسف الشمس وقال الناس

انما كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة (وكل ماورد) اى وبراعى جميع ماورد من السنة (فيه فضيلة كصلوة الرغائب) وهى فى اول ليلة جمعة من رجب يصلى اثنى عشرة ركعة بست تسليمات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاثا والاخلاص اثنى عشرة وبعد الفراغ يصلى على النبى عليه السلام سبعين مرة ويدعو بماشاء وهى بدعة منكرة كما صرح به النووى وغيره وكذا حديث مامن احد يصوم اول خميس من رجب الحديث فى صلوة الرغائب اورده رزين فى كتابه وهو موضوع كما قال العراقى (وليلة النصف من شعبان وهى) اى صلاتها (مائة ركعة بالاخلاص مائة مرة وكانوا) اى بعض السلف (يواظبون عليها) قال العراقى حديث باطل ولابن ماجه من حديث على اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده ضعيف (والاستخارة) اى وبراعى صلوة الاستخارة اودعاءها بعدها (وكان عليه السلام يعلمها تعليم سورة من القرآن) البخارى من حديث جابر وبسطنا الكلام عليه فى شرح الحصن (وركعتى الدخول فى المنزل والخروج) اى ركعتيه (منه) من المنزل فعن ابى هريرة قال عليه السلام اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء البيهقى فى الشعب والخراعى فى مكارم الاخلاق وابن عدى فى الكامل وفى الحديث ايماء الى قوله تعالى * وقل رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق * الآية (وركعتى دفع النفاق فى السر) اى بالخفية بان يصلى ركعتين يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفى الثانية قل هو الله احد ثم يقول اللهم انى اعوذبك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولما اجده مرويا (وتحية الوضوء) اى المسمى بشكر الوضوء وهى قبل جفاف اعضائه (والمسجد) اى اول دخوله قبل جلوسه فتحية الوضوء مستحبة لان الوضوء قربة مقصودها الصلوة ونحوها والاحداث عارضة بعدها وربما يطرؤ الحدث قبل الصلوة فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوت ولئلا يضيع السعى قبل الموت وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال عليه السلام دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت يا بلال بم سبقتنى الى الجنة فقال بلال لا اعرف شيئا الا انى لا احدث وضوء الا صليت عقيبه ركعتين او كما قال متفق عليه من حديث ابى هريرة وتحية المسجد سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط فى مذهب الشافعى وان كان الخطيب فى الخطبة يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وقد ورد اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين ابن عدى والبيهقى عن ابى هريرة (ولا يتعين لهما التطوع لحصول المقصود فى غيره) اى غير التطوع (وهو) اى المقصود (صون الوضوء والدخول عن التعطل) اى البطالة عن الطاعة (بل الفرض افضل) من النافلة فان ثوابه اكمل (ولا ينوى الصلوة للوضوء)

اى لا يقول نويت ان اصلى ركعتين للوضوء (بل يطلق) اى ينوى صلوة مطلقة (لان الوضوء للصلوة دون العكس) اذ ليست الصلوة للوضوء ولكن لو نوى شكرا لتوفيق الوضوء لا يبعد (ويحترز) عن النافلة (فى الاوقات المكروهة) اى مطلقا عندنا خلافا للشافعى حيث يجيز اداء صلوة لها سبب متقدم كتحية مسجد وشكر وضوء واستثنى الحرم ايضا (ففيها تعبد الاوثان) اى وفيها مضاهاة عبدة الشمس وسائر النيران (وينتشر الشيطان) اى ويكثر الوسواس للانسان وقد ورد ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيقت الغروب قارنها فاذ غربت فارقها النسائى من حديث عبد الله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبى صلى الله عليه وسلم (وفى الكف) اى الامتناع عن الصلوة فى الاوقات المكروهة وهى بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبعد صلوة العصر الى غروبها وبعد غروبها قبل اداء المغرب وكذا الاوقات المحرمة (يتجدد الشوق الى العبادة) ويرتفع عنه نوع من الملالة وقد ذكره دخول المسجد على غير وضوء او تيمم وان دخل لعبور ضرورة او جلس فى اوقات مكروهة فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات فيقال انها عدل ركعتين فى الفضل ولعله مأخوذ مما ورد اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وفسر الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ما تقدم والله سبحانه اعلم ثم هذه الاوراد لانواع السالكين من الزهاد والعباد فى استعداد زاد المعاد (اما العارف المستغرق همه فيه تعالى) اى فى ورد محبته وورد الحضور فى حضرته (فورده الحضور) اى حضور القلب فى ذكر الرب فى جميع المراتب (بعد الفرائض والرواتب ويغرق) اى هذا العارف فى علو المناقب (بان لا يهم بمعصية) اى لا يقصدها (ولا يغتر بطاعة) اى لا يكسلها (ولا ينزعج بمصيبة) اى لا يتزلزل ولا يجزع ولا يفزع بموت الاولاد والاحفاد وسائر الاقارب من الاخوان والخلان وذهاب الاموال وتغير الاحوال من الامراض وسائر شدائد الاهوال (ولا ينقلب) عن حاله ومقامه (بامر عظيم) كالقحط وفتنة البلاد وسائر البلايا العامة للعباد وهو الكريم الرحيم السميع العليم

الباب الثانى فى الانفاق والقناعة

(بسم الرحمن الرحيم) انفق فى الطاعة واعتنق بالقناعة فيما قسم لى الى قيام الساعة (ورد) اى فى التنزيل (ومن يوق شح نفسه) اى يحفظ ويصن بخلها فيما يجب عليها (الآية) وهى فاولئك هم المفلحون اى الناجون من النار والفائزون بالجنة اذ منعوا الزكوة هم الظالمون اى الواضعون الاشياء فى غير موضعها (والذين يكنزون الذهب والفضة) اى يجمعونها (ولا ينفقونها فى سبيل الله) اى وزكوتها لا يخرجونها (الآية) اى

فبشرهم بعذاب اليم *وفيه تهكم عظيم* يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم* لتعبسهم على الفقراء * وجنوبهم* لتكبرهم على الضعفاء * وظهورهم * لاعراضهم عن العلماء والصلحاء و يقال لهم بلسان القال او بيان الحال * هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون *قال الاحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمر بنا ابوذر فقال بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم و بكى من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وعن ابى ذر انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم فقال الاكثرون اموالا الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم متفق عليه (السخى قريب من الله تعالى والبخيل بعيد من الله تعالى) رواه الترمذى عن ابى هريرة والبيهقى عن جابر والطبرانى فى الاوسط عن عائشة بلفظ السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم) اى هلك والحديث كذا فى صحيح البخارى وفى رواية الترمذى عن ابى هريرة بلفظ لعن (والفقه) اى الحكمة والسر فى تشريع الانفاق (الابتلاء فى دعوى حبه تعالى وترك الدنيا) اى محبتها فانها لا تجتمع مع محبة المولى فان المحبة لا تقبل الشركة ولا تقدر بالجنة وانما تمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها وبسببها يأنسون بهذا العالم الدنيوى ولهواتها و ينفرون عن الموت مع لقاء المحبوب فى الجنة وما لذاتها فامتحنوا بتصديق دعواهم واستنزلوا عن المال الذى هو معشوقهم ومهواهم ولذا قال تعالى * ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة * وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا الى لقاء المولى والمسامحة بالمال اهون فبذله اولى (وظهور المراتب فيها) اى دعوى المحبة فقد قيل ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى (فالسابق كالصديق حيث ما ابقى شيئا) اى لا درهما ولا دينارا وتبعه جماعة من اهل التوفيق فى ابائهم ان يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم بل فرقوا جميع ما لديهم لئلا ينسب حب غيره سبحانه اليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة فى مائتى درهم فقال اما على العوام فى حكم ظاهر الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجمع (والمقتصد كالفاروق حيث ابقى النصف) اى واعطى النصف واصل الحديث جاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال عليه السلام لعمر ماذا ابقيت لاهلك فقال مثله فقال لابى بكر ماذا ابقيت لاهلك فقال الله ورسوله رواه ابوداود والترمذى والحاكم وصححاه من حديث عمر وفى رواية يونس عن الحسن انه قال لهما ما بين صدقتيكما كما بين كلاميكما (والقاصر هو المقتصر على الواجب) اى على اعطاء

قدره من غير زيادة فى اجره وفى كلام المصنف تلويح الى قوله تعالى * ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير * فيحتمل ان يقال القاصر المقصر انه الظالم على نفسه وغيره اذ الظالم هو مانع الزكوة ونحوه والعوام اقتصروا على قدر الواجب لبخلهم بالمال وجهلهم بالمآل وضعف حبهم بالمولى وشدة ميلهم الى الدنيا قال تعالى * ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا و يخرج اضغانكم * ومعنى يحفكم يستقصى عليكم فكم بين عبد استبدل منه نفسه وماله بان له الجنة و بين عبد لا يستقصى عليه لاجل بخله وهناك درجة اخرى دون الدرجتين الاوليين وهم الممسكون اموالهم بعد اخراج الواجبات المراقبون لاوقات الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم فى الادخار الانفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التنعم والرفاهة وصرف الفاضل عن الحاجة الى وجوه المبرة وطريق المسرة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان فى المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعى والشعبى وعطاء ومجاهد قال الشعبى بعد ان قيل له هل فى المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت قوله سبحانه وتعالى * وآتى المال على حبه * الآية تمامها * ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة * حيث عطف آتى الزكوة على آتى المال واستدلوا بقوله عز وجل * ومما رزقناهم ينفقون * وبقوله * وانفقوا مما رزقناكم * وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكوة بل داخل فى حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة ولا يبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة ذوى الرحم المحرم والله سبحانه اعلم (وتنقية الباطن) اى ومن جملة الحكمة فى الانفاق تنظيف القلب وتخليته (عن البخل) فورد ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه الطبرانى فى الاوسط عن انس (وتحليته) اى تزيين الباطن وتحسينه (بالشكر) اى بشكر النعمة وقد قال تعالى * لئن شكرتم لازيدنكم * وما انفقتم من شئ فهو يخلفه (وهو) اى ما ذكر من التنقية والتحلية او الانفاق انما يحصل (بقلع اسباب الحرص كحب عين المال) لا لغرض يحصل منه (وهو) اى حب عين المال (مرض مزمن) اى لا دواء له فى الزمن حيث لا ينفعه لفوات اغراضه واعواضه من المال (والشهوات) وكحب سائر الشهوات كما اشار اليه قوله تعالى * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب (وطول الامل) عطف على حب اى وكطول الامل بتوهم طول الاجل فانه يورث الملل عن العمل قال تعالى * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون (وخوف الفقر) قال عز وعلا * الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم

بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم (وقلة الوثوق بمجيء الرزق) وقد قال سبحانه * وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وقد ورد لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن عمر (وهم الولد فورد الولد مبخلة) تمامه مجبنة ابو يعلى في مسنده عن ابي سعيد وابن ماجه من حديث عبد الله بن سالم والحاكم وصححه ومعنى مبخلة ان يحمل ابويه على البخل فيدعوهما اليه فيبخلان لاجله ومعنى مجبنة ان يحمل اباه على ان يجبن عن الحروب استبقاء لنفسه من اجله

﴿ وطريقه ﴾ اى الطريق المحمود في الانفاق احد عشر او طريق قلع اسباب الحرص (التوسط في النفقات) قال تعالى * والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (والقصد) اى الاقتصاد والتوسط و اعتدال الحالات (في الفقر والغنى عد من المنجيات) وورد ما عال من اقتصد الديلمي عن ابي امامة مرفوعا والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعا الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة (وتقليل الشهوات) اى الموجب لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة في بعض العبارات (والوثوق بصابة الرزق المقدر) فقد قال تعالى * نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا * قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا * وورد في حديث مشهور واعلم ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك (وثمرة عز القناعة) فورد القناعة كنز لا ينفد وفي رواية مال لا ينفد وفي اخرى كنز لا يفنى القضاعي عن انس والطبراني في الاوسط من حديث جابر ولفظه القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وفي القناعة احاديث لا تحصى وقد قيل من قنع شبع منها قوله عليه السلام ابن آدم عندك ما يكفيك وانت تطلب ما يطغيك ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ابن آدم اذا اصبحت معافى في سربك آمنا في بدنك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء اى التراب * ابن عدى والبيهقي عن ابن عمر وفي رواية لهما عن ابي هريرة اذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف وجرعة من ماء القراح وقل على الدنيا واهلها الدمار روى ابن المبارك عن الاوزاعي معضلا ما ابالي ما رددت به عني الجوع وما احسن ما قال بعض اهل الحال

(شعر) وماهي الا جوعة قد سددتها * وكل طعام بين جنبي واحد *

وعن سمرة مرفوعا ارض من الدنيا بالقوت فان القوت لمن يموت كثير العسكري ولله در الناظم

(شعر) عزيز النفس من لزم القناعه * ولم يكشف لمخلوق قناعه *

وفي الحديث اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه وفسر قوله تعالى * فلنحيينه حيوة طيبة * بالقناعة والقيام بالطاعة وقوله قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه احمد ومسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر وقوله ما قل وكفى خير مما كثر والهى ابو يعلى والضياء عن ابي سعيد وقوله خيار امتي القانع وشرارهم الطامع القضاعي (وذل

الطمع) اى ومعرفته وهو الاحتياج الى الغير من غير ضرورة وقد ورد لا يحل لمؤمن ان يذل نفسه قال تعالى * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين * وهو ينشأ من عدم القناعة وورد عن عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان المرء اذا ايس عن شيء استغنى عنه احمد في الزهد وابن ابي الدنيا في القناعة والعسكري في المواعظ وروى ان رجلا من الانصار قال يا رسول الله اوصني واوجز لي قال عليك باليأس مما في ايدي الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر ابو نعيم (والتأمل في ذم البخيل ومدح السخي) اذ هما في جبلة كل احد من العالي والدني (وما ورد فيهما) اى من احاديث النبي كقوله عليه السلام السخاء شجرة من اشجار الجنة اغصانها متدليات في الدنيا فمن يأخذ بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار اغصانها متدليات في الدنيا فمن اخذ بغصن من اغصانها قاده ذلك الغصن الى النار الدارقطني في الافراد والبيهقي عن علي والاربعة عن ابي هريرة وكقوله خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل البيهقي عن ابن عمرو وكقوله تعالى ما من العباد يصبح الا وملكان ينزلان فيه فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (واحوال الانبياء والاولياء) اى وفي احوالهم واخلاق سائر البخلاء والاسخياء (والاختيار التشبه بهم) اى بالاصفياء فمن تشبه بقوم فهو منهم (لا بالمتنعمين من الكفار والجهلى) اى من الجهلة والفجار وقد قال تعالى * انهم كانوا قبل ذلك مترفين * اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا * وورد اشبعكم في الدنيا اجوعكم في العقبى (والتسخي) اى تكلف السخاوة والتشبه بجنس السخي (وخداع النفس بالصيت) اى بحسن الثناء عند الناس والجاه والوجاهة في مقام الابناس (والمكافاة) اى وبتصور المكافاة فورد تهادوا وتحابوا (ثم ازالة الرياء بعد الاعتياد) اى بعد تعوده بالسخاء فان الرياء في الابتداء قنطرة الاخلاص في الانتهاء كما ان المجاز قنطرة الحقيقة حكى ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم شيء مما يتمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور وكنسوها من القتوز فصلوا عندها بالحضور ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معايش من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال مالي حاجة فاقبل اليه ذو القرنين فقال ارسلت اليك لتأتيني فابيت فها انا جئت فقال لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال ذو القرنين مالي اراكم على حالة لم ار احدا من الامم عليها قالوا وماذاك قال ليس لكم دنيا ولا شيء من البناء ولا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناهما لان احدا لم يعط شيئا منهما الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعهدتموها فكنستموها

وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعنا قبورنا من الامل قال وارى لكم لاطعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحلبتموها وركبتموها قالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا فى نبات الارض بلاغا وانما يكفى ابن آدم ادنى العيش من الطعام وان ماجاوز الحنك لم نجد له طعما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده فتناول جمجمة فقال ياذا القرنين اتدرى من هذا قال لا ومن هو قال فذلك ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهلها فغشم وظلم وعتا فلما رأى الله ذلك منه قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به فى الآخرة ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال ياذا القرنين هل تدرى من هذا قال لا ومن هو قال هذا الملك ملك بعده قد كان يرى مايصنع الذى قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وامر بالعدل فى اهل مملكته فصار كما ترى وقد احصى الله عمله فى دنياه حتى يجزيه فى اخراه ثم اهوى الى جمجمة ذى القرنين فقال هذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر ياذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك فى صحبتى ما نجدك اخا ووزيرا وشريكا ومشيرا فقال ما اصلح انا وانت فى مكان قال ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولى صديق قال ولم يعادونى قال يعادونك على مافى يدك من الملك والمال ولا احد يعادينى لما عندى من الحاجة وقلة الشئ والفاقة فانصرف عنه ذو القرنين متعجبا ومتعظا (وكثرة ذكر الموت) فانه يهون السخاوة قبل الفوت (والاعتبار بالسالفين) اى الاتعاظ بالسابقين من اهل الاموال فى تركهم الدنيا عند الموت فكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى * ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين * ومن هنا قالوا طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله (وزيارة القبور) فانها تذكر العقبى وتزهد فى الدنيا وفيها عبرة لارباب الصدور وروى اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا باهل القبور (والاصل فيه) اى فى طريق الانفاق من توسطه المحمود بالانفاق (الصبر) اى عن المستلذات الفانية (وقصر الامل) اى باستعداد زاد الدار الباقية وورد عن على قال انما اخشى عليكم باثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة وان اتباع الهوى يصد عن الحق وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل ابن المبارك واحمد فى الزهد (والعلم بآفات المال) اى تغيراته فى المآل وانقلاباته فى اسوء الحال فقد روى عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى عليه السلام فقال اكون معك واصحبك فانطلقا فانتهيا الى شاطئ نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقى رغيفة فقام عيسى الى النهر فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف فقال للرجل لم اجد الرغيف فقال لا ادرى قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية

معها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال اسألك بالذى اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال ما ادرى ثم انتهيا الى وادى ماء فاخذ عيسى عليه السلام بيد الرجل فمشيا على الماء ثم جاوزا قال اسألك بالذى اراك هذه الآية من اخذ الرغيف قال لا ادرى فانتهيا الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام ترابا وقال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة اثلاث فقال ثلث لى وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان فى المفازة ومعه المال فارادا ان يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشترى طعاما فبعثوا احدهم فقال الذى بعث لاى شئ اقاسم هؤلاء فى هذا المال لكن اصنع فى هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعله ذلك وقال هؤلاء لاى شئ نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع الينا قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلا الطعام فماتا فبقى ذلك المال فى المفازة واولئك الثلاثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام فى تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا وهذه المال فاحذروها والا فتقتلكم فى المال (وهى) اى آفات المال من البليات (الافضاء الى المهلكات) اى ايصاله الى مهلكات الاخلاق (كالكبر) فانه يغلب على ارباب الاموال (والكذب) اى فى معاملتهم وسائر الاحوال (والعداوة) اى الناشئة من كثرة القيل والقال (وحب الدنيا) وهو رأس كل خطيئة كما رواه البيهقى فى الشعب باسناد حسن الى الحسن البصرى رفعه مرسلا (واقتحام الشهوة) وفى نسخة الشبهة اى ودخوله من غير ملاحظة لحصوله فى الامور المضرة من غير وصول المسرة (والحاجة الى الناس) لضرورة الغنى من معاشرة الخلق فى مباشرة امره بخلاف الفقير فانه غنى بربه عن غيره (والشغل عن الطاعة بالكسب) اى والاشتغال عن العبادة بسبب الكسب كما هو العادة بخلاف المتوكلين من ارباب الارادة (والحفظ) اى وبسبب حفظ الاموال فانه يضيع به ضبط الاحوال (ودفع الحساد) اى وبدفعهم لما فيهم من انواع الفساد (مع احتمال المشاق) فى جمعه ومنعه بالانفاق اذ حلال الدنيا فيه الحساب وحرامها فيه العقاب بل الحجاب الذى هو اشد العذاب (وفوائده) اى والعلم بفوائد المال (وهو الانفاق على النفس للقيام بالطاعة) فيما لابد له منه على طريق القناعة (كالمطعم) وكذا المشرب (والملبس) وكذا المسكن (وما يحتاج اليه) اى الى الانفاق الزائد عليه (كالحج) وكذا العمرة (والغزو) وكذا طلب العلم وتحصيل الصلة (وعلى الغير) من الزوجة والخادم ونحوهما من الاجانب والمحارم فورد افضل الدينار دينار ينفقه على عياله رواه مسلم وكفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ابو داود وعند مسلم معناه (وهو) اى الانفاق (صدقة للفقير) اى بأى طريقة مع حصول النية (ومروءة) اى فتوة (للغنى)

فى بعض الاحوال المرضية كما بينه بقوله (فى الضيافة) فانها من الشمائل السنية فورد الضيافة على اهل الوبر وليست على اهل المدر القضاعى عن ابن عمر الضيافة ثلاثة ايام فما زاد فهو صدقة احمد وابو يعلى عن ابى سعيد الضيف يأتى برزقه ويرحل بذنوب القوم الطبرانى عن طارق بن اشيم ضاف ضيف رجلا من بنى اسرائيل وفى داره كلبة مجح بالحاء المهملة المشددة بعد الجيم اى قريبة الولادة فقالت الكلبة والله لا انبح ضيف اهلى فعوى جراؤها فى بطنها قيل ما هذا فاوحى الله الى رجل منهم هذا مثل امة تكون من بعدكم تقهر سفهاؤها علماءها (والهدية) فانها من الفضائل البهية وقد ورد الهدية تذهب بالقلب والسمع والبصر الطبرانى عن عصمة بن مالك الهدية تعور عين الحكيم الديلمى عن ابن عباس هدية الله الى المؤمن السائل على بابه الخطيب فى رواية مالك عن ابن عمر (والاعانة) وكذا الاغاثة قال تعالى *وتعاونوا على البر والتقوى* وفى الخبر المشهور من كان فى عون اخيه المؤمن كان الله فى عونه وورد من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح امره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيمة البخارى فى تاريخه والبيهقى عن انس (فهى) اى المروءة (تحصل الاخوة) اى فى الدين والدنيا وورد المرء كثير باخيه ابن ابى الدنيا عن سهل بن سعد والمرء مع من احب وله ما اكتسب الترمذى عن انس والمرء على دين خليله فلينظر من يخالله (والسخاء) لارباب الصفاء واصحاب الوفاء (والفتوة) وهى كمال الرجولية وجمال الانسانية (وورد فيها) اى فى المروءة وما يتعلق بها (الاخبار) فانها من اعمال الابرار فورد من المروءة ان ينصت الاخ لاخيه اذا حدثه ومن حسن المماشاة ان يقف الاخ لاخيه اذا انقطع شسع نعله الخطيب عن انس المروءة اصلاح المال الديلمى عن ابن ابان عن انس ليس من المروءة الربح على الاخوان ابن عساكر عن ابن عمر (ووقاية) عطف على صدقة اى محافظة (لدفع الشر) اى من اهل الضر (فهو) اى الانفاق على الغير لدفع الشر (ينفى الغيبة) باللسان (والعداوة) فى الجنان (فورد انها) اى وقايته (صدقة) قال عليه السلام ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة العسكرى والقضاعى من حديث جابر (واستخدام) اى اخذ خادم بالشرا والكرا (لتدبير المعاش فهو) اى الخادم (يفرغ للعبادة) التى هى زاد المعاد (وفى نحو المسجد) اى والانفاق فى نحو عمارة المسجد وترميمها وتنويرها (والجسر) اى معبر العامة او الخاصة فوق البحر او النهر (والرباط) اى الخانات فى البعد عن العمارات او القلاع دفعا للكفرة وارباب الغارات (والحوض والبئر) فى البلدان والفلوات والكل من الخيرات والمبرات (فهو) اى الانفاق فى نحو المسجد (يبقى الذكر) اى الثناء الحسن بعد فناء العمر (ويحصل بركة الدعاء) اى دعوة العامة (وكل منها) اى من فوائد المال (عبادة مستقلة) لاسيما عمارة

المساجد فقد قال تعالى *انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر* الآية وورد من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة ابن ماجه عن على زاد الطبرانى عن ابى امامة اوسع منه وفى رواية احمد عن ابن عباس من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا فى الجنة وفى معنى المسجد المدارس للعلماء والزوايا للصلحاء فعن ابى هريرة من بنى بيتا يعبد الله فيه من حلال بنى الله له بيتا فى الجنة من در وياقوت الطبرانى فى الاوسط (ثم السخى) فى عرف العلماء (من لا يمنع ما يجب شرعا ومروءة) اى طبعا وضده البخيل وهو ما يمنعهما (ومانع الشرع) اى موجبه (ابخل) من مانع المروءة (والسخاوة تفارق الايثار) وهو اختيار الغير بالبر (بانه) اى الايثار (بذل مع الاحتياج) اى مع غاية الافتقار اليه والسخاوة مع عدمه فافترقا (وهو) اى الايثار (الافضل) اى افضل من السخاء (فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان) والخصلة الثانية ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه والثالثة ان يأمن جاره بوائقه (وورد) فى مدح الانصار (ويؤثرون على انفسهم) تمامه ولو كان بهم خصاصة اى شدة حاجة وفاقة او مجاعة وضرورة الى ما يؤثرون وفى البخارى عن ابى هريرة ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاستضافه فبعث الى نسائه فقلن ما معنا الا الماء فقال عليه السلام من يضيف هذا فقال رجل من الانصار انا فانطلق به الى امرأته فقال اكرمى ضيف رسول الله فقالت ما عندنا الا قوت للصبيان فقال هيئ طعامك واصبحى سراجك ونومى صبيانك اذا ارادوا عشاء فهيأت طعامها واصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح السراج فاطفأته فجعلا يريانه انهما يأكلان فباتا طاويين فلما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضحك الله الليلة او عجب من فعالكما فانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واخرج الحاكم عن ابن عمر قال اهدى لرجل من الصحابة رأس شاة فقال ان اخى فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعث اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تناول سبعة ابيات حتى رجع الى الاول فنزلت الآية وعن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان ابن بلال وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسأله عن مسألة فاشاروا الى حبان فقالت ما السخاء عندكم قال العطاء والبذل والايثار قالت هو السخاء فى الدنيا فما السخاء فى الدين قال ان نعبد الله سبحانه متبرعة سخية بها انفسنا غير مكرهة قالت افتريدون على ذلك اجرا قال نعم قالت لم قال لان الله تعالى وعدنا بالحسنة عشر امثالها قالت سبحان الله اذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فبأى شئ تسخيتم عليه قال فما معنى السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندى ان تعبدوا الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لعبادته لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل ما يشاء بكم فى اولاكم واخراكم الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم

فيها انكم تريدون شيئا بشئ ان هذا فى الدنيا قبيح وقال المحاسبى السخاوة فى الدين ان تسخو نفسك فى محبة ربك ويسخو قلبك ببذل مهجتك واهراق دمك عن سماحة دون كراهة ابتغاء لوجهه غير مريد بذلك عوضا وغرضا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان مولاك يختار لك مالا يحسن ان تختار لنفسك فى دنياك وآخرتك وفيه تلميح الى قوله سبحانه * ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة * الآية (والتبذير) اى السخاوة تفارق التبذير (بانه حيث يجب الامساك) اى المنع من بذله لكونه اسرافا اوفى غير محله اللائق به (وهو حرام) لقوله تعالى * وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا (فورد ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) اى اولياؤهم * وكان الشيطان لربه كفورا * اى جحودا نفورا والمعنى لا تنفق مالك فى المعصية قال مجاهد لو انفق انسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا ولو انفق بدانق فى الباطل كان تبذيرا ولذا قيل لا سرف فى خير ولا خير فى سرف وقال شعبة كنت امشى مع ابى اسحق فى طريق الكوفة فاتى على جدار بنى بجص وآجر فقال هذا التبذير (لكن البخل افحش) من التبذير لان البخل مطلقا يذم بخلاف زيادة الكرم (والتسخى) اى ويفارق السخاوة التسخى (بانه مع الكراهة) اى بالطبع والجبلة بخلاف السخاوة فانها لا تكون الا مع طيبة النفس والمحبة (والمروءة) اى تفارقها السخاوة (بترك المضايقة) وكان حقه ان يقول بالمضايقة ليكون على منوال المضايقة وفى نسخة والمروءة بالرفع وخبره ترك المضايقة (بالمحقرات فتختلف) المضايقة (باختلاف الاشخاص) اى الذوات الذين يصدر منهم المضايقة ومعهم المضايقة وايضا تختلف باختلاف ما به المضايقة وتفاوت الازمنة والحالات (كالغنى والفقر) فان ترك المروءة فى الغنى اقبح من تركها فى الفقر (والقريب والاجنبى) فان ترك المروءة فى حق الاقارب اقبح من تركها فى حق الاجانب (والجار والاهل) من الزوجة والخادم (والضيف والميت) فى امر تكفينه وتجهيزه وتدفينه وكذا فى حال الغلاء والرخاء والسراء والضراء وكذا تختلف باختلاف الشيخ والصبى والشاب والمرأة والرجل والعاقل والجاهل (فما يستقبح فى احدهما) اى الشخصين او الحالين (لا يستقبح فى الآخر) لتفاوت الامرين (والاولى) فى الانفاق (التوسط) المحمود فى جميع الاخلاق بان يكون متوسطا بين البذل والبخل فيمسك حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب العطاء وانما كان ذلك اولى لان التفريط الذى هو البخل مذموم كالافراط الذى هو التبذير والايثار وان كان حسنا لكن المداومة عليه ربما تؤدى الى الحجر فكان الاولى هو التوسط (فورد ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) اى لا تمسك يدك عن النفقة فى الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) اى بالعطاء (كل البسط) فتعطى جميع ما عندك (فتقعد ملوما محسورا) والملوم الذى اتى ما يلوم

نفسه وما يلوم غيره ومحسورا اى منقطعا بك لا شئ عندك وفى المعالم قال جابر اتى صبى فقال يارسول الله ان امى تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبى من ساعة الى ساعة يظهر فعد وقتا آخر فعاد الى امه فقالت له قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه فاعطاه اياه وقعد عريانا فاذن بلال بالصلاة وانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله الآية (وحق العطاء) لاسيما اذا كان فرضا (ان يعجل قبل الوجوب) وهو حولان الحول فى الزكوة ودخول عيد رمضان فى صدقة الفطر (مبادرة الى الائتمار) اى قبول الامر لقوله تعالى * وسارعوا الى مغفرة من ربكم (واسرارا للمؤمن) فقد قيل ادخال السرور على قلب المؤمن افضل من عبادة الثقلين وعن جابر افضل الاعمال سرور تدخله على مسلم ابن عدى وعن ابن عمر ما من شئ احب الى الله من ادخالك السرور على قلب اخيك المسلم ابن النجار (وتحاميا) اى تحافظا (عن طروق الآفات) اى حدوث طرق الآفات الدنيوية الانسانية والوساوس الشيطانية (ويعين له وقتا فاضلا) اى زمانا كاملا ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف صدقته (كشهر رمضان) فعن انس افضل الصدقة فى رمضان الدارمى فى جزئه وقد كان صلى الله عليه وسلم اجود الخلق واجود ما يكون فى رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا كما فى الصحيحين عن ابن عباس (وذى الحجة) فانه شهر حرام وفيه الحج وموسم الخيرات والمبرات والايام المعلومات وهى العشر الاول والايام المعدودات وهى ايام التشريق وقد قالوا افضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل ايام ذى الحجة العشر الاول (ويسر) اى يخفى العطاء (ان خاف الرياء فورد ان العبد ليعمل سرا فيكتب سرا وان اظهره) لغيره بعد سره (نقل الى العلانية) اى ديوانها (فان تحدث به) اى ثالثا (نقل الى الرياء) الخطيب فى التاريخ من حديث انس نحوه باسناد ضعيف والديلمى عن ابى الدرداء ولفظه ان الرجل ليعمل عملا سرا فيكتبه الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من السر ويكتب علانية فان عاد وتكلم الثانية محى من السر والعلانية وكتب رياء وورد ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة ابو نعيم من حديث ابن عباس وصدقة السر تطفئ غضب الرب الطبرانى من حديث ابى امامة وسبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم يعلم شماله بما يعلم يمينه متفق عليه من حديث ابى هريرة (وكانوا) اى السلف (يبالغون فيه) اى فى اخفاء الاعطاء (بحيث لا يعرفهم القابض) تحاميا عن السمعة والرياء وتحافظا عن المن والاذى فكان بعضهم يلقيه فى يد الاعمى وبعضهم كان يصر فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم

المتوسط بشانه و يوصيه بان لا يفشيه فى زمانه (ويظهر) اى الاعطاء (ان سئل فى ملأ معتصما عنه) اى محفوظا عن الرياء (اوامنه) اى اوان امن من السمعة والرياء لاختصاصه بمقام الخوص فى الاخلاص (وقصد الترغيب) لغيره فى باب الاعطاء من الاقتداء (فورد ان تبدوا الصدقات) اى ان تظهروها (فنعماهى) اى فنعمت الخصلة ابداؤها اى اظهار اعطائها (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) اى من الابداء بالاعطاء (وانفقوا) بصيغة الماضى (مما رزقناهم سرا وعلانية) اى باختلاف الاحوال من الترهيب والترغيب وتفاوت النية واختلاف الطوية اوالسر مختص بالنوافل والاعلان بالفرائض اونارة وتارة بحسب مايليق بالاشخاص والاوقات والحالات كما يشير اليه قوله تعالى * الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون * روى مجاهد عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى على بن ابى طالب رضى الله عنه كان عنده اربعة دراهم لا علك غيرها فتصدق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا وبدرهم سرا و بدرهم علانية (ولم يستر القابض) اى لم يكتم ما اخذه بل يظهره ويتحدث به و يدعو لصاحبه فقد ورد من صنع اليكم معروفا فكافؤه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى ترون انكم قد كافأتموه ابوداود والنسائى من حديث ابن عمر باسناد صحيح ومن صنع اليه معروفا فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء الترمذى وابن حبان والنسائى عن اسامة ومن صنع الى احد من اهل بيتى يدا كافيته عليها يوم القيامة ابن عساكر عن على (تحاميا عن الهتك) اى احترازا عن انهتاك حرمة شكر النعمة (فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله) الترمذى وحسنه وفى رواية عبدالله بن احمد عن النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر (و يجتنب المن) اى الامتنان فى الاعطاء والاحسان (والاذى) باليد او باللسان (فورد لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) اى بكل منهما (وهما) اى المن والاذى على طريق اللف والنشر المرتب (الذكر بالقلب) اى ذكر الصدقة بقلبه (والاظهار لها (باللسان) فى غيبته او وجهه (والاستخدام) للفقير بالعطاء (والتعريض بالفقر) اى وتعييره بانه من الفقراء (والتكبر بالعطاء) اى لانه من الاغنياء (والتشديد بالقول) اى بان ينهره ويوبخه بانه من الفقراء (والاقرب) اى الى الصواب من بين الاقوال ان يقال (المن) اى حد المن (ان يراه) اى المعطى (محسنا اليه) ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا لديه بقبول حق الله تعالى عنه الذى هو طهرته و به عن النار نجاته وانه لولم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه ان يتقلد منة من الفقير فى قبضه واخذه بيد لطفه ولذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدى الفقير و يتمثل قائما عنده يسأله قبولها حتى يكون هو فى صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لورده وكان بعضهم يبسط كفه

ليأخذ الفقير فتكون يد الفقير هى العليا (ويعرف) اى المن (غوفا استبعاد جناية القابض بعد العطاء) اى بترك الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم فى المحافل والمتابعة فى المجالس والمناهل فلوجنى القابض على المعطى فزاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل عن شائبة المنة لانه توقع بسببها هنالك مالم يكن توقعه قبل ذلك (والمحسن) اى فى الحقيقة (هو القابض) اى للصدقة (لايصاله) اى المحسن (الى الثواب والانجاء) اى اخلاصه (عن العقاب وكونه) اى ولكونه (نائبا عنه تعالى فيه) اى فى القبض (فورد انها تقع اولا بيده تعالى) ولفظ الحديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع فى يد السائل الدارقطنى فى الافراد من حديث ابن عباس والبيهقى فى الشعب (وكونها) اى ولكون الصدقة (حقا له تعالى) اى خاصة اذ ليس له شريك فى ملكه (احال عليه الفقير) على سبيل الرفق (انجازا لما وعده من الرزق) اى وقدره ان يكون على يد الخلق فليتحقق الغنى انه مسلم الى الله سبحانه حقه والفقير آخذ من الله عز وجل رزقه بعد صيرورته مسلما الى الله ولو كان عليه دين الانسان فاحال به عليه صاحب الدين عبده اوخادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المنة للمحسن اليه المتكفل رزقه فاما هو فقائم بقضاء الدين الذى لزمه بشراء ما احبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره (والاذى) اى والاقرب ان حد الاذى (التعيير والتوبيخ) عطف تفسير او احدهما مختص بالغيبة والآخر بالمشاهدة (والقول السيئ) كالذم والشتم وتخشين الكلام (والقطوب) وهو عبوسة الوجه (وهتك الستر) اى بيان اعطائه له فى الملاء حوله (والاستخفاف) اى بقوله (والاستحقار) بفعله (والسبب) اى الباعث على المن والاذى (استكثار العطاء واستثقاله وهو حمق لان من كره بذل درهم فى مقابلة ما يساوى الفا فهو شديد الجهل ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضاء المولى والثواب فى دار العقبى فلا وجه لكراهيته اصلا (والتكبر على القابض الناشئان من الجهل) الحاصلان الحادثان من جهله (باستثقال رضائه تعالى على خسيس فان) اى فى اصل بنائه كما تقدم (ونسيان فضل الفقير) اى ومن نسيان فضله لانه لو عرف فضل الفقر على الغناء وعرف خطر الاغنياء وحظ الفقراء لما استحقر الفقير بل يتبرك بخدمته و يتمنى ان يكون فى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فقد ورد فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام الترمذى عن ابى سعيد (والمراد) اى بالبطلان فى قوله تعالى * لاتبطلوا صدقاتكم (عدم كون ذلك الاعطاء صدقة) اى مقبولة نافعة كل المنفعة اوصدقة مضاعفة بان يكون كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة (لا الابطال) اى الحقيقى فلا يكون له ثواب الصدقة بالكلية ولا حبة كما يقوله المعتزلة وعلى التنزل فيكون له ثواب الاحسان لانه احسن الى احد من الاخوان

(فهو) اى الابطال من جميع الاحوال (ممتنع) فى صحيح الاقوال (ويستصغر) اى من حق العطاء ان يستحقر (الاعطاء ليعظم عنده تعالى) فيصير حبة مثل جبل احد ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت وكلما استعظمت صغرت (وهو) اى استصغاره انما يحصل (بذكر التوفيق) بان يتأمل بعين التحقيق انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فى المآل فالمال لله وله المنة اذا اعطاه اياه ثم وفقه لبذله وصانه عن بخله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما عين من بعض حقه وهذا ان ارتقى الى الدرجة العليا بان يكون بذله فى محبة المولى (والثواب) اى وبالاجر والمثوبة ان كان مقامه يقتضى ان ينظر الى الآخرة ومثوبة العقبى فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه مع انه بخيل باعطاء بعض ماله فكان ينبغى ان يخجل فى اعماله من نقصان كماله باعتبار مآله وهذا معنى قوله (ويؤدى مستحييا منه تعالى) فهو عطف بالمعنى على بذكر التوفيق فالتقدير وهو بان يذكر التوفيق وان يؤدى مستحييا منه سبحانه فى مقام التحقيق (للبخل الحامل على الحفظ) اى على امساك بقية ماله عن مرضاة مالكه (اجود المال) مفعول يؤدى اى يعطى احسن المال (وابعده من الشبهة) اى واقربه الى الحلال (فورد انفقوا من طيبات ما كسبتم) تمامه ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه * اى لا تأخذونه الا مع كراهة وحياء وفى الخبر سبق درهم مائة الف درهم النسائى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وذلك بان يخرجه من اجل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضاء والفرح ببذله وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله عز وجل بشئ مما يحبه كذا فى الاحياء ويحتمل ان يكون معناه ان لاحد درهمين فاخرج درهما وللآخر سبعمائة الف درهم فاخرج مائة الف درهم فتصدق عليه انه غلب درهم مائة الف درهم بحسب الرتبة فى مقام الكرم والله سبحانه اعلم ثم رأيت فى رواية النسائى عن ابى ذر سبق درهم مائة الف درهم رجل له درهمان اخذ احدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فاخذ من عرضه مائة الف درهم فتصدق بها وفى رواية الطبرانى عن ابى مالك الاشجعى ثلاثة نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق بدينار وكان لآخر عشر اواق فتصدق منها باوقية وكان لآخر مائة اوقية فتصدق منها بعشر اواق هم فى الاجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله (حتى تنفقوا مما تحبون) فى قوله تعالى * لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون * فينبغى ان ينفق من ماله اجوده واحبه واحله واطيبه فورد ان الله طيب لا يقبل الا طيبا اخرجه مسلم عن ابى هريرة وطوبى لعبد انفق من مال اكتسبه من غير معصية ابن عدى والبزار (ولانه تعالى يأخذها فورد يأخذ الصدقات) اى فى قوله تعالى * وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات * (فلا يدخل) تفريع لقوله يؤدى اجود المال اى حتى لا يدخل فى المآل

(فيما ورد) من ذم الكفار (ويجعلون لله ما يكرهون) اى من البنات حيث قالوا الملائكة بنات الله وتمامه * وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى * وهى الصبيان (لمن يكثر) متعلق بيؤدى اى يخص اعطاءه لمن يكثر (اعطاؤه الاجر بكونه متقيا) والاتقياء هم المعرضون عن الدنيا المتجرون تجارة العقبى فقد قال تعالى * ان اكرمكم عند الله اتقيكم * وورد لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى ابو داود والترمذى من حديث ابى سعيد واطعموا طعامكم الاتقياء ابن المبارك فى البر والصلة من حديث ابى سعيد الخدرى وهذا لان التقى يستعين به على التقوى فيكون شريكا له فى طاعة المولى (وعالما) فان ذلك اعانة له على العلم والعلم اشرف العبادات (فورد وتعاونوا على البر والتقوى) وورد احب بطعامك من يحبه الله وفى لفظ من تحبه فى الله ابن المبارك وابو جويبر عن الضحاك مرسلا وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقدر على التعليم فتفريغهم للعلم افضل وكان بعضهم يؤثر فقراء الصوفية بالعطاء دون غيرهم فقيل لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال هؤلاء قوم همهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همهم اوهم احدهم فلان أرد همة واحد منهم الى الله احب الى من اعطاء الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من اولياء الله ما سمعت مذ زمان كلاما احسن من هذا وهذا معنى قول المصنف (وصادقا) اى فى تقواه وعلمه بتوحيد مولاه حال كونه (يرى النعمة منه تعالى) اى ولم ينظر الى واسطته وتكون همته الله لا ما سواه ففى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله اياه اذ سلطه الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم يقدر عليه بعد ان القى الله عز وجل فى قلبه بان صلاح دينه ودنياه فى فعله فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الاسباب وتيقن مثل هذا العبد انفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة فى اللسان يقل جدواه فى اكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحد لا تضيع ولا تقع فى مقام النقصان واما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الاباء من الاعطاء فاحواله متفاوتة فى السراء والضراء وفى هذا المقام قال عليه السلام لرجل تب فقال اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله احمد والطبرانى من حديث الاسود بن سريع بسند ضعيف ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال ابو بكر رضى الله عنه قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لا افعل ولا احمد الا الله عز وجل فقال

عليه السلام دعها يا ابابكر وفى لفظ آخر انها قالت لابى بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان الوحى وصل اليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابوداود ومن حديث عائشة بلفظ فقال ابواى قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت احمد الله لا اياكما وللبخارى تعليقا فقال ابواى قومى فقلت لا والله لااقوم اليه ولا احمده ولا احمدكما ولكن له ولمسلم فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله لااقوم اليه ولا احمد الا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال ابو بكر قومى فاحتضنى رسول الله فقالت لا والله لاادنو منه الحديث وفيه انها قالت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك ثم اعلم ان رؤية الاشياء من غير الله تعالى وصف للكافرين قال تعالى * واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون * ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده فى مرا تبه عن كدورات الشرك الخفى وشوائبه ومع هذا من لايرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر من يرى الواسطة اصلا وهذا مرتبة جمع الجمع فى التحقيق والله ولى التوفيق (وساتر الحاجة) اى ومخفيا الفاقة لايكثر البث والشكوى فى مضرة حالته (فورد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف) تمامه * تعرفهم بسيماهم لايسألون الناس الحافا * اى الحاحا وتصر يحا بل تعريضا وتلويحا اولا يسألون اصلا فالنفى منصب على القيد والمقيد كقوله سبحانه * ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * حيث لا شفيع لهم اصلا وقطعا وذلك لانهم اغنياء بيقينهم واعزة بصبرهم وتمكينهم فورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس متفق عليه من حديث ابى هريرة (ومعيلا) بضم الميم اى عاجزا عن نفقة اهله (ومريضا) اى محبوسا لمرض مانع له من كسبه (فورد للفقراء) اى خصوا صدقاتكم للفقراء (الذين احصروا فى سبيل الله) اى حبسوا فى طريق الآخرة لعيلة اوضيق معيشة اواصلاح قلب فى علم وعبادة تمامه * لايستطيعون ضربا فى الارض * اى سيرا فيها للتجارة والزراعة والاجارة ونحوها فبهذه الاسباب كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يعطى اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عليه السلام يعطى العطاء على قدر العيلة كذا فى الاحياء قال العراقى لم اجد له اصلا لكن لابى داود من حديث عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اتى الفئ قسمه فى يومه ويعطى الآهل حظين ويعطى العزب حظا وقال احمد حديث حسن اقول فكأن الغزالى نقل بمعناه لعدم استحضار مبناه اواطلع على مالم يجده غيره بعده وورد ان المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المؤنة وان الصبر يأتى من الله على

قدر المصيبة الحكيم والحاكم والبزار والبيهقى عن ابن عمر وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال قلت وضعف الحال والاقار باب الكمال لوكان الخلق كلهم عياله ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة بحياله مايبالون فان خالقهم رازقهم وواعدهم فصادقهم (وذا رحم فجاء ان الصلة) اى صلة الرحم (بدرهم احب من التصدق بعشرين الى الاجنبى) فعن على لان اصل اخا من اخوانى بدرهم احب الى من ان اتصدق بعشرين درهما ولأن اصله بعشرين درهما احب الى من التصدق بمائة درهم ولأن اصله بمائة درهم احب الى من ان اعتق رقبة واما الاصدقاء واخوان الخير فيقدمون على المعارف كما تقدم الاقارب على الاجانب وقد ذكر السيوطى فى خماسيته ثواب الصدقة خمسة انواع واحدة بعشرة وهى على صحيح الجسم وواحدة بسبعين وهى على الاعمى المبتلى وواحدة بتسعمائة الف على ذى قرابة محتاج وواحدة بمائة الف على الابوين وواحدة بتسعمائة الف على عالم او فقيه (والا ولى طلب الجامع اياها) اى طلبه لمن جمع فيه الصفات المذكورة والخالات المسطورة (اواكثرها) فان مالا يدرك كله لايترك كله وبقدر ماينبغى يحصل له مايتمنى فان وجد من جميع هذه المراتب فى اعلى المناقب فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى (ويتصدق كل يوم) اى ليكتب فى المتصدقين وقد ورد باكروا بالصدقة فان البلاء لايتخطى الصدقة الطبرانى فى الاوسط عن على والبيهقى عن انس (ولا يرد سائلا) فورد ردوا السائل ولو بظلف محرق مالك واحمد والبخارى فى تاريخه والنسائى عن حوا بنت السكن وفى رواية العقيلى عن عائشة ردوا هذمة السائل اى بغيته وشهوته ولو بمثل رأس الذباب العقيلى عن عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره (فيسكت ان لم يقدر) على العطاء (وهو المأثور) فعن محمد بن الحنفية مرسلا انه عليه السلام كان لايكاد يقول بشئ لا فاذا هو سئل فاراد ان يفعل قال نعم وان لم يرد ان يفعل سكت رواه ابن سعد ورواه الحاكم عن انس كان عليه السلام لايسأل شيئا الا اعطاه اوسكت (الا بلطف) وهو المشهور عن الجمهور (فورد قول معروف) اى كلام حسن ورد على السائل مستحسن وقيل عدة حسنة وقيل دعوة صالحة (ومغفرة) اى سترخلة اوسد فاقة ورفع حاجة (خير من صدقة) يدفعها اليه حال كونه (يتبعها اذى) اى يعقبها به لديه اومن عليه والاولى ان يستدل بقوله تعالى * واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا * اى ذا يسر ولين وهى العدة اى فعدهم وعدا جميلا وقيل ادع لهم دعاء جزيلا نحو رزقنا الله واياك واعطانا الله واعطاك (ولا ينهر) اى ومن حق العطاء انه لايزجره ولا يقهره وبه فسر قوله تعالى * واما السائل فلا تنهر * اى اذا سألك فاما ان تطعمه طعاما لينا واما ان ترده ردا هينا (فاوعد فيه العذاب فى النار الف

عام فى النار) لم اعرف له اصلا (ويغتنم السؤال) بالمصدر اى سؤال الفقير على بابه فانه هدية من الله الى جنابه كما ورد فيما تقدم ويحتمل ان يكون السؤال على وزن الجهال جمع سائل فعن ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وعن ابن عمر مرفوعا هدية الله الى المؤمن السائل على بابه رواه الخطيب (ويسىء الظن بنفسه عند فقده) اى عند عدم وجدان السائل فى باب انسه (ولا يتوقع) اى لا يطمع من الفقير حين اعطاه عطاء ان يجازيه (جزاء ودعاء وشكرا وثناء) قال تعالى حكاية عن الابرار* ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا (ويكافئ) بالهمز اى يجازى المعطى (بمثله) بنظير دعاء الفقير (ان دعاله بالخير) ونحوه من الجزاء (او اثنى) عليه بان مدح فى مقابلة العطاء وكانت عائشة ام المؤمنين كثيرة الخيرات والمبرات قال عروة بن الزبير لقد تصدقت بخمسين الفا وان درعها لمرقع وكانت هى وام سلمة اذا ارسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه يشبه المكافاة وهكذا فعل عمر وابنه رضى الله عنهما (ويجعلها) اى ثواب صدقته (اوالديه الماضيين) اى المتوفيين فانهما ينتظران دعوة تلحقهما اوصدقة تصيبهما فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ما على احدكم اذا اراد ان يتصدق ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شىء ابن النجار (فالكل مأثور) وفى كتب الحديث مسطور (ويقدم نفقة النفس والعيال فهو) اى تقديمهما (فرض) وقد ورد ابدأ بمن تعول متفق عليه ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل شىء فلاهلك فان فضل عن اهلك شىء فلذى قرابتك فان فضل من ذى قرابتك شىء فهكذا النسائى وفى الطبرانى من حديث جابر بن سمرة اذا انعم الله على عبده نعمة فليبدأ بنفسه واهل بيته وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم ابو داود من حديث ابى هريرة بسند صحيح ابن حبان والحاكم وصححه ورواه النسائى وابن حبان ايضا بتقديم الزوجة على الولد ويجمع بين الحديثين بان الولد صغير فى الاول وكبير فى الثانى وقال صلى الله عليه وسلم يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل عندى دينار فقال انفقه على نفسك قال ان عندى آخر قال انفقه على زوجتك قال ان عندى آخر قال انفقه على والديك قال ان عندى آخر قال انفقه على خادمك قال ان عندى آخر قال انت ابصر به ابو داود والنسائى واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث ابى هريرة (ويباكر) اى يخرج الصدقة اول النهار ليدخل فى قوله تعالى* ويسارعون فى الخيرات (ليبادر بها) اى بالصدقة (البلاء) اى دفعه فورد الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات الديلمى عن انس

وفى رواية البيهقى عنه والطبرانى فى الاوسط عن على باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة وورد الصدقة تمنع سبعين نوعا من البلاء اهونها الجذام والبرص الخطيب عن انس الصدقة تمنع ميتة السوء القضاعى عن ابى هريرة (ويغتنم) الصدقة (على من رق له القلب) لانه من علامة انه رجه الرب (فهو) اى رقة القلب (علامة صدق السائل) وقد ورد لو صدق السائل ما افلح من رده العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة وللطبرانى نحوه من حديث ابى امامة وللبيهقى عن عائشة لولا ان السؤال يكذبون ما قدس من ردهم لا تردوا السائل ولو بشق تمرة (ولا يحقر ما عنده) لقوله تعالى* ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما* ولقوله حكاية عن لقمان* يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل* الآية قال يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة ولقوله سبحانه* ما عندكم ينفد وما عند الله باق* فربما يكون خيره عنده حقيرا ويصير عنده سبحانه عظيما وكبيرا فورد ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيبا الا كان الله يأخذه بيمينه فيربيها كما يربى احدكم فصيله اوفلوه حتى تبلغ التمرة مثل احد البخارى تعليقا ومسلم والترمذى والنسائى فى الكبرى واللفظ له وابن ماجه من حديث ابى هريرة واتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة متفق عليه من حديث عدى بن حاتم وتصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجايع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن اشترى نفسك من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجايع مسدها من الشبعان وللبزار وابى يعلى من حديث ابى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجايع موقعها من الشبعان وقال عليه السلام لابى ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف رواه مسلم وفى رواية العقيلى ردوا هذمة السائل ولو بمثل رأس ذباب ويقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال اترضى فى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله رضى فى الحور العين بالفلس والفلسين واللقمة واللقمتين وعن على كم من حور ما كان مهرها الا قبضة من حنطة او مثلها من تمر العقيلى عن ابن عمر وكان عليه السلام لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمر بيده وكان يناول المسكين بيده الدارقطنى من حديث انس باسناد ضعيف وابن المبارك فى البر مرسلا (ويحصل انواعها) اى يجتهد فى تحصيل انواع الصدقة حقيقة وهو ظاهر وحكما (كارشاد الضال) اى دلالته على صاحبه اورده الى بابه فروى الترمذى وغيره عن ابى ذر مرفوعا تبسمك فى وجه اخيك صدقة وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل فى الارض الضال صدقة الحديث اوهدايته

الى زقاقه فلاحمد والترمذى وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق او هدى او هدى زقاقا فهو كعتاق نسمة اودلالته عن جهله وضلالته فورد لان يهدى الله بك رجلا خيرلك من حمر النعم اى من صدقتها (وقربان المرأة) اى جماعها (للتعفف) اى من اجله اومن اجلها فروى ابوداود عن ابى ذر يصبح على كل سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقى صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة الاذى عن الطريق صدقة وبضع اهله صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان من الضحى قالوا يارسول الله احدنا يقضى شهوته ويكون له صدقة قال ارأيت او وضعها فى غير حلها الم يكن يأثم وفى رواية النسائى وابن حبان وغيرهما عن ابى ذر ايضا ولك فى جماع زوجتك اجر ارأيت لوكان لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات اكنت تحتسب به قال نعم قال افانت خلقته وانت هديته وانت رزقته قال لا قال فضعه فى حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء اماته ولك اجر (والعدل بين الاثنين) من الزوجين وغيرهما فعن ابى هريرة كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعين الرجل على دابته فيحمل عليها او يرفع عليها متاعه صدقة الحديث احمد والشيخان (والحمل على الدابة) لما سبق من الحديث والمعنى حمل الغير اومتاعه على دابته اودابة نفسه (وطيب الكلام) فعن ابن عباس الكلمة الطيبة يتكلم بها الرجل صدقة الطبرانى وفى رواية لمسلم والنسائى عن ابى ذر فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة الحديث وتقدم حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة (والخطوة الى الصلوة) فعن ابى هريرة برواية احمد والشيخان وكل خطوة تخطوها الى الصلوة صدقة (والانفاق على العيال) فعن جابر ما انفق المسلم من نفقة على نفسه واهله كتب له بها صدقة الحديث ابن عساكر والحاكم فى مستدركه عن انس ان نفقتك على اهلك وخادمك صدقة وفى رواية الخطيب عنه كل معروف صنعته الى غنى اوفقير فهو صدقة وفى رواية احمد وغيره عن ابى امامة مااطعمت زوجتك فهولك صدقة وما اطعمت ولدك فهولك صدقة وما اطعمت خادمك فهولك صدقة وما اطعمت نفسك فهولك صدقة (والتبسم فى وجه اخيه) وقد تقدم حديث وتبسمك فى وجه اخيك صدقة وفى رواية احمد وغيره عن جابر كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك ووجهك اليه منبسط وفى رواية له عن ابى ذر لاتحقرن من المعروف شيئا ولوان تلقى اخاك بوجه طلق (واطراق الفحل) اى من الابل والخيل يعنى اعارته للضراب وهو نزوه على الانثى ففى مسند احمد والترمذى عن ابى امامة افضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله عزوجل اومنحة خادم فى سبيل الله عزوجل (واعارة الدلو) اى نحوها الداخلة فى ذم منعها حيث قال تعالى * ويمنعون الماعون * وقد

روى البخارى فى تاريخه عن ابى ذر وافراغك من دلوك فى دلو اخيك صدقة وفى رواية ولوان تفرغ من دلوك فى اناء المستسقى (والنفع بعلم) اى شرعى فعن ابى هريرة افضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه اخاه المسلم ابن ماجه (وغرس) فعن ابى الدرداء من غرس غرسا لم يأكل منه آدمى ولاخلق من خلق الله الا كان له صدقة احمد (وزرع) فعن خلاد بن السائب من زرع زرعا فأكل منه طيراوعافية كان له صدقة احمد والعافية السبع (ونهر وبئر ومصحف ومسجد وتخليف ولد يستغفر له) فعن ابى هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية اوعلم ينتفع به اوولد صالح يدعوله مسلم وغيره (وافضلها) اى افضل الصدقات ان يكون (فى الصحة) اى حال العافية ففى الصحيحين عن ابى هريرة افضل الصدقة وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولاتمهل حتى اذابلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الاولفلان كذا (وللمحتاج فدرهم منه) اى من اجله (مثل سبعين) اى درهما من اجل غيرالمحتاج ويتفرع عليه قوله (والقرض افضل منها) اى من الصدقة (فهو) اى القرض (بثمانية عشر) اى درجة زائدة على الصدقة التى درجتها عشرة (لوقوعه فى كف المحتاج) كما ورد دخلت الجنة فرأيت على بابها الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر فقلت ياجبريل كيف صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر قال لان الصدقة تقع فى يد الغنى والفقير والقرض لايقع الافى يد من يحتاج اليه الطبرانى عن ابى امامة (ولاينذر) اى الاولى ان لاينذر فيجب عليه (فلعله لايفى) بنذره اويفى ولكن مع كره (ونهى عنه) ففى الصحيحين عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن النذر وحمله على انه من فعل البخلاء اذ السخى اذا اراد ان يتقرب الى الله تعالى استعجل فيه واتى به فى الحال ولم يتركه الى الاستقبال وفى مسلم والترمذى والنسائى عن ابى هريرة مرفوعا لاتنذروا فان النذر لايغنى عن القدر شيئا وانما يستخرج به من البخيل وورد قال الله تعالى لايأتى ابن آدم النذر بشئ لم اكن قدقدرته ولكن يلقيه النذر الى القدر وقد قدرته له هوشئ استخرج به من البخيل فيوتى عليه مالم يكن يوتى عليه من قبل احمد والبخارى والنسائى عن ابى هريرة واما مامر فى آداب الدعاء من الترغيب فى النذر فمحمول على ما اذا كان فى الاعمال الصالحة والنهى عن النذر ههنا محمول على النذر فى المال لمظنة عدم الوفاء فى المآل بخلاف النذر فى الاعمال فالغالب فيه الوفاء فى الاستقبال ثم اعلم انه ينبغى للقابض امورمنها ان يفهم ان الله سبحانه اوجب صرف الزكوة ونحوها الى الفقير ليكفى همومه ويجعلها هما واحدا هم دينه وقد اكثر الله عزوجل الاموال ووضعها فى ايدى عباده من العمال والبطال لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم فمنهم من ابتلاه بالمال وجعله عليه فتنة وبلية فانفقه فى متن الخطر ومنهم من احبه فحماه الدنيا ومايتعلق بها من الحذر

كما يحمى الشفيق مريضه ما فى اكله من الضرر فيزوى عنه فضولها وقدرله حصولها وساق اليه قدرحاجته على يد الاغنياء ليكون شغل الكسب والتعب فى الجمع والحفظ عليهم مع غاية من العناء وفائدته منصبة الى الفقراء مع نهاية من الهناء ليتجردوا لعبادة المولى والاستعداد لزاد المعاد الى العقبى فلا يصرف عنهم فضول الدنيا فحق الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه اكثر مما اعطاه فليأخذ ما يأخذ من الله سبحانه رزقا له وعونا على الطاعة فان استعان به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرد واللعنة ومنها ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حل تورع عنه لقوله سبحانه *ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب* فلا يأخذ من اموال من اكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا يعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة ومنها ان يتوقع مواقع الريبة والشبهة فى مقدار ما يأخذه ولا يأخذه الا اذا تحقق له انه موصوف بصفة الاستحقاق وحينئذ يأخذ ما يتم به كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما رخص فيه من حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة متفق عليه من حديث عمر كان يعزل نفقة اهله سنة وللطبرانى فى الاوسط من حديث انس كان اذا ادخر لاهله قوت سنة تصدق بما بقى فاذا اقتصر على حاجة شهر او يوم فهو اقرب للتقوى فى حق الاقوياء ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكوة والصدقة مختلفة فمن مبالغ فى التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته وتمسك بما روى سهل الحنظلية انه عليه السلام نهى عن السؤال مع الغنى فقال غداؤه وعشاؤه ابوداود وابن حبان وهو محمول عند الجمهور على السؤال لا فى جميع الاحوال لان لفظ الحديث من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم وقال آخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة اذ لم يوجب الله عز وجل الزكاة الا على الاغنياء فقالوا له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكوة وبالغ آخرون فى التوسع فقالوا له ان يأخذ مقدار ما يشترى به ضيعة فيستغنى بها طول عمره او يهيء بضاعة ليتجر فيها ويستغنى لان هذا هو الغنى حتى ذهب قوم الى من افتقر فله ان يأخذ ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج عن حد الاعتدال والله اعلم بالاحوال وقد ورد ما المعطى من سعة بافضل اجرا من الذى يقبل من حاجة ابن حبان والطبرانى من حديث انس ومنها انه يأخذ ما يعطى له حال الخلاء ولا يأخذ فى الملاء فقد دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع اليه آخر شيئا سرا فقبله فقيل له فى ذلك فقال ان هذا عمل بالادب فقبلته وذلك اساء ادبه فى عمله فرددته واعطى رجل بعض الصوفية شيئا فى الملاء فرده فقال له لم ترد على الله تعالى ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك

شركك وقبل بعض العارفين فى السر شيئا كان رده فى العلانية فقيل له فى ذلك قال عصيت الله فى الجهر فلم اكن لك عونا على المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك على برك فقال الثورى لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلتها وايضا فى اظهار الاخذ ذل وامتهان وليس للمؤمن ان يذل نفسه وايضا للاحتراز عن شبهة الشركة فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلى وابن حبان فى الضعفاء والطبرانى فى الاوسط والبيهقى من حديث ابن عباس قال العقيلى لا يصح فى هذا المتن حديث واما العارف فلا نظر له الا الى الله عز وجل والسر والعلانية فى حقه واحد واختلاف الحال شرك فى التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد

الباب الثالث فى الصوم وكسر الشهوة

اى الذى هو مراد القوم (بسم الله الرحمن الرحيم ورد الصوم) اى فرضه ونفله (لى) اى مختص لاجلى لا يتصور كونه لغيرى (وانا اجزى به) بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول ففى الصحيحين عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وانا اجزى به وفى رواية لهما عنه كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعاف الا الصيام فانه لى وانا اجزى به وانما قال وانا اجزى به مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة الجزاء وكأنه لم يذكر ما يجزى به لكثرته ويومى اليه قوله تعالى * انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وقد ورد الصوم نصف الصبر اخرجه الترمذى وحسنه والصبر نصف الايمان ابو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود بسند حسن (اى جزاؤه لقائى) يعنى رؤيتى فى العقبى (او معرفتى) اى فى الدنيا ولا منع من الجمع (وانما خص الصوم بالاضافة) اى اللامية مع ان كل عبادة مختصة له سبحانه (لانه) من بين العبادات (خلق صمدى) فان الاستغناء من الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الاحدية وكان الصائم متخلقا بذلك الخلق من اخلاق الله وروى تخلقوا باخلاق الله وقد قالوا كل اسم من اسمائه سبحانه للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعلق فالاضافة تشريفية كناقة الله وبيت الله وانما قال انا اجزى به مع ان جزاء كل العبادات منه سبحانه اشارة الى عظم ذلك الاجر به لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيئا بنفسه اقتضى ذلك عظمته وكأنه لم يذكر ما يجزى به لكثرته او نفاسته كما يشير اليه قوله تعالى * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون * من اخفاء الاعمال وحديث اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (او عمل سرى) فانه قصد قلبى مع ترك المفطر الصورى والملائكة الكتبة لا يطلعون على ما لا عمل فيه فهو سر بين العبد وربه بحيث لا يطلع عليه غيره (او قهر النفس والشيطان الذى

هو) اى قهرهما (اصل المعاملة) فان مدار المعاملة على مخالفتهما وموافقة الله ورسوله فى حكمهما وايضا كان النفس والشيطان مقهورين مغلوبان فى قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين ايضا فى قبضة الصائم فصار الصائم حينئذ متخلقا بخلق الحق فى الجملة ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام ومن هنا ورد نوم الصائم عبادة ابو نعيم فى الحلية عن ابن عباس ولخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجلى فالصيام لى وانا اجزى به متفق عليه من حديث ابى هريرة وهو موعود بلقائه سبحانه فى جزاء صومه اذورد للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه متفق عليه ايضا وفى الاحياء ان الصوم قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات المشغلة عن العبادات وانما يقوى الشهوات بالاكل والشرب وسائر اللذات ولذا قال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع (وادنى رتبته) اى مراتب الصيام وهو الجواز اعم من ان يكون مقبولا ام لا ناقصا او كاملا وهو مقام العوام (الكف عن الشهوتين) اى الامتناع عن شهوتى البطن والفرج فى وقته مقرونا بالنية المعتبرة المذكورة فى محله (وهو مناط الجواز) اى متعلق جواز الفتوى فى ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم (ثم كف الجوارح) اى منع الاعضاء من العين والاذن واللسان وسائر الاعضاء والاركان (عن الاثم) اى مطلق العصيان (وهو مناط القبول) لقوله تعالى *انما يتقبل الله من المتقين* وهو صوم الخصوص (فورد خمس) اى خصال (يفطرن الصائم) بتشديد الطاء اى يجعلنه مفطرا حكميا لا حقيقيا (الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة) الازدى فى الضعفاء من رواية جابان عن انس وقول الحجة فى الاحياء جابر تصحيف وقال ابو حاتم الرازى هذا كذب اقول لكن يقويه رواية الديلمى فى مسند الفردوس عن انس ثم اعلم ان حفظ اللسان عن الهذيان والزامه السكوت اوشغله بالذكر وتلاوة القرآن هو كمال صوم الانسان عند الاعيان وقد روى ليث عن مجاهد خصلتان تفسد ان الصوم الغيبة والكذب وقال سفيان الغيبة تفسد الصوم وورد انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ قاتله اوشاتمه فليقل انى صائم متفق عليه من حديث ابى هريرة وجاء فى الخبران امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الافطار فارسل اليهما قدحا وقال عليه السلام قل لهما قيأ فيه ما اكلتما فقاءت احديهما نصفه دما غبيطا ولحما عريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال عليه السلام هاتان صامتا عما احل الله سبحانه

لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهما احمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسناد فيه مجهول وكذا حكم غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل ما يعرف ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الرب فورد النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله عزوجل آتاه الله سبحانه ايمانا يجد حلاوته فى قلبه الحاكم وصحح اسناده من حديث حذيفة وكذا حكم كف السمع من الاصغاء الى كل ما يكره من لغو ولهو وقد ورد *والذين هم عن اللغو معرضون* والمغتاب والمستمع شريكان فى الاثم كذا فى الاحياء وهو غريب نعم للطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة (كم من صائم ليس له الا الجوع والعطش) النسائى وابن ماجه من حديث ابى هريرة (وهو المفطر بالحرام) وقيل المرتكب للاثم كالكذب والغيبة وسائر الآثام (ثم كف القلب عما سواه تعالى) اى عما عدا ذكر الرب وما يتعلق به (وهو) اى هذا النوع من الصوم (للانبياء والاولياء) وهم خصوص الخصوص وفصوص الفصوص وتوضيحه ان يصوم قلبه ولبه عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ويكفه عن ما سوى الله بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فى غير صفات الله وآياته ومصنوعاته واليوم الآخر ومقاماته وبالفكر فى امر الدنيا وشهواته ولهواته لا دنيا تراد للدين وضروريانه فان ذلك زاد الآخرة ومقدماته حتى قال ارباب القلوب امن تحركت همته بالتصرف فى نهاره بتدبير ما يستعمله فى افطاره كتبت عليه خطيئة من اوزاره فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وكرمه وقلة اليقين برزقه ووعده فينبغى ان يكون بحال يصدق ان يقال فى حقه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون (وحقه) اى الصوم على الصائم (ان يخاف الرد ويرجو القبول) فيكون قلبه بعد الافطار متعلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذليس يدرى ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرغ منها وروى عن الحسن بن ابى الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون المدعون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمسيء باساءته وعصيانه اى لكان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى اعده ليوم طويل والصبر على طاعة الله سبحانه وفى بابه اهون من الصبر على عذاب الله وحسبنا به فعلماء الظاهر

يعنون بالصحة الجواز والحصول وعلماء الآخرة يعنون بها القبول وبالقبول الوصول الى المقصود والمأمول ومن هنا قال ابو الدرداء ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقاء وسهرهم ولذرة من عبادة ذوى التقوى واليقين ارجح من امثال الجبال من عبادة المغترين ولذا قال العلماء * كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم * فالمفطر الصائم هو الذى حفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش فى الايام ويطلق جوارحه فى الآثام (ويقول) اى فى جنانه او بلسانه (لمن قاتل) اى جادل او ضارب او خاصم (او شتم انى صائم) اى فانا ممسك عما لا يليق به من الاحكام وفيه تنبيه نبيه على ان الشخص اذا علم من صاحبه عمل الصيام ان لا يتعرض له من كلام الخصام ويشير اليه قوله تعالى * فاما ترين من البشر احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا (فهو مأثور) كما تقدم وقد ورد نعما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث الامانة فى الصوم واسناده حسن ولما تلا عليه السلام قوله تعالى * ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها * وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة | كذا فى الاحياء قال العراقى اخرجه ابو داود من حديث ابى هريرة دون قوله السمع امانة ثم لولا ان الصوم امانة لما قال عليه السلام فليقل انى صائم اى انى اودعت لسانى لاحفظه عن الاشتغال بك فكيف اطلقه بجوابك (ولا يسأل) بصيغة المجهول (عنه) اى عن صومه او عن حاله بان يقال انك صائم ام لا فانه يوجب على كل تقدير اشكالا (لان المسؤل ان اظهر) وربما يتفرع عليه الرياء (وان انكر كذب) وهو اعظم البلاء (وان سكت استحقر) اى المسؤل للسائل بسؤاله فيما استحضر وترتب عليه الجفاء (وان احتال للمدافعة تعب) اى فيما تفكر وتدبر ووقع فى العناء وورد لا يكذب الكاذب الامن مهانة نفسه عليه الديلمى عن ابى هريرة مرفوعا (ولا يكثر الاكل) اى حال الافطار بحيث يمتلئ فما وعاء ابغض الى الله من بطن يملأ من الحلال فقد ورد ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن المقدام بن معدى كرب واكلات بضمتين لقيمات كما فى رواية (تحاميا عن الكسل) اى فى الطاعة وقد ورد اعوذ بك من الكسل لاسيما (فى التهجد) لما تقدم من انه اذا اكثر الاكل اكثر الشرب واذا اكثر الشرب اكثر النوم واذا اكثر النوم ضيع عمره وفقد امره وينبغى ان لا يكثر النوم فى النهار ايضا ليحس اثر الجوع والعطش والافتقار تنجح ومحرته لا سيما مع وجود غفلته وعن بعض الحكماء خمسة من الاشياء ابتلى الناس بها وكان هلاكهم فيها اولها حب الشبع وفيه قساوة القلب والثانى حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث حب الراحة وفيه الافلاس والرابع حب المال

وفيه الحساب الطويل فى المآل والخامس الثناء وفيه ذهاب الثواب وابطال الاعمال (وبطلان سره) اى وتحاميا عن بطلان فائدة الصوم ومنفعة امره (وهو قهر النفس) اى اذلالها للانقياد فيما خلقت لاجله فكيف يستفاد من الصوم قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره مافاته فى نهاره ومن جعل بين قلبه وبين ربه مخلاة من الطعام فهو محجوب عن شريف المقام ولطيف المرام (وطريقه) اى طريق تحصيل الصوم فى مذهب القوم (معرفة فوائد الجوع) فقد قيل الجوع عز كله والشبع ذل كله وورد صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف الديلمى عن ابن عمر وقال بعضهم اخترت صوم الدهر لما سألت ستة نفر عن ستة اشياء فاجابوا بجواب واحد سألت الاطباء عن اشفى الادوية فقالوا الجوع وقلة الاكل وسألت الحكماء عن اعون الاشياء على طلب الحكمة فقالوا الجوع وقلة الاكل وسألت العباد عن انفع الاشياء فى العبادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسألت الزهاد عن اقوى الاشياء على الزهادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسألت العلماء عن افضل الاشياء على حفظ العلم وفهمه قالوا الجوع وقلة الاكل وسألت الملوك عن اطيب الادام والذ الطعام قالوا الجوع وقلة الاكل (وهى) اى فوائده ثلاثة عشر (صفاء القلب) اى ضياؤه وبهاؤه وقبوله لدوام ذكر الرب (فورد من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه) اى وكبرت همته وقلت شهوته وعدمت نهمته والحديث لم اجده مرفوعا وانما قال لقمان لابنه يابنى اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وفترت الاعضاء عن العبادة وقد ورد ان من السرف ان تأكل كلما اشتهيت ابن ماجه عن انس وفى رواية البيهقى عن عائشة اكثر من اكلة كل يوم سرف وعن سلمان ان اكثر الناس شبعا فى الدنيا اطولهم جوعا يوم القيمة ابن ماجه والحاكم ومن حديث ابن عباس ان اهل الشبع فى الدنيا هم اهل الجوع فى الآخرة الطبرانى وعن يحيى بن معاذ يا معاشر الصديقين جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر الجوع (ورقته) اى ورقة القلب وتأثره بذكر الرب (فورد من شبع ونام قسا قلبه) لم اعرفه بهذا اللفظ نعم ورد اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم ابو نعيم وغيره ثم يؤخذ بالمفهوم فيفيد ان من جاع وسهر رق قلبه (والاستلذاذ بالطاعة) اى التلذذ بالعبادة كما يعرفه اهل الارادة (والانكسار) اى الذل الحاصل من مقام الافتقار (فالبطر سبب المعصية والغفلة) والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة وقد ورد عليكم بالصوم فانه محسمة للعروق ومذهبة للاشر ابو نعيم فى الطب عن شداد بن اوس (وذكر عطش العرصات) اى موقف القيمة بحيث تكون الشمس قريبة رأسه قدر القامة وفى الخبر يوضع للصائمين مائدة يوم القيمة من ذهب يأكلون

منها والناس ينظرون ابو الشيخ والديلمي عن ابن عباس (وجوع الجحيم) كما قال تعالى
* ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع * وقد ورد الصوم يبرد
من حر السعير الطبراني عن انس (وكسر شهوة الفرج فاستيلاؤها بالشبع) ولذا
ورد من استطاع منكم ان يتزوج فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء
متفق عليه من حديث ابن مسعود (ودفع النوم) اي في الجملة (فهو) اي النوم
الكثير (يكل الطبع) اي يجعله كالا في فهم الكلام (ويضيع العمر) بقدر المنام
(ويفوت القيام) بمقاصد المرام ومراصد المقام (والتهجد) وهو القيام والناس
نيام (وييسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن) المستلزمة للمواظبة على العبادة كما يعرفه
ارباب السعادة (والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل) اي تحصيل الكثير فان امر القليل
يسير (والاعداد) اي تهيئة ما يحتاج الاكل من نحو الطبخ والنفخ (والاكل) اي
نفسه من الفعل (والفراغ) بالجر اي والفراغ عن الفراغ من قضاء الحاجة الانسانية
(ودفع الامراض الشاغلة عنها) اي عن العبادة الكاملة (فورد المعدة) بفتح
وبكسر فسكون (بيت كل داء) اخرج الخلال من حديث عائشة مرفوعا بلفظ الحمية رأس
الدواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد ذكره السيوطي واخرج
ابن ابي الدنيا في كتاب الصمت عن وهب بن منبه قال اجتمع الاطباء على ان رأس
الطب الحمية قلت واجتمعت الحكماء على ان رأس الحكمة الصمت (وخفة المؤنة)
فانها مطلوبة في مقام المعونة (والاكتفاء بالقليل) فان الكثير قل ان يكون حلالا
والحديث قليل يكفيك خير من كثير يطغيك (فطلب الزيادة يورث المذلة) اي
في كسبها (وتحصيل الحرام) بسببها (والشبهة) اي بلا شبهة في حبها (وامكان الايثار
بالفاضل) اي الزائد على قدر كفايته ووفق قناعته (ليكون في ظله) اي ظل ما ينفقه
في سبيل الله (يوم القيمة) فروي ان الرجل في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس
القضاعي عن عقبة بن عامر ان ظل المؤمن يوم القيمة صدقته ابن راهويه
عن بعض الصحابة (ثم التقليل بالتدريج الى ما يحصل به القوام) وهو طريق رياضة
المشايخ الكرام وعن بعضهم ان مما يعين على الجوع ياصمد من غير شبيه ولا شيء كمثله
ثلاثمائة وستين مرة وهو عجيب مجرب غريب (وان لم يطق) اي التقليل وهو الانسب
او ما يحصل به القوام وهو الاقرب (فالاكل بعد صدق الشهوة) اي تحقق الرغبة
(ويعرف) الصدق (بان لا ينتظر الادام) بعد حضور الخبز في المقام (ولا يقع الذباب
على البزاق) فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام في معدته بالاتفاق واما اذا كان يشتهي
خبزا مخصوصا او مع الادام فهو كاذب في جوعه واما الجوع المفرط فمفسد للفكرة
ومعد للخيالات المنكرة (والترك) بالرفع اي وترك الاكل (مع بقائه) اي بقاء الميل في اثنائه
(والاصوب) اي الاقرب الى الصواب في هذا الباب (الاكتفاء بما يقوى على العبادة)

فانها هي المقصودة من اولي الالباب (فهو المأثور) عن الجمهور (وهو) اي ما يقوى
(يختلف بحسب الاحوال) وكذا بتفاوت امزجة الرجال (اما الوقت) اي قدر زمن
الجوع والتقليل (فكانوا) اي بعض السلف (يطوون يومين فصاعدا) اي ثلاثة
(الى خمسين) يوما وهذا درجة ارباب كمال الاجتهاد (والاقتصاد) في الاكل بحسب
الوقت المناسب لاكثر العباد من الزهاد والعباد (هو الاكلة في اليوم) ان لم يكن صائما
(والليلة) حين افطاره (وهو الوسط المروي عنه عليه السلام) اي في بعض المقام
وفي الخبر اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد ابو نعيم في الحلية عن ابي سعيد (فورد
ان اكلتين في يوم من السرف) وقد تقدم ما اخرجه البيهقي وضعفه عن عائشة قالت
رآني النبي عليه السلام وقد اكلت في اليوم مرتين فقال يا عائشة اما تحبين ان يكون
لك شغل الا في جوفك الاكل في اليوم مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين *
الا ان المعروف في شمائله انه عليه السلام كان غالبا يأكل مرتين المعبر عنه بالغداء
والعشاء وفي الصوم الفطور والسحور المسمى بالغداء المبارك في الحديث المشهور
وهو المذكور في قوله سبحانه في حق اهل الجنة * ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا *
وهو الطريقة الحنيفية السهلة فالحديث محمول على اكلتين مشبعتين او على اكلتين
في نهار واكلة في ليلة (والاحب التسحر بها) اي بتلك الاكلة ان كان يكتفي بها
فهو اولى من اول الليلة (ليتهجد على فراغ المعدة ويتقوى على الصوم وهو المروي)
اي مع انضمام الاكلة اول الليلة ففي الخبر تسحروا فان في السحور بركة متفق عليه
واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل ابن ماجه
والحاكم عن ابن عباس وقيل المروي هو ما ورد في حديث عائشة كان عليه السلام
يواصل الى السحر وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة وقال ما واصل
عليه السلام وصالكم هذا قط غير انه اخر الاكل الى السحر (وان منع) اي
الجوع (الحضور) بالطاعة من التهجد وغيره (يفطر بنصف) اي من قرصه
او من قدر عادته في حال شبعه (ويتسحر بآخر استعانة على الطاعتين) اي طاعة
الباطن وهو الحضور في مقام السرور وطاعة الظاهر وهي الطاعة بالجوارح
فيبقى نور على نور (فالجوع الشاغل عنه تعالى مذموم) كما ان الشبع الشاغل عنه
سبحانه مشؤم وقد ورد اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع
وقد اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله * فرب مخمصة شر من التخم (واما
الجنس) اي جنس المأكول (فالاعلى من الخبز البر المنخول) وفيه سعة
(ثم الشعير المنخول) وفيه رخصة (والبر الغير المنخول) فهو توسط (ثم الشعير الغير المنخول
وهو سنة وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله
لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم الشعير احمد والترمذي وابن ماجه وفي الشمائل

عن عائشة انها قالت ماشبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين
حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى شمائل الترمذى عن سهل بن سعد انه قيل
له اكل عليه السلام النقى يعنى الحوارى فقال سهل مارأى عليه السلام النقى حتى
لقى الله عزوجل فقيل هل كانت لكم مناخل على عهده عليه السلام قال ماكانت
لنا مناخل فقيل كيف تصنعون بالشعير قال ننفخه فيطير ماطار ثم نعجنه لا يقال المنخل
بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا نقول ليس كل ما ابتدع منهيا عنه
بل المنهى عنه ابداع بدعة مضادة سنة ثابتة فقد يكون بدعة حسنة وقد تكون واجبة
وقد تكون مباحة ومنها المنخل فان المقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح مالم
ينته الى التنعم المفرط قال تعالى *قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات
من الرزق* اى المستلذات للخلق (ومن الادام) اى والاعلى من الادام (اللحم) وقد ورد
سيد طعام اهل الدنيا واهل الجنة اللحم رواه ابن ماجه وابن ابى الدنيا من حديث
ابى الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن على رفعه بلفظ سيد
طعام الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابو نعيم فى الطب النبوى وعن صهيب بلفظ سيد
الطعام فى الدنيا والآخرة اللحم ثم الارز اخرجه الديلمى من جهة الحاكم وعن بريدة ايضا
مرفوعا سيد الادام فى الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء وسيد
الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية رواه الطبرانى وكذا ابو نعيم لكن بلفظ آخر
ومما يقويه حديث فضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام اخرجه
الترمذى وغيره وفى الشمائل انه عليه السلام اكل الدجاج ولحم حبارى وجنبا مشويا
وكان يحب الذراع ويقول ان اطيب اللحم لحم الظهر وفى الاحياء عن على كرم الله
وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه
(والحلواء) من التمر وغيره فعن عائشة كان عليه السلام يحب الحلواء والعسل رواه
اصحاب الكتب الستة وكان يعجبه الحلو البارد كما فى الشمائل واما حديث المؤمن
حلوى والكافر خمرى فقال ابن حجر العسقلانى باطل لا اصل له وكان يحب الدباء
كما فى الشمائل وغيره عن انس وكان يحب القثاء كما رواه الطبرانى عن الربيع بنت معوذ
(ثم الدهن) وفى معناه السمن فقد ورد كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة
وفى لفظ فانه مبارك احمد والترمذى وابن ماجه عن عمر وصححه الحاكم على شرطهما
(ثم الملح) فعن انس مرفوعا سيد ادامكم الملح ابن ماجه وابو يعلى والطبرانى
(والخل) فعن عائشة انه عليه السلام قال نعم الادام الخل الترمذى ورواه مسلم
عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اهله الادام فقالوا ماعندنا
الا الخل فدعا به فجعل يأكل وهو يقول نعم الادام الخل وعن ام سعد مرفوعا نعم
الادام الخل اللهم بارك فى الخل وفى رواية فانه كان ادام الانبياء من قبلى وفى حديث

لم يفقر بيت فيه خل رواه ابن ماجه واما حديث خير خلكم خل خمركم فرواه البيهقى
فى المعرفة عن جابر مرفوعا وقال انه ليس بالقوى (والمحمود الوسط فالطرفان)
اى الاعلى والادنى (شاغلان) من العبادة للمتجرد الزاهد واما العارف فكل حلال
له طيب قال تعالى * ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا* وقال* ياايها الذين
آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون (فورد والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا) اى لم يبذروا (ولم يقتروا) اى لم يبخلوا (وكان بين ذلك قواما)
ولا شك ان قوام كل قوم بحسب مايقوم عندهم (خير الامور اوساطها) رواه
البيهقى عن عمرو بن الحارث بلاغا ولعله مأخوذ من قوله تعالى * وكذلك جعلناكم امة
وسطا * وقوله كنتم خير امة (والاولى ان لايواظب عليه) اى على الادام فى جميع الليالى
والايام (ويترك المشتهى) اى وان يترك ماتشتهيه النفس (قطعا للانس بالدنيا)
وطمعا لمجالس القدس فى العقبى وفيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وورد اللهم
لاعيش الاعيش الآخرة فان عيشها عيشة راضية فاخرة (وورد) اى فى توبيخ
الكفار (اذهبتم طيباتكم) اى مستلذاتكم (فى حياتكم الدنيا) والظاهر انها محمولة
على المحرمة اذلاتبعة فى المباحات اومختصة بالكفار لكن قد يقال العبرة بعموم اللفظ
لابخصوص السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه فى المعصية دون
الابرار فانهم استعانوا بنعمه على الطاعة (شرار امتى الذين غذوا) بصيغة المجهول
من الغذاء بالمعجمتين اى تربوا (بالنعيم) من غير فرق بين الحلال والحرام (ونبتت عليه
اجسامهم) وكل جسد نبت من اكل الحرام فالنار اولى به كما فى رواية (وانما همتهم انواع
الطعام واللباس) اى من غير تفرقة بين الجواز وعدمه فان محط نظرهم مايرون من فعل عامة
الناس والحديث رواه ابن عدى فى الكامل ومن طريقه البيهقى فى شعب الايمان من حديث
فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وروى من حديث فاطمة بنت
الحسين مرسلا قال الدارقطنى فى العلل هو اشبه بالصواب ورواه ابو نعيم فى الحلية
من حديث عائشة باسناد لا بأس به (ولا يجمع بين الشهوتين) اى المشتهاتين
كاللحم والفاكهة او الفاكهتين (قضاء) اى اداء لشهوة النفس ومرادها فيجوزان يجمع
بنية ادراك خاطر المضيف وغيره وقد ثبت فى الشمائل انه اكل اللحم مرتين وجمع بين
اللحم والرطب وبين البطيخ والرطب وفى رواية بين الخربز والرطب وفى اخرى
بين القثاء والرطب وقال بردهذا بحر هذا (ولا بين الشبع والنوم فهما غفلتان)
وفى كثرتهما حسرتان وخسارتان (فورد اذيبوا طعامكم) اى اهضموا (بالصلوة
والذكر) واعلاه التلاوة (ولا تناموا عليه) اى على الشبع من غير طاعة ربكم
(فتقسو قلوبكم) ابو نعيم وغيره عن انس (ويكتفى بالتمر تحرزا عن التفكه) اى

التنعم فعن النعمان بن بشير رأيته صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه الترمذى فى شمائله وقيل معنى الاكتفاء بالتمر عن التفكه انه يأكل التمر بدلا من الخبز وكذا يكتفى بكل فاكهة اشتهت نفسه عن الطعام فيأكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها لان التفكه انما يكون اذا شبع من الطعام ثم اكل الفاكهة اما اذا اكتفى بالفاكهة بدلا عن الطعام فلا يكون ذلك تفكها بل يكون قوتا يقتضى قوة وبنا سببه ماحكى عن بعضهم انه نظر الى رجل يأكل خبزا وتمرا فقال له ابتدء بالتمر فان قامت به كفايتك والا اخذت من الخبز بقدر حاجتك (ويؤلم النفس) اى يؤدبها ويهذبها (فى ابتداء الرياضة) قال تعالى * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (فكان عليه السلام يحب العسل) اى والحلواء ونحوهما ويستعملهما لانه كان فى مرتبة العرفان وايضا اراد ان يقتدى به جميع افراد الانسان (وعمر رضى الله عنه يجتنبه) اى العسل او الادام تركا للذة واختيارا للرياضة وعملا بالافضل كما هو شأن الاكمل (وبأمر ابنه) اى عبدالله على ماهو الظاهر (بأكل الخبز يوما مع اللحم ثم اللبن) اى يوما (ثم الدهن) اى دهن الزيت ونحوه او السمن ويؤيده قوله (ثم الزيت) اللهم الا ان يقال المراد به الزيتون مجازا وفيه ان الزيت والزيتون كلاهما كان عزيزا فى المدينة (ثم الملح ثم وحده) اى الخبز من غير ادام معه (ولا يأكل فى الخلاء ما يترك) اى شيئا او قدرا يتركه (فى الملاء) فانه من باب السمعة والرياء وكذا لا يعبد فى الملاء ما يتركه فى الخلاء فانه من اخلاق اهل النفاق (فهو شرك خفى) وقد قال سبحانه وتعالى * فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا * وفى الحديث القدسى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى تركته وشركه مسلم وابن ماجه عن ابى هريرة (ولا يريد) اى وينبغى ان لا يريد (ان يعرف) بين الناس (بالتقليل) اى بتقليل الاكل وكذا بتكثير العلم والعمل (فهو) اى التقليل رياء (افحش) اى اقبح (من الاكثار) مطلقا فانه حينئذ ترك شهوة الحلال واختار شهوة الحرام (ويؤخر السحور) وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم التسحر وهو الاكل فى السحر وهو السدس الاخير من الليل (ويعجل الافطار) ففى كل منهما ورد الآثار فعن ام حكيم عجلوا الافطار واخروا السحور الطبرانى وعن انس بكروا بالافطار واخروا السحور ابن عدى وعن ابن عباس انا معاشر الانبياء امرنا ان نعجل افطارنا ونؤخر سحورنا ونضع ايماننا على شمائلنا فى الصلوة الطيالسى وعن ابى ذر لا تزال امتى بخير ما عجلوا الافطار واخروا السحور رواه احمد (ويبتدئ بالتمر) والرطب افضل (او الماء) عند عدمهما وزمزم افضل ولا منع من الجمع وعن انس كان عليه السلام يفطر على رطبات قبل ان يصلى فان لم تكن رطبات فتمرات وان لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء (ويفطر صائما) واقله واحد وورد من فطر صائما كان له مثل

اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا احمد والترمذى وابن حبان عن زيد بن خالد (فالكل مأثور) وفى ضمن الشرح مسطور (ويستعد فى شعبان) لاستقبال رمضان (بالتوبة) اى الاستغفار والندامة (ورد المظالم) اى مظالم العباد وكذا اداء حقوق الله (وترك الشواغل) اى الموانع عن الصيام والقيام من العمارة والسفر للتجارة والكسب الزائد على الحاجة (ويخص رمضان بالصدقة) اى بزيادتها فانها اقرب الى القبول والغفران (والتلاوة) اى قراءتها او مدارستها فانه شهر نزل فيه القرآن (والاعتكاف) اى فى المسجد قال تعالى * وانتم عاكفون فى المساجد (لاسيما العشر الاواخر) فالاعتكاف فيه سنة مؤكدة وفى غيرها مستحبة (فهو عليه السلام واظب عليه) اى على الاعتكاف فى العشر الاخير ففى الصحيحين عن عائشة كان اذا دخل العشر الاواخر احيى الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر وكان لا يخرج الا لحاجته وفى رواية ابى داود بزيادة ولا يسأل عن المريض الا مارا (وامرنا بالتماس ليلة القدر فيها) اى فى العشر الاواخر واوتارها اشبه والجمهور على انها ليلة السابع والعشرين (ويراعى سائر الايام الفاضلة) اى بالصوم فيها قدر طاقته واستطاعته فى تكثير طاعته (كالاشهر الحرم) وهى رجب وذى القعدة وذى الحجة والمحرم اما المحرم فورد فيه ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم فانه شهر الله الحديث رواه النسائى عن على ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير احب وارجى لدوام البركة وفى المعجم للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون حسنة وعن انس من صام ثلاثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله عز وجل له عبادة تسعمائة سنة الازدى فى الضعفاء وفى رواية ابن شاهين فى ترغيبه وابن عساكر عن انس كتب له عبادة سبعمائة سنة وفى رواية الطبرانى فى الاوسط عن انس عبادة سنتين واما رجب فورد فيه صوم اول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثانى كفارة سنتين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم شهر رواه ابو محمد الخلال عن ابن عباس (لاسيما عرفة) اى يوم عرفة فورد من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين سنة امامه وسنة خلفه ابن ماجه بسند حسن عن قتادة بن النعمان واذا كان بعرفات ان لم يضعف عن العبادة ولم يسئ خلقه فالصوم افضل والا فالافطار وقد ثبت انه عليه السلام افطر بعرفة فى حجة الوداع وكأنه تهوين على الامة منشاؤه الشفقة والرحمة بل ورد انه عليه السلام نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة احمد وابو داود وابن ماجه والحاكم عن ابى هريرة (وعاشوراء) والافضل ضم تاسوعاء (والعشرين) بالفتحتين اى العشر الاول من ذى الحجة ومن المحرم فورد ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر الترمذى وابن ماجه من حديث ابى هريرة وعند البخارى من حديث

ابن عباس ما العمل فى ايام افضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ (وشعبان) كله او اكثره فكان عليه السلام يكثر صيام شعبان حتى كان يظن انه من رمضان متفق عليه من حديث عائشة (والايام البيض) اى التى لياليها البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر على الاشهر من الاقوال او الايام التى تبيض جسم آدم بصومها لما خرج من الجنة وكان قد اسود من جهة الخطيئة وعن ابن عباس كان عليه السلام لا يدع صوم ايام البيض فى سفر ولا حضر الطبرانى (والجمعة) والافضل ان لا يصوم فيها مفردا لما ورد عن جنادة الازدى لا تصوموا يوم الجمعة مفردا احمد والنسائى والحاكم وفى رواية لاحمد عن ابى هريرة لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم (والخميس والاثنين) لانهما يومان متبركان وورد كان يصوم الاثنين والخميس فقيل له فقال الاعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم الا المتهاجرين فيقول اخروهما احمد عن ابى هريرة (ويفطر فى آخر شعبان استعانة على صوم رمضان) واستبعادا عن التقدم فى الزمان وورد اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الاربعة من حديث ابى هريرة وصححه الترمذى وفى رواية اذا انتصف شعبان فلا صوم حتى رمضان احمد والدارمى والاربعة وصححه وابن حبان وابو عوانة وغيرهما مرفوعا فان وصل شعبان برمضان فجائز كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة كما رواه الاربعة من حديث ام سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان ولابى داود والنسائى نحوه من حديث عائشة وفصل مرارا كثيرة كما رواه ابو داود من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام واخرجه الدار قطنى وقال اسناده صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين كذا ذكره الحجة ومخرجه ولا يخفى عدم دلالة الحديث على المدعى (ثم السر فيما ورد) من حديث عبد الله بن عمرو فى الصحيحين (افضل الصيام صيام اخى داود) وتمامه كان يصوم يوما ويفطر يوما (شدة انكسار النفس) وما لها من الارادة (بنقض العادة) فانه لب العبادة ومن ذلك ما ورد فى الصحيحين ايضا من منازلته عليه السلام لعبد الله بن عمرو فى الصيام وهو يقول اريد افضل من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم له صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال عليه السلام لا افضل من ذلك لانه اشد على النفس والهوى ووقع قهرها اقوى ولان العبد فيه بين صبر يوم وشكر يوم فقد قال عليه السلام عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت الترمذى من حديث ابى امامة وحسنه

وفيه تنبيه على ان الكمال هو التربية بين تجلى صفتى الجمال والجلال وقد ورد ايضا الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر وقال عز وعلا * ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور * (بخلاف صوم الدهر) فانه يصير العبادة له كالعادة على انه شامل للكل مع الزيادة وللسالكين طرق هنالك فمنهم من كره ذلك اذ وردت فيه اخبار كثيرة تدل على كراهيته منها من صام الابد اى الدهر فلا صام ولا افطر احمد والنسائى والحاكم وابن ماجه من عبد الله بن الشخير وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث ابى قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا افطر وللنسائى من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن الحصين وفى الاحياء الصحيح انه انما يكره لشيئين احدهما ان لا يفطر فى العيدين وايام التشريق وهو الدهر كله وثانيهما ان يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه واذا لم يكن شئ من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين وقال عليه السلام فيما رواه ابو موسى الاشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه ليس له فيها موضع والحديث رواه احمد والنسائى فى الكبرى وابن حبان وحسنه ابو على الطوسى (قيل يجتهد ان يصوم نصف السنة) وهو صيام داود ويمكن ان يكون غيره (او ثلثها) فاذا صام ثلاثة ايام من اول الشهر وثلاثة من وسطه وثلاثة من آخره فهو ثلث بانفراده واما (مع رعاية الايام الفاضلة) بان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من النصف (وقيل لا يفطر الا اربعة ايام متواليات اعتبارا بايام النحر والتشريق) وفى الاحياء كره بعض العلماء ان يوالى بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق وذكروا ان ذلك يقسى القلب ويولد ردئ العادات ويفتح ابواب الشهوات قال ولعمرى هو كذلك فى حق اكثر الخلق لا سيما من يأكل فى اليوم مرتين (والاصل العمل بحسب صلاح الباطن) اى اذا صلح باطنه بالصوم صام واذا اصلح بالفطر افطر لان المقصود صلاح القلب للحضور بين يدى الرب فتارة يقتضى دوام الصوم واخرى دوام الفطر واخرى مزجه وهو الانسب (فكان عليه السلام يصوم) اى النفل متتابعا (حتى يقال) وفى رواية حتى تقول بالنون والغيبة والخطاب (لا يفطر) اى ابدا (وكذا يفطر) اى مواظبا (حتى يقال لا يصوم) بعد هذا اصلا (ويقوم) اى فى الليل متواليا (حتى يقال لا ينام وينام) اى كثيرا (حتى يقال لا يقوم) كذا فى الاحياء قال العراقى حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر الحديث اخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وللبخارى من حديث انس كان يفطر من الشهر حتى يظن انه لا يصوم منه ويصوم حتى يظن ان لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته قلت والحديث ايضا

فى شمائل الترمذى وقد شرحته وكان ذلك المقام له عليه السلام بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات واختلاف الحالات

﴿ الباب الرابع فى السفر والحج والغزو ﴾

تخصيص بعد التعميم للتتميم (بسم الله الرحمن الرحيم) المعين للمسافر والمقيم (السفر) اسم من الشرعى واللغوى (مادى وهو دليل وصيد التمام) من علماء الشريعة او من مشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم فى الحقيقة (فورد) فى رواية الترمذى والضياء عن انس (من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله) اى الجهاد مع اعداء مولاه او فى طريق رضاه (حتى يرجع) اى من سفره الى حضره قال المظهرى وجه مشابهة طالب العلم بالمجاهدة فى سبيل الله انه احياء الدين وفيه ارضاء الرحمن واذلال الشيطان وعن انس طالب العلم افضل عند الله من المجاهد فى سبيل الله الديلمى وعن جابر بن عبد الله انه رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبد الله بن انيس يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فى تفسير قوله تعالى * السائحون * انهم طلاب العلم المسافرون وعن ابى هارون قال كنا نأتى ابا سعيد فيقول مرحبا بوصية عليه السلام كان يقول ان الناس لكم تبع وان الرجال يأتونكم من اقطار الارض يتفقهون فى الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وعن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع ابى الدرداء فى مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا ابا الدرداء انى جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئت لحاجة اى غير ان اسمع منك الحديث قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض والحيتان فى جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر رواه احمد والترمذى وابو داود وابن ماجه والدارمى والحديث فى المشكوة وشرحه فى المرقاة (والتجارب) اى وقصد التجربة فى اماكن الشدة (لاصلاح الاخلاق) اى المستحسنة فى حكم الخلاق (فهو مهم) والسالك بسيره متم ومنه قوله عليه السلام اخبر تقله ابن عدى من حديث ابى الدرداء مرفوعا وفى رواية له وجدت الناس اخبر تقله اخرجه الطبرانى وابو يعلى وابو نعيم وفى النهاية اى جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم لفظه امر ومعناه خبر اى من جربهم واختبرهم ابغضهم والهاء فى تقله للسكت ومعنى نظم الحديث وجدت الناس مقول فيهم هذا القول قيل ويضرب هذا مثلا فى قلة توقع الخير عند الناس (والسفر) وسمى به لانه (يسفر عنها) اى يكشف عن الاخلاق الرضية والدنية فى اختلاف الحالات (للبعد عن المألوفات)

وعدم وجود المعروفات (والتفكر فى لطائف افعاله تعالى) فى مصنوعاته (وعظيم صنعانه) اى الدالة على عظمة ذاته كما يشير اليه قوله تعالى * قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم * فهو اما بسير الباطن او بانضمام سير الظاهر وقوله عز وعلا * سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم * وقوله * اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ * واختلف احوال الصوفية فى سلوك سير الظاهر فمنهم من سافر فى بدايته واقام فى نهايته وهو الاظهر ومنهم من اقام ولم يسافر وهو الاكثر ومنهم من استدام على السفر (والحج فورد ولله على الناس حج البيت الآية) اى * من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين (من حج البيت ولم يرفث) اى لم يجامع فى الاحرام ولم يذكر النساء فى مجامعهن (ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه) احمد والبخارى والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة بلفظ من حج لله فلم يرفث الحديث ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا ابن عدى من حديث ابى هريرة والترمذى من حديث على وقال غريب وفى اسناده مقال ومن خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى الله له اجرى الحاج والمعتمر كل سنة الى يوم القيمة البيهقى فى الشعب (والجهاد) مع الكفار (فورد لغدوة فى سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها) احمد والشيخان والترمذى وابن ماجه عن انس (وزيارة المدينة) ففى الخبر من زار قبرى وجبت له شفاعتى ابن عدى والبيهقى وابن ابى الدنيا والطبرانى والدارقطنى عن ابن عمر وهو فى صحيح ابن خزيمة وللطيالسى عن عمر مرفوعا من زار قبرى كنت له شفيعا او شهيدا قال الذهبى طرقها كلها لينة لكن يقوى بعضها بعضا لان من الرواة من هو متهم بالكذب قال ومن اجودها اسنادا حديث حاطب من زارنى بعد موتى فكانما زارنى فى حياتى اخرجه ابن عساكر وغيره قلت حديث من زارنى بعد وفاتى فكانما زارنى فى حياتى رواه ابن عدى والطبرانى والدارقطنى والبيهقى من حديث ابن عمر ومن جاءنى زائرا لا يهمه الا زيارتى كان حقا على الله ان اكون له شفيعا الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن ومن وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى ابن عدى والدارقطنى وابن حبان والخطيب من حديث ابن عمر وفى رواية من حج ولم يزرنى فقد جفانى وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث انس ما من احد من امتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر (وبيت المقدس) فعن ابن عمر ان سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلاثة سأل الله حكما يصادف حكمه فاوتيه وسأل الله ملكا لا ينبغى لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله حين فرغ من المسجد ان لا يأتيه احد لا ينهض الا الصلوة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اما اثنتان فقد اعطيهما وارجو ان يكون قد اعطى الثالثة احمد والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقد صح انه عليه السلام صلى فيه ورحل ابن عمر اليه ودخل عليه وصلى

ركعتين ثم رجع وعن ميمونة مرفوعا من لم يأت بيت المقدس يصلى فيه فليبعث بزيت يسرج فيه البيهقى (فورد) اى فى الصحيحين وغيرهما من حديث ابى هريرة وابى سعيد (لا تشد الرحال) اى لا تطلب بركة البقاع بالسفر اليها (الا الى مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى) ولا يمنع هذا زيارة قبور الانبياء والاولياء لان الحصر فى حق المساجد دون سائر المشاهد ومسجد قباء ونحوه فى المدينة من منازل الكرام داخل فى جنس مسجده عليه السلام ثم لفظ الحديث على ما هو المشهور عند المحدثين الاعلام لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد فى فضيلة مضاعفة الصلوة فيها فعن جابر صلوة فى المسجد الحرام مائة الف صلوة وصلوة فى مسجدى الف صلوة وفى بيت المقدس خمسمائة صلوة البيهقى (وملاقاة الكبراء) من المشايخ والعلماء وهم احياء (للاستفادة من مشاهدة الاحوال) ومعاينة الاقوال (فلسان الحال افصح) من بيان المقال وليس الخبر كالمعاينة وقد ورد اولياء الله الذين اذا رأوا ذكر الله الحكيم عن ابن عباس فقد ينفعه لحظ الرجال ما لا ينفعه لفظ الرجال ومن هنا قيل من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه وهذا القول له معنيان احدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله اكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه فى مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع بالنظر اليه فهو نفع اللحظ عليه ومن لم تكن افعاله هكذا فلفظه ايضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب الاستقامة فى طاعة الرب المعبر عنها بالشريعة فى الاعمال الظاهرة وبالطريقة فى الاخلاق الباهرة وبالحقيقة فى الاحوال الذاخرة المستمرة حتى فى الدار الآخرة والثانى ان نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر احدهم الى الرجل الصادق فيستكشف بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستيهاله لمواهب الله تعالى الخاصة للموافق فتقع فى قلبه محبة المريد الصادق وينظر اليه نظرة محبة عن بصيرة فيكتسب بنظره احوالا سنية ويرى آثارا رضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه ان يجعل هذه الخاصية فى نظر بعض خواصه من عباده كما جعل فى بعض الافاعى من الخاصية انه اذا نظر الى انسان يهلكه ومما يدل على تأثير الصحبة واكسير نظر الاثير ما حصل لاجلاف العرب حيث كان احدهم ممن يبول على عقبيه فينظر صلى الله عليه وسلم وآمن به فصار فى لحظة واحدة من كمل الاولياء والاصفياء حيث لم يبلغه احد من المشايخ والعلماء وابلغ من هذا قضية كلب اصحاب الكهف حتى وصل مرتبته الى ان ذكره الله فى كتابه القديم مرات بنعت التعظيم والتكريم وقد وقع تأثير نظر الشيخ نجم الدين الكبرى الى كلب كان حول الفقراء وذكر صاحب

عوارف المعارف الشيخ شهاب الدين السهروردى عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب آداب المريدين انه كان يطوف فى مسجد الخيف بمنى ويتصفح وجوه الناس ههنا وههنا فقيل له فى ذلك فقال ان لله عبادا اذا نظروا الى شخص اكسوه السعادة فانا اطلب تلك السعادة وحكاية الشيخين مع السيد عبد القادر مشهورة وفى غير هذا المحل مسطورة (وزيارة قبورهم) اى الكبراء فانهم بمنزلة الشهداء لا يموتون ولكن ينتقلون من دار الفناء الى دار البقاء وقد ورد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة ابن ماجه عن ابن مسعود وفى رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة الحديث (والفرار عما يشوش العبادة) او ينقصها او يمنعها (كالجاه) اى الوسيع (والمال) اى الكثير وعن سفيان الثورى هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتنة ومن افضلها الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية الى دار الطاعة ففى الصحيح من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فالمدار على تصحيح النية وتخليص الطوية فى جميع الاعمال الدينية والدنيوية لتصير وسائل فى رفعة الدرجات الاخروية (واما دنيوى كالفرار من الفتنة) اى الدنيوية (والقحط) ونحوه من الغلاء وسائر البلية (ولا حرج فيه) اى فى هذا النوع بل هو مباح او مستحب فقد قال ابو نعيم رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وقلته بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله فقال الى بلد املأ فيها جرابى بدرهم وفى حكاية اخرى بلغنى خبر قرية فيها رخص اقيم فيها فقلت تفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص فى بلدة فاقصدها فانه اسلم لدينك واقل لهمك فالاولى للمريد اذا كان طالبا للمزيد ان يلزم مكانه ويحفظ شانه مما شانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر بعبادة الرب فهو افضل المواضع له قال تعالى * يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون * وورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاى موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله احمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف وفى الخبر من رزق من شئ فليلزمه ابن ماجه من حديث انس بسند حسن واذا سبب الله لاحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير له او يتنكر له ابن ماجه من حديث عائشة بسند فيه جهالة واحمد بسند حسن (الا عن الطاعون فهو) اى الفرار منه (منهى عنه) بلفظ اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بارض فلا تخرجوا منها فرارا منه احمد والشيخان والنسائى عن اسامة بن زيد (او طلب المال) اى

وكطلبه (ونحوه) من النكاح وغيره من المباحات (فينوى فيه) اى الخيرات والمبرات (نحو التعفف عن السؤال) فى طلب المال (والتعطف على العيال) فى النكاح (ليصير عبادة) لان تصحيح النيات يجعل العادات عبادات كما حقق فى شرح حديث انما الاعمال بالنيات ومن هنا ورد نية المؤمن خير من عمله (ثم ان كان) اى السفر (واجبا) اى فرض عين (كالحج وطلب العلم فيتعين) اى فعله (والا) اى وان لم يكن واجبا (فالاستفتاء من القلب) متعين فى فعله وتركه (بحسب صلاح الحال وفساده فى الحضور مع الرب (فالفوائد) اى المنافع (والآفات) اى المضار (متعارضة) فى امر السفر وغيره من الحالات (والمقصود) اى الاعلى (هو المعرفة والانس به تعالى) فى جميع المقامات (والمعين فى البداية السفر للتعلم) ان لم يوجد العلماء فى بلده اولم يقدر على تحصيله لشغله باهله (وفى النهاية الاقامة) لاستماع الكبر فانه لا يحتمل الضرر (ففيه) اى فى السفر (شواغل) عن الذكر والفكر (من النظر الى المأوفات وحفظ النفس والمتاع) من الآفات (واحتمال الشدائد والهموم) باختلاف الحالات وتفاوت الاوقات وتباين المقامات ومن هنا ورد السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى احدكم نهمته من وجهه اى حاجته من جهته فليعجل الرجوع الى اهله مالك واحمد والشيخان وابن ماجه عن ابى هريرة (وحقه) اى المسافر (ان يتوب) عن الذنوب من الصغائر والكبائر فى الظواهر والضمائر ويؤدى حقوق الله من فوات صوم وصلوة ونحوهما (ويرد المظالم) اى حقوق العباد او يتحلل من اصحابها ويقضى الديون ويدفع الامانات الى اربابها فى القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم مكانه ولا يعلم احى ام ميت لا يجب عليه طلبه فى البلاد وفيه ايضا رجل عليه ديون لاناس لا يعرفهم من غصوب ومظالم وجنايات يتصدق بقدرها على الفقراء بنية القضاء ان وجدهم مع التوبة الى الله فيعذر وفى فتاوى قاضى خان رجل له خصم فمات ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر ماله ليكون وديعة عند الله يوصله الى خصمائه يوم القيمة (ويؤدى النفقات) اى كل من تلزمه نفقته الى حين رجعته (ويأخذ الزاد) من المال الحلال لذهابه وايابه من غير تقدير وتعيين فى بابه بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد مع الرفقاء والرفق بالضعفاء والفقراء قيل وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده فى سفره وكان يقول افضل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وورد الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله وما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام وذكر ابن الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولا مركوب يطرأ عليه امور عديدة منها عدم القدرة على اداء الصلوة وهو متعد فى ذلك ومنها عدم القوة والقدرة على

تحمل المشقة ومنها يكلف الناس ان يقوموا بقوته وسقيه وربما آل امره الى الموت وهو الغالب فتجدهم فى اثناء الطريق مرضى مرميين اوطرحى ميتين بعد ان خالفوا امر الله فى حق انفسهم واوقعوا اخوانهم ممن علم بحالهم من اهل الركب فى اثمهم وكذلك يأثم كل من اعانهم بشئ لا يكفيهم فى اول امرهم او يسعى لهم فيه من غيرهم اللهم الا ان يعلم ان غيره يعينهم بشئ يتم به كفايتهم فى الذهاب والاياب فلا بأس فان لم يعلم بذلك حرم عليه الاعطاء لهم لان ذلك سبب لدخولهم فيما لا قدرة لهم من العطش وغيره والافضاء الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما وقع بهم وهذا بخلاف ما اذا كانوا فى الطريق على هذا الحال فانه يتعين على من علم بحالهم اعانتهم بما تيسر له ولو بالشربة والشربتين واللقمة واللقمتين ويعرفهم ان ما ارتكبوه يحرم عليهم لا يجوز لهم ان يعودوا لمثله (ويطلب الرفيق المعين على الخير) المجرب فى الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل الرفيق ثم الطريق والله ولى التوفيق ووصف الرفيق بانه ان نسى الخير ذكره وان ذكره اعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلاه وكونه من الاجانب اولى من الاقارب عند بعض الصالحين تبعدا عن ساحة الوقيعة الموجبة للقطيعة ويجتنب صحبة المتكبرين والجهال (ويتصدق قبل الخروج) ولو بشئ قليل فان الصدقة تدفع البلاء (ويصلى ركعتين) للموادعة او للاستخارة (ويستخير فى غير الواجب) من السفر وغيره والتحقيق ان يستخير فى الواجب ايضا الا انه لا فى فعله وتركه بل يستشير ويستخير فى متعلقاته من خروجه فى هذا الوقت او غيره او فى شراء الدابة وكرائها ونحوه (ويودع الاخوان) ويقول لهم استودع الله دينكم وامانتكم وخواتيم عملكم كما رواه ابو داود والترمذى وصححه والنسائى من حديث ابن عمر (ويرغب فى دعائهم) ويستحب لهم ان يقولوا له فى حضرته زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت كما رواه الطبرانى فى الدعاء من حديث انس وهو عند الترمذى وحسنه وفى غيبته اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر وفى الخبر اذا اراد احدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خبرا الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة (ويعرض الاشياء) اى جميعها (على المكرى) بضم الميم اى المكارى ولو كان قدر مكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى استأمر الجمال فانى قد اكتريت منه قال الحجة فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم فى الورع فانه اذا انفتح باب يسير انجر الى الكثير اقول ولا يبعد ان يراد بالكتاب ماله وزن فحينئذ يجب التوقف على الاذن (ويرضيه) بحمله ان كان زيادة على معتاده (ويخرج فى بكور الخميس) فورد انه عليه السلام كان يستحب ان يسافر يوم الخميس الطبرانى عن ام سلمة (والسبت فورد دعاؤه عليه السلام فيهما) اى

فى الخميس والسبت اما فى مطلق البكور بقوله عليه السلام اللهم بارك لامتى فى بكورها واخرجه الاربعة وحسنه الترمذى وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدى مرفوعا به واما فى خصوص الخميس فلابن ماجه عن ابى هريرة والطبرانى فى الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم بارك لامتى فى بكورها يوم الخميس وفى رواية قال اغدوا فى طلب العلم فانى سألت ربى ان يبارك لامتى فى بكورها يوم الخميس وعن ام سلمة كان يحب ان يسافر يوم الخميس الطبرانى واما ما اشتهر فى هذا اللهم بارك لامتى فى سبتها وخميسها واللهم بارك لامتى فى بكورها واجعل ذلك فى سبتها وخميسها فباطل لا اصل له كما افاده الحافظ بن الملقن فى ادلة التنبيه (والاثنين) اى ويخرج فى الاثنين (وهو ايضا مأثور) فقد ثبت انه عليه السلام هاجر من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات يوم الاثنين (ويكثر السير فى الليل) اى ينبغى ان يكون اكثر سيره بالليل (فورد عليكم بالدلجة) بضم فسكون وهى السير فى اول الليل وقيل فى آخره وهو الاظهر لما فى جميع المناسك ويستحب السير فى آخر الليل وذكر بعضهم سيره اول الليل انتهى ولا يخفى ان ذلك يختلف باختلاف البلاد والعباد (فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار) ابو داود والحاكم والبيهقى عن انس بدون ما لا تطوى بالنهار وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا (ولا ينزل) اى فى المنزل (ما لم يصر اليوم حارا) فان السير فى البرد ايسر (ويصلى) استحبابا (عند الركوب) من المنزل (والنزول فيه) قياسا على الركعتين عند دخول بيته وخروجه منه وقد اخرج الطبرانى عن فضالة ابن عبيد انه عليه السلام كان اذا نزل منزلا فى سفر او دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين وللبيهقى عن انس كان عليه السلام اذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه ركعتين ويقول عند نزوله * رب انزلنى منزلا مباركا وانت خير المنزلين * وعند سيره بسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة الا بالله كما رواه ابن ماجه والحاكم وابن السنى عن ابى هريرة وفى رواية الطبرانى عن ابى سعيد بسم الله توكلت على الله الحديث (ويكبر فى كل صعود) يصعد عليه من شرف اظهارا لكبريائه وعلو مكانته وارتفاع شانه (ويسبح فى كل هبوط) اى حدر يهبط اليه بان نزل من علو الى سفل تنزيها له سبحانه عن الزوال والنزول فقد ورد اذا علا ثنية كبر واذا هبط سبح البخارى والنسائى عن جابر وابو داود عن ابن عمرو فى رواية لاصحاب الكتب الستة عن ابى موسى اذا اشرف على واد هلل وكبر اى قال لا اله الا الله والله اكبر وفى رواية لاحمد وابى يعلى وابن السنى عن انس اذا اشرف على مكان مرتفع قال اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال اى لك العلو على كل عال كما قال تعالى * وهو القاهر فوق عباده * وله الكبرياء فى السموات والارض (وحدوث وحشة) اى ويسبح

عند ظهور وحشة من خوف ومحنة ولم اره مأثورا وانما ورد اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ابو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابى موسى الاشعرى وفى الفردوس للديلمى عن شداد بن اوس مرفوعا حسبى الله ونعم الوكيل امان لكل خائف (ويؤمر احدا) اى يجعل اميرا اذا كان المسافر متعددا (لانتظام الرأى) وعدم التنازع فى الامر (وليكن الامير احسنهم خلقا) بضمتين اى اكثرهم علما واظهرهم حلما (ومواساة) اى اوسعهم موافقة ومداراة وهو بان يكون ازهدهم فى الدنيا واشهرهم فى التقوى واصبرهم على البلوى واشكرهم فى النعمى واتمهم مروءة واعمهم شفقة واقواهم خدمة فقد نقل عبد الله المروزى ان ابا على الرباطى صحبه فقال عبد الله لعلى على ان تكون انت الامير او انا فقال ابو على بل انت فيحمل الزاد لنفسه ولابى على على ظهره وامطرت السماء ذات ليلة فبات عبد الله طول الليل على رأس رفيقه يغطيه بكسائه عن المطر وكلما قال لا تفعل يقول الست الامير وعليك الانقياد والمطاوعة (وورد اذا كنتم ثلاثة فى السفر فامروا احدكم) عن ابى سعيد اذا كانوا ثلاثة فليؤمهم احدهم واحقهم بالامامة اقرؤهم احمد ومسلم والنسائى ولعل قيد الثلاثة الاشعار بانه اقل الكمال فى الجماعة والرفقة (ويعين) اى الامير (الرفقة) بضم فسكون اى رفقاءه بما يقدر عليه من اللطف والرفق (ويواسى عليهم) بزيادة الاحسان وسعة الرزق (ويرافق الراحلة) اى الدابة بان لا يحملها ما لا طاقة لها ولا يرضى بان صاحبها ايضا يحملها فوق طاقتها فى عرفها وعادتها قال ابو الدرداء لبعيره عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم اكن احملك وعلى الجملة فى كل كبد حرى اجر فيراعى حق الدابة وحق المكارى جميعا (وينزل احيانا ففيه اقامة للسنة) اذ كان عليه السلام ينزل احيانا عن الدابة ففى الاوسط للطبرانى من حديث انس باسناد جيد انه عليه السلام كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الادب وقال مشى قليلا وناقته تقاد وقال علماؤنا ويستحب ان يريح الدابة بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عقبة اذا اطاق وقال الطرابلسى يجب اذا كانت الدابة مستأجرة فى المواضع التى جرت عادة مثله بالنزول فيها الا ان يرضى صاحبها وكانت الدابة مطيقة ولا يحل له ان يستلقى على ظهر الدابة ولا يتكئ عليها بل يكون راكبا على العرف والعادة فى مثلها ذكره صاحب السراج الوهاج (وترفيه للدابة) اى تهوين لها عن دوام المشقة (واسرار للمكارى) حيث يفرح بالخفة (ورياضة للنفس) اى تهذيب لها ليعرف قدر النعمة (وتحرز عن ضعف الاعصاب) وما يترتب على دوام الركوب من اليبوسة (ولا ينام عليها الا نومة خفيفة) اذا حصلت ضرورة اذ النوم عليها يؤذيها ويثقل عليها وكان اهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود (ولا يتوقف) راكبا عليها زمانا

طويلا (فورد لاتتخذوا ظهور دوابكم كراسى) والحديث رواه احمد من حديث
سهل بن معاذ ورواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ بن انس عن ابيه مثل
كراسى فى دوام القعود عليها واما محمول على محمولة مثقلة بخلاف الخيل والناقة
التى هى غير مزملة وعلى كل تقدير فيستثنى عشية عرفة فى الو قفة فانه يستحب
الوقوف على الدابة (ولا ينفرد عن الرفقة) اى لايمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما
يقتال او ينقطع وكذا لاينفرد عنهم فى المنزل (ويحرس) اى متاعه وامتعة اصحابه
(بالنوبة) فاذانام احدهم حرس الآخر فهوالسنة اخرج البيهقى من طريق ابن
اسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى اى الليل احب
اليك ان اكفيكه اوله اوآخره فقال لابل اكفنى اوله فاضطجع المهاجرى والحديث
عند ابى دود ايضا لكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرى بل فيه تناوب الرفيقين
فى الحراسة فاذانام احدهما حرس الآخر (وينام فى اول الليل جاعلا رأسه على العضد)
بان افترش ذراعه (وفى آخره) اى الليل (على الكف ويقيم العضد) بان نصب ذراعه
نصبا وجعل رأسه فى كفه (لئلا يشتد النوم) فتفوت صلوة الصبح (فهو مأثور)
رواه احمد والترمذى فى الشمائل من حديث ابى قتادة باسناد صحيح وكذا ابن حبان
والحاكم عنه بلفظ كان اذا عرس وعليه ليل توسد يمينه واذا عرس قبيل الصبح
وضع رأسه على كفه اليمنى واقام ساعده والتعريس النزول فى الليل قال العرا فى
وعزاه ابومسعود الدمشقى والحميدى الى مسلم ولم اره فيه (ولا يصحب جرسا) لقوله عليه
السلام لاتصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولاجرس احمد ومسلم وابوداود والترمذى
عن ابى هريرة لقوله عليه السلام الجرس مزامير الشيطان احمد ومسلم وابوداود عن
ابى هريرة وفى رواية لابى داود عنه لاتدخل الملئكة بيتا فيه جرس (ولاشاعرا)
اى من شعراء الجاهلية الذين قال تعالى فى حقهم * والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر
انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالايفعلون الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا * والحاصل ان الشعر كلام فحسنه
حسن وقبيحه قبيح يستوى فيه السفر والحضر (ولاساحرا) فانه اما ان يكون فاجرا
اوكافرا (ولا كاهنا) وهومن يدعى علم الغيب بواسطة الجن اوغيره فقدورد من اتى
كاهنا فصدقه بمايقول فيه برئ مما نزل على محمد احمد والاربعة عن ابى هريرة
وفى رواية الطبرانى عن واثلة من اتى كاهنا فسأله عن شئ حجبت عنه التوبة
اربعين ليلة فان صدقه بماقال كفر ومن اتى عرافا فسأله عن شئ فصدقه لم تقبل له
صلوة اربعين يوما رواه مسلم عن بعض امهات المؤمنين والحاكم واحمد عن ابى هريرة
من اتى عرافا اوكاهنا فصدقه بمايقول فقد كفر بما انزل الله على محمد صلى الله عليه
وسلم وفسر العراف بمن يدعى معرفة السارق ومكان الضالة فهو اخص من الكاهن
وفى معناه المنجم والرمال وسائر اصحاب الفال (ولاجلالة) وهى دابة تأكل النجاسة

فان الملائكة يتنفرون من رائحتها واخرج الدولابى فى الكنى وابن مندة والطبرانى
وابن عساكر عن ابى رابطة بن كرامة المذحجى قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لقوم فى سفر لايصحبنكم جلال من هذه النعم ولايضمن احدكم ضالة
ولايردن سائلا ان كنتم تريدون الربح والسلامة ولايصحبنكم من الناس ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولاكاهنة ولامنجم ولامنجمة
ولاشاعر ولاشاعرة الحديث (ولاكلبا) لماتقدم (ويؤذن ان ضل الطريق) اوغاب
عن الرفيق ورأى اشياء منكرة اوتخيلت له خيالات مستنكرة اوتلونت له اجسام مكروهة
مزورة فقدورد اذا تغولت الغيلان نادى بالاذان رواه مسلم عن ابى هريرة فان الجن
والشيطان يفرون من الاذان وتحضره الملائكة والابدال من الاعيان واذا انفلتت
دابته فلينادا عينوا ياعبادالله رواه ابن ابى شيبة من قول ابن عباس موقوفا وان اراد
عونا فليقل ياعبادالله اعينونى ياعبادالله اعينونى ياعبادالله اعينونى رواه الطبرانى
عن زيد بن على عن عقبة بن غزوان عن نبى الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ضل
احدكم شيئا اواراد عونا وهو بارض ليس بها انيس فليقل ياعبادالله اعينونى ياعبادالله
اعينونى فان لله عبادا لانريهم (وورد اذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات
اليمين) اى تيمنا وتحاميا (فان عليها ملكا يسمى هاديا) لم اعرف له راويا (ولايدخل
بلدة ليس فيها سلطان) اى خليفة اونائبه من امير اوقاض (ولاسائس) اى شحنة
وحاكم سياسة لانه عند عدمهما تكثر الفتنة وتعدى الظلمة وفى الخبر اذا مررتم ببلدة ليس
فيها سلطان فلاتدخلوها انما السلطان ظل الله ورمحه فى الارض البيهقى عن انس
(ومافيها) اى ولايدخل بلدة فيها (طاعون) لماتقدم وروى بعض الصحابة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود
يغمز ظهره فقلت ماهذا يارسول الله فقال ان الناقة تقحمت بى اى رمت بى اوهزت
بى والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث عمر بسند ضعيف (ويصاحب
المرآة) بكسر الميم ومد الهمزة آلة الرؤية وكان عليه السلام اذا نظر الى وجهه فى المرآة
قال اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى وحرم وجهى على النار البزار عن عائشة
(والمكحلة) محل الكحل ومروده فانه عليه السلام كان يكتحل كل ليلة ثلاثا فى كل
عين كما فى شمائل الترمذى وغيره (والسواك) للوضوء والصلوة وقدتقدم (والمشط)
اى لتسريح شعر اللحية والرأس (والمقلم) وهو المقص اوالسكين فانه بهما يقلم الظفر
ويقص الشارب (والموسى) لحلق العانة (والركوة) اى الدلو ونحوها من المطهرة
(والحبل) فانهما من ضرورة الشرب والطهارة (والابرة وخيطها) لترقيع ثوب يستر
العورة (ويجتنب الغرة) بكسر المعجمة وتشديد الراء اى يحترس من ان يغر احدا اويغره احد
بالمكر والحيلة (فهويذهب البركة) اوالمعنى لايصاحب شخصا لايعرفه ولايسلك طريقا

لايعرفه ولايترك السلاح مواضع المخافة اغترارا على شجاعته ولايأكل من ثمار البرارى
التى ما عهدا كله فى عادته (ويتبرك بزيارة الاحياء) من العلماء والاولياء (والاموات) من الانبياء
والاصفياء (ويعجل الاوبة) اى الرجعة (بعد قضاء الحاجة) اسمرارا لقلب اهله واظهارا
لطيب محله وفى نسخة زيادة (وورد من كان مسافرا اذا قضى نحبه فليرجع الى اهله)
لم اجده لكن تقدم مايدل على اصله وورد اذا قضى احدكم حجه فليعجل الرجوع
الى اهله فانه اعظم لاجره الحاكم والبيهقى عن عائشة (ويأتى بالتحفة) اى بالهدية
(لاهل البيت والاقارب) حقيقة وحكما فقد ورد اذا قدم احدكم من سفر فليقدم
معه اى بهدية ولو يلقى فى مخلاته حجرا ابن عساكر عن ابى الدرداء قبل اراد حجر الزناد
وفى رواية البيهقى عن عائشة اذا قدم احدكم على اهله من سفر فليهد لاهله فليطرفهم
ولو كان حجرا (ولايقدم) من سفره على اهله (بغتة) اى فجأة ففى الصحيحين
من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلما قدمنا المدينة ذهبنا
لندخل فقال امهلوا حتى ندخل ليلا اى عشاء اى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة
ولاحمد من حديث ابن عمر بسند جيد انه عليه السلام قال قبل دخول المدينة لاتطرقوا
اهلكم ليلا فخالفه رجلان فسعيا الى منازلهما فرأى كل واحد فى بيته مايكره
(ولاليلا) لانه وقت الوحشة فقد ورد اذا طال احدكم الغيبة فلا يطرق اهله ليلا
احمد والشيخان (والاحب وقت الضحى) لكمال الظهور وجمال النور وكمال السرور
(ويدخل المسجد) اى مسجد بلده (اولا ويصلى ركعتين) تحية المسجد شكرا لله
سبحانه فعن ابى ثعلبة كان عليه السلام اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه
ركعتين ثم يثنى بفاطمة ثم يأتى ازواجه (فالكل مأثور) وفى كتب الحديث مسطور
(ويقدم) اى من سائر الافعال (له) اى لقدومه (الضحى) بفتح فكسر فتشديد اى طعام
الضحى ولو شاة او طبخ لحم ومرقة (فكان عليه السلام اذا قدم نحر جزورا) اى بعيرا
(او بقرة) لم يحضرنى الآن مخرجه (وحق الحج) اى اداء كماله (ان يخلص فى النية)
ويحسن الطوية بان يتبرأ من الرياء والسمعة ولايقصد التجارة والنزهة فقد روى
فى خبر من اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج للحج اصناف اربعة سلاطينهم للنزهة
واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث انس
قال علماؤنا من اتى بعبادة لغرض دنيوى بحيث لو فقد تركها فليست بعبادة بل
معصية وان وجد عليها باعث الدين والدنيا فان كان باعث
الدنيا اقوى اوهما متساويان فهى باطلة وان كان باعث الدين اقوى فذهب بعضهم
الى انها باطلة وجماعة الى انها صحيحة وهو الاظهر * بقوله تعالى ليس عليكم جناح
ان تبتغوا فضلا من ربكم * اى تبتغوا عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة على ماذكره
البيضاوى وغيره ثم من حقه ان يعجله بعد الاستطاعة فى التأخير آفات مانعة

عن الطاعة على ان المسألة خلافية فى ان الفرضية على التراخى او فورية ففى الفورية
اذا آخره عن اولى سنى الامكان سقطت عدالته وعد من الفساق الى ان يحج ثم لو حج
فى آخر عمره سقط عندنا اجماعا وارتفع اثمه اتفاقا وان مات قبل الحج لقى الله عاصيا بترك
حجه وكان الحج فى ذمته عندنا فيجب عليه وصيته وعند الشافعى فى تركته فيحج عنه
وان لم يوص به كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره شديد وفى حقه
ورد وعيدا كيد منه قوله تعالى * ومن كفر فان الله غنى عن العالمين * حيث وضع من كفر
موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للمبالغة عن غنائه سبحانه واستغنائه
عن ترك الحج وادائه لان منفعته راجعة الى عباده وامائه وقد ورد من مات ولم يحج
فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا رواه الترمذى وغيره عن ابى هريرة مرفوعا
وقيل فى تفسير قوله تعالى * لاقعدن لهم صراطك المستقيم * انه طريق مكة يقعد الشيطان
عليها ليمنع الناس من الوصول اليها وقال عمر رضى الله عنه وهو يومئذ امير المؤمنين لقد
هممت ان اكتب الى الولاة فى الامصار ان تضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه
اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى وطاوس ومجاهد لو علمت رجلا غنيا
وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ماصليت عليه وبعضهم كان له جار موسر
فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل
الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله تعالى * رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت وكذا ورد
عنه ايضا فى قوله تعالى * وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت * الآية
(ويحتال فى دفع تسليم الضريبة) اى الاموال المعينة (لقطاع الطريق) اى من
الاعراب وغيرهم (ويرجع) عن طريق الحج (ان لم يقدر) على الاحتيال (فى النفل)
اى لافى الفرض (فالاعانة على العدوان) اى الظلم والعصيان (افحش) من الرجوع
عن طريق الحج اذا لم يكن من فروض الاعيان واما فى الفرض فلا يرجع اذ الاثم
فى مثله على الآخذ لا المعطى على ماعرف من تقسيم الرشوة فى كتاب القضاء ولكون
المعصية منهم ولايترك الفرض لمعصية عاص وهذا التفصيل حسن خلافا لمن اطلق
جواز اعطائه للضرورة ولمن اسقط الحج ووجوبه اذا كان فى الطريق يؤخذ من ماله
ظلما وفى الاحياء ولاتعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام
من امراء مكة والاعراب المترصدين فى الطرق والابواب فان فى تسليم المال اليهم
تيسيرا لاسباب الظلم عليهم (ويمشى راجلا) اى ويذهب فى طريق الحج ماشيا
(ان قدر) على المشى فانه افضل قال تعالى * واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا *
اى مشاة فقدمهم سبحانه على قوله وعلى كل ضامر اى وركبانا على بعير مهزول
وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على
ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا واوصى عبد الله بن

عباس بنيه عند موته فقال يابنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها
سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف
(والا) اى وان لم يقدر على المشى اوسيئ خلقه به اولم يبق له حضور الذكر بسببه
(فالركوب) فى حقه (افضل) بل هو متعين فتأمل (وقيل هو الافضل) اى مطلقا لفعله
عليه السلام واصحابه الكرام ويجاب عن اختيارهم الركوب الشفقة على ضعفاء
الامة فذهبوا مذهب اضعف القوم فى الهمة كما هو شان الائمة (ففيه مؤنة الانفاق)
اى زيادته وفيه انه يمكن للماشى ان ينفقه فى سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض العلماء
عن العمرة المشى فيها افضل اويكترى حمارا فقال ان كان وزن الدرهم اشد عليه فالكراء
افضل من المشى وان كان المشى اشد عليه كالاغنياء فالمشى افضل وكأنه ذهب فيه
الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ما قدمناه اولى فى مقام الجمع كما لايخفى (والبعد
عن تشويش الهموم) اى غموم الخواطر الردية الناشئة من اتعاب الاعضاء البدنية
(والقرب من السلامة) من غير الملامة (والا تمام) لحظر الماشى اى يمنعه مانع
عن تحصيل المرام ولهذا كان بعض الكرام يمشون وتقاد دوابهم مع الخدام
(ويمشى اشعث اغبر) اى ويذهب حال كونه اشعث الشعر اغبر البدن لكنهما
مختصان بحال الاحرام لما ورد انه عليه السلام سئل اى الحج افضل فقال الشعث
التفل مع ان المسافر لايخلو عن نوع شعث شعر وغبار بدن خصوصا اذا كان من الفقراء
فورد رب اشعث اغبر ذى طمرين لايؤبه به لواقسم على الله لابره (غير متزين)
فى نفسه ولا فى ذاته (ولا مائل التكاثر) اى فى نعمته والتفاخر فى حشمته لخدمته
(فهو عليه السلام فعل كذلك) اى ترك الزينة فانه عليه السلام حج على راحلته
وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم وكان عليه السلام فى سفر فنزل
اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى هذه الحمرة
قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل
ابوداود من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم (واخبر) اى النبى عليه السلام
(عن مباهاته تعالى به) اى بالحاج الشعث الاغبر فى الحديث انما الحاج الشعث التفل
يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق الترمذى
وابن ماجه من حديث ابن عمر (ويتقرب باراقة دم وان لم يجب) اى وان لم يكن
واجبا عليه (فورد ومن يعظم شعائر الله) اى الهدايا التى تذبح فى الحرم وهى جمع شعيرة
وهى ما يشعر به تعظيم بيت الله ويعلم به تكريم حرم الله (الآية) اى فانها من تقوى
القلوب * وفسر تعظيمها بتحسين البدنة وتسمينها وسئل عليه السلام ما بر الحج فقال العج
والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن الترمذى واستغربه
وابن ماجه والحاكم وصححه والبزار واللفظ له من حديث ابى بكر وقال الباقون
اى الحج افضل وعن عائشة انه عليه السلام قال ما عمل ابن آدم يوم النحر احب الى الله

سبحانه من اهراقه دما وانها لتأتى يوم القيمة بقرونها واظلافها فان الدم تقع من الله
عزوجل بمكان قبل ان تقع فى الارض فطيبوا بها انفسا الترمذى وحسنه وابن ماجه
وابن حبان وابن خزيمة وفى الخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة
من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا ابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى
من حديث زيد بن ارقم وروى ابو الشيخ فى كتاب الضحايا عن على اما انها يجاء بها
يوم القيمة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك بقوله عليه السلام لفاطمة
وفى رواية له من حديث ابى سعيد قال لك باول قطرة تقطر من دمها ان يغفر لك
ما سلف من ذنوبك بقوله لفاطمة (ولا يماكس) اى لايضايق بل يسامح (فى شراء
الهدى والاضحية) ونحوهما مما يكون فى التقرب اليه صحة النية فقد كان السلف
لايغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان افضل
ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند الله عنا وروى ابن عمران عمر اهدى نجيبة فطلبت منه
بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشترى بثمنها بدنا
فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها اخرجه ابوداود وقال انحرها وذلك لان القليل
الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلاثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيه تكثير اللحم وليس
هو المراد (فالمقصود) الاصلى من الذبح (هو تزكية النفس) اى تطهيرها (وتخليتها)
عن رذيلة البخل (وتحليتها) بالحاء المهملة ويحتمل الجيم اى تصفيتها وتزيينها
بتعظيمه تعالى) فانه الفضل فى مقام الفصل (فورد لن ينال الله لحومها ولا دماؤها
الآية) اى ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد
ام قل فتأمل (وينوى فى الذبح) اى اذا كان تطوعا (فداء نفسه اقتداء بالذبيح عليه
السلام) وهو اسمعيل او اسحاق على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى
* وفديناه بذبح عظيم * (وينفق فى الطريق) اى طريق الحج (ومكة) اى وفى مكة
مدة الاقامة (ما استطاع) ويكون طيب النفس بما انفقه من نفقة وبما اصابه
من خسارة ومصيبة ان اصابه ذلك فان من باب الضيافة من الله لعبده حال الزيارة
وان ذلك من دلائل قبول حجه هنالك (فمن علامات القبول) اى قبول الحج وبره
(طيب الكلام) اى واطعام الطعام وكتمان طاعته عن الانام (وعدم الاغتمام به)
اى بالانفاق فى ذلك المرام (وبما اصيب) من ضياع وسرقة (فى المال) وكذا المصيبة
فى البدن وباقى الحال (فدرهم منه) اى من مال المصاب او من الانفاق فى الحج
للاحتساب (يعدل سبعمائة ينفق فى سبيله) والله سبحانه يضاعف لمن يشاء من فضله (وترك
معاص كان يرتكبها) قبل حجه (وتبديل اخاء الفساق) اى مواخاة السفهاء والجهلاء
(بالصلحاء) من العلماء والاولياء (ومجالس اللهو) اى وتبديلها (بالذكر) اى
بمجالس الذكر ومحافل اهل اليقظة والفكر (وبلازم الخشوع) وهو غاية الخضوع

(فى اداء المناسك) فانه من ادب السالك (فهو الاصل) اى المدار عليه فى جميع المسالك (لاسيما فى الطواف) فانه بمنزلة الصلاة هنالك (والوقوف) بعرفات فانه بمنزلة الوقوف بين يدى رب العالمين يوم اجتماع خلق الاولين والآخرين (فهمار كناه) اى الحج باتفاق المجتهدين (و يشرب من ماء زمزم) فقد ورد ماء زمزم لما شرب له ابن ماجه باسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم و صححه و قد بسطنا الكلام عليه فى فضائل المشاعر الحرام وكذا فى الحرز الثمين شرح حصن الحصين (مستشفيا به) اى طالبا شفاء ظاهرا و باطنا قائلا اللهم انى اسألك رزقا واسعا و علما نافعا وشفاء من كل داء ويتضلع منه فورد آية ما بيننا وبين المنافقين انهم لا يتضلعون من ماء زمزم البخارى فى تاريخه وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس و يستقى بيده و يشرب من مائه فقد قال عليه السلام لولا ان تغلبوا لنزعت معكم (و يصبه على رأسه وجسده متبركا به) وقد ثبت مثل هذا عن فعله عليه السلام (و مستنجحا اوطاره) اى قاضيا حاجاته (ويغتنم الموت فى طريقه فيكتب له اجره) اى ثواب الحج على تلك الطاعة (الى قيام الساعة) قال تعالى * ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله * وورد من خرج من بيته حاجا او معتمرا اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة البيهقى فى الشعب من حديث ابى هريرة ومن مات محرما حشر ملبيا الخطيب عن ابن عباس ومن مات فى احد الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيمة من الآمنين الطبرانى والبيهقى عن سلمان وفى رواية لهما من حديث عائشة من مات فى احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة (و يتلقى الحاج بالترحيب) اى بالتعظيم والتكريم مع التسليم المقرون بقوله مرحبا بمن جاء من زيارة بيت الله العظيم ونبيه الكريم (و يصافحهم متبركا) اى باكفهم التى اصابت المنازل الشريفة والمحافل المنيفة منها الحجر الاسود الذى فى حقه ورد انه يمين الله فى ارضه يصافح بها عباده فهذه المصافحة الثابتة واما المصافحة التى يذكرها بعض عن مشايخهم بطريق التسلسل اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا اصل له ولا فى الكيفية التى ذكرها بعض الصوفية نعم ورد فى فصل المصافحة عند الملاقات اخبار كثيرة وآثار شهيرة ليس هذا المقام موضع بسط الكلام (و يروح الى المدينة) اى الطيبة السكينة قبل دخول مكة الامينة او بعد وصولها وكمال حصولها (مكثرا) اى فى طريقه (بالصلوة عليه عليه السلام) فانه كلما كان اقرب اليه كان بالاجابة انسب لديه (و يزور قبره عليه السلام) فانه من شعائر الاسلام بل هو من واجبات الاحكام وقد تقدم فى فضله بعض الكلام وقد ورد عنه عليه السلام ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق اهله ووطنه وقطع البوادى شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشاهده الكريمة اذا فاته مشاهدة طلعته العظيمة

وقد قال تعالى * ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما * وروى ان من توضأ واتى الروضة وصلى واتى القبر الشريف وقال اللهم انى اسألك واتوجه اليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى ربى فى حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه فىّ وسأل حاجته قضيت باذن الله كذا فى الحصن (وقبور الصحابة) لاسيما الشيخين الضجيعين (واهل البيت) كفاطمة وعائشة وسائر ازواجه امهات المؤمنين وصفية عمته واولاده وبناته اخوات المسلمين وعمه العباس والحسن بن على وعلى بن الحسين ومحمد بن على الباقر وجعفر بن محمد الصادق فى القبة الشريفة والمنزلة المنيفة (وسائر مشاهدها) من سائر اهل البقيع واجلهم عثمان بن عفان (رضى الله عنهم اجمعين) ويزور سيد الشهداء حمزة ومن معه وورد احد جبل يحبنا و نحبه البخارى عن انس وغيره عن جماعة وفى رواية زيادة فاذا جئتموه فكلوا من شجره ولو من عضاهه (و يصلى فى مساجدها) واجلها المسجد النبوى مع ما فيه من الروضة والمنبر واسطوانا تها ثم فورد ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى متفق عليه من حديث ابى هريرة وعبد الله ابن زيد ثم مسجد قبا ومسجد الجمعة وذى القبلتين والمساجد الاربع ونحوها وقد ورد انه عليه السلام كان يأتى مسجد قبا كل سبت ماشيا وراكبا وقال من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قبا وصلى فيه كان كعدل عمرة النسائى وابن ماجه فى حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح وقد ذكرنا آداب الزيارة فى رسالة مستقلة وسائر ما فيها من اسباب الفضيلة (ويتبرك بآبارها) اى التى كان عليه السلام يتوضأ ويغتسل ويشرب منها وهى سبعة آبار مشهورة بئر اريس وبئر حاء وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقياء او العهن او بئر جمل ولله در ناظمها فى قوله (شعر)

* اذا رمت آبار النبى بطيبة * فعدتها سبع مقالا بلا وهن *
* اريس وغرس ورومة وبضاعة * كذا بصة قل بئر حاء مع العهن *

ومواضعها معروفة وعند اهل المدينة مكشوفة فحديث بئر اريس بفتح فكسر رواه مسلم من حديث ابى موسى الاشعرى فى حديثه منه حتى دخل بئر اريس قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ منها وحديث بئر حاء متفق عليه من حديث انس قال ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة نخلا وكان احب امواله اليه بئر حاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث وحديث بئر رومة بضم الراء رواه الترمذى والنسائى من حديث عثمان انه قال انشدكم بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذى حديث

حسن وفى رواية من يشتريها لشرب رواء فى الجنة وفى رواية لهاهل تعلمون ان رومة لم يكن يشرب منها احد الابثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الاسلمى قال لما قدم المها جرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث قيل انه اشتراها بمائة بكرة ثم تعطلت منافع النصف الثانى على صاحبها فباعه ايضا من عثمان بثمن يسير لانه كان يبع ماءها فاستكفى الناس بوقف عثمان وهى قديمة قيل شرب منها تبع وجددت سنة سبعمائة وخمسين وحديث بئر غرس بضم المعجمة رواه ابن حبان فى الثقات من حديث انس انه قال ائتونى بماء من بئر غرس فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد من حديث على مرفوعا اذا انامت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس وفى تاريخ المدينة لابن النجار انه عليه السلام توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفى وفى رواية شرب منها وتوضأ وكب فيها بقية الدلو واهدى له عسل فصبه فيها وقال انى رأيت الليلة انى اصبحت على بئر من الجنة فاصبح عليها وقال ياعلى اذا انامت فاغسلنى من بئرى بئر غرس بسبع قرب لم تحلل اوكيتهن ففعل كذلك جددت سنة خمس وخمسين وسبعمائة وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه اصحاب السنن من حديث ابى سعيد الخدرى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انتوضأ من بئر بضاعة وفى رواية انه نستقى لك من بئر بضاعة فقال خلق الله الماء طهورا لاينجسه الاماغير طعمه اولونه اوريحه الحديث قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال الترمذى حسن وللطبرانى من حديث ابى اسيد بصق النبى صلى الله عليه وسلم فى بئر بضاعة وفى رواية شرب منها وبصق فيها وبرك ودعا لها وكان اذا مرض المريض غسلوه بماء منها فكأنما نشط من عقال وحديث بئر البصة بضم الموحدة وتشديد المهملة رواه ابن عدى من حديث ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوما فقال هل عندكم من سدرا غسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فاخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراقة شعره فى البصة وحديث بئر السقياء رواه ابو داود من حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يستعذب السقياء زاد البزار فى مسنده اومن بئر السقياء واحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقياء التى كانت لسعد بن ابى وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتونى بوضوء فلما توضأ قام الحديث واما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث ابى الجهم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر الجمل الحديث وصله البخارى وعلقه مسلم قيل وهى بئر العهن بالعالية

وروى انها اليسيرة سماها عليه السلام بعدان كان اسمها العسيرة توضأ منها وبصق فيها وبرك ودعا لها والمشهور ان آبار المدينة سبعة وقيل عشرون وقد روى الدارمى من حديث عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على من سبع قرب من آبار شتى الحديث (ويتصدق) بالمدينة على سكانها وبعظم جيرانها (ويستحب الاقامة بمكة) حال كونها (مراعيا حقوقها) من القيام بالجماعة والجمعة وملازمة الطواف ومداومة الحرمة وعدم الملالة والسآمة مع السلامة من اكل الحرام والشبهة والافلاالاقامة بها حرام اومكروه (فورد ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة) اى من رحمته الخاصة (ستون للطائفين) لزيادة طوافهم على المصلين والناظرين (واربعون للمصلين) لاشتمال صلاتهم على حال الناظرين (وعشرون للناظرين) اى المكتفين بالنظر حوله من المعتكفين العاجزين الواقفين فى مقام الشهود وقد قال تعالى * ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود * ففى تقديم الطائفين ايماء الى ماتقدم واشعار الى ان الطواف تحية هذا المسجد المحترم والله سبحانه اعلم والحديث رواه ابن حبان فى الضعفاء والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وله شواهد (وانك) يامكة (لخير ارض الله) لكونها منشأ حبيبه وفيها قبلة خلقه قريبه وبعيده (واحب بلاده الى) لكونها مهبط وحيه ومربط وصله واما حديث حب الوطن من الايمان فلا اصل له (ولولا انى اخرجت منك) اى امرت بالخروج والهجرة عنك (لماخرجت) باختيارى فان الخروج منها شقاوة والدخول فيها سعادة حيث تضاعف فيها العبادة وتضعف فيها للنفس الشهوة والارادة والحديث رواه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عدى بن الحمراء بلفظ انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الى الله ولولا انى اخرجت منك لماخرجت وقد ورد من صبر على حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتى سنة اخرجه العقيلى فى الضعفاء عن ابن عباس (وبالمدينة) اى ويستحب ايضا الاقامة بها مع القيام بآدابها (فورد فى الصبر على لاوائها) اى شدة عنائها ومشقة بلائها (وفى الموت بها شفاعته عليه الصلاة والسلام) الخاصة باهل الاسلام (وشهادته يوم القيمة) اى بانه من اهل الاكرام فورد لايصبر على لاوائها وشدتها احد الاكنت له شفيعا يوم القيمة مسلم من حديث ابى هريرة وابن عمر وابى سعيد ومن استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فانه لايموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذى حسن صحيح (وما نقل من ارجاع عمر رضى الله عنه) اى رده اوامره بالرجوع (الحجيج بعد الفراغ) من الحج والزيارة (الى المساكن) اى مساكنهم الاصلية حيث كان يقول لهم ياأهل

اليمن عنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم (تحاميا) اى للاحتراز والاحتراس (عن السآمة) اى الملالة فى الاقامة (وارتكاب الذنب) لمن لم يكن من اهل الاستقامة (فالاثم فيه) اى فى حرم مكة (متضاعف) اى فى العقاب كيفية لا كمية لئلا يناقض اطلاق قوله تعالى *ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها (تضاعف الثواب) اى كتضاعفه فى الكمية والكيفية للفضل فى هذا الباب والعدل على ما فى الكتاب وانما يضاعف العذاب او العقاب (حيث علق العذاب بمجرد القصد) فى الذنب فى ذلك الجناب (فيما ورد) فى نص الكتاب (ومن يرد فيه بالحاد) اى يمل عن الجادة فى العصيان والباء صلة فى مقام البيان (الآية) تمامها *بظلم* اى عدوان بدل تفسير وبيان *نذقه من عذاب اليم* اى مؤلم فى مقام الهجران (حتى قيل منه الاحتكار) اى قصد حبس الطعام ليقل فيبيع غاليا ويتضرر به الانام (وقيل الكذب) اى قصده الحادا ايضا (وقيل شتم الخادم) والحاصل ان ما يكون صغيرة فى غيره تصير كبيرة فى حرمه لكمال تقصير المجاور وجرمه وعدم العمل بعلمه (وتجديدا للاشتياق) عطف على تحاميا اى ولتحصيل حدة الشوق وشدة الذوق الى وصال الحرمين بعد مرارة حرارة الفراق (والاولى الاستغناء من القلب) فى اقامته ورحلته (والتوطن فى موضع اقرب من الخمول) فانه انسب لحصول الوصول وفيه الراحة من مصاحبة اهل الفضول وابعد من الشهرة فان فيها الآفات بكثرة (وسلامة الدين) لانها لم توجد مع مسالمة اهل الدنيا فقيل كن وسطا وامش جانبا (وفراغ القلب) اى للذكر والحضور مع الرب (ويسر العبادة) اى سهولتها لاهل الارادة قال تعالى *يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون (فورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاى موضع رأيت فيه رفقا) اى مصلحة وسهولة للعبادة فانه مقام السعادة (فاقم به) اى فاختر للاقامة فيها (واحمد الله تعالى) على ثباتك عليها والحديث رواه احمد والطبرانى من حديث ابن الزبير (وحق الجهاد) اى القتال مع الكفار (ان ينوى نصرة الدين) ومعاونة الابرار قال تعالى *ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم (وبذل النفس فى رضاته تعالى) قال عز وعلا *ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية (فورد افضل الجهاد ان يعقر جوادك) اى يقتل فرسك او يهلك (ويهراق دمك) اى يصب ويخرج روحك الطبرانى واحمد وجماعة عن جابر والطبرانى عن ابى امامة افضل الشهداء من سفك دمه وعقر جواده وهو فرض عين ان هجم الكفار فتخرج المرأة والعبد بلا اذن وفرض كفاية بدأ (ويخرج له) اى للجهاد (يوم الخميس) روى كعب بن مالك انه عليه السلام كان يحب ان يخرج اذا غزا يوم الخميس احمد والبخارى (ولا يغتم بما يصيب) اى فى طريق الجهاد من نقص فى ماله او جرح فى جسده او فزع فى قلبه وتشويش فى حاله (ففى الكل اجر عظيم) وثواب جسيم وقد قال تعالى

ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال الآية وورد اذا رجف قلب المؤمن فى سبيل الله تحاتت خطاياه كما تحات عذق النخلة الطبرانى وابو نعيم فى الحلية عن سلمان ومن راح روحة فى سبيل الله كان له بمثل ما اصابه من الغبار مسكا يوم القيمة ابن ماجه والضياء عن انس ومامن مجروح يجرح فى سبيل الله والله اعلم بمن يجرح فى سبيل الله الا جاء يوم القيمة وجرحه كهيئته يوم جرح اللون لون الدم والريح ريح المسك ابن ماجه عن ابى هريرة (حتى يكون علف دابته وروثها وبولها ونومه ويقظته فى ميزان حسناته) ففى مسند احمد وصحيح البخارى وسنن النسائى عن ابى هريرة مرفوعا من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات فى ميزانه وفى رواية لابن ماجه وابن حبان عن تميم الدارى من ارتبط فرسا فى سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة (ويجتنب فرسا يخالف احد قوائمه الثلاثة) من القوائم الاربعة فقد روى احمد ومسلم والاربعة عن ابى هريرة انه عليه السلام كان يكره الشكال قال ابو داود والترمذى اى محجل اليد اليمنى والرجل اليسرى او العكس وقال النسائى محجل ثلثة قوائم مطلق واحدة او العكس وليس الشكال الا فى الرجل ويؤيده ما رواه الحاكم والطبرانى والبيهقى عن عقبة بن عامر اذا اردت ان تغزو فاشتر فرسا اغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم وفى رواية احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم عن ابى قتادة خير الخيل الادهم الاقرح الارثم المحجل ثلاث مطلق اليمنى فان لم يكن ادهم فكميت على هذه الشية وفى النهاية ان الادهم الاسود الاقرح بالقاف الذى فى جبهته بياض يسير دون الغرة والارثم الذى انفه ابيض وشفته العليا والمحجل الذى يرتفع البياض فى قوائمه فى موضع القيد ويجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين لانها مواضع الاحجال وهى الخلاخيل والقيود والكميت بضم الكاف هو الذى لونه بين السواد والحمرة يستوى فيه الذكر والانثى (ولا يتمناه) اى الجهاد فالعافية اوسع لاكثر العباد (ويسأله الثبات عنده) اى عند وجوبه او وجوده (فورد لا تمنوا لقاء العدو) وفى رواية زيادة وسلوا الله العافية وفى اخرى فانكم لا تدرون ما تبتلون به وقال عز وعلا فى مقام التوبيخ *ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون (فان لقيتموه فاثبتوا) وفى رواية زيادة واكثروا ذكر الله وفى اخرى زيادة فان اجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت النسائى والحاكم والطبرانى عن ابن عمر وفى رواية للحاكم عن جابر فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم انت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم انت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا (ويكثر ذكره تعالى) لقوله سبحانه وتعالى *يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون* وقال تعالى فى الحديث القدسى ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه (ويكف عن ذكر النساء)

اى ويمنع عن تذكرهن (والاولاد والاموال والاوطان) وسائر تدبرهن وتفكرهن (فهو يفتره) اى يجبنه ويضعف همته عماهو بصدده ومن هنا ورد الولد مجبنة (ويغتنم الشهادة فى سبيل الله) فانه من اكبر السعادة عند مولاه (فورد ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا الآية) اى* بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع اجر المؤمنين (ان ارواح الشهداء فى حواصل طير) اى اجواف طيور (خضر تسرح) اى تسير (وتأكل من الجنة حيث تشاء) من غير منع لها (وتأوى الى قناديل معلقة من العرش) ومع هذا لها تعلق بجسدها فى القبر وامور الآخرة كلها مبنية على خرق العادة فلاينبغى ان يستغربها اهل الارادة والحديث رواه مسلم والترمذى عن ابن مسعود بزيادة فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اى شى نشتهى ونحن نسرح فى الجنة حيث شئنا فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا انهم لم يتركوا اى يسألوا قالوا يارب نريد ان ترد ارواحنا فى اجسادنا حتى نرجع الى الدنيا فنقتل فى سبيلك مرة اخرى فلما رأوا ان ليس لهم حاجة تركوا وهذا معنى قوله (ويودون الرجوع) اى يتمنون العود الى الدنيا (للاستشهاد) اى مرة بعد اخرى وورد مامن احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا الا الشهيد فانه يحب ان يقتل مرة اخرى ابن حبان عن انس وفى رواية له عنه فانه يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة (ويتمناها) اى يتمنى السالك الشهادة ولو كان فى موطن العبادة (فهو سبب نيل منزلتهم) اى حصول مرتبتهم (وان مات) اى المتمنى (على الفراش) لان نية المؤمن خير من عمله فعن معاذ من سأل الله الشهادة مخلصا اعطاه الله اجر شهيد وان مات على فراشه (ولايخرج المشتغل بتعهد الاهل) اى العيال لاشتغال البال فلا يحصل معه الكمال فى الحال ولضرورة معيشة الاهل من تحصيل المال وقد ورد اذا حرم احدكم الزوجة والولد فعليه بالجهاد الطبرانى عن محمد بن حاطب وعن ابن المبارك وهو مع اخوانه فى الغزو اتعلمون عملا افضل مما نحن فيه قالوا الانعلم ذلك قال انا اعلم ذلك رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم فعمله افضل مما نحن فيه (وخدمة الابوين فهو مقدم) اى على الجهاد اذا لم يكن فرض عين فعن ابن عمر اذا كان الجهاد على باب احدكم فلا تخرج الا باذن ابويه رواه ابن عدى (ويخدم الغزاة) اى بطبخ طعامهم وغسل ثيابهم وخدمة دوابهم (ولو كلبهم) وهذا صادق على من يخدمهم وهو معهم كما ورد سيد القوم خادمهم ابن ماجه عن ابى قتادة والخطيب عن ابن عباس وروى الحاكم فى تاريخه والبيهقى عن سهل بن سعد ولفظه سيد القوم فى السفر خادمهم فمن سبقهم بخدمة لم يسبقوه بعمل

الا الشهادة وفى رواية الطبرانى عن ابى هريرة افضل الغزاة فى سبيل الله خادمهم الذى يأتيهم بالاخبار واخصهم عند الله منزلة الصائم او يخلفهم ويخدم اهلهم ففى صحيح مسلم وابى داود عن ابى سعيد ايكم خلف الخارج فى اهله وماله بخير كان له مثل نصف اجر الخارج (ويجهزهم) اى يهيئ اسباب سفرهم فورد من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت او يرجع ابن ماجه عن عمر (ويعظم افراسهم) جمع فرس فقد ورد الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والمغنم احمد والشيخان وغيرهما مما كاد ان يكون متواترا وفى رواية لاحمد عن جابر زيادة واهلها معانون عليها فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها ولاتقلدوها الاوتار (ويعدها) بضم فكسر فشد اى يربطها (ليوم اللقاء) اى لوقت ملاقاة الاعداء قال تعالى* واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم* الآية (ففى الكل فضائل) لارباب الشمائل (ويتعلم الفروسية والمسابقة لامتحان الكرم) اى الطبع المكرم فى المجاهدة والملاحقة فقد ورد احب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمى ابن عدى عن ابن عمر وقيل المراد بالكرم كرم الفرس بان يكون كريم الطرفين اركبوا وانتصلوا وان تنتصلوا احب الى الحديث الطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة لاسبق الا فى خف او حافر او نصل احمد والاربعة عن ابى هريرة فالمراد بالخف الابل وبالحافر الفرس والبغل والحمار وبالنصل الرمى وفى رواية كانت المسابقة بين الصحابة فى الخيل والابل والرجل (والرمى) اى ويتعلمه (فهو سنة) فعن عقبة بن عامر مرفوعا الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى الا ان القوة الرمى احمد ومسلم وابو داود وابن ماجه ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب به فى صنعته الخير والرامى به ومنبله احمد والثلاثة عن عقبة بن عامر من رمى بسهم فى سبيل الله كان كمن اعتق رقبة ابن حبان عن كعب بن مرة وفى رواية النسائى عنه من بلغ العدو بسهمه رفعه الله بها درجة اما انها ليست كعتبة امك ولكن ما بين الدرجتين مائة عام (ولايترك) اى الرمى لئلا ينسى (فورد من ترك الرمى بعد ما علمه اى رغبة عنه كما فى رواية (فانما هى نعمة كفرها) الطبرانى وجماعة عن عقبة بن عامر وفى رواية ابن ماجه عنه فقد عصانى وفى رواية مسلم عنه فليس منا وفى رواية احمد والترمذى والبيهقى عنه فقد كفر الذى علمه وعن ابى هريرة من تعلم الرمى ثم نسيه فهى نعمة جحدها ابن النجار

الباب الخامس فى التزوج والتخلى

اى التجرد عنه والتبرى منه اختيارا للتخلى واستيثارا للتجلى اعلم ان العلماء اختلفوا فى فضل النكاح فبعضهم بالغ فيه حتى زعم انه افضل من التخلى لعبادة الله تعالى وعكس جماعة وقال آخرون الافضل تركه فى زماننا وقال بعضهم افضل من الجهاد

لان الجهاد سبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد المؤمن وهذا كله اذا لم يكن هناك توقان للنفس يشوش الحال واما اذا كان فيتعين تحمل العيال والتوكل على الله المتعال فى الاستقبال (بسم الله الرحمن الرحيم) الذى رحمته شاملة للتخصيص والتعميم (فى النكاح فوائد) كثيرة ومنافع شهيرة ذكر منها احدى عشرة (حفظ النفس من الشيطان) اى صيانتها من وسوسته واغوائه (فورد من تزوج فقد احرز شطر دينه) تمامه فليتق الله فى الشطر الثانى وفى رواية فى الشطر الآخر ابن الجوزى فى العلل من حديث انس بسند ضعيف وهو عند الطبرانى بلفظ استكمل نصف الايمان وفى المستدرك وصحح اسناده بلفظ من رزقه الله امرأة صالحة فقد اعانه على شطر دينه وهذا لان حفظ اصل الدين غالبا يتعلق نصفه بقضاء شهوة البطن ونصفه بقضاء شهوة الفرج وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى تزوج وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمرى الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عزبا وماتت امرأتان لمعاذ بن جبل فى الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجونى فانى اكره ان القى الله عزبا وعن ابى هريرة مرفوعا شراركم عزابكم وركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل ابن عدى ورواه احمد عن ابى ذر شراركم عزابكم واراذل موتاكم عزابكم وقد تزوج يحيى ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة من اقامة السنة وقيل لغض البصر وخوف العنت واما عيسى فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له كذا فى الاحياء والحاصل ان غلبة الشهوة محنة عامة قل ان يتخلص منها احد قال قتادة فى قوله تعالى * ولا تحملنا ما لا طاقة لنا * ان ذلك هو الغلمة وهى غلبة الشهوة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا فى معنى قوله * وخلق الانسان ضعيفا * انه لا يصبر عن النساء وقيل فى قوله تعالى * وان تصبروا خير لكم * ان الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقال ابن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفى نوادر التفسير عن ابن عباس * ومن شر غاسق اذا وقب * قال قيام الذكر وفى دعائه عليه السلام اللهم انى اعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومنيى ابو داود والنسائى والترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال اسألك ان تطهر قلبى وتحفظ فرجى البيهقى فى الدعوات من حديث ام سلمة وقدامر رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من وقع بصره على امرأة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عنه رواه احمد من حديث ابى كبشة الانصارى حين مرت به امرأة فوقع فى قلبه شهوة النساء فدخل فاتى بعض ازواجه وقال وكذلك فافعلوا فانه من اماثل اعمالكم اتيان الحلال واسناده جيد فروى جابر انه عليه السلام رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المرأة اذا اقبلت اقبلت فى صورة شيطان واذا ادبرت ادبرت فى صورة

شيطان فاذا رأى احدكم امرأة فاعجبته فليأت اهله فان معها مثل الذى معها رواه مسلم والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح وروى انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح فقال هل لك من حاجة قال نعم اردت ان اسأل عن مسألة فاستحييت من الناس وانا الآن اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الاب فما افضيت به الى ابيك فافض به الى فقال انى شاب لا زوجة لى وربما خشيت العنت على نفسى فربما استمنيت بيدى فهل فى ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا (ويزيد) النساء (الى الاربع ان لم يعتصم بواحدة) وكان الاولى ان يقول ان لم يعتصم بالاقل وهذا لقوله تعالى * فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع * والواو بمعنى او اى اثنين اثنين او ثلاثة ثلاثة او اربعا اربعا وعن ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء يعنى النبى صلى الله عليه وسلم رواه البخارى وقال سفيان بن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضى الله عنه كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية وقد نكح بعد فاطمة بسبع ليال ويحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلى المغرب ثم يغتسل ويصلى وروى انه جامع ثلاثا من جواريه قبل العشاء فى رمضان قبل العشاء الاخيرة (ويبدل باخرى ان تنفر الطبع) فان المقصود هو الاعتصام بالشرع ويقال ان الحسن بن على كان منكاحا نكح زيادة على مائتى امرأة وكان ربما عقد على اربع فى عقد وربما طلق اربعا فى وقت واحد واستبدل بهن (وزيادة الرغبة فى لذات الجنة فلذة الدنيا انموذج) بضم الهمزة والميم معرب نمونه اى عينة تدل على صفة بينة وقد اكثر الله سبحانه فى كتابه مدح الحور العين والازواج المطهرة فى ذلك المكان الامين (وقطع الملالة الحاصلة من دوام العبادة) وذلك بترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة والموانسة ولذا قال تعالى * ليسكن اليها * فالنفس اذا كلفت المداومة بالاكراه على المخالفة جمحت وتأبت واذا روحت باللذات فى بعض الاوقات قويت ونشطت ومنه كلمينى يا حميراء وعن على روحوا القلوب من الذكر فانها اذا كرهت عميت فيبقى الاستيناس بالنساء من بين الناس من الاستراحة عن الوسواس ما يزيل الكرب ويفرج القلب وينشط لذكر الرب فينبغى ان يكون لنفوس ارباب العبادات استراحات الى المباحات وفى الخبر على العاقل ان يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها بمطعمه ومشربه اى وما يقتضى انسه والحديث رواه ابن حبان من حديث ابى ذر فى حديث طويل ان ذلك فى صحف ابراهيم وفى لفظ آخر لا يكون العاقل العامل ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش او لذة فى غير محرم رواه ابن حبان فى حديث ابى ذر الطويل

ان ذلك فى صحف ابراهيم (فورد لكل شره) بكسر معجمة وتشديد راء اى كدوجد فى طاعة ونشاط ورغبة فى حاجة (فترة) اى كسل وملالة وغفلة ونفرة ووقفة للاستراحة (فمن كان فترته) من الفرض (الى سنتى فقد اهتدى) احمد والطبرانى من حديث عبدالله بن عمر رواه البيهقى ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك وللترمذى نحوه من حديث ابى هريرة وقال حسن صحيح ولفظه لكل عامل شره ولكل شره فترة الحديث وللترمذى عن ابى هريرة ان لكل شئ شره ولكل شره فترة فان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان اشيراليه بالاصابع فلا تعدوه والحاصل ان لكل نشاط فى العبادة ابتداء يكون كسلا فيها انتهاء اواثناء فينبغى للسالك ان يصرف تلك الفترة الى عبادة اخرى اوشهوة مباحة موافقة للسنة من النساء وغيرها ولذا قال (وهو) اى قطع الملالة بمصاحبة النساء (لايعم) جميع السالكين (لانقطاعها) اى الملالة (للبعض) اى بعض العاملين (بالماء) اى الجارى (والبستان) اى المشتمل على الخضرة فعن ابن عمر مرفوعا ثلاث تجلين البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجارى والى الوجه الحسن اخرجه الديلمى وعن على ايضا بمعناه وعن ابن عباس انه عليه السلام كان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجارى ابونعيم وابن السنى وفى روايتهما عن على كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام الاحمر وللترمذى عن معاذ انه عليه السلام كان يستحب الصلوة فى الحيطان اى البساتين المشيرة الى الجنان (وفراغ القلب) اى لذكر الرب (من تدبير البيت للعبادة) كما هو جار فى العادة من شغل الطبخ والكنس والفرس للمبانى وتنظيف الاوانى وتهيئة اسباب المعيشة المعينة للمعانى وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقد فسر قوله تعالى *آتنا فى الدنيا حسنة* بالمرأة الصالحة *وفى الآخرة حسنة* من حور العين *وقنا عذاب النار* بالمرأة السليطة وقيل فى تفسير قوله تعالى *فلنحيينه حيوة طيبة* اى بزوجة صالحة وعنه عليه السلام ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة صالحة تعين على آخرته الترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ثوبان (فورد زوجاتى اعوانى على الطاعة) الخطيب فى التاريخ من حديث ابن عمر ولفظه فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عوناله على المعصية وازواجى اعوان لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلم لا يأمر الا بخير (وهو) اى الفراغ المذكور (يخص لمن لا يدبر فيه) اى فى البيت بنفسه لعجزه (ولا يشوشه حق الزوجية فى امره وكثرة العشيرة ليدفع بهم الشر) اى ضرر اهل الفساد ومنازعة اهل العناد (فيسلم) اى فارغ القلب فى طلب الخير ولذا قيل ذل من لا ناصر له (والرياضة) اى تهذيب النفس (بالقيام بحقوقهن) من نفقتهن وكسوتهن (واحتمال جفائهن) من اذائهن وبلائهن والصبر على سوء اخلاقهن والسعى فى اصلاح احوالهن

وارشادهن الى طريق الدين واكمالهن والقيام بتربية الاولاد وصيانتهم عن الفساد وفى كل هذه الاحوال فضائل عظيمة وشمائل وسيمة فانها رعاية وولاية وحماية وقد ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر ويوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس (فورد فمن احتملها كان معى فى الجنة) لم ار مخرجه وفى بعض الحواشى من تحمل كلمات جفاء اهله فله ثواب سبعين شهيدا وفى رواية من تحمل من امرأته كلمة واحدة اعطاه الله ثواب الف شهيد ودفع عنه ظلمة قبره وضيقه وذكر فى الاحياء ان فى اخبار الانبياء ان قوما دخلوا على يونس فاضافهم فكان يدخل فى منزله ويخرج فتؤذيه امرأته فتستطيل عليه وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فانى سألت الله فقلت ما انت معاقب لى فى الآخرة فعجله فى الدنيا فقيل ان عقوبتك بنت فلان فتزوجت بها وانا صابر على ما ترون منها (وهو) اى الارتياض (يخص بالمبتدى لاحتياجه الى الرياضة) اى تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة (وبظاهر العمل) اى ويخص ايضا بالذى من اهل العمل الظاهر (فالانفاق اولى) اى فى حقه (لانه متعد) اى نفعه والعمل الظاهر نفعه قاصر ومن هنا قال عليه السلام ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة الشيخان عن ابن مسعود وان الرجل ليوجر فى رفع اللقمة الى فى امرأته الشيخان عن سعد بن ابى وقاص (بخلاف صاحب الباطن فعمله اشرف) لانه علم ومعرفة وحال وحضور مع الرب وهو مقام عال ولكنه نادر بين الرجال ولذا ورد اكثر الاحاديث فى مدح الاعمال منها قوله عليه السلام ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال ابن ماجه من حديث عمران بن حصين وقوله اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله الحزن ليكفرها احمد من حديث عائشة وقوله من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية من حديث ابى هريرة وقال بعض العلماء عمل الابدان كسب الحلال والنفقة على العيال (والولد وهو المقصود الاصلى) من هذا الحكم الفرعى (ففيه) اى ففى تحصيل الولد بالنكاح اربعة امور (محبته تعالى) اى اثر محبته (بتحصيل حكمته تعالى وهى بقاء جنس الانس) فى مملكته وفق ارادته (والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد) التى خلقت لتلك الاشياء فكل عضو من بنى آدم صلح لطاعته فاللسان للذكر والقلب للفكر والاذن للاستماع والعين للنظر واليد للبطش والرجل للسعى وفى الاحياء هذا ادق الوجوه وابعدها عن افهام الجماهير واقواها عند ذوى البصائر النافذة فى عجائب صنع الله تعالى ومجارى حكمته وبيانه ان السيد اذا سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له ارضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكاسل العبد وعطل آلة الحرث وترك البذر ضايعا

حتى فسد ودفع المؤكل عن نفسه بنوع من الحيل كان مستحقا للمقت والعقاب من سيده فالله سبحانه خلق الزوجين وخلق النطفة فى الفقار وهيأ له فى الانثيين عروقا ومجارى وخلق الرحم قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضى الشهوة على كل واحد من الذكر والانثى فهذه الافعال والآلات شهدت بلسان ذلق فى الاعراب عن مراد خالقها وتنادى ارباب الالباب بتعريف ما اعدت له هذه الاسباب هذا ان لم يصرح الخالق على لسان رسوله عليه السلام بالمراد فكيف وقد صرح بالامر فكل ممتنع عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله من الآلة المعدة وجان على مقصود الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهى ليس برقم حروف واصوات يقرؤها كل من له بصيرة ربانية نافذة فى ادراك دقائق الحكمة الازلية انتهى ولا يخفى ما ورد من امر الشارع حيث قال تعالى * وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم * وورد من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فعليه بالصوم فانّ الصوم له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود من كان ذا طول فليتزوج ابن ماجه من حديث عائشة من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا الديلمى من حديث ابى سعيد والدارمى فى مسنده والبغوى فى معجمه ولعله مقتبس من قوله تعالى * ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم * وقد ورد التمسوا الرزق بالنكاح الديلمى وغيره عن ابن عباس مرفوعا وللثعلبى عن ابن عجلان ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فشكى اليه الحاجة والفقر فقال له عليك بالباءة اى النكاح والله تعالى يقول فى كتابه * ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * واما الذى يدور على السنة العوام تزوجوا فقراء يغنكم الله فانما هو معناه وروى الديلمى والبزار والدارقطنى فى العلل والحاكم وابن مردويه من حديث عائشة تزوجوا النساء فانهن يأتين بالمال وعن الحسن بن على رأيت الغنى فى النكاح والطلاق اما النكاح فقوله سبحانه ان يكونوا فقراء يغنهم الله واما الطلاق فقوله تعالى * وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته * وقد قيل فى حق بشر انه تارك للسنة فقال انا مشغول بالفرض عن السنة فعوتب مرة اخرى فقال ما يمنعنى من التزوج الا قوله تعالى * ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف (ومحبته عليه الصلاة والسلام بالاستنان) اى بالعمل للسنة (فورد النكاح سنتى) تمامه فمن احب فطرتى فليستن بسنتى ابو يعلى من حديث ابن عباس بسند حسن وفى رواية الشيخين عن انس فمن رغب عن سنتى فليس منى (وتكثير الامة) اى التى يكثر فيهم الائمة (فورد تناكحوا تكثروا فانى اباهى بكم الامم) اى فى الكثرة (يوم القيمة) ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن عمر وعبد الرزاق فى جامعه عن سعيد بن ابى بلال مرسلا وفى رواية تناكحوا تناسلوا اباهى بكم يوم القيمة وفى رواية ابى داود والنسائى والبيهقى وغيرهم من حديث معقل

ابن يسار مرفوعا تزوجوا الودود الولود فانى مكاثر بكم الامم ولاحمد والبيهقى وصححه ابن حبان والحاكم عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيمة (ولو بالسقط) وهو الولد الذى خلق بعضه وقد ذكر البيهقى هذه الزيادة فى المعرفة عن الشافعى انه بلغه (وبركة الدعاء ان بقى) اى الولد (بعده) اى بعد والده (فعده عليه السلام من العمل الباقى بعد الموت) اى حيث قال كل عمل ابن آدم ينقطع الا ثلاثة فذكر فيه ولد صالح يدعو له رواه مسلم من حديث ابى هريرة (والشفاعة) اى وبركة الشفاعة (ان مات) الولد (قبله) اى قبل والده فقد قيل نعم الولد ان عاش نفع وان مات شفع (فورد ان الطفل يجر ابويه الى الجنة) ابن ماجه من حديث على وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ان الطفل ليجرا مه بسرره الى الجنة وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة يأخذ بثوبه كما انا الآن آخذ بثوبك وورد ايضا ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا اى ممتلئا غيظا وغضبا ويقول لا ادخل الجنة الا وابواى معى فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة ابن حبان فى الضعفاء من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده وللنسائى من حديث ابى هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون حتى يدخل آباؤها فيقال ادخلوا الجنة انتم واباؤكم واسناده جيد وقد قيل فى تفسير قوله تعالى * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقدم الاطفال للآخرة (وآفات) اى كثيرة ذكر منها ثلاث (وهى كسب الحرام فالمعيل يضطر اليه) اى الى كسبه او اكله (للتوسع) فى الطعام (وورد فيه) اى فى حق من كسب الحرام لعياله (انه هو الذى اكل عياله حسناته) قال فى الاحياء فى الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستغرق بتلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادى الملائكة هذا الذى اكل عياله حسناته فى الدنيا وارتهن اليوم بعمله قال العرقى لم اقف له على اصل وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه فى الدنيا انيابا تنهشه يعنى العيال (وفوات الحقوق) اى الزوجية بالقصور عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن وعدم احتمال الاذى عنهن (فورد كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول) ابو داود والنسائى بلفظ من يقوت وهو عند مسلم بلفظ آخر وروى ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لا يقبل الله له صلاة ولا صياما حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب عنهن وقال تعالى * قوا انفسكم واهليكم نارا * امرنا ان نقيهم النار كما نقى انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف اليه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء واذا كثرت كثر السوء غالبا وبذلك

اعتذر بعضهم عن التزوج وقال اما مبتلى بنفسي فكيف اضيف اليها نفسا اخرى لم تسع
الفارة فى جحرها علقت المكنس فى دبرها وكان سفيان يقول يا حبذا العزبة والمفتاح
ومسكن تخرقه الرياح لاضخب فيه ولاصياح (والشغل عنه تعالى بتدبير المعيشة) ومنه
قوله تعالى * شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا * (وجمع المال) فى الحال (والادخار)
للاستقبال (والتفاخر) بالتكاثر بالاموال والاولاد بين الرجال وكل ماشغل عن الله
فهو مذموم فى الحال والمآل ومن هنا قال بعض الفضلاء ضاع العلم فى افخاذ النساء
وقال ابن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شئ اى من مقامات الاولياء وقال
ابو سليمان من تزوج ركن الى الدنيا اى واشتغل عن المولى وعن زاد العقبى (والاستغراق
بالتمتع) اى الانتفاع بالنساء (والموانسة) اى بالاجتماع معهن فى المكالمة والمجالسة
اذا عرفت ذلك وميزت بين الفوائد والآفات هنالك (فان تحققت الفائدة) بجمع
افرادها (وانتفت الآفة) بتمام موادها (يتعين النكاح) لمن قدر عليه بان كان له مال
حلال وخلق حسن وجد فى الدين بان لايشغله النكاح عن الله وهو مع ذلك شاب
محتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد محتاج الى تدبير المنزل والمعيشة (وان انعكس)
بان انتفت الفائدة وتحققت الآفة (يتعين التجرد) فلايميل اليه (وان تقابلا) اى
الجنسان من الفوائد والآفات (بأخذ بالراجح) من الحالات (ففوات الشغل به تعالى
وطيب اللقمة افحش من فوات الولد) بترك النكاح وصورته ان شخصا اذا تزوج
يفوته الشغل بالمولى ويقع فى لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه يحصل الولد له
فينفعه فى العقبى فالراجح عدم التزوج (لانه) اى وجود الولد على الفرض والتقدير
(لايجبرهما) اى لايفى بمقابلة فوت الشغل وطيب اللقمة (ولانه) اى الولد (موهوم)
وجوده (وهما) اى فوتهما (ناجزان) اى ناقد كل واحد فى مرتبة شهوده
(وكذا الزنا) اى وقوعه (افحش من كسب الحرام) وصورته ان شخصا اذا تزوج
وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى الزنا فالراجح التزوج (لانه) اى الزنا
(قتل حكمى بتحصيل ولد ليس به من يقوم بحقه) لان ولد الزنا كل احد يكرهه ولا اعتبار
لنسبه وحسبه (ولانه) اى الزنا (حرام لعينه) اى لذاته مع عدم ملاحظة سائر جهاته
(والكسب) اى لان كسب مال الحرام حرام (لغيره) اى لالذاته بل لاجل انه تعلق به
حق غيره والحاصل ان كسب الحرام اهون الشرين فى هذا المقام (بخلاف النظر
والهم) اى القصد بفعل الزنا وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام
واذا لم يتزوج وقع فى النظر والهم فالراجح عدم التزوج فهما ليسا بافحش من كسب
الحرام بل هو افحش منهما (لدوام الكسب) اى وندور النظر والهم ولان كسب
الحرام كبيرة وكل من النظر والهم صغيرة (وسراية شره) اى شر كسب الحرام
(الى الغير) من الزوجة والولد ونحوهما وايضا النظر زنا العين ولكن اذا لم يصدقه

الفرج فهو اقرب الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف من افضاء النظر الى معصية
الفرج فيرجع ذلك الى خوف العنت بخلاف النظر والهم من حيث لايتعدى شرهما
الى الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهى ان يقوى على غض البصر لكن لايقوى
على دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب
فانما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولاتتم العبادة مع كسب الحرام واكله واطعامه
فى العادة (وعند الامن) من الآفات (فالاولى الجمع بينه) اى بين التزوج (وبين
العبادة) فانه اكمل الحالات وافضل المقامات (وهو) اى الجمع (عند عظم القوة)
فى الدين كقوة النبوة والولاية فمن قويت شوكة همته وعلت صولة نهمته فلا يشغله
شاغل عن ذكر الرب والتوجه الى حضرته (كما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم)
وصحابته (وان لم يقدر) اى على الجمع بينهما (فالنكاح لصاحب الظاهر) اى لمن
يشتغل بالعمل الظاهر اولى ومنهم ارباب العبادة (والعزوبة لصاحب الباطن) اى
عمله ومنهم اصحاب المعرفة اقوى (كالمسيح عليه السلام) وتحقيقه ماقاله حجة الاسلام
ان نبينا عليه الصلوة والسلام مع تسع من النسوة كان متخليا للعبادة ومتجليا لتجلى
الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه عليه السلام غير مانع له من المرام
كما لايكون قضاء الحاجة فى حق العوام من المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم من
تدبيرهم حتى انهم يشتغلون فى الظاهر بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهم غير
غافلة عن مهماتهم فكان عليه السلام لعلو ماله من الدرجة فى المقام لايمنعه امر هذا العالم
عن حضور القلب مع الرب فكان نزل عليه الوحى وهو فى فراش امرأته ومتى يسلم مثل
هذا المنصب لغيره فى حالته فلاينبغى ان يقاس عليه من لامناسبة له اليه واما عيسى
عليه السلام فانه اخذ بالحزم فى طاعته لابالقوة فى حالته ولعل كانت حاله تؤثر فيها
الاشتغال بالاهل والعيال او يتعذر معهم طلب الحلال اولايتيسر له الجمع بين النكاح
والتخلى للعبادة على وجه الكمال فآثر التخلى للعبادة فى عموم الاحوال وهم اعلم
باسرار احوالهم واحكام اعصارهم فى مطالب انوارهم وسبحان من اقام العباد
فيما اراد (ثم الاصل) اى الذى عليه مدار العمل فى النكاح والعزوبة ونحوهما
(ترك الشاغل عنه تعالى) فقد قال عز وعلا * يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون * (فينظر) اى يتفكر
ويتأمل (ويختار) ماهو الاولى من النكاح وتركه (بحسب الباطن) اى صفائه
(وصلاح القلب) اى وضيائه (ويجتهد المتخلى) اى المتجرد للعبادة باختيار
العزوبة (فى ترك اغذية) جمع غذاء وهو مايتغذى به من غداء وعشاء (تحرك الشهوة)
اى تقويها من هريسة ونحوها (وقطعها بالصوم الدائم) فانه لها وجاء اى دواء
كما تقدم واصل الوجاء رض الخصيتين (والاقتصار) اى بالاختصار (عند الافطار)

على التوسط فى الاكل (وغض البصر) من المحرمات (وهو بالاعتزال) يحصل على وجه الكمال والا فيتعسر فى جمع الاحوال (وورد قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) تمامه * ويحفظوا فروجهم وفى عطف الجملة الثانية اشارة الى ان مدارها على الاولى فى المحافظة (وجعل عليه السلام لكل عضو زنا) فمن ابن مسعود العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزنى احمد والطبرانى (هذا) اى خذ هذا اوهذا مضى (والنظر يهيج الوساوس) اى يبعثها ويحرك الهواجس (وربما يتعلق القلب) بالمنظور اليه (ويتعذر الوصول) بعالديه (فيفضى) ذلك التعلق (الى التعب الشديد بما يستوفى القلب) من التعلق بالطلب ويمنعه بالكلية عن ذكر الرب فعن عيسى عليه السلام انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة كفى بها لصاحبها فتنة ولقد احسن القائل من اهل الفضائل حيث قال (شعر)

* وانت اذا ارسلت طرفك رائد * لقلبك يوما اتعبتك المناظر *
* رأيت الذى لاكله انت قادر * عليه ولاعن بعضه انت صابر *

(وايضا كل عضو يصلح لنعمة اخروية) فالرجل للمشى فى رياض الجنة وقصورها واليد لكأس الشراب من طهورها وتناول ثمارها وحورها (فالعين للقائه تعالى فحقيق ان تصان) اى تحفظ عما ليس فى رضائه ولله درالقائل (شعر)

* وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وماطهرتها بالمدامع *
* وتظفر منها بالكلام وقدجرى * حديث سواها فى حروف المسامع *

(ثم الصواب) اى الطريق العدل للمتخلى (فى الكف) اى كف النظر وامتناع البصر (ان قدر) على ذلك (والافالنجاء) اى الفرار عما هنالك (ولااثم ان فقد القصد) فى النظر (فورد) اى انه عليه السلام قال لعلى (لك الاولى وعليك الثانية) اى لك النظرة الاولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذا كانت عن قصد (والضرر) اى ضرر النظر (فى الامرد اشد) اى اقوى من المرأة (لامتناع الوصول فى الشرع) وزيادة القبح فى العرف والفرع (وبراعى المتزوج الاعتدال فى الوقاع) اى الجماع وهو فى كل اربع من الايام والليالى كما سيأتى (فالافراط فى الجماع يقهر العقل) اى يغلبه (بصرف الهمة) اى تمامها (الى التمتع بالشهوة ونظامها (ويحرم عن المقصود) الذى هو القيام بالعبادة (ويفضى الى تناول الاشياء المقوية للشهوة) من المعاجين والادوية والمركبة والمفردة (وهو) اى تناولها (كتنبيه السبع الضارى) اى الصائل على من يقربه والراحة فى البعد عنه اوالقرب اليه مع نومه (والعشق) اى ويفضى اليه (وهو) اى العشق المعبر عنه بفرط المحبة (يجعله اضل من الانعام) حيث لايفرق بين الحلال والحرام وربما يصير مجنونا فيما بين الانام وانما قال اضل منها لانها ترضى بقضاء شهوتها

فى اى محل كان من نهمتها وهذا لضيق عقله لايرضى الافى غيرمحله ويحصر موضع قصده ولايميل ابدا الى غيره (ويبلغ) عطف على يراعى اى ويوصل (الخطبة) بالكسر اى الرسالة باظهار الرغبة لكن لا فى حالة عدة المرأة ولافى حال سبق غيره بالخطبة اذنهى عن الخطبة على الخطبة ففى الصحيحين من حديث ابن عمر ولايخطب على خطبة اخيه حتى يترك الخاطب قبله اويأذن له (وان كان تزويجها للولى) بان كانت صغيرة (وينظرها) اى ويرى وجه المخطوبة (قبله) اى قبل العقد (تقريبا للالفة) فيستحب النظر اليها فانه احرى ان يؤلف بينهما ففى الخبر اذا اوقع الله فى نفس احدكم من امرأة فلينظر اليها ابن ماجه بسند ضعيف من حديث محمد بن مسلمة وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث المغيرة بن شعبة انه خطب امرأة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة ان فى اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان فى اعينهن عمش وقيل صغر اوصفر وكان من الورعين من لاينكح كريمته الابعد النظر احترازا من الغرر وعملا بالخبر وقال الاعمش كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم ولعل وجه الاكتفاء بالنظر لان الغالب اجتماع حسن الخلق والخلق فان الظاهر عنوان الباطن وللنسائى من حديث ابى هريرة بسند صحيح خير نسائكم التى اذانظر اليها زوجها سرته واذا امرها اطاعته واذاغاب عنها حفظته فى نفسه وماله وفى رواية ولا تخالفها فى نفسها ولامالها (ويعقد فى المسجد) مع احضار جمع من اهل الصلاح فى المشهد (فورد اجعلوه) اى عقد النكاح (فى المساجد) رواه ابن ماجه عن عائشة مرفوعا بسند حسن وابن حبان من حديث عمرو بن امية الضمرى بلفظ اعلنوا النكاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف (وفى شوال) قديتبادر من قوله فى شوال انه عطف على فى المساجد فيكون الامر به واردا وليس كذلك بل هو عطف على فى المسجد اى ويعقد فى شوال ردا على من كره العقد بين العيدين (ففيه) اى ففى شوال (كان نكاح عائشة رضى الله عنها) اى عقدها (وزفافها) اى وصولها ففى صحيح مسلم عن عائشة تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال وبنى بى فى شوال (ويقدم الخطبة) بالضم يعنى المعروفة فى السنة وهى الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهدى الله فلامضل له ومن يضلل فلاهادى له واشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ياايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الاوانتم مسلمون ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح

لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما * رواه الاربعة والحاكم وابو عوانة عن ابن مسعود (والتحميد والصلوة) اى على النبى عليه السلام (فى كل من الايجاب والقبول) فيقول المزوج الحمد لله وصلوة على رسول الله زوجتك ابنتى فلانة على صداق كذا فيقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها لنفسى على هذا الصداق (ولا يتزوج) اى امرأة (لعزها) اى جاهها (ومالها وجمالها) فورد وتنكح المرأة لمالها وجمالها و حسبها ودينها فعليك بذات الدين متفق عليه من حديث ابى هريرة (ففيه وعيد) وهو من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها وجمالها كذا فى الاحياء ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث انس من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا ان يغض بصره و يحصن فرجه او يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه ورواه ابن حبان فى الضعفاء لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (ويختار المتدينة لئلا تفسد الدين) على زوجها (فورد عليك بذات الدين) كما تقدم (والحسنة الخلق) بالضم اى السيرة فانها الحسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو الصورة (ليحصل الفراغ) اى فراغ الخاطر وهذا اصل مهم فى الدين والدنيا بحسب الباطن والظاهر (والجميلة) اى الحسنة الصورة (فالصيانة فيه) اى فى هذا النوع (اكثر) والقناعة فيه اظهر وقد اخرج الحكيم الترمذى فى نوادره ان زكريا عليه السلام تزوج فتاة جميلة رائعة قد اشرق لها البيت حسنا فقيل له فى ذلك فقال اكف بها بصرى واحفظ بها فرجى (والممنوع) على ما تقدم (هو الاكتفاء بالجمال) مع قطع النظر عن صلاح الدين والكمال (الا ان يكون) استثناء من قوله ويختار الجميلة (زاهدا) اى غير راغب فى لذات الدنيا (فيعرض عنه لانه من الدنيا) بل اكبر لهواتها واعظم شهواتها ولانه يقل مؤنة غير الجميلة وآفاتها وكان مالك بن دينار يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها وتكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير و يتزوج بنت فلان وفلان يعنى ابناء الدنيا فتشتهى عليه الشهوات فتقول اكسنى كذا وكذا وقال ابو سليمان الدارانى الزهد فى كل شئ حتى فى المرأة تزوج الرجل بعجوز ايثارا للزهد فى الدنيا واختار احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسأل عن اعقلهما فقيل العوراء فقال زوجونى اياها (وقليلة المهر فورد خير النساء ارخصهن مهورا) ابن حبان من حديث ابن عباس ولفظه خيرهن ايسرهن صداقا (يمن المرأة خفة مهرها و يسر نكاحها) ابن حبان من حديث عائشة من يمن المرأة تسهيل امرها وقلة صداقها اى مهرها وقد جعل صداق فاطمة اربعمائة درهم وهى افضل

النساء من جهة النسب والحسب اجماعا (وحسن خلقها) بحتمل الضم والفتح وهو اظهر لما روى ابو عمر النوقانى ان اعظم النساء بركة اصبحهن وجوها واقلهن مهورا ولفظ الاحياء ارخصهن مهورا واحسنهن وجوها ولاحمد والبيهقى ان اعظم النساء بركة ايسرهن صداقا واسناده جيد وفى لفظ لهما من حديث عائشة من يمن المرأة ان تيسر خطبتها وان تيسر صداقها وان تيسر رحمها قال عروة يعنى الولادة واسناده جيد وورد انه عليه السلام زوج بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم حشوها ليف كذا فى الاحياء وقال العراقى رواه ابو داود والطيالسى والبزار من حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم على متاع قيمته عشرة دراهم قال البزار روايته فى موضع آخر تزوجها على متاع بيت ورحى قيمتها اربعون درهما رواه الطبرانى فى الاوسط ولاحمد من حديث على لما زوجه فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة ادم حشوها ليف ورحائين وسقاء وجرتين ورواه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده وابن حبان مختصرا وكان عمر ينهى عن المغالات ويقول ما تزوج صلى الله عليه وسلم ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم رواه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذى وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن نواة من ذهب وتقويمها بخمسة دراهم واصل الحديث متفق عليه من حديث انس وزوج سعيد بن المسيب ابنته من عبد الله بن وداعة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا فادخلها من الباب ثم انصرف فجاءها بعد سبعة ايام يسلم عليها (والولود لان الولد هو المقصود) اى الاعظم من النكاح وهو التناسل كما تقدم (وورد عليكم بالولود) ابو داود والنسائى من حديث معقل بن يسار تزوجوا الودود الولود واسناده صحيح وللبيهقى باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا خير نسائكم الولود الودود ولابن حبان من حديث بهز بن حكيم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وعن عمر لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لم تلد (والبكر فورد هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك) متفق عليه من حديث جابر وقد نكح ثيبا (وفيها شدة المحبة والالفة) لما فيها من عدم الخلطة والكلفة (والثيب تبغض صفات) فى الزوج الثانى (تخالف مألوفاتها) وتباين ما كانت تلقى فى ازواجها من معروفاتها (وتميل طبعها الى الاول) كما قيل * ما الحب الا للحبيب الاول * ولذا قيل المرأة التى تزوجت بمتعدد تكون فى الجنة مع الاول وقيل مع الثانى وقيل مع احسنهم خلقا وهو الاظهر (وينفر الزوج الثانى لو ذكرته) اى الزوج الاول ببعض محاسنه كما فى العكس (والنسيبة) الكائنة (من اهل الدين) كبنات العلماء والاشراف والصلحاء دون الظلمة والامراء وسائر الاغنياء (ليسرى الصلاح الى الولد) فان الولد سرابيه (فورد اياكم وخضراء الدمن) بتمامه فقيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء الدار قطنى

فى الافراد من حديث ابى سعيد الخدرى فقوله (اى الحسناء من منبت السوء) من اصل الحديث لامن تفسير المصنف وذكر صاحب تحفة العروس عن عمر موقوفا ولفظه اياكم وخضراء الدمن فانها تلدمثل اصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد مثل ابيها وعمها واخيها والدمن جمع دمنة بكسر الدال المهملة وهى البعر شبهت المرأة الحسناء الفاسدة بالنبات ينبت على البعر فى الموضع الخبيث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد والاعراق جمع عرق والمراد به الاصل وقدورد تخيروا النطفكم ابن ماجه من حديث عائشة مختصرا والديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس تزوجوا فى الحجر الصالح فان العرق دساس (وغير القرابة القريبة فهى تنقص الشهوة) لان ميل النفس غالبا الى الغريبة ولذا تضعف الشهوة بالنسبة الى العتيقة وتقوى عند رؤية الجديدة فضعف الشهوة يستلزم الهزال فى الولد وهذا معنى قوله (ونهى عنه معللا بان الولد خلق مهزولا) فعن عمر انه قال لآل السائب قداضويتم فانكحوا فى النزايع رواه ابراهيم الحربى فى غريب الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب ويقال اغتربوا لاتضووا وللطبرانى من طلحة بن عبيد الله الناكح فى قومه كالمعشب فى داره وفى اسناده سليمان بن ايوب بن سليمان الطلحى قال ابن عدى عامة احاديثه لايتابع عليه احد ورواه يعقوب بن شيبة فى مسنده وقال احاديثه عندى صحاح ورجحها الضياء المقدسى فى المختارة (وجاء الاجتناب عن الطويلة المهزولة والقصيرة الدميمة) بالمهملة اى القبيحة وبالمعجمة اى المذمومة (والمسنة) اى العجوز الكبيرة (والمكثارة) اى الكثيرة الكلام (وذات ولد) اى من غيره ففى مسند الامام ابى حنيفة عن حماد عن ابراهيم قال اخبرنى شيخ من اهل المدينة عن زيد بن ثابت انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له هل تزوجت يازيد قال لا قال تزوج تستعف مع عفتك ولاتتزوجن خمسا قال ماهن قال لاتتزوجن شهبرة ولانهبرة ولا لهبرة ولاهيدرة ولالفوتا قال زيد يارسول الله لااعرف شيئا مما قلت قال بلى اما الشهبرة فالزرقاء البذية واما النهبرة فالطويلة المهزولة واما اللهبرة فالعجوز المدبرة واما الهيدرة فالقصيرة الدميمة واما اللفوت فذات الولد من غيرك قال الشيبانى ضحك ابوحنيفة من هذا الحديث طويلا قلت والحديث رواه الديلمى عن ابى هريرة وقال بعض العرب لاتنكح من النساء ستا انانة ولامنانة ولاحنانة ولابراقة ولاحداقة ولاشداقة فالانانة التى تكثر الانين والمنانة التى تمن على زوجها بخدمتها ومالها والحنانة التى تحن الى زوج آخر اولها ولد من زوج آخر والحداقة التى ترمى كل شئ بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج بشرائه مما لاطاقة له فيه والبراقة التى تكون طول نهارها فى تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشداقة المتشدقة الكثيرة الكلام ويحكى ان السايح الازدى لقى الياس عليه السلام فى سياحته فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال لاتنكح اربعا المختلعة والمبارية

والعاهرة

والعاهرة والناشزة فالمختلعة هى التى تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب وعلة والمبارية المباهية لغيرها المفاخرة بمالها والعاهرة الفاسقة والناشزة المرتفعة بنفسها على زوجها والمخالفة فى امرها ونهيها (ثم رعاية تلك الاوصاف فى الزوج اولى) فان الطلاق بيد من له الساق فالوقوع فى تصرفه اقوى كما لايخفى وعن عائشة واسماء بنتى الصديق النكاح رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته قال البيهقى روى ذلك مرفوعا والموقوف اصح وورد من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان فى الضعفاء من حديث انس وزوله الثقات من قول الشعبى باسناد صحيح وروى ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخى صهيب كنا ضالين فهدانا الله وكنا مملوكين فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان رددتمونا فسبحان الله فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لوذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق وكما تكره المغالاة فى المهر من جهة المرأة يكره سؤال الرجل ايضا عن مالها قال الثورى اذا تزوج الرجل وقال اى شئ للمرأة فاعلم انه لص وقال رجل للحسن قدخطب ابنتى جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقى الله فانه ان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وعن على شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت ان تتكلم كل احد بكلام لين مريب فى حقها وان كانت جبانة فرقت من كل شئ فلم تخرج من بيتها قيل واذا كانت المرأة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهى على صورة الحور العين فان الله عزوجل وصف نساء الجنة بهذه الصفات فى قوله * خيرات حسان * اراد بالخيرات حسن الاخلاق وفى قوله * قاصرات الطرف * وفى قوله * عربا اترابا * فالعروب هى العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبذلك تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة بياض العين شديدة سوادها فى سواد الشعر والعيناء الواسعة العين هذا وفى الحديث لاتتزوجن عجوزا ولا عاقرا فانى مكاثر بكم الامم الطبرانى والحاكم عن عياض بن غنم وللشيرازى عليكم بشواب النساء فانهن اطيب افواها وانتق بطونا اى ارحاما واسخن اقبالا (ويهادى) اى كل منهما صاحبه قبل التزوج اوالرجل لانه اولى ان يكون فى هذا الفعل هو البادى (فورد تهادوا تحابوا) البخارى فى كتاب الادب المفرد والبيهقى من حديث ابى هريرة بسند جيد واذا اهدى شيئا فلاينبغى ان يهدى ليضطرهم الى المقابلة باكثر منه وكذا اهدوا اليه فنية طلب الزيادة فاسدة كما يشير اليه قوله تعالى * ولاتمنن تستكثر * اى لاتعط لتطلب اكثر (ويولم) اى يصنع الوليمة وهى طعام العرس

للمرأة الكريمة (فهو مروى عنه عليه السلام قولا) وهو قوله عليه السلام لابن عوف اولم ولو بشاة مالك والجماعة عن انس والبخارى عن ابن عوف (وفعلا) ففى البخارى من حديث عائشة اولم على بعض نسائه بمدين من شعير وفى السنن الاربعة من حديث انس اولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يجئ بفضل التمر وفضل السويق وفى الصحيحين التمر والاقط والسمن (ويعجل بها فهى فى اليوم الاول سنة) اى مؤكدة قريبة الى الواجب (وفى الثانى متعارف) اى استحبابه (وفى الثالث رياء) اى وسمعة فى بابه فعن ابن مسعود مرفوعا طعام اول يوم حق وطعام الثانى سنة وطعام الثالث سمعة الترمذى والمعنى اذا احدث الله تعالى نعمة لعبد حق له ان يحدث شكرا واستحب ذلك فى الثانى جبرا لما يقع من النقصان فى اليوم فان السنة مكملة للواجب واما اليوم الثالث فليس الا رياء وسمعة ومن هنا قالوا تجب الاجابة على المدعو فى الاول ويستحب فى الثانى ويحرم فى الثالث ثم يستحب التهنئة له بان يقال له بارك الله لك وعليك وجمع بينكما فى خير كما رواه ابو داود والترمذى وصححه وابن ماجه عن ابى هريرة (ولا يخطب على خطبة اخيه) وقد تقدم ماورد من نهيه عليه السلام (فهو ايذاء) اى للمؤمن وهو حرام قال تعالى * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا * وورد من آذى مسلما فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله الطبرانى فى الاوسط عن انس (ويعلن) اى خطبة النكاح فان الخطبة يستحب اسرارها (فورد اعلنوا النكاح) تمامه واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدف الترمذى من حديث عائشة وحسنه وفى صحيح البخارى عن الربيع بنت معوذ جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل على غداة بنى بى فجلس على فرشى وجويريات لنا يضربن بدفوفهن ويندبن من قتل من آبائى الى ان قالت احديهن وفينا نبى يعلم ما فى غد فقال لها اسكتى عن هذا وقولى ما كنت تقولين قبلها وللترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث محمد بن حاطب فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت اى فرق ما بينهما بحسب الظواهر عند العامة فان العقد بحضرة الشهود غالبا يكون فى السرار مع الخاصة وقال الفقهاء المراد بالدف ما لا جلاجل اذ وقع على خلاف القياس فيقتصر على مورده اذ لم يكن فى دف زمانه عليه السلام جلاجل وايضا فهى زيادة مستغنى عنها بحصول المقصود بدونها (وينثر السكر واللوز على رأسها وينتهب القوم فهو سنة) فقد اخرج ابو جعفر الطحاوى بسنده وكذا البيهقى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حضر ملاك رجل من الانصار فجاءت الجوارى معهن الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام لم لا تنتهبون قالوا انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاذبهم ويجاذبونه واحتج به الطحاوى

على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة وخص به على الاحاديث التى فيها النهى عن النهبة (ويغسل الزوج رجليها ويرمى الماء فى زوايا البيت ليدخله البركة) لم اجده اصلا وانما اخرج احمد فى المناقب من حديث ابى يزيد المدنى وقال فارسل النبى الى على اى بعد عقد فاطمة لا تقرب حتى آتيك فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدعا بماء فقال ما شاء الله ان يقول ثم نضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت اليه تعثر فى ثوبها وربما قال فى مرطها من الحياء فنضح عليها ايضا وفى رواية ابن حبان عن انس انه عليه السلام لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال لفاطمة آتينى بماء فقامت الى قعب فى البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمى فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال * اللهم انى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * ثم قال لها ادبرى فادبرت فصب بين كتفيها وقال ما قال اولا ثم قال لعلى آتنى بماء فاتى به فنضح بين ثدييه ثم قال * اللهم انى اعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال ادبر فادبر فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل باهلك بسم الله والبركة (ويتروى فى المباشرة) اى المجامعة (تحصين الفرج) وكذا العين لقوله سبحانه * قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم * (وتفريغ القلب) اى عما يشغله عن ذكر الرب (ويسمى فى ابتداء الوقاع) اى قبيل الجماع (ويقرأ الفاتحة) لم اجده الا فى الاحياء من غير بيان الانباء (ويسأله تعالى الذرية الطيبة) اقتداء بزكريا عليه السلام حيث قال * قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء (ويجنبه الشيطان فهو مأمور به) فروى الجماعة عن ابن عباس انه اذا اراد الجماع قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه لو قضى بينهما ولد لم يضره وفى رواية للبخارى لم يضره شيطان ابدا ولابن ابى شيبة عن ابن مسعود موقوفا قال واذا انزل قال اللهم لا تجعل للشيطان فيما رزقتنى سبيلا ومن آدابه ان ينحرف عن القبلة اكراما لها ويغطى نفسه واهله بثوب فقد قال عليه السلام اذا جامع احدكم امرأته فلا يتجردا تجرد البعير ابن ماجه من حديث عتبة بن عبد بسند ضعيف وتقدم المكالمة والملاعبة والقبلة فللديلمى فى مسند الفردوس من حديث انس لا يقعن احدكم على امرأته كما يقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة والكلام (ويجتنب الليل الاول من الشهر والآخر والوسط فهو) وفى نسخة فهى (اوقات حضور الشيطان) ويقال ان الشياطين يحضرون الجماع فى هذه الليالى ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروى كراهية ذلك عن على ومعاوية وابى هريرة كذا فى الاحياء (واول الليلة) اى ويجتنب اول كل ليلة (ليكون النوم على الطهارة) فانه اولى من ان يكون نومه على جنابة وان جامع فيها فيستحب ان يغتسل او يتوضأ او يتيمم ثم يرقد ففى حديث عمر قلت للنبى صلى الله عليه

وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ متفق عليه وعن عائشة كان ينام جنبا لم يمس ماء ابو داود والترمذي وابن ماجه (ويلبث بعد الفراغ) اى ويمكث الرجل بعد فراغ منه (لتفرغ) اى المرأة من انزال منيها فان انزالها ربما يتأخر فيتهيج شهوتها ثم القعود عنها يكون ايذاء لها (ويباشر كل اربع ليال فهو الاعتدال استدلالا باباحة الاربع) فقد روى ان امرأة جاءت الى عمر رضى الله عنه وعنده كعب بن سوء فقالت يا امير المؤمنين ان زوجى يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره ان اشكوه فقال عمر نعم الرجل زوجك فرددت كلامها وعمر لا يزيدها على ذلك فقال كعب يا امير المؤمنين انها تشكو زوجها فى هجرة فراشها فقال له عمر فكما فهمت اشارتها فاحكم بينها فارسل الى زوجها فجاء فقال لها كعب ما تقولين فقالت (شعر)

* يا ايها القاضى الحكيم ارشده * الهى خليلى عن فراشى مسجده *
* زهده فى مضجعى تعبده * نهاره وليله ما يرقده *
* ولست فى امر النساء احمده * فقال لزوجها ما تقول فقال
* زهد فى فراشها وفى الكلال * انى امرؤ اذهلنى ما قد نزل
* فى سورة النجم وفى السبع الطول * فقال له كعب
* ان لها عليك حقا يا رجل * نصيبها فى اربع لمن عقل *
* فاعطها ذاك ودع عنك العلل *

فقال له عمر من اين لك هذا قال لان الله تعالى اباح للحر اربع زوجات فلكل واحدة يوم وليلة فاعجب ذلك عمر وجعله قاضى البصرة كذا فى الشمنى شرح النقاية مختصر الوقاية وهو ولى الهداية فى البداية والنهاية (ويزيد لحاجتها) وكذا لحاجته (فتحصينها واجب) وكذا تحصينه بل اوجب فى مقام دينه وحال يقينه (ويتخذ كل منهما خرقة) اى نظيفة (لازالة الاذى) وهو المنى لانه نجس عندنا وعلى القول بطهارته كما هو فى مذهب الشافعى فلا يخلو عن كراهة الطبيعة مع ان الخروج عن الخلاف مستحب باجماع علماء الشريعة (ويضاجع الحائض) اى ويرقد معها ولا يجتنب عن ان يعانقها (ويواكلها ويشاربها مخالفة للمجوس) واخوانهم من الروافض النحوس (ولا يأتيها جانب الدبر فهو) وفى نسخة فهى (اللواطة الصغرى) ولو جانب لفظ الجانب لكان احسن فى تعيين المراتب فانه تعالى قال * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم شئتم اى مقبلات ومدبرات ومستلقيات والترمذى عن ابن عباس وقال حسن صحيح ان عمر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما الذى اهلكك قال حولت رحلى البارحة فلم يرد عليه شيئا واوحى اليه * نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم * يقول اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة كذا فى المعالم وفى الصحيحين ان قوله نساؤكم حرث لكم الآية نزلت ردا لليهود كانت تقول فى الذى يأتى المرأة من دبرها فى قبلها ان يكون الولد احول ثم المراد بالحرث موضع

الزراعة ومنبت الولد واما الدبر فهو محل الروث والفرث وانما قال اللواطة الصغرى فان الكبرى انما هى مع الرجال ولا خلاف بين السلف والخلف ان غشيان المرأة والجارية فى دبرها ملعون فاعله ونص مالك بحرمته فما نقل عنه افتراء ليس فيه امتراء كيف وغشيان الحائض حرام لكونه اذى واذى الدبر اشد واقوى وقد ورد عن احمد فى المسند وابى داود عن ابى هريرة مرفوعا ملعون من اتى امرأة فى دبرها وفى رواية لاحمد واصحاب السنن الاربعة عنه ايضا من اتى كاهنا فصدقه بما يقول او اتى امرأة حائضا او اتى امرأة فى دبرها فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يدوم على ترك الوطئ فهو يضعف القوة) اى على قواعد اهل الحكمة ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة (ولا يباشر بعد مباشرة او احتلام الا ان يغسل نفسه) اى ذكره (او يبول) فانهما يقطعان المنى فاذا خرج بعدهما شئ يكون مذيا (ولا يعزل) والمعتمد ان يستأمر الحرة فى العزل دون الامة وكره جماعة العزل مطلقا لما ورد من قوله عليه السلام هو الوأد الخفى كما فى مسلم من حديث جذامة بنت وهب فانه القتل الحكمى (فهو) اى العزل (كالجلوس فى المسجد بلا عبادة) لانه طاعة فى موضع ليس فيه اثر فائدة سعادة (والاقامة بمكة بلا حج) اى فى كل سنة وكذا بلا طواف فى كل يوم وليلة فالمراد بالكراهة ترك الاولى والفضيلة ويغاير العزل الوأد الجلى بان الثانى جناية على موجود اومشهود ولذا قال على كرم الله وجهه لا يكون موؤدة الا بعد سبع اى سبعة اطوار وتلا الآية الواردة فى اطوار الخلقة وهى قوله تعالى * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * الى قوله * ثم انشأناه خلقا آخر * اى نفخنا فيه الروح (ولا بأس به) اى بالعزل (ان نوى استبقاء الملك فى الجارية) بترك الاعتاق اذ قطع اسبابه ليس بمنهى عنه (والحسن والسمانة للتمتع) اى واستبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها (والحياة) اى واستبقاء الحيوة (بالتحرز عن المخاض) وهو وجع النفاس حال الطلق وهذا ايضا ليس منهيا عنه (والخوف) اى وان نوى المخافة (من الافضاء الى كسب الحرام) بسبب كثرة الاولاد وما يترتب عليه من كثرة الخروج فى البلاد ودخول مداخل السوق ومحافل الفساد ومشاركة اهل العناد ومباعدة الزهاد والعباد وهذا ايضا ليس بمنهى عنه (فكانوا) اى الصحابة (يعزلون وما نهوا عنه) ففى الصحيحين عن جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل زاد مسلم فبلغ ذلك نبى الله فلم ينهنا وفى رواية لمسلم من حديث ابى سعيد انهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم ان لا تفعلوا ورواه النسائى من حديث ابى صرمة وفى صحيح مسلم عن جابر ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان لى جارية وهى خادمتنا وسانيتنا فى النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتكم انه

سيأتيها ما قدر لها وفى الصحيحين من حديث ابى سعيد ما من نسمة قدر كونها الا وهى كائنة (وان كان فيه) اى واوفى العزل خوفا من الافضاء الى كسب الحرام (ترك الفضيلة وهو التوكل) والضمان بنفقة الله عز وجل حيث قال * وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها (فورد من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا) اى من اخلاقنا وقد سبق الكلام عليه (ويأثم ان خاف ولادة البنت) لما فى تزويجهن من المعرة (فهو) اى خوفها (عادة الجاهلية) فى قتلهم البنات ووأدهن فى حال الحيوة كما اخبر الله سبحانه عنهم فى الكتاب * واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب * (او اراد به المبالغة فى النظافة) بتعززها وكمال تحرزها من الطلق والنفاس والرضاع وما يتبعها فيأثم بالعزل اذا نواها (فهو) اى العزل بهذ القصد (بدعة) لانها عادة الخوارج لمبالغتهن فى استعمال المياه حتى كن يقضين صلوة ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة فهذه بدعة تخالف السنة فهى نية فاسدة وقد استأذنت واحدة منهن على عائشة لما قدمت البصرة فلم تأذن لها (ويفرح بالمولود) فانه المقصود فى ميدان الوجود وايوان الشهود (فورد انه نور) اى للعين (فى الدنيا وسرور) اى للقلب (فى الآخرة) اى عند شفاعته فى العقبى ولم اجد له اصلا وقد قيل الولد اذا عاش نفع واذا مات شفع وقد ورد الولد ثمر القلب وانه مجبنة محزنة مبخلة ابو يعلى الموصلى عن ابى سعيد وفى رواية الحكيم عن خولة بنت حكيم الولد من ريحان الجنة وفى الجملة هو هبة من الله كما يشير اليه قوله سبحانه * يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور (ولا يغتم بالبنت لان الصلاح مستور) اذ قد يكون الابن صالحا والبنت بخلافه وقد يكون الامر بالعكس او يراد بالصلاح النفع والنجاح وهو ايضا مبهم كما يشير اليه قوله تعالى * آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا (ويزداد فرحا) اى لولادة البنت بالتكلف فيه باظهاره (مخالفة للجاهلية) حيث قال تعالى * واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم وورد من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه الخرائطى بسند ضعيف وفى رواية له فبدأ بالاناث قبل الذكور (وورد بركة المرأة تبكيرها) اى اول ولادتها (بالبنات) الديلمى عن عائشة وواثلة كلاهما مرفوعا بلفظ من بركة المرأة تبكيرها بالاناث وحكاه ابن عطية عن الثعلبى موقوفا على واثلة بلفظ من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث يعنى قوله تعالى * يهب لمن يشاء اناثا * وعن ابن عباس ان رجلا دعا على بناته بالموت فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تدع فان البركة فى البنات ذكره السخاوى (من ابتلى منهن) اى بالبنات (بشئ) اى قليلا او كثيرا (فاحسن اليهن) بالتربية

(كن له سترا من النار) اى حجابا احمد والشيخان والترمذى عن عائشة بلفظ من ابتلى من هذه البنات الحديث وعن ابن عباس ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه الا ادخلتاه الجنة ابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد وعن انس من كان له ابنتان او اختان فاحسن اليهما ما صحبتاه كنت انا وهو فى الجنة كهاتين الخرائطى فى مكارم الاخلاق بسند ضعيف ورواه الترمذى بلفظ من عال جاريتين وقال حديث حسن غريب وعن ابن مسعود من كانت له ابنة فادبها فاحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعم التى اسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة الطبرانى فى الكبير والخرائطى فى مكارم الاخلاق وعن ابى هريرة من كانت له ثلاث بنات او اخوات فصبر على لأوائهن وضرائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته اياهن فقال رجل واثنتان يا رسول الله قال واثنتان فقال رجل او واحدة فقال او واحدة الخرائطى واللفظ له والحاكم ولم يقل او اخوات وقال صحيح الاسناد (ويؤذن فى اذنه اليمنى) اى فى اول ما يلد ليكون اول ما يقرع سمعه ذكر الله عز وجل ودعوة الداعى الى طاعته وعبادته (ويقيم فى اليسرى) فيكون سببا لحضوره فى المسجد واداء الصلوة بجماعة وعن ابى رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن فى اذن الحسين حين ولدته فاطمة احمد واللفظ له وابو داود والترمذى وصححه الا انهما قالا الحسن مكبرا (فورد فيه) اى فيما ذكر من الاذان والاقامة او فى جمعهما (دفعت عنه ام الصبيان) فانها من جنس الشيطان وهم يبعدون عن الاذان لكمال العدوان وعن الحسين بن على من ولد له مولود فاذن فى اذنه اليمنى واقام فى اذنه اليسرى دفعت عنه ام الصبيان ابو يعلى الموصلى وابن السنى فى اليوم والليلة والبيهقى فى شعب الايمان (ويقطع سرته ويميط الاذى) اى يزيله وهو الدم ونحوه عن بدنه لما سيأتى (وترضعه الام) اى ولو مرة فانه اول تربية فيختص باشفق الناس وارحمها وليصدق على امه ما قال تعالى * حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا * والتخرج عن عهدة ظاهر الامر فى قوله سبحانه * والوالدات يرضعن اولادهن الآية وقوله (فهو سنة) لم اجد لها اصلا (ولا تسأم) اى لا تمل الام وفى نسخة ولا تتسائم بصيغة المعلوم للمؤنث او المجهول للمذكر (ولا يتبرم ولا يتضجر احد ببكائه فهو ذكر كما ورد) عن ابن عمر مرفوعا بكاء الصبى الى شهرين شهادة ان لا اله الا الله والى اربعة اشهر الثقة بالله والى ثمانية اشهر الصلوة على النبى عليه السلام ولسنتين استغفار لوالديه اخرجه الديلمى بسند ضعيف وفى لفظ لغيره بكاء الصبى فى المهد اربعة اشهر توحيد واربعة اشهر صلوة على نبيكم واربعة اشهر استغفار لوالديه ذكره السخاوى فى القول البديع (وجاء الاختتان فى اليوم السابع) فانه مهما كان صغيرا يبقى القطع يسيرا وقد روى الطبرانى فى الصغير من حديث جابر

بسند ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة ايام ورواه الحاكم وصحح اسناده والبيهقى من حديث عائشة (وقيل يؤخر عنه) اى حتى يصير كبيرا (مخالفة لليهود) فانهم يعجلون فى هذا الامر (وتحاميا عن الخطر) اى خطر المولود عن الموت فان الخطر فى حال الصغر اكثر من زمان الكبر (ووقتــه) اى ووقت غاية تأخيره (سبع سنين) اوعشر سنين اومايطاق المه فيه وقد اختتن ابراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين وذلك لانه امر حينئذ فهو اول من اختتن و يترك لوولد شبيهـا بالمختون (وتختن الانثى) اى البنت (فورد انه مكرمة) اى سبب كرامة عند ازواجهن عن ابن عباس الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء الطبرانى (وهو) اى اى ختان الانثى (ينضر الوجه) اى يحسنه (ويفتر الشهوة) اى يسكنها (ويلذ الوقاع) اى الجماع (ويحبب الى الزوج) وهوسبب محبة الزوجة (ولايبالغ) بصيغة المجهول (فيه) اى فى الختان اوفى ختانها بالخصوص (ويحسن الاسم) اى اسم ولده فانه من جملة حقوقه على والده (فورد حسنوا اسماء اولادكم) ابوداود من حديث ابى الدرداء قال النووى باسناد جيد وقال البيهقى انه مرسل ولفظه انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء آبائكم فاحسنوا اسماءكم وورد حق الولد على والده ان يحسن اسمه و يزوجه اذا ادرك و يعلمه الكتابة ابو نعيم والديلمى عن ابى هريرة وفى رواية زيادة والسباحة والرماية (والتعبيد) اضافة العبد الى اسماء الرب (احب) اى افضل (فورد اذا سميتم) اى اردتم ان تسموا اولادكم (فعبدوا) الطبرانى من حديث عبد الملك بن زهير عن ابيه (واحب الاسماء الى الله عبدالله وعبدالرحمن) مسلم من حديث ابن عمر (ولايجمع بين اسمه عليه السلام و كنيته فهو) اى الجمع بينهما (منهى عنه) لحديث سموا باسمى ولاتكنوا بكنيتى متفق عليه من حديث جابر وفى لفظ تسموا فقيل النهى عن التكنية وحدها وكان هذا المنع فى عصره اذا كان ينادى يا ابا القاسم فلا بأس بعده نعم لايجمع بين اسمه وكنيته لما رواه احمد وابن حبان من حديث ابى هريرة ولابى داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث جابر من تسمى باسمى فلايكتنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلايتسمى باسمى (وقيل كان ذلك) اى النهى عن الجمع بينهما (فى عهده عليه السلام) اى فى زمانه لعلة الالتباس واما اليوم فلا (ويبدل الاسم السيئ) اى يغيره بغيره من الاسم الحسن (فبدل عليه السلام اسم العاص بعبدالله و برة) بفتح الموحدة (بزينب وقال) باستفهام مقدار انكارا لهـا (تزكى نفسها) فان برة مبالغة بارة وهى عاملة البر بالكسر رواه الشيخان عن ابى هريرة نحوه (ونهى) اى عليه السلام (عن افلح) اى عن التسمية بافلح (ونافع وبركة) رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا انه جعل مكان بركة

رباحا (تحاميا عما قيل) اى يقال (ليس فى الدار بركة) يعنى اونافع اوافلح وامثال ذلك (ويسمى السقط وان جهل صفته) اى من الذكورة والانوثة (فيما) اى فيسمى باسم (يصلح للذكر والانثى) بان يكون فى آخره تاء (كحمزة وطلحة) فعن عبدالرحمن ابن يزيد بن معاوية قال بلغنى ان السقط يوم القيمة وراء والديه يقول انت ضيعتنى انت تركتنى لااسم لى فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لايرى انه غلام اوجارية فقال عبد الرحمن من الاسماء مايجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعنبسة (ولايكنى بابى عيسى اذلااب له) اى لعيسى عليه السلام (ونهى عنه) اى عن التكنى المذكور لمايوهم من خلاف المرام فى سمع العوام ففى الاحياء سمى رجل اباعيسى فقال عليه السلام ان عيسى لااب له فكره ذلك انتهى ولم يتعرض له مخرجه (ويعق عن الابن بشاتين وعن البنت بشاة) ولا بأس بالشاة ذكرا كان اوانثى (فى اليوم السابع) من الولادة (فهومأمور به) روت عائشة انه عليه السلام امر فى الغلام بشاتين مكافئتين وفى الجارية بشاة الترمذى وصححه (وعق عن الحسن بشاة) واحدة وهذا رخصة فى الاقتصار على شاة واحدة والحديث رواه الترمذى من حديث على وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم وصححه الا انه قال حسين ورواه ابوداود من حديث ابن عباس الا انه قال كبشا وللبخارى من حديث سلمان ابن عامر الضبى مع الغلام عقيقته فاهريقوا عنه دما واميطوا عنه الاذى وعن عائشة لايكسر للعقيقة عظم كذا فى الاحياء ولعل وجهه تفاؤلا بصحة الاعضاء وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذت صوفة منها فاستقبل بها اوداجها ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه و يحلق بعده كذا فى الاحياء (و يحلق رأسه) اى فى السابع لماسيأتى اوفى الاربعين كما عليه عمل اهل الحرمين (ويتصدق على وزن شعره ذهبا اوفضة) وهى المعروف كما سيأتى (فامرت به فاطمة فى الحسين فى اليوم السابع) قال العراقى حديث امر فاطمة يوم سابع حسين ان يحلق شعره و يتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث على وهو عند الترمذى منقطع بلفظ حسن ورواه احمد من حديث ابى رافع (ويطلى السكر) اى يلطخه ان تيسر اوالعسل (اوالتمر الممضوغ فى لهاته) بفتح اللام اى اقصى حلقه من حنكه (ففعله عليه السلام لعبدالله بن الزبير حين جاءت به امه اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهم) ففى الصحيحين عن اسماء ولدت عبدالله بن الزبير بقباء ثم اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان اول شئ دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له و برك عليه وكان اول مولود ولد فى الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان اليهود قد سحرتكم فلايولد لكم و بقية حقوق الولد ذكرت فى باب الصحبة

اى المترتب عليه قطع الطمع ولبعض الاكابر قوام الدنيا والدين العلم والكسب فمن رفضهما وقال ابتغى الزهد لا العلم والتوكل لا الكسب وقع فى الجهل والطمع كذا فى ربيع الابرار للزمخشرى (بسم الله الرحمن الرحيم) وبه استعين فى كل امر كريم قال تعالى * وجعلنا النهار معاشا * وابتغوا من فضل الله * اى رزقه * وانفقوا من طيبات ما كسبتم * الآيه (ورد من طلب الدنيا حلالا) اى حال كون المطلوب حلالا (تعففا عن المسألة) اى لاجل عفة نفسه عن سؤال مخلوق مثله (وسعيا على عياله) من زوجته واطفاله (وتعطفا) اى ترحما وتلطفا (على جاره) من الفقراء فى تحسين حاله وتزيين باله (لقى الله) اى يوم القيمة فى مآله (ووجهه كالقمر ليلة البدر) من حسن جماله وكمال مناله (ومن طلب الدنيا مفاخرا) اى حال كونه متفاخرا بتحصيل ماله (مكاثرا) على اقرانه وامثاله (لقى الله وهو عليه غضبان) والله المستعان والحديث رواه ابو الشيخ فى كتاب الثواب وابو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ابى هريرة ومن الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم فى طلب المعيشة الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية وعن لقمان الحكيم لابنه استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة فى دينه وضعف فى عقله وذهاب لمروئته واعظم هذه الثلاث استخفاف الناس به وكان عمر يقول لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وكان زيد بن سلمة يغرس فى ارضه فقال عمر اصبت استغن عن الناس تكن اصون لدينك واكرم لوجهك كيف قال صاحبك احيحة (شعر)

* فلن ازال على الزوراء اعمرها * ان الكريم على الاخوان ذو المال *

(فالكسب سنة الانبياء) منهم داود عليه السلام لقوله تعالى * وعلمناه صنعة لبوس لكم * واول من زرع آدم عليه السلام واول من نجر نوح عليه السلام ويقال اول من خط ادريس عليه السلام (والاولياء) ومنهم اكثر الصلحاء (وفيه) اى فى الكسب (ستر الحال) اى بما فيه من العلم والاعمال فيكون من الاتقياء الاصفياء وممن قال عز وجل فيهم * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * الآية (وهو) اى الكسب (اولى لظاهر العمل) اى للمشتغل بالاعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب فى حقه احرى (من الاخذ بالسؤال وبغيره) كالطمع فى اموال الرجال (فالفارغ) من الكسب لتحصيل الحلال (سائل بلسان الحال) ان لم يكن سائلا ببيان المقال وربما لسان الحال اكشف فى تحصيل المآل ومن هنا ورد ان الله يحب ان يرى عبده تعبا فى طلب الحلال الديلمى عن علىّ وفى رواية ابن عدى عن ابن عمر ان الله يحب المؤمن المحترف وورد من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر

الترمذى من حديث ابى كبشة الانمارى وقال حسن صحيح وعن ابن مسعود انى لاكره ان ارى الرجل فارغا لا فى امر دينه ولا فى امر دنياه وجاءت ريح عاصف فى البحر فقال اهل السفينة لابراهيم بن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال ماهذه شدة انما الشدة الحاجة الى الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس فى بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى يأتينى رزقى فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قوله عليه السلام ان الله جعل رزقى تحت رمحى وفى مسند احمد من حديث ابن عمر جعل رزقى تحت ظل رمحى واسناده صحيح واما سمع قوله عليه السلام حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو فى طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم ثم قال احمد والقدوة بهم والحديث الثانى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذى حسن صحيح (واما صاحب الباطن) وهو العارف بالله المراقب لفيض مولاه المعرض عما سواه (والعالم النافع للناس) افتاء وتصنيفا وتدريسا (والمشتغل بمصالحهم كالقاضى) وفى معناه الخليفة والمؤذن والامام وفقيه الايتام (فان اعطوا الكفاية من بيت المال) اى من وجه الحلال او من ايدى الناس من الصدقات اخذوها واشتغلوا بما هو افضل فى حقهم من الاشتغال بكسب المال فهو غاية الكمال (والا) اى وان لم يعطوا (يقابل) كل منهم (فضائل الكسب) اى الاحاديث التى وردت فى فضائله (بما فيه) اى من فضائل العلم والحكومة ومنافع الرجال (ممعنا) اى حال كونه مبالغا فى تمييز ما فيه الفلاح (ويعمل بحسب الصلاح) فان فيه النجاح وقد اشار الصحابة على ابى بكر بترك التجارة لما ولى الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك اولى نعم لما توفى اوصى برده الى بيت المال والحاصل انه ان كان الصلاح فى الكسب اختاره وترك ما هو فيه لغيره وان كان الصلاح فيما هو فيه من الامر المهم اشتغل به وتوكل على الله فى امر رزقه (وحقه) اى حق الكسب على ما ذكره ثلاثون (ان ينوى التعفف) اى عفة نفسه عن المسألة (والتعطف) اى الترحم على غيره بزيادة النفقة لما تقدم ولما روى ان عيسى عليه السلام رأى رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخى قال اخوك اعبد منك (واقامة فرض الكفاية) اى ينويها (فى صناعات يتوقف عليها العيش) اى المعيشة كالزراعة والتجارة والخياطة والنجارة ففى الخبر تسعة اعشار الرزق فى التجارة الحربى فى الغريب من حديث نعيم بن عبد الرحمن وتقدم نفع الزراعة وروى احمد من حديث ابى هريرة خير الكسب كسب العامل اذا نصح واسناده حسن (ويباكر) اى ويسعى فى اول النهار (فورد ان فى الغدو بركة ونجاحا) اى فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد وصلاحا والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عدى عن عائشة باكروا فى طلب الرزق والحوايج فان الغدو بركة ونجاح وقد ورد اللهم بارك لامتى فى بكورها

وروى الطبرانى فى معاجمه الثلاثة من حديث كعب بن عجرة انه عليه السلام كان جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذى جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلده فى سبيل الله فقال عليه السلام لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو فى سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين اوذرية ضعاف ليغنيهم ويبلغهم فهو فى سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو فى سبيل الشيطان (ويجتنب) اى من الصنائع (ما يضر الناس كالاحتكار) فبائع الطعام يدخره منتظرا غلاء السعر وهو ظلم عام وصاحبه مذموم شرعا وعرفا فورد الجالب مرزوق والمحتكر ملعون الحاكم فى صحيحه وابن ماجه فى سننه عن ابن عمر ومن احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقته كفارة لاحتكاره ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على والخطيب فى التاريخ من حديث انس وروى احمد والحاكم بسند جيد من حديث ابن عمر من احتكر الطعام اربعين يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وعن على انه احرق طعام محتكر بالنار وكذا فى الاحياء وفى حديث مسلم لا يحتكر الا خاطئ ولابن ماجه الجالب مرزوق والمحتكر ملعون قيل ومدته اربعون لما رواه ابن عساكر عن معاذ من احتكر طعاما على امتى اربعين يوما وتصدق به لم تقبل منه وفى رواية لاحمد وابن ماجة عن عمر من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس وفى رواية له وللحاكم عن ابى هريرة من احتكر حكرة يريد ان يغلى بها على المسلمين فهو خاطئ وقد برئت منه ذمة الله ورسوله وقوله خاطئ بالهمز وفى رواية فهو ملعون واستدل به مالك بعموم الحديث على ان الاحتكار حرام فى المطعوم وغيره وهو رواية عن ابى يوسف والجمهور على ان الاحتكار مختص بالاقوات وحملوا الحديث عليها والله اعلم وروى ابن مردويه فى تفسيره من حديث ابن مسعود ما من جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد وبالجملة التجارة فى الاقوات مما لا يستحب ولذا اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس واما الصنعتان فان يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب اوصواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة وهذا معنى قوله (ويلوث الباطن) اى ويجتنب عما يلوث باطنه ولو لم يلوث ظاهره (كالجزر) وهو صنعة الجزار ويقال القصاب (فهو يقسى القلب والصياغة فهو يزين الدنيا) وهى مبغوضة الرب وايضا يكره كسر الدرهم الصحيح والدينار الا عند شك فى جودته او حال ضرورته فقد قال احمد بن حنبل ورد نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فى الصياغة وانا اكره الكسر وقال يشترى بالدنانير دراهم ثم يشترى بالدراهم ذهبا ويصوغه اى خروجا عن الربوا وحديث النهى عن كسر

الدينار والدرهم رواه ابوداود والترمذى وابن ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن ابيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس زاد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعفه ابن حبان (والظاهر) اى ويجتنب ما يلوث ظاهره ولو لم يلوث باطنه (كالحجامة والدباغة) وفى معناهما الكناسة فان تلوث الظاهر يؤدى الى تلوث الباطن كما ان طهارة الظاهر تورث طهارة البدن وقد نهى عليه السلام عن كسب الحجام رواه ابن ماجه بسند حسن عن ابن مسعود ويحمل على نهى التنزيه لانه عليه السلام احتجم واعطى الحجام اجرته ولو كان حراما لما اعطاه وكيف لا والحجامة من الصنائع التى عدت من فروض الكفاية فلا بد من قيام بعض بهذه الصناعة لئلا يقع الناس فى ضياعة اذ لو تركت التجارات والصناعات لبطلت المعاش وضاعت الحالات فانتظام امر الكل بمعاونة الكل وتكفل كل فريق بعمل له يليق ولو اقبلوا كلهم على صنعة لتعطلت البواقى برمة وعلى هذا حمل بعضهم قوله عليه السلام اختلاف امتى رحمة اى اختلاف هممهم فى الصناعات وسبحان من اقام العباد فيما اراد وكل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى * نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون * ولله در القائل

(شعر) * رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال *
* فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال *

(وما يعسر) اى ويجتنب ما يصعب (فيه رعاية الاحتياط كالصرف) لان الاحتراز فيه عن دقائق الربا عسير علما وعملا ولانه طلب لدقائق الصفات فيما لا يقصد من اعيانها وانما يقصد رواجها وقل ما يتم للصيرفى ربح لا باعتبار جهالة معامليه بدقائق النقد فقل ما يسلم الصيرفى من الربا وان راعى غاية الاحتياط وفى الجملة يجب على الصيرفى ان يجتنب من الفضل فى المتجانسين ومن النسيئة مطلقا وورد لو اتجر اهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا فى الصرف الديلمى من حديث ابى سعيد وابو يعلى الشطر الاول من حديث ابى بكر (والدلالة) بالفتح ويكسر وقد كره ابن سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب فقد قيل رأس مال الدلال الكذب والافراط فى الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل لا يتقدر فقد يقل ويكثر ولا ينظر فى مقدار الاجرة الى عمل بل الى قيمة قدر الثوب وهذا هو العادة وهو ظلم بل ينبغى ان ينظر الى قدر التعب فان الاجر على قدر المشقة كذا فى الاحياء (وما يكره) اى ويجتنب ما يكره (فيه قضاؤه تعالى كشراء الحيوان) اى العبيد ونحوه لاجل التجارة فان

المشترى يكره قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذى بصدده ولامحالة خاق لاجله (وسلامة الناس) اى ويجتنب مايكره فيه طافية الناس (كبيع الكفن) على ماتقدم وفى معناه حفر القبر وغسل الموتى وحملهم بالاجرة وتشبيع الفقراء واعلامهم واذ كارهم من غير اذكارهم (وما يحرم) اى ويجتنب مايحرم (استعماله كقباء الابريسم) اى الحرير وهو ثوب الرجال دون النساء وفى الخبر من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة رواه الشيخان وغيرهما عن انس وفى رواية احمد عن جويرية من لبس الحرير فى الدنيا البسه الله يوم القيمة ثوبا من النار (وآنية الذهب والفضة) فانهما تحرم مطلقا وفى الخبران الذى يأكل اويشرب فى آنية الفضة انما يجرجر فى بطنه نارجهنم رواه مسلم عن ام سلمة زاد الطبرانى الاان يتوب (والمزمار) فانه حرام باتفاق الاربعة كسائر الاوتار وانما خالف الرافعى من الشافعية فى القصب (ورفع البناء) اى زيادته على قدر الحاجة فانه يقال له الى اين يا فسق الفاسقين وذلك لانه عمل شداد فى بناء قصره وعمل فرعون فى بناء صرحه (وتزيينه بالجص) وكذا بالنورة و الطين فانهما مكروهان اوحرامان لاسراف المال وتضييع الحال وروى الدارقطنى عن ابى الدرداء انه عليه السلام سئل ان يكحل المسجد اى بالنورة وغيرها فقال لاعرش كعرش موسى (ويعامل) عطف على يجتنب (متدينا لايستر حاله) اى فى التدين فيكون ظاهر الديانة (اعانة على البر لافاسقا) وكذا لاظالما ولااحدا من اعوانه (لئلا يعين على الاثم) فقد قال تعالى* وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان* وقد دخل سفيان الثورى على المهدى وبيده درج ابيض فقال ياسفيان اعطنى الدواة حتى اكتب فقال اخبرنى اى شئ تكتب فان حقا اعطيتك (ولا يبالغ فى مدح المبيع) اى ان كان بايعا (وذم المشرى) اى المشترى ان كان مشتريا (وان صدق) اى ولو كان صادقا فى مدحه وذمه فالمبالغة فيهما مذموم لانه مما لايعنيه فهو به ملوم ومذموم وقد قال تعالى* مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد* وقال عزوعلا* والذين هم عن اللغو معرضون* وورد من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه (ولا يحلف) ولو كان صادقا فى يمينه من غير ضرورة فى امر دينه (فهو جعله تعالى) اى جعل الحالف اسمه سبحانه فى هذا الحلف (عرضة للايمان) اى كالعرضة التى اعدها القصاب لازالة ما يتلوث به يداه اوكالهدف الذى يرمى الرامى فى كل ساعة سهمه اليه (لترويج لدنيا الخسيسة) باسمه الذى من الاشياء النفيسة واما قوله تعالى* ولاتجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس* فمعناه لاتجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى بان يدعى احدكم الى بر فيقول حلفت ان لاافعله بل ينبغى ان يفعله ويكفر عن يمينه

(وورد) كما فى صحيح مسلم (لاينظر الله الى منفق) بتشديد الفاء المكسورة (سلعته) اى مروجها (بيمينه) اى بحلفه فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تترك الديار بلاقع وان كان صادقا فقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة وفى الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولاوالله وويل للصانع من بعد وغد كذا فى الاحياء ذكره صاحب مسند الفردوس من حديث انس بغير اسناده نحوه وفى الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للكسب متفق عليه (ويظهر عيب المبيع) اى فى نفسه خفية وجلية (وقدره) اى ويظهر مقداره من الطول والعرض (وسعر الوقت) اى قيمة مثله فقد نهى عليه السلام عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس وابى هريرة وفى رواية عن تلقى البيوع كما فى الترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود وفى رواية ابن ماجه عن ابن عمر نهى عن تلقى الجلب وهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى الامتعة ويكذب فى سعر الازمنة وقد ورد لاتلقوا الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق (وما سومح به) اى ويظهر ماسامح بايعه الاول مع الثانى (فى الصفقة الاولى) وهى تكون فى بيع التولية وصورته ان يبيع شيئا بما قام عليه فيظهر ماسوهل به الشئ معه من تأجيل ثمنه وقبول ثمنه مع نقصان فى قدره ووصفه (فالاخفاء خيانة) كما ان الابداء ديانة فعن واثلة لايحل لاحد ان يبيع بيعا الايبين مافيه ولايحل لمن يعلم ذلك الايبينه البيهقى والحاكم وقال صحيح الاسناد (وورد من غشنا فليس منا) الترمذى عن ابى هريرة بسند صحيح وزاد الطبرانى وابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود والمكر والخداع فى النار ومن المكر والخديعة عرض الثياب فى موضع الظلمة وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فيه فرأى بلا فقال ماهذا فقال اصابته السماء قال فهلا جعلته فوق الطعام ليراه الناس من غشنا فليس منا (ويل للمطففين) اى الهلاك لاهل التطفيف فى الكيل والوزن وهو النقصان الخفيف فى الميزان والمكيال فكيف الحال فى اخذ الاحمال من اموال النساء والرجال (الآية) وهى* الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم اووزنوهم يخسرون الايظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين* وفيه وعيد فى غاية تهديد ولقد كان بعضهم يقول لااشترى الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة ويقول ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض ويؤيده انه عليه السلام اشترى شيئا وقال للوزان زن وارجح كما رواه اصحاب السنن الاربعة وقال الترمذى حسن صحيح وقد قيل كل مكلف فهو صاحب موازين فى افعاله واقواله وخطرات احواله فويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة فى مقام الفصل (ولايروج الزيف) وهو ما لانقرة فيه اصلا بل هو مموه عملا

اوما لا ذهب فيه من الدنانير اما ما فيه نقرة فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه قال الغزالى وقد رأينا الرخصة فيه اذا كان ذلك نقد البلد سواء علم مقدار النقرة اولم يعلم وان لم يكن نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان فى ماله قطعة نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الامن لا يستحل الترويج فى جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة عليه فهو كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور وفيه اعانة على الشر (بل يلقيه فى البئر) فقد قال بعضهم انفاق درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت وانقطعت وانفاق زايف بدعة اظهرها فى الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه وزرها بعدموته الى مائة سنة ومائتى سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم و يكون عليه ما فسد ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذامات ماتت معه ذنوبه والويل كل الويل لمن يموت وتبقى ذنوبه ففى صحيح مسلم عن جرير بن عبدالله مرفوعا من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شئ وبالجملة التجارة محك الرجال و بها يتبين مقام دينهم فى الاحوال وقد قال بعضهم لا يغرنك من المرء قميص رقعة اوازار فوق كعب الساق منه رفعة اوجبين لاح فيه اثر قد قلعه فلذى الدرهم فانظر غيه اوورعه (ولا يخلط التراب اى ونحوه من التبن وغير الجنس (بالطعام) اى الحبوبات (وما لا يعتاد) اى خلطه (باللحم) كالعظم والغدة والجلد الرقيق وكذا لحم الماعز بالضأن والضعيف بالسمين (فهو) اى ما ذكر (وامثاله) كخلط الماء باللبن والدهن بالسمن والدبس بالعسل (حرام) لانه ظلم فى حق الانام (ولا يقوم على شئ) اى سوم شئ (لا يريد) اى لا يقصد شراءه (بما فوق ثمنه ترغيبا للمشترى) فانه النجش المنهى عنه فى المتفق عليه عن ابن عمر (والاصل ان لا يريد لغيره ما لا يريد لنفسه) كما ورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه اخرجه الشيخان وغيرهما وفى رواية وحتى يكره لاخيه ما يكره لنفسه (وهو) اى حصول هذا المقام انما يكون (باعتقاد ان الخيانة لا تزيد فى الرزق والديانة) اى الموجبة للامانة (لا تنقص) اى فى الرزق فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة صادرة عن امانة وديانة ومن لا يعرف الزيادة والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق بهذا الحديث وهو فى غاية من الخسران ومن عرف ان الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان فى الدين والدنيا والالاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سبب هلاك مالكها فى الدنيا والاخرى صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد فى المال والصدقة لا تنقص منه فى المآل وقد قال تعالى ❊ يمحق الله الربوا و يربى الصدقات ❊ وورد الامانة تجر الرزق

والخيانة تجر الفقر القضاعى عن على (وان الآخرة) اى و باعتقاد ان العقبى (اولى من الدنيا) كما قال تعالى ❊ والآخرة خير وابقى ❊ فيختار نفع العقبى على نفع الدنيا ايثارا لما يبقى على ما يفنى (فورد لا يزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله) اى آثار غضبه (مالم يؤثروا) اى مدة لم يختاروا (صفقة دنياهم على آخرتهم) اى عقدا يوجب جلب الدنيا على عقد يورث نفع العقبى والحديث رواه ابو يعلى والبيهقى فى الشعب عن انس وفى رواية للحكيم الترمذى فى النوادر حتى نزلوا بالمنزل الذى لا يبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم دنياهم وللطبرانى فى الاوسط نحوه من حديث عائشة ولكل ضعيف الا انه يقوى بعضها ببعض ويؤيده حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال تحجزه عما حرم الله الطبرانى من حديث زيد بن ارقم باسناد حسن (و يحسن) اى البايع فى المعاملة و يعنى بالاحسان فعل ما ينتفع به المعامل و هو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب العدل وترك الظلم وقد قال تعالى ❊ ان الله يأمر بالعدل والاحسان ❊ فالعدل سبب للنجاة والاحسان موجب لنيل الدرجات و يدرك الاحسان الكامل بستة امور (بان لا يغبن) اى المشترى غبنا (غير معتاد) سواء كان فاحشا ام لا (وان اعطى لمشترى) اى ولودفع ثمنه مع زيادة (رغبة) اى زائدة (اوحاجة) اى ملجئة لقوله تعالى ❊ واحسن كما احسن الله اليك ❊ وفى الاحياء فقد ذهب بعض العلماء ان الغبن بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن وفى الخبر غبن المسترسل حرام الطبرانى من حديث ابى امامة بسند ضعيف والبيهقى من حديث جابر بسند جيد وقال ربا بدل حرام وقال الزبير بن عدى ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم من احد يحسن يشترى لحما بدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تلبيس فهو من ترك احسان (ويحتمله) اى و بان يحتمل الغبن (من ضعيف) بايع اومشتر بان يكون مريضا اوعن الكسب عاجزا (اوفقير) اى ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب نصاب فيكون به محسنا واما ما ورد من ان الكمال ان لا يغبن ولا يغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال وهذا معنى وصف بعضهم عمر بانه كان اكرم من ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان اياس بن معاوية قاضى البصرة وكان من عقلاء التابعين يقول لست بخب والخب لا يغبنى ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن ابو يعلى يعنى معاوية ابن قرة قلت ومقام الحسن ايضا حسن لقوله عليه السلام المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم ابوداود والترمذى والحاكم عن ابى هريرة وكان الحسن والحسين وغيرهما من الصحابة يستقصون فى الشراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال ان الواهب يهب فضله

وان المغبون يغبن عقله وقال بعضهم انما اغبن عقلي و بصيرتي فلا امكن الغابن منه اذا وهبت فاعطي لله ولا استكثره شيئا (فورد) في البخاري عن جابر مرفوعا (رحم الله امرأ سهل البيع وسهل الشراء) تمامه سهل القضاء سهل الاقتضاء (لا من غبن) اى لا يحتمل الغبن من غبن تاجر يطلب الربح زيادة على تجارته فاحتمال الغبن منه ليس في محله (لانه تضييع للمال) ويأسف في لمآل (اذ لا اجر) في العقبى (ولا حمد) في الدنيا فقد ورد في حديث من طريق اهل البيت ان المغبون لا محمود ولا مأجور الترمذي الحكيم في النوادر من رواية عبد الله بن الحسن عن ابيه عن جده وابو يعلى من حديث الحسين بن على يرفعه (و يسامح في قبض الثمن والدين) اى وفي قبضه (نقص بعضه من الثمن والدين (وترك طلب نقد احسن وامهال وقبول حوالة فورد رحم الله امرأ سهل القضاء وسهل الاقتضاء) وهو تتمة الحديث المتقدم فليغتنم دعاءه عليه السلام وقد ورد ايضا في هذا المقام اسمح تسمح لك الطبراني من حديث ابن عباس ورجاله ثقات (من انظر معسرا) اى امهله (او ترك له) اى اسقط عنه كله او بعضه ولو حقير (حاسبه الله) يوم القيمة (حسابا يسيرا) وفي لفظ آخر اظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله احمد ومسلم باللفظ الثاني من حديث ابي اليسر وهو كعب بن عمرو وفي رواية الطبراني عن ابن عباس انظره الله بذنبه الى توبته وفي رواية لاحمد وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن بريدة من انظر موسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثلاه صدقة واصله قوله تعالى * وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا * اى بكله او ببعضه * خير لكم ان كنتم تعلمون * والتصدق سنة وهذا افضل من الانظار الذي هو فرض وذكر عليه السلام رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس واقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ آخر تجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز عنه وغفر له رواه مسلم من حديث ابي مسعود الانصاري وهو متفق عليه بنحوه من حديث حذيفة (و يبادر في اعطاء الاجرة) ففي الخبر اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه ابن ماجه عن ابن عمر (وقضاء الدين قبل الاجل) اى قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل وابطال الامل (باحسن ما شرط) اى في العقد الاول بان يؤدي الجيد وكان الشرط من يوفا فانه يوجد معروفا و يقتضي كون صاحبه مألوفا فورد خيركم احسنكم قضاء متفق عليه من حديث ابي هريرة (و ينوي القضاء كذلك) اى باحسن ما شرط (ان عجز) مهما قدر (فورد ان الملائكة يدعون له) اى لمن ينوي القضاء بان يقدر الله تعالى له (حتى يقضيه) والحديث في الاحياء بلفظ من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه و يدعون له حتى يقضيه

رواه احمد عن عائشة ما من عبد كانت له نية في اداء دينه الا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني في الاوسط الا معه عون من الله عليه حتى يقضيه وفي الاحياء كان جماعة من السلف يستقرضون من غير حاجة لهذا الخبر قلت وفي جواز هذا لا يخلو من النظر لما فيه من نوع الغرر وصنف الخطر اللهم الا ان يحمل على شراء شئ الى الاجل المقرر فتدبر (و يستدين) اى يستقرض ويتدين (في ضعف قوة في سبيله تعالى) بان يكون في حج او غزوة وفني زاده او مات مركوبه (وتكفين ميت مقل) اى فقير قريبا كان او بعيدا (ونكاح يتعفف به) اى يطلب عفة نفسه عن الزنا بسببه (عليه تعالى) اى متوكلا عليه ومستندا اليه محسنا للظن لديه ان يرزقه ما يقضيه (فهو يقضيها) اى جميع ما عليه من الديون الثلاثة بكرمه اما في الدنيا واما يرضي صاحبه في العقبى (ويقيل) من الاقالة اى يرد البيعة (ان ندم البائع) على شرائها وكذا حكم المشتري وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة ما في الاحياء ويقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار غيره (فوعد عليه) اى على اقالته النادم (اقالته تعالى) اى عفوه (يوم القيمة عثرته) اى ذنوبه وزلته وكان الاولى ان يقول فورد من اقال نادما صفقته اقال الله عثرته يوم القيمة ابو داود والحاكم من حديث ابي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم (و يعامل الفقير نسيئة) اى صبرا عليه (على عزم الترك) اى ترك المطالبة او الاخذ (ان لم يظهر غناه) بان يحقق فقره اليه فيكون في هذا محسنا اليه فانه لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن زاد معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة اذ ما يفوته من الربح في العقبى لا يفي به ما يناله في الدنيا فيكون ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرى بل العاقل ينبغي ان يشفق على نفسه وغيره وشفقته على نفسه بحفظ رأس ماله وصلاح شانه وحاله ورأس ماله حفظ دينه وتجارته فيه صدق يقينه قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شئ اليه في العاجل احمده عاقبة في الآجل وقد قال تعالى * ولا تنس نصيبك من الدنيا * اى لا تنس نصيبك في الدنيا نصيبك منها للعقبى فان الدنيا مزرعة الآخرة والآخرة مخزنة الذخيرة الفاخرة (و يكيل الطعام) اى الحبوب (اخذا واعطاء) اى حال اخذ وحال اعطاء (ففيه البركة) وفي الخبر كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه احمد والبخاري عن المقدام وفي رواية ابن النجار عن علي كيلوا طعامكم فان البركة في الطعام المكيل وروى البزار عن ابي هريرة انه عليه السلام نهى عن بيع الطعام حتى يجري فيه صاعان صاع البائع وصاع المشتري فيكون لصاحبه الزيادة وعليه النقصان وتحقيق هذه المسألة وما فيها من الرعاية في شرحنا للنقاية مختصر الوقاية والله ولي الهداية (ويختار حرف السلف) وكار غالب اعمال الاخيار من السلف عشرة

صنائع الخرز والتجارة والحمل والخياطة والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة (كالحرث) وهى الزراعة وهى صنعة آدم اولا وقد قال عليه السلام التمسوا الرزق فى خبايا الارض والمراد الزرع وانشدوا

(شعر)

* تتبع خبايا الارض وادع مليكها * لعلك يوما ان تجاب وترزقا *

ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى * هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور * ولا يبعد ان يراد بالآية والحديث المعنى الاعم الشامل للزراعة والتجارة والله سبحانه اعلم (والحمل) اى حمل الامتعة من محل الى محل باجرة معينة وشأن الحمال كان من اهل الكمال (والنجر) اى النجارة وفى مسند احمد وصحيح مسلم عن ابى هريرة كان زكريا نجارا (والخياطه) قيل انه من صنعة ادريس (والقصر) وهو غسل الثياب ومنه الحواريون (والخصف) اى خرز النعل والقربة ونحوهما وصح انه عليه السلام كان يخصف نعله (والرعى) اى رعى الغنم والابل ونحوهما وهو من صنعة الانبياء والاولياء (والكتابة) فهى حرفة العلماء والمشايخ الاصفياء لاسيما كتابة المصحف القديم وحديث النبى الكريم ففيهما بقاء الدين القويم والمنهج المستقيم قال عبد الوهاب الوراق قال لى احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة قال كسب طيب لو كنت صانعا بيدى لصنعت صنعتك وهو يحتمل ان يكون معناها الكتابة اوصنعة الورق بمعنى الكاغد الذى تتوقف عليه صنعة الكتابة كشغل المداد فانه آلة الكتابة وقد ورد بوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء (فورد خير تجاراتكم البز وخير صناعاتكم الخرز) الديلمى عن على تعليقا ويقال اربعة من الصناع موسومون عند الناس بضعف الرأى الحاكة والقطانون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النسوان والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول يضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء يزيد فى العقل فان الصحبة تؤثر فورد المرء على دين خليله فلينظر بمن يخالل وعن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت فى طلبها لعيسى عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم فى اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو من قبيل العبادات فى فروض الكفايات كغسل الاموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الاذان والاقامة وتعليم القرآن والفقه وان حكم المتأخرون بجواز ذلك اذلم يروا من يقوم بهذه الامور احتسابا هنالك (ويلزم ما رزق فيه) اى من انواع الصناعة واصناف التجارة فلا ينتقل منها الى غيرها ففى الخبر من رزق فى شئ فليلزمه البيهقى عن انس وفى رواية ابن ماجه من حديث انس وعائشة من بورك له فى شئ فليلزمه وفى رواية له عن انس بلفظ

من اصاب من شئ فليلزمه (ويترك ما تجر فيه ثلاثا) اى ثلاث مرات (فلم يرزق) اى لم يربح فيه فان علامة الاجازة تيسير الامور وتعسيرها وفى الخبر اليسر يمن والعسر شوم الديلمى عن رجل وينتقل الى غيره فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وفى الخبر لن يغلب عسر يسرين وفيه تحقيق وتدقيق ليس هذا محله الذى ذكره يليق (ويتخذ الغنم) فى مسند الفردوس للديلمى عن ابى هريرة الغنم اموال الانبياء وفى رواية الخطيب عن ابى هريرة الغنم من دواب الجنة فامسحوا رغامها وصلوا فى مرابضها وفى رواية ابى يعلى عن البراء الغنم بركة (والدجاج ونحوها) كالناقة والبقر والفرس والبط والحمام (للدر) اى اللبن (والنسل) اى النتاج (ففيها عشر الرزق) اى ويسر الرفق وروى وفى التجارة تسعة اعشار الرزق وفى سنن ابن ماجه ان النبى صلى الله عليه وسلم امر الاغنياء باتخاذ الغنم وامر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال عند اتخاذ الاغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وقد بينا وجهه فى بهجة الانسان فى مهجة الحيوان (فكان له عليه السلام بعران) بضم اوله جمع بعير (وغنم من لبنها قوت اهله) وفى المواهب اللدنية كانت له خمسة واربعون لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاة وكانت له سبعة اعنز منايح ترعاها ام ايمن وورد خذ الحبة من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر ابو داود وابن ماجه والحاكم عن معاذ (ويختار) اى من الغنم (صنفا) اى نوعا مجتمعا فيه (السود والبيض) كما حكى فى غنم شعيب عليه السلام ورعى الكليم فى ذلك المقام (ولا يحرص) على تحصيل الدنيا وتعطيل العقبى فلا يباكر بالسوق ونحوها (فورد شر البقاع السوق) لانه محل الغفلة والعصيان ولو بالخطأ والنسيان وموضع راية الشيطان وجنوده اعداء الانسان (وشر اهلها اولهم دخولا وآخرهم خروجا) رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس بلفظ ابغض البقاع الى الله الاسواق وابغض اهلها الى الله اولهم دخولا وآخرهم خروجا وقد تقدم حديث شر البقاع الاسواق وخير البقاع المساجد فينبغى ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق العقبى واسواق الآخرة المساجد ونحوها من المدارس والمعابد والمشاهد وكان عمر يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحوا السلف يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤس بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا فى المساجد بعد وفى الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد فى اول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سئ الاعمال ابو يعلى من حديث انس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى * وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار * ويؤيده حديث تلتقى ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلاة العصر فيقول الله وهو اعلم كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم وهم يصلون

فيقول الله اشهدكم انى غفرت لهم متفق عليه من حديث ابى هريرة وقد جاء فى تفسير قوله تعالى * رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله * انهم كانوا حدادين وخرازين فكان احدهم اذا رفع المطرقة اوغرز الاشفار فسمع الاذان لم يخرج الاشفار المغروز ولم يوقع المطرقة ورمى بها وقام الى الصلوة وقد قيل من احب الآخرة عاش ومن احب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح فى لاش والعاقل فى دينه فتاش (ولا يركب البحر الالحج اوعمرة اوغزوة) رواه ابوداود من حديث عبدالله بن عمرو فكان حقه ان يقول ورد ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى فى طلب الرزق والمعنى انه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة فى امره فكان من السلف من اذاربح دانقا انصرف قناعة به وكان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم من لايعمل فى الاسبوع الا يوما اويومين (ويتورع) اى عن الشبهات ولا يكتفى بالتحرز من المحرمات وقد حمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من هذه الشاة فقال ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان لا نأكل الاطيبا ولانعمل الا صالحا الطبرانى من حديث ام عبدالله اخت شداد بن اوس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى * يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا * ويؤيده قوله عليه السلام ان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال * ياايها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم * وعن ابى هريرة كان اذا اتى بطعام من غير اهله سأل عنه الحديث رواه احمد من حديث ابى هريرة باسناد جيد وله من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مروا بامرأة فذبحت لهم شاة الحديث وفيه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة فلم يستطع ان يسيغها فقال هذه شاة ذبحت بغير اذن اهلها الحديث واسناده جيد والحاصل انه عليه السلام كان لايسأل عن كل مايحمل اليه الا اذا ظهر له مايدل على ريبة لديه وفى البخارى من حديث عائشة كان لابى بكر غلام يخرج له الخراج وكان يأكل ابوبكر من خراجه فجاء يوما بشئ فاكل منه ابو بكر فقال الغلام اتدرى ماهذا فقال وماهو قال كنت تكهنت لاناس فى الجاهلية فاعطونى فادخل اصبعه فى فيه وجعل يقئ وفى بعض الاخبار انه عليه السلام لما اخبر بذلك قال اوما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا فعنى قوله ويتورع اى يطلب الورع من نفسه ويبالغ فى تركه حظه فان الورع اصل الدين كما ان الطمع فساده فى مقام المجتهدين (فورد اما الورعون فانى استحيى ان احاسبهم) اى فانهم حاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا الحديث لم اعرفه (وادنى رتبه) اى مراتب التورع (الاحتراز عن الحرام وهو الورع) المخصوص به فى عرف الاعلام (ثم من الشهوة) اى شهوة النفس وهواها وكان الظاهر ان يقول ثم عن الشبهة ولعله سهو فى النسخة (وهو التقوى) اى كمالها وجمالها (فوردع ما يريبك) اى ما يوقعك

فى الريبة والشبهة (الى مالا يريبك) النسائى والترمذى الحاكم وصححاه من حديث الحسن بن على (وهو) اى المريب (كل ما) وفى نسخة كما (اختلف فيه) عند العلماء بالحل والحرمة والكراهة والخلو عنها كاكل الضب ونحوها (والاخذ) بالرفع او الخفض اى ثم الورع عن الاخذ او المريب كالاخذ (ممن علم) اى ظن ظنا غالبا (ان فى ماله حراما) بان يكون اكثره حراما (اوعليه) اى اوان على نفسه (علامة عدم المبالاة) فى المعاملات فكل منسوب الى ظلم اوخيانة اوسرقة اوربوا فلايعامله وكذا الاجناد والظلمة من الامراء والوزراء و اصحابهم واعوانهم من العلماء وفى الخبر من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله عزوجل من اين ادخله النار الديلمى عن انس (وصلة السلطان) اى ثم الورع عن اخذها اوكصلته واعطائه (ان اشتبه بيت المال) اى التبس مال الحرام بالحلال (واستحقاق الاخذ) اى اخذه فى تلك الحال وهو يحتمل المصدر واسم الفاعل ويؤيد الاول قوله (اوقدره) اى من جملة المال (والا وان فى مثله) اى فى مثل ماذكر من مواضع الاشتباه (السؤال عن الغير) اى من اهل الانتباه فان رأى العليل عليل والنفس بالطبع الى هوسها وهواها تميل (والتعلل) اى والاولى فى مثله حال الامتناع اظهار الاعتذار (كيلا يتأذى) اى صاحبه فى الاسرار (فاسرار المؤمن) اى ادخال السرور فى قلبه بقبول ماله ولو بشبهة فى حاله (اهم من الورع) فى اظهار فعاله فعن ابن عمر ما من شئ احب الى الله من ادخال السرور على اخيك المسلم ابن النجار (اما الوهم الفقير الناشئ عن دليل) اى عما يشعر بعدم شبهة وريبة (كالاحتراز عن الصيد) اى مطلقا (لاحتمال كونه ملكا للغير) اى مسيبا (ولا اثر عليه) اى على الصيد من علامة دالة على انه للغير (فوسوسة) ويسمى شبهة الشبهة (ويبنى) اى امر الورع (فيه على ظاهر الحال) اى حال المسلم لماورد نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهو اعلم بالضمائر (تحسينا للظن) اى باخيه المؤمن (فورد ان بعض الظن اثم) وهو الذى لاعلامة فيه مما يوافقه او ينافيه واما ماورد من ان الحزم سوء الظن فمحمول على مايوجد فيه امارة وفى الآية ايضا الى هذا المفهوم اشارة وعن سلمان اذا كان لك صديق عامل اوتاجر تعارف الربوا فدعاك الى طعام او نحوه او اعطاك شيئا فاقبل فان الهنا لك وعليه الوزر فاذا ثبت هذا فى المرابى فالظالم فى معناه (ثم) اى ثم الورع (عما لا بأس به مخافة مابه بأس) ففى سنن ابن ماجه لايبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالابأس به مخافة مابه بأس (وهو الصدق فى التقوى) اى المسمى به ومنه انه عليه السلام ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يارسول الله فقال اجل وجدت تمرة فاكلتها فخشيت ان تكون من الصدقة احمد من رواية عمرو ابن شعيب عن ابيه عن جده باسناد حسن (كترك العزب الشبع) اى المفرط (والعطر)

اى الطيب الكثير وهما مما لا بأس بهما (لتحريكهما الشهوة) التى بها بأس فتكون باعثة له على الريبة والشبهة (ثم) ى ثم الورع (عما ليس لله تعالى) اى خالصا لوجهه وان كان مباحا فى اصل امره (وهو الصدق المطلق) وصاحبه الصديق المحقق (كترك خطوة اولقمة) وكذا ترك نظرة وخطرة وسكون وحركة (ليس فيهما) وفى مثالهما (نية عبادة) وقصد سعادة (فهم) اى اهل هذا المقام وهم الصديقون (كانوا يقتصرون على لقيمات يقوين على العبادة) ابدانهم وروى عن عمر انه كان يأكل سبع لقم اوتسعا وقد اشير اليه بقوله لقيمات فانه اقل جمع القلة وهو مادون العشرة وفى هذا بيان الكمية وفى تصغيرها ايماء الى تقليلها فى الكيفية (والتحقيق انه كلما اشدد فى الاحتياط يكون سببا للتخفيف) اى لتخفيف الحساب وتقليل العذاب (والاصل الاستفتاء من القلب) و لاستخارة فى كل امر من الرب فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون وما خاب من استخار * ثم اعلم ان اغلب اموال السلاطين حرام فى هذه الاعصار والحلال فى ايديهم معدوم اوعزيز فى الديار وقد اختلف الناس فى هذا فقال قوم كل ما لايتيقن انه حرام فله ان يأخذه وقال آخرون لايحل ان يؤخذ ما لايتيقن انه حلال فلا يحل شبهة اصلا والاعدل ان الحكم للاغلب فاذا كان حراما حرم واذا كان حلالا يفتى بحله وحكم الورع بتركه الان هذا الزمان لم يوجد الا الشبهات لفقد الخالص من الحلال لان الطيبات ولقد احتج من جوز اخذ اموال السلاطين اذا كان فيه حلال وحرام مهما لم يتحقق ان عين المأخوذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم كابى هريرة وابى سعيد الخدرى وزيد بن ثابت وابى ايوب الانصارى وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبى وابراهيم والحسن وابن ابى ليلى واخذ الشافعى من هارون الرشيد الف دينار فى دفعة واخذ مالك من الخلفاء اموالا جمة وقال على كرم الله وجهه خذ ما اعطاك السلطان فان ما يعطيك من الحلال وما يأخذه من الحلال اكثر وانما ترك من ترك منهم العطاء تورعا الا ترى الى قول ابى ذر للاحنف بن قيس خذ العطاء ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسأل وعن سعيد ابن المسيب عن ابى هريرة انه كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسأل احدا ولا ارد ما رزقنى الله وعن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر سبعين الفا فقسمها على الناس ثم جاء سائل فاستقرض من بعض ما اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن بن على على معاوية فقال لاجيزنك بجائزة لم اجزها احدا من العرب قبلك ولا اجيزها احدا

بعدك من العرب قال فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان جوائز معاوية وقال حكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا من اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل منه واكلنا معه وزعمت هذه الفرقة ان ما ينقل من امتناع جماعة من السلف من العطاء لايدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابى ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذى يخاف افضاؤه الى محذور ورعا وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه فى بيت المال حتى اجتمع نيفا وثلاثين الفا وما نقل عن الحسن انه قال لااتوضأ من ماء صيرفى وان ضاق وقت الصلوة لانى لاادرى اصل ماله كله ذلك ورع لاينكر ومن هذا القبيل ان ابابكر حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم ففرقها لبيت المال وان عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر فى طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكى وجعلت الدرهم فى فيها فادخل عمر اصبعه فاخرج من فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكنس ابو موسى الاشعرى بيت المال فوجد درهما فمر بنى لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر فى يد الغلام فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان فى اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لايبقى من امة محمد صلى الله عليه وسلم احد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال وقال عمر انى لم اجد نفسى فى مال بيت المال الا كوالى مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وعن ابن عمر انه قال فى ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومى هذا وروى عن على كرم الله وجهه انه كان له سويق فى اناء مختوم يشرب منه فقيل له اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما انى لااختمه بخلا فيه ولكن اكره ان يجعل فيه ما ليس منه فاكره ان يدخل بطنى غير طيب وعن ابن المبارك الذين يأخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون بهما لان كلا منهما كان يفرق ما يأخذه فى مجلسه وكذا جابر بن زيد وقيل يتصدق به وكان يقول رأيت ان آخذ منهم واتصدق احب الى من ان ادعها فى ايديهم وهكذا فعل الشافعى بما قبله من هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة فمن استجرأ على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فقد قاس الملوك بالحدادين (ثم اعلم) ان الغنى الذى لامصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفى كلام عمر ما يدل على ان لكل مسلم حقا فى مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع المسلمين ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت

هذا فكل من يتولى امرا يقوم به و يتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله فى بيت المال حق الكفاية و يدخل فيه العلماء كلهم اعنى العلوم التى يتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا طلبة هذه العلوم فيه يدخلون و يدخل فيه العمال الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد والمرتزقة الذين يحرسون المملكة بالسيوف والسهام من اعداء الاسلام و يدخل فيهم الكتاب والحساب والعمال على اموال الحلال وليس يشترط فى هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع وجود الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر ايضا بالمقدار بل هو الى اجتهاد الامام فى الاختيار فله ان يوسع بالعناية و يقتصر على الكفاية بحسب ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد كان عمر رضى الله عنه يعطى الجماعة لكل واحد اثنى عشر الف نقرة فى السنة واثبت لعائشة وجماعة فى هذه الجريدة لكل واحد عشرة آلاف ولجماعة ستة آلاف وهكذا واعطى عائشة فى جريدة اخرى اثنى عشر الفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية وسوى ابو بكر رضى الله عنه فى زمانه فراجعه عمر فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ فالسلطان اذا لم يعمم بالعطاء كل مستحق كما فى زماننا فهل يجوز للواحد ان يأخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كل ما يأخذ فالمسلمون فيه شركاء ولا يدرى ان حصته منه درهم او دانق او حبة فليترك الكل وقيل له ان يأخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقيل له ان يأخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فى هذا المال فكيف يتركه وقيل انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الاقربين لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم يتفق قسمة حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع لظلم المالك بقية الاصناف لمنع حقهم وقد وقع الاطناب فى هذا الباب لانه مهم لذوى الالباب فى معرفة الخطاء والصواب

الباب السابع فى الاتباع فى المعيشة

اى لاجل المعاش فى امر الدنيا واخذ زاد المعاد فى العقبى وهذا الباب مشتمل على انواع من الآداب كالاكل والشرب واللبس والمنام والكلام وما لا يستغنى عنه الانام (بسم الله الرحمن الرحيم) مفتاح كل كتاب كريم (ورد قل ان كنتم تحبون الله) اى وتبتغون رضاه (فاتبعونى) فى كل ما قدره وقضاه وامره ونهاه تمامه * يحببكم الله * اى يثبكم فى ما خلقه من دنياه واخراه * ويغفر لكم ذنوبكم * فى عقباه * والله غفور رحيم * لمن عصاه

ثم اتقاه (وما آتيكم الرسول فخذوه) اى من اوامره تمامه * وما نهاكم عنه فانتهوا * من زواجره (فالاصل) اى الذى عليه نظام الاحكام (اتباعه عليه السلام فى جميع الامور من احوال الانام (لانه) اى اتباعه (يصير العادة عبادة و ينور الباطن) ونوره يوجب سعادة (و يذكر العبودية) اى التى هى القيام بحقوق الربوبية (و يقرب الى الارتياض) اى تهذيب الاخلاق عن الاوصاف الذمائم (فالمسترسل فى اتباع الهوى يشبه البهائم) كما اشار اليه قوله تعالى * اولئك كالانعام بل هم اضل * لانها ليس لها استعداد الانام و يأكلون كما تأكل الانعام حيث لم يفرقوا بين الحلال والحرام (هذا) اى خذ هذا الكلام (وانما عدل عليه السلام من مباح الى آخر لاطلاعه بنور النبوة على فائدة فيه) دون الآخر انتقالا وفق انتفاع الهدى لا استرسالا فى اتباع الهوى (فتركه) اى ترك الاتباع (للتكذيب كفر) بالاجماع (ودونه) اى وتركه بدون التكذيب (حمق) اى جهالة وضلالة من غير النزاع (وحقه) اى وحق اتباعه عليه السلام فى انتفاعه بالطعام الذى هو اصل معاش الانام (ان يغسل اليدين) الى الرسغين فغسل اليد الواحدة او الاصابع غير كاف للقيام بالسنة كما هو مصرح فى العوارف والغنية (قبل الاكل و بعده) فهما سنتان كما فى السراجية ولو غسل يديه للطعام او عنه يصير الماء مستعملا لاقامة السنة بخلاف ما لو قصد غسلهما من الوسخ كما فى الجامع الصغير الخانى (تنظيفا) اى تطهيرا عن التلوث نظرا الى الثانى (وتعظيما) للنعمة نظرا الى الاول ففى الكلام لف ونشر مشوش (وورد الوضوء) المراد به اللغوى وقيل الشرعى (قبل الطعام ينفى الفقر) لاستقبال النعمة بالطهارة والنظافة (و بعده ينفى اللمم) اى اصابة الجنون من فتور العقل وظهور الغم او اصابة لحس ذوات السم وقيل صغائر الذنوب ومنه قوله تعالى * الا اللمم * وقوله عليه السلام * ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبد لك لا الما * وفى نسخة من الاحياء ينفى الهم قال وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام وبعده قال مخرجه رواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن آبائه متصلا باللفظ الاول وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفى الفقر وهو من سنن المرسلين ولابى داود والترمذى من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى ورواه احمد والحاكم فى مستدركه وفى رواية الحاكم فى تاريخه عن عائشة الوضوء قبل الطعام حسنة وبعده حسنتان واغرب سفيان الثورى فى قوله يكره غسل اليدين قبل الطعام ولعله محمول على انها اذا كانت نظيفة بلا ريبة ولذا قيل يد المصلى طاهرة فحينئذ غسلها اسراف ولا يبعد ان يكون مأخذه ما رواه الترمذى فى الشمائل عن ابن عباس انه عليه السلام خرج من الخلاء فقرب اليه الطعام فقالوا الا نأتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء اذا قمت الى الصلوة وروى ايضا فيهما انه عليه السلام خرج من الغائط فاتى بطعام فقيل له الا تتوضأ فقال عليه السلام اصلى فاتوضأ فاخذ بظاهره مالك وسفيان

فيكره ان الوضوء قبل الطعام والشافعى استحب تركه وانحقيق ان المراد من الوضوء المنفى هو الوضوء الشرعى فلا ينافى الوضوء اللغوى العرفى من غسل اليدين مع انه عليه السلام اراد بيان جواز تركه والتصريح بعدم وجوبه كما فى الترمذى عن سلمان قال قرأت فى التورية ان بركة الطعام الوضوء بعده فذكرت ذلك له عليه السلام واخبرته بما قرأت فى التورية فقال عليه السلام بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى فهو عليه السلام بعث لاتمام مكارم اخلاق الانام ثم مسح اليدين بعد الطعام مستحب ولا يمسح يديه بالمنديل ونحوه قبل الطعام بل يتركه حتى يجف ليكون اثر الغسل قائما عند الاكل كذا فى الخانية (ويفتتح) اى يبتدئ بعد التسمية (بالملح) اى الخالص (ويختتم به ففيه) اى فيما ذكر من الافتتاح والاختتام به (مغفرة الذنوب) اى الصغائر (ودفع سبعين بلاء) اى عن الظواهر او الضمائر وهذا لم اجد له اصلا (ويأكل على السفرة) اى من الجلد او الخرقة (الموضوعة على الارض) فهو اقرب الى ادبه عليه السلام وتواضعه لمقام الانعام فورد كان اذا اتى بطعام وضعه على الارض احمد فى كتاب الزهد عن الحسن مرسلا والبزار من حديث ابى هريرة نحوه وفى البخارى عن انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة فقيل فعلى ماذا كنتم تأكلون فقال على السفر وهى جمع السفرة الدالة على السفر المذكر لسفر الآخرة وزاد متاعها الفاخرة (فالخوان) اى استعمال الموائد (والمنخل والاشنان والشبع من البدع وان لم تكن) اى ولو لم تكن هذه البدع الاربع (مذمومات غير الشبع) فانه مذموم بالشرع والطبع قال بعض الحكماء ثلاثة يبغضهم الناس البخيل والمتكبر والاكول وقال ابو سليمان الدارانى من شبع دخل عليه ست آفات فقد حلاوة العبادة وقصور حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباع وثقل الطاعة وان يدور المؤمنون حول المساجد والمحافل وهو يدور حول المطاهر والمزابل ويقال فى قلة الاكل منافع كثيرة منها ان يكون اصح جسما واجود حفظا وازكى فهما واقل نوما واطيب نفسا واخف بدنا والطف حسنا وفى كثرة الاكل مضار كثيرة وهى اضداد ما تقدم ويتولد منها الامراض المختلفة ويقال اذا كانت العلة من قلة الاكل صلحت بمؤنة قليلة واذا كانت من كثرة الاكل تحتاج الى مؤنة كثيرة تدفعها ثم ليس كل ما ابتدع منهيا عنه بل المنهى عنه ابداع بدعة تضاد سنة قال الحجة وليس فى المائدة الا رفع الطعام عن الارض ليتيسر الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه اقول وانما الكراهة من حيث انه مخالف للسنة وشعار اهل النعمة وطريق اهل الكبر والنخوة قال والاربع التى ذكرناها انها مبتدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب والاشنان اتم فى التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر وكانوا مشغولين بامور هى اهم من المبالغة فى النظافة

وقد كانوا لا يغسلون الايدى ايضا وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا فان ثبت الغسل بالاخبار فلا ينافى ما فعلوه احيانا فى حال الاضطرار وفى الجملة ليست المبالغة فى النظافة من عمل السلف الاخيار وفى الخانية عن ابى حنيفة وابى يوسف لا بأس بغسل اليد بعد الاكل بالعجين والدقيق فهما بمنزلة الاشنان وهو قول محمد فبالغاسول والصابون ونحوهما اولى فان النظافة بهما انقى وفى الازهار شرح المصابيح قال العلماء ورد عنه عليه السلام انه غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل فى الحالين وورد مسح اليدين بالمنديل والحصباء الا ان يريد اكل شئ رطب وقد انتقض طهارته فيكره ومن هنا قيل يد المصلى طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الاطعمة والحالات وانحراحواله الغسل قبل الطعام وبعده او الاكتفاء بالغسل فى آخره والله اعلم قال واما المنخل فالمقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعيم المفرط واما الشبع فهو اشد هذه الاربع فانه يدعو الى تهييج الشهوات والاهواء وتحريك الادواء فى الاعضاء (متأدبا) اى يأكل حال كونه متأدبا فى هيئة جلوسه (فورد لا آكل متكئا) اى متمكنا فى مقعده سواء يكون مستندا او متكئا على احد شقيه او متربعا او مضطجعا والحديث رواه البخارى من حديث ابى جحيفة وفى السراجية لا بأس بالاكل متكئا اذ لم يكن عن تكبر وكذا فى الاختيار مثله (انما انا عبد آكل كما يأكل العبد) البزار من حديث ابن عمر وزاد احمد فى الزهد من حديث عطاء بن ابى رباح ومن حديث الحسن مرسلا واجلس كما يجلس العبد وورد بسند ضعيف انه عليه السلام زجر ان يعتمد الرجل بيده اليسرى عند الاكل (الا الفاكهة) استثناء من قوله لا آكل متكئا (على سبيل التفكه) اى التنقل من الحبوب (فيجوز متكئا ومضطجعا ويجلس على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون) روى ابو الحسن المقرى فى الشمائل من حديث انس كان اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى واقام اليمنى ثم قال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وافعل كما يفعل العبد وفيه تنبيه نبيه على ان الاكل على المائدة كريه وربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه فقد روى ابوداود من حديث عبد الله بن بسر فى اثناء حديث اتوا بتلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وله وللنسائى من حديث انس رأيته يأكل وهو مقع من الجوع وفى القاموس اقعى فى جلوسه تساند الى ما وراءه وروى عن على انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعل ذلك اذا لم يكن مانع هنالك واما ما ورد من نهيه عليه السلام عن اكل الرجل وهو منبطح على بطنه كما رواه ابوداود وابن ماجه والحاكم فهو محمول على التنزيه وكذا يكره الاكل قائما (وينوى به) اى بالاكل (القوة على الطاعة دون التلذذ) وقصد الشهوة ومن دعاء

السلف بعد الاكل اللهم اجعله عونا على طاعتك ولا تجعله عونا على معصيتك ومن ضرورة هذه النية تقليل الاكل فى القضية وفى الخبر ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات تقمن صلبه فان لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس الترمذى وقال حسن والنسائى وابن ماجه من حديث المقدام ابن معدى كرب (ويقدمه) اى الاكل (على الصلوة ان امن فوتها) اى بخروج وقتها وانما يقدمه (لئلا يبرد) اذا قعد لديه (ولا يلتفت القلب اليه) فالاكل المخلوط بالصلوة خير من الصلاة المخلوطة بالطعام (وورد اذا حضر العشاء) بفتح العين اى طعام الليل (والعشاء) بكسره اى صلاته (فابدؤا بالعشاء) وهو يشمل العشائين وكذا اذا اتفق وقت العصر وهكذا حكم الغداء عند الظهر نظرا الى العلة وهى الشاغلة والحديث كذا فى الاحياء قال العراقى فى شرح الترمذى لا اصل له فى كتب الحديث بهذا اللفظ واصل الحديث فى المتفق عليه بلفظ اذا وضع العشاء واقيمت الصلوة فابدؤا بالعشاء والجمهور على ان الامر للندب فقيل انه مقيد بمن كان محتاجا الى الاكل وهو المشهور وقيل على اطلاقه واليه ذهب ابن عمر ولقد كان ربما سمع قراءة الامام فلا يقوم عن عشائه وقيل المراد به صلوة المغرب لرواية فابدؤا به قبل ان تصلوا المغرب ولرواية اذا وضع العشاء واحدكم صائم وقيل وهو الاظهر ينبغى حملها على العموم نظرا الى العلة وهى التشوق المفضى الى ترك الخشوع وذكر المغرب لا يقتضى الحصر فيها لان الجائع غير الصائم قد يكون اشوق الى الاكل من الصائم ثم الحمل على العموم انما هو بالنظر الى المعنى الحاقا للجائع بالصائم لا بالنظر الى اللفظ الوارد كذا فى فتح البارى شرح البخارى (ويكثر الايدى) اى على الطعام ولو من اهله وولده والخدام (فورد اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه) بصيغة المجهول ابو داود وابن ماجه من حديث وحشى بن حرب باسناد حسن قيل الاكل مع العيال افضل من الاكل وحده والاكل مع الغير افضل من الاكل مع العيال (وكان عليه السلام لا يأكل وحده) الخرائطى فى مكارم الاخلاق عن انس (وفيه تقليل الاكل) اى غالبا (والانفاق) اى الايثار المحمود بالانفاق (والجمع فى القصعة الواحدة احب الى الله تعالى) فعنه عليه السلام خير الطعام ما كثرت عليه الايدى كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه وعن عمر مرفوعا كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة مع الجماعة ابن ماجه (ويجتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها) لعدم اتساع الايدى (ونحو الصفر والنحاس) اى ويجتنب الاكل فيهما (فالمسنون الخشب والخزف) واما الصينى فهو غاية التنعم ولم يكن يستعمله السلف (ويسمى فى الابتداء) فهو سنة مؤكدة فعن عائشة اذا اكل احدكم طعاما فليذكر اسم الله فان نسى ان يذكر اسم الله فى اوله فليقل بسم الله على اوله وآخره ابو داود والنسائى والحاكم

وقيل التسمية واجب ويحمد فى الانتهاء فانه مستحب (والاحب فى كل لقمة) ان يسمى فى اولها ويحمد فى آخرها وفى الاحياء يقول مع اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم فعلى هذا يقول مع الاولى الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين ومع الثالثة زيادة الرحمن الرحيم (ويجهر) اى بالتسمية (تذكيرا للغير) وتحريضا له على الخير (ولا يعيب مأكولا) من المباح (فهو المأثور) اى المتفق عليه من حديث ابى هريرة انه عليه السلام كان لا يعيب مأكولا ان اعجبه اكله والا تركه فذهب بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة يكره وان كان من جهة الصنعة فلا يكره وقال العسقلانى والذى يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قلت لكن قد يراد به التنبيه والتعليم ومن الادب ان يأكل بيمينه (ولا يتجاوز عما يليه فورد كل مما يليك) متفق عليه من حديث عمر ابن ابى سلمة وهو ربيبه عليه السلام انه قال له ادن وسم الله وكل بيمينك مما يليك (الا فى الثمار) اى الفواكه (فهو) اى استثناؤه (مروى معللا بانه ليس نوعا واحدا) اذ يوجد فيه ما هو نى ومنضوج وبين ذلك وايضا اذا كان فى الطبق انواع من الثمار ففى كل نوع له حق فلا يكره ان يأكل من غير ما يليه والحديث رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان من حديث عكراش بن ذؤيب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطبق فقال يا عكراش كل حيث شئت فانه غير لون واحد (ولا يأكل من ذروة القصعة) اى اعلاها (ولا من وسطها) اى ولو لم يكن مرتفعا من بل جانبها فعن ابن عباس كلوا فى القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها فان البركة تنزل فى وسطها احمد والبيهقى وفى رواية ابى داود وابن ماجه عن عبد الله ابن بسر كلوا من حواليها وذروا ذروتها يبارك فيها وفى رواية لابن ماجه عن واثلة كلوا بسم الله من جوانبها واعفوا رأسها فان البركة تأتيها من فوقها (ووسط الخبز) اى ولا من وسط الخبز بل يأكل من استدارة الرغيف قياسا على القصعة الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز (ولا باصبعين) اى الا اذا كان لا يحتاج الى ثالثة (فهو تكبر) وكذا باصبع فان الاكل بهما مع انه فعل المتكبرين لا يستلذ به الاكل ولا يستمرى به لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كمن اخذ حقه حبة حبة (ولا باربع فهو شره) اى حرص على الطعام الا اذا احتاج به فقد قيل انه عليه السلام ربما كان يستعين فى الاكل برابع اصابعه وكان لا يأكل باصبعين وقال الشيطان يأكل بهما (والسنة) اى المعروفة والعادة المألوفة له عليه السلام (بثلاث) ففى الشمائل للترمذى عن كعب بن مالك انه عليه السلام يأكل باصابعه الثلاث فقد قال العلماء يستحب الاكل بثلاث اصابع ولا يضم اليها الرابعة والخامسة الا لضرورة واما ما اخرجه سعيد بن منصور من مرسل ابن شهاب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اكل اكل بخمس فمحمول

على التقليل النادر لبيان الجواز او على المانع ا ولا بالشمال) اى ولا يأكل بها (فان الشيطان يأكل به) اى بهذا العضو فعن جابر لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل بالشمال ابن ماجه وعند الضرورات تباح المحظورات (ولا يقطع الخبز واللحم بالسكين فهو منهى عنه للتشبه بالعجم فى الترفع) اى التكبر والتنعم فى ازمنة جاهليتهم اما النهى عن قطع الخبز بالسكين فرواه ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابى هريرة وابن حبان من حديث ام سلمة وهو ايضا مناف لاكرامه كما سيأتى بيانه فى مقامه واما حديث النهى عن قطع اللحم بالسكين فرواه ابوداود والبيهقى فى شعب الايمان من حديث عائشة مرفوعا لا تقطعوا اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنأ وامرء وللترمذى واحمد والحاكم من حديث صفوان بن امية وقال انهشوا اللحم نهشا فانه اشهى واهنأ وامرأ وفيه ايماء الى جواز القطع ففى الشمائل عن المغيرة ابن شعبة قال ضفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فاتى بجنب مشوى ثم اخذ الشفرة فجعل يحز لى بها منه وفى الصحيحين انه عليه السلام احتز من كتف شاة فدعى الى الصلوة فالقى والسكين التى يحتز بها ثم قام يصلى ولم يتوضأ وفى البيهقى ان النهى عن قطع اللحم بالسكين فى لحم قد تكامل نضجه هذا وقد ورد اخلعوا نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة رواه الحاكم عن انس وفى رواية له ولغيره فانه اروح لاقدامكم (ويحضر لبقل) اى يجعله حاضرا فى السفرة (فهو يحضر الملائكة) اى اذا لم يكن له رائحة خبيثة (ويطرد الشياطين) لانهم ما يجتمعون مع الملائكة فى محل واحد لكن لم اعرف له اصلا وفى الاحياء يقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل وفى الخبر ان المائدة التى انزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند رأسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب رمان وعن على رضى الله عنه من ابتدأ غداءه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيئا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسفارجات اى السكريات او المهضمات من المعجونات تعظم البطن وترخى الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء وان يتداوى الناس لشئ مثل السمن وان تستشفى النفساء بشئ افضل من الرطب والسمك يذيب شحم الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولابقاء فليباكر بالغداء وليقل من العشاء وليلبس الحذاء اى النعل وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين اى من الغرماء واو كانوا من الكرماء (والخل) اى ويحضره (فهو ينفى الفقر) فقد ورد ما افتقر من ادم بيت فيه خل الطبرانى وابو نعيم عن عائشة (ويغطى الحار) اى يستره لئلا يقع فيه شئ ولا يلتفت اليه نظر

(حتى يبرد) اى يسهل اكله (فهو اعظم بركة وهو السنة) اى ثابت بها لقوله عليه السلام ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه رواه الحاكم وغيره ولا ينفخ فى الطعام الحار فهو منهى عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله والحديث عند احمد عن ابن عباس وهو عند ابى داود والترمذى وصححه وابن ماجه الا انهم قالوا فى الاناء وللترمذى وصححه من حديث ابى سعيد نهى عن النفخ فى الشراب اى لئلا ينفصل من ريقه شئ ويقع فيه فيتنفر الطبع منه (ويكرم الخبز فورد اكرموا الخبز) اخرجه الحاكم فى مستدركه عن عائشة وفى رواية فان الله اكرمه ومن اكرم الخبز فقد اكرم الله وفى رواية (فان الله انزله من بركات السماء) اخرجه البغوى فى معجم الصحابة بكماله من حديث عبدالله ابن زيد مرفوعا والطبرانى من حديث ابى شيبة وفى رواية زيادة واخرجه من بركات الارض رواه الحكيم (فلا يمسح به اليد) ولا السكين لانه نوع اهانة (ولا يضع عليه القصعة) ولا المملحة لانه قلب الموضوع (ولا ينظر الادام) لان العيش به تمام فى مقام النظام فطلب الزيادة حرص من خصال اللئام ولله در القائل من الكرام

* وما هى الاجوعة قد سددتها * وكل طعام بين جنبى واحد *

(ويكسر باليدين) لا بيد واحدة كالمتكبرين (ويقدم المكسور على الصحيح) اى فى اكله (ولا يلتفت يمينا وشمالا) لانه يوجب اختلالا (ويصغر اللقمة) ايماء الى القناعة كما يشير اليه حديث يكفى ابن آدم لقيمات بصيغة التصغير (ويجود المضغ) فانه يعين على سرعة الهضم ومالم يبتلعها فلا يمد يده الى غيرها اشعارا بعدم الشره وطول الامل واحتمال قرب الاجل واما حديث الامر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغة فقال النووى لا يصح ذكره الزركشى وكذا حديث صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك لكم فيه ضعفه ابن حبان رواه الديلمى بسند عن عائشة مرفوعا (ويستعين باليسرى) اى من اليدين (عند الحاجة) اى الملجئة اليها ففى الطبرانى عن عبدالله بن جعفر قال رأيت فى يمين النبى صلى الله عليه وسلم قثاء وفى شماله رطبا وهو يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة (ولا يجمع بين الادامين) فانه نوع من الترفه فالنهى للتنزه وكذا ما فى تحفة الملوك من ان الجمع بين الاطعمة حرام اى ممنوع منع تنزيه عند السلف الكرام والا فقد قال تعالى * قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق * وقد ورد انه جمع التمر والقثاء كما رواه النسائى واخرج ابو داود وابن ماجه قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان يحب الزبد والتمر (فالكل مأثور) وعند اهل الاثر مشهور والعامل به مأجور (ويلعق الاصابع) اى الثلاث ويبتدئ بالوسطى (فلا يدرى فى اى جزء منه البركة) ففى صحيح مسلم من حديث انس وجابر ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدرى فى اى طعامه بركة (والقصعة) اى ويلحسها (فهو كعتق رقبة) ففى الاحياء يقال من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان له كعتق رقبة ففى الطبرانى عن العرباض من لعق

الصحفة ولعق اصابعه اشبعه الله فى الدنيا والآخرة (ويأكل السواقط) جمع الساقطة ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة (فهو مأثور) ففى صحيح مسلم اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان وورد اكرموا الخبز فانه من بركات السماء والارض ومن اكل ما سقط فى السفرة غفر له الطبرانى (وورد فهو مهور الحور) فى الاحياء يقال التقاط الفتات مهور الحور العين (وسبب سعة العيش) اى الرزق فى الدنيا حيث عظم نعمة المولى (والعافية فى الولد) اى ذريته من الفقر والبلاء ففى الاحياء من اكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده قال المخرج رواه ابو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق وفى رواية اعطى سعة من الرزق ووقى الحمق فى ولده وولد ولده (ويخلل الاسنان) اى تنظيفا (ويخرج) اى بالخلال (ما بقى منه) اى ولا يبلعه الا اذا تخلله بلسانه (ويمضمض) اى بعد التخلل مبالغة فى النظافة واللطافة (فالكل مأثور) وبعضه فيما قدمنا مذكور وفى الاحياء ففيه اثر من اهل البيت (ويحمد الله تعالى) بان يقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى والحمد لله الذى اطعمنا وسقانا وجعلنا من المسلمين والحمد لله الذى اطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة وامثال هذا مما ورد فى السنة (ان عرى) اى خلا الطعام (عن الشبهة) اى القوية (والا يستغفر) ويندم (ويغتم) حزنا على ما اكل منه فورد كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به البيهقى فى شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة (ويبكى) فليس من يأكل ويبكى كمن يأكل ويلهى (ويقول الحمد لله على كل حال ويقرأ الاخلاص) اى سورة قل هو الله احد (والقريش) صوابه قريش اى سورة ايلاف قريش كذا فى الاحياء ولعل الاولى للايماء الى توحيد الذات وتفريد الصفات لاسيما النعت الصمدى بالوصف الاحدى الابدى والثانية الاشعار الى تذكار وصفه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان حيث قال * فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف * واقول وقراءة سورة الفاتحة المشتملة على الحمد والدعاء بالاستقامة الفاتحة كما هو المتعارف بين العامة مستحسن خلافا لمن منعه (ولا يقوم) اى عن السفرة (قبل الرفع) اى للطعام الا اذا كان عادة ذلك المقام (ويدعو لصاحبه ان اكل طعام الغير) فيقول اللهم بارك له فيما رزقته واغفر له وارحمه وان افطر عند قوم قال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة (ويقدم الافضل) اى فى السن والرتبة كالعالم والسيد (فى الغسل) اى فى غسل اليد آخرا او يؤخره اولا مراعاة لحشمته فيهما ففى السراجية ان من السنة ان يبدأ بالشباب قبل الطعام ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس (والاكل والشرب) اى ويقدمه فيهما مطلقا لقوله عليه السلام اذا وضع الطعام فليبدأ امير القوم او صاحب الطعام

اوخير القوم ابن عساكر عن ابى ادريس الخولانى مرسلا (ويقبل) اى الضيف (الاكرام كتقديم الطست) من المضيف او غيره اصله الطس ابدل من احدى السينين تاء وحكى بالشين المعجمة كذا فى القاموس والظاهر انه عجمة (فالكرامة لا ترد) بل تقبل وقد اجتمع انس بن مالك وثابت البنانى وهو تلميذه التابعى فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال له انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروى ان هارون الرشيد دعا ابا معاوية الضرير فصب الرشيد على يديه فى الطست فلما فرغ قال يا ابا معاوية اتدرى من صب على يدك الماء فقال لا فقال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله (ولا يطيل انتظار الجمع) اى اذا كان هو المتبوع والمقتدى به فحينئذ ينبغى له ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اجتمعوا للاكل وتهيئوا له (فورد فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) اى مشوى وفيه انه لم يكن هناك من ينتظر فالاستدلال به فيه نظر (ولا يسكت) اى حين الاكل (فهو سيرة العجم) من المجوس لكن لا يتكلم كثيرا ايضا فانه يوجب الهم وهو سيرة البجم بل يتكلم بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين فى الاطعمة وغيرها مما يناسب المقام (ويرافق الرفيق) بان يؤثره احسن الاطعمة ولا يقصد ان يأكل زيادة على ما يأكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام مشتركا (ويتعهده) اى يتفقده فى الجملة (غير ملح) اى فى عزمه على الاكل فيقول له كل (ولا يزيد على ثلاث) اى ثلاث مرات (فهو مروى) فقد كان عليه السلام اذا خوطب فى شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث رواه احمد من حديث جابر واسناده حسن وفى البخارى من حديث انس كان يعيد الكلمة ثلاثا (ولا يحلف) بتشديد اللام معلوما او مجهولا (فجاء) اى عن الحسن بن على (الطعام اهون من ان يحلف عليه) لان القسم انما يكون لامر يصعب لديه ولا يهون اليه (ولا يحوجه) اى رفيقه او مضيفه (الى التعهد) قال بعض الادبا احسن الآكلين اكلا من الرفقاء من لا يحوج صاحبه الى تفقده فى اكله وحمل بفعله عن اخيه مؤنة قوله وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان النوى يعد فيعطى كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لزيادة النشاط فى بساط الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخوانى الى اكثرهم اكلا واعظمهم لقمة واثقلهم على من يحوجنى الى تعاهده فى الاكل (ويجمع ماء الكل فى طست ما امكن) اى مهما وسع (فورد اجمعوا وضوءكم) بالفتح اى ماء الوضوء وهو يشمل اللغوى والشرعى (جمع الله شملكم) اى تفرقكم والحديث رواه القضاعى من حديث ابى هريرة باسناد لا بأس به وكان حق المصنف ان يأتى بهذه الجملة قريبا مما سبق ليكون متعلق غسل اليدين

وفى القاموس بجم يبجم بجما وبجوما سكت من عى اوفزع اوهيبة وابطأ وانقبض

على طبق النسق والحاصل ان الاجتماع على غسل الايدى فى الطست الكبير لاباس به اذا كان فى حالة واحدة بل هو اقرب الى التوضع والانكسار وابعد من طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغى ان يصب ماء كل واحد كما يفعل بعض المتكبرين من الاعجام لما تقدم ولقول ابن مسعود اجتمعوا على غسل الايدى فى طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار ولا يرفع طست من بين ايدى القوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم ويؤيده ما اخرجه البيهقى والخطيب والديلمى عن ابن عمر مرفوعا اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس وهو بالتاء قبل الراء اى املؤها والخادم الذى يصب الماء على الايدى كره بعضهم ان يكون قائما واحب ان يكون جالسا اى باركا ليكون اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه واحب قيامه وفى الطست آداب وهى ان لا يبصق فيه وان يقدم فيه المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم وان يدار يمينه وان يجتمع فيه جماعة وان يجتمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما مائلا وان يمج الماء فيه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه ويصب صاحب المنزل بيده الماء على يد ضيفه كما فعل مالك بالشافعى فى اول نزوله عليه وقال لا يرعك منى ما رأيته منى فخدمة الضيف فرض قلت ولعله مأخوذ من قوله تعالى * وهل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين * وقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقوله اذا جاءكم الزائر فاكرموه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث انس (ويحترز عما يكره الرفيق قولا) اى عملا يعجبه ويكون سببا لكدورة خاطره (وفعلا كالنفخ) اى فى الطعام او الشراب لما تقدم وكذا لا يشم الطعام فانه من عمل الانعام ولا يأكل فى الظلمة فهو منهى عنه ولا قائما او ماشيا لان فيه دناءة اذا جعله عادة (والنظر الى اكله) اى فيستحيى من عمله بل يشتغل بنفسه الا اذا اكل مع اهله (ونفض اليد) اى فى القصعة (وتقريب الرأس) اى وتقديمه عند وضع اللقمة فى فمه (واخراج شئ من الفم متوجها) اى الى رفيقه او طعامه (واخذه باليمين) فينبغى ان يخرج الشئ من الفم صارفا وجهه وآخذا بيساره (وجعل اللقمة الممضوغة فى القصعة) فانه سبب تنفر الطبيعة (والدهين فى الخل) اى ولا يغمس اللقمة الدسمة بالدهن وغيره فى الخل (والعكس) اى ولا الخل فى الدسم فقد يكره غيره وكذا اللقمة التى قطعها بسنه فلا يغمس بقيتها فى المرقة والخل ونحوهما (والتكلم بالقاذورات) اى الحسية والمعنوية (والاهوال) اى الاحوال من المخوفات كذكر الموت وتذكر الاموات (والاستيذان) اى طلب الاذن فى التقديم اى تقديم الطعام بل يقدمه من غير الاعلام كما يشير اليه قوله تعالى * فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين * اى ذهب اليهم بخفية قال الثورى اذا زارك

اخوك فلا تقل له تأكل او اقدم اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع (والامتناع) اى امتناع المضيف والرفيق عن الاكل (قبل امتناعه) اى امتناع صاحبه فلا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل ينبغى ان يمد يده ويقبضها ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف فى الابتداء وقلل الاكل حتى اذا توسعوا فى الطعام اكل معهم آخرا وقد فعل ذلك كثير من الصحابة وان امتنع بسبب فليعتذر منهم دفعا للخجالة عنهم (والرفع) اى رفع الطعام (قبل استيفائه) اى استيفاء الضيف غرضه فى ذلك المقام بل يغتنم اطالة المجلس مع الاصحاب الكرام والاحباب الفخام فقد قال جعفر بن محمد اذا قعدتم مع الاخوان على الموائد فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه فى الطعام فان الله يستحيى ان يسأله عن ذلك ويؤيده حديث جابر عند الازدى فى الضعفاء ثلاثة لا يسألون عن النعيم الصائم والمتسحر والرجل يأكل مع ضيفه ورواه الديلمى نحوه من حديث ابى هريرة وقد ورد لا تزال الملائكة تصلى على احدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع الطبرانى فى الاوسط من حديث عائشة وفى الاحياء روى عن بعض علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدمه اليكم لنأخذ فضل ذلك قال العراقى لم اقف للحديث على اصل وعن على لان اجمع اخوانى على صاع من طعام احب الى من ان اعتق رقبة وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد ورد ان فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هى لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام الترمذى من حديث على وعنه عليه السلام من اطعم اخاه حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام الطبرانى من حديث ابن عمر (والتكلف) اى تكلف المضيف للضيف (كالاستقراض) ففى البخارى عن عمر نهينا عن التكلف وفى رواية البيهقى عن سلمان مرفوعا لا يتكلفن احد لضيفه ما لا يقدر عليه والمعنى انه يقدم له ما حضر من الطعام فان لم يحضره شئ ولم يملك شيئا فلا يستقرض لاجله فيشق على نفسه وقال بعض السلف فى تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تأكله انت بل تقصد زيادة عليه فى الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالى من اتانى من اخوانى فانى لا اتكلف له وانما اقرب ما عندى ولو تكلفت له لكرهت صحبته وملته

وقال بعضهم كنت ادخل على اخ لى فيتكلف فقلت له انك لاتأكل وحدك هذا ولاانا
فمابالنا اذا اجتمعنا اكلناه فاماان تقطع هذا التكلف اواقطع المجئ فقطع التكلف ودام
اجتماعهما بسبب ذلك (وتقديم شئ يحتاج اليه العيال) اى بان يقدم جميع ماعنده فيجحف
بعياله ويؤذى قلوبهم فى ما آله وروى ان رجلا دعا عليا رضى الله عنه فقال اجيبك على ثلاث
شرائط لاتدخل من السوق شيئا ولاتدخر ما فى البيت ولاتجحف بالعيال (اولا تسامح
النفس به) فانه من جملة التكلف (فهو يورث الانقطاع) اى انقطاع الصحبة والالفة
والاطعام والضيافة قال الثورى اذا اردت ان لا تطعم عيالك مماتأكله فلا تحدثهم
به ولا يرونه منك وعن بعضهم دخلت على جابر بن عبدالله فقدم الينا خبزا وخلا
وقال لولا انانهينا عن التكلف لتكلفت لكم رواه احمد وقال بعضهم اذا قصدت
للزيارة فقدم ماحضر وان استزرت فلاتبق ولاتذر * وعن سلمان امرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لانتكلف للضيف ماليس عندنا وان نقدم اليه ماحضرنا
وروى ابو بكر بن لال فى مكارم الاخلاق من حديث سلمان لايتكلف احد لضيفه
مالايقدر عليه وعن انس وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ماحضر من الكسر
اليابسة وحشف التمر ويقولون لاندرى ايهما اعظم وزرا الذى يحقر مايقدم
اليه اوالذى يحتقر ماعنده ان يقدم (ويقدم) اى المضيف (مايشتهى) اى مايحبه
نفسه لقوله تعالى * لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون * اومايشتهيه الضيف اذا علم
من حاله ففى الشمائل انه عليه السلام زار بعض اصحابه فذبح له شاة فقال علموا انا نحب
اللحم ويستحسن ان يشتهى المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه
طيبة بفعل مايقترح قال ابوبكر الكتانى دخلت على السدى فجاء بقنينة واحد
فحمل نصفه فى القدح فقلت اى شئ تعمل انا اشربه لك كله فى مرة واحدة فضحك
فقال هذا افضل من حجة (فورد من صادف) اى وافق كما فى رواية (من اخيه شهوة)
اى علمها وقدر عليها (فقضاها) اى فاطعمها اياه (غفرله) البزار والطبرانى
من حديث ابى الدرداء ومما ينبغى للزائر ان لايقترح بشئ بعينه فربمايشق على
المزور فروى الاعمش عن ابى وائل انه قال مضيت مع صاحب لى نزور سلمان فقدم
الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبى لوكان فى الملح سعتر لكان اطيب
فخرج سلمان فرهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبى الحمدلله الذى قنعنا
بمارزقنا فقال سلمان لوقنعت بمارزقت لم تكن مطهرتى مرهونة هذا وان خيره اخوه
بين طعامين فليختر ايسرهما عليه ففى الخبر ماخير عليه السلام بين شيئين الا اختار
ايسرهما متفق عليه من حديث عائشة ثم اذا علم الضيف فرح المضيف باقتراحه عليه
وتيسره لديه فلابأس به بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقدفعل ذلك الشافعى
مع الزعفرانى اذاكان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفرانى يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ

من الالوان ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعى الرقعة فى بعض الايام والحق فيها لونا
آخر بخطه فلما رأى الزعفرانى ذلك اللون انكره وقال ماامرت بهذا فعرضت عليه
خط الشافعى ملحقا فى الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية سرورا
باقتراح الشافعى عليه وذلك لانه يدل على صداقته كمايشير اليه قوله تعالى * اوصديقكم *
وقد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر منزل ابى الهيثم بن التيهان
كما فى الشمائل للترمذى وقال حسن صحيح ومنزل ابى ايوب الانصارى كمارواه الطبرانى
فى المعجم الصغير عن ابن عباس بسند ضعيف لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا
والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم على حيازة الثواب وهى عادة السلف
وكان عون بن عبدالله المسعودى له ثلاثمائة وستون صديقا يدور عليهم فى السنة
ولآخر ثلاثون يدور عليهم فى الشهر ولآخر سبعة يدور عليهم فى الجمعة ثم ان دخل
ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه من حسن حاله اذا اكل
من ماله فله ان يأكل بغيراذنه اذ مدار الاذن على الرضا لاسيما فى الاطعمة فامره على
السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه ورب
غائب لم يأذن فاكل طعامه محبوب وقد دخل عليه السلام دار بريرة واكل طعامها وهى
غائبة وكان الطعام من الصدقة فقال بلغت الصدقة محلها وكان محمد بن واسع
واصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون مايجدون بغيراذن فكان الحسن يدخل
ويرى ذلك فيسر ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن انه كان قائما يأكل من متاع
بقال يأخذ من هذه الخرقة تينة ومن هذه عنبة فقال له هشام مابدالك يااباسعيد
فى الورع تأكل متاع الرجل بغيراذنه فقال يالكع اتل على آية الاكل فتلا الى قوله
اوصديقكم فقال فمن الصديق يااباسعيد قال من استروحت اليه النفس واطمأن اليه
القلب وجاء قوم الى منزل سفيان الثورى فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة
وجعلوا يأكلون فدخل الثورى فجعل يقول ذكرتمونى اخلاق السلف هكذا كانوا
وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده مايقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه
فلم يصادفه فى المنزل فدخل فنظر الى قدر قدطبخها والى خبز قدخبزه وغيرذلك
فحمله كله وقدمه الى اصحابه فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فقيل قداخذه
فلان فقال قداحسن فلما التقيا قال يااخى ان عادوا فعدهذا ومن الخصال الذميمة
ان تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فتدخل وقت اكلهم لمرامهم فان ذلك
من المفجئة حال الفجأة فقد قال تعالى * ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى
الا ان يؤذن لكم الى طعام غيرناظرين اناه * اى غير منتظرين حينه ومتربصين
نضجه وفى الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما البيهقى من
حديث عائشة ولابى داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا

وخرج مقبرا (و يضيف) اى بما قدر عليه وحضر لديه (فورد لاخير فيمن لا يضيف) احمد من حديث عقبة بن عامر وقال انس كل بيت لا يدخله ضيف لا يدخله الملائكة ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة و بقرة كثيرة فلم يضفه ومر بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليها انما الاخلاق بيد الله تعالى فمن شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من رواية ابى المنهال مرسلا وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل به عليه السلام ضيف فقال قل لفلان اليهودى نزل بى ضيف فاسلفنى شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودى والله لا اسلفه الا برهان فاخبرته فقال عليه السلام والله انى لامين فى السماء امين فى الارض ولو اسلفنى لاديته اذهب بدرعى ارهنها عنده رواه ابن مردويه فى تفسيره واسحق بن راهويه فى مسنده فان قلت قد تقدم المنع عن الاستقراض فكيف الجمع قلت محله اذا لم يكن له ما يستفكه و يخلصه فيكون تكلفا زائدا لا يحمله هذا وكان ابراهيم الخليل اذا اراد ان يأكل خرج ميلا يلتمس من يتغذى معه وكان يكنى ابا الضيفان و لصدق نيته وحسن مقصده دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فى بلده فلا تنقضى ليلة الا و يأكل عنده جماعة من ثلاثة الى عشرة الى مائة (و يقصد به) اى باطعامه (الاتقياء) من الفقراء (اعانة على البر) وزيادة الطاعة فقد ورد فى دعائه عليه السلام اكل طعامكم الابرار وفى قوله لا يأكل طعامك الا تقى وقد تقدم (دون الاغنياء) ولو كانوا من الصلحاء (وورد انه) اى عكسه (شر الطعام) يعنى به حديث شر الطعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء دون الفقراء متفق عليه من حديث ابى هريرة (ولا يهمل الاقرباء) اى لا يتركهم فى الطلب لضيافة الغرباء (والاخوان) اى الاحباب من الصلحاء لقوله تعالى ﴿ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (ولا يخص بعضهم) بل يعممهم (تحاميا عن الوحشة) اى النفرة عن الصحبة (وقطع الرحم) لاسيما اذا كان المدعو ابعد فى النسبة (و ينوى) اى بالضيافة (استمالة القلوب) اى ميل قلوب الاخوان والاقارب اليه بالمحبة الدالة على محبته تعالى لديه وهو ينوى اكرام اخيه المؤمن اتباعا لقوله عليه السلام من اكرم اخاه المؤمن فكأنما يكرم الله و ينوى ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله عليه السلام من سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل ابن حبان والعقيلى فى الضعفاء من حديث ابى بكر الصديق (واقامة السنة) اى الطريقة الحسنة (دون المباهاة) اى لا المفاخرة بكثرة النعمة ولا قصد الرياء والسمعة ولا ارادة العوض وحمل المنة (ولا يدعو من يستثقل الحضور) اى حضور مجلس الضيافة او محفل الجماعة لان الثقيل مليل كالعليل (ولا من يتأذى به الحاضرون) كالمبروص وصاحب الجذام ومن يكثر الضحك والكلام و يبحث بالشدة مع العلماء الاعلام (ولا الفاسق فان اعانة

على الاثم) بل على الاثام وقد قال تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (و يجيب) اى دعوة الداعى الى وليمة ونحوها ان قدر (ناويا اكرام المؤمن فورد من اكرم اخاه المؤمن فانما يكرم الله) لان المؤمن مرآة المؤمن والحديث رواه الاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث جابر والعقيلى من من حديث ابى بكر (واسراره) اى تفريحه (فورد من سر مؤمنا فقد سر الله) وقد تقدم (والحذر عن المعصية فورد من لم يجب الداعى فقد عصى الله) اى الله ورسوله كما فى المتفق عليه من حديث ابى هريرة (واقامة السنة فهى مؤكدة) اى قريبة للوجوب او الاول دليل قولى والآخر دليل فعلى فلا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فان ذلك هو التكبر المنهى عنه ولذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة و قال بعضهم انتظار المرقة مذلة وقال آخر اذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى فقيل هذا خلاف السنة ودفع بان محله اذا كان الداعى لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا قال بعض الصوفية لا تجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه يسلم اليك الوديعة و يرى لك فى قبولها الفضل والمنة وقال السرى السقطى اخ على لقمة ليس على لله فيهما تبعة ولا لمخلوق فيها منة (و يتعلل) اى و يتعذر و يأتى بنوع من العلة اذا لم يرد الاجابة وذلك (لاستثقال الداعى الاطعام) وانما هو حياء من بعض الاثام (وقصده المباهاة) اى ولارادته المفاخرة فليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة او تكلفا فروى ابو داود من حديث ابن عباس انه عليه السلام نهى عن طعام المتباريين اى المتباهيين كما فى رواية العقيلى والمتبار بان المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء كما قاله ابو موسى المدينى (والتحامى) اى و يتعلل ايضا للاحتراز والاحتراس (عن ارتكاب معصية) اى مما يوجد عند الداعى (ككون الشبهة) اى القوية (فى الطعام والمنكر فى المجلس) اى مناكر الاثام من فرش ديباج او آنية فضة او تصوير حيوان على حائط او سماع شئ من المزامير او الملاهى او تشاغل بنوع من اللهو والهزؤ واللعب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة واستحبابها و يوجب تحريمها او كراهتها وكذلك اذا كان الداعى ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة والرياء والسمعة فلا يجاب له الدعوة (فالنية) اى تصحيحها او تحسينها (انما تؤثر فى المباح) فتجعله عبادة وتخرجه عن كونه عادة بخلاف المعصية فانها لا تؤثر فى تغيرها النية فلا يصح له ان ينوى سرور اخوانه بمساعدتهم فى شرب الخمر او سماع المزامير ونحوه (لا) اى لا يتعلل (لنقصان الجاه) اى فى المدعو (ولا لفقر الداعى فهو) اى كل منهما (تكبر وكان عليه الصلوة والسلام) مع كمال عزه وكمال جاهه (يجيب دعوة العبد والفقير) وفى الاحياء المسكين بدل الفقير وكلاهما ليس فى اصل الحديث الذى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث انس و ضعفه الترمذى وصححه الحاكم

وفى ذكر العبد غنية عنه ولقد اجاب دعوة خياط كما فى الشمائل ومر الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض وهم يأكلون وكان راكبا على بغلته فسلم عليهم فقالوا هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله فقال نعم ان الله لا يحب المستكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل من طعامهم ثم سلم عليهم وركب وقال قد اجبتكم فاجيبونى فقالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا عنده فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس يأكل معهم (ولا) اى لا يتعلل (لبعد المسافة ان ابعدت) اى الدعوة اليه والاجابة لديه (فورد) اى فى البخارى من حديث ابى هريرة (لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت) وتمامه ولو اهدى الى ذراع لقبلت والظاهر ان المراد كراع الشاة لكن فى المتن مقيد بكراع الغميم تبعا لما فى الاحياء وهو بفتح المعجمة وكسر الميم واد بين الحرمين على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب بالمدينة وانه مما يعتاد مسافتها بالحضور اليها فى الاجابة اوا ريد بذكره غاية المبالغة الا ان العراقى قال ذكر الغميم لا يعرف ويرد هذه الزيادة ما رواه الترمذى من حديث انس لو اهدى الى كراع لقبلت (ولا للصوم) ولا يتعلل لاجل صومه (فيفطر) ان كان نفلا (ان الح) اى قبل الزوال (فاسرار المؤمن) اى فرحه بفطره (يعدل الصوم) مع ان الصوم له قضاء بخلاف كسر خاطر من له وفاء فانه جفاء (وورد تكلف لك اخوك) اى بطبخ الطعام (وتقول انى صائم قاله على سبيل التوبيخ على ترك الافطار للضيف عند الالحاح والحديث رواه البيهقى من حديث ابى سعيد الخدرى صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما فاتانى هو واصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم انى صائم فقال عليه السلام دعاكم اخوكم وتكلف لكم الحديث وللدارقطنى نحوه من حديث جابر (والا) اى وان لم يفطر (فضيافته بالعطر) اى طيب المشام (وطيب الكلام والاكحال والادهان ونحوها) من اصناف الاكرام (ويجلس حيث يجلس) فانه قد يكون رتب فى مجلسه موضع كل واحد فمخالفته لديه تشويش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يرتفع (فهو تواضع) فقد ورد ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبيد الله بسند جيد ثم يخص من بجنبه بالسلام والكلام (ولا ينظر الى جانب يأتى منه الطعام فهو شره) اى دال على حرص فى الاكل (ولا يطيل) اى الضيف (انتظار المضيف) اذا دعاه فان الانتظار اشد من الموت خصوصا عند توهم الفوت (ولا يعجل) اى الضيف فى المجئ (قبل الاستعداد) اى استعداد المضيف الطعام وتهيئته المقام (ويغير منكرا رأى ان قدر) اى على تغييره بيده (والا) اى وان لم يقدر تغييره باليد (نكر باللسان ورجع) اى ولا يقنع بانكار الجنان فان ذلك من اضعف الايمان

حتى قال احمد بن حنبل اذا رأى مكحلة رأسها مفضض فينبغى ان يخرج وكذا اذا رأى على حيطان البيت ستورا من الديباج كما تستر الكعبة (ويبتدئ المضيف بالغسل) اى بغسل الايدى تحاميا عن تنفر السآمة (قبل الاكل لانه داع) فيكون كالمؤذن يتوضأ قبل اذانه فقد غسل مالك يده قبل الطعام وقبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرامته انتهى ولا يخفى ان هذا عيب فى عرف زماننا ان كان فى المجلس فالاولى ان يغسل قبل انعقاد المجلس له او فى آخره تواضعا (ويتأخر) اى فى غسل اليد (بعده) اى فراغ الاكل (انتظارا للداخل) اى ممن يأكل معه (وتعظيما للضيف) اى بالتأخر لانه تواضع معه فى محله ولهذا ينبغى ان يكون آخرهم اكلا فقد كان بعض الكرام يقدم الطعام فاذا قارب القوم من التمام جثا على ركبتيه ومد يده الى طعام بين يديه واكل وقال بسم الله ساعدنى بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه (ويقدم ما يكفى) اى من الطعام (فالنقص) عن قدر الكفاية (ترك المروءة) اى مع وجود القدرة (والزيادة) على قدر الحاجة (رياء الا ان يجيز الذهاب به) اى بطيب نفسه باخذ ما فضل من الطعام اونوى ان يتبرك بفضلتهم وقد احضر ابراهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مائدة فقال له سفيان يا ابا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابراهيم ليس فى الطعام اسراف ولعل ذلك لانه ليس فى تضييع واتلاف ويؤيده قولهم لا خير فى سرف ولا سرف فى خير فهو من قبيل المباحات والمذموم نية المباهاة فان لم يكن نية صحيحة فالتكثير تكلف وتصنع قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهى بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهاة وهذا من ذلك وكان لا يرفع من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا يأكلون تمام الشبع بل حد الكفاية والقناعة (ويميز اولا) اى يفرز من الطعام ابتداء (نصيب العيال تحاميا عن اهتمامهم) اى لئلا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شئ منه فلعله لا يرجع فيضيق صدورهم وتنطلق فى الضيفان السنتهم ويقوم شرورهم فيكون قد اطعم الضيفان مما يتبعه كراهة قوم وتلك خيانة فى حقهم (ولا يرفعه الضيف) اى ما بقى من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو الذى تسميه الصوفية الزلة لما فيه نوع من المزلة (الا ان يعلم) اى الضيف بقرينة الحال (بسروره) اى بفرح المضيف اذا اخذه فرفعه حينئذ وان كان يظن كراهته لذلك فلا ينبغى ان يؤخذ شئ هنالك الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض به واذا علم رضاه فينبغى مراعاة العدل والنصفة مع الرفقاء فلا ينبغى ان يأخذ كل واحد الا ما يخصه او رضى به رفيقه عن طوع وسخاء لا عن كراهة وحياء ويختار ايسر الطعامين اذا خير الضيف بينهما لانه عليه السلام كان اذا خير بين امرين اختار ايسرهما

ولا يقترح الضيف على المضيف الاذا علم فرحه بذلك كما فعله الشافعي في بيت الزعفراني (واذابات) اى اقام الضيف عنده في الليل (يريه القبلة) اى يعلمه المضيف جهة الكعبة (والمتوضأ) اى محل الطهارة هكذا فعل مالك بالشافعي وفيه اشارة الى قيام الليل بالتهجد ونحوه وكناية عن قضاء الحاجة في وقته (ويكرمه) اى المضيف الضيف بما امكن من انواع الاكرام (فورد) اى عنه عليه السلام (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اى بجميع ما يجب الايمان به واكتفى بطرفي المؤمن به (فليكرم ضيفه) متفق عليه من حديث ابي شريح (وهو) اى اكرامه اولا (باظهار الانبساط والسرور) اى الفرح في مقام النشاط عند الدخول والخروج وعلى المائدة وسائر اوقات الصحبة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال زيد بن ابي زياد ما دخلنا على عبد الرحمن بن ابي ليلى الاحدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا وثانيا بتعجيل الطعام فانه يقال السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو احد المعنيين في قوله تعالى * هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين * انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم ودل عليه قوله سبحانه * فما لبث ان جاء بعجل حنيذ * اى مشوى وقوله * فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين * اى ذهب بسرعة او بخفية وقد جاء بفخذ بن لحم والماسمي عجلا لانه عجله كذا في الاحياء والاظهر ان العجل على حقيقته عبارة ويؤخذ منه العجلة اشارة وقد ورد الاناة من الله والعجلة من الشيطان كما رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد الا ان اباداود روى من حديث سعد بن ابي وقاص التؤدة في كل شئ الا في عمل الآخرة قال الاعمش لا اعلم الا انه رفعه (وصب الماء) اى ويكبه المضيف (على اليد) اى يد الضيف وهو احد المعنيين في الآية السابقة وقد وفد وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه فقال اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم (والتشييع الى الباب) اى باب الدار قال عليه السلام من السنة للضيف ان يشيع الى باب الدار كذا في الاحياء وسكت عنه مخرجه (واخذ الركاب) اى ركاب الضيف للركوب (فالكل مأثور) والاخير مروى عن فعل ابن عباس بزيد بن ثابت (ويرجع) اى الضيف (فرحا) اى في نفسه (وان قصر في حقه) اى ولو قصر المضيف في حق الضيف (برضاء المضيف) متعلق بيرجع (فهو من حسن الخلق) في عشرة الخلق فقد ورد حديث حسن واسناده حسن عن الحسن عن ابن الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن (ولا يكون) اى لا يلبث الضيف ولا يقيم (اكثر من ثلاثة ايام تحرزا عن السآمة) الموجبة للملامة (وورد) في الصحيحين من حديث ابي شريح الخزاعي (الضيافة ثلاثة ايام وما زاد فصدقة) يعني ان شاء فعل وان شاء ترك (الا ان يلح) اى يبالغ المضيف على الضيف بالقعود عنده زيادة على الثلاثة وبه ف انه

من صميم قلبه وطيب نفسه (ويعد فراش الضيف) اى يهيئه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان مسلم من حديث جابر (ويستأذن كل) اى من الضيف والمضيف (صاحبه في صوم النفل فهو مأثور) ويعتذر اذا كان فرضا من قضاء اونذر وعن عائشة في رواية الترمذي من نزل على قوم فلا يصوم تطوعا الاباذنهم (ويرسل الطعام لاصحاب المصائب) اى بموت بعض الاقارب (فامر عليه السلام به) اى بارسال الطعام المسمى بالعرفة في لسان العام (لآل حمزة) اى عمه (وجعفر) اى ابن عمه وهو اخو على بن ابي طالب من ابيه وامه في وقت شهادتهما (الا ان يكون) اى هناك (منكر) كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة (تحرزا عن الاعانة على الاثم) اى المعصية وقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * والحديث معروف في جعفر دون حمزة فروى ابوداود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن جعفر بسند حسن انه لما جاء نعي جعفر ابن ابي طالب قال صلى الله عليه وسلم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا اليهم ما يأكلون (ويجتنب طعام السلطان) اى اكله فانه لابد فيه نصيب من الشيطان (ويقبل) اى طعامه (لو اكره) على قبوله واكله فقد ورد رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن ابن عباس واذا ابتلى به فليقلل من اكله (ولا يقصد الاجود) اى الاطيب من الاطعمة هضما للنفس ومخالفة للهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لاسيما اذا كان الطعام فيه نوع من الشبهة فقد رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الاطيب وتكبر اللقمة وما كنت مكرها على ذلك واجبر السلطان هذا المزكى على الاكل فقال اما آكل واخلى التزكية اوازكى ولا آكل فلم يجدوا بدا من تزكيته فتركوه وحكى ان ذا النون المصري حبس فلم يأكل اياما في السجن وكانت له اخت في الله فبعثت اليه من غزلها طعاما على يدي السجان فامتنع من اكله فعاتبته المرأة بعد ذلك فقال كان حلالا ولكنه جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية الورع (ونحو الثوم) اى ويجتنبه (والبصل والكراث) اى وسائر البقول التي لها رائحة خبيثة خصوصا اذا كان يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة (لاسيما يوم الجمعة) لكثرة الجماعة (فهو منهي عنه لتنفر الملائكة والناس عن ريحه) ولذا يستحب التطيب في حضوره (والاكل) اى ويجتنبه (في السوق) وفي معناه محضر جماعة من المسجد وغيره (فهو دناءة) اى دالة على قلة المبالاة وعدم الديانة فقد حكى عن ابراهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة وفي الاحياء واسند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غريب لكن قال مخرجه رواه الطبراني من حديث

ابى امامة وهو ضعيف ورواه ابن عدى فى الكامل من حديثه وحديث ابى هريرة انتهى وتعدد طرقه مما يرتقيه الى حسنه كما لا يخفى واما قوله فى الاحياء فقد نقل ضده عن ابن عمر انه قال كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ونشرب ونحن قيام رواه الترمذى وصححه فلا يظهر وجه التضاد اذ يمكن المشى والقيام ان يكونا فى غير السوق واما قوله تعالى * مالهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق * فانكار منهم عليه بكل واحد منهما لا بالجمع بينهما فمعنى قولهم يأكل الطعام انه ليس من الملائكة وقولهم يمشى فى الاسواق لاحتياجه الى المبايعة (الا بنية التواضع وهضم النفس) وفيه ان الكراهة لما فيه من الدلالة على الدناءة باكله فى نظر الجماعة فكيف يرتفع كراهة القضية بهذه النية وقد صرح الائمة بقدح ذلك فى الشهادة (والاحتماء) اى ويجتنبه (فى الصحة فهو يضر) اى فى الصحة (كتركه فى المرض) فان وجوده فيه الدواء من كل الادواء وقيل من احتمى فهو على يقين من المكروه وعلى شك من العوافى ومن اللطائف انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيبا يأكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال اتأكل التمر وانت ارمد فقال يارسول الله انما امضغ بالشق الآخر يعنى الجانب السليم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ماجه من حديث صهيب باسناد جيد (ويمقل) بضم القاف اى يغمس (الذباب الواقع فى الشراب ثم يمقل) اى يخرج (الذباب ففى احد جناحيه داء والآخر دواء) رواه البخارى وابن ماجه عن ابى هريرة مرفوعا اذا وقع الذباب فى شراب احدكم فليغمسه ثم ينزعه فان فى احد جناحيه داء وفى الآخر شفاء (ويذكر الجائع) حال اكله ووقت شبعه ويقول اللهم لاتؤاخذنى بحق الجائعين (وحساب يوم القيمة) فان حلال الدنيا له حساب وحرامها له عقاب يوجب الملامة والندامة (ولا يواكل الاشرار ولايشاربهم) بل ولا يصاحبهم ولايقاربهم (بل الاتقياء) من الابرار (والعلماء) من الاخيار (فهو يورث الحكمة) اى وانواعا من الاسرار المنضمة الى الانوار الجمة (ولا يواظب على البر) اى اكل عيش الحنطة (ثلاثة ايام فهو المروى) اى فى الصحيحين عن ابى هريرة ماشبع آل محمد من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض (ويأكل الشعير فهو اكثر طعام الانبياء عليهم السلام) وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشاء وكان خبزهم الشعير رواه الترمذى وصححه (ويخلط البربه) اى بالشعير فى اكله (فهو سبب البركة ويأكل من التمر الاوتار) اما ثلاثا واما خمسا واما سبعا (فورد من يصبح بسبع تمرات عجوة) هو جنس من تمر المدينة اوغيرها (لم يضره ذلك اليوم سم ولاسحر) احمد والشيخان وابوداود عن سعد (ولايجمع بين التمر والنوى فى طبق) اى مشترك بينه وبين رفيقه (وكف) اى ولا فى كف لتقذر صاحبه (بل يجعله) اى النوى

(من الفم فى ظهر اليد) اى لافى بطن الكف واصابعه (فيلقى) اى فى مكان يليق (وكذلك نحوه) اى نحو التمر او نواته من الخوخ والعنب وكذا فضلات التين والرطب وفى رواية عبدان عن ابى موسى انه عليه السلام نهى عن قمع التمر وقشر الرطب (ويقدم الثمار) اى اكل الفاكهة الرطبة (فورد) اى فى وصف مافى الجنة (وفاكهة مما يتخيرون) اى يختارون (ولحم طير مما يشتهون) والاستدلال به من حيث الترتيب الذكرى بينهما وهو ايضا اقرب الى قواعد الطب فانها اسرع استحالة فينبغى ان يقع فى اسفل المعدة وفيه ايضا اشارة الى تقديم الطف الالوان من الطعام حتى يستوفى منه من يريده ولايكثر الاكل بعده بخلاف عادة المترفين من تقديم الغليظ من الاطعمة لتستأنف حركة الشهوة لمصادفة اللطيف بعده وذلك خلاف السنة لانه حيلة فى استكثار الاكل والوسعة ثم الافضل بعدما تقدم الفاكهة اللحم والثريد وقد ورد سيد الادام اللحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى فى وصف الطيبات * وانزلنا عليكم المن والسلوى * فالمن العسل والسلوى اللحم سمى سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام ولا يقوم غيره مقامه فى مقام المرام قال ابو سليمان الدارانى اكل الطيبات تورث الرضاء عن الله عز وجل من جميع الجهات وتتم هذه الطيبات بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات ولذا ورد فى الدعاء النبوى اجعل حبك احب الى من الماء البارد وقال بعضهم اذا كان خبزك جيدا وخلك حامضا وماؤك باردا فهو كفاية وقال تأخير الحلاوة بعد الطعام خير من كثرة الالوان (ويأكل مااصاب) اى من الثمار فى مواسمها (فهو المروى) لانه سبحانه ما خلقها فى تلك الازمنة والامكنة الا لحكمة بالغة فى منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكر بها على فواكه الجنة وكثرة انواعها وفى الاحياء ويأكل ماوجد من الطعام الحلال ان وجد تمرا دون خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر اوشعير اكله وان وجد حلوا اوعسلا اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا اكله (ويجوع النفس) اى يرتاضها ويهذبها بتقليل الاكل (لوليمة الفردوس) وذلك لان تلك الوليمة للمتجردين فى الدنيا الزاهدين فيها والمرتاضين بانواع الرياضة على انفسهم منها رضاء للمولى ولله در القائل

* ويلهيك عن دار الخلود مطاعم * ولذة نفس غيها غير نافع *

فقد ورد اجوعكم فى الدنيا اشبعكم فى العقبى (فكان عليه السلام يعقد الحجر) اى يربطه (على البطن) اى بطنه (من الجوع) اى من شدة ما به من الجوع وقد اشبعت الكلام عليه فى جمع الوسائل شرح الشمائل (ويجتنب الشرب فى اثناء الاكل) اى لمنع ارباب الحكمة (الا لتعلق لقمة اوصدق عطش) اى لكثرة حرارة فقد يقال ان ذلك مستحب فى الطب وانه دباغ المعدة من الغش ولايشرب على الريق واذا عطش

ولم يقدران يصبر فلياً كل لقمة ليوافق الحكمة و يشير اليه قوله تعالى * كلوا واشربوا *
وان كان الواو لمطلق الجمع فان التقديم الذكرى قد يفيد الترتيب كما حقق فى قوله تعالى
* ان الصفا والمروة * وقوله عليه السلام ابدؤا بما بدأ الله سبحانه (ولا يكثر) اى من
الشرب بعده (فهو يقلل الهضم) لانه يبرد المعدة و يفسدها بل يصبر قدر ساعة
ونحوها (ويأخذ الكوز باليمين) لما ورد من ان الشيطان يشرب بشماله كما فى مسلم وغيره
(ويشرب فى ثلاث انفاس) لما فى الصحيحين وغيره عن انس انه عليه السلام كان
اذا شرب تنفس ثلاثا و يقول هو اهنأ وامرأ وابرأ وفى رواية الترمذى وابن ماجه
عن ابن عباس كان اذا شرب تنفس مرتين فتحمل القضيتان على مرتين والاولى
اكثر واظهر واشهر (مفتتحا بالتسمية) وهو القياس على الاكل وعن ابن مسعود انه
عليه السلام كان اذا شرب يتنفس فى الاناء ثلثا يسمى عند كل نفس و يشكر فى آخرهن
ابن السنى والطبرانى ويقول الحمد لله الذى سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا
اجاجا بذنوبنا الطبرانى فى الدعاء مرسلا من رواية ابى جعفر محمد بن على بن الحسين
(ومختتما بالتحميد فى كل) اى فى كل نفس (وهو السنة) اى كمالها والا فالسنة المعروفة
هو التسمية فى اول الشرب والتحميد فى آخره (وورد) عن انس برواية الديلمى مرفوعا
(مصوا الماء مصا) اى اشربوه قليلا قليلا يشبه مصا وفى رواية ابى داود عن عطاء بن
ابى رباح اذا شربتم فاشربوه مصا (ولا تعبوه عبا) اى ولا تشربوه كثيرا يشبه
صبا (فان الكباد) بالضم وهو وجع الكبد (من العب) اى من هذا النوع فى الشرب
وفى رواية البيهقى عن ابن شهاب مرسلا انه عليه السلام نهى عن العب نفسا
واحدا وقال ذلك شرب الشيطان (من آنية الخزف) متعلق بيشرب اى من الكوز
الفخار (ومن الخشب) وهو القدح. هو الانسب والى مشرب العرب اقرب (ثم بيده)
اى ثم الافضل ان يشرب بيده (فهو افضل من الكرع) اى من الشرب بفمه
(وغيره) اى وغير ما ذكر كما يشرب من آنية النحاس والصفر واما من آنية الفضة
والذهب فبالاجماع حرام على الذكور والنساء (لا قائما) كما فى حديث مسلم عن انس
وغيره وروى عنه انه شرب قائما كما فى الصحيحين عن ابن عباس وحمل على عذر او بيان
جواز او اختصاص بماء زمزم (ولا مضطجعا) لانه خلاف السنة والحكمة الا للضرورة
(وينظر فيه) اى فى الماء والكوز (قبل الشرب) اى قبل ان يشرب منه حتى
اذا كان فيه اذى دفعه عنه (ولا يتنفس فيه) اى فى داخل الاناء بل يتنفس خارجه
فى الاثناء كما سبق به الايماء وورد فى الشمائل وغيره (ويحفظ اسفله) اى اسفل الكوز
(عن الترشح عليه) اى على بدنه وثوبه وغيره مما يكون مكروها لديه (فالكل مأثور
ويتبرك) اى يطلب البركة (بسؤر المسلمين فورد سؤر المؤمن شفاء) هكذا اشتهر
على الالسنة و يستأنس له بقوله عليه السلام من التواضع ان يشرب الرجل من سؤر

اخيه رواه الدارقطنى فى الافراد عن ابن عباس وقال القاضى عياض فى شرح
حديث ام زرع و يروى عن جرير بن عبد الله انه قال لبنيه اذا شربتم فاسأروا
اى اتركوا فى الاناء سؤرا وهو بقية الشراب وفى حديث آخر فانه اجمل و يروى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لا خير فى طعام ولا شراب ليس له سؤر وفى الحلية عن ابن عمر
انه عليه السلام كان يبعث الى المطاهر اى السقايات فيؤتى بالماء فيشربه يرجو
بركة ايدى المسلمين ونظيره ما وقع له عليه السلام عند زمزم والله اعلم (ولا يرد الماء
اى ماء زمزم او مطلقا تعظيما للنعمة (ولا يعرض) اى الماء على غيره تكثير اللمنة
(ويدار الكوز) وكذا القدح والملعقة فى الاكل والشرب (والطست) فى وقت غسل
اليد (بالايمن) فقد شرب عليه السلام لبنا وابو بكر عن شماله واعرابى عن يمينه
وعمر ناحيته فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابى وقال الايمن فالايمن مالك واحمد
والجماعة عن انس (ويختار الثوب الابيض) اى للبسه لا سيما يوم الجمعة واما يوم
العيد فيختار ما فيه القيمة اكثر والزينة اظهر (فهو) اى البياض (احب الالوان اليه
صلى الله عليه وسلم) كما فى شمائل الترمذى وغيره عن سمرة بن جندب مرفوعا البسوا
البياض فانه اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم وعن ابن عباس رفعه عليكم
بالبياض من الثياب ليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم
(وكان يلبس) الثوب (الاخضر) اى احيانا كما فى الشمائل والمراد به البحت لانه
من ثياب اهل الجنة او البرد الذى فيه خطوط خضر واما ما ورد انه لبس الاحمر
فمحمول على ما فيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن انس كان احب الثياب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه الحبرة وهو بوزن العنبة نوع من برود اليمن
فيه خطوط حمر او خضر او زرق (والصوف) اى فى بعض الاحيان باى لون كان
من الالوان (وينوى فيه) اى فى اللبس (ستر العورة) اى بالازار (والتزين لتودد
المسلمين) اى يلبس الرداء ونحوه من العمامة والقباء والعباء وقد قال تعالى * يا بنى
آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد (ويبدأ بالايمن فى لبس كل شئ) من نحو القميص
والخف والنعل وغيرها (وبالايسر فى النزع) اى نزع كل شئ كرامة لليمين فيهما
فكان عليه السلام يحب التيامن ما استطاع فى طهوره وتنعله وترجله وفى شانه كله
رواه احمد والجماعة عن عائشة وفى الترمذى عن ابى هريرة كان اذا لبس قميصا بدأ
بميامنه (ويفتتح) اللبس (بالتسمية ويختم) اللبس (بالتحميد) كما هو معروف من شمائله
عليه السلام ففى الشمائل عن ابى سعيد الخدرى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة او قميصا او رداء ثم يقول اى بعد التسمية والبسملة
اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسألك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له
وفى رواية ابى داود وغيره من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير

حول منى ولاقوة غفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر (ويلبس السراويل قاعدا) اى كالخف (كيلا تصيبه آفة) اى من جهة وقوعه على جانب اودابة (ولايسبله) اى لايسدل ثوبه من القميص والسروال والازار ونحوها (الى ماتحت الكعب ففيه) اى ففى اسباله اليه (الوعيد بالنار) فقد ورد الاسبال فى الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة ابوداود والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر بل يرفع (الى نصف الساق) فهو افضل بالاتفاق وفى رواية احمد عن انس الازار الى نصف الساق اوالى الكعبين لاخير فى اسفل من ذلك وفى رواية ابن سعد عن يزيد بن ابى حبيب مرسلا كان يرخى الازار من بين يديه ويرفع من ورائه وفى رواية الترمذى فى الشمائل ويقول انه اتقى وانقى وابقى (ويبدأ بلبس القميص) قبل كل شئ لانه استر حيث يقوم مقام الازار والرداء فعن ام سلمة كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص رواه الترمذى فى الشمائل وفيه ايضا ان كمه عليه السلام كان الى الرسغ (ويلبس الخشن) اى الغليظ من الثوب ازارا ورداء وغيرهما وهو السنة اى فعلا وقولا وفى رواية الترمذى والحاكم عن معاذ بن انس من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلائق حتى يخيره من اى حلل الايمان شاء ابسها (فورد) اى عن بعض السلف (من رق ثوبه) اى الطف (رق دينه) اى ضعف فكأنهما متلازمان كما يشير اليه حديث من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا مايبقى على مايفنى وورد من لبس ثوب شهرة البسه الله ثوب مذلة يوم القيمة رواه احمد وابوداود وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر مرفوعا وفى رواية البيهقى عن ابى هريرة وزيد بن ثابت انه عليه السلام نهى عن الشهرتين رقة الثياب وغلظها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سداد فيما بين ذلك واقتصاد (ولاينزع) اى ثوبه (حتى يرقعه فهو السنة) لانه عليه السلام كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى رواه ابن عساكر عن ابى ايوب (ويكسوا المنزوع فقيرا ليكون فى حرزه تعالى) فى رواية احمد عن عمر من استجد قميصا فلبسه فقال حين بلغ ترقوته الحمد لله الذى كسانى ماأوارى به عورتى واتجمل به فى حياتى ثم عمد الى الثوب الذى اخلق فتصدق به كان فى ذمة الله وفى جوار الله وكنف الله حيا وميتا (ولايتخذ ثوبين) اى من جنس واحد كازارين ورداءين وقميصين زهدا فى الدنيا (ويتصدق باحدهما ان اجتمعا) ميلا الى ثواب العقبى واما حديث صاحب القميصين لايجد حلاوة الايمان فلااصل له (ويتعمم فالعمائم تيجان العرب) اى انها بمنزلة التيجان للملوك لقلة العمائم فيهم (وفيه) اى فى لبس العمامة (الوقار) اى ظهور العظمة منهم فى الفردوس للديلمى عن ابن عباس العمائم تيجان العرب فاذا وضعوا العمائم وضعوا

عزهم وفى رواية الماوردى عن ركانة العمامة على القلنسوة فصل مابيننا وبين المشركين يعطى يوم القيمة بكل كورة يدورها على رأسه نورا (ويرسل الذيل) اى ذيل العمامة المسمى بالعذبة (بين الكتفين) وجوز فى احد الشقين ممايلى الاذنين (الى قدر الشبر او موضع القعود اونصف الظهر وهو وسط مرضى) اى عند المصنف والا فالاول اشهر واكثر واظهر (والكل مروى) وقد جمعته فى رسالة مستقلة (ويستجد) اى يلبس الجديد (ليلة الجمعة اويومها) وهو المعروف من حديث انس كان اذا استجد ثوبا لبسه يوم الجمعة رواه ابن حبان (ويلبس مااصاب) اى وجده من جديد اوغيره من غير تعلق بنوع منه اوتقيد بصنف منه مالم يرد نهى عنه كالحرير ولون الاحمر والاصفر مالم يكن من احد الشهرتين فقد ورد من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة متفق عليه وفى رواية لاحمد عن جويرية البسه الله يوم القيمة ثوبا من نار وفى رواية عبد الرزاق عن الحسن مرسلا الحمرة من زينة الشيطان وفى رواية ابن ماجه عن ابى ذر من لبس ثوب شهرة اعرض الله عنه حتى يضعه متى وضعه وفى رواية ابى داود وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر من لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيمة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار ونهى عليه السلام عن لبستين المشهورة فى حسنها والمشهورة فى قبحها الطبرانى عن ابن عمر (وينفض الخف قبل اللبس) اى مخافة ان يكون فيه مايؤذيه من دابة اوغيرها (ويقعد فى لبسه ونزعه) خوفا من وقوعه (ويحتفى احيانا تواضعا) اى لله سبحانه لقوله تعالى * والله جعل لكم الارض بساطا * وقوله تعالى * الم نجعل الارض مهادا (فهو) الاحتفاء (مأثور) اى عن الصحابة والسلف الصالحين ومنهم بشر الحافى ومن كرامته ان الدواب فى سكك بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته وبوجوده فيها استدل على مماته (ويلبس النعل الاصفر فهو يوجب السرور) كأنه اخذ من قوله تعالى * صفراء فاقع لونها تسر الناظرين وورد من لبس نعلا صفراء قل همه ذكره الكشاف عن على ويروى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لم يزل فى سرور مادام لابسها بدل قل همه (ويتطيب) اى ويستعمل الطيب وافضله المسك وماء الورد والعود (ولايرد الطيب) كذا رواه احمد والبخارى والترمذى والنسائى عن انس وفى صحيح مسلم وابى داود وغيرهم من عرض عليه طيب فلايرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة والترمذى عن ابن عمر مرفوعا ثلاثة لاترد اللبن والوسادة والطيب (فهو) اى كل من التطيب وعدم رد الطيب (المروى) اى عنه عليه السلام فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسلا انه عليه السلام كان يعرف بريح الطيب اذا اقبل يعنى سواء تطيب اولم يتطيب كما قرر فى محله وانما كان يتطيب لزيادة محبته فى الطيب كما يدل عليه حديث حبب الى من دنياكم الطيب والنساء الحديث (والاحب)

من الطيب (للرجل ماخفي لونه وظهر ريحه) كماء الورد والمسك (وللمرأة ماينعكس) اى ماظهر لونه وخفي ريحه كالزعفران والصندل قيل وهذا اذا اراد الخروج والا فلاحرج عليهما فى داخل بيتهما والحديث رواه الترمذى عن ابى هريرة والطبرانى والضياء عن انس مرفوعا بلفظ طيب الرجال ماظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفي ريحه (ويجتنب الحناء) اى الخضاب به فى يده ورجله (فهو تشبه بالنساء لانه سنتهن) اى عادتهن اولانه سنة فى حقهن فقد ورد كان يكره ان يرى المرأة ليس فى يدها اثر حناء او خضاب البيهقى عن عائشة وفى رواية احمد وابى داود والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء (والنمص) وهو قلع الشعر بالخيط من وجه الغير (والانتماص) قلعه من وجه نفسه اوطلبه من غيره وفى النهاية النامصة التى تنتف الشعر من الجبين والمتنمصة التى تأمر من يفعل بها ذلك (فهو) اى ماذكر من الفعلين (منهى عنهما) فورد لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمفلجات للحسن المغيرات خلق الله احمد والستة عن ابن مسعود (ولا يبنى اكثر من سبعة اذرع) فى الارتفاع لانه قدر الكفاية ويعد من الاسراف والزيادة وفى الخبر من بنى بناء فوق مايكفيه كلف يوم القيمة ان يحمله على عاتقه من سبع ارضين رواه البيهقى فى الشعب وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله شواهد (فورد فيه) اى فى حق مخالفيه (نودى الى اين يافاسق) وفى رواية يا افسق الفاسقين لان بناء القصر والصرح ثبت عن شداد وفرعون ذى الاوتاد وفى رواية ابى داود عن انس مرفوعا من بنى فوق عشرة اذرع نادى مناد من السماء ياعدو الله الى اين تريد وعن الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت بيدى الى السقف (وينوى فيه) اى فى بنائه (التعبد) اى الموضع الذى يتعبد فيه لربه ويعتزل عن غيره (ودفع الحر والبرد) ففى الخبر ثلاث لايحاسب بهن العبد ظل خص يستظل به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى بها عورته احمد فى الزهد والبيهقى عن الحسن مرسلا (ولا يبالغ فيه) اى فى استحكام بنائه بالجص والنورة فاول من بنى بالآجر فرعون وهامان وقد قال تعالى * اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة اى محكمة ومرتفعة ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر وقال ماكنت اظن ان يكون فى هذه الامة من يبنى بنيان هامان لفرعون يعنى به قول فرعون فاوقد لى ياهامان على الطين اراد به الآجر وورد لدوا للموت وابنوا للخراب البيهقى فى الشعب عن ابى هريرة الزبير مرفوعا وابو نعيم فى الحلية عن ابى ذر موقوفا واحمد فى الزهد عن عبد الواحد قال قال عيسى عليه السلام فذكره (فلم يضع عليه السلام لبنة) بكسر لام

فيكون موحدة (على لبنة ولاقصبة على قصبة) اى وانما بنى الحجرات من الحجارات ولكن فى السير ذكر انه اشتغل اللبن وبنى به المسجد والبيوت للازواج الطاهرات (ويبدؤ بيوم الاحد) لانه سبحانه بدأ فيه بخلق السموات والارض كما حقق فى تفسير قوله تعالى * ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام (ويتخذ موضعا للوضوء والغسل) اى على حدة (وموضعا للبول والغائط) اى منفردا وكان مقتضى الترتيب ان يعكس الموضعين لان القصد بهما قضاء الحاجة واداء النظافة (وموضعا للضيافة فورد انه) اى بناء موضع الضيافة (زكوة البيت) اى صدقته اى زكوته ونماؤه وبهاؤه وضياؤه وقد سبق لاخير فيمن لايضيف وصح فراش للضيف (ولا يتوطن) اى لايتخذ وطنا (فى دار الحرب) اى بلاد الكفر (فورد انا برئ من كل مسلم مقيم بين ظهرانى المشركين) اى فى دار الكافرين بفتح النون ولا يجوز كسرها واصله بينهم ثم ادخل الظهر مقحما اواشعارا بانه مظاهرهم ثم زيدت الف ونون فى لفظ الظهر تأكيدا وكان القياس كسر النون كما فى الربانى واللحيانى الا انه اريد ههنا به التثنية ومعناه ان ظهرا منهم امامه وظهرا وراءه فهو مكفوف من جانبيه وحواليه واذا بولغ قيل بين اظهرهم ثم كثر حتى استعمل فى الاقامة بين القوم مطلقا (ترا أى نارا هما) اى يترا أى نار المسلمين والمشركين من كمال قربهما وفيه تنبيه على عذر من سكن فيه لبعدما بينهما وعدم قدرته على الانتقال من ابعدهما الى اسعدهما فقد قال تعالى * الذين توفيهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها * الآية والحديث رواه ابو داود والترمذى من حديث جرير انا برئ من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين قالوا يارسول الله ولم قال لاترا أى نارا هما والمعنى لاينبغى ان يتقارب نارهما بل ينبغى ان يتباعد دارهما واما قوله عليه السلام لاهجرة بعد الفتح فمعناه لاهجرة واجبة من مكة وغيرها الى المدينة بعد فتح مكة واستقرار الاسلام (وينظف) اى البيت وما حوله من الملوثات والقاذورات (ولا يكسو) اى جدران البيت بالستارات (ولا يزخرف) اى بانواع الزينات فانها من الامور الفانية المشغلة عن الاحوال الباقية وقد نهى عليه السلام ان تستر الجدر رواه البيهقى عن على بن حسين مرسلا وقال تعالى * ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين * وقد ورد لو كانت الدنيا تعدل جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء الترمذى وغيره عن سهل بن سعد (ويقرأ عند الدخول آية الكرسى) لانها آية الحفظ (والاخلاص فانه) اى فقراءتهما وقراءة كل منهما (يورث الغناء) اى عن السوى لاشتمالها على توحيد ذاته وتفريد صفاته وقراءة الفاتحة انسب فان فيها رائحة الابتداء والحمد والشكر

والمثناة فالمحه (ويغلق الباب ليلا) اى بعد المغرب اوالعشاء (مسميا) لان الشيطان لايفتح بابا اغلق عليه يوشمى ادبه (مبادئا) اى مبتدأ برد المصراع الاول اذا كان الباب ذا مصراعين ويوافقه هذا الغلق من غير الغلق (ويرخى الستر) اى فيما لم يكن له باب يغلق (ويطفئ النار) ففى الصحيحين وغيرهما عن جابر مرفوعا اذا كان جنح الليل بكسر الجيم اى اوله فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر حينئذ فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم واغلقوا الابواب واذكروا اسم الله فان الشيطان لايفتح بابا مغلقا واوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولوان تعرضوا عليها شيئا واطفؤا مصابيحكم وفى رواية الطبرانى والحاكم اذانمتم فاطفؤا المصباح فان الفارة تاخذ الفتيلة فتحرق اهل البيت الحديث وفى الصحيحين عن ابن عمر لاتتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون (ويتوضأ) اى يتطهر (للنوم) ففى الخبر اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلوة رواه الستة عن البراء (لتكون رؤياه صادقة) وذلك لما ورد من بات على طهارة بات معه ملك (ويستاك) اى عند النوم لانه من كمال الطهارة والنظافة ولان النوم اخو الموت ويسن للمحتضران يستاك كما فعله عليه السلام (وبعد الطهور) بفتح الطاء اى بهئ ماتطهر به (والسواك) اى عندرأسه (وينوى القيام) اى للتهجد فى وقته (فلكل امرئ مانوى) ونية المؤمن خير من عمله (ويستاك كما استيقظ فكانوا) اى بعض السلف (يفعلونه ويضع وصيته) اى بماله وعليه (مكتوبة تحت الرأس) اى قريبا منه (تحاميا عن هجوم الموت) اى مجيئه بغتة (دونها) اى من غير وصية وقدورد ماحق امرئ مسلم له شئ يريدان يوصى فيه يبيت ليلتين الاووصيته مكتوبة عنده رواه الشيخان عن ابن عمر وروى من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى وروى ترك الوصية عار فى الدنيا ونار وشنار فى العقبى (ويتوب عن الذنوب) فلعله يكون آخر حياته فيصير صالحا عندمماته (وينوى الخير للمسلمين) اى ينوى ايستريحوا عن ايذائه اولينفعهم عندانتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة كما ورد نوم العالم عبادة (ليغفر له) اى بسبب النية اوالتوبة (ولايبسط الفراش النعيم) اى اللين الناعم (قطعا لغلبة النوم والانس بالترفه) اى بالتنعم الزائد ففى الشمائل سئلت عائشة ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك قالت من ادم حشوه ليف وسئلت حفصة ماكان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتك قالت مسحا بكسر الميم اى فراشا خشنا من صوف فينام عليه فلما كان ذات ليلة قلت لوثنيته اربع ثنيات كان اوطأ له فثنيناه باربع ثنيات فلما اصبح قال مافرشتمونى الليلة قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع ثنيات قلنا هو اوطأ لك قال ردوه لحالة الاولى فانه منعنى وطأته عن صلاتى الليلة (ولايواظب عليه) اى لايداوم بالنوم على مطاق الفراش بل ينبغى ان ينام تارة على الحصير كما ورد فى السنة وتارة على الارض كما ثبت عن ابى تراب

(فهو المروى) اى عن النبى والولى (وينفضه) اى فراشه (قبل الاتيان) اى قبل قعوده لئلا يلقى مايؤذيه فى حال رقوده ففى صحيح مسلم فليأخذ داخلة ازاره فلينفض بها فراشه وفى اكثر الروايات قيده بثلاث مرات للمبالغة فى الاحتراس عن المؤذيات (ويستقبل القبلة ووجهه واخاصه) وفى نسخة واخمصاه اى بطن قدميه (اليها) فيكون هيئة الاستلقاء فقيل هو نوم الانبياء وقيل هو اردى النوم ولايضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم واردى منه ان ينام على وجهه منبطحا ففى سنن ابن ماجه انه عليه السلام مر برجل فى المسجد منبطح على وجهه فضربه برجله فقال قم واقعد فانه نومة جهنميه ولكن المعروف فى كتب الحديث ماذكره بقوله (او يكون كالملحود) وهو بان يضع يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن كما فى مسلم وغيره ويقول بسمك ربى وضعت جنبى وبك ارفعه ان امسكت نفسى فاغفرلها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين رواه الستة (ويقرأ آية الكرسى) لانها الحفظ عن شياطين الانس والجن وهو فى صحيح البخارى ورواه الطبرانى عن ابن مسعود من قرأ عشر آيات اربع من اول البقرة وآية الكرسى واثنين بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح (وآيتين من آخر البقرة) فروى الاربعة عن ابن مسعود الانصارى مرفوعا من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه اى من قيام الليل اومن كل مكروه وقال النووى فى الاذكار روى الامام الحافظ ابو بكر بن ابى داود باسناده عن على رضى الله عنه قال ما كنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ الآيات الثلاث الاواخر من البقرة فالابتداء من قوله لله مافى السموات ومافى الارض (وشهد الله الى الاسلام) اى شهد الله انه لااله الاهو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لااله الاهو العزيز الحكيم ان الدين عندالله الاسلام (والهكم اله واحد الى يعقلون) اى لااله الاهو الرحمن الرحيم ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيابه الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون (وان ربكم الله الذى خلق السموات الآية) تمامه * والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الاله الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين ولاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين (وقل ادعوا الله الآية) اى او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولاتجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا (وعشرا من اول الكهف) وهى بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا (وعشرا من آخرها) وهى افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلانقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لايبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا (والمعوذتين) بكسر الواو وتفتح (يقرأهما) اى اولا كما فى رواية (فينفث على اليدين) بضم الفاء وتكسر اى ينفخ نفخا لطيفا عليهما بعد جمعهما ووصل كفه اليمنى بكفه اليسرى وفى رواية البخارى والاربعة عن ابى هريرة يجمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس (ويمسح الوجه والبدن) وفى رواية الصحيح ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات (ففى الكل فضائل ويذكر الموت) لان النوم اخوه (والنشور) لانه قيام من القبور كالاستيقاظ من النوم و يشير اليه قوله عليه السلام عند المنام اللهم باسمك اموت واحيى و بعد القيام الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماتنا واليه البعث والنشور وفى الطبرانى وليقرأ * قل يا ايها الكافرون * ثم لينم على خاتمتها وفى رواية احمد وغيره اذا اخذت مضجعك من الليل فاقرأ * قل يا ايها الكافرون * ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك وفى رواية البزار عن انس اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شئ الا الموت وفى رواية احمد عن شداد ابن اوس ما من رجل يأوى الى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظ من كل شئ يؤذيه حتى يهب متى هب (وينام على حبه تعالى) اى فى قلبه من غير مشاركة لربه (وذكره) اى بلسانه مقرونا بجنانه (وهكذا) اى فى جميع شانه (كلما يستيقظ و ينام) اى فى زمانه (فهو علامة حبه تعالى) يحتمل اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله مع انهما متلازمان كما يشير اليه قوله سبحانه * يحبهم ويحبونه *

والعبرة بالعناية السابقة المترتب عليها الرعاية اللاحقة (وخير العاقبة) اى وامارة حسن الخاتمة فان النوم كالموت فى الحالة السالفة (ولاينام وحده) اى منفردا عن اهله فانه عليه السلام كان ينام مع نسائه اوالمعنى لاينام وحده فى بيت لم يكن فيه غيره ففى مسند احمد عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن الوحدة ان يبيت الرجل وحده (الا لتقوى الحضور فى القيام) لان الحضور الكامل انما هو فى الغيبة عن مشاهدة الانام لكن كما قيل كن وسطا وامش جانبا وكن قريبا غريبا وكاثنا بائنا فعن ثوبان لاتسكن الكفور فان ساكن الكفور كساكن القبور البخارى فى تاريخه والبيهقى عن ثوبان والكفور بالضم ما بعد من الارض عن الناس ففيه النهى عن الرهبانية والاعتزال عن الخلق بالكلية (ولاعلى سطح غير محوط) اى بسترة لما ورد فيه من النهى وورد من بات على ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برئت منه الذمة رواه ابوداود بسند حسن وفى رواية الترمذى عن جابر نهى عليه السلام ان ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه (ولافيما لاباب له) اى ولاستارة فانها تقوم مقام الباب فى هذا الباب عند بعض اولى الالباب (ولابعد الصبح فالارض تشتكى منه اليه تعالى) حيث انه صرف وقته الشريف فى غير العبادة وضيعه فى النوم وفق الطبيعة والعادة وقد ورد عن عثمان مرفوعا برواية البيهقى وغيره الصبحة تمنع الرزق اى المعنوى وكذا الحسى لانه عليه السلام قال بورك لامتى فى بكورها (ولابعد العصر) لانه ايضا وقت شريف كما يشير اليه قوله سبحانه * يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا * وفى رواية ابى يعلى عن عائشة من نام بعد العصر فاختلس عقله فلايلومن الانفسه (وكان عليه السلام اذا اطال القيام) اى بالصلوة بعد المنام (ينام نومة خفيفة قبل الصبح) او يضطجع ساعة لطيفة بعد ركعتى الصبح (وفيه تجدد الشوق الى اداء الفرائض وذهاب اثر القيام) اى من الصفرة (عن الوجه) واثر الكسل عن جميع البدن (ويقيل) بفتح اوله اى ينام وقت القيلولة (فهى سنة) اى مستحبة لفعله عليه السلام وحثه عليها بالكلام حيث قال قيلوا فان الشيطان لايقيل ابونعيم عن انس (معينة على القيام كالسحور على الصيام) وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم اكل الطعام فى وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عليه السلام استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل رواه ابن ماجه وغيره عن ابن عباس (متضمنة للسلامة) اى من ضعف الدماغ وما هو مورث للملامة وموجب للسآمة اوللسلامة من مخالطة اهل العلاقة والتحدث معهم فى البطالة فعن الثورى كانوا يستحبون اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة واذا قيل النوم خير من النميمة (وليكن النوم) اى ليقع مجموعه (ثلث الليلة واليوم) اى والباقى وهو ثلثاهما مصروف الى اليقظة فيكون اكثر عمره للطاعة و ينبغى ان ينتبه قبل الزوال لاستعداد

الصلوة على وجه الكمال (ولا يقص الرؤيا) اى لا يحدثها اذا رأى ما يحبها (الا على عالم) اى بتعبير الرؤيا (ناصح) اى للرائى بان يكون محباله ومشفقا عليه فان الرؤيا لا تستقر مالم تعبر فاذا عبرت سقطت فاذا كان العابر غير محب فقد يعبرها بما يكره فيحصل بذلك هم وغم وليس المراد ان يزيلها عما جعله الله عليه وقد يقع الرؤيا بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تأويلين واكثر فعبرها من يعرف تعبيرها على وجه يحتملها فتقع على ما ازلها فقد ورد ان امرأة اتت النبى صلى الله عليه وسلم وقالت رأيت كان صائر بيتى اى عتبته قد انكسر فقال رد الله عليك غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرأت مثل هذا فأتت النبى صلى الله عليه وسلم فلم تجده ووجدت ابابكر فاخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل قصصتها على احد قالت نعم قال هو كما قال هذا وما فى المتن رواية الترمذى عن ابى هريرة وفى الصحيحين اذا رأى فى منامه ما يحب فليحمد الله عليها وليحدث بها ولا يحدث بها الا من يحب وفى رواية الحاكم عن انس ان الرؤيا تقع على ما تعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فاذا رأى احدكم رؤيا فلا يحدث بها الا ناصحا اوعالما (ولا بكل ما يرى) ولا يحدث بجميع ما رآها اى بل بما يحبها من الرؤيا لما سبق (فان رأى مكروها) اى ما يكرهه كما فى الرواية (يبزق عن يساره) اى يبصق ثلاثا كما رواه الستة (ويتعوذ) اى بالله من الشيطان ومن شرها اى شر الرؤيا التى يكرهها ثلاثا كما رواه الستة ايضا ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره كما فى الصحيحين وغيرهما (ويتحول عن جنبه) الذى كان عليه (ويقوم ويصلى) كما رواه مسلم فيصلى (ركعتين) فانهما اقل مما يطلق عليه الصلوة للنهى عن البتيراء خلافا للشافعى فى تجويزه الركعة المنفردة (ويتصدق بشئ) لان الصدقة تدفع البلاء (ويرد المعبر الى احسن تأويل) لان الرؤيا تقع بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تعبيرين او اكثر كما تقدم ولا يبعد ان يكون المعنى يعبر المعبر احسن تعبير من انواع العبارة فقد حكى ان لسلطان كان معبران وظيفة احدهما الف وللآخر نصفه مع انهما متساويان فى الفضائل وتحسين الشمائل فسئل السلطان عن موجب تفضيل احدهما على الآخر لان الحكيم لا يرجح الا لحكمة ومصلحة فقال رأيت اسنانى وقعت قدامى فحكيت لهما فقال صاحب الالف ابشر فان عمرك اطول من اعمار اقاربك وقال الآخر يموت جميع اقاربك قبلك فانظر ان مؤدى كلامهما واحد ومختلف حسن تعبيرهما ومقتضاهما عند فحواهما (ولا يقتنى كلبا) اى لا يحفظه ولا يمسكه عنده (فالملائكة) اى النازلة للرحمة (تنفر عنه) اى دون الحفظة لكنهم يتأذون ايضا عنه الا انهم لا بد لهم من القرب منه (الا ماشية) من غنم وابل وبقر ونحوها (او صيد) اذا كان معلما (او زرع) لحفظه من الدواب وغيرها وفى الخبر من اقتنى كلبا

الا كلب ماشية او ضاريا اى كلبا معلما نقص من عمله كل يوم قيراطان رواه الشيخان عن ابن عمر والمراد بكلب الماشية ما يكون للحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر فى الحديث عليه (ولا يستقبل الشمس) اى فى قعوده وقت الشتاء (فهو داء ويستدبرها فهو دواء) اى للاستدفاء ونهى عليه السلام ان يقعد الرجل بين الظل والشمس الحاكم عن ابى هريرة وابن ماجه عن بريدة (ويخرج) اى من داره (مسميا متعوذا) فيقول بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى اعوذ بك من ان ازل او ازل او اضل او اضل او اجهل او يجهل على رواه ابن ماجه وغيره (قارئا آية الكرسى) اى للحفظ من شياطين الانس والجن (ويسرع فى المشى الى البيت) اى حال كونه راجعا اليه ليكون اسرع من حال خروجه منه فان دخوله فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى ان يموت (ولا يمشى بين المرأتين) فانه ابعد من العصيان وقيل يورث النسيان ففى ابى داود ومستدرك الحاكم عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يمشى الرجل بين المرأتين وروى البيهقى عنه مرفوعا اذا استقبلك المرأتان فلا تمر بينهما خذ يمنة او يسرة وهذا معنى قوله (ويترك الطريق للنساء) اى التى ليس لهن شئ من الحياء والا فاللائق بهن ان يتركن الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحال (ويميط الاذى) اى ويزيل ما فيه الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه نفسه المؤذية للرفيق (ففيه اجر جزيل) وثناء جميل لاهل التوفيق فورد الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق رواه مسلم وغيره عن ابى هريرة وعن معقل بن يسار مرفوعا من اماط اذى عن طريق المسلمين كتب له حسنة ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة رواه البخارى فى تاريخه (ولا يختال) اى يتبختر ماشيا (فورد ولا تمش فى الارض مرحا) تمامه * انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها * وفى آية اخرى * واقصد فى مشيك * اى توسط وفى اخرى * وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا * اى هينين لينين متواضعين متخاشعين (من تعظم فى نفسه) اى تكبر (واختال فى مشيه) اى تبختر (لقى الله وهو عليه غضبان) رواه احمد وغيره عن ابن عمرو وكأنه مقتبس من قوله سبحانه * ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا (ويأخذ العصا فى الكبر) وابتداؤه من الاربعين (فهو سنة) اى للانبياء كما بينت فى رسالة الانبياء وقد قال الحسن فى العصا ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء وعون الضعفاء والمساكين ورغم المنافقين ويقال اذا كان المؤمن مع العصا هرب الشيطان منه وامتنع المنافق والفاجر عنه وتكون قبلته اذا صلى وقوته اذا اعيى وفيها منافع كثيرة كما قال موسى * ولى فيها مآرب اخرى * كذا فى البستان واما ما اشتهر على الالسنة من وصل الاربعين ولا يمسك العصا فقد عصى فلا اصل له (ويبعد) بضم اوله

(فى قضاء الحاجة) الانسانية من البول والغائط (عن الاعين) اى اعين الناظرين ان وجدوا (فى الصحراء) كما ورد به السنة وان يستتر بشئ ان وجده من شجر او حجر او واستتر براحلته اوذيله جاز كما فى بعض الروايات واما فى البنيان فالغالب ان يكون مستتر امكان الخلاء (ولايكشف العورة قبل الانتهاء الى موضعه) اى محل جلوس القضاء فى الخلاء والفضاء اذليس من الادب كشفها قبل الحاجة اليه (ولايستقبل النيرين) اى الشمس والقمر تعظيما للملائكة الذين يجرونهما اولانهما آيتان عظيمتان وهو لاينافى قوله عليه السلام شرقوا اوغربوا كما لايخفى على الاعلام (ولا) يستقبل (القبلة ولايستدبرها) فان فيهما تحقيرالها سواء يكون فى الصحراء اوفى البناء وفى رواية احمد وغيره انه عليه السلام نهى ان يستقبل القبلتين ببول اوغائط وفى الصحيحين اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولايولها ظهره شرقوا اوغربوا وهذا امر لاهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن هوفى جهة الشمال والجنوب فاما من كانت قبلته فى جهة الشرق اوالغرب فلايجوز له ان يشرق ولايغرب وانما يجنب اويشمل كذا فى النهاية (ولايبول فى الماء الراكد) اى الواقف سواء كان ماؤه قليلا او كثيرا وكذا لاينبغى ان يبول فى الماء الجارى ولعله اقتصر على الاول اوورد الحديث فيه بناء على قلة الماء الجارى فى الحرمين حينئذ ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر انه عليه السلام نهى ان يبال فى الماء الراكد وفى رواية الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه انه نهى ان يبال فى الماء الجارى وفى الاحياء قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس به وقد يقال اذا كان الراكد عشرا فى عشر فلا بأس به والاولى لا لعموم النهى على مالايخفى (ولاتحت الشجرة المثمرة) فروى ابن عدى عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة ونهى ان يتخلى على صفة نهر جار اى حافته وهو بكسر اوله وفتحه وكذا لاينبغى ان يتخلى تحت شجرة مظلة يستظل تحتها الناس لان مدار النهى اذى المسلمين ولذا ورد النهى ان يبال فى قبلة المساجد وابوابها كما رواه ابو داود فى مراسيله (ولافى الجحر) بضم الجيم وسكون المهملة اى ثقب الجدار والارض مخافة اذى الدابة فروى ابو داود والحاكم فى مستدركه عن عبدالله بن سرجس انه عليه السلام نهى ان يبال فى الجحر وقد قالوا لقتادة مايكره من البول فى الجحر قال كان يقال انها مساكن الجن (ولا) فى (موضع صلب ولامهاب الريح) اى فى حال الريح استنزاها من رشاشه فروى ابو داود والبيهقى عن ابى موسى اذا اراد احدكم ان يبول فليرتد لبوله مكانا لينا اى ليطلبه وروى ابو يعلى بسنده مرفوعا اذا بال احدكم فلايستقبل الريح ببوله فترده عليه ولايستنجى بيمينه (ولا المغتسل) اى ولايبول فى مغتسله لانه يورث الوسوسة ويوجب الشبهة ولورود النهى فى السنة (ويتكئ على الرجل اليسرى) اى فى جلوسه (ويقدمها داخلا) فى الخلاء (ويؤخرها خارجا) عنه اذا كان فى بنيان

مراعاة للتيمين عكس دخول المسجد وخروجه (ولا يبول قائما) فعن عائشة من حدثكم انه عليه السلام كان يبول قائما فلاتصدقوه الترمذى وغيره وقال عمر رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابول قائما فقال ياعمر لاتبل قائما ابن ماجه باسناد ضعيف وابن حبان من حديث ابن عمر وفيه رخصة اذروى حذيفة انه عليه السلام بال قائما وهواما لعذر اولبيان الجواز وكذا لايبول فى المغتسل فانه عليه السلام قال عامة الوسواس منه اصحاب السنن من حديث عبدالله بن مغفل وقال ابن المبارك قدوسع فى البول فى المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى (ولا يستصحب شيئا عليه اسمه تعالى اواسمه عليه السلام) والظاهر انه كذلك اسماء سائر الانبياء العظام (ولايدخل) اى بيت الخلاء (حاسر الرأس) اى كاشفه قيل فيغطيه بمئزر حياء من الله وملائكته فكان ابو بكر يفعله كذلك (ويتعوذ قبل الدخول) فيقول بسم الله اللهم انى اعوذبك من الخبث والخبائث (ويحمد بعد الخروج) فيقول غفرانك الحمد لله الذى اذهب عنى مايؤذينى وابقى على ماينفعنى رواهما النسائى وغيره (ويعد النبل) بضم النون وفتحها اى يهيئ الحجر اوالمدر للاستنجاء (قبل الجلوس) فهو سنة والايتار مستحب وقيل واجب (ولايستنجى بالماء فى موضعه) اى محل الغائط والبول الااذا كان محفورا بحيث لايصل اليه اثرهما (فالكل ماثور) وينبغى ان يستبرئ بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على اسفل القضيب ثم يستنجى فاذا وجد من بال فيقدر انه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولايتسلط الشيطان عليه بالوسواس وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله اعنى رش الماء كذا فى الاحياء وقال مخرجه حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح رواه ابو داود والنسائى وابن ماجه وكان اخفهم استبراء افقههم فيدل الوسواس فيه على قلة الفقه وقد قدمنا كيفية الاستنجاء فى ابتداء آداب الوضوء اول الكتاب (ويزيل وسخ الشعر) اى شعر لحيته ورأسه (ودوده) اى من القمل ونحوه (بالادهان) بتشديد الدال اى استعمال الدهن للطيب وغيره اوبالادهان جمع دهن (والتسريح) ففى شمائل الترمذى من حديث انس انه عليه السلام كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وعند ابى داود والترمذى من حديث عبدالله بن مغفل باسناد صحيح انه عليه السلام نهى عن الترجل الاغبا (فورد ادهنوا) بتشديد الدال وبتخفيفها مع فتح الهاء (غبا) اى يوما بعد يوم اووقتا دون وقت ومنه حديث زرغبا تزدد حبا اخرجه جماعة وقيل الغب فى الادهان ان يكون فى كل اسبوع مرة والحديث ذكره فى الاحياء وقال ابن الصلاح لم اجد له اصلا وقال النووى غير معروف ذكره العراقى (من كان له شعرة فليكرمها) كذا فى النسخ تبعا للاحياء ولامعنى للوحدة على مالايخفى فصوابه من كان له شعر فليكرمه كما هورواية ابى داود عن ابى هريرة وقد دخل عليه رجل ثائرا الرأس اشعث

اللحية فقال اما كان لهذا دهن ليسكن بها شعره ثم قال يدخل احدكم على كأنه شيطان ابو داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر وقد سبق انه عليه السلام كان لا يفارقه المشط فى سفر ولا حضر وقد بسطت الكلام عليه فى رسالة سميتها بالتصريح فى التسريح (وما فى الانف) اى ما يجتمع من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار (والاذن) اى وما يجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن والمسح مايزيل ما يظهر منه وما يجتمع فى قعر صماخى اذنيه فينبغى ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام ونحوه من الاستحمام (لئلا يصم) فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع واما ما يجتمع على الاسنان واطراف اللسان فيزيله بالخلال والمضمضة والاستياك وقد ورد مالى اراكم تدخلون على قلحا استاكوا للبزار والبيهقى من حديث العباس والقلح محركة صفرة الاسنان (وتحت الاظفار) ففى الطبرانى عن وابصة بن معبد سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن كل شئ حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الاظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقد امر عليه السلام بغسل البراجم والرواجب فروى الحكيم الترمذى فى النوادر من حديث عبد الله بن بشر نقوا براجمكم ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه غسل البراجم ولاحمد من حديث ابن عباس انه قيل يارسول الله لقد ابطأ عنك جبريل فقال ولم لا يبطئ عنى وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم فالاول معاطف ظهور الانامل والثانى رؤس الانامل وقيل الاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقوله تعالى * ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما * اى لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ ولا تتأذ بهما كما يتأذى بما تحت الظفر من الوسخ واما الدرن الذى يجتمع على جميع البدن من الوسخ والعرق وغبار الطريق فذلك يزيل بالحمام او بالاستحمام (ويدخل الحمام) اى ويجوز دخوله (فهم) اى السلف من الصحابة والتابعين (دخلوه) اى دخلوا حمامات الشام فعن ابن عباس اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر الطبرانى والبيهقى والحاكم وقال بعضهم نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن ابى الدرداء وابى ايوب الانصارى وقال بعضهم بئس البيت الحمام يبدئ العورة ويذهب الحياء فهذا بيان آفته وما سبق اظهار فائدته فلا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته كما بينه بقوله (ويصون عورته) وهى ما بين سرته وركبته (عن نظر الغير ونظره عن عورة الغير ولا يكشفها) اى ولو لم يكن هناك غيره الا لضرورة غسلها بالتصاق جدرانه فى خلوة من خلواته ومن جملة الكشف رقة الازار لاسيما عند بلله وتلصقه بجلدته وهذا اقبح فى الامرد ونحوه وكذا يصونها عن مس الغير ولا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة ثم من الواجب ان ينهى عن كشف العورة لان النهى عن المنكر واجب

ولا يسقط عنه وجوبه الا لخوف ضرب او شتم واما قوله اعلم ان ذلك لا يفيده ولا يعمل به فليس بعذر اذ لا يخلو قلب عن التأثر بسماع الانكار ويفتح الامر الا لاهل الجهل وعديم العقل وفاقد الحياء وقليل المبالاة بالعلماء والصلحاء ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الايام او تخليته عن الانام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة لاسيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة لاختلاف العلماء فى كونها عورة بل الفخذ ونحوها كذلك وقد الحقهما الشارع بالعورة وجعلهما كالحريم لها وروئى ابن عمر فى الحمام ووجهه فى الحائط وقد عصب عينه بعصابة (وينوى) بدخول الحمام (التنظيف للصلوة) لا لعاجل الدنيا من اللذات (ويعطى الاجرة قبله) اى قبل دخوله (اسرار الحمامى) بعدم انتظاره وتطيبا لنفسه (واعلاما بالعوض) لرفع الجهالة من احد العوضين فان ما يستوفيه مجهول وقد ورد اذا استأجر احدكم اجيرا فليعلمه اجره الدار قطنى فى الافراد عن ابن مسعود (ويتعوذ) اى يقول بسم الله اعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله من شر حر النار بعد دخوله (ولا يسلم) اى على احد عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت ان اجاب غيره (ويدعو بالمعافاة) اى يقول عافاك الله (لمن سلم) اى عليه ولم يجب عنه غيره (ولا بأس بالبداءة به) اى يقول عافاك الله ونحوه (ولا بالمصافحة) اى بان يصافح الداخل احد اصحابه (ولا يكثر التكلم) ولا يبدأ بالكلام كيلا يكثر الكلام فى الحمام (ولا يقرأ القرآن الا فى النفس) اى سرا (ولا بأس باظهار التعوذ) اى من الشيطان الرجيم ومن الجحيم فى دار الجحيم (ويجتنبه) اى اى دخول الحمام (وقت الغروب) اى قريب المغرب (وبين العشائين فهو وقت انتشار الشياطين) خصوصا فى الحمام ونحوه (وعلى الريق فهو يورث الموت) اى سريعا فعن الشافعى عجبت ان يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان يخرج منه كيف لا يموت انتهى ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق اولا (ولا يسرف فى الماء) اى لا يكثر صب الماء عليه بل يقتصر على قدر الحاجة اليه فانه المأذون فيه بقرينة الحال فالزيادة على العادة لو علمه الحمامى لم يرض به لاسيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة (ولا بأس بالدلك) اى من غيره (فهو مروى) اى عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبدا سود يغمز ظهره فقلت ما هذا يارسول الله فقال ان الناقة تقحمت بى رواه الطبرانى فى الاوسط عن عمر بسند ضعيف (ويذكر ظلمة اللحد) فى مكان ظلمته (وحرارة جهنم) عند حرارته (ويحمد بعد الخروج فالماء الحار فى الشتاء من نعيم يسأل عنه) يوم القيمة كالماء البارد فى الصيف وقال ابن عمر الحمام من النعيم الذى احدثوه (ولا تدخله المرأة) اى النساء (فورد لا يحل للرجل ان يدخل حليلته) اى زوجته او امته (الحمام) روى الترمذى وحسنه والنسائى والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله

واليوم الآخر فلايدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام والحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء امتى وقال صحيح اسناده ولابى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلنها الرجال الا بالازار وامنعوها النساء الا مريضة اونفساء (ويحلق الرأس) اى شعره (ان اراد التنظيف) اى زيادته (والاحتياط فى الغسل) كما اختاره على كرم الله وجهه حيث كان كثير الاغتسال وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول تحت كل شعرة جنابة ولذا قال ومن ثم عاديت رأسى فان بقاء الشعر على الرأس انفع للدماغ وادفع للبرد والحر ولذا اختاره عليه السلام وسائر اصحابه الكرام فحلقوا الا بعد الفراغ من احد النسكين وحيث قرر عليه السلام فعل على صارسنة مع انه قال عليه السلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين فيستحب تركه لمن يكرمه بدهنه وترجله الا اذا ترك بعضه وحلق بعضه وجعله قزعا اى قطعا فهو دأب اهل الشطارة ومنهى عنه للصغار والكبار ولاعبرة بقول من يقول ان حلقه يورث الصداع فانه نوع من الخباغ وتسويل للشيطان فى مقام الخداع (ولا يرسل) اى شعر الذوائب (بحيث يشبه بالشريف) فانه نوع من التلبيس والتزييف (ويقص الشارب) اى فى كل جمعة (فورد قصوا الشوارب) وهذا لفظ احمد من حديث ابى هريرة ولمسلم من حديث ابى هريرة جزوا اى اقطعوا وفى الصحيحين من حديث ابن عمر بلفظ احفوا الشوارب واعفوا اللحى فالاحفاء بالاستقصاء ومنه قوله تعالى * فيحفكم تبخلوا * اى يستقصى عليكم وفى رواية حفوا اى اجعلوها حفاف الشفة وحولها ومنه قوله تعالى * وترى الملائكة حافين من حول العرش * واما الحلق فلم يرد والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن الصحابة ونظر بعض التابعين رجلا احفى شاربه فقال ذكرتنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ايماء الى ان مختار التابعين عدم الاستقصاء ويؤيده رواية الطبرانى عن الحكم بن عمير مرفوعا قصوا الشارب مع الشفاه واما قوله عليه السلام اعفوا اللحى اى كثروها ولا تقصوها وفى الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة (ولا بأس بابقاء السبال) اى اطراف الشارب فعل ذلك عمر وغيره كما فى الاحياء ولان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر مارواه احمد من حديث ابى امامة قلنا يارسول الله ان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب وفى صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر فى المجوس انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم اللهم الا ان يراد بالسبال الشوارب مجازا بقرينة مقابلته بالعثانين وهى جمع العثنون بمعنى اللحية وورد

احفوا الشوارب واعفوا اللحى وانتفوا الشعر الذى فى الآناف ابن عدى والبيهقى عن عمرو بن شعيب والقص يقوم مقام النتف فى الانف (ولا يؤخر حلق العانة ونتف الابط) وتقليم الظفر (اكثر من اربعين يوما فهو المأثور) اى المذكور فى صحيح مسلم من حديث انس انه عليه السلام وقت لنا فى قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة اربعين يوما وورد قص الظفر ونتف الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة الديلمى عن على ويحلق الابط ان لم يقدر على النتف باعتياده لئلا يجتمع الوسخ فى خلاله والمقصود النظافة فى جميع حاله (ويزيل العانة) اى شعرها (باطلاء) اى النورة (ان اعتاد لحصول المقصود) وهو فقد الاذى الموجود (والتحامى عن الايلام) اى مع تحصيل المرام (ويبتدئ بتقديم مسبحة اليمنى او خنصر اليسرى وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما) اى فى الرجلين (ويختم بالابهام فى الكل) اى فى جميع اليدين والرجلين (فهو المروى) قال العراقى لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبد الله المازنى فى الرد على الغزالى وشنع عليه به قلت لاوجه للتشنيع عليه حيث قال ولم ار فى الكتب خبرا مرويا فى ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روى عنه عليه السلام انه بدأ بمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتدأ فى اليسرى بالخنصر الى الابهام ثم وجه هذا الترتيب بما وقع له من الالهام كما بسط عليه الكلام هذا وفى حديث جابر قصوا اظافيركم فان الشيطان يجرى ما بين اللحم والظفر الخطيب فى الجامع بسند ضعيف لكن روى احمد ومسلم والاربعة عن عائشة عشر من الفطرة اى سنة الانبياء التى امرنا ان نقتدى بهم فيها قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعنى الاستنجاء به قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان يكون المضمضة وذكر عمار بن ياسر الاختتان فى العاشرة (ويكتحل بالاثمد) اى فى كل ليلة (ثلاثا) اى ثلاث مرات متوالية (فى كل عين) ويبتدئ باليمنى (فهو مروى) اى فى الشمائل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذى (وروى) اى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف للطبرانى (ثنتان فى اليسرى) اى وثلاث فى اليمنى فالايتار باعتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما كما فى الاول فتأمل فانه الاولى قياسا على غسل اليدين ثلاثا ثلاثا ثم الابتداء باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها فى رواية لتعظيمها فهى احق بها وان الله تعالى وتر يحب الوتر (كما ورد وورد عليكم بالاثمد) وهو حجر يكتحل به اى الزموه ولا تتركوه (عند مضجعكم) اى مرقدكم بالليل (فانه مما يزيد فى البصر) اى فى قوته (وينبت الشعر) اى شعر الاجفان فى طرف العين والحديث رواه ابو نعيم فى الحلية عن ابن عباس بلفظ عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر وفى رواية ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر عليكم

بالاثمد عند النوم الحديث وفى رواية الطبرانى وغيره عن على عليكم بالاثمد فانها منبتة للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر وفى رواية احمد اكتحلوا بالاثمد المروح اى المطيب بالمسك (ولا يكثر التزين) بالتسريح ونحوه (والاكتحال والادهان) فانه دأب المترفين وقد نهى عليه السلام عن الترجل الاغبا (ويقطع اللحية الطويلة) اى زيادة على القبضة فانه مستحب وقيل واجب (فالمفرط) منها فى الطول او العرض (يرى) بصيغة المجهول اى يظهر (سمجا) بفتح فكسر فجيم اى قبيحا فانه يشوه الخلقة (ويفتح باب الغيبة) اى فى الحضور والغيبة فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية (ويبقى قدر القبضة) فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبى وابن سيرين (فهو الوسط) اى المتوسط المعتدل المحمود فى كل شئ قال النخعى عجبت لرجل عاقل طويل اللحية لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين وقد قيل ما طالت اللحية الا وقد نقص العقل (المسنون) فانه عليه السلام كان يأخذ من لحيته طولا وعرضا كما رواه الترمذى عن ابن عمرو (وقيل يبقى بحالها فورد اعفوا اللحى) اى اتركوها وابقوها على حالها واختاره الحسن وقتادة وقالا تركها عافية احب للحديث المتقدم (ولا يجوز تصغيرها وتحميرها) بالحناء وغيرها (لاخفاء الشيب) اى يتوهم ان فيه العيب وهو نور ووقار وسرور (الا فى الغزو) فان مبناه على مكر وغرور ومنه حديث الحرب خدعة (فورد هما خضاب المسلمين والمؤمنين) لا فرق بين المسلم والمؤمن فى عرف الشرع وانما هو التفنن فى العبارة كما وقع اليه الاشارة فى قوله تعالى * فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * واما فى اصل اللغة ففرق بينهما حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد الباطن كما يدل عليه قوله تعالى * قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان * ويقويه حديث جبريل ان الاسلام هو ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة الخ والايمان ان تؤمن بالله وملائكته ورسله الخ ولما كان الانقياد الظاهر لا ينفع بدون الانقياد الباطن كالمنافق ولا الانقياد الباطن بدون الانقياد الظاهر كما فى ابى طالب ونحوه فالمراد بالمؤمن والمسلم واحد وهو الجامع بين الانقيادين فى استحكام الاعتقادين وعبارة المتن يحتمل ان يكون المراد بها ان كل واحد من الحمرة والصفرة خضاب اهل الاسلام والايمان وان يكون لفا ونشرا مرتبا فيوافق ما ذكر فى الاحياء من قوله عليه السلام الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين بناء على الفرق بينهما لغة او اشعارا بان نعت الايمان اكمل فالحمرة افضل فانهم كانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وحديث الاحياء رواه الطبرانى والحاكم بلفظ الافراد من حديث ابن عمر ثم هما جائزان تلبيسا للشيب على الكفار فى الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم

(ويكره تسويدها فورد هو خضاب اهل النار) كذا فى الاحياء قال وفى لفظ خضاب الكفار قال مخرجه رواه الطبرانى والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قيل واول من خضب بالسواد فرعون ذى الاوتاد وورد من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيمة الطبرانى عن ابى الدرداء (وتبييضها بالكبريت) اى ويكره ايضا (لاظهار الكبر) اى لكبر السن (ترفعا) على الشباب من اقرانه وتوصلا الى التوقير عند اخوانه واستعجالا لقبول الشهادة بعلو شانه وتصديق الرواية عن مشايخ الدراية ظنا منه بان كثرة الايام تقطعه فضلا بين الانام ولم يعرف ان الفضل بقلة الآثام وامثال ذلك من الاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة كما بينتها فى التصريح بالتسريح (ونتفها عبثا) اى بلا منفعة (وتشبها بالمرد فهو منكر) اى بدعة مستقبحة فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الرأس زينة النساء فى جميع الاحوال او استنكافا من الشيبة فقد نهى عليه السلام من نتف الشيب وقال هو نور المؤمن رواه ابو داود والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده (وتزينها للناس بالتدوير) وهو تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزوير (والتسريح) اى بالتكثير وقد قال بشر فى اللحية شر كان تسريحها للناس وتركها متفلة لاظهار الزهد (والزيادة) اى وبزيادة الشعر (فى العارضين) اى الخدين (بارسال الصدغ) بضم فسكون ما بين العين والاذن والشعر المتدلى عليه وهو من شعر الرأس (المتجاوزة عن عظمها) اى عظم اللحى المنتهية الى نصف الخد وذلك يباين هيئة اهل الفلاح وكثيرا ما يفعله بعض الاعجام (ولا يأكل الجنب) اى لا ينبغى ان يأكل وهو جنب فاذا اراد ان يأكل فيغسل فمه اولا وكذا اذا اراد ان يشرب (ولا ينام) اى الجنب (دون الوضوء) اى او ما يقوم مقامه من التيمم فعن عمر قلت للنبى صلى الله عليه وسلم اينام احدنا وهو جنب قال نعم اذا توضأ متفق عليه وهذا هو الاولى والا فلا بأس به وقد كان عليه السلام ينام وهو جنب ولا يمس ماء كما رواه احمد وغيره عن عائشة وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء الامة (ولا ينقص من البدن) اى لا يقطع الجنب (شعرا ولا ظفرا ولا دما) ما دام جنبا (فاجزاء البدن) اى جميعها (تعاد فى الآخرة) اى كما كانت فى الدنيا قال تعالى * كما بدأكم تعودون * وقال عز وعلا * ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة * اى حفاة عراة غرلا (والمزال جنبا يكون كذلك) وهو نقصان فى المرتبة هنالك وان كانت تزول عن المؤمنين ما لا يحتاج اليها اذا اغتسلوا على حياض وانهار فى باب الجنة قبل الدخول عليها وقد ورد انه عليه السلام كان يأمر بدفن الشعر والاظفار الطبرانى عن وائل بن حجر وفى رواية الحكيم عن عائشة كان يأمر بدفن سبعة اشياء من الانسان الشعر والظفر والدم والحيضة والسن والعلقة والمشيمة

(ويكنس المسجد) اى ينظفه من القمامة فانه افضل انواع الاماطة وقد قال
تعالى * وطهر بيتى * وورد ابنوا المساجد واخرجوا القمامة منها فمن بنى لله بيتا
بنى الله له بيتا فى الجنة واخراج القمامة منها مهور الحور العين رواه الطبرانى وغيره (وينوره)
بالسرج ونحوها فقد قال انس بن مالك من اسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملائكة
وحملة العرش يستغفرون له مادام فى ذلك المسجد ضوءه رواه الحارث بن ابى امامة
فى مسنده وغيره به مرفوعا وسنده ضعيف والحديث الضعيف يعمل به فى فضائل
الاعمال (ويفرشه) بالحصر وامثالها (ففيها) اى فى الثلاثة (فضائل) فانها
كلها من عمارة المسجد وقد قال تعالى * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله (ولا يزخرفه)
اى لا يبالغ فى زينته (ولا ينقشه) بحيث يشغل المصلى فى احدى هيئته (ولا يصوره)
اى جدرانه وسقفه فضلا عن قبلته (فهو) اى مجموع ماذكر (من البدع) اى
المستبشعة (ويتعهد النعل) اى يتفقدها ويتفحصها عند بابه رعاية لجنابه (ويمسح مابه من
اذى) على اطرافه (ويقدم الرجل اليمنى داخلا فيه) ويقول بسم الله اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ويسلم على النبى صلى الله عليه
وسلم ويقول اللهم اغفرلى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك رواه ابوداود وغيره
(واليسرى خارجا منه) ويتعوذ ويقول اللهم اغفرلى ذنوبى وافتح لى ابواب فضلك
رواه الترمذى وغيره ولا يجلس حتى يصلى ركعتين كما فى الصحيحين وتحية المسجد
الحرام هى الطواف ان قدر عليه والا فالصلوة ان لم يكن وقت مكروه والا فيقول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عملا بقوله عليه السلام اذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا (ويجهر بالدعاء على من يتجر فيه او ينشد ضالة) اى يطلبها برفع
صوت فورد اذا رأيتم من يبيع او يبتاع فى المسجد فقولوا لا اربح الله تجارتك واذا
رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردها الله عليك رواه الترمذى والحاكم عن ابى هريرة
مرفوعا (وينظفه) اى جدرانه (عن النخامة) اى ماء الانف (والبزاق) اى ماء الفم
ففى الخبر البزاق فى المسجد سيئة ودفنه حسنة احمد والطبرانى وفى الصحيحين البزاق
فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها (ولا يتخذه بيتا) اى مسكنا الا اذا كان غريبا
ولم يجد مكانا قريبا (ولا معبرا) اى طريقا وممرا الا لضرورة داعية اليه او حاجة
باعثة عليه فينبغى ان ينوى الاعتكاف ولو ساعة لديه فالكل مروى) ففى الطبرانى عن
ابن عمر لا تتخذوا المساجد طرقا الا لذكر اوصلوة (وان غلبه النعاس فيه يتحول
عن موضعه) ليطير اثر نومه وفى الخبر اذا نعس احدكم وهو فى المسجد فليتحول من
مجلسه ذلك الى غيره ابوداود والترمذى عن ابن عمر (ويضرب باطراف اصابعه
جانب رأسه الايمن ثلاثا ثم يجلس) فى موضع آخر (ويستقبل القبلة فى الجلوس فهو
عبادة) اى فى حذائه فضلا عن ان يكون فى حدود المسجد وجهاته وقد ورد اكرم

المجالس ما استقبل به القبلة اخرجه ابو يعلى وابن عدى والطبرانى فى الاوسط واورده
الحاكم وقال انه صحيح وقال ابن حبان انه خبر موضوع وقد كانت احواله عليه السلام
فى موعظ الناس ان يخطب لهم وهو مستدبر القبلة قلت وفيه انه لمصلحة سماع الناس
ولم يعكس ايثارا للكثير فهو ايضا دليل على مدعانا (وفيه) اى فى الاستقبال (قوة البصر)
لان وقوع القبلة بمنزلة الكعبة فى لنظر (ويجلس موضعا اقرب الى التواضع) اى
وابعد عن اهل الترافع (لا بين الظل والشمس فهو مقعد الشيطان) اى يحبه ويحبه
ان يقع من الانسان وفى مستدرك الحاكم عن ابى هريرة وابن ماجه عن بريدة انه
عليه السلام نهى ان يقعد الرجل بين الظل والشمس وفى رواية احمد نهى ان يجلس
بين الضح والظل وقال مجلس الشيطان (ولا يفرق) بالجلوس (بين اثنين) اى
مخصوصين كاب وابن واخوين وصاحبين فقد ورد انه عليه السلام نهى ان يجلس
الرجل بين الرجلين الا باذنهما رواه البيهقى عن ابن عمر (ولا يقيم احدا) عن موضع
جلوسه فيجلس هو فيه ففى البخارى عن ابن عمر انه عليه السلام نهى ان يقام الرجل
من مقعده ويجلس فيه آخر (وان قام) احد بنفسه حياء منه او تأدبا معه (لا يجلس ثمه)
اما تواضعا او عملا بظاهر النهى (ويجلس حيث اصاب) اى صادف محلا فارغا
فى الصف فهذا كان دأبه عليه السلام فى المجالس كما فى الشمائل وروى البغوى والبيهقى
والطبرانى عن شيبة بن عثمان مرفوعا اذا انتهى احدكم الى المجلس فان وسع له
فليجلس والا فلينظر الى اوسع مكان يراه فليجلس فيه (وخلف الصف) اى
ويجلس (ان لم يجد مكانا فيه ولا يعود) كأنه اخذ من حديث صحابى اقتدى به
عليه السلام قبل ان يصل الى الصف فقال له عليه السلام زادك الله حرصا ولا تعد
فروى من العود اى لا ترجع الى مثل هذا الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل
الى الصف الذى يسعك فصل وروى من الاعادة اى ولا تعد صلاتك فانها صحيحة
حيث وقعت فى المسجد فان شرط صحة الاقتداء ان يكون مقام الامام والمقتدى
بقعة واحدة وقال الامام احمد ببطلان صلاة المنفرد خلف الصف اذا اقتدى
بالامام واما مارواه الطبرانى عن وابصة ايها المصلى وحده الا وصلت الى الصف
فدخلت معهم اوجررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك اعد صلاتك
فانه لا صلوة لك فمحمول على نفى الكمال عند الجمهور وعلى نفى الصحة عند الامام
احمد وفى بعض الحواشى اى ولا يعود الى بيته حينئذ فهو تكبر لكن لا يخفى بعده
(ولا يجاوز من سبق) اى لا يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعيد شديد وهو
ان يجعل جسرا يوم القيمة يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه حينئذ يجوز له
ان يتخطى ويصلى فيها فان التقصير من غيره فيستحق التقدم عليه (ويحيى)
اى ويخص بالسلام والتحية (من يقربه) اى فى ذلك المقام وفى نسخة يقربه بصيغة

المصدر (ولايمد الرجل) اى قدام صاحبه فانه ترك الادب (وكان اكثر جلوسه عليه السلام ان ينصب الساقين ويجعل اليدين عليهما) ويسمى هيئة الاحتباء وكان عليه السلام يتربع احيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله اليمنى بدون اليسرى (ويلازم) اى فى قعوده (الوقار) اى السكينة والرزانة (والتواضع) اى مع اهل المسكنة (ويجتنب الجلوس على القدمين والركبتين) فهى هيئة الاقعاء وتسمى جلسة الكلب لكن نهيه مقيد بالصلوة فروى الحاكم فى مستدركه والبيهقى عن سمرة انه عليه السلام نهى عن الاقعاء فى الصلوة وفى النهاية هو ان يلصق الرجل اليته بالارض وينصب ساقيه وفخذيه ويضع يديه على الارض (واكثار النظر) اى يجتنب تكثير نظره (الى الكاهل) بكسر الهاء وهو ما بين الكتفين (والعقب) اى الى ورائه (والالتفات) اى واكثاره او يجتنبه (الى الجوانب) فانه يعد من المعائب (واللعب مع اللحية والاصابع) فانه من اللغو وضد حال ارباب الخشوع واصحاب الخضوع وقد رأى عليه السلام رجلا يعبث بلحيته فى الصلوة فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه (وتخليل الاسنان وادخال الاصبع فى الانف) وهذا كله مكروه فى المجامع والمحافل لارباب الفضائل والفواضل (واخراج البزاق) من الفم (والنخامة) من الانف (والتثاؤب على الوجوه) اى فى مقابلتها دون ادبارها (والجشاء) اى كذلك فوردا قصر جشاءك عنا وهو بضم الجيم ممدودا بخار يخرج من الفم عند الاكل الكثير (والاشارة باليد والعين) بحيث يتوهم المصاحب ما لايليق باهل المناقب قال تعالى * يعلم خائنة الاعين (ونحوها) اى ويجتنب امثال هذه المذكورات (مما يكره الناس) اى فى المحاورات والمحاضرات (ويستغفره تعالى عند القيام) اى من المجلس ففى المعالم عند قوله تعالى * وسبح بحمد ربك حين تقوم * قال سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وروى البغوى باسناده الى ابى هريرة مرفوعا من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما وفى رواية ابى داود وابن حبان عن ابى هريرة كفارة المجلس ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك الخ ثلاث مرات وزاد عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى انه لايغفر الذنوب الا انت (ولايقعد فى السوق بلا حاجة) فانها ابغض البلاد الى الرحمن واحبها الى الشيطان (ولا فى الطريق) اى الجادة للعامة (ويؤدى الحقوق) اى حقوق الجلوس او حقوق الطريق (ان جلس) وهى اماطة الاذى وارشاد الضال وقضاء حاجة الفقير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف واعانة الضعيف ورد السلام واعطاء السائل ولو بجميل

الكلام وفى رواية الطبرانى عن وحشى لعلكم ستفتحون بعدى مداين عظاما وتتخذون فى اسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا من ابصاركم واهدوا الاعمى واعينوا المظلوم (ويفتح) وفى نسخة ويفتتح اى يبتدئ (الكلام) فى مجلس الكرام اذا كان ذا بال من المرام (بالتسمية والتحميد والاستعاذة) والانسب تقديم التعوذ (والصلوة عليه عليه السلام) اى على النبى عليه السلام فورد كل امر ذى بال لايبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع رواه الرهاوى فى الاربعين عن ابى هريرة وفى رواية له عنه كل امر ذى بال لايبدأ فيه بحمد الله والصلوة على فهو اقطع ابتر ممحوق البركة (ويختار العربية) اى اللغة المنسوبة الى العرب فقد ورد احبوا العرب لثلاث لانى عربى ولان كلام الله عربى ولسان اهل الجنة فى الجنة عربى وقد قيل العربية نصف العلوم النقلية (ويخفض الصوت) اى فى كلامه لقوله تعالى * واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير (ولايكثر) اى من الكلام فان كثرة الكلام تميت قلب الانام (ويهذب اللفظ) اى ينقى مبانيه ويحسن مافيه ويميز بين مايوافقه المقام وينافيه (ويبين الكلام) بتعيين معانيه وتخليصه من الزوائد المخلة والفوائد المملة (ويتفكر) اى اولا (فى الحجة) اى الادلة ثم يحتج بها ويتمسك بسببها (ويسكت عند الغضب) لقوله تعالى * ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح * اى سكن كما فى قراءة شاذة ولهذا ورد النهى للقاضى ان يحكم وهو غضبان لانه حينئذ لم يفرق بين الحق والباطل والطاعة والعصيان (ويذكره تعالى عند النسيان) لقوله تعالى * واذكر ربك اذا نسيت (ويستثنى) اى يقول ان شاء الله فيما بعده فى مستقبله لقوله تعالى * ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله (ولايحلف عليه تعالى فهو اجتراء) اى اظهار جراءة لديه فورد ان رجلا قال والله لايغفر الله لفلان قال الله تعالى من ذا الذى يتألى على ان لا اغفر لفلان فانى قد غفرت لفلان واحبطت عملك رواه مسلم عن جندب البجلى (ويحترز عن القصص) اى قصص الملوك وارباب الشجاعة واصحاب البطالة بل عن قصص الانبياء وحكايات الاولياء اذا لم تكن ثابتة مروية عن العلماء الاصفياء (والحلف) اى ويحترز عن كثرة اليمين (ما امكن) ولو كان صادقا اذ فيه خطر الحنث ووجوب الكفارة وشبهة التهمة (وان حلف) اى على يمين (ورأى غيرها خيرا) منها (فليأت به) اى بذلك الغير الذى هو الخير (وليكفر) اى عن حنث يمينه ففى صحيح مسلم وغيره عن ابى هريرة من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه (ويراعى الادب) اى مع الاصحاب والاحباب فى قوله وفعله وسائر الابواب (ويتكلم بالقصير الجامع) وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد اعطيت جوامع الكلم رواه ابو يعلى عن عمر وهى التى مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة وروى خير الكلام ما قل ودل

(و يتوقف بين كلامين) اى مركبين بصح سكوت على كل منهما (ليحفظ السامع) اى ليدركه و يفهمه ففى الصحيحين عن عائشة انه عليه السلام كان يحدث حديثا لوعده العاد لاحصاه (ولايبحث) مع الخصم (قبل تمام الكلام) اى فى اثناء المرام اذ قد يكون له تعلق اى فى المقام بدفع المباحثة مع الخصام (و يستأذن للسوأل) اى تأدبا مع ارباب الكمال (فالكل مأثور) وفى الكتب المبسوطة مذكور (و يكثر البكاء فورد حرمت النار على ثلاثة اعين عين) بالجر على البدل او بالرفع اى منها او احديها عين (سهرت فى سبيل الله) اى احتراسا لاهل الله (وعين غضت) اى غمضتها (عن محارم الله) اى ابتغاء لوجه الله (وعين بكت من خشية الله) اى من خوف يوم يلقاه الطبرانى والحاكم عن ابى ريحانة بلفظ حرمت النار على عين بكت من خشية الله وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله اوعين فقئت فى سبيل الله وفى رواية الحاكم عن ابى هريرة ثلاثة اعين لاتمسها النار عين فقئت فى سبيل الله وعين حرست فى سبيل الله وعين بكت من خشية الله (دون الضحك) اى لايكثر الضحك بل يقلله (فهو يميت القلب و يذهب النور) اى البهاء والضياء وفى الخبر انه عليه السلام كان طويل الصمت قليل الضحك احمد عن جابر بن سمرة (فورد فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) وهو امر معناه خبر اى يضحكون فى الدنيا قليلا من الضحك اوالزمان و يكون كثيرا من البكاء اوالزمان وهذا اذا كان المراد به الخبر عن اهل الكفر فى الدنيا والعقبى واما ان كان المراد به الخبر عنهم فى دار الاخرى فالمراد من القلة العدم والله سبحانه اعلم فالمعنى من ضحك فى الدنيا قليلا يبكى فى الآخرة كثيرا فكيف حال من ضحك فى الدنيا كثيرا فانه لايشك ان امره يكون صعبا لايسيرا (و يخفض صوت العطاس فالتصريح به) اى بالصيحة عند الناس (حمق) اى حماقة وجهالة لمقام الاستيناس وقد ورد التثاوب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان ابن السنى عن ام سلمة (و يستر) اى فمه عند العطاس (بثوبه) اى بكمه اومنديله (او بيده) اى بكفه فورد اذا عطس احدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته الحاكم والبيهقى عن ابى هريرة (و يستر الفم فى التثاوب) اى بالثوب لانه ايضا يحصل المقصود ولان الثوب ايضا لايكون الابمساعدة الساعد ففى الصحيحين عن ابى هريرة التثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليرده مااستطاع فان احدكم اذا قال ها ضحك منه الشيطان وفى رواية الترمذى العطاس من الله والتثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فمه واذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وان الله عز وجل يحب العطاس و يكره التثاوب ولعل وجهه ان العطاس يطير النوم والكسل والتثاوب يوجب النعاس والفشل واما ماورد من ان العطاس والنعاس والتثاوب فى الصلوة من الشيطان فوجهه ان كلا منهما مانع

من القراءة ونحوها (و يلقى البزاق) ان لم يقدر على ابتلاعه (فى اليسار) اى ان لم يكن هناك احد من الابرار (اوتحت القدم) اى اليسرى اذا لم يكن ارض مسجد (دون القبلة) اى لايلقى الى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام ففى الصحيحين اذا كان احدكم يصلى فلايبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى (واليمين) اى اصلا سواء يكون فيه احد ام لاتعظيما لصاحب اليمين من الملائكة المقربين ولعل صاحب اليسار يتأخر فى جانبه فانه مأمور بالنسبة الى صاحب اليمين كما فى محله وفى رواية احمد واصحاب السنن الاربعة عن طارق بن عبد الله المحاربى مرفوعا اذا صليت فلاتبزقن بين يديك ولاعن يمينك ولكن ابزق تلقاء شمالك ان كان فارغا والافتحت قدمك اليسرى وادلكه قال ابو يزيد لبعض اصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد اشهر نفسه بالولاية وكان رجلا مشهورا بالزهد والديانة فمضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى بزاقه تجاه القبلة فانصرف ابو يزيد ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على ادب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على مايدعيه اى من الادب مع الرب (و يتفأل بكلمة صالحة) اى يسماعها من غيره نحو صلاح وفلاح ومنصور ومظفر فانه عليه السلام كان يعجبه الفأل الحسن و يكره الطيرة وابن ماجه عن ابى هريرة والحاكم عن عائشة (فالكل مأثور) اى منقول عن فعله عليه السلام (ومأمور به) اى بماورد عنه من الكلام (ولايتطير) اى لايتشأم بالفأل القبيح واصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير وكان التطير يصدهم عن مقاصدهم فى زمن الجاهلية فنفاه الشرع ونهى عنه واخبر انه لاتأثيرله فى جلب نفع اودفع ضر ومثاله انه خرج لحاجة وسمع كلمة فاسدة دالة على عدم قضائها فان رجع عنها بسببها كان ذلك تطيرا (فهومنهى عنه) روى احمد عن عبدالله بن عمر مرفوعا لايتطير فان فعل فكفارته ان يقول اللهم لاخير الاخيرك ولاطير الاطيرك ولااله غيرك رواه الطبرانى عنه بلفظ من ردته الطيرة من حاجة فقد اشرك وكفارته ان يقول اللهم لاخير الخ ورواه ابوداود ولفظه اذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لايأتى بالحسنات الاانت ولايذهب بالسيئات الاانت ولاحول ولاقوة الابك وفى رواية ابن ابى شيبة الابالله (و يفتتح الكتاب) اى اذا بدأ مكتوبا الى غيره (بالتحميد والصلوة) بان يكتب الحمدلله والصلوة والسلام على رسول الله (و يذكر اولا) اى بعدهما (نفسه ثم المكتوب اليه فهو السنة) المعروف فى السنة ان يبدأ باسمه ثم المكتوب اليه ثم بحمدالله فيكتب مثلا من عبدالله فلان الى فلان عبدالله السلام عليك فانى احمدالله اليك وهو مقتبس من قوله تعالى * انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم * وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى معاذ فى ابن له يعزيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى معاذ سلام عليك فانى

احمد اليك الله الذى لااله الاهو امابعد فاعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر الحديث رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ قالوا وفى الآية لمطلق الجمع (ويتربه) بتشديد الراء اى يلقى التراب على الكتاب (فهو سبب النجاح) اى وصوله الى الباب وقدورد اذا كتب احدكم الى انسان فليبدأ بنفسه واذا كتب فليترب كتابه فهو انجح الطبرانى فى الاوسط عن ابى الدرداء والترمذى الجملة الثانية والطبرانى الاولى (ويتعفف) اى يطلب العفة (عن طلب الحاجة) اى بالمسألة من الخلق (ماامكن) اى مهما امكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكفف وفى دعاء الامام احمد اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسألة غيرك وقدقال بعض اهل التوفيق السؤال ذل ولوابن الطريق (وحقه) اى حق طلب الحاجة عند الضرورة من الخليقة (ان يتوضأ ويصلى ركعتين ويرفعها اليه تعالى) اى اولا لانه غياث المستغيثين وارحم الراحمين واكرم الاكرمين وفى الخبر ليسأل احدكم ربه حاجة حتى يسأل الملح وحتى يسأله شسعه رواه الترمذى وغيره وقد ورد من كانت له حاجة الى الله اوالى احد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن وضوءه ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم وليقل لااله الاهو الحكيم الكريم سبحان رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين اسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر والسلامة من كل اثم لاتدع لى ذنبا الاغفرته ولاهما الافرجته ولاحاجة هى لك رضاء الاقضيتها ياارحم الراحمين رواه الترمذى عن ابن ابى اوفى وفى رواية له ولغيره عن ابن حنيف من كانت له ضرورة فليتوضأ فيحسن وضوءه ويصلى ركعتين ثم يدعو اللهم انى اسألك واتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة يامحمد انى اتوجه بك الى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى فشفعه فى (ويخرج) اى ومن حقه ان يخرج فى طلب الحاجة (بكرة الخميس) او بكرة غيره فان البركة فى البكرة كما تقدم (بعد التحميد والصلوة) اى على النبى عليه السلام (وقرأة الفاتحة) فان فيها رائحة قضاء الحاجة فاتحة (وآية الكرسى) فانها الدالة على العظمة والمحافظة (وآخر آل عمران) اى من قوله * ان فى خلق السموات والارض * الى آخر السورة اومن قوله * لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد * اومن قوله * ياايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون * فقدروئى بعض المجاذيب انه يخرج بطاقة من جيبه وينظر فيها ثم يردها فاذا هو مات فرأوا فيها آية * واصبر لحكم ربك فانك باعيننا (والقدر) اى سورة القدر تنبيها له على ان الاشياء كلها بالقضاء والقدر فلايتبدل ولايتغير (ويقصد الانقى) شرعا لان عطاءه انقى (والاكرم) طبعا لان سخاءه ابقى (والاسمح) اى الاسهل يدا فان الخير منه ارجى (والاحسن) اى خلقا وخلقا فقدورد اطلبوا الخير عند حسان الوجوه

رواه البخارى فى تاريخه عن عائشة وجماعة عن غيرها وفى رواية ابن عدى والبيهقى عن عبدالله بن جراد بلفظ اذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه لان الظاهر عنوان الباطن والغالب اجتماع حسن الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن الخلق الكرم مع الخلق (والارحم) قلبا فعن ابى سعيد اطلبوا الحوائج الى ذوى الرحمة من امتى ترزقوا وتنجحوا فان الله تعالى يقول رحمتى فى ذوى الرحمة من عبادى ولاتطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم فلاترزقوا ولاتنجحوا فان الله تعالى يقول ان سخطى فيهم رواه العقيلى والطبرانى فى الاوسط (ولايرتكب معصية فيه) اى فى طلب الحاجة بان يكذب فى مقدار مايحتاج اليه مثل قوله ان لى ميتا اريد دفنه اوعندى نفساء اوماأكلت ايام كذا اومعى عيال ونحوذلك اذالم يكن صادقا فيماهنالك (ولايلح) اى فى الطلب من الخلق قال تعالى * لايسألون الناس الحافا * اى الحاحا وورد ان الله يبغض السائل الملحف ويحب الحيى العفيف المتعفف رواه البيهقى عن ابى هريرة (ويشاور) اى فى امر مشكل يقع له (العاقل) اى المجرب فى الامور (العالم) اى المعظم فى الصدور (الصالح) اذ عنده الخبر المستور (الملايم ذلك الامر) اى الذى وقع له فى الدهر ويحتاج فيه النصح للنصر (كالسخى فى المال) اى فى امر يتعلق ببذل المال (والشجاع فى الحرب) لانه فى ذلك الامر من اهل الكمال * وقدعلم كل اناس مشربهم * وعرف كل فريق مذهبهم (فورد وشاورهم فى الامر) * وامرهم شورى بينهم (ثم امرأته) اى ان لم يجد احدا كما فى نسخة (ويخالف) اى رأيها (فورد فيه) اى فى خلافها (البركة) لقلة عقلها ونقصان دينها واخرج العسكرى فى الامثال عن عمر قال خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وعن انس مرفوعا لايفعلن احدكم امرا حتى يستشير فان لم يجد من يستشير فيستشير امرأته ثم ليخالفها فان فى خلافها البركة رواه ابن لال وروى الديلمى والعسكرى والقضاعى عن عائشة مرفوعا طاعة النساء ندامة وفى مسند احمد هلكت الرجال حين اطاعت النساء واخرجه الطبرانى والحاكم وصححه من حديث ابى بكرة مرفوعا واخرج ابن عدى من حديث ام سعد بنت زيد بن ثابت عن ابيها مرفوعا طاعة المرأة ندامة واخرج العسكرى عن معاوية قال عودوا النساء لافانها ضعيفة ان اطعتها اهلكتك وقال بعض الشعراء * وترك خلافهن من الخلاف * واما مااشتهر على الالسنة شاوروهن وخالفوهن فباطل لااصل له فى مبناه لكن صح معناه فيما قدمناه (ويقدم الاستخارة) اى على الاستشارة والمراد دعاؤها مجملا بان يقول اللهم خرلى واخترلى ولاتكلنى الى اختيارى اوصلاتها ودعاؤها المشهور المذكور فى الحصن وشرحه المسطور وقدورد ماخاب من استشار وماندم من استخار ولاعال من اقتصد الطبرانى فى الاوسط عن انس (ويختار اهون الامرين) كالتدريس والفتوى فالتدريس اهون من الفتوى

والفتوى اهون من القضاء والقضاء اهون من الخلافة (وايسرهما) فروى عن بعض السلف الصبر عن النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقيل الفرق بين الاهون والايسر ان الاهون باعتبار النفع والضرر والايسر باعتبار سهولته على النفس وبعده عن الخطر (ولا يحب المال اكثر من العرض) بل يبذل المال لحفظ العرض وحسن الحال (ولا يبدل الدين بالدنيا) لقوله تعالى * اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (ولا يركب بقرة) ويجوز الحمل عليها (ولا يحرث على حمار) لانه خلق للحمل والركوب (فالكل خلق لعمل) اى على وفق العادة كما فى الفرس والجمل وقد ورد كل ميسر لما خلق له رواه الشيخان (ويركب على ما اصاب) اى صادفه من الفرس والحمار والبغل والبعير والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منها قال تعالى * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون * اى الفيل اذا كان الخطاب للعرب خاصة واما البعير فقال تعالى * ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم * وقال عز وعلا * وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * اى مطيقين وقال عز وعلا * اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا يشكرون * وقال عز شانه وعظم برهانه * وآية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون * فالبعير سفينة البر كما ان الفلك سفينة البحر (ويردف الخادم) اى وغيره سواء كان المركوب جملا او فرسا او حمارا (فالكل مأثور) فقد اردف النبى عليه السلام الفضل واسامة فى طريق عرفة عام حجة الوداع خلف ناقة واردف اباهريرة على حمار فى طريق قبا كما تقدم (وكان عليه السلام لا يدخل البيت) اى بيته (حتى يتصدق بفاضل النفقة) اى بما فضل من النفقة فى يده اوفى بيته (ويسعى فى الحاجات) اى فى قضائها بنفسه عند قدرته فاخرج احمد عن انس انه عليه السلام كان يذبح اضحيته بيده (ويخصف النعل) على حد صنعته (ويخيط الثوب) اى بقدر معرفته فقد اخرج ابن عساكر عن ابى ايوب انه عليه السلام كان يخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى اى من تركها تكبرا فليس على طريقتى (ويقطع اللحم) اى اذا كان نيا اوغير نضيج وهو ثابت فى السنة كما سبق وفى الشمائل عن جابر بن طارق قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيت عنده دباء يقطع فقلت ما هذا قال نكثر به طعامنا (ويشتغل بامور البيت مع امهات المؤمنين) فروى احمد عن عائشة كان يخيط ثوبه ويخصف

نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم وروى ابن سعد عنها كان يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة وفى رواية ابى يعلى عنها كان يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه (ولا يتكلف) اى وكان عليه السلام لا يتكلف فى شئ من الكسوة والطعام والضيافة والوليمة (ولا يحبه) اى التكلف من غيره بل يبغضه فاخرج الدارقطنى بسند ضعيف انا والاتقياء من امتى برآء من التكلف ويقويه ما فى مسند الفردوس من حديث الزبير بن العوام الا انى برئ من التكلف وصالحوا امتى واخرجه ابن عساكر فى تاريخه عنه بلفظ اللهم انى وصالحى امتى برآء من كل متكلف واخرجه عن الزبير ابن ابى هالة وهو ابن خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم بلفظ انا وامتى برآء من التكلف (ولا يصيد) اى بنفسه (ويحبه) اى يحبه من غيره (ويقبل الهدية ويكافى عليها) اى بمثلها او بازيد منها لقوله تعالى * واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها * اى او بمثلها على قول وفى البخارى وغيره عن عائشة كان يقبل الهدية ويثيب عليها (ويرد المقرونة بالمنة وان قلت) اى الهدية او المنة فانها كثيرة المؤنة وثقيلة المعونة (ويغتنم العبد) وكذا الجارية (ايام الرق) اى زمان العبودية مع القيام بحق الربوبية (لحسنته بعشرين) اى فاجره مرتين كما فى حديث ثم اقل الاجر فى حسنة عشر كما قال تعالى * من جاء بالحسنة فله عشر امثالها * فاذا كان له اجران فحسنته بعشرين حسنة (وتلزم المرأة قعر البيت) اى من المخزن ونحوه (فلا ترتفع) اى هى (عليه) اى على البيت والمعنى انها لا تسكن فى العوالى خصوصا اذا كان فيها شبابيك مشرفة على الحوالى (ولا تنظر الى الخارج) ولو كانت ساكنة فى الداخل (فنظرهن الى الرجال فتنة) اى فى حقهن كما ان نظر الرجال اليهن فتنة فى حقهم قال تعالى * قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم * وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن (وامرت ام سلمة بالاحتجاب عن الاعمى) اى مع انها من الازواج الطاهرات (ولا بأس) اى للمرأة (بالخروج فى المهم) اى الدينى والاخروى او الدنيوى الضرورى (فى اسوء هيئة) اى اخشنها من لباس الجمال (واخلى طريق) اى من الرجال حال كونها (متنكرة لمن يعرف) اى نسبها اوحسبها صيانة عن عرضها (غير مسمعة صوتها) اى اذا لم تكن ضرورة بها (ويتصدق) اى الشخص (بما بقى من طعام يستحيل) اى يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن ونحوهما (اذا ترك) اى كثيرا فانه تضييع للمال وتفويت لمقام الكمال (ويغتنم الصحيح بطول السلامة) فان فرعون مضى عليه اربعمائة سنة ولم يحصل له صداع ولا حمى مقدار سنة (فورد لا يخلو المؤمن من علة) اى مرض وضعف قوة (وذلة) ضد عزة بان يسلط عليه احد من الظلمة (وقلة) اى فاقة وحاجة وقد يجتمع عليه اذا كان من اهل عناية ورعاية وحماية واذا كان خاليا عنها فى بعض

الاوقات (فلابدوان يبتلى فى كل اربعين يوما بشئ منها و يسترجع) اى يقول * انالله وانا اليه راجعون (فى المصيبة) اى الحادثة (فهومأثور) اى مروى عنه عليه السلام وعن السلف الكرام (وممدوح فى القرآن) حيث قال تعالى * وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انالله وانا اليه راجعون * الآية وفى الحديث يسترجع احدكم فى كل شئ حتى فى شسع نعله فانها من المصائب ابن السنى عن ابى هريرة وقدورد من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب رواه ابن ماجه عن الحسن بن على (ويحترز عن الشق) اى شق الجيب (والضرب) اى على الوجه والصدر (والحلق) اى حلق شعر الرأس للمرأة واللحية للرجل (والنوح) وهو صياح اهل الميت (فهى) اى جميعها (منهى عنها اذهى رسوم الجاهلية) ففى الصحيحين عن ابن مسعود ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ولابى داود والنسائى عن ابى موسى ليس منا من سلق ومن حلق ومن خرق فالسلق رفع الصوت عند المصيبة ومنه قوله تعالى * سلقوكم بالسنة حداد * والحلق حلق الشعر والخرق خرق الثوب (ويئن المريض) فورد المريض انينه تسبيح وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه عبادة ونقله من جنب الى جنب جهاد فى سبيل الله يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدى احسن ما كان يعمل فى صحته فاذاقام ثم مشى كان كن لاذنب له الخطيب والديلمى عن ابى هريرة وقالا رجاله معروفون بالثقة الاحسين ابن احمد البلخى فانه مجهول (اذينا يخفف بعض مابه) اى من ثقل الالم (ذاكرا) اى حال كونه ذاكرا لله تعالى فيما اعطاه من النعم والمنن ومستعينا به فيما ابتلاه من المحن ومستغيثا به فى ايام الفتن ومستعيذا به عن حلول النقم (لاتأوها) اى بطريق الضجر والفزع من كثرة الهم والغم والا فقد مدح الله سبحانه سيدنا ابراهيم الخليل بقوله * ان ابراهيم لحليم اواه منيب * فاذا كان آه اوواه لله وفى تسليم امر مولاه ورضاه بقدره وفق ماقضاه يكون خيرا له فى دنياه وعقباه (ويعصب الرأس) اى يشده بعصابة تبعا للسنة واظهارا للعجز ولانه يخفف الصداع (وينام على الفراش) اى ولوكان دأبه ان لاينام عليه (استعانة على الصبر) اى على شدة المرض وحدة الامر (وتوقيا) اى واحترازا واحتراسا (عن التشدد) اى طلب شدة الامر باظهار التجلد فى الابتلاء للبلاء (ويستشفى) اى يطلب الشفاء (بالذكر) اى الجلى والخفى لشفاء الظاهر والباطن فان ذكر الحبيب شكر اللبيب وسكر الطبيب (والدعاء) فانه يرد البلاء ويهون القضاء اوالدعوات المأثورة للشفاء نحو اللهم عافنى واعف عنى واشفنى واسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة (والصلوة) لقوله تعالى * واستعينوا بالصبر والصلوة * اوالصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم لان فى ذكر الخليل شفاء العليل (والقرآن) لانه شفاء اهل الايمان ودواء اهل الايقان وشفاء اهل الطغيان

وخسران اهل العدوان قد قال تعالى * وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الاخسارا (لاسيما الفاتحة) لانها فاتحة كل خير ودافعة كل شر وضير (فورد انه) اى فاتحة الكتاب (شفاء من كل داء) اخرجه البيهقى فى الشعب من حديث عبدالله بن جابر وروى القشيرى ان آيات الشفاء وهى * ويشف صدور قوم مؤمنين * شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين * فيه شفاء للناس * وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين * واذا مرضت فهو يشفين * قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء * يكتب ويغسل و يشرب فانه مجرب (ويحتمى) اى حال الابتلاء خصوصا وقت الابتلاء (فهم) اى السلف (امروابه) اى بالاحتماء وقد قيل الاحتماء رأس الدواء واخرج الخلال من حديث عائشة مرفوعا الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد والازم الحمية واخرج ابن ابى الدنيا عن وهب بن منبه قال اجمعت الاطباء على ان رأس الطب الحمية فلايبعد ان يكون التقدير فهم اى الحكماء امروا بالاحتماء (ويداوى) اى فانه لايناقض التوكل ولاينافى (فورد تداووا عبادالله) اى اطلبوا دواء بعضكم من بعض ياعبادالله (مامن داء الاوله دواء الاالسام) اى الموت ففى مسند احمد والسنن الاربع وابن حبان والحاكم عن اسامة بن شريك مرفوعا تداووا عبادالله فان الله لم يضع داء الاوضع له دواء غيرداء واحد الهرم (ويستوهب مهر امرأته) اى يطلب الهبة من بعض مهرها ويأكله ففيه شفاء لقوله تعالى * فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * اى سائغا غيرضار ولاتنغص فيه فى الدنيا ولاتبعة معه فى الاخرى (واستوهب على رضى الله عنه امرأته) اى من مهرها (اواستقرض فى المعارضة) اى العلة (من مهرها) شك من الراوى (فاشترى به العسل) لقوله تعالى فيه شفاء للناس (ومزجه) اى خلطه (بماء السماء) اى المطر لقوله سبحانه * وانزلنا من السماء ماء طهورا (وشرب به فصار سبب الشفاء) اى حيث اجتمع فيه اسباب الدواء (هذا) اى مضى اوخذ هذا (وازالة السكنجبين الصفراء لايفارق ارواء الماء) اى كما قال الحكماء (الابالتعلق) اى تعلق السكنجبين فى ازالة الصفراء (بالنظر) اى التأمل (والتوقف على الشروط) اى المعتبرة التى ذكرها الاطباء فمن عرف المزاج وغلبة العلة وجودة الدواء ومقداره بحسب المزاج واقتداره لم يبق عنده فرق بين ازالة السكنجبين الصفراء وبين ارواء الماء بخلاف من لم يعرف ذلك فانه لاينفعه هنالك وهذا جواب سؤال مقدر يرد على قوله عليه السلام مامن داء الحديث فان السكنجبين مثلا ربما لايوافق لدفع الصفراء ويؤدى الى عطش مفرط فنقول استعماله موقوف بالنظر الى احواله ومتوقف على شروط استعماله والحاصل ان الدواء سبب لدفع الداء فمهما حصل السبب فيتلوه المسبب لامحالة فى الاغلب كما لجة الجوع بالطعام

والعطش بالماء الحلو البارد وانما يخالف نحو السكنجبين لتوقفه على شروط دقيقة يعرفها الاطباء والحكماء بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب وترتيبه فى الابواب بكمال قدرته وجمال حكمته فلا يضر المتوكل استعمال الدواء مع النظر الى مسببه دون الطبيب والدواء (ويحتجم) اذا كان المرض دمويا اومطلقا لما ورد الحجامة تنفع من كل داء الا فاحتجموا الديلمى عن ابى هريرة (فورد مامررت بملأ) اى جمع عظيم يملأ العيون من كثرتهم (من الملائكة) اى المقربين (الاقالوا بشرا متك بالحجامة) اى بالعافية والسلامة بسبب الحجامة (والاحب) اى الاولى ان تقع الحجامة فى النصف الاخير من الشهر لما رواه ابن ابى حبيب عن عبد الكريم معضلا الحجامة تكره فى اول الهلال ولا يرجى نفعها حتى ينقص الهلال (والانسب فى سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين فهو مأثور لاسيما) اى خصوصا (اذا اتفق يوم الثلثاء سبع عشرة) من الشهر (فوردهو) اى الاحتجام لسبع عشرة من الشهر فى يوم الثلثاء (دواء من داء سنة) رواه ابن سعد والطبرانى وابن عدى عن معقل بن يسار ولفظه الحجامة يوم الثلثاء لسبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة (الافى القفا فهو يورث النسيان) روى الديلمى عن انس مرفوعا الحجامة فى نقرة الرأس تورث النسيان فتجنبوا ذلك وقد احتجم عليه السلام فى يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الربيع ورواه ابن سعد عن انس الحجامة فى الرأس هى المغيثة امرنى بها جبريل حين اكلت طعام اليهودية وفى رواية العقيلى عن ابن عباس الحجامة فى الرأس امان من الجنون والجذام والبرص ووجع الاضراس والنعاس ورواه الطبرانى وابن السنى فى الطب عن ابن عمر وفى رواية الطبرانى وابو نعيم عن ابن عباس الحجامة فى الرأس شفاء من سبع اذا مانوى صاحبها من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها فى عينيه وفى رواية ابن ماجه والحاكم وابن السنى وابى نعيم عن ابن عمر الحجامة على الريق امثل وفيها شفاء وبركة وتزيد فى الحفظ وفى العقل فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الاحد واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء فانه اليوم الذى عافى الله فيه ايوب من البلاء واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذى ابتلى فيه ايوب ومايبدو جذام ولابرص الافى يوم الاربعاء اوفى ليلة الاربعاء وفى الصحيحين عن جابر مرفوعا ان كان فى شئ من ادويتكم خير ففى شرطة محجم اوشربة من عسل اولذعة بنار توافق داء وما احب ان اكتوى (ويجتنب الكى ففيه خوف السراية) اى سراية الم الكى الى الموت اوسراية المرض الى سائر الجسد (والرقية) اى ويجتنبها اذا لم يعرف معناها من مبناها (ونهى عنهما) اى عن الكى والرقية فروى الترمذى والحاكم عن عمر انه عليه السلام نهى عن الكى وفى الحلية عن ابن عباس

انه عليه السلام كان يكره الكى وفى رواية البزار عن انس سبعون الفا من امتى يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لايكتوون ولا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون واما الرقية بالقرآن والادعية المأثورة فلاشك فى جوازها بل فى استحبابها فكان عليه السلام يرقى اللديغ بالفاتحة سبع مرات رواه الترمذى وغيره عن ابى سعيد وكان ايضا يرقى المعتوه بالفاتحة ثلاثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها جمع بزاقه ثم تفله رواه ابوداود والنسائى وفى صحيح مسلم وغيره عن ابى سعيد بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس اوعين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك وروى ابن ماجه والحاكم عن ابى هريرة الا ارقيك برقية رقانى بها جبريل يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد ترقى بها ثلاث مرات واما قوله عليه السلام الشفاء بنت عبد الله علمى حفصة رقية النملة كما رواه ابو عبيد فى الغريب عن ابى بكر بن سليمان بن ابى خيثمة فقال الجلال السيوطى فى شرح ابى داود رقية النملة شئ كانت تستعمله النساء يعلم كل من يسمعه انه كلام لاينفع ولايضر ورقية النملة كما كانت تعرف بينهن ان يقال العروس تختضب وتنتعل وتحتفل وتكتحل وكل شئ يفتعل غيران لايعصى الرجل فاراد عليه السلام بهذا الكلام تأنيب حفصة وتوبيخها لانه القى اليها سرا وافشته (ويوصى بثلث المال) اى يجوز ان يوصى به ولو كان الافضل دونه ففى الصحيحين عن ابن عباس الثلث والثلث كثير وفيهما عن سعد انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس الحديث (وارضاء الخصوم) اى بالمال والاستحلال (وقضاء الدين) او طلب ابرائه (وفدية الصلوة والصوم) اى وبمقدار ان يفدى به الصلوات والصيام الفائتة لكل فرض ووتر نصف صاع وكذا لكل يوم صوم (فمن مات دون الوصية) اى الواجبة عليه وفى نسخة دونها اى بغير الوصية (لايؤذن له التكلم مع الموتى فى القبر الى يوم القيمة) رواه ابو الشيخ فى الوصايا عن قيس ولفظه من لم يوص لم يؤذن له فى الكلام مع الموتى وفى رواية ابن ماجه من مات على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له (ويغتنم الموت) اى علامات حلوله واما رات نزوله ففى الخبر تحفة المؤمن الموت رواه الطبرانى باسناد جيد عن ابن عمر به مرفوعا وذلك لانه وسيلة الى وصول مولاه وحصول لقاه وفى الصحيحين عن ابى موسى مرفوعا من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه (ولايشتغل) اى المحتضر (عنده) اى وقت حضور الموت (بغيره تعالى ظاهرا وباطنا) لقوله تعالى *ارجعى الى ربك راضية مرضية (ويقرأيس) اى بنفسه اويقرأها غيره فيستمعها (ففى الخبر اقرؤا على موتاكم يس) اى على من اشرف

على الموت رواه احمد وغيره عن معقل بن يسار (و يحضر الصلحاء) اى ليعينوه بالتلقين ويغيثوه بالدعاء فى شدة البلاء (ولا يكره السكرات) اى لانها من جملة المكفرات او من موجبات رفع الدرجات يستحب ان يقول اللهم اعنى على غمرات الموت وسكرات الموت رواه الترمذى عن عائشة مرفوعا (ويطيب ماحول البيت) اى ينظفه ويبخره وفى نسخة ماحول الميت وهو المحتضر او بعد تحقق الموت (فهو محضر الملائكة) اى ملك الموت واعوانه او الملائكة المبشرة لقوله تعالى * ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى انفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم (ويجتهد فى هدو الجوارح) اى سكونها عن الاضطراب فقد روى موتوا قبل ان تموتوا فى هذا الباب وينبغى ان يكثر الحمد فعن ابن عباس المؤمن بخير على كل حال ينزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى رواه النسائى (وو رد ارقبوا) بضم القاف اى انظروا الامن والامان على المريض وقت ظهور احوال تطرؤ عليه فى ذلك الزمان (عند ثلاث) اى من علامات لكل احد من اهل الايمان او الكفر ان كما فصله بقوله (اذا رشح جبينه) اى عرق وفى رواية ابى داود والترمذى والنسائى عن بريدة وصححه ابن حبان المؤمن يموت بعرق الجبين (وذرفت عيناه) اى سالت وذلك لان الدمعة علامة الرحمة (ويبست شفتاه) لانه من خوف مولاه (فهو) اى ماذكر من الخصال الثلاث (من رحمة الله تعالى قد نزلت به واذا غط) اى ارقبوا اذا غط (غطيط المخنوق) اى صوت صوته وهو الصوت الذى يخرج من نفس النائم او حال خنقه وصرعه (واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به) ومع هذا يحسن الظن بشانه و يحكم بايمانه لان الدليل المذكور ظنى فى مقام برهانه ولعله محمول على غالب احيانه (وكلمة التوحيد) اى ويجتهد فى اكثارها منه او من غيره تلقينا له ونيابة عنه (فورد من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله) اى وان محمدا رسول الله (دخل الجنة) اى استحق دخولها ولابد له من وصولها وفى الصحيحين عن ابن مسعود من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة وفى مسند احمد وغيره عن معاذ من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة (وحسن الظن بالله) اى ويجتهد فى حسن ظنه بربه ان يرحمه ويعفو عنه جرمه ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر لايموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى (فورد) فى الصحيحين (انا عند ظن عبدى بى) اى فى معاملتى معه فى الدنيا والاخرى (فليظن بى ماشاء) اى من العفو والعقوبة فان مصيره الى وحسابه على وان قضيت له من خير اوشر فلا مرد له لدى (والخوف والرجاء) اى ويجتهد فى الجمع بينهما (فورد لايجتمعان فى قلب عبد) اى مؤمن (الا اعطاه الله الذى يرجوه) اى من العفو (وامنه

الله الذى يخاف منه) اى من العقوبة (حين قال) ظرف ورد اى فى زمان قال (لمحتضر ارجو الله واخاف ذنوبى) وفى رواية البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا ولفظه ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا اعطاه الله عز وجل الرجاء وامنه الخوف (ويكره المخاط) اى الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا (الفجاءة) اى موت البغتة لقوله تعالى * عسى الله ان يتوب عليهم * فيموت الفجاءة يفوته التوبة واما رواية احمد عن عائشة مرفوعا موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف على الكافر فمحمولة على المؤمن الصالح اذ الفاجر فى حكم الكافر ولو من بعض الوجوه (دون الطاعون) اى لايكره فجاءته ففى الصحيحين عن انس الطاعون شهادة لكل مسلم (فورد من صبر فى ارض طاعون) اى ولم يخرج فرارا منه (كان له مثل اجر شهيد) وفى مسند احمد وصحيح البخارى عن عائشة الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من يشاء وان الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من احد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم انه لايصيبه الا ماكتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد وفى رواية لاحمد عنها الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف وفى رواية الطبرانى فى الاوسط عنها الطاعون شهادة لامتى ووخز اعدائكم من الجن غدة كغدة الابل تخرج فى الآباط والمراق من مات منه مات شهيدا ومن اقام فيه كان كالمرابط فى سبيل الله ومن فر منه كالفار من الزحف وفى مسند احمد الطاعون لايدخل مكة والمدينة اى لما فيهما من نزول السكينة

الباب الثامن فى الصحبة

للصحبة تأثير بليغ فى المنفعة والمضرة وان كان الشخص قويا فى كمال المرتبة قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين * وفى رواية النسائى عنه عليه السلام مابال قوم يصلون معنا لايحسنون الطهور فانما يلبس القرآن علينا اولئك وفى رواية احمد ومسلم عن ابى سعيد يا ايها الناس انها كانت ابينت لى ليلة القدر وانى خرجت اليكم لاخبركم بها فجاء رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة وفى رواية احمد والبيهقى عن ابن عباس انه قيل يارسول الله ابطأ عنك جبريل فقال لم لايبطئ عنى وانتم حولى لاتستنون ولاتقلمون اظفاركم ولاتقصون شواربكم ولاتنقون رواجبكم اى مفاصل انامكم هذا والنظر الى اهل الدنيا مضر لاهل العقبى كما يشير اليه قوله تعالى * لاتمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا * وذلك لانه سبب للغفلة عن المولى ومن هنا قال سعيد ابن المسيب لاتنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم الصالحة بخلاف ماورد النظر الى الكعبة عبادة كما رواه ابو الشيخ عن عائشة والنظر الى على عبادة كما رواه الطبرانى والحاكم عن ابى مسعود وعن عمران بن حصين وذلك لانهما وسيلتان الى ذكر الله وورد اولياء

الله الذين اذا رأوا ذكر الله (بسم الله الرحمن الرحيم) فهو اولى ما يصحب به لانه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم والصاحب اللئيم (وردان المتحابين) بتشديد الموحدة (فى الله) اى فى سبيله لابتغاء رضاه (على منابر من نور) اى الهى موجب لانواع من سرور توضع المنابر (حول العرش) اى فى مكان المقربين (لباسهم نور) اى مجرد او حرير يعلوه نور (ووجوههم نور) اى كنور شموس وبدور (يغبطهم النبيون والشهداء) اى يطلبون مراتبهم مع انهم من اكابر السعداء وهذا للمبالغة فى علو البهاء والمعنى ان حالهم عند الله بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم لغبطوهم فى علو امرهم ولا يبعد ان يراد به النبيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحابب مع الاولياء والاصفياء ويؤيده ما فى الاحياء انه روى ان الله تعالى اوحى الى نبى من الانبياء اما زهدك فى الدنيا فقد تعجلت به الراحة واما انقطاعك الى فقد تعززت بى ولكن هل عاديت فى عدوا وهل واليت فى وليا والحديث رواه الطبرانى عن معاذ ان المتحابين فى الله فى ظل العرش وفى رواية له عن ابى ايوب المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش قال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال له ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله قال هم المتحابون فى الله كذا فى الاحياء وقال مخرجه رواه احمد والحاكم فى حديث طويل ان ابا ادريس قال قلت والله انى لاحبك فى الله قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المتحابين لجلال الله فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذى من رواية ابى مسلم الخولانى عن معاذ بلفظ المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء وقال حسن صحيح ولاحمد من حديث ابى مالك الاشعرى ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا فى الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيمة منابر من نور فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيمة ولا يفزعون وهم اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وروى النسائى فى سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث ابى هريرة ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون فى الله والمتجالسون فى الله والمتزاورون فى الله (فالحب فيه تعالى) كل حب لولا الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو منبعث من الايمان ومستزيد بالايقان فاذا علمت

ذلك فاعلم ان الحب اما ان يكون لمعنى فى ذات المحبوب كحب الصور الجميلة والسير الحميدة الجليلة وهو حب بالطبع وشهوة النفس اذ هو منبعث منها واما ان يكون للتوصل به الى مقصود آخر ليس فى ذات المحبوب وذلك اما ان يكون نفس الدنيا او متعلقا بالآخرة واما ان يكون متعلقا بالله فالاول ليس من الحب فى الله لانه منبعث من الدنيا والثانى عد من الحب فى الله (كحب عالم) اى كحب العالم الذى (يستفاد من قوله وحاله) اى من جملة اقواله وسائر افعاله واخلاقه واحواله (وصالح يتبرك به) اى بدعائه واقباله وحسن مآله فى مناله اذ العالم يستفاد من علمه والصالح يستفاض من عمله وحلمه فى الدنيا ويرجى شفاعتهما فى العقبى فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة اخيك وروى فى غريب التفسير فى قوله تعالى * ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله * اى يشفعهم فى اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولذا حث جماعة من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا الانفراد والعزلة ولابى عبد الرحمن السلمى من حديث على مرفوعا من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين فالاخ الصالح ان نسى ذكره وان ذكره اعانه ويشير اليه قوله تعالى حكاية عن موسى * واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا * وفى رواية ابى داود من حديث عائشة رضى الله عنها اذا اراد الله بالامير خيرا جعل الله له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر اعانه ونقل فى الاحياء معنى الحديث وعبر عنه بقوله من اراد الله به خيرا رزقه اخا صالحا الحديث والاخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فمن عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعى فى الملكوت عظيما (وامرأة تفرغ) اى الرجل (للعبادة بتدبير امر البيت) وما يتعلق به من اصلاح حاله وحفظ ماله وصيانة دينه ولذا ورد فى الاخبار وفور الاجر والثواب للانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فى امرأته كما تقدم والله اعلم (وغنى يعطى مالا) اى قدر حاجة العالم او العابد (يصون الوقت) اى يحفظ وقتهما (عن الضياع فى الطلب) اى يحفظ وقتهما عن الضياع فى الطلب اى طلب ما لا بد لهما منه فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفاياتهم جماعة من اولى الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله (ومتعبد له تعالى) اى المبتدئ فى العبادة والمظهر لها المشير الى انه من اهل السعادة (فالمحب للشئ يحب لمحبه ومحبوبه) وقد ورد فى الدعاء اللهم انى اسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك (وكذا المبغض) اى للشئ مبغض لمبغضه ومبغوضه وفى الجملة من احب الله واحب رضاءه ولقاءه اذا احب غيره كان محبا فى الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبته لما هو محبوب عنده وهو رضاء الله ومن هنا قيل احب العالم جميعه لانه خلقه وصوره واحسن خلقه وقد قال

ابومدين المغربى *لاتنكر الباطل فى طوره *فانه بعض ظهوراته *وقدقيل ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وقال مجنون بنى عامر (شعر)

* امر على الديار ديار ليلى * اقبل ذا الجدار وذا الجدارا *
* وما حب الديار شغفن قلبى * ولكن حب من سكن الديارا *

فالمخلوقات باسرها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الجمالية فليس فى الكون سوى الله ومصنوعاته فمن احب انسانا احب صنعته ولذا كان عليه السلام اذا حمل عليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انه قريب عهد بربنا الطبرانى فى الصغير من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقته واما فى مقام الشريعة وطريقته فلا بد من اعطاء كل ذى حق حقه فينادى ويقال الهى ارنا الاشياء كما هى واللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وبذلك يتم الكمال فقد ورد اوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله رواه احمد من حديث البراء بن عازب وورد ايضا من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان رواه ابو داود عن ابى امامة (ويزدادان) اى الحب والبغض (بقوة الطاعة) وكثرتها (والمعصية) اى فى المحب والمحبوب (وينقصان بضعفهما) لانهما مترتبان على وجودهما ووجودهما يكون على قدر شهودهما وحد الحب فى الله ان كل حب لولا الايمان بالله واليوم الآخر لم يتصور وجوده فهو حب فى الله وكذا زيادة الحب وقد يغلب الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وانشد (شعر)

* اريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما اريد لما يريد *

وقال سمنون المحب * فليس لى فى سواك حظ *فكيف ماشئت فاختبرنى (فالادنى) اى ادنى مراتب الحب المعبر عنه بالمصاحبة (الاخوة) فعن انس ما احدث عبد اخا فى الله عز وجل الا احدث الله عز وجل له درجة فى الجنة ابن ابى الدنيا فى كتاب الاخوان (ثم المحبة) وهى الموجبة لزيادة الصحبة من الاخوة (وهى ماتمكن فى حبة القلب) اى سويدائه وخاصة اجزائه وخلاصة اثنائه فعن انس ما تحاب اثنان فى الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (ثم الخلة) بالضم اى الصداقة والمحبة الصادقة (وهى ماتخلل) اى توسط الحب وتداخل امره (فى سره) بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله (ولاشركة فيها) اى فى الخلة لاحدى سوى الله بل هى خاصة له سبحانه فلا بد من انفراد الخليل فى حب الجميل الجليل (فورد لو كنت متخذا خليلا) اى من المخلوقين (لاتخذت ابابكر خليلا) لكونه عندى جليلا (ولكن صاحبكم) يعنى نفسه (خليل الرحمن) اى وحبيبه فلا يسع فى قلبه خلة غيره والحديث رواه احمد والبخارى عن ابن الزبير

والبخارى عن ابن عباس بلفظ لو كنت متخذا من امتى خليلا لاتخذت ابابكر خليلا ولكن اخى وصاحبى وعن الزجاج الخليل هو الذى ليس فى صحبته خلل وقيل الذى يوالى فيه ويعادى به وقيل الخليل هو المحب المحض لشئ دون غيره ولهذا قال عليه السلام انى ابرأ الى كل خليل من خلته ولو كنت متخذا الحديث فهذا منه عليه السلام قطع المخالفة بينه وبين غيره من الانام واستشكل قول ابى هريرة وبعض الصحابة خليلى عليه السلام واجيب بان المنفى ان يتخذ هو خليلا وما نفى ان يتخذه غيره خليلا (بخلاف ماسواها) اى غير الخلة من المحبة والاخوة فانه يتصور الشركة فى كل منهما (فورد) اى فى الاخوة وكمال المحبة (على منى بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبى بعدى) رواه ابو بكر المطيرى فى جزئه عن ابى سعيد وفى رواية الطبرانى عن ابن عمر على اخى فى الدنيا والآخرة (فيصاحب العاقل) وهو العالم العامل (والحسن الخلق) وهو الفاضل الكامل وقد قال عليه السلام يا اباهريرة عليك بحسن الخلق قال ابوهريرة وما حسن الخلق يارسول الله قال تصل من قطعك وتعفو من ظلمك وتعطى من حرمك البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا عن ابى هريرة اذ لم يسمع منه (فاشتراطهما مأثور) وذلك لان مدار الصحبة والالفة عليهما فالبعد عن الاحمق والسيئ الخلق اولى واحق وقد ورد من حديث ابى هريرة برواية ابى داود والترمذى وحسنه والحاكم وقال صحيح ان شاء الله المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل فلا بد ان يتميز بصفات يرغب بسببها فى صحبته اما العقل فهو رأس المال لتحصيل الكمال وعن على كرم الله وجهه (شعر)

* ولاتصحب اخا الجهل فاياك واياه * فكم من جاهل اردى حليما حين واخاه *
* يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه * وللشئ على الشئ مقاييس واشباه *
* وللقلب على القلب دليل حين يلقاه * كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك

وقال الجنيد لان يصحبنى فاسق حسن الخلق احب الى من ان يصحبنى قارئ سيئ الخلق اقول وذلك لانه اذا غلب عليه غضب اوشهوة او بخل اوجبن اطاع هواه فى ذلك فيعاملك بمقتضى ما غلب عليه من الاخلاق هنالك فاذا غلب عليه غضب اجترأ عليك اوشهوة آثر نفسه عليك او بخل قطع بك احوج مايكون اليك اوجبن لم ينصرك بل ضرره يرد عليك (والقانع) اى يصاحبه (فصحبة الحريص سم قاتل) اى يسرى من حيث لايدرى (والصالح) اى ويصاحب المتقى فعن ابى ذر مرفوعا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة رواه الحاكم (فالفاسق) وهو مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة (يستحق المقت) وهو الغضب وهو ينافى الحب فقد قال الحسن مصارمة الفاسق قربان الى الله وقد يقال يحب الفاسق لاجل ايمانه ويبغض بسبب عصيانه لكن لابد من عدم قربانه ثم المبتدع اولى بان يجتنب فى صحبته سراية البدعة وعن عيسى عليه السلام تحببوا الى الله ببغض

اهل المعاصى وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا
ياروح الله فمن نجالسه قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى عملكم كلامه
ومن يرغبكم فى الآخرة علمه وقد قال على رضى الله عنه رجزا (شعر)

* ان اخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك *
* ومن اذا ريب زمان صدعك * شتت فيه شمله ليجمعك *

وقال بعض العلماء لاتصحب الا احد رجلين رجلا تتعلم منه شيئا من امر دينك اورجلا
تعلمه شيئا فى امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار فى الصحبة على المنفعة
فورد مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احديهما الاخرى وماالتقى مؤمنان
قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا رواه السلمى فى آداب الصحبة والديلمى
عن انس وفى الخبر المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن اخو المؤمن يكف عليه ضيعته
و يحوطه من ورائه ابوداود عن ابى هريرة اى يجمع عليه معيشته و يحفظ عليه حالته
وقوله المؤمن مرأة المؤمن اى يرى منه مالايرى من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة
عيوب نفسه ولوانفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة الوقوف على عيوب صورته الظاهرة وقال
الشافعى من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه
وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيمة تحت كنفه وفى ظل ستره و يوقفه على
ذنوبه سرا واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد و يستنطق جوارحهم
بفضايحهم بين العباد وقيل الاخوان ثلاثة احدهم مثل الغذاء لايستغنى عنه والآخر
مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثل الداء لايحتاج اليه قط ولكن
العبد قد يبتلى به وهو الذى لا انس فيه ولانفع منه وقال علقمة العطاردى فى وصيته
لابنه يابنى ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك واذا
صحبته زانك وان قصدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها
وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته اعطاك
وان سكت ابتدأك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك
واذا حاولتما امرا امرك واذا تنازعتما آثرك قال ابن اكثم قال لى المأمون فاين هذا
فقيل له اتدرى لم اوصاه بذلك قال لانه اراد ان لا تصحب احدا هنالك هذا وعن
الحسن بن على لايغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا
باعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون انبياءهم وليسوا معهم اقول وربما يقال
ان الكفر حجبهم ومنعهم واما الايمان فيرجى ان يجمعهم فورد من احب قوما حشر
معهم كما اورد الحاكم وقد يقال محبتهم لانبيائهم ليست خالصة لله بل لكونهم
من انبيائهم ولذا ورد من احب ان يجد طعم الايمان فليحب المرء لايحبه الا لله تعالى
رواه الطبرانى عن ابى هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع انى لاحبك فى الله فقال احبك

الذى احببتنى لاجله ثم حول وجهه وقال اللهم انى اعوذبك ان احب فيك وانت لى
مبغض وفى الجملة كما ورد الارواح جنود مجندة فماتعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف رواه مسلم من حديث ابى هريرة والبخارى تعليقا من حديث عائشة و رواه
الطبرانى فى الاوسط عن على ان الارواح فى الهواء جند مجندة تلتقى فتشام وعنه
عليه السلام ان ارواح المؤمنين لتلتقى على مسيرة يوم ومارأى احدهم صاحبه احد
من حديث عبدالله بن عمر فالجنسية علة الضم فروى ان امرأة بمكة كانت تضحك
النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عائشة رضى الله
عنها فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرت لها فقالت صدق الله ورسوله سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الارواح جنود مجندة الحديث رواه الحسن
ابن سفيان فى مسنده وعنه عليه السلام لوان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق
ومؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولوان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن
ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه البيهقى فى الشعب موقوفا على ابن مسعود ومن هنا
قيل ان لله ملائكة تجر الاهل الى الاهل و يشير اليه قوله تعالى * وهو على جمعهم
اذا يشاء قدير * وقال بعض الحكماء كل انسان يأنس الى شكله كما ان كل طير يطير
مع مثله واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا فى الحال فلابد ان يفترقا
فى الاستقبال ورأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل
واحد ثم طارا فاذاهما اعرجان فقال من هنا اتفقا هذا وقد اختلف طرق السلف
فى اظهار البغض مع اهل المعصية واتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة
وكل من عصى الله بمعصية يجاوزت منه الى غيره فاما من عصى الله فى نفسه فمنهم من نظر
بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان
احمد بن حنبل يهجر الاكابر فى ادنى كلمة حتى هجر يحيى بن معين فى قوله انى لااسأل
احدا شيئا ولو حمل السلطان الى شيئا لاخذته وهجر الحارث المحاسبى فى تصنيفه
للرد على المعتزلة وقال انك اولا تورد شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها ثم ترد
عليهم وهجر اباثور فى تأويله قوله عليه السلام كما فى مسلم من حديث ابى هريرة
ان الله خلق آدم على صورته كذا ذكره فى الاحياء ولم يبين تأويله فقيل على صفته
الجمالية والجلالية اوعلى صفته من السمع والبصر والكلام وقيل الضمير فى صورته لآدم
والله اعلم والحاصل ان مختار الامام احمد ان هذا الحديث من احاديث الصفات المشكلات
كالآيات المتشابهات نؤمن بمبناها ولانتعرض لمعناها مع اعتقاد نزاهة الله سبحانه
عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها واما الجمهور فاختاروا مهاجرة اهل المعصية
للعلم بان الذين شربوا الخمر وتعاطوا فواحش الامر فى زمانه عليه السلام وايام
اصحابه الكرام فلم يكونوا يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى من يغلظ

القول فيه و يظهر البغض اليه والى من يعرض عنه ولم يتعرض للاذيه والى من ينظر اليه بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه الامة فانهم اتباع نبى الرحمة ومما يدل على تخفيف الامر فى الفسق القاصر الذى هو بين العبد و بين الله ماروى البخارى من حديث ابى هريرة ان شارب خمر ضرب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات وهو يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر مايشرب فقال عليه السلام لاتكن عونا للشيطان على اخيك (و يقدم حاجته) اى حاجة اخيه (فى المال) اى اعطائه (والنفس) اى حظها (وهو) اى التقديم (الاولى) اى لانه المقام الاعلى لقوله تعالى * و يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة * اى مجاعة ولقد كان بعض الانصار ممن آخا النبى صلى الله عليه وسلم بينه و بين احد من المهاجرين انه اعطاه احسن داريه وانمن بستانيه واحسن امرأتيه وقال ابن عمر اهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال اخى فلان احوج منى فبعث به اليه فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان تداوله سبعة و قيل اربعون (ثم التسوية) اى المساواة فى المال بينه و بين اخيه على السوية فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله واحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف فقال له عبد الرحمن بارك الله لك فى اهلك ومالك رواه البخارى من حديث انس (ثم التأخير) اى تأخير حق صاحبه عن حق نفسه فان فضل منه شئ فليصرفه الى اخيه (وان عدم هذا) اى الاخير وهو التأخير (فلا اخاء) بل هو فى مقام التقصير (والاولان) اى التقديم والتسوية (مأثوران) اى مرويان عن السلف الكرام كما قدمنا (وورد ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيه حق الله تعالى او اضاعه) وفى نسخة ام اضاعه (حين اعطى) اى ورد الحديث المتقدم حين اعطى (عليه السلام اقوم المسواكين) اى اعدلهما (الى المصاحب وهو ابو بكر الصديق وقال انت احق به يارسول الله) فقال ماقال وفى الاحياء ان اقتداء الكل فى الايثار برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها سواكين احدهما معوج والآخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يارسول الله كنت احق بالمستقيم منى فقال ما من صاحب الحديث قال مخرجه لم اقف له على اصل اقول لكن رواه ابن جرير الطبرى كما ذكره ابن عطية فى تفسيره (امرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) اى كانوا اخلاطاء فى الاموال لايميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لايصحب من قال نعلى لانه اضافه الى نفسه (وكانوا لايميزون املاكهم) كما حكى عن ابراهيم بن شيبان كنا لانصحب من يقول نعلى وقال ابو محمد القلانسى وكان من استاذ الجنيد صحبت اقواما بالبصرة فاكرمونى

فقلت مرة لبعضهم اين ازارى فسقطت من اعينهم ومن هنا قيل الصوفى لايملك ولا يملك فهو كالملك (و يظهر البشاشة فيه) اى فى انفاق صاحبه (والسرور) اى الفرح بسببه فقد جاء فتح الموصلى الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه فاخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل وذلك لانه دل على صداقته كما حقق فى قوله تعالى * او صديقكم * وقال تعالى * او ما ملكتم مفاتحه * وكان الاخ يدفع مفاتيح بيته الى اخيه و يفوض اليه التصرف فيه وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى انزلت هذه الآية واذن لهم فى الانبساط فى طعام الاخوان والاصدقاء (ويقبل المنة) اى على نفسه بقبول المصاحب احسانه فقد جاء رجل الى ابى هريرة وقال انى اريد ان اواخيك فى الله فقال اتدرى ما حق الاخاء قال عرفنى قال الاتكون احق بدينارك ودرهمك منى فقال لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عنى وقال على بن الحسين لرجل هل يدخل احدكم يده فى كم اخيه او كيسه فيأخذ منه مايريد بغير اذنه قال لا قال فلستم باخوان وجاء رجل الى ابراهيم بن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اريد ان ارافقك فقال له ابراهيم على ان اكون املك لشيئك منك قال لا قال اعجبنى صدقك (ولا يحوجه) اى اخاه (الى السؤال) اى اصل الطلب او مقداره بل يبادره للمواساة بالمال قبل كشف الحال (فهو) اى الاحواج الى السؤال (تقصير) فى مقام الكمال فان ادنى الاعانة هو القيام بالحاجة عند السؤال وقد قال ابو سليمان الدارانى كان لى اخ بالعراق فكنت اجيئه فى النوائب فاقول اعطنى من مالك شيئا وكان يلقى الى كيسه فآخذ منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شئ فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه من قلبى وقال بعضهم اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا تصنع به فقد ترك حق الاخاء قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسى فان لم يقضها فتوضأ للصلوة و كبر عليه اربع تكبيرات واقرأ هذه الآية * والموتى يبعثهم الله * وكان فى السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم و يتردد كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لايفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه مالا يرون من ابيهم فى حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه و يسأل و يقول هل لكم زيت هل لكم ملح هل لكم حاجة فكان يقوم بها من حيث لايعرفه اخوه وقال ميمون بن مهران من لم تنتفع بصداقته لاتبال بعداوته وكان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا بالدنيا واخواننا يذكروننا بالعقبى (و يتودد باللسان) اى بالكلام مرة وبالسكوت تارة فقد ورد رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر الطبرانى فى الاوسط عن على بن الحسين عن ابيه عن جده فقال انس كان عليه السلام لايواجه احدا

بشئ يكرهه رواه الترمذى وغيره ولكن مدارا الصحبة والاخوة على النصيحة بل ورد
ان الدين النصيحة فمن قنع بالسكوت صحب اهل القبور فى البيوت وينبغى ان تعلم انك
لوطلبت منزها من كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه ساعة
كما ورد الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة واخبر تقله وانشد

(شعر) * اتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر *

فما من احد من الناس الاوله محاسن ومساوى فاذاغلبت المحاسن المساوى فهوا لغاية
والمنتهى فى المنى وفى الصحيحين لا تجسسوا ولاتحسسوا ولا تقاطعوا ولاتدابروا
وكونوا عبادالله اخوانا فالتجسس بتطلع الاخبار والتحسس بالمراقبة بالابصار
فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن الذنوب شيمة اهل الدين من التخلق باخلاق
علام الغيوب فورد يامن اظهر الجميل وستر القبيح (ويتفقد الاحوال ويظهر
المشاركة معه فى السراء والضراء) فورد لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه
مايحب لنفسه رواه الشيخان وقد نظر ابوالدرداء الى ثورين يحرثان فى فدان
فوقف احدهما يحك جسمه فوقف الآخرفبكى ابوالدرداء وقال هكذا الاخوان
فى الله يعملان لله فاذاوقف احدهما وافقه الآخر وفى المثل لولا الوئام لهلك الانام
وقدورد المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى
كله احمدومسلم عن النعمان بن بشيرولا يصحبن احدا لايرى لك من الفضل كمثل ماترى
له (ويدعوه باحب الاسماء) اى اسمائه فى حال ندائه فعن عمر رضى الله عنه ثلاث
تصفين لك وداخيك ان تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه باحب اسمائه
اليه (وورد اذا احببت احدا فاسأله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله) رواه البيهقى
عن ابن عمر ولفظه اذا آخيت رجلا فاسأل عن اسمه واسم ابيه فان كان غائبا حفظته
وان كان مريضا عدته وان مات شهدته وفى رواية ابن سعدو البخارى فى تاريخه والترمذى
عن يزيد بن نعامة الضبى بلفظ اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم ابيه
وممن هوفانه اوصل بالمودة وممن هواى من اى قوم وقبيلة هو (وكان عليه السلام
يدعوهم) اى اصحابه الكرام (بالكنى) اذاكانوا معروفين بالكنية كابى بكر ونحوه
حتى قال يااباعمير مافعل النغير (ويثنى عليه) اى على اخيه (وعلى اهله) اى من ابيه
وبنيه بل على صنعته وفعله وخلقه وهيئته وعقله وجميع مايفرح به حال كونه
(صادقا) فى قوله (مقتصدا) اى متوسطا فى مدحه لامقصرا ولامفرطا فى وصفه
ويكون معلنا به (بحيث يبلغ اليه فهو يؤكد المحبة) اى يزيدها لديه (وينبه على
العيوب) اى الناشئة من الذنوب (متلطفا) فى بيانها (فى الخلاء) خوفا من الفضيحة
فى الملاء فورد المسلم مرآة المسلم فاذا رأى به شيئا فليأخذه ابن منيع عن ابى هريرة وقد قيل
لمسعر تحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحنى فيما بينى وبينه فنعم وان قرعنى

فى الملاء فلا ومن عمر رضى الله عنه رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسى وقال لسلمان وقد
قدم عليه ما الذى بلغك عنى مما تكره فاستعفى فالح عليه فقال بلغنى ان لك حلتين
تلبس احديهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغنى انك جمعت بين ادامين على مائدة
واحدة فقال عمر اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما فقال لا وكتب
حذيفة المرعشى الى يوسف بن اسباط بلغنى انك بعت دينك بحبتين وقفت على
صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت بثمن فقال هولك وكان يعرفك
(فى الملاء افضاح) اى اشاعة فيها فضاعة وايضاح (وفيه) اى فى الافضاح (اوعد
بعقابه تعالى يوم القيمة) لقوله سبحانه *ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين
آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة* وهذا كله فى عيب وهو غافل عنه فانه يرجى
النفع منه (ويسكت ان علم علمه به) اى بعيبه (وعدم انتفاع النصح) اى بسببه
(لكونه مأسور الطبع) لامقهور الشرع (والقطع حينئذ) اى قطع مصاحبته (اسلم)
بل انسب (والابقاء) اى ابقا اخوته (اقرب لرجاء تأثير الصحبة فيه) فيقبل
النصيحة بعده وقيل القطع اولى لمن كان ضعيفا والابقاء لمن كان قويا (فورد
مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك) البخارى عن ابى موسى ولفظه مثل الجليس
الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لايعدمك من صاحب المسك
اما تشتريه اوتجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك اوثوبك اوتجد منه ريحا خبيثة
(ولان القطع منهى عنه) اى فى الانتهاء لحديث من هجر اخاه سنة فهو كسفك
دمه احمد فى مسنده (بخلاف الابتداء فتركه مأمور به) لئلا يقع فى البلاء بحديث
لاتصاحب الامؤمنا اى كاملا احمد وغيره (ويتجاهل عن تقصيره) اى فى خدمته
اوصحبته قال الاحنف حق الصديق ان يحتمل منه ثلاثة ظلم الغضبة وظلم المذلة وظلم
الهفوة (الااذا ادى الاستمرار الى القطع) اى جواز مقاطعته (فالاولى الاحتمال)
وهو مختار اهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون فى ادامة مودته اومقاطعته
فذهب ابوذر الى الانقطاع فقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث
احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب فى الله والبغض فى الله واما ابو الدرداء وجماعة
من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذاتغير اخوك وحال عما كان عليه
فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وفى الخبر اتقوازلة العالم
ولاتقطعوه وانتظروا فيئته البغوى فى المعجم وابن عدى فى الكامل من حديث عمرو
ابن عوف المزنى (ثم العتاب فى السر) حكى عن اخوين من السلف انقلب احدهما
من الاستقامة فقيل لاخيه الاتقطعه وتهجره فقال احوج ماكان الى فى هذا الوقت
لما وقع فى عثرته ان آخذ بيده واتلطف له فى المعاتبة على المخالفة وادعوله بالعود
الى ماكان عليه من الموافقة (والكتابة بالكناية ثم التصريح) اى فى السر والكتابة والاظهر

ان السر فى السر والعلانية فى العلانية ففى حديث عمر وقد سئل عن اخ كان اخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال مافعل اخى فقال ذلك اخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع فى الخمر فقال اذا اردت الخروج فآذنى فكتب عمر عند خروجه اليه * بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير * ثم عاتبه تحت ذلك وعزله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لى عمر فتاب ورجع (ثم المشافهة) اى ان كان غائبا ولم يتعظ بصريح المكاتبة فى المعاتبة (اذ المقصود) اى الاصلى (اصلاح النفس برعاية الحق) اى حق المصاحبة (وتحمل الاذى) على رجاء المراجعة فقد قيل لابى الدرداء الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله ولعله اقتبس من قوله تعالى * فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون * حيث لم يقل انى برئ منكم مراعاة لحق القرابة واخوة الدين آكد من اخوة القرابة ولذا قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك اوصديقك فقال انما احب اخى اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذا قيل القرابة تحتاج الى المودة والمودة لاتحتاج الى القرابة (ويقبل المعذرة) اى وجوبا (فعلى من لم يقبلها مثل اثم صاحب المكس) وهو الذى يأخذ المال ظلما من التاجر كالعاشر وقد ورد من اعتذر اليه اخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل خطيئة صاحب المكس رواه ابن ماجه وابو داود فى المراسيل من حديث جوذان واختلف فى صحته وباقى رجاله ثقات ورواه الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر بسند ضعيف هذا وقد قيل ينبغى ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فردا للوم على نفسك وقل لقلبك مااقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلاتقبله وانت المعيب لا اخوك (ويدعوله) اى فى الحضور والغيبة (فيستجاب فيه) اى فى حق اخيه (مالا يستجاب لنفسه) فعن عبدالله بن عمرو ان اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب ابو داود والترمذى وعن ابى الدرداء دعوة الاخ لاخيه مستجابة رواه مسلم (وله مثل ذلك) ففى صحيح مسلم من حديث ابى الدرداء اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك بمثل ذلك (ويحفظ الوفاء) اى وفاء العهد قال تعالى * واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم (بالثبات على المحبة معه ومع اهله واخوانه) اى فى حال غيبته وبعد موته وبعد زمانه (وكانوا) اى السلف (يبالغون فيه) كما تقدم وورد قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى الحيوة (فيحبون كلب الحبيب) اى مراعاة لقلب الحبيب ويشير اليه قوله سبحانه وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولله در القائل (شعر)

* رأى المجنون فى البيداء كلبا * فمد له من الاحسان ذيلا *

* فلاموه على ما كان منه * وقالوا لم منحت الكلب نيلا *

* فقال دعوا الملامة ان عينى * رأته مرة فى حى ليلى *

(وودانها) اى العجوز (كانت تأتينا ايام خديجة وان كرم العهد) اى حسنه وبقاءه (من الايمان) اى كماله (حين) اى ورد حين (اكرم عليه السلام عجوزا) اى دخلت عليه فقيل له فى ذلك فقال انها الحديث (والاصل) اى فى حقوق الصحبة (تسوية الظاهر والباطن والغيبة والحضور) والا فلا يكون مراعيا موافقا بل يكون مرائيا منافقا (ولايغير الحال) اى من التواضع فى الفعل والقال (عند ارتفاع القدر) اى باتساع الجاه اوزيادة المال (فهو من اللؤم) اى الدناءة والخساسة واصل اللؤم ضد الكرم ولقد قال بعض ارباب الكمال (شعر)

* ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن *

واوصى بعض السلف ابنه فقال يابنى لاتصحب من الناس الامن اذا افتقرت اليه قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وحكى الربيع ان الشافعى آخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولى السيبين وهما نهران احدهما بالبصرة والآخر فى ذنابة الفرات فتغيرله عما كان عليه فكتب الشافعى هذه الابيات اليه (شعر)

* اذهب فودك من ودادى طالق * ابدا وليس طلاق ذات البين *

* فان ارعويت فانها تطليقة * ويدوم ودك لى على ثنتين *

* واذا امتنعت شفعتها بمثالها * فتكون طلقتين فى حيضين *

* فاذا الثلاث اتتك منى بتة * لم يغن عنك ولاية السيبين *

(ولا ينفرد عنه فى اكل اللذيذ) وكذا شربه وفى لبسه بل ينبغى ان يؤثره على نفسه (وحضور السرور) لانه بحضوره يحصل نور على نور (ويستوحش) اى يحزن (عند فراقه) اى لكمال اشتياقه اليه وقد قيل (شعر)

* وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الاحباب هينة الخطب *

اى سهل الامر وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت اقوا نا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ماتخيل لى ان حسرتهم ذهبت من قلبى وانشدت عائشة رضى الله عنها * ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * البيت (ويساعده) اى يوافقه فى الامور (الا فيما يخالف الحق) فقد ورد لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق احمد والحاكم عن عمران وفى الصحيحين عن على لاطاعة لاحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف وفى رواية احمد عن انس لاطاعة لمن لم يطع الله (فالوفاق) اى الوفاق (فيه) اى فى الخلاف (هو الخلاف) اى الشقاق (ويشاوره) لقوله تعالى * وامرهم شورى بينهم (ولا يحفظ السر عنه) حيث لايخاف الشر منه (ولا يحب عدوه لئلا يكون شريكاله فى العداوة) اى ومن الوفاء ان لايصادق عدو صديقه قال الشافعى

اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك (ويخفف) اى ثقالة الصحبة ومؤنة الكلفة (بترك التكلف) اى فى نفسه (والتكليف) لصاحبه (فى اداء الحقوق وغيرها) والمراد بها مايلزم مروة لالزوما شريعة قال بعض الحكماء تمام التخفيف بطى بساط التكليف حتى لايستحى منه فيما لايستحى من نفسه ومن هنا قيل اذا ثبتت المحبة سقط الادب وقال على رضى الله عنه شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراته والجاك الى اعتذار فى حالاته وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقيل لبعضهم من نصحب قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وعن جعفر بن محمد اثقل اخوانى على من يتكلف لى واتحفظ منهم واخفهم على قلبى من اكون كما اكون وحدى والحاصل انه لاينبغى ان يكلف اخاه مايشق عليه فى حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ومشقات مؤناته ولا يكلفه التواضع له والتفقد لاحواله والقيام بحقوقه بل لايقصد بمحبته الا الله تبركا بدعائه واستيناسا بلقائه واستعانته على دينه وتقربا الى الله تعالى فى تقوية يقينه وقال بعضهم كن مع ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الآخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت يعنى لانهم كل مايرونه انما يرونه من الرب ولاينظرون الى السبب وقال آخر لاتصحب الا من يتوب عنك اذا اذنبت ويعتذر عنك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك مؤنة نفسه وهذا عزيز الوجود فى ميدان الشهود (كنوافل العبادة تركا واتيانا) اى فعلا قال الامام حجة الاسلام ومن التخفيف وترك التكلف والتكليف ان لا يعترض فى نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معان ان اكل احدهم الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل له نم وتستوى حالاته عنده بلامزيد ولانقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل من سقطت كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته ومن مفادات شيخنا العارف بالله الولى نور الدين على المتقى فى هامش هذا الكتاب الموجز النقى اعلم ان الله تعالى خفف على عباده فى عبادات النوافل تخفيفين احدهما انه خفف فى اصل التكليف يعنى اذا لم يأت الشخص بعبادة النفل رأسا لايكلف عليه ولا مؤاخذة لديه وثانيهما فى وصفه من التكلف لجواز صلوة النفل حالة القعود مع القدرة والركوب متوجها الى اى جهة ونحوها فينبغى للصاحب ان يتخلق باخلاق الله تعالى ويخفف فى حقوق الصحبة مثل هذا التخفيف فى عبادة النافلة مثلا اذا اشترط المصاحبان على انفسهما شرطين با قال احدهما على مؤنة الملح الطبخ وقال الاخر على تحصيل الماء والحطب

فاذا قصر احدهما فى شرطه بان لم يأت باصل الشرط مطلقا فلايؤاخذه لان التكلف متروك فى النفل واذا اتى باصل الفعل ولكن اتى بترك التكلف بان طبخ طعاما مالحا اوقليل الملح فلايؤاخذه لان التكلف متروك ايضا وعلى هذا القياس ينبغى فى جميع حقوق الصحبة مراعاة هذه القاعدة الصعبة فلله در المؤلف حيث اتى بهذه العبارة الوجيزة فى مبانيها مع كثرة معانيها (فورد انا واتقياء امتى برآء من التكلف) الدارقطنى فى الافراد من حديث الزبير بن العوام ولفظه الا انى برئ من التكلف وصالحوا امتى واسناده ضعيف ويقويه قوله تعالى * قل مااسألكم عليه من اجر وماانا من المتكلفين * اى المتقولين القرآن من تلقاء نفسى فمن يقول شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف فى امره وكذا الحكم فى فعله (ويرفع الآداب) اى من القيام والاعتذار ونحوهما مع اهل الوداد (عند تمام الاتحاد) فعند كمال الانبساط مع الاصحاب يطوى بساط الادب (فالمقصود صفاء القلب) مع احباب الرب (والادب) اى الظاهر (عنوانه) فاذا عرف اصل المكتوب فلايحتاج الى عنوانه من المطلوب (ويزور) اى صاحبه (غبا) اى يوما بعد يوم او وقتا بعد وقت (فورد زرغبا تزدد حبا) لحصول الاشتياق الى الوصال (الان يأمن من الملال) اى الموجب للقطع فى الاستقبال (وينوى فيه) اى فى التزاور (الاستيناس) اى طلب الانس (باللقاء) اى لقاء اهل اليقين (والاستعانة على الدين) كما هو شان المجتهدين (والتقرب اليه تعالى باقامة الحق) اى حق الاخوة والصحبة (ويحمل المؤنة) اى كلفة الالفة ففى مسند احمد وغيره عن ابن عمر المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن الذى لايخالط الناس ولايصبر على اذاهم وفى رواية الدار قطنى عن جابر المؤمن يألف ويؤلف ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف خير الناس انفعهم للناس وقد قال تعالى * واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا * الآية هذا وجاء فى الخبر ان الله يقول حقت محبتى للذين يتزاورون من اجلى وحقت محبتى للذين يتحابون من اجلى احمد من حديث عمرو بن عنبسة وعبادة بن الصامت والحاكم وصححه وعن انس مازار رجلا فى الله الاناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة رواه ابن عدى والترمذى وابن ماجه من حديث ابى هريرة من عاد مريضا اوزار اخا فى الله ناداه مناد من السماء طبت وطابت ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وعنه عليه السلام ان رجلا زار اخاله فى الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ازور اخى فلانا فقال لحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك وبينه قال لا قال فلنعمة له عندك قال لا قال فبم قال احبه فى الله قال فان الله ارسلنى اليك يخبرك بانه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة رواه مسلم من حديث ابى هريرة (ويسلم على المسلم) صغيرا او كبيرا غنيا او فقيرا لحديث افشوا السلام واطعموا الطعام الترمذى عن ابى هريرة وفى رواية الحاكم

عن ابى موسى افشوا السلام بينكم تحابوا وفى رواية البيهقى من حديث هانى بن يزيد ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام (وان لقيه مرارا) اى مرة بعد مرة لعموم قوله عليه السلام حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه رواه مسلم (او حالت شجرة او جدار) وكذا اسطوانة (ناويا) اى بهذا السلام (تجديد عهد الاسلام) اى و (ان لا يؤذى) بصيغة المعلوم او المجهول (فى عرضه وماله) اى وسائر احواله (قبل الكلام) متعلق بيسلم اى يأتى بالسلام قبل ان يشرع فى الكلام فانه تحية اهل الاسلام حتى فى دار السلام (فورد من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبه) اى لا ترد عليه الكلام (حتى يبدأ بالسلام) اى و يترك الابتداء بالكلام والحديث رواه الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية عن ابن عمر ولفظه من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه (وعند الدخول فى بيته) اى يسلم على اهله فللترمذى عن انس انه قال عليه السلام له اذا دخلت على اهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى اهل بيتك (و بيت غيره) اى كذلك (لئلا يدخل الشيطان معه) لحديث جابر اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته الخرائطى فى مكارم الاخلاق (وهو مأمور به) اى فى قوله تعالى * فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم * اى على جنسكم من المسلمين (وان كان) اى البيت (خاليا) وهو اعم من بيته و بيت غيره (فتحيته) اى حينئذ يكون بلفظ (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فالملائكة) اى الحفظة او الكتبة (ترده) فانهم من جملة عباد الله الصالحين (والدخول) اى و يسلم عند دخوله (فى قوم) اى على قوم وهو ظاهر متعارف (والخروج) اى و يسلم ايضا عند خروجه (عنهم ليكون مشاركا لهم فى كل خير) اى ابتداء وانتهاء ولان السلام الاول للملاقاة والثانى للموادعة ولعل هذا وجه التكرار فى قوله سبحانه * لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما * ولابى داود والترمذى وحسنه من حديث ابى هريرة اذا انتهى احدكم الى مجلس فليسلم فان بدا له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم فليست الاولى باحق من الاخرى (و يبدأ به) اى بالسلام (فهو المروى) اى عنه عليه السلام انه كان يبدأ بالسلام كما فى الشمائل وفى نسخة بدر وفى مسند احمد عن ابى امامة من بدأ بالسلام فهو اولى بالله ورسوله وقد قال العلماء ان هذه سنة اجرها اكثر من جواب السلام مع انه فرض وذلك لما فى البدء به من التواضع ولانه تسبب فى اداء الفرض وقد ورد اذا مر الرجل بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا رد عليه ملأ خير منهم واطيب البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبزار عنه مرفوعا السلام اسم من اسماء الله وصفه الله فى الارض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم فسلم عليهم الحديث (ولا يسلم على جمع النساء) اى من الاجانب (و يرد عليهن) اى اذا سلمن عليه فان

الرد فرض فلا يترك لتوهم الوقوع فى الريبة وكان انس يمر على الصبيان فيسلم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه فعل ذلك رواه الشيخان وفى النسائى عن انس انه عليه السلام كان يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح رؤسهم (ولا) اى ولا يسلم (عند تلاوة القرآن) اى لا على تاليه ولا على مستمعيه لئلا يقع خلل فيه (والاذان) لاشتغال المؤذن والمجيب به (وقضاء الحاجة ونحوها) اى من الحمام وكشف العورة وحالة الجماع (فلا يتكلم فيها) اى مطلقا فضلا عن السلام ورده وعن ابن عمر ان رجلا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبول فلم يرد عليه (ولا للعب) اى ولا يسلم عند لاعب (بالشطرنج) اى على لاعبه ولا على من معه من صاحبه (ونحوه) اى النرد ومجالس الشرب وآلات الغناء وامثالها (اهانة ولا يرد فيها) اى فى المذكورات التى لا يسلم فيها (و يزيد فى الجواب) اى بطريق الاستحباب (فوردوا اذا حييتم بتحية) اى اذا سلم عليكم بسلام وقيل السلام عليكم (فحيوا باحسن منها) اى بالزيادة عليها فقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (او ردوها) اى قولوا فى جوابها مثلها (والاولى بالبداءة) اى بابتداء السلام (الداخل) على المدخول عليه (والماشى) على القاعد ونحوه (والراكب) على النازل (والصغير) على الكبير (والقليل) على الكثير ففى الصحيحين عن ابى هريرة يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير واذا بلغ سلاما من احد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته رواه الستة عن عائشة او وعليك وعليه السلام رواه النسائى عن انس كذا فى الحصن فيجوز الاكتفاء بالاول والجمع بينهما افضل واو للتنويع فى اختلاف الرواية وفى الاذكار يعنى اذا بعث انسان مع انسان سلاما فقال الرسول يسلم عليك فلان يجب عليه ان يرد على الفور ويستحب ان يرد على المبلغ ايضا فيقول وعليك وعليه السلام ثم الافضل ان يقول المسلم السلام عليكم بصيغة الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ويأتى بواو العطف ويجوز تنكير السلام ايضا واما الجواب فاقل الاستحباب وعليك السلام او وعليكم السلام فان حذف الواو فقال عليكم السلام اجزأه ذلك وفى الصحيحين عن ابى هريرة خلق الله عزوجل آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على اولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يجيبونك انها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوا ورحمة الله انتهى وفيه دليل على ان السلام عليك يصلح للتحية وجوابها لكن بشرط ان يكون احدهما بعد الآخر فلا تقعا معا فانه حينئذ يجب على كل واحد جواب الآخر فتدبر (وورد اذا سلم واحد من القوم اجزأ عنهم) مالك فى الموطأ عن زيد بن اسلم مرسلا ولابى داود من حديث على يجزئ عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزئ عن الجلوس ان يرد احدهم فعلم

ان السلام سنة كفاية كان جوابه فرض كفاية وفى الديلمى من على السلام تطوع والرد فريضة (ولايشير بالاصبع والاكف فهو عادة الكفار) اى من اهل الكتاب (منهى عنه) ففى الترمذى من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده لاتشبهوا باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصبع وتسليم النصارى الاشارة بالكف وفى رواية ابى يعلى وغيره عن جابر تسليم الرجل باصبع واحدة يشير بها فعل اليهود والمعنى انه لايكتفى بهما عند السلام فلو جمع بين الاشارة والسلام لزيادة الاعلام اولبعد المقام اولكون المسلم عليه لايسمع الكلام فلا بأس به الاانه لابد من اسماع كل منهما خلافا لمايفعله كثير من العامة و بعض الطلبة باخفاء السلام اورده والاكتفاء باشارة بعض الاعضاء من اليد اوالرأس ويؤيده حديث عبد الحميد بن بهرام انه عليه السلام مر فى المسجد يوما وعصبة من الناس قعود فاوى بيده بالتسليم اى مقرونابه واشار عبد الحميد بيده رواه الترمذى وقال حسن وقال احمد لابأس به ورواه ابوداود وابن ماجه من وجه آخر (ولايخص المعارف) بالتسليم بل يعم السلام على من يعرف ومن لايعرف اذاعرف بالاسلام فان السلام من حقوق المسلم على المسلم (فهو) اى تخصيص المعارف بالسلام (من اشراط الساعة) اى علاماتها التى من جملتها قلة العلم وكثرة الجهل (ولايبدأ بعليك السلام فهو تحية الميت) اى يجوز ان يقال له ذلك ويقول السلام عليك اذ صح انه عليه السلام قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليك السلام فقال ان عليك السلام تحية الميت قاله ثلاثا ثم قال اذالقى احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة وقال الترمذى حسن صحيح (ويصافح) اى صاحبه من المتقين (لاسيما الكبراء فى الدين) من العلماء والاولياء والشرفاء اذا كانوا من الضعفاء لاالسلاطين والامراء والوزراء (فهو) اى التصافح (من تمام التحية) وعن الحسن المصافحة تزيد فى المودة وعن ابى هريرة مرفوعا تمام تحياتكم بينكم المصافحة الخرائطى فى مكارم الاخلاق وهو عند الترمذى من حديث ابى امامة وضعفه (ووردفيها) اى فى المصافحة (فسمة مائة مغفرة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا) فعن ابى هريرة اذالتقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لابشهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مساءلة باخيه الطبرانى فى الاوسط وعن انس اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا الخرائطى بسند ضعيف وعن عمر مرفوعا اذاالتقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادى تسعون وللمصافح عشرة البزار فى مسنده والخرائطى واللفظ له والبيهقى فى الشعب وقد ورد قبلة المسلم اخاه المصافحة الخرائطى وابن عدى من حديث انس وقال

غير محفوظ والمعنى ان المصافحة تقوم مقام قبلة اليد وفى الاحياء ولابأس بقبلة يد المعظم فى الدين تبركابه وتوقيراله فعن عمر قبلنا يد النبى صلى الله عليه وسلم ابوداود بسند حسن وعن كعب بن مالك قال لمانزلت توبتى اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وقبلت يده ابو بكر بن المقرى فى كتاب الرخصة فى تقبيل اليد بسند ضعيف وروى ان اعرابيا قال يارسول الله ائذن لى فاقبل رأسك ورجليك قال واذن له ففعل الحاكم من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يارسول الله ما كنت ارى هذا الامن اخلاق الاعاجم فقال عليه السلام ان المسلمين اذاالتقيا وتصافحا تحاتت ذنوبهما الخرائطى بسند ضعيف وهو عند ابى داود والترمذى وابن ماجه مختصرا مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان الاغفر لهما قبل ان يتفرقا (ويجعل الاصابع فى الاصابع) اى اصابعه فى اصابع اخيه وهذا غير محفوظ فى السنة ولا هو مأخوذ من اللغة اذ مفهومها وضع صفحة الكف واليد اواصابعها فى كف صاحبه ونحوه (ولايدع) اى يد اخيه (حتى يدع صاحبه) اى يده فيدل على كمال التواضع واظهار المسكنة وللطبرانى فى الاوسط باسناد حسن عن ابى هريرة انه عليه السلام كان لايأخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسله ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ولابى داود والترمذى وابن ماجه نحوه من حديث انس (فهو السنة) المروية فى شمائله من فضائله (لامن وراء الثوب) اى لايصافح من وراء الاكمام (فهو جفاء من عادة الكفار) اى المتكبرين من الاعجام والاروام (ويعانق القادم) اى الواصل من السفر وفى الاحياء ان الالتزام والتقبيل ورد به الخبر عند القدوم من السفر وقد رواه الترمذى من حديث عائشة قالت قدم زيد بن حارثة الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب وقال ابوذر مالقيته عليه السلام الاصافحنى وطلبنى يوما فلم اكن فى البيت فلمااخبرت جئت وهو على سرير فالتزمنى فكانت اجود واجود رواه ابوداود (ويأخذ ركاب العلماء للتوقير) فقد فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت كما تقدم واخذ عمر بغرز زيد اى بركابه حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد واصحابه (ويوسع المجلس) مسجدا كان اوغيره لقوله تعالى * واذا قيل لكم * بلسان القال او بيان الحال * تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم * والفسح الوسع وفى الصحيحين من حديث ابن عمر لايقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا وعنه عليه السلام اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعا رجل اخاه فاوسع له فليأته فانما هى كرامة من الله عزوجل اكرم بها اخاه

فان لم يوسع له فلينظر الى اوسع مكان يجده فليجلس فيه البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن ابى شيبة ورجاله ثقات وابن ابى شيبة هذا ذكره ابو موسى المدينى فى ذيله فى الصحابة (ويكرم الداخل) ان كان من ذوى الفضائل او الفواضل (فيبسط له الثوب) اى من الرداء ونحوه فروى انه عليه السلام دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى وحش المجلس فامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلى فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف عليه السلام رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس عليه فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ثم لفه ورمى به اليه صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتنى فنظر النبى صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وروى ان ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ارضعته جاءت اليه فبسط لها رداءه ثم قال مرحبا بامى ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعى تشفعى وسلى تعطى فقالت قومى فقال اما حقى وحق بنى هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا وحقنا يا رسول الله ثم وصلها بعد ووهب لها سهمانه بخيبر وهى احد عشر سهما فبيع ذلك من عثمان بن عفان بمائة الف درهم كذا فى الاحياء ورواه ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابى الطفيل مختصرا فى بسط ردائه لها دون ما بعده ولاحمد من حديث ابن عمر انه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فالقى له وسادة من ادم حشوها من ليف الحديث واسناده صحيح وللطبرانى من حديث سلمان دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكئ على وسادة فالقاها الى الحديث وسنده ضعيف (ويخفف) اى المدخول عليه (الصلوة) فريضة او نافلة (ويشتغل به) اى باكرامه من سلامه وكلامه وتحصيل مرامه (ثم يعاودها) اى فى اتمام صلوته (فالكل مروى) الا ان تخفيف الصلوة الخ ليس له اصل فى السنة (ولا ينحنى) فان الانحناء يكره للسلاطين وغيرهم ولانه صنيع اهل الكتاب كذا فى المحيط والذخيرة ولانه شبيه الركوع الذى هو ركن من اركان الصلاة فكما لا يجوز ان يسجد احد لاحد لا يجوز ان يركع له وكذا القيام على هيئة الوقوف فى الصلوة لحديث من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ابو داود والترمذى وحسنه من حديث معاوية وعن انس قلنا يا رسول الله اينحنى بعضنا لبعض قال لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فنصافح قال نعم الترمذى وحسنه وابن ماجه وضعفه احمد والبيهقى وفى الاحياء لا بأس بالانحناء لدفع شر الاشقياء (ولا يقوم) اى للداخل كما هو عادة اهل المحافل (فهو منهى عنه) اى فى الحديث معلل بانه (من عادة الاعاجم) فعن ابى امامة اذا رأيتمونى فلا تقوموا كما تقوم الاعاجم ابو داود وابن ماجه وعن انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذى وقال حسن صحيح وفى الاحياء ان القيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام اقول وقد صار هذا القيام من ابتلاء العام اذ يترتب على تركه انواع الملام فيكون النهى للتنزيه فى هذا المقام وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن واما ما فى صحيح مسلم عن ام هانى انها سلمت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقيل له ام هانى فقال عليه السلام مرحبا يا ام هانى فمحمول على زيادة الترحيب الاكرام بعد جواب السلام (ويوقر الكبراء) اى العظماء فى الرتبة او السن (كالعلماء العاملين (والصلحاء) الكاملين (والشرفاء) الطاهرين (والشيوخ) السابقين لتقدمهم فى دخول الاسلام فلهم قدم صدق وبينهم سبق فى هذا المقام وقد قال تعالى *والسابقون السابقون* لكن تقدم الرتبة من العلم والتقوى والنسب على مجرد كبر السن فى الحسب واشار المصنف الى الترتيب فى غاية من التهذيب فالعلماء كما قال تعالى *يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات* والمتقون كما قال عز وعلا *ان اكرمكم عند الله اتقيكم (ويقدمهم فى المشى) اذا ضاق المقام (والكلام والجلوس فورد ليس منا) اى من اتباعنا واشياعنا (من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا) رواه احمد والترمذى عن ابن عباس واحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت بزيادة ولم يعرف لعالمنا حقه وفى رواية لاحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمرو بلفظ من لم يرحم صغيرنا ويعرف شرف كبيرنا وللبخارى فى تاريخه وابى داود عن ابن عمرو بلفظ من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا (واوعد) بصيغة المجهول اى جاء الوعيد (فى التقديم) اى تقديم الصغير (على الكبير بالفقر) اى بسبب فقر الكبير او المعنى اوعد بالفقر بخلاف من عظم الكبير فانه يعذر له من يعظمه فى كبره ففى الخبر ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له فى سنه من يكرمه وهذا بشارة له بطول عمره وسهولة امره والحديث رواه الترمذى عن انس ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد جهينة على النبى صلى الله عليه وسلم فقام غلام ليتكلم فقال عليه السلام مه فاين الكبير الحاكم وصححه مسلم (ويراعى قلب الصغار) اى الاطفال وغيرهم دون البلوغ (فكان عليه السلام يبالغ فيه) اى فى مراعاة قلوبهم فكان يمسح رؤسهم ويدعو لهم ويجلسهم فى حجره ويحنكهم وقد كان يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم ثم يأمرهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويأمر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما يفاخر الصبيان بعضهم لبعض حملنى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من حديث عبد الله ابن جعفر كان اذا قدم من سفر تلقى بنا قال فتلقى بى وبالحسن او بالحسين قال فحمل احدنا بين يديه والآخر خلفه وفى رواية تلقى بصبيان اهل بيته وانه قدم من سفر

فسبق بى اليه فحملنى بين يديه ثم جئ باحدا بنى فاطمة فاردفه خلفه وفى الصحيحين ان عبدالله بن جعفر قال لابن الزبيرا تذكر اذ تلقانا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وانت وابن عباس قال نعم فحملنا وتركك هذا لفظ مسلم وقال البخارى ان ابن الزبير قال لابن جعفر فالله اعلم كذا قاله مخرج الاحياء ولا يبعد ان يحمل على قضيتين فيكون فى كل منهما جبر لخاطر الآخر فتدبر ولاحمد بن منيع من حديث حسن بن على عن امرأة منهم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا اذبال فقامت لتأخذه وتضربه فقال دعيه ايتونى بكوز من ماء الحديث واسناده صحيح (ويتكفل اليتيم) قريبا اواجنبيا (فو ردانا وكافل اليتيم) اى مربيه ومصلحه (كهاتين فى الجنة واشار الى المسبحة والوسطى) وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال القربة والحديث رواه احمد والبخارى وابوداود والترمذى عن سهل بن سعد بلفظ اناوكافل اليتيم فى الجنة هكذا ولابن ماجه من حديث ابى هريرة خيربيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشربيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ولاحمد والطبرانى من حديث ابى امامة من وضع يده على رأس يتيم كانت له بكل شعرة يمر عليها يده حسنة ولابن حبان من حديث ابن ابى اوفى من مسح يده على رأس يتيم رحمة له الحديث (ويظهر البشاشة) اى الانبساط اذاحضر مع اصحابه فى بساط النشاط (فوردان الله يحب السهل) اى اللين الهين (الطلق) بفتح فكسر اى صاحب طلاقة الوجه والحديث رواه البيهقى عن ابى هريرة بلفظ الطليق وقد ورد اتدرون على من حرمت النار قالوا الله ورسوله اعلم قال على الهين السهل القريب الترمذى وحسنه عن ابن مسعود (ويشمت) اى يجيب (العاطس المحمد) اى الذى قال الحمد لله بعد عطاسه (بدعاء الرحمة والمغفرة ويجيب بدعاء الهداية والصلاح) اتفق العلماء على انه يستحب للعاطس ان يقول الحمدلله عقيب عطاسه ويستحب عند الشافعى ويجب عندنا على من سمعه ان يقول له يرحمك الله ويستحب للعاطس بعد ذلك ان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم اويغفرالله لناولكم والاحاديث فى هذا كثيرة كما بيناها فى شرح الحصن واما اذالم يحمد العاطس فلا يستحق الجواب لما فى الصحيحين عن انس انه عليه السلام شمت عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمدالله وانت سكت (ففيه فضل كثير) اى واجر كبير (الا اذا زاد على الثلاث فوردانه زكام) فعن ابى هريرة شمت اخاك ثلثا فان زاد فهو زكام ابوداود وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع انه شمت عاطسا فعطس اخرى فقال انك مزكوم وعن ابى هريرة كان عليه السلام اذاعطس غض صوته واستتر بثوبه اويده ابوداود والترمذى وقال حسن صحيح وفى رواية لابى نعيم فى اليوم والليلة خمر وجهه وفاه وفى الصحيحين التثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال

آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وعن على من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك خاصرته الطبرانى فى الاوسط فى الدعاء (ويصلح ذات البين) اى احوالا ناشئة مما بينه اوبين غيره وبين احد من المسلمين بالمودة وترك المنازعة قال تعالى *لاخير فى كثير من نجويهم الامن امر بصدقة اومعروف اواصلاح بين الناس* وقال عز وعلا فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم (فهوافضل الصدقة) فللطبرانى والبيهقى عن ابن عمرو افضل الصدقة اصلاح ذات البين ولابى داود والترمذى وصححه من حديث ابى الدرداء الااخبركم بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وافساد ذوات البين هى الحالقة وللشيخين من حديث ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا اونمى خيرا (ويستر العيوب) اى عيوب غيره وكذا عيوب نفسه (فورد) اى فى صحيح مسلم عن ابى هريرة (من ستر على مسلم ستره الله فى الدنيا والآخرة) وللشيخين عن ابن عمر من ستر مسلما ستره الله يوم القيمة وللطبرانى عن ابى سعيد لايرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الادخل الجنة وروى احمد عن رجل من ستراخاه المسلم فى الدنيا ستره الله يوم القيمة وللطبرانى والضياء عن شهاب من ستر على مؤمن عورة فكأنما احيى ميتا وللبخارى فى تاريخه وابى داود والحاكم عن عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن احيى موؤدة من قبرها وللترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث على من اذنب ذنبا فى الدنيا فستره الله عليه وعفا عنه فالله اكرم من ان يرجع فى شئ قد عفا عنه ومن اذنب ذنبا فى الدنيا فعوقب عليه فالله اعدل من ان يثنى عقوبته على عبده وعنه عليه السلام اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة الحاكم وصححه وضعفه البخارى وابن حبان وللطبرانى من حديث ابن عمران من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن (ويتقى مواضع التهم تحرزا عن سوء ظنهم) اى بالريبة (ووقوعهم فى الغيبة) فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هوالسبب فيه كان شريكا فى وزرهم قال تعالى *ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم* وقال عليه السلام كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل من احد يسب ابويه قال نعم يسب الرجل ابوى غيره فيسب ابويه متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو عن انس انه عليه السلام كلم احدى نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يافلان هذه زوجتى صفية فقال يارسول الله من كنت اظن فيه فانى لم اظن فيك فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم وفى رواية للشيخين عن صفية انى خشيت ان تقذف فى قلبكما شيئا وفى نسخة سرا وكانا رجلين وقال على رسلكما انها صفية الحديث وكانت قدزارته فى العشر الاواخر من رمضان وعن عمر رضى الله عنه من اقام نفسه مقام التهمة فلايلو من من اساء به الظن ومر برجل

بكلم امرأة على الطريق فعلاه بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها امرأتى قال فهلا بحيث لايراك الناس (ويشفع) اى فى غير الحدود لقوله تعالى *من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها (فو ردا شفعوا توجروا) تمامه ويقضى الله على لسان نبيه ماشاء رواه الشيخان من حديث ابى موسى وو رد ما صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر الخرائطى والطبرانى عن سمرة (ويرشد الضال) اى يهديه الى طريقه الحسى اوالمعنوى (وينشد ضالته) اى يطلبها لكن فى غير المسجد لما تقدم ويقول ياهادى الضال و ياراد الضالة ارد د على ضالتى بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك رواه ابن ابى شيبة موقوفا من قول ابن عمرو الطبرانى عنه مرفوعا (ويفرج المكروب) اى ويزيل هم المغموم (وينصر المظلوم) ففى الصحيحين انصر اخاك ظالما اومظلوما فقيل كيف ينصر ظالما فقال يمنعه من الظلم قلت وفى منعه من الظلم نصر للمظلوم ايضا (فورد من فرج عن مغموم اواعان مظلوما غفر الله له ثلاثا وسبعين مغفرة) الخرائطى فى مكارم الاخلاق وابن حبان فى الضعفاء وابن عدى من حديث انس بلفظ من اغاث ملهوفا (ويسعى فى حاجته فالمشى فيها ساعة خير من اعتكاف شهرين وان لم تقض) فللحاكم وصححه من حديث ابن عباس لان يمشى احدكم مع اخيه فى قضاء حاجته واشار باصبعه افضل من ان يعتكف فى مسجدى هذا شهرين وللطبرانى فى الاوسط من مشى فى حاجة اخيه كان خيرا له من اعتكاف شهرين وكلاهما ضعيف وروى البخارى فى تاريخه والطبرانى والخرائطى عن انس بسند ضعيف من قضى لاخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره ولابن المبارك فى الزهد والرقائق باسناد ضعيف مرسلا من اقر عين مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال انس عرضت له عليه السلام امرأة وقالت لى معك حاجة وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسى فى اى نواحى السكك شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضيت حاجتها رواه مسلم (ويعظه) اى يبشر الناس بالثواب فى الطاعة وينذرهم بالعقاب على المعصية قال تعالى * واذقال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم * الآيات وقال تعالى * يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات *وورد ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم رواه مسلم وغيره عن تميم الدارى وقال عليه السلام لمعاذ اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام البيهقى فى كتاب الزهد وابو نعيم فى الحلية (ويعين الضعيف) اى فى عمله وصنعته (والمحسن) اى زيادة معرفته او يعين الضعفاء والفقراء والمحسن الى العلماء والصلحاء ليكون

مشاركا لهما فى ثواب يوم الجزاء فقد صح من كان فى عون اخيه كان الله فى عونه (ويحفظ الغيبة) اى غيبة اخيه فيمنع احدا عن ان يقع فى غيبة فيه ففى الخبر يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولاتتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولوكان فى جوف بيته ابو داود من حديث ابى برزة باسناد جيد وللترمذى نحوه من حديث ابن عمر وحسنه وعن ابى الدرداء من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار الترمذى وحسنه وللطبرانى عن ابى الدرداء بلفظ ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الاكان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ولاحمد من حديث اسما بنت يزيد نحوه ولابن ابى الدنيا فى الصمت عن انس من ذكر عنده اخوه المسلم وهو يستطيع نصرة فلم ينصره ولو بكلمة اذله الله عز وجل بها فى الدنيا والآخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى فى الدنيا والآخرة ولابى داود من حديث معاذ بن انس من حمى عرض اخيه المسلم فى الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيمة من النار ولابى داود من حديث جابر وابى طلحة ما من امرئ ينصر مسلما فى موضع ينتهك فيه عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ خذل مسلما فى موطن ينتهك فيه حرمته الاخذله الله فى موطن يحب فيه نصرته (ويبر الحلف) اى يمين صاحبه فى الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاء شئ وحلف عليه ولم يتيسر له فالصاحب يعطيه ذلك لئلا يقع صاحبه فى الحنث هنالك وهو من جملة اخلاق الله مع من اتبع رضاه كما ورد فى الصحيحين عن انس ان من عباد الله من لواقسم على الله لابره اى جعله بارا فى يمينه بما قدره وقضاه وفى الصحيحين من حديث البراء امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها اوابرار القسم او المقسم (ويحب التائب) لقوله تعالى * ان الله يحب التوابين * خصوصا الشاب فورد ان الله يحب الشاب التائب ابو الشيخ عن انس ولابى نعيم فى الحلية عن ابن عمر ان الله يحب الشاب الذى يفنى شبابه فى طاعة الله ولاحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر ان الله تعالى ليعجب من الشاب ليست له صبوة (ويستغفر للمذنب) اقتداء بالملائكة المقربين * الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا * الآية وللطبرانى عن عبادة من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وله وللضياء عن ابى الدرداء من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان من الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض واما حديث انس اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم فقد ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسنادا قاله العراقى (ويعامل على حسب حاله) اى حال

صاحبه فى اعلى مناقبه اوادنى مراتبه (فعرض الفقه) اى مسائله الغامضة (لاهل اللهو) اى لارباب الاشتغال بما يلهيهم عن العلم والفهم والكمال (والبيان) اى وعرض الفصاحة والبلاغة واصناف البديع وانواع البيان (اثقيل اللسان ايذاء النفسين) بل المناسب ان يعرض عليهم ما يكتسب من الطاعات وما يجتنب من المحرمات (و ينتصف من نفسه) وفى نسخة و ينصف من الانصاف بالكسر اى يعمل بالنصفة بفتحين اى العدالة (فهو من ثلاث خصال يستكمل به الايمان) وفى نسخة يستكمل الايمان وفى الخبر لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام الخرائطى من حديث عمار بن ياسر ووافقه للبخارى عليه (ولا يعلم احدا مقدار ماله وان كان من اهل البيت) اى المطلعين على حاله (فالعلم بالقلة يورث الاهانة) اى بعده من الفقراء (و بالكثرة عدم الرضاء) اى بانفاقه وعده من البخلاء (وورد استرذهبك) اى ونحوه من الفضة وغيرها (وذهابك) اى انتهاء سفرك من حضرك (ومذهبك) اى فى موضع تخاف اظهاره فاظهر مشربك والحديث لم اجد له اصلا (ولا يستحقر احدا) اى من الفجار بل من الكفار (فالعاقبة مستورة) وورد انما الاعمال بالخواتيم كما فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد (ولا يستعظم الدنيا) فان الله قد استحقرها حيث قال * متاع الدنيا قليل * وورد لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء الترمذى وغيره عن سهل بن سعد والمعنى انه لا ينظر الى اهل الدنيا بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم ومهما عظم اهل الدنيا فى نفسك فقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله عز وجل وللحكيم الترمذى عن ابى هريرة اذا عظمت امتى الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام (فهى حقيرة وما فيها) الا ذكر الله وما والاه لحديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها ابو نعيم فى الحلية عن جابر وفى مسند احمد عن عائشة الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له (ولا يتكبر على الفقير) برأى لفقره فانه موجب لفخره (بل على المتكبر) اى بماله وجاهه على الفقير فروى التكبر على المتكبر صدقة (و يجالس الفقير فهو السنة) فلابى نعيم عن ابن عمر تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من الكبراء وتخرجوا عن الكبر (دون الغنى) اى لا يجالس الغنى فضلا عن ان يصاحبه فورد اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء الترمذى وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث عائشة اياك ومجالسة الاغنياء (وحبيب العافية) اى الذى يكره المرض او الذى ما تأتيه الحمى ونحوها من الصداع فان فرعون مكث اربعمائة سنة ما حم ولا حصل له صداع ولا كسر له ظرف فى مطبخه وقد ورد انه عليه السلام مدح له امرأة حسنة فرغب فيها فقيل من نعتها انها لا يأتيها مرض فقال ما لى اليها حاجة وفى صحيح مسلم من يرد الله به خيرا يصب منه

(والعامى) اى وغير الجاهل (واذا ابتلى) اى بمجالس العامى (لا يخوض فى كلامه) اى و يكتفى بما يحصل من مرامه (و يتغافل عما يجرى عليه) اى بحسب مقامه (والسلطان) عطف على قوله الغنى اى ودون السلطان والمعنى لا يجالسه (واذا ابتلى به يكثر الحذر) اى عن غضبه (وان اظهر المحبة) اى فى وجهه (ولا يعتمد) اى على اقباله ولا على جاهه واعطاء ماله (فيرافقه مرافقة الطفل) فيحمل منه ما يحمل عنه (و يتكلم على حسب ارادته) وفق طاعته واطاعته لكن لا بما يضره فى دينه وآخرته (ولا يدخل بينه و بين اهل بيته) فى معاملته ومجاملته (فهو مضر و يبالغ فى الادب) ومن آدابه لاصحابه ترك الغيبة و مجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوايج وتهذيب الالفاظ والمبانى وتحسين البيان والمعانى وتصحيح الاعراب فى الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك السابقة واللاحقة وقلة المداعبة فى مجلس المصاحبة وان لا يتجشى بحضرته ولا يتخلل بعد الاكل فى صحبته (و يتبرك بالعادل) فهو من سبعة يظلهم الله يوم القيمة يوم لا ظل الا ظله (ويدعو له بالاصلاح) ولو كانت له دعوة واحدة مستجابة (ففيه صلاح العامة) ونفع العام خير من نفع الخاص مع ان الخاص داخل فى العام (و يستعيذ) اى بالله الملك العلام (عند الدخول عليه) خوفا من الزلل والخطل لديه (وعليه) اى و يجب على السلطان (الاحتمال) اى التحمل عن مجالسه ومؤانسه (الا فى كشف السر) اى لغير المحرم (والقدح فى الملك) اى الطعن فيه بما ينافيه (والتعرض فى الحرم) اى من امرأته او جاريته او ولده او عبده (والعامة) اى ودون عامة الناس فلا يجالسهم (لفساد الزمان) اى اهله فانهم لا يقيلون لك عثرة ولا يقبلون منك معذرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون عورة و يحاسبون على النقير والقطمير و يحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون و يؤاخذون على الخطاء والنسيان ولا يعفون يغرون الاخوان بالنميمة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان رضوا فظاهر الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون فى حنقهم ولا يرجون فى ملقهم ظاهرهم ثياب و باطنهم ذئاب يقطعون بالظنون و يتغامزون وراءك بالعيون و يتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم فان ابتلى بهم فادبه معهم ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم ومبانيهم وعدم درك تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم وعدم التودد والتحبب لديهم (وورد خالطوا الناس باعمالهم وزايلوا القلوب) اى وجانبوها عن ملاحظة احوالهم ومحافظة اقوالهم والحديث لم اجده وللطبرانى عن ابى جحيفة مرفوعا جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء (ولا يعتمد) اى فى المحاورة والمجالس المؤتلفة

(الاعلى من جرب) اى امتحنه (تحقيقا فى الاحوال المختلفة) كالفقر والغنى والحضر والسفر وغير ذلك من البعد والقرب والمحبة والعداوة فانه يظهر حقيقة كل احد هنالك (فلا يجد جزأ) اى سهما واحدا (من مائة) بل من الف جزء (مما يظهرونه من المودة) وفى الخبر اخبر تقله وفى حديث آخر الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة فلا يعول على مودة من لم يختبره حق الخبرة بان يصحبه مدة فى دار اوموضع واحد من قرار فيجربه فى عزله وولايته وغنائه وفاقته اوسافر معه او يعامله او يقع فى شدة و بلية فيحتاج اليه فى دفع الغضب ثم اياك ان تمازح لبيبا اوغير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترئ لديك ولان المزاح يخرق الهيبة ويذهب بحلاوة المودة و يشين فقه الفقيه و يحرك داعية السفيه و يورث الذلة و يوجب الزلة و يسقط المنزلة وهواذا كثر يميت القلب و يباعد عن ذكر الرب و به تظلم السرائر وتموت الخواطر وبه تكثر العيوب و تظهر الذنوب ومن بلى بمجلس فيه مزاح اولغط فليذكر الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع فى مقامه فورد من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم و بحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الاغفر له ما كان فى مجلسه ذلك كله الترمذى من حديث ابى هريرة وصححه (ولا يطمع) اى من العامة (رعاية الحق) اى مراعاة حقه من الادب فى قربه (ولا مافى ايديهم) اى ولا يطمع مافى ايديهم من المال والجاه فعن سهل بن سعد مرفوعا ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس ابن ماجه وغيره والمعنى لا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم فتصغر فى اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو ادنى بالذى هو خير (ولا يعاتب من لم يقض حاجته والا طال الامر) اى امر المعاتبة لان كثرة المعاتبة ربما تجرى الى المقاطعة فى المصاحبة (ولا يعظ من لم يتوقع منه القبول الا مجملا) اى تلويحا (تحرزا عن تعصبه) اذا وعظ تصريحا وقد قال تعالى ﴿فذكر ان نفعت الذكرى﴾ اى الموعظة الحسنى (و يحمده تعالى ان رأى منهم كرامة) اى احسانا و تعظيما واقبالا وتكريما (و يكلهم اليه) اى و يترك امرهم الى الله سبحانه (ان رأى مكروها) تفويضا اليه وتوكلا عليه وقد قال تعالى فى مؤمن آل فرعون ﴿فستذكرون ما اقول لكم وافوض امرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما مكروا﴾ وقال عيسى عليه السلام ﴿ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم﴾ (و يستعيذ به من شرهم و يشاركهم فى حقهم) اى فى حق صدر عنهم (و يتغافل عن باطلهم) اى منكر ظهر منهم (و يحسب الكبير كالاب) اى فى التوقير (والصغير كالابن) اى فى الترحم (والمساوى كالاخ) اى الشقيق فى الشفقة والرفق (و يبالغ فى الاحتمال) اى فى التحمل عن اذاهم (والاحسان) بالاعطاء وغيره (الى اهله وغير اهله فورد)

عن على بن الحسين عن ابيه عن جده (اصنع المعروف الى اهله) اى مستحقه (وغير اهله فان لم تصب) اى فى احسانك (اهله فانت من اهله) اى من اهل الاحسان الى افراد الانسان ولو باللسان ذكره الدارقطنى فى العلل وهو ضعيف (والاصل) اى القاعدة المطردة فى حقوق المسلم (ان يحب له ما يحب لنفسه) اى مثل ما يحب وكذا يكره له ما يكره لنفسه كما سبق فى الحديث وورد من سره ان يزحزح عن النار و يدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر وقال عليه السلام يا ابا هريرة احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما الخرائطى فى مكارم الاخلاق (ولا يهجره) اى اذا غضب عليه (فوق ثلاثة ايام فورد) اى فى الصحيحين عن ابى ايوب (انه) اى الشان (لا يحل) اى لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان (و يستأذن للدخول ثلثا) اى ثلاث مرات لما سيأتى (يمكث بعد كل) اى كل استيذان (قدر ان يصلى ركعتين) وهو الاقل (او اربع ركعات) وهو الاكثر (وان يفرغ من الاكل) ان كان مشتغلا به (والتوضئ) اوالغسل اوالصلوة اوامر آخر من المهمات (فورد) عن ابى هريرة كما رواه الدار قطنى فى الافراد بسند ضعيف (الاستيذان ثلاث) اى ثلاث مرات (فالاولى) وفى رواية فالاولة (يستنصتون) اى يطلبون السكوت ليستكشفوا من المستأذن وما غرضه وفى رواية يستمعون اى يتسمعون (والثانية يستصلحون) اى يطلبون صلاحهم فى الاذن بدخوله او بعدمه و يتشاورون (والثالثة يأذنون او يردون) اى وفق ما يختارون وفى الصحيحين من حديث ابى موسى الاستيذان ثلاث فان اذن لك والا فارجع وقد قال تعالى ﴿وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم﴾ (ولا يطلع على الباب) اى لا يقف بحيث ينكشف الحجاب (و يدقه لينا) اى بظفر ونحوه هينا (ولا يقول انا) اى فلان (عند الباب) اولا يقول انا اذا قيل من بل يقول انا فلان ونحوه (ولا يا غلام) اى من وراء الاستار بان ينادى احد غلمان صاحب الدار اوعبده فى مقام الاظهار (بل يحمد ويسبح) اى و يذكر الله بالتهليل ونحوه (و يتنحنح) اى اذا كان معروفا بتنحنحه اوايماء بانه هناك من يريد دخوله (و يعود المريض) فهو من جملة حقوق المسلم على المسلم ففى الصحيحين من حديث ابى هريرة حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس (فى ثياب نظيفة) بل فى بياض لطيفة لئلا يتوهم المريض من ثياب كثيفة انه حزن عليه لما رأى علامة الموت لديه (غير عابس) اى فى وجهه بل يدخل عليه ببشاشة بشرح صدره وفتح امره (و يجلس عند ركبة المريض) اى اذا كان مضطجعا ليقع نظر المريض على وجه زائره (دون رأسه) اى لا يجلس فوق رأسه لئلا يحوجه الى التكلف فى توجهه اليه وتلفته

عليه (ويضع اليد على جبهته او يده) يعنى على نبضه اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه (ويسأله) اى عن غيره (كيف هو) اى لئلا يكون تكلفا عليه فى جوابه وهذا اذا كان مغلوبا فى بابه والا فيقول كيف انتم وما حالكم اوكيف نجدك ونحو ذلك (فهو السنة) اى المروية عنه عليه السلام تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته اوعلى يده و يسأله كيف هو (ولا يحدث) اى عنده (الا بما يسره) اى لا بما يضره (وما هو خير) من الدعاء له ولنفسه (فالملئكة يؤمنون عليه) اى يقولون فيه آمين فيكون علامة الاجابة فى ذلك الحين (و يبشره بطول العمر وسرعة الصحة) اى وسهولة الامر و بان المرض كفارة للسيئات ورفع الدرجات وانه انما يكون فى قليل من الاوقات فينبغى الصبر عليه بل الشكر لديه فورد اذا مرض العبد بعث الله تعالى اليه ملكين فقال انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد لله واثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو اعلم فيقول لعبدى على ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل له لحما خيراله من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته مالك فى الموطأ من حديث عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من روايته عن ابى سعيد الخدرى وفيه عباد بن كثير الثقفى ضعيف الحديث وللبيهقى من حديث ابى هريرة قال الله تعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده اطلقته من اسارى ثم ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ثم يستأنف العمل واسناده جيد وجملة آداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى وعدم الضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الداء والدواء وسائر الاشياء (ويغتنم دعاءه) اى المريض (فهو كدعاء الملائكة) فى كونه مستجابا وقد سبق كون دعاء المريض مجابا (ويدعو له بالشفاء سبع مرات ففيه الشفاء ان لم يحضر اجله) فلابى داود وغيره عن ابن عباس مرفوعا من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك الا عافاه الله من ذلك المرض (ويغب فيها) بضم اوله اى يعوده يوما بعد يوم اووقتا بعد وقت لما سبق من حديث زرغبا تزدد حبا وعن جابر اغبوا فى العيادة واربعوا الا ان يكون مغلوبا ابن ابى الدنيا وابو يعلى واسناد ضعيف وقال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث و ينبغى ان يخفف فيها فروى ابن ابى الدنيا فى كتاب المرض من حديث انس باسناد فيه جهالة عيادة المريض فواق ناقة ورواه البيهقى عنه بلفظ العيادة فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها (وهى مرة سنة) عند الشافعى وفرض كفاية عندنا (والزيادة فضل) واما ما فى الاحياء من ان ابن عباس قال عيادة المريض مرة سنة فمحمول على ان ثبوتها بالسنة واما الزيادة فمستحبة والاجر الكثير عليها مرتبة فى التعمية الكتابية والحسابية ان العيادة فيها الزيادة على العبادة وقد تقدم حديث اذا عاد المسلم اخاه اوزاره ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت

منزلا فى الجنة الترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة وفى السنن الاربع والحاكم من حديث على من اتى اخاه المسلم عائدا مشى فى خرفة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسى وان كان عشاء صلى عليه سبعون الف ملك حتى يصبح واللفظ لابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ولمسلم من حديث ثوبان من عاد مريضا لم يزل فى خرفة الجنة والحاكم والبيهقى من حديث جابر اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة فاذا قعد عنده انغمس فيها وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم وكذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك فى الموطأ بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدى بلفظ استقر فيها وللطبرانى فى الصغير من حديث انس فاذا قعد عنده غمرته الرحمة وله فى الاوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنقع فيها (وورد النهى فى عيادة صاحب الرمد) بفتحتين اى وجع العين (والدمل) بضم فتشديد ميم مفتوحة (ووجع الضرس) اى السن (والجرب) بفتحتين وهو الحكاك (والعرق) بالكسر (المدنى) منسوب الى المدينة انه لم توجد غالبا فى القرية لان منشأها العفونة الكثيرة التى تبدو من الجماعة الكبيرة (و يسمع) اى العائد (المحتضر) اى الذى احتضره الموت بعلامات دالة على الفوت وهو سواد الظفر وبرودة الرجلين والتفاف فهما واعوجاج الانف وانفتاح العين وانخفاض الصدغين (كلمة التوحيد) وهى لا اله الا الله فتقدم حديث من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفى صحيح مسلم وغيره لقنوا موتاكم لا اله الا الله اى المشرفين على الموت كحديث اقرؤا على موتاكم يس احمد وغيره (دون الحاح) اى لا يلح على المحتضر بان يقول له قل لا اله الا الله بل يقول عنده ليسمعها ويتفع بها اذ لا يبعد انه حال الغلبة والشدة يمتنع عن قبول الكلمة فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من ذلك مع ان المدار على ايمان القلب هنالك وانما يستحب النطق باللسان لانه ترجمان الجنان على اختلاف فى الاقرار انه شرط اوشطر للايمان فى اول دخول المسلم فى ميدان الاحسان وايوان الايقان والله المستعان (ويعجل تغطية وجه الميت) اى بعد ربط حنكه ورجليه (وتغميض عينيه) فان الميت اذا برد تيبس اعضاؤه وتوحش اجزاؤه (وتجهيزه) اى غسله وما يتعلق به (وتكفينه باطيب الثياب) بان يكون من وجه حلال لا يقع فيه العتاب والعقاب (وابيضها) لاحاديث ورد فى هذا الباب كقوله عليه السلام البسوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب وكفنوا فيها موتاكم رواه احمد وغيره عن سمرة وفى رواية له عنه بلفظ عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها احياؤكم وكفنوا فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم وفى رواية الدار قطنى فى الافراد عن انس خير ثيابكم البياض فالبسوها احياءكم وكفنوا فيها موتاكم (لا اكثرها قيمة) بل اوسطها المعتبر فى جميع الباب (ويعزى المصاب) اى المبتلى بموت احد

من الاقارب والاحباب (وهى) اى التعزية المعبر عنها بالتسلية (تسكين قلبه) اى قلب المصاب (بالموعظة) اى بما وقع من الكتاب (والاعلام بجزيل الثواب) حيث قال تعالى * وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة * وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وبان الجزع لا ينفع ويفوت به الاجر ويقع فى مقام الحجاب ففى الترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا من عزى مصابا فله مثل اجره وللترمذى عن ابى برزة ولفظه من عزى ثكلى كسى بردا يوم القيمة (مصافحا) اى لا معانقا كما يفعله عامة اهل مكة (بالتواضع) اى باظهاره معه (واظهار الحزن) اشعارا بمشاركته له فيه (وقلة التكلم) اى بامور الدنيا (وترك التبسم) لانه دلالة على الغفلة عن احوال العقبى (ويشهد له) اى للميت (بالخير) اى باعمال الخير ظاهرا (والايمان) اى باطنا تحسينا للظن بالمسلم (ويدعو له عند الذكر) اى عند ذكره (فورد لا تذكروا موتاكم الا بخير) ففى ابى داود وغيره عن ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم (ويشيع الجنازة) ففى الصحيحين عن ابى هريرة من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان ولمسلم من حديث ثوبان القيراط مثل جبل احد ولما روى ابو هريرة الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الآن فى قراريط كثيرة (خاشعا) اى حال كونه مقرونا بالخشوع والخضوع (متفكرا فى الموت) اى وفيما بعده وقبله من الفوت وكان مكحول الدمشقى اذا رأى جنازة قال اغد فانا رائحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكى ويقول والله لا تقر عينى حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم مادمت حيا (والاستعداد له) اى للموت لحديث كفى بالموت واعظا الطبرانى عن عمار ولاحمد فى الزهد كفى بالموت مزهدا فى الدنيا ومرغبا فى الآخرة ولابن السنى عن انس كفى بالدهر واعظا وبالموت مفرقا (غير متكلم) اى من كثرة الحزن والملال واشتغال البال فى امر المآل قال الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندرى لمن نعزى لحزن القوم كلهم واما كلام الغزالى وان يمشى امام الجنازة بقربها وملاحظة الميت فمذهب للشافعى والمختار عندنا ان يمشى وراءها فان الجنازة متبوعة لا تابعة كما ورد وملاحظة الميت انما تتصور اذا كان وراءه مع ما فيه من الاشارة الى انه من السابقين وانا من اللاحقين ولانه ربما احتيج الى مساعدة حمل الميت فهو حينئذ انسب واقرب (ويصلى عليه) اى صلوة الجنازة فهى فرض كفاية (ويقرأ الفاتحة عند رأسه) اى بعد دفنه (واول البقرة) اى الى المفلحون (عند رجليه ويدعو له) اى بالرحمة والمغفرة او بالتثبيت فى جواب الملكين (ويتبرك به) اى حيث انه خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوى فقد نظر ابراهيم الزيات الى الناس يترحمون على على ميت فقال او ترحمون على انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت قد رأى ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد أمن (ويجتهد) اى المصاب

(ان يكون عدد المصلين) اى على جنازة قريبه (اربعين) اى لا اقل من ذلك (فهو علامة قبول الشفاعة) اى لانه يبعد عن كرم الله ان لا يقبلها من هذه الجماعة ولعله رواية والافى ابن ماجه عن ابى هريرة من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له (ولا يرجع) اى من غير ضرورة (حتى يفرغ من الدفن) ليحوز بالقيراطين (ويقعد) اى لا يقف (بعد وضع الجنازة) اى لا قبله واختلف ان المراد به وضعها عن الرقاب او كما قال المصنف (فى القبر مخالفة لاهل الكتاب) فى هذا الامر (ويتصدق الولى قبل مضى ليلة بشئ) اى من الصدقات والخيرات (ان تيسر) فان الميت حينئذ كالغريق المتغوث يريد الخلاص والنجاة (والا) اى وان لم يتيسر التصدق الحسى فيتصدق بالمعنوى وهو ان (يصلى ركعتين بالفاتحة وآية الكرسى) اى لاجل حفظه من العذاب (والتكاثر) اى وسورة الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر للاعتبار والتذكر وترك المفاخر (عشرا) اى عشر مرات (فى كل) اى من الركعتين (ويهبه الثواب) رجاء النجاة من العذاب (ويسلم) اى على صاحب القبر (ويقف مستدبر القبلة) اى ومستقبل الميت كما هو فى آداب السلام مع الانام ويجوز ان يجلس عنده حتى يستأنس به وكان ابو الدرداء يقعد الى القبور فقيل له فى ذلك فقال اجلس الى قوم يذكرونى معادى وان قمت عنهم لم يغتابونى (ويواظب) اى الولى (على الصدقة سبعة ايام ويزور القبر) اى قبر صاحبه او القبور (ناويا به الدعاء لاهله (والرقة والعبرة) لنفسه (فورد زوروا القبور فانها تذكر الآخرة) وفى رواية ابن ماجه عن ابى هريرة فانها تذكركم الآخرة (وتدمع العين وترق القلب) وفى رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا وفى رواية ابن ماجه عن ابن مسعود فانها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة (من لم ينس) اى وورد ايضا من لم ينس (المقابر والبلى) اى التفتت فى عالم البلاء (حين قيل من ازهد الناس) ظرف لورد المقدر فتدبر وفى رواية البيهقى عن الضحاك مرسلا ازهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه فى الموتى وفى رواية الترمذى وغيره عن اسماء بنت عميس بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وطغا ونسى المبتدأ والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين اى يطلب بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله والحاصل ان المقصود من زيارة القبور للزائر الاعتبار بهذا البلاء وللمزور الانتفاع بالدعاء وعن عمر ابن عبد العزيز انه دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورة الخليفة لكثرة الجهد والعبادة

دفقال عمر للفقيه اورأيتنى بعد ثلاثة ايام وقد ادخلت فى قبرى وقد خرجت الحد قتان فسالتا على الخدين وتقلبت الشفتان وخرج الصديد من الفم ونتن البطن وعلا الصدر وانفتح الفم وخرج الدود والصديد من المناخر لرأيت اعجب مما تراه الآن (ويقرؤ القرآن ماتيسر) ففى صحيح مسلم عن ابى امامة الباهلى اقرؤا القرآن فانه يأتى يوم القيمة شفيعا لاصحابه (ثم يسبح ويدعو) اى بالرحمة والمغفرة لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فان الاذكار كلها نافعة له فى تلك الدار وعن حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يعتبر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان لنفسه وخانهم وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النيران (وورد قراءة يس فى المشاهير) اى فى الاحاديث المشهورة او الروايات المأثورة فقد تقدم حديث اقرؤا على موتاكم يس وحمله الجمهور على ان المراد بالموتى المشرفون على الموت ولا يبعد حمله على حقيقته واما الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا يجوز عندنا خلافا للشافعى (والاخلاص سبعا) اى سبع مرات (فوعد فيه مغفرة الميت والقارئ ان غفر الميت) اى ان كان الميت مغفورا ولم اجد له اصلا والمشهور انه يقرأ ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم القرآن بجميع الآيات ففى مسند احمد وغيره عن ابى من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث القرآن وفى رواية العقيلى عن رجاء الغنوى من قرأ قل هو الله احد ثلث مرات فكانما قرأ القرآن اجمع وفى رواية لاحمد عن معاذ بن انس من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة (ويعين لها) اى لزيارة القبور (يوم الخميس والجمعة) ففى رواية ابن عدى عن ابى بكر من زار قبر والديه اواحدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له (والسبت) اى لقربه الى الجمعة (والاثنين) فانها ايام فواضل وللعبادة فيها زيادة فضائل (فالموتى يعلمون زوارهم فيها) اى زيادة علم بها (ولا يطأه) اى لا يدوس القبر ولا يقعد عليه فللخطيب عن ابى هريرة لان اطأ على جمرة احب الى من ان اطأ على قبر (ولا يمس) اى القبر ولا التابوت ولا الجدر (فورد النهى) اى عن مثل ذلك بقبره عليه السلام فكيف بقبور سائر الانام (ولا يقبل) فانه زيادة على المس فهو اولى بالنهى فالتقبيل مختص بالحجر الاسود وبايدى الانبياء والعلماء والصلحاء (ويبر الوالدين) اى يحسن اليهما فان فيه خير الدارين قال تعالى * ووصينا الانسان بوالديه حسنا * وفى قراءة احسانا (فالعقوق) اى مخالفة احدهما على وجه لا يحتمل لهما (من الكبائر) وقلة الادب معهما من الصغائر وقد سئل عليه السلام عن الكبائر فقال سبع الاشراك بالله وعقوق الوالدين الحديث وقال عز وعلا * وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا * وللطبرانى فى الصغير من حديث ابى هريرة ان الجنة توجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام لا يجد ريحها عاق (لاسيما الام فورد برها ضعفان على الوالد) اى على حقه كذا فى الاحياء وقال مخرجه غريب بهذا اللفظ وقد ورد فى معناه

حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب ابو داود والترمذى والحاكم وصححه وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة قال رجل من احق الناس بحسن الصحبة قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ولعله مقتبس من قوله تعالى * حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا * فان مشقة الحمل والوضع والفطام من زيادة حق الوالدة مع ما لها من كمال الشفقة والمرحمة هذا وللنسائى من حديث طارق المحاربى واحمد والحاكم من حديث ابى رمثة برامك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك (مقدما) حال من فاعل يبر (على المندوبات لا الواجبات) اى الفرائض العينية من العبادات (فهو المراد بما ورد بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد) اى اذا كانت هذه الطاعات نوافل ولا يبعد ان يراد به المبالغة او يراد به من حيث انه من حقوق العباد المستلزمة لحق الله سبحانه افضل من مجرد حقوق الله تعالى فان العفو فى ترك حقوق الرب اقرب ويؤيده ما فى الاحياء من ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ياموسى انه من بر والديه وعقنى كتبته بارا ومن برنى وعق والديه كتبته عاقا واما حديث المتن فكذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجده هكذا وروى ابو يعلى والطبرانى فى الصغير والاوسط من حديث انس اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى اشتهى الجهاد ولا اقدر عليه قال هل بقى من والديك احد قال امى قال فجاهد فى برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد واسناده حسن (ويستأذن للدخول عليهما) اى ادبا معهما حال حياتهما (ويستغفر لهما) اى بعد مماتهما (وينفذ عهودهما ووصاياهما) بل يقضى حقوقهما ولو من غير عهدهما (ويكرم اصدقاءهما فورد) اى فى صحيح مسلم من حديث ابن عمر (ان من ابر البر) اى من افضل الاحسان واكمل الامتنان بالنسبة الى الوالدين للانسان (ان يصل الرجل) اى الشخص (اهل ودابيه بعد ان يولى الاب) اى فى غيبته سواء كان فى حال حياته او موته وكذا حكم الوالدة بل هو الاولى كما لا يخفى فروى ابو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بنى سلمة فقال هل بقى على من بر والدى شئ ابرهما بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما (ويتصدق لهما) لحديث الطبرانى فى الاوسط ما على احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرهما ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص من اجورهما شئ (ويزورهما حيا وميتا) واقله فى كل جمعة مرة (فورد من زار قبر ابويه او احدهما فى كل جمعة) اى بخصوصها وهو الافضل لتضاعف الحسنة فيه بسبعين مرة او فى كل اسبوع (غفر له وكتب برا) الحكيم الترمذى عن ابى هريرة

(ويقطع لسان السفيه عنهما بماله فهو من البر) اى فى حقه وحقهما ففى رواية العسكرى والقضاعى عن جابر مرفوعا ماوقى به المرء عرضه فهوله صدقة (ويقدم حق المعلم) اى للعلوم الشرعية (على حقهما) فان حقهما من الامور الفرعية (فهو) اى المعلم سبب (حيوة الروح) اى فى الابد وهما سبب ايجاد الجسد فى دار النكد والكبد (ولا يقرع باب داره) بل يقف كالعبد فى انتظاره فروى الشيخ فى قومه كالنبى فى امته (فورد) اى فى التنزيل (ولوانهم) اى المؤمنين الذين اتوا النبى صلى الله عليه وسلم (صبروا) اى من غير خطاب ولا دق باب (حتى تخرج اليهم) وقت ذهاب اواياب (لكان خيرا لهم) فى كثرة ثواب وحسن مآب (ويصل الرحم بما امكن من عطاء وزيارة ودعاء) وكذا مايعرض له من هناء وعزاء (فورد من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه) لم اجداصله وفى الصحيحين من حديث عائشة عنه عليه السلام يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته اى قطعته البتة وفيهما من حديث انس من سره اى يفرحه ان ينسأ له فى اثره اى يؤخر فى اجله ويوسع له فى رزقه فليصل رحمه وزاد احمد والحاكم باسناد جيد من حديث على فليتق الله وليصل الرحم ولاحمد والطبرانى من حديث ذرة بنت ابى لهب باسناد حسن انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وللطبرانى والبيهقى من حديث عبد الله بن عمرو ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافى ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها وهو عند البخارى دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواه مسلم من حديث عائشة ولاحمد من حديث معاذ وللطبرانى من حديث ابى امامة افضل الفضائل ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عن من ظلمك وقالت اسماء بنت ابى بكر قدمت على امى فقلت يارسول الله ان امى قدمت على مشركة افاصلها قال نعم صليها رواه الشيخان وفى رواية افاعطيها قال نعم صليها وهو مقتبس من قوله تعالى * وصاحبهما فى الدنيا معروفا * وللترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجه من حديث سلمان بن عامر الضبى الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة (بلوا) اى وورد بلوا وهو بضم الباء واللام المشددة اى جددوا وفى رواية صلوا (ارحامكم ولو بالسلام) اى مشافهة اومكاتبة والحديث رواه العسكرى من حديث انس مرفوعا (قيل يكره جوار القريب) اى مجاورته وكذا مسافرته (فهو يرفع الحرمة ويورث القطيعة) اى بسبب الملالة كما قيل فى كراهة مجاورة مكة والمدينة انها سبب قلة الحشمة والعظمة وعن عمر رضى الله عنه انه كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا ونظيره انه كان يقول فى الحج يااهل اليمن يمنكم ويااهل العراق عراقكم ويااهل الشام شامكم (وزره غبا) اى ليزداد حبا (وراعى حق الكبير)

من الاخ والاخت والعم والعمة والخال والخالة (كحق الابوين والصغير) اى منهم (كالولد) اى والمساوى كالاخ (ويشتريه) اى قريبه (مملوكا ليعتق) اى لاجل ان يعتقه اوليعتق عليه اذا كان من ذى رحم محرم منه كما هو مذهبنا (لاسيما الوالدين فهو قضاء حقهما) وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة لن يجزى ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه اى بان ينوى عتقه اويصير سببا لعتقه (ويبالغ فى استرضاء الجار) فقيل الجار ثم الدار واستنبط هذه النكتة من قول آسية امرأة فرعون * اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة * (فورد) اى فى الصحيحين عن عائشة وابن عمر (مازال جبريل يوصينى فى الجار) اى بالاحسان فى حقه بالماء وغيره (حتى ظننت انه) اى الجار (سيورثه) اى الجار الآخر وفيهما عن ابى شريح من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره وللبخارى عنه لايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه والبزار وابى الشيخ وابى نعيم عن جابر الجيران ثلاثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذى له ثلاثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذى له حق واحد فالجار المشرك اقول فلعل حقه اقوى من غيره لانه لايسامحه فى تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله ابن مجاهد كنت عند عبد الله بن عمر وغلام له يسلخ شاة فقال ياغلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودى حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا انه سيورثه رواه ابو داود والترمذى وقال حسن غريب ولاحمد والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذى جيرانها فقال هى فى النار وللخرائطى وابن عدى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده اتدرون ماحق الجار ان استعان بك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر عدت اليه وان مات شيعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل فادخله سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا ان تغرف له منها اتدرون ماحق الجار والذى نفسى بيده لايبلغ حق الجار الامن رحمه الله وقال ابو ذر اوصانى خليلى عليه السلام وقال اذا طبخت فاكثر المرق ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاغرف لهم منها رواه مسلم وعن ابى هريرة مرفوعا يانساء المسلمات لاتحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة رواه البخارى وجملته ان يحب له مايحب لنفسه فقد حكى ان بعضهم شكا كثرة الفار فى داره فقيل لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع الفار صوت الهر فيهرب منه الى دار الجار فاكون قد احببت له مالا احب لنفسى (ويمن الدار) اى وورد بركته (سعته) اى وسعته

بقدر كفايته (وحسن جوار اهله) اى مجاورته فى محاورته والحديث اخرجه مسلم من حديث ابن عمر الشؤم فى الدار والمرأة والفرس قيل فيمن الدار سعته وحسن جوار اهله وشؤمه ضيقه وسوء جوار اهله وشؤم المرأة عقم رحمها وسوء خلقها ويمنها خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ويمن الفرس ذله وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه وللدمياطى من رواية سالم بن عبدالله مرسلا اذا كان الفرس ضروبا فهو مشؤم واذا كانت المرأة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت الى الزوج الاول فهى مشؤمة واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لايسمع منها الاذان والاقامة فهى مشؤمة واسناده ضعيف ووصله صاحب الفروس بذكر ابن عمر فيه وهو لاينافى ماورد من قوله تعالى * ونكتب ماقدموا وآثارهم * وقوله عليه السلام يابنى سلمة دياركم دياركم يكتب آثاركم فانه محمول على ان الاجر على قدر المشقة فهى بهذا الاعتبار مباركة ومقبولة (وورد فى حده اربعون دارا) فعن الزهرى مرسلا ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فامر عليه السلام ان ينادى على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار ابوداود فى مراسيله قال الزهرى اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واومأ الى اربع جهات ووصله الطبرانى من رواية الزهرى عن ابن كعب بن مالك عن ابيه ورواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة وقال اربعون ذراعا وكلاهما ضعيف (وروى اربعون فى كل جهة) وهذا قد علم مما تقدم فكأنه يشير الى ماقيل من ان المراد باربعين فى مجموع الجهات بان يكون عشرة فى كل جهة وعن عائشة قلت يارسول الله ان لى جارين احدهما مقبل ببابه والآخر ناء ببابه عنى وربما كان الذى عندى لايسعهما فايهما اعظم حقا قال المقبل عليك ببابه رواه البخارى ففيه تنبيه الى مراعاة الاقرب كما يشير اليه قوله تعالى * والجار ذى القربى والجار الجنب * وعن ابن مسعود قال رجل يارسول الله كيف لى ان اعلم اذا احسنت اواسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعت جيرانك يقولون اسأت فقد اسأت احمد والطبرانى باسناد جيد ولاحمد وغيره عنه عليه السلام من اراد به خيرا عسله قيل وماعسله قال يحببه الى جيرانه وفى رواية البيهقى يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله واسناده جيد (ويحترز عن النظر الى بيته) بان لايطلع من السطح وغيره على عوراته وان اطلع من غير قصد فيصفح عن زلاته (واجراء الميزاب اليه) بان يكون ضررا الانصباب عليه (ووضع السارية) اى الاسطوانة (على حائطه) اى جداره فى الصحيحين عن ابى هريرة لايمنعن احدكم جاره ان يغرز خشبة فى جداره وفى مكارم الاخلاق للخرائطى عن ابى هريرة قضى عليه السلام ان الجار يضع جذعه فى حائط جاره شاء ام ابى واسناده جيد (والمضايقة فى القاء التراب) اى ونحوه

من الرماد وغيره (بين يدى داره ولايمنع عنه الريح برفع البناء) وكذا الضوء بسد الهواء (ولانحو الملح والماء والنار) فان منعها مطلقا من العار فكيف عن الجار (ويرسل اليه ثمرة) اى فاكهة (يشتريها اويخفيها) بان لايبديها لانه اذا رآها ربما يشتهيها ولم يكن قادرا على ان يشتريها (ولايبلغه) اى لايوصله (ريح القدر) اى غليانه ودخانه (الا ان يرسل اليه) والافيقال فى حقه احسانه ما أتينا دخانه يعمينا (ويسامح ماامكن) اى من تقصيراته لانه ليس حق الجار مجرد كف الاذى بل احتمال الاذى ولايكفى احتمال الاذى بل لابد من الرفق وبذل الندى (ويحسن المعاشرة مع المرأة) فيحسن الخلق معهن ويحتمل الاذى عنهن ترحما عليهن لقصور عقلهن (فورد) اى فى القرآن (وعاشروهن بالمعروف) تمامه * فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * وفى آية اخرى * فامساك بمعروف اوتسريح باحسان * وفى اخرى * ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف * وعن ابن عباس انى احب ان اتزين لامرأتى كما تحب امرأتى ان تتزين لى لهذه الآية (من صبر) اى ورد من صبر (على سوء خلق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل مااعطى ايوب على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله ثواب آسية) امرأة فرعون كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجد له اصلا قلت ومما يدل على عدم ثبوته فقد الملائمة بين الفقرتين فان امرأة ايوب كانت من الصلحاء والصابرات على المشقات فحسن المقابلة ان يقال مثل مااعطى نوحا اولوطا على بلائه اى ابتلائه بامرأته فيكون مشيرا الى قوله تعالى * ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما * اى بالكفر لان حرم الانبياء مصونات عن الزنا الى ان قال * وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون * الآية وقد ورد عنه عليه السلام اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله الترمذى والنسائى والحاكم وصححه وللترمذى من حديث عائشة وصححه خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ثم ليس حسن الخلق معها مجرد كف الاذى عنها بل تحمل الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها وقلة ادبها اقتداء به عليه السلام فان ازواجه كن يراجعنه فى الكلام وتهجره الواحدة منهن الى الليل كما فى الصحيحين من حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله * وان تظاهرا عليه * اى عائشة وحفصة وفى رواية ابى يعلى فى مسنده وابى الشيخ فى كتاب الامثال وفيه ابن اسحق وقد عنعنه قالت عائشة له مرة فى كلام غضبت عنده انت الذى تزعم انك نبى الله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل ذلك حلما وكرما اقول وهذا لعلمه عليه السلام بانها ماخرجت بهذا الكلام من الاسلام لما اطلعه الله سبحانه من علم الغيب فى الاحكام والا فظاهره ردة لوصدر مثله من غيرها لحكم بكفرها وكان عليه السلام يقول لها انى لاعرف غضبك على من رضاك قالت وكيف

تمرده قال اذا رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما اهجر اسمك وربما جعت امرأة عمر فى الكلام فقال اوتراجعينى فقلت ان ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه فقال عمر خابت حفصة وخسرت اى ان راجعته ثم قال لحفصة لا تغترى يابنت ابن ابى قحافة بانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى انه وقعت احديهن فى صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم فزبرتها امها فقال عليه السلام دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك (وينبسط لعبا ومزاحا) فانه يوجب اصلاحا ويفيد فلاحا (فورد) اى خطابا لجابر (هلا بكرا) اى اخذتها (تلاعبها وتلاعبك) وفى نسخة تداعبها وتداعبك وكان عليه السلام يمزح معهن وينزل الى درجة عقولهن حتى روى انه كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الايام فقال عليه السلام هذه بتلك ابوداود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث عائشة بسند صحيح وقالت عائشة سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم يلعبون فى يوم عيد فقال لى اتحبين ان ترى لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام عليه السلام بين البابين فوضع كفه على الباب ومديده وجعلت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسبك ياحميراء واقول لا تعجل مرتين والحديث رواه الشيخان والنسائى مع اختلاف فى بعض الالفاظ وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغى للرجل ان يكون فى اهله كالصبى فاذا التمس ما عنده وجد رجلا وكذا روى عن لقمان وو صفت اعرابية زوجها وقد مات فقالت كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج آكلا ما وجد غير سائل عما فقد (ولايدع الانقباض) اى بالمرة حتى لا يصير محكوما للمرأة واسيرا لها فى الحرمة فكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار ازواجهن وتقول لبنتها اختبرى زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه فان سكت فقطعى اللحم على ترسه فان سكت فكسرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره فانما هو حمارك فى امره طول عمره هذا وفى البخارى عن ابى بكرة لا يفلح قوم تملكتهم امرأة وروى ان اسماء بنت خارجة الفزارى قال لابنته عند زفافها انك خرجت من العش الذى فيه درجت وصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكونى له ارضا يكن لك سماء وكونى له مهادا يكن لك عمادا وكونى له امة يكن لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تتباعدى عنه فينساك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى انفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع منك الا حسنا ولا ينظر منك الا جميلا

وقال رجل لزوجته (شعر)

* خذى العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب *

* ولا تنقرينى نقرة الدف مرة * فانك لا تدرين كيف المغيب *

* لانى رأيت الحب فى القلب والاذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب *

(فورد) اى كما سبق (وخالفوهن) اى فى المشورة واصل الحديث شاوروهن وخالفوهن (فالبركة فى خلافهن) اى لقلة عقلهن ونقصان دينهن وهو من تتمة كلام عمر رضى الله عنه خالفوا النساء فان فى خلافهن البركة وقال الحسن والله ما اصبح رجل يطيع امرأته بما تهوى الا كبه الله فى النار واما ما اورده الغزالى من حديث تعس عبد الزوجة فلا اصل له وانما ثبت فى صحيح البخارى من حديث ابى هريرة تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم والله سبحانه اعلم (ويغار بمبادى الامور) لئلا تتأدى الى مناهى الشرور (ولها غوائل) جملة حالية اى والحال ان للمرأة منا كرور ذائل فانهن كما ورد للشيطان حبائل فالغيرة بعد ظهور الريبة من اخلاق الرجال وارباب الفضائل واصحاب الفواضل من باب التخلق باخلاق الله (وورد ان الله تعالى يغار والمؤمن) اى الكامل (يغار) اى على امرأته وجاريته وقرابته وهذا ظاهر (وغيرة الله ان يأتى المؤمن ما حرم الله عليه) اى من الزنى وغيره والحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة الا ان البخارى لم يقل والمؤمن يغار والحاصل ان الغيرة كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو من حقه وغيرة الله ان يكون مخالفة امره (ولا يفرط) اى لا يبالغ فى الغيرة لئلا يقع فى محظور (فورد) اى فى رواية ابى داود والنسائى وابن حبان من حديث جابر بن عتيك (من الغيرة غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل) اى على اهله (من غير ريبة) اى شك وشبهة وفى رواية ان من الغيرة ما يحبه الله تعالى ومنها ما يبغضه الله الحديث وجاء فى الحديث عنه عليه السلام انى لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب وقد قال على رضى الله عنه لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى بالسوء من اجلك وقد ورد نهيه عليه السلام من تتبع عثرات النساء الطبرانى ولان الغيرة من غير الريبة من سوء الظن الذى نهينا عنه فان بعض الظن اثم ثم اعلم ان مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب كما رواه الطبرانى من حديث ابى امامة بسند ضعيف والاعصم الابيض البطن ولاحمد من حديث عمرو بن العاص كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فاذا بغربان كثيرة فيها غراب اعصم احمر المنقار فقال لا يدخل الجنة من النساء الا مثل هذا الغراب فى هذه الغربان واسناده صحيح وهو فى السنن الكبرى والنسائى وورد استعيذوا من الفواقر الثلاث جار ان رأى حسنة دفنها وان رأى سيئة اذاعها وامام ان احسنت لم يرض عنك وان اسأت غضب منك وامرأة ان دخلت عليها لسنتك وان غبت عنها خانتك الديلمى عن ابى هريرة بسند ضعيف وجاء بلفظ آخر رواه الطبرانى من حديث فضالة بن عبيد ثلاث من الفواقر فذكر منها وامرأة ان حضرتك اذتك وان غبت عنها خانتك وسنده حسن (ويمنع) اى المرأة الشابة (عن الحضور فى المسجد) وجوز بعض فقهائنا

حضور العجوز من غير زينة فى الصبح والعشاء حال الظلمة والمتأخرون اطلقوا منعهن لفساد الزمان خصوصا فى حق النسوان وفى الاحياء كان عليه السلام قد اذن للنساء فى حضور المساجد وهو متفق عليه من حديث ابن عمر ائذنوا للنساء بالليل الى المساجد والصواب الآن المنع فالمنع حسن الا للعجائز بل استصوب ذلك فى زمن الصحابة حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو علم النبى صلى الله عليه وسلم ما احدث الناس بعده لمنعهن الخروج متفق عليه ولما قال ابن عمر كما فى الصحيحين قال عليه السلام لا تمنعوا اماء الله مساجد الله قال بعض بنيه وهو بلال وقيل سالم بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وهجره وقال تسمعنى اقول قال عليه السلام لا تمنعوا فتقول بلى وانما استجرأ على المخالفة لعلمه بتغير الزمان وانما غضب عليه لاطلاقه اللفظ بالمخالفة ظاهرا من غير اظهار العذر قال والخروج الآن ايضا مباح للمرأة العفيفة برضاء زوجها ولكن القعود اسلم والله اعلم فاذا خرجت فينبغى ان تغض بصرها عن الرجال ولسنا نقول ان وجه الرجل فى حقها عورة كوجهها فى حقه بل هو كوجه الصبى الامرد فى حق الرجل فيحرم النظر عند خوف الفتنة فان لم تكن فتنة فلا اذ لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفى الوجوه والنساء يخرجن متنقبات ولو كانت وجوه الرجال عورة فى حق النساء لامروا بالتنقب او منعوا من الخروج الا للضرورة انتهى وقد بالغ النووى وحرم النظر الى الامرد الحسن الوجه ولو بغير شهوة (ويعتدل فى النفقة) ففى الخبر الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة الطبرانى والبيهقى عن ابن عمر (فورد) اى فى القرآن (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) وهى كناية عن البخل (الآية) اى *ولا تبسطها كل البسط *وهى كناية عن الاسراف والتبذير* فتقعد ملوما محسورا *وقال عز وعلا فى نعت عباد الرحمن *والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما* وقيل كان لعلى اربع نسوة يشترى لكل واحدة منهن فى كل اربعة ايام لحما بدرهم وقال ابن سيرين يستحب للرجل ان يعمل لاهله فى كل جمعة فالوذجة فان الحلاوة وان لم تكن من المهمات ولكن تركها بالكلية تقتير باعتبار العادات (ولا يختص) اى الرجل (باجود الطعام) اى لا ينبغى له ان يستأثر عن اهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه فان ذلك مما يوغر الصدر ويوجب الضجر الا اذا ارضى اهله وطاب عندهم عمله والا فليأكله فى خفية بحيث لا يطلع عليه غيره ولا ينبغى ان يصف عندهم طعاما ليس يريد اطعامهم اياه بل اذا وصف عنده طعاما فينبغى ان يطعمهم اياه (ويشتركان) اى هو والعيال (فيه) اى فى الاكل على مائدته (فورد فيه فضل كثير) ومنه ما تقدم من ان خير الطعام ما كثرت عليه الايدى وقال سفيان بلغنا ان الله وملائكته يصلون على اهل بيت يأكلون فى جماعة (ويعلم) اى المرأة (ما يجب عليها) من علم الحيض واحكامه واحكام الصلوة وما يقضى منها فى الحيض

وما لا يقضى فانه امر بان يقيها النار لقوله تعالى *قوا انفسكم واهليكم نارا* فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة ويخوفها بالله اذا تساهلت فى امر دينها وفى الاحياء مهما انقطع دمها قبل المغرب بمقدار ركعة فعليها قضاء الظهر والعصر واذا انقطع قبل الصبح بمقدار ركعة فعليها قضاء المغرب والعشاء انتهى وهذا مذهب الشافعى واما عندنا فلا يجب عليها الا قضاء العصر والعشاء ثم ان قصر عن ذلك علم الرجل ناب عنها بالسؤال عن اهل العلم والجواب لها والا فيجب عليها الخروج ويعصى الرجل بمنعها فى تلك الحال (ويعدل بين النساء فى البيتوتة) اى فى مبيت الليل عندهن (والاعطاء) اى من نفقتهن وكسوتهن فلا يميل الى بعضها دون غيرهن حتى او خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة منهن اقرع بينهن كذلك كان يفعله عليه السلام كما فى الصحيحين عن عائشة وذلك لقوله تعالى *ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء* اى كمال العدل *ولو حرصتم* اى من طريق الفضل *فلا تميلوا كل الميل* اى الى واحدة من اخرى* فتذروها كالمعلقة* بين المزوجة والمطلقة (فورد فى المائل) اى فى القسم (جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل) اصحاب السنن وابن حبان من حديث ابى هريرة مرفوعا من كان له امرأتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفى رواية مال مع احديهما وفى اخرى فلم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل اى ساقط (بخلاف المباشرة) استثناء معنوى من البيتوتة والاعطاء اى لكن المجامعة بل الملامسة والملاعبة (والمحبة) اى التى يتفرع عليها غالب اسباب الملاعبة (فلا اختيار فيهما) اى طبعا فلا حرج فى عدم العدل فيهما شرعا (وورد) اى عنه عليه السلام انه كان يعدل بينهن ويقول (اللهم هذا) اى الذى فعلته من القسم (جهدى) بالضم الطاقة وبالفتح المشقة اى غاية اجتهادى (فيما املك) اى من العدل بينهن (ولا طاقة لى فيما لا املك) اى من زيادة المحبة او المجامعة الى بعضهن (بعد القسم) ظرف اورد اى قال هذا الكلام بعد القسم والحديث رواه اصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة انه عليه السلام كان يعدل بينهن ويقول اللهم هذا جهدى فيما املك ولا طاقة لى فيما تملك ولا املك ولابن سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحمل فى ثوب ويطاف به على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفى مرسل آخر له لما ثقل عليه السلام قال اين انا غدا قالوا عند فلانة قال فاين انا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف ازواجه انه يريد عائشة الحديث وللبخارى من حديث عائشة كان يسأل فى مرضه الذى مات فيه اين انا غدا اين انا غدا يريد يوم عائشة فاذن له ازواجه ان يكون حيث شاء وفى الصحيحين لما ثقل استأذن ازواجه ان يمرض فى بيتى فاذن له هذا وقال تعالى *وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير* ولابى داود من حديث عائشة قالت سودة وهى بنت زمعة حين اسنت وفرقت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا رسول الله يومى لعائشة الحديث وللطبرانى فاراد ان يفارقها وهو عند البخارى
بلفظ لما ان كبرت سودة وهبت يومها لعائشة فكان يقسم لها يوم سودة وللبيهقى
مرسلا طلق سودة فقالت اريد ان احشر فى ازواجك الحديث ثم انه عليه السلام
بحسن عدله وقوة فضله كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من نسائه فى غير يومها جامعها
ثم طاف من يومه ذلك اوليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما فى الصحيحين عن عائشة طاف
على نسائه فى ليلة واحدة وللبخارى كان يطوف على نسائه فى ليلة واحدة وله تسع
نسوة ولابن عدى فى الكامل عن انس انه عليه السلام طاف على تسع نسوة فى ضحوة
نهار قيل وهذا من خصوصياته عليه السلام (ولو وقع الخصومة) اى المخالفة
(من الجانبين) اى جانبى الزوجين (او جانبه) اى الرجل وحده (ولا تلتئم) اى
خصومتهما ولا يجتمع امرهما (فلا بد من حكمين من اهله واهلها فورد) فى القرآن
(ان يريدا) صدر الآية وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من
اهلها ان يريدا (اصلاحا يوفق الله بينهما) وضمير يريدا الى الزوجين كضمير
بينهما او الاول الى الحكمين والثانى الى الزوجين ويؤيده ان عمر رضى الله عنه
بعث حكمان الى زوجين فعادا ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال
ان الله يقول ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا واحسنا النية وتلطفا
فى القضية فاصلح ما بينهما وقد جرى بينه عليه السلام وبين عائشة نوع من الكلام
حتى ادخلا بينهما ابا بكر حكما فاستشهده فقال لها عليه السلام تكلمين او اتكلم
فقالت تكلم انت ولا تقول الاحقا فلطمها ابو بكر حتى دمى فمها فقال يا عدية نفسها
او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره
فقال له عليه السلام لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك (وان كان) اى النشوز (من
جانبها) اى المرأة فقط فقد قال تعالى * وللرجال عليهن درجة * وقال * الرجال قوامون
على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات
قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن
فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا * وهذا معنى قوله (يعظ
الزوج) اى ينصحها ويلاطف معها اولا لقوله تعالى * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة (ثم يخوف) اى يحذر المرأة من الضرب ونحوه (ثم يستدبر فى الفراش) بان
يوليها ظهره فى المضجع (ثم يعزلها) اى يتفرد بفراشه عنها (دون البيت) اى من غير
ان يخرج هو او هى من البيت (ثم يهاجر) اى يهجرها وهو مع ذلك فى البيت معها
(ثلاثة ايام) اى من ليلة الى ثلاث ليال (وجاء) اى ورد انه جاز ان يهجرها
(عشرة او عشرين او شهرا ان كان للدين) كترك صلاة وغسل جنابة واباء عن فراش
ونحوها فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ارسل بهدية الى زينب فردتها

عليه فقال له التى هو فى بيتها لقد اقمأتك اذ ردت عليك هديتك اى اذلتك
واستصغرتك فقال عليه السلام انتن اهون على الله ان تقمئننى ثم غضب عليهن كلهن
شهرا الى ان عاد اليهن كذا فى الاحياء وذكره ابن الجوزى بغير اسناد فى الوفاء وفى
الصحيحين من حديث عمر كان اقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن
وفى رواية آلى منهن شهرا ولمسلم من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا (ثم يضرب) اى المرأة
ضربا (غير جارح ولا كاسر) اعظم (ولا ملطخ بدم) ولا على وجه ايضا (فورد فيه) اى
فى بيان هذا الحكم من امره ونهيه عنه عليه السلام وقد قيل له ما حق المرأة على الرجل
فقال (يطعمها اذا اطعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الاضربا
غير مبرح) اى غير مؤلم ولا يهجر الا فى البيت ابو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجه
من رواية معاوية بن حيدة بسند جيد وقال ولا يضرب الوجه ولا يقبح اى لا يقول
قبحك الله او قبح الله وجهك وفى رواية لابى داود ولا يقبح الوجه ولا يضرب
(ولا يطلق) اى من غير احتياج الى اختيار الفراق (فورد ابغض المباحات عند الله
الطلاق) رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم فى مستدركه عن ابن عمر ولفظه
ابغض الحلال الى الله الطلاق وفى رواية للحاكم ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق
وعند الديلمى من حديث معاذ بن جبل ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق
وفى رواية ما احل الله حلالا احب اليه من النكاح ولا احل حلالا اكره اليه من الطلاق
قد يقال المباح ما استوى فعله وتركه ولا يتصور ان يكون احد طرفيه مبغوضا
فلا بد من التجوز فى المباح بارادة ما يشمل المكروه ففى الكافى ان الطلاق محظور
فى اصل مباح نظرا الى الحاجة فاطلاق المباح نظر الى الحاجة والوصف بالمبغوضية
نظر الى اصله انتهى وحاصله انه عند الحاجة مباح وعند غيرها مكروه ونظيره السؤال
عن الناس فانه محرم باصله ويباح عند الضرورة الى فرعه (ولانه) اى الطلاق
(ايذاء) اى فى مقام الافتراق ولا يباح ايذاء الغير (الا لضرورة منه) اى من جانبه
(او جناية منها) اى من جانبها بان كانت تؤذى زوجها او اهله او تكون سيئة
فى خلقها او فاسدة فى دينها والا فقد قال تعالى * فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا *
(او امر الاب) اى او لاجل امر اب الزوج (به) اى بطلاقها (ان صح الغرض
اى غرض الاب ولا يكون عن حظ النفس او الغضب (وهو مأثور) اى مروى
عن ابن عمر انه قال كان تحتى امرأة احبها وكان ابى يكرهها ويأمرنى بطلاقها
فراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك اصحاب السنن
قال الترمذى حسن صحيح (وورد فلا جناح عليهما الآية) وتمامها فان خفتم
الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به * والمعنى اذا كان الاذى من الزوج
فلها ان تفتدى ببذل مال ويكره للرجل ان يأخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك

اجحاف بها وتحامل عليها وتجارة على بضعها فاللائق بالفداء رد ما اخذته من العطاء (فيطلق) اى حينئذ (فى طهر خال عن الجماع) فان الطلاق فى الحيض والطهر الذى جامعها فيه بدعى حرام وان كان واقعا لما فيه من تطويل العدة وتحصيل المضرة فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امرأته فى الحيض فقال عليه السلام لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان شاء امسكها فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة من طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط كذا فى الاحياء وهو موافق لمذهب الشافعى ان الخلع فسخ اوطلاق رجعى واما على مذهبنا انه طلاق باين فلا يمكن ان يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا واما حديث ابن عمر فمحمول على الطلاق الرجعى (واحدة فقط) اى يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلاث فانه طلاق بدعى ايضا وهو حرام عندنا و مكروه عند الشافعى ولان الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة و يستفيد بها الرجعة ان ندم فى العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلاثا ربما ندم فيحتاج فى ان يتزوجها الى محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه مكروه فيه و يكون هو الساعى له ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير ومطلقته اعنى زوجة المحلل بعد ان زوجت منه فيورث كل ذلك تنفيرا فى الزوجة وكل ذلك ثمرة الجمع بين الطلقات الثلاث (بلا تعنيف واستخفاف) اى ينبغى ان يتلطف فى التعلل لتطليقها ولا يستعجل فى امر تفريقها (و يسر بهدية) اى و يحيى بارسال هدية على سبيل المتعة فى القضية (جبرا للمصيبة) اى لما اصابها من البلية وقد قال تعالى * ومتعوهن بالمعروف * وذلك واجب فى بعض الصور ومستحبة فى بعضها وفى الكتب الفقهية يذكر تفصيلها وكان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا منكاحا قائلا انى وجدت الغنى فيهما حيث قال سبحانه * ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله * وقال * وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته * وقد وجه ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وادفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال اما احديهما فسكتت ونكست رأسها واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول * متاع قليل من حبيب مفارق * فاطرق الحسن ورحمها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له فى المدينة نظير وبه ضربت المثل عائشة رضى الله عنها حيث قالت لو لم اسر مسيرى ذلك لكان احب الى من ان يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحارث فدخل الحسن فى بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه واكرمه فقال الا ارسلت الى فكنت آتيك فقال لحاجة لنا

فقال وما هى قال جئتك خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الارض احد يمشى عليها اعز علىّ منك ولكن تعلم ان ابنتى بضعة منى وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها وان فعلت خشيت ان يتغير قلبى فى محبتك واكره ان يتغير قلبى عليك لانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام فخرج فقال بعض اهل بيته سمعته وهو يمشى ويقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا فى عنقى وكان علىّ رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر منه على المنبر الى ان قال فى خطبته ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه فقام رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام (ولا تطلبه) اى الطلاق (المرأة) اى من غير الضرورة (ففيه الوعيد) اى التهديد الشديد فلابى داود والترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان من حديث ثوبان ايما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة وفى لفظ فالجنة عليها حرام ومما ينبغى للزوج ان لا يفشى سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد فى افشاء سر النساء فى الخبر الصحيح وعيد عظيم كذا فى الاحياء وفى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد قال عليه السلام ان اعظم الامانة عند الله يوم القيمة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم يفشى سرها يعنى او تفشى سره فان المجالس بالامانة كما ورد وروى ان بعض الصالحين اراد طلاق امرأته فقيل له ما الذى يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له لم طلقتها قال مالى وامرأة غيرى وهذا بيان ما على الزوج واما حق الزوج على المرأة فكما بينه بقوله (وتطيع الزوج) اى مطلقا فى كل ما طلب منها فى نفسها مما لا معصية فيه (فورد ايما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) الترمذى وابن ماجه من حديث ام سلمة وقال الترمذى حسن غريب (ولا تمنع نفسها) اى عنه ولو كانت على تنور اوقتب مستور فلابن حبان من حديث ابى هريرة اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت زوجها دخلت جنة ربها وفى الصحيحين من حديث ابن عباس اطلعت فى النار فاذا اكثر اهلها النساء فقلن لم يا رسول الله فقال تكثرن اللعن وتكفرن العشير يعنى الزوج المعاشر ولاحمد من حديث ابى امامة اطلعت فى الجنة فاذا اقل اهلها النساء فقلت اين النساء قال شغلهن الاحمران الذهب والحرير ولابى نعيم ويل للنساء من الاحمرين الذهب والزعفران يعنى الحلى وسائر الاسباب ومصبغات الثياب (وتنق) اى نفسها وتزينها (لتمتع) اى لانتفاعه بها مستعدة فى الاحوال كلها فعن الاصمعى رأيت فى البادية امرأة عليها قميص احمر وهى مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد

هذا من هذا فقالت (شعر)

* ولله منى جانب لااضيعه * وللهو منى والبطالة جانب *

قال فعلمت انها امرأة صالحة لها زوج تتزين له (وتستأذنه فى الاعطاء من البيت) اى من متاعه بل ومن متاعها عند بعض العلماء وفى الاحياء عنه عليه السلام لايحل لها ان تطعم الا الرطب الذى يخاف فساده ولابى داود من حديث سعد قالت امرأة يارسول الله انا كل على آبائنا وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من اموالهم قال الرطب تأكلنه وتهدينه وصحح الدار قطنى فى العلل ان سعدا هذا رجل من الانصار ليس ابن ابى وقاص وذكر البزار فى مسنده انه ابن ابى وقاص واختاره ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة اذا انفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها اجرها بما انفقت ولزوجها اجره بما كسب (والخروج عنه) اى وفى خروجها عن البيت ولو الى المساجد ونحوها (وصوم النفل) اى اذا كان عندها فللبيهقى عن ابن عمر اتت امرأة من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى امرأة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج على المرأة قال من حق الزوج على المرأة اذا ارادها على نفسها وهى على ظهر بعير ان لاتمنعه ومن حقه ان لاتعطى شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الاجر ومن حقه ان لاتصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لاتخرج من بيتها بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وللحاكم وصححه عن ابى هريرة اتت فتاة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يانبى الله انى امرأة فتاة اخطب وانا اكره التزويج فما حق الزوج على المرأة قال لوكان من قرنه الى قدمه صديد فلحسته ماادت شكره قالت فلا اتزوج اذا وللترمذى وابن حبان من حديث ابى هريرة لوامرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها (ولاتعيبه بالقبح) اى لافى صورته ولافى سيرته ولاتؤذيه فى سره وعلانيته فللترمذى وابن ماجه عن معاذ ابن جبل لاتؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الاقالت زوجته من الحور العين لاتؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ولاتتفاخر على الزوج بمالها وجمالها فقد روى الاصمعى قال دخلت البادية فاذا انا بامرأة من احسن الناس تحت رجل من اقبح الناس فقلت لها ياهذه اترضين لنفسك ان تكونى تحت مثله فقالت ياهذا اسكت فقد اسأت فى قولك لعله احسن فيما بينه و بين خالقه فجعلنى ثوابه اولعلى اسأت فيما بينى و بين خالقى فجعله عقوبتى افلا ارضى بما رضى الله لى فاسكتتنى وفى رواية له رأيت فى البادية اعرابية من احسن الناس ورأيت زوجها من اقبح الناس وهى تقول لزوجها بشرى لك فانت وانا فى الجنة فقالت ما اعلمك بذلك فقالت ابتليت انا بقبحك فصبرت وموضع الصابرين فى الجنة وابتليت انت بحسنى فشكرت

وموضع الشاكرين فى الجنة (وتقدم حقه) اى حق الزوج (على الاقارب) حتى على الوالدين فللطبرانى فى الاوسط عن انس كان رجل خرج الى سفر وعهد الى امرأته ان لاتنزل من العلو الى السفل وكان ابوها فى السفل فمرض فارسلت المرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن فى النزول الى ابيها فقال عليه السلام اطيعى زوجك فمات ابوها فاستأذنته فقال اطيعى زوجك فدفن ابوها فارسل عليه السلام يخبرها ان الله غفر لابيها بطاعتها لزوجها (ولاتنبسط) اى بالكلام والسلام (مع حبيبه) اى صديق زوجها لاسيما فى حال غيبته عن بلدها (وتنقبض فى غيبته بترك الملاعبة) فى حال المصاحبة (والالتذاذ) بانواع من الطعام واصناف من الزينة فى ذلك المقام لان الوقت يقتضى الحزن والاهتمام (وتقوم بامور البيت) اى بكل خدمة فى الدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار فقد روى عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهما انها قالت تزوجنى الزبير وماله فى الارض من مال ولامملوك ولاشئ غير فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه واعلفه واستقى الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى اى اجمعه على رأسى من ثلثى فرسخ حتى ارسل الى ابو بكر بخادم فكفانى سياسة الفرس فكأنما اعتقنى ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه اصحابه والنوى على رأسى فقال عليه السلام اخ اخ ليبرك ناقته و يحملنى خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم انى استحييت فجئت فحكيت له ماجرى فقال والله لحملك النوى على رأسك اشد من ركوبك معه عليه السلام رواه الشيخان ومن جملة القيام بامور بيتها دوام لزوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورتها فلابن حبان من حديث ابن مسعود اقرب ماتكون المرأة من ربها اذاكانت فى قعر بيتها وان صلاتها فى صحن دارها افضل من صلاتها فى المسجد (ولاتستبدل زوجا بعد وفاته لتكون زوجته فى الجنة) اى على تقدير ايمانهما البتة واما اذا تزوجت بعده فاختلف فى انها تكون للاول اوالثانى اوتخير فيهما وهو الاظهر وفى البستان اما من قال هى للآخر منهما فذهب الى ماروى عن معاوية بن ابى سفيان انه خطب ام الدرداء فقالت سمعت اباالدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال المرأة لآخر ازواجها فى الآخرة وقال لى ان اردت ان تكونى زوجى فى الآخرة فلاتتزوجى بعدى واما من قال انها تخير فقد ذهب الى ماروى عن ام حبيبة سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله المرأة منا ربما يكون لها زوجان لايهما تكون فى الآخرة قال تخير فتختار احسنهما خلقا معها ثم قال عليه السلام ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة هذا ولابى داود من حديث ابى مالك الاشجعى انا وامرأة سعفاء الخدين كهاتين فى الجنة اراد

امرأة نأيت من زوجها وحبست نفسها على اولادها حتى بانوا اوماتوا وللخرائطى عن ابى هريرة حرم الله على كل آدمى الجنة ان يدخل قبلى غير انى انظر من يمينى فاذا امرأة تبادرنى الى باب الجنة فاقول مالهذه تبادرنى فقال يا محمد هذه امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهم حتى بلغ امرهم الذى بلغ فشكر الله لها ذلك ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر ليال فتجتنب فى تلك المدة الطيب والزينة قالت زينب بنت ابى سلمة دخلت على ام حبيبة زوج النبى صلى الله عليه وسلم حين توفى ابوها ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق اوغيره فدهنت به جارية ثم مست بعارضيها ثم قالت والله مالى بالطيب من حاجة غير انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلاثة ايام الا على زوج اربعة اشهر وعشرا رواه الشيخان ومن اهم آداب المرأة ترك المطالبة بما وراء الحاجة كما يشير اليه قوله تعالى * يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها * الآية والاهتمام بالتعفف عن كسبه الحرام وهذه كانت عادة النساء فى السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امرأته وابنته اياك وكسب الحرام فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه سفره فقالوا لزوجته لم تدعينه ولم يدع لك نفقة فقالت زوجى منذ عرفته عرفته اكالا وما عرفته رزاقا ولى رزاق وهو الخلاق فيذهب الاكال ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت اسمعيل احمد بن ابى الحوارى فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقال لها والله مالى همة فى شئ لشغلى بحالى فقالت والله انى لاشغل بحالى منك وما لى شهوة ولكنى ورثت مالا كثيرا من زوجى فاردت ان تنفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين فيكون طريقا الى الله تعالى فقال حتى استأذن استاذى فرجع الى ابى سليمان الدارانى قال وكان ينهانى عن التزوج ويقول ما تزوج احد من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها فقال تزوج بها هذه ولية الله هذا كلام الصديقين قال فتزوجها فكان فى منزلها كر من جص نفى من غسل ايدى المستعجلين للخروج بعد الاكل فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلاث نسوة فكانت تطعمنى الطيبات وتطيبنى وتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك وكانت هذه تشبه فى اهل الشام برابعة العدوية فى البصرة (ويحافظ حال الولد) اى من صغره ففى الطبرانى من حديث ابن عمر قال رجل يا رسول الله من ابر قال بر والديك فقال ليس لى والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق (ولا يشتمه) اى لئلا يصير طبعا له فى كبره (لا سيما سمى الانبياء) لانه حينئذ قد يقال بكفره (ويلقنه كلمة التوحيد فى اول ما ينطلق به اللسان)

ففى رواية ابن السنى عن ابن عمرو مرفوعا اذا فصح الولد فليعلمه لا اله الا الله وهو شامل لتلقين مبناه وتبيين معناه وفى رواية له ايضا عن انس انه عليه السلام كان اذا فصح الولد من بنى عبد المطلب علمه * وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا * اقول ويناسبه ايضا تعليم سورة الاخلاص والفاتحة (ويعلمه علوم الدين) اى اصول الشريعة وفروعها ويمنعه عن تعلم المنطق والكلام والهيئة والحكمة وسائر علوم الفلاسفة لما ورد عنه عليه السلام اسألك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع (والكتابة) فانها وسيلة لوقاية الرواية والدراية وهما من اسباب الهداية فى البداية والنهاية (والرمى) لقوله تعالى * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة * وقوله عليه السلام الا ان القوة الرمى وقد سبق ما ورد فى فضل فعله وذم تركه (والسباحة) وهى معرفة الغوص فى الماء ولعله للاحتياج اليه فى سفر البحر للحج والغزو ولا سيما وقد ورد ان شهداء البحر افضل من شهداء البر ومن اللطائف ان نحويا خاطب بحريا فقال هل تعلمت النحو فقال لا قال ضيعت نصف عمرك فسكت حتى ماج البحر فقال هل تعلمت السباحة يا نحوى فقال لا قال ضيعت جميع عمرك (ويؤدب) اى ولده بضرب ونحوه (لست سنين) اى اذا خالف فى آداب الصالحين واخلاق المحسنين او فيما يتعلق بحقوق الوالدين والاقربين فللبيهقى عن ابن عباس مرفوعا من حق الولد على الوالد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه واما ما دون ست سنين فتأديبه باللسان والاحسان (ويعزل الفراش) اى عن امه واخته ونحوهما (لسبع سنين) لانه حينئذ وقت تمييزه بين النساء وغيرهن (ويضرب على الصلوة) اى على تركها (لعشر) اى حتى يتدرب بفعلها ويحمل ثقلها ولابى داود والبيهقى عن رجل من الصحابة مرفوعا اذا عرف الغلام يمينه من شماله فمروه بالصلوة (وروى لثلاث عشرة) فانه قارب البلوغ (ويزوج لست عشرة) لتحقق البلوغ حينئذ فيجب صيانته ولابن السنى عن انس مرفوعا اضربوه على الصلوة لسبع واعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشرة فاذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم ليقل لا جعلك الله على فتنة ورواه ابو الشيخ عن انس بلفظ فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه فاذا بلغ ثلاثة عشر ضرب على الصلوة فاذا بلغ ستة عشر زوجه ابوه ثم اخذه بيده وقال قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى الآخرة (ويسوى بين الاولاد فى الاهداء) فعنه عليه السلام رحم الله والدا اعان ولده على بره اى لم يحمله على عقوقه بسوء عمله فى حقوقه ابو الشيخ وابن حبان فى كتاب الثواب عن على وابن عمر رضى الله عنهم وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل دعوت عليه فقال نعم فقال انت افسدته (ويبدأ) اى فى الاعطا (بالاطفال) اى لصغرهم وقلة صبرهم (والبنات) لجبرهن عن كسرهن فروى

ساووا بين اولادكم في العطية كذا في الاحياء ولم يتعرض له مخرجه وفي الجامع الصغير بلفظ ساووا بين اولادكم في العطية فلو كنت مفضلا احدا لفضلت النساء الطبراني والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس والظاهر ان القبلة ونحوها في حضورهم ينبغي فيها التسوية قياسا على العطية بخلاف زيادة المحبة القلبية فانها ليست من الافعال الاختيارية كما وقع ليعقوب في يوسف واخوته في تلك القضية ثم الظاهر ان التسوية في الاعطاء انما هو اذا كانوا كلهم فقراء او اغنياء واما اذا كان بعضهم فقراء فزادهم في العطاء فلا بأس به بل يجب عليه نفقة ذوي الرحم المحرم عندنا هذا وبالجملة الولد محل المرحمة فقد عثر الحسين وهو عليه السلام على منبره فنزل فحمله وقرأ قوله تعالى * انما اموالكم واولادكم فتنة * كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه اصحاب السنن من حديث ابي بريدة في الحسن والحسين يمشيان ويعثران قال الترمذي حسن غريب وللنسائي من رواية عبدالله بن شداد عن ابيه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس اذ جاء الحسن او الحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس حتى ظننا انه قد حدث امر فلما قضى صلاته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث امر فقال ان ابني قد ارتحلني فكرهت ان اعجله حتى يقضي حاجته اي يفرغ غرضه من ملاعبته ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ورأى الاقرع بن حابس النبي عليه السلام وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لي عشرة من الولد ماقبلت واحدا منهم فقال عليه السلام ان من لا يرحم لا يرحم البخاري عن ابي هريرة وللحافظ الذهبي في ترجمة اسامة من كتابه سير النبلاء عن مجاهد عن الشعبي عن عائشة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اغسلي وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفته فضرب بيدي ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية يعني لئلا يحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والترويج ونحوها من المحنة لحديث احمد عن عائشة ان اسامة عثر بعتبة الباب فدمي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول لو كان اسامة جارية لحليتها ولكسوتها حتى انفقها واسناده صحيح وعنه عليه السلام الولد من ريح الجنة الخرائطي وابن حبان في الضعفاء عن ابن عباس وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك وقال يزيد بن معاوية ارسل الى ابي الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا ابا الحسن ماتقول في الولد فقال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد دخلت علي وانا مملوء غضبا وغيظا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضي على يزيد

وبعث اليه بمائتي الف درهم ومائتي ثوب فارسل يزيد الى الاحنف بمائة الف درهم ومائة ثوب فقاسمه اياها على الشطر ثم اعلم ان اكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة في الشبهات حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تأكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذي هو فرض اسلام نفل على القول بالتراخي والخروج لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض العيني من الصلوة والصوم ونحوهما ولم يكن في بلدك من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شريعة الاسلام فعليه الهجرة من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدري هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد فقال عليه السلام باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك فقال لا فقال عليه السلام فارجع الى ابويك فاستأذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما فان ذلك خير مما تلقى الله بعد التوحيد احمد وابن حبان وجاء آخر اليه صلى الله عليه وسلم يستشير في الغزو فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها ابن ماجه والحاكم من حديث معاوية بن جاهمة قال الحاكم صحيح الاسناد وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة وقال ماجئتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما ابكيتهما ابوداود والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث عبدالله بن عمرو وقال صحيح الاسناد (ويتوضأ في موته) اي في موت ولده (ويصلي ركعتين) عند فقده لقوله تعالى * واستعينوا بالصبر والصلوة (ويأخذ بناصية المشتري) اي من العبد والجارية والدابة (ويدعو بالبركة) ويقول اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طويل العمر كثير الرزق او اللهم اعطني خير ما انت آخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم (ويذيقه) اي العبد او الجارية (الحلوا) اي شيئا من الحلوا (اولا) اي تفأ ولا بحلاوته آخرا ولحديث معاذ اذا ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه الطبراني في الاوسط والخرائطي (ويطعمه مما يطعم) اي دائما كله بنفسه (والاولى ان يأكل معه) اي تواضعا لربه ولما في الصحيحين وليأكل معه فان ابي فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه وكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه وليأكل معه او ليأخذ اكلة فيروغها واشار بيده وليضعها في يده وليقل كل هذه وللبخاري في تاريخه والبيهقي عن ابي هريرة مرفوعا مااستكبر من اكل معه خادمه وركب الحمار بالاسواق واعتقل الشاة فحلبها (ويكسوه مما يكتسي ولا يكلفه مالا يطيق) وكان عمر رضي الله عنه يذهب الى العوالي في كل سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه وضع عنه وروي عن ابي هريرة انه رأى رجلا على دابته وغلامه

يسعى خلفه فقال له ياعبدالله احمله فانه اخوك روحك مثل روحه ثم قال لايزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال يااباعبد الله ماهذا قال بعثنا الخادم فى شغل وكرهنا ان نجمع عليه عملين (ويمسك ما احب) اى مادام يحب امساكه (ولا يعذب) اى مملوكه اذالم يحب امساكه بل يبيعه (فالكل مأثور) ففى ابى داود من حديث على كان آخر كلامه عليه السلام الصلوة الصلوة اتقوا الله فيماملكت ايمانكم وفى الصحيحين من حديث انس كان آخر وصيته عليه السلام حين حضره الموت الصلوة الصلوة وماملكت ايمانكم ولهما من حديث ابى ذر اطعموهم مماتأكلون والبسوهم مماتلبسون ولاتكلفوهم مايغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم وهذا لفظ مسلم وفى رواية لابى داود من يلائمكم من مملوكيكم فاطعموهم مماتأكلون واكسوهم مماتلبسون ومن لم يلائمكم منهم فبيعوه ولاتعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولوشا لملكهم اياكم واسناده صحيح وفى رواية لمسلم من حديث ابى هريرة للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ولايكلف من العمل مالايطيق (وورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته) رواه الشيخان عن ابن عمر (ولا يضرب غضبا) اى من طريق الغضب (بل تأديبا) اى كضربه على سبيل الادب فيكون تهذيبا لاتعذيبا ففى صحيح مسلم عن ابى مسعود الانصارى قال بينا انا اضرب غلاما لى فسمعت صوتا من خلفى اعلم اعلم ابامسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقيت السوط من يدى فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وعن ابن المنكدر ان رجلا من اصحابه عليه السلام ضرب عبداله فجعل العبد يقول اسألك بالله اسألك بالله اسألك بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح العبد فانطلق اليه فلمارآه امسك يده فقال عليه السلام يسألك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني امسكت يدك قال فانه حر لوجه الله يارسول الله فقال اولم تفعل لسفعت وجهك النار ابن المبارك فى الزهد هكذا مرسلا وفى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد فجعل يقول اعوذبالله قال فجعل يضربه فقال اعوذ برسول الله فتركه وفى رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال اما انك اولم تفعل للفحتك النار اولمستك النار وللترمذى عن ابى سعيد اذا ضرب احدكم خادمه فذكر الله فارفعوا ايديكم (لاعلى زلة) اى لا يضربه على ماصدر منه من عثرة اوغفلة (ونسيان) اى تخلقا باخلاق الله حيث عفا عن الخطأ والنسيان كما يشير اليه قوله * ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا * وحديث رفع عن امتى الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه وقيل لاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل فابلغ من حلمه قال بينماهو جالس فى داره اذاتته جارية بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا العتق انت حرة لوجه الله لابأس عليك وكان عنده ميمون بن

مهران ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوة فعثرت واراقتها على رأس سيدها فقال ياجارية احرقتنى قالت يامعلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى ماقال الله تعالى قال وماقال تعالى قالت * والكاظمين الغيظ * قال قد كظمت غيظى قالت * والعافين عن الناس * قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول * والله يحب المحسنين * قال انت حرة لوجه الله (ولايزيد على ثلاث) اى ضربات ثلاث اذا كان الذنب صغيرا واما اذا كان كبيرا فينقص من الاربعين فانه غاية التعزير (فانه) اى المزيد عليه (قصاص) اى مقتص منه (يوم القيمة وورد اعف عنه) اى عن الخادم (سبعين مرة لمن قال كم اعفو) فلابى داود والترمذى وقال حسن غريب عن ابن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عون بن عبدالله اذا عصاه غلامه قال مااشبهك بمولاك مولاك يعصى مولاه وانت تعصى مولاك فاغضبه يوما فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر (ويعتق) اى المملوك (ان طالت المدة) وطول المدة تكون لسبع سنين فاكثر على مافى الشرعة (ففيه العتق من النار) لقوله عليه السلام من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه رواه الشيخان عن ابى هريرة وفيهما ايضا عنه عليه السلام من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران وقالت جارية لابى الدرداء انى سممتك منذ سنة وماعمل فيك شيئا فقال لم فعلت ذلك فقالت اردت الراحة منك قال اذهبى فانت حرة لوجه الله اقول وكانها كانت مدبرة (ولايهزل معه) اى لايمزح مع مملوكه (فهو يسقط الوقار) اى الهيبة والرزانة فلايجبه بعد ذلك الخدمة والمهابة هذا وفى الصحيحين عن ابن عمر مرفوعا اذا نصح العبد لسيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع بكى وقال كان لى اجران فذهب احدهما (ويهذب اهل البيت) من الولد والزوجة والخدم (بالرياضة) اى بتحسين الاخلاق (لاسيما الولد المراهق) اى القريب الى البلوغ الذى وقع فيه تكليف الخالق (فهو) اى التهذيب فى حال الصغر (ايسر) اى اسهل على كل منهما (وورد) اى فى قوله تعالى ياايها الذين آمنوا (قوا انفسكم واهليكم) اى احفظوها (نارا وقودها الناس والحجارة) عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماامرهم ويفعلون مايؤمرون (ولا يطأ حيوانا) اى لايدوسه (فانه يسأل عنه) اى هل كان عبثا اوعمدا اوخطأ اونسيانا وقد قال تعالى حكاية عن النمل * لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون وقد قيل البر من لا يؤذى الذر (ويطوف طوافات البيت) اى يجوز ان يدخلوا فى بيته الاماء والعبيد الصغار دون الخصى والعبيد الكبار (فهو مأثور) اى مروى فى الكتاب والسنة قال تعالى * ياايها الذين ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين

لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض * ولا يبعد ان يراد بالطوافات الهرات فعن كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت ابن ابى قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءا فجاءت هرة تشرب منه فاصغى لها الاناء حتى شربت قالت كبشة فرآنى انظر فقال اتعجبين يا ابنة اخى فقلت نعم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم والطوافات رواه الاربعة وقال الترمذى حسن صحيح (ولا يضرب شيئا) اى حتى الدواب (على الوجه ولا يعذب) اى الوجه وغيره (بالنار) اى بالكى ونحوه واختلف فى تجويز تحريق الزنديق (فنهى عنهما) فلابى داود عن ابى هريرة اذا ضرب احدكم فليتق الوجه وللترمذى والحاكم عن عمران انه عليه السلام نهى عن الكى (ويعرض الماء والعلف على الفرس) اى فى الجهاد ونحوه (سبعين مرة) ولعله اريد به الكثرة للمبالغة والا فقد سبق حديث للملوك طعامه وكسوته بالمعروف (وورد يمن الفرس ذله) اى انقياده لراكبه (وحسن خلقه) اى لصاحبه وقد تقدم والله اعلم (ولا يدخل على الظلمة) اى الشاملة للكفرة والفجرة قال تعالى * ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار * فالاولى والاسلم من الاحوال ان يعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك ودون هذه الحالة ان يدخلوا عليك ويترددوا اليك وشر الاحوال ان تدخل عليهم وتتوسل اليهم وهذا مذموم فى الكتاب والسنة (تحاميا عن استعمال دارهم) اى المغصوبة من اهل ديارهم (ومظلتهم) اى ومكان ظل خيمهم واشجارهم (وفراشهم) اى بساطهم ودثارهم (فلا يخلو عن حرام) وقد قال تعالى * وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم * وهو بعموم مبناه يشمل الاحياء والاموات وان كان الكفار الاموات تراد فى معناه ولما وصف عليه السلام الامراء الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم اوكاد يسلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم الطبرانى من حديث انس بسند ضعيف وفى رواية من خالطهم هلك وانما قال اوكاد يسلم فان من اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن ربما لا يسلم من عذاب نقمة معهم ان نزل بهم لتركه المنابذة والمنازعة (والتواضع لهم) اى وعن اظهار المذلة والمسكنة المستلزم لاكرام الظلمة لا سيما ان ركع او سجد او تمثل له قائما فى الخدمة والتواضع للظالم من المعصية بل من تواضع لغنى ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضى التواضع نقص ثلثا دينه فكيف اذا تواضع للظالم فلا يباح له الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا الا عند خوف ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع عن رد جوابهم فى السلام قال فى الاحياء وفيه نظر لان ذلك واجب فلا ينبغى ان يسقط بالظلم قلت قد سقط بادنى من ذلك ومن جملته انه عليه

السلام ما رد جواب من لبس ثوبا احمر (فورد من اكرم فاسقا) وهو مرتكب الحرام وكان الاكرام من غير ضرورة فى ذلك المقام (فقد اعان على هدم الاسلام) اى على تعطيل بعض اركانه بتعظيم الظالم الذى يجب الاهانة فى شانه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر صاحب بدعة رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية من حديث عبد الله بن بسر باسانيد ضعيفة (والسكوت) اى وعن عدم الانكار بلسانه (على منكر رآه عندهم) اى وقدر على انه ينكر باللسان عليهم كأن يكون من العلماء والمشايخ العظماء وذلك لانه يرى فى مجلسهم من الفرش الحرير واوانى الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى غلمانهم ما هو حرام من خاتم الذهب ونحوه وكل من رأى سيئة وسكت عليها فهو شريك فى تلك السيئة فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور فى السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن ان يعرض نفسه لارتكاب ما لا يباح الا لعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا يقال من علم فسادا فى موضع وعلم انه لم يقدر على ازالته فلا يجوز له ان يحضر ذلك الموضع ليجرى ذلك الفساد بين يديه وهو يشاهد ويسكت عليه (والدعاء لهم بالبقاء) اى حال التحية او وقت الاعطاء (فورد من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه) اى من الابتداء الى الانتهاء والحديث ذكره الزمخشرى فى تفسيره والغزالى فى الاحياء قال السخاوى ولم نره فى المرفوع بل اخرجه ابو نعيم فى الحلية من قول سفيان الثورى وقال العراقى رواه ابن ابى الدنيا من قول الحسن البصرى وكذا قال العسقلانى فى تخريج الكشاف (والمدح) اى وعن ثناء الفاسق (وان صدق) اى فى مدحه اى وكذا ان صدقه فيما يقول من باطل بصريح قوله او بتحريك رأسه او باستبشار فى وجهه (فهو اعانة على الاثم) وتحريك للرغبة فى المعصية والاعانة على المعصية معصية ولو بشطر كلمة لانه بسبب مدحه يجترى على ظلمه وفسقه (وورد ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق) ابن ابى الدنيا وابن عدى وابو يعلى والبيهقى عن انس ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت لان ذلك اعانة له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه وانما يجوز له ان يدعو بقوله اصلحك الله فى الاوقات او وفقك للخيرات او طول عمرك فى الطاعات (والمحبة لهم) بان يظهر لهم الموالاة والاشتياق الى الملاقاة (فهى ارادة الظلم) اى منهم فيكون شريكا لهم فى الاثم معهم ثم ان كان كاذبا عصى معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم فى الآفاق وحقه ان يبغضه فى الله ويمقته فالبغض فى الله واجب ومحب المعصية والراضى بها عاص ومن احب ظالما فان احبه لظلمه فهو عاص بمحبته وان احبه بسبب آخر فهو عاص من حيث

انه لم يبغضه وان اجتمع في شخص خير وشر وجب ان يحبه لذلك الخير ويبغضه لذلك الشر وقد حكى عن بعض عباد البصرة انه كان يأخذه اموالا من الامراء ويفرقها على الفقراء فقيل له الا تخاف ان تحبهم فقال لو اخذ رجل بيدي وادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان الذي سخره للاخذ بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه اقول وهذا مقام دقيق لان الطبع يميل الى من يحسن اليه كما روى عن عائشة جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها كذا في الاحياء وهو من رواية البيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ويؤيده حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي رواه ابن مردويه في التفسير عن رجل لم يسم والديلمي عن معاذ وروى ان بعض الامراء ارسل الى مالك ابن دينار بعشرة آلاف فاخذها كلها فاتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما آتاك هذا المخلوق فقال سل اصحابي فسألهم فقالوا اخرجه كله فقال انشدك اقلبك اشد حباله الآن ام قبل ان ارسل اليك فقال بل الآن فقال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا احبه احب بقاءه وكره عزله وفناءه وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم عند اهل العلم (واستحقار نعمته تعالى على نفسه) اى ومن استصغار نعمه سبحانه الظاهرة والباطنة عليه من العلم والعمل واختيار الفقر والقناعة بالكفاية للقيام بالطاعة (برؤية التوسع عليهم) ومشاهدة اسباب النعم لديهم فللحاكم من حديث عبدالله بن الشخير وصححه اقلوا الدخول على الاغنياء فانه اجدر ان لا تزدروا نعم الله عز وجل وقد تقدم حديث ابى هريرة ابغض القراء الى الله عز وجل الذين يأتون الامراء وحديث انس العلماء امناء الرسول على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الله ورسوله فاحذروهم واعتزلوهم ولابى عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا لا تزال هذه الامة تحت يد الله وكنفه ما لم يمال قراؤها امراءها ورواه الديلمي عن على وابن عمر بلفظ ما لم يعظم ابرارها فجارها ويداهن خيارها شرارها ولابى داود والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعا لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ولفظه للترمذي وقال حسن غريب والحاصل ان الافضل في حقه ان يغفل عنهم واذا خطر بباله تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم ان ما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته واني واياهم في غد على وجل وانما هو اليوم فعسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء ان اهل الاموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها براءة

وهو مقتبس من قوله تعالى * ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون * (الا) استثناء من قوله ولا يدخل على الظلمة الا (لرعاية اطاعة الرعية) فللبخاري من حديث انس اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ولمسلم من حديث ابى هريرة عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك وله ايضا عنه من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية (ودفع التأذي) اى ولدفع شر الاذى (والظلم عن نفسه او غيره) من اهله ونحوه (فيدخل) اى حينئذ (مراعيا حقه تعالى) حيث قال * يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (ويكرم) اى بالقيام ونحوه كره (ان دخلوا) اى الظلمة (عليه) اى معتقد بن لما بيده (مكافاة) علة للاكرام اى مجازاة (لاكرامه) اى اكرام الظالم له (عزا للدين) اى لعزاهله من اهل العلم والعمل به وقد قال تعالى * هل جزاء الاحسان الا الاحسان * وقد سبق حديث اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه (ورعاية للحشمة بين الرعية) اى في الملاء (يجوز الاهانة في الخلاء) اى بترك القيام وزيادة الكلام بعد رد السلام (وعند العلم بعدم اضطراب الرعية) اى من الامراء والوزراء اذا كان اهانته (بنية اعزاز الدين) واهله من العلماء المجتهدين (وتحقيرا ظلم) اى في نظرهم (واظهار الغضب له تعالى) كما هو واجب على اهل العلم وغيرهم كما ورد في احاديث الحب في الله والبغض في الله وقد دعى سعيد بن المسيب الى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل والنهار فان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر قال لا والله لا يقتدى بي احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح رواه ابو نعيم في الحلية باسناد صحيح والحاصل انه لا يجوز الدخول عليهم الا بعذر ان يكون من جهتهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه لو امتنع اوذى او فسد عليهم طاعة الرعية واضطرب امر السياسة العرفية فيجب عليه حينئذ الاجابة طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب امر الولاية (والاصل الاستفتاء من القلب) اى في جهة رضاء الرب (ونية الاصلاح) اى حملهم على صلاح حالهم وفلاح مآلهم (لا الاشتهار) اى بانه من اهل العلم والصلاح وانه من الفائزين بالنجاة والنجاح فان العاقبة مستورة فينبغي ان تكون النية في هذه الامور صحيحة مبرورة (وهو) اى ما ذكر من نية الاصلاح وعدم الاشتهار (يعرف بالفرحة عند حصول الموعظة) اى للظلمة (من غيره) اى الموجودين من الوعاظ الابرار والعلماء الكبار ثم اذا ابتلى بالدخول عليهم يجب ان ينصحهم فقد ورد ان الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المؤمنين وعامتهم روى عن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينا انا عنده

اذدق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال مالى اذا رأيتك امتلأت منك رعبا قال حماد لانه قال عليه السلام ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شئ وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب كل شئ ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال تأخذها وتستعين بها قال ارددها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيك الا ما ورثته قال لا حاجة لى فيها قال فتأخذها وتقسمها قال لعلى ان عدلت فى قسمتها ان يقول بعض من لم يرزق منها انه لم يعدل فى قسمتها فيأثم فازوها عنى كذا فى الاحياء وقال مخرجه حديث حماد بن سلمة مرفوعا هذا معضل وروى ابو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من حديث واثلة بن الاسقع من خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شئ والعقيلى فى الضعفاء من حديث ابى هريرة نحوه (والاولى الاجتناب عنهم وعن خواصهم) لئلا يقع فى طمع من جاههم واموالهم (والتغافل عن احوالهم) بالتجاهل عن افعالهم واقوالهم والاشتغال بعيوب نفسه ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت ومابعده من حال رمسه فعن حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وماهى قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول ماليس فيه وقال ابوذر اسلمة لاتغش ابواب السلاطين فانك لاتصيب من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان فى جهنم واد لايسكنه الا القراء لزوارون للملوك والامراء وقال الاوزاعى مامن شئ ابغض الى الله عزوجل من عالم يزور عاملا وقال سمنون ما اسمج بالعالم يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت اذ مادخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسى بعد الخروج فارى عليها الدرك مع ما اواجههم به من الغلظة والمخالفة لهو اهم وقال ابوذر فى حديث من كثر سواد قوم فهو منهم اى من كثر سواد الظلمة وقال ابن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج ولادين له قيل له لم قال لانه يرضيه بسخط الله وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله بعدا وقال وهب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء الجورة ولما خالط الزهرى السلطان كتب اخ له فى الدين اليه عافانا الله واياك ابابكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغى لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء فقال عزوجل * واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه * واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك

آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حتى اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم واغوائهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك فى جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم * فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات * الآية وانك تعامل من لايجهل ويحفظ عليك من لايغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء والسلام فان قلت فقد كان علماء السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكى ان هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتونى برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا قال فمن التابعين فاتى بطاوس اليمانى فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساط ولم يسلم عليه بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال كيف انت يا هشام فغضب هشام حتى هم بقتله فقيل له انت فى حرم الله وحرم رسوله فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذى حملك على ما صنعت فقال وما الذى صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطى ولم تقبل يدى ولم تسلم على بامرة المؤمنين ولم تكننى وجلست بازائى بغير اذنى وقلت كيف انت يا هشام فقال اما ما فعلت من خلع نعلى بحاشية بساطك فانى اخلعهما بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات ولا يعاقبنى ولا يغضب على واما قولك لم تقبل يدى فانى سمعت امير المؤمنين على ابن ابى طالب رضى الله عنه يقول لايحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنينى فان الله سمى اولياءه وقال يا داود يا يحيى يا عيسى وكنى اعداءه فقال تبت يدى ابى لهب واما قولك جلست بازائى فانى سمعت امير المؤمنين على ابن ابى طالب يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام فقال له هشام عظنى فقال سمعت امير المؤمنين على بن ابى طالب يقول ان فى جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لايعدل فى رعيته ثم قام وهرب عن صحبته وعن سفيان الثورى قال ادخلت على ابى جعفر بمنى فقال لى ارفع الينا حاجتك فقلت له اتق الله فقد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ راسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ارفع الينا حاجتك فقلت حج عمر رضى الله عنه فقال لخازنه كم انفقت قال بضعة عشر

درهما وأرى ههنا اموالا لا يطيقها الجبال ولما استعمل عثمان بن عفان العباس اتاه اصحاب النبي عليه السلام وابطأ عنه ابوذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابوذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولى ولاية تباعد الله عنه كذا في الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان ابن عبد الملك فسمع سليمان صوت الرعد ففزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك يا امير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكى ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم على الله قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب يقدم على اهله واما المسيئ فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعرى ما لى عند الله فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال* ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم *قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم اى عباد الله اكرم قال اهل المروءة والتقى قال فاى الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب المحارم قال فاى المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاى المؤمنين احسر قال من باع آخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال او تعفينى قال لا ولكن نصيحة تلقيها الى قال يا امير المؤمنين ان آباءك قهروا الناس بالسيف وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم ان الله قد اخذ الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال فكيف لنا ان نصلح هذا الفساد فقال ان تأخذ المال من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال سليمان ادع لى فقال اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى فقال سليمان اوصنى فقال اوصيك واوجز عظم ربك ونزهه ان يراك حيث نهاك اويفقدك حيث امرك وحكى ان ابا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية واعلم انك فى كل يوم يخرج عنك وفى كل ليلة تأتى عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الآخرة الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك ما يلحق بك الطالب وانا وما نحن فيه زائل وفى الذى نحن اليه صائرون باق ان خيرا فخير وان شرا فشر (و يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) لقوله تعالى* كنتم خير امة اخرجت للناس* اى اظهرت تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله* والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر* الآية وقوله* الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور* وقوله عليه السلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا رواه الشيخان عن ابى موسى (وهو) اى ما ذكر من الامر والنهى او افرد الضمير باعتبار التلازم بينهما (فرض) اى بالاجماع والكتاب والسنة (على الكفاية) اى اذا اطلع على الامر جماعة وامر اونهى واحد منهم سقط عن الباقين والاثم الجميع واذا كانوا معذورين باليد واللسان فحينئذ عليهم ان ينكروا بالجنان وذلك اضعف زمان الايمان اواهله فى مقام الاتقان اومراتب ارباب الاحسان (فى الفرض) اى من المعروف (فعلا) كالصلوة والصيام (وتركا) كاجتناب ما عرف من الحرام (مندوب) اى وهو مستحب (فى المندوب) اى من المعروف فعلا وتركا (وورد) فى التنزيل (ولتكن منكم امة) اى جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية (يدعون الى الخير) اى المحض وهو الايمان (ويأمرون بالمعروف الآية) اى* وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون* اى الناجون عن العذاب والمظفرون بالثواب هم هؤلاء القائمون به والمباشرون له وهو القطب الاعظم فى الدين والامر المهم الذى بعث الله له النبيين اجمعين فلو طوى بساطه واهمل علمه وعمله بالمرة تعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة وارتفعت الامانة وفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد وخرب البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد ولاصحاب السنن عن ابى بكر الصديق انه قال فى خطبة خطبها ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتتأولونها على خلاف تأويلها *يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم* وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصى وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله تعالى بعذاب من عنده ولابى داود والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث ابى ثعلبة الخشنى انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى* لا يضركم من ضل اذا اهتديتم* فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برايه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذى انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا وللبزار من حديث عمرو الطبرانى فى الاوسط من حديث ابى هريرة مرفوعا تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر اوليسلط الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم وللترمذى وحسنه من حديث حذيفة نحوه الا انه قال اوليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا ان الله تعالى ليسأل

العبد مامنعك اذارأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يارب وثقت بك وفرقت من الناس وللطبرانى والبيهقى وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس لاتقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولاتقفن عندرجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل على من حضره وللبيهقى عن ابن عباس بسند حسن لاينبغى لامرئ شهد مقاما وفيه حق الاتكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقه هوله ورواه الترمذى وحسنه وابن ماجة من حديث ابى سعيد بلفظ لايمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه ولابن عدى من حديث ابى هريرة من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكأنه حضرها ثم الامر والنهى يجب على العبد (وان عدم العدالة) اى منه بفقد عمله بهما (تحرزا عن انسداد باب الاحتساب) اى الحسبة بالامر والنهى لاجل الثواب (لتعذر العصمة) اى عن جميع المعصية الالارباب النبوة دون الصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء كما قال الحجة قداختلف فى عصمتهم عن الخطايا والقرآن دال على نسبة آدم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولذا قال سعيدبن جبيران لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الامن لايكون فيه شئ لم يأمر احد بشئ فاعجب ذلك مالكا من سعيد بن جبير (ولان الواجب عليه) شيئان وهما (الامتناع) اى بنفسه عن المعصية (والمنع) اى لغيره عنها (فلا يسقط ترك احدهما) وهو الامتناع (الآخر) وهو المنع كما فى عكسهما فلا تلازم بينهما (واما ما ورد فى ذم القائل بما لايعمل) كقوله تعالى *يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عندالله ان تقولوا مالاتفعلون* وقوله *اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون* وكحديث مررت ليلة اسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولانأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وكما روى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى وكقول القائل (شعر) *لاتلم المرء على فعله *وانت منسوب الى مثله* من ذم شيئا واتى نحوه* فانما يزرى على عقله* (فلعدم العمل) اى لالمجرد الامر والقول كما توهمه قوم (واذن الامام) اى وان عدم اذنه بالحسبة (لعموم الادلة واطلاقها) اى من غير تقييد باحد دون آخر (حتى يحتسب على الامام ايضا) كما يدل عليه حديث ابى سعيد الخدرى افضل الجهاد كلمة حق عند امام جائر ابوداود وابن ماجه والترمذى وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى ابن ماراه وكيف ماراه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام

تحكم لااصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لايجوز الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مالم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال لهم اذاجاؤا الى القضاة طالبين لحقوقهم فى دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدى من ظلمكم نهى عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وماهذا زمان النهى عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج هذا واستمرار عادات السلف فى الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالى راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه فى الانكار عليه ومن جملة ماانكر السلف على الامراء ماروى ان مروان بن الحكم خطب قبل الصلوة فى العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة فقال له مروان ترك ذلك يافلان فقال ابوسعيد اما هذا فقدقضى ماعليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وروى ان المهدى لما قدم مكة لبث ماشاء الله فلما اخذ فى الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله ابن مرزوق فلببه بردائه وقال له انظر ماتصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صاروا عنده حلت بينهم وبينه من جعل لك هذا فنظر فى وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال له اعبدالله بن مرزوق فقال نعم فاخذ فجئ به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة فجعله فى اصطبل الدواب ليسوسها وضموا اليه فرسا عضوضا سيئ الخلق ليعقره الفرس فالين الله له الفرس قال ثم صيره الى بيت واغلق عليه واخذ المهدى المفتاح عنده فاذا هو قدخرج بعدثلاث الى البستان يأكل البقل فاذن به المهدى فاستدعاه فقال من اخرجك قال الذى حبسنى قال من حبسك قال الذى اخرجنى قال فضج المهدى وصاح وقال اما تخاف ان اقتلك فرفع عبدالله اليه رأسه وضحك وهو يقول لو كنت تملك حيوة اوموتا لكان ذلك فمازال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلى عنه فرجع الى مكة قال وكان قدجعل على نفسه نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة فكان يعمل فى ذلك حتى نحرمائة بدنة وروى عن جنان بن عبد الله قال تنزه هارون الرشيد بالدور ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن ابى جعفر فقال له هارون قد كانت لك جارية تغنى فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال ماشانك قالت ليس هذا عودى فقال للخادم جئنى بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق ياشيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فاخذه وضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به الى صاحب الربع فقال احتفظ

بهذا فانه طلبه امير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد اعبد من هذا فكيف يكون طلبه امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل على هارون فقال انى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به الارض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن ابى جعفر ما هذا الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به فى دجلة فقال لا ولكن نبعث اليه ونناظره اولا فجاء الرسول وقال اجب امير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء اى شئ ترون نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا له نقوم الى مجلس ليس فيه منكر اصلح بنا فقاموا صغرة اى اذلاء الى مجلس ليس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل وفى كمه الكيس الذى فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على امير المؤمنين فقال هذا عشائى الليلة قال نحن نعشيك قال لا حاجة لى فى عشائك فقال له هارون اى شئ تريد منه فقال فى كمه نوى فقلت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا يطرحه قال فدخل فسلم وجلس فقال له هارون يا شيخ ما حملك على ما صنعت فقال واى شئ صنعت وجعل هارون يستحيى ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه قال انى سمعت آباءك واجدادك يقرؤن هذه الآية على المنبر ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ * رأيت منكرا فغيرته قال فغيره فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى رجلا بدرة فقال له اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا وان رأيته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الارض قد غاصت فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها وروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة يعالج قلعها من الارض وهو يقول (شعر)

* ارى الدنيا لمن هى فى يديه * هموما كلها كثرت لديه *
* تهين المكرمين بها بصغر * وتكرم كل من هانت عليه *
اذا استغنيت عن شئ فدعه * وخذ ما انت محتاج اليه *

(وحقه) اى وحقوق وجوب الاحتساب ثلاثة (العلم) اى معرفة خطاء الامور وصوابها (ليعلم الحدود) اى مراتبها (والحقوق) المتعلقة باصحابها فالجاهل بمعزل عن هذا الباب بل شرط ان يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب ومن ههنا قال بعض علمائنا ان العامى انكاره بالجنان والعالم انكاره باللسان والامير انكاره بالاركان فانه يجب ان يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ليقتصر على حد الشرع

فى ابوابها وذلك معنى قوله (والورع) اى عن المنكرات مطلقا وعن ذلك المنكر والاول اظهر ليردعه ورعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة او عوض من الاعواض الكاسدة وليكون كلامه ووعظه مقبولا (لعدم تأثير قول الفاسق وسقوط اعتباره) عند الخلايق لان الحسبة تارة تكون بالنهى بالوعظ وتارة بالقهر ولا ينفع وعظ من لا يتعظ اولا وكذا ان قهر بالفعل فقد قصر بالحجة اذ يتوجه عليه ان يقال فانت لم تقدم عليه فينفر الطباع عن قهره بالفعل فلا يفيد فائدة لاسيما ارباب الجهل والا فلا يخرج الفعل عن كونه حقا كما ان من يذب الظالم عن آحاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم تنفر الطباع عنه ولا يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فتحصل من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ به واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضى الى تطويل اللسان فى عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فرجع الكلام الى ان احد نوعى الاحتساب وهو الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط فيها ذلك فلا حجر على الفاسق فى اراقة الخمر وكسر الملاهى وغيرها اذا قدر عليه قال الغزالى وهذا غاية الانصاف والكشف فى المسألة انتهى ولا يخفى ان هذا مخالف لما تقدم من ان العدالة ليست بشرط فى هذا الباب بل هو من باب الكمال والله اعلم بالصواب وقد ورد عن انس قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عليه السلام بل مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله الطبرانى فى المعجم الصغير والاوسط (وحسن الخلق) اى ليقدر به على ترتيب الحسبة على الخلق بالحكمة اولا وبالموعظة ثانيا وبالمجادلة من المدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا (وهو الاساس) اى مدار سياسة الناس فى الاحياء ورد لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه الحديث قال مخرجه لم اجده هكذا وللبيهقى فى الشعب من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده من امر بمعروف فليكن بمعروف والحاصل ان العلم والورع لا يكفى فيه بل لابد من حسن الخلق ايضا فان الغضب اذا هاج لم يقم العلم والورع فى قمعه ما لم يكن فى الطبع قبول له لحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على دفع الشهوة ومنع الغضب وبه يصبر المحتسب على ما اصابه فى دين الله كما قال تعالى حكاية عن لقمان * ﴿يا بنى اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور﴾ * وعن بعض السلف اذا اراد احدكم ان يأمر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق من الله بالثواب والاجر فمن وثق باجر المولى لم يجد مس الاذى

ولا فاذا اصيب عرضه اونفسه بشتم اوضرب نسى الحسبة وغفل عن دين الله
وتصحيح النية وتحسين الطوية فاشتغل بنفسه الردية واخلاقها الدنية بل ربما
يقدم عليه ابتداء لطلب الجاه اوطمع المال اوللرياء والسمعة واهل هذاوجه قول القائل
هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقال كعب الاحبار لابى مسلم الخولانى كيف
منزلتك عند قومك قال حسنة قال ان التورية يقول ان الرجل اذا امر بالمعروف
ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التورية وكذب
ابو مسلم (فهيجان الغضب) اى منه اومن غيره (لايسكن دونه) اى عندامر من الامور
بل يتحرك فيه انواع من الشرور (وورد) اى فى طه (فقولاله قولالينا) اى ملايما
هينا (لعله يتذكر) اى يتعظ فيترك الكفر ابتداء (او يخشى) اى عقاب ربه فينتهى
عن خلافه انتهاء فاذاكان الانبياء مأمورين بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء
مع اهل الحق وحكى عن المأمون اذوعظه واعظ وعنف له فى القول فقال يارجل
ارفق فقدبعث الله تعالى من هوخيرمنك الى من هوشرمنى وامره بالرفق فقال* فقولاله
قولالينا لعله يتذكر او يخشى * وقدروى ابوامامة ان غلاما شابا اتى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال يانبى الله ائذن لى فى الزنا فصاح الناس به فقال عليه السلام اقروه
ادن فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه لامك قال لاجعلنى الله
فداك قال كذلك الناس لايحبونه لامهاتهم قال اتحبه لابنتك قال لاجعلنى الله
فداك قال كذلك الناس لايحبونه لبناتهم قال اتحبه لاختك قال لاجعلنى الله
فداك قال كذلك الناس لايحبونه لاخواتهم وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة
وهو يقول فى كل ذلك لاجعلنى الله فداك وهو عليه السلام يقول كذلك الناس
لايحبونه وقالا جميعا فى حديثهما اعنى ابن عوف والراوى الآخر فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهرقلبه واغفرذنبه وحصن فرجه
فلم يكن شئ ابغض اليه منه اى من الزنا رواه احمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح وقيل
للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ منهم الادون
حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان يااباعلى ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب
الصالحين (واوله) اى بدء الحسبة (التعريف) اى تعريف قبح المعصية (ثم الوعظ)
اى النصيحة بالكلام اللطيف (والتخويف منه تعالى) اى بالعقوبة فى الدنيا والاخرى
(لايتجاوز) اى المحتسب (عنه) اى عما ذكر من الامور الثلاثة (ان كان) احتسابه
(على الوالدين) وقدسئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده قال
يعظه مالم يغضب فاذا غضب سكت عنه قيل وفى معنى الوالدين والاستاد واما
ما فى الاحياء من الاخبار الواردة فى ان الجلاد ليس له ان يجلد اباه فى الزنا ولا ان يباشر
اقامة الحد عليه ولا ان يباشر قتل ابيه الكافر وانه لوقطع يده لم يلزمه القصاص

ثم قال وثبت بعضها بالاجماع فقال مخرجه لم اجد فيه الاحديث لايقاد الوالد بالولد
رواه الترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر (اوالمولى) اى المالك من العبد (اوالبعل)
اى الزوج من المرأة (اوالسلطان) اى اوعلى الخليفة ومن فى معناه من الرعية من
امرائه ووزرائه فانه يكاد يفضى الى خرق هيبته واسقاط حشمته وترتب عليه الفساد
من جهة حميته والغضب على رعيته فللحاكم فى مستدركه من حديث عياض بن غنم
الاشعرى من كانت عنده نصيحة لذى سلطان فلايكلمه بها علانية وليأخذ بيده
فليخل به فان قبلها والا كان ادى الذى عليه والذى له وقال صحيح الاسناد
والترمذى وحسنه من حديث ابى بكرة من اهان سلطان الله فى الارض اهانه الله
فى الارض وهذا منه عليه السلام طريق رأفة ورحمة على الانام والا فقدورد عنه
من حديث ابى عبيدة قلت يارسول الله اى الشهداء اكرم على الله قال رجل قام
الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث رواه البزار وللحاكم
فى مستدركه وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل
قام الى امام جائر فامره ونهاه فقتله ويقويه ماسلف من السلف حتى قارب امرهم
الى الهلاك والتلف والحاصل انه لايجب عليه الاانه يستحب له ويثاب عليه (بل يشتغل
بالدعاء) اى لتوفيقهم بالمعروف (والاستغفار) اى المجاوزة عنهم فى المنكر فان هذين
الامرين نفعهما اكثر خصوصا فى هذا الزمان فتدبر (ثم التعنيف) اى الكلام الخشن
(والسب) اى الشتم (دون الفحش) فلا يقول له ياكافر يايهودى يانصرانى ياخنزير ياكلب
يافاسق بل يقول (مثل ياجاهل يااحمق) الاتخاف من الله ومايجرى مجراه (لايتجاوزعنه)
اى عن هذا الامر (ان كان) الاحتساب (على المسلم من الذمى تحرزا عن استيلاء الكافر)
فان الذمى اذا منع المسلم بفعله دون قوله فهو يسلط عليه فيمنعه من الوصول اليه لقوله تعالى
* ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * واما مجرد قوله لاتزن ونحوه من النصيحة
والتخويف من الفضيحة فلامحذور فيه بل ربما يكون سببا للامتناع عما فيه (ثم التغيير)
اى تغيير المنكر باليد والمباشرة على سبيل المنع بالقهر (ككسر الملاهى) اى من آلات
المناهى كالمزمار والاوتار (واراقة الخمر) اى التى هى ام الخبائث واصل المعاصى واساس
الشر وكذا اختطاف الثوب الحرير من رأسه واستلاب الشئ المغصوب من يده
ورده على صاحبه فللترمذى من حديث ابى طلحة انه قال يانبى الله انى اشتريت
خمر الايتام فى حجرى قال اهرق الخمر واكسر الدنان (ثم التهديد) اى التخويف
بالضرب من عنده اومن عند غيره من الحاكم ونحوه (ثم الضرب) اى بمباشرته
ان كان قدرة لديه حتى يمتنع عما هو عليه (وهو بقدر الوسع) اى الطاقة فى تأدية
الطاعة كالمواظب على القذف والغيبة فان سلب لسانه ممكن ولكن يحمل على
اختيار السكوت بالضرب وهذا قديحوج الى استعانة وحصول اعانة (وان لم يقدر)

اى على الضرب ونحوه (فالكراهة) اى بقلبه كافية (فورد) اى فى حديث اوله من
رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه (فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف
الايمان) اى اضعف اهل الايمان اواضعف زمانه اواضعف مراتبه فى شانه رواه احمد
ومسلم والاربعة عن ابى سعيد مرفوعا ولا يخفى ان العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه
اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود جاهدوا الكفار بايديكم
فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا فى وجوههم فافعلوا ثم اعلم انه لا يتوقف سقوط الوجوب
على العجز الحسى فقط بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك فى معنى
العجز وكذا اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع وهذا معنى قوله (فان ظن
الاصرار لا يجب) اى الانكار بالقول (بل يستحب اظهارا لامر الدين) نعم يلزمه
ان لا يحضر مواضع المنكر ويعتزل فى بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة
اوواجب ولا يلزمه مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل
على مساعدة السلاطين فى الظلم والمنكرات فتلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه
لا يكون عذرا فى حق من يقدر على الهرب من الاكراه (وان ظن اصابة مكروه)
من ضرب ونحوه (اوفعل منكر آخر) اى بسببه كضرب غيره من اصحابه اواقاربه
اورفقائه (يحرم) اى حينئذ الاحتساب (الا ان يظن الامتناع ايضا) فاذا
تعارض الظنان (فيستفتى من القلب) فى اختيار ما يلهمه الرب (وينظر فى صلاحه)
اى صلاح الامر من حاله (مبالغا) فى تحسين مآله فروى عن العالم الربانى ابى سليمان
الدارانى انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت انى اقتل
ولم يمنعنى القتل ولكن كان فى ملاء من الناس فخشيت ان يعترينى التزين للخلق فاقتل
من غير اخلاص فى الفعل للحق فان قيل فما معنى قوله تعالى * ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة * اجيب بانه لا خلاف فى ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار
ويقاتل وان علم انه يقتل وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس كذلك
فقد قال ابن عباس ليس التهلكة ذلك بل ترك النفقة فى طاعة الله تعالى اى من لم يفعل
ذلك فقد اهلك نفسه ويؤيده الجملتان السابقة واللاحقة اذ قال تعالى * وانفقوا
فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا * ولا يبعد ان نفس التهلكة
باسراف المال وتضييع العيال وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا يعمل بعده خيرا حتى
يهلك ذكره فى الاحياء وهو صحيح فى المعنى لكن يبعد مأخذه من الآية بحسب ارادة
من المبنى ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا ذلك فى الحسبة (والاعتبار
للظن الغالب) فى حصول فائدة من المحارب والمحتسب (من معتدل الحال) بان
يكون فى طبعه من ارباب الكمال (فالجبان) وهو ضعيف القلب فى ميدان البيان
(يستقرب البعيد) اى من الامكان فيرى البعيد قريبا حتى كأنه يشاهده ويرتاع منه

ولا يجاهده (والمتهور بعكس) اى الامر بان يستبعد القريب فى الزمان والمكان فيبعد
وقوع المكروه به بحكم ما جبل عليه من حسن امله واصل طبعه حتى انه لا يصدق به
الابعد وقوعه والحاصل ان الجبن مرض وهو ضعف فى القلب بسبب قصور فى القوة
وتفريط والتهور افراط فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما
الكمال فى الاعتدال الذى يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات الى الطرفين فى الاخلاق
والاحوال (ولا يتجسس) فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تفحصه
فكل من ستر على معصية فى داره واغلق عليه بابه لا يجوز لاحد ان يتجسس عليه
من طاقته وجداره وامثاله (كوضع الاذن) لسماع الملاهى (والانف) لشم
الخمر والمناهى (لاحساس صوت الاوتار) متعلق بوضع الاذن (ورائحة الخمر)
فى تلك الدار (وطلب اراءة ما تحت الثوب) فاذا روى فاسق وتحت ذيله شئ نحو ظرف
خمرا وخشب عود لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة بان كانت له رائحة
فايحة او تشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا والا فمجرد الظن لا يعمل به فانه
قد يستر قارورة الخمر فى الكم وتحت الذيل ولا يدل فسقه على ان الذى معه خمر يشرب
منها اذ الفاسق يحتاج ايضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لوكان
خلا لما اخفاه لان الاغراض فى الاخفاء لا تحصر بالاستقصاء كذا فى الاحياء (فهو)
اى التجسس (منهى عنه) اى فى قوله تعالى * ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من
الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا * وروى ان عمر رضى الله عنه تسور دار رجل
فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال ياامير المؤمنين ان كنت قد عصيت الله
من وجه فقد عصيته انت من ثلاثة اوجه فقال ماهى فقال قد قال الله تعالى
* ولا تجسسوا * وقد تجسست وقال * وأتوا البيوت من ابوابها * وقد تسورت من السطح
وقال تعالى * لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها * وما سلمت
فتركه عمر وشرط عليه التوبة وقد شاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسألهم عن الامام
اذا شاهد بنفسه منكرا فهل له اقامة الحد فاشار على بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفى
فيه واحد (ويدخل الدار عند ارتفاع الاصوات) اى اصوات الملاهى وما يدل على
مجالس المنكرات من المناهى وهذا بمنزلة الاستثناء من الحكم السابق والمعنى انه
لا يجوز الدخول على من اغلق باب داره وتستر بحيطان جداره الا ان ظهر فى الدار
ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار اذا ارتفعت بحيث جاوز
ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهى وقطع الاوتار وكذا
اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعهم اهل الشوارع
فهذا الاظهار موجب للحسبة والانكار (ويحتسب على غير المكلف) اذ شرط
المحتسب عليه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا وان لم يكن معصية

بالنسبة اليه ولعله يكفى فى ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ تقرر ان الصبى لوشرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا لما تحقق ان المجنون لوكان يزنى بمجنونة او يأتى بهيمة او يشرب الخمر وجب منعه نعم من الافعال مالا يكون منكرا فى حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره (فى المحتسب عليه لايشترط التكليف) اى بخلاف المحتسب فانه يشترط تكليفه فى حق الوجوب عليه واما امكان الفعل وجوازه فلا يستدعى الا العقل حتى ان الصبى المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهى فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه من حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة وسائر القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتوا الحسبة للعبد وآحاد الرعية نعم فى المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبى ان يفعل ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر (لا فى محل الخلاف) اى لا يحتسب الا فى المتفق على كونه منكرا فكل ما هو فى محل الاجتهاد فلا حسبة فيه (كاكل الشافعى الضب) فليس للحنفى ان ينكر عليه اكله وكذا فى اكل الضبع ومتروك التسمية عمدا ولا للشافعى ان ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الارحام وجلوسه فى دار اخذها لشفعة الجوار الى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو رأى الشافعى شافعيا يشرب النبيذ او ينكح بلا ولى ويطأ زوجته او رأى الحنفى حنفيا يلعب بالشطرنج او يلبس الثوب الاحمر فهذا فى محل النظر كما فى الاحياء والاظهر ان له الحسبة والانكار اذلم يذهب احد من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذى ادى اجتهاده فى التقليد الى شخص رآه افضل العلماء ان له ان يأخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل فاذن مخالفته للمقلد متفق على كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه جوز له تقليد غيره من الائمة فى بعض المسائل فاذا اعتذر وقال انا مقلد للشافعى او الحنفى فى هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب والله اعلم بالصواب وقد ذهب جمع الى انه لا حسبة الا فى مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه حراما كاكل الميتة والدم وما اجمع على تحريمه حيث جوزوا لكل مقلد ان يختار من المذاهب ما اراد رفقا به ولعل وجه كلامهم ما ورد من ان الله سبحانه يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه وقد قال تعالى *فسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون* فمن تبع عالما لقى الله سالما ومن المعلوم ان الله سبحانه ما كلف احدا ان يكون حنفيا او مالكيا او شافعيا او حنبليا بل كلفهم ان يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وان يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء (ولا قبل الارتكاب)

اى ولا يحتسب قبل مباشرة ما يجب عليه الاجتناب فيشترط ان يكون المنكر موجودا فى الحال لانه يتوقع منه فى المآل (فهو) اى وجوده قبل الارتكاب (مشكوك فيه) فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة حاله وهيئته انه عازم على الشرب فى ليلته فانه لاحسبة عليه الا بوعظه ونصيحته فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا لديه فان فيه اساءة ظن بالمسلم وربما صدق فى قوله وربما لا يقدم على ما يعزم عليه لعائق عن فعله ولينتبه للدقيقة المتفرعة على هذا الاصل وهى ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما يجرى مجراه من سائر الاشياء (ولا بعده) اى ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه عن هذا الباب (فهو) اى هذا النوع من الاحتساب (حق الامام) اى ومن جعله من النواب (وعلى المحتسب عليه القبول والاعتذار) اى واجبان عليه ولازمان لديه (فهو المأثور) اى عن السلف الابرار (وببغض المصر) اى الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة سوا كان كافرا او فاجرا او مبتدعا ولو لم يكن داعيا (فيه) اى فى الله (تعالى) اى شانه وتعاظم برهانه (بالاعراض عنه) اى فى السلام والكلام (والاهانة) اى بزيادة المهانة (وترك الاعانة) اى فى ما يظهر من الاغاثة (وابطال اغراض تعين على المعصية دون غيرها) اى غير المعصية (ولو اعان) اى فى الاغراض التى تعين على غير المعصية (تحريضا على قبول النصح) اى فيما يذكره من الكلام (اولحق الاسلام فحسن) اى فاعانته مستحسن قال تعالى *لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين* فهذا فى زماننا يتصور فى حق اهل الذمة (فالحال تختلف بالنية) اى باختلافها وتفاوت الطوية (كما فى الترك للفسق) اى كما يختلف فى ترك الاحسان لخوف الفسق (الا ان يعلم) مخرج من قوله ولو اعان اى الا ان يعلم المبغض (الاقتداء) اى اقتداء الناس كما فى نسخة فلا يعينه حينئذ (كما فى المبتدع) اى الداعى لا يعينه (والمعلن بالفسق فى الملاء) تأكيد للاعلان اوقيد للمبتدع والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق فى الخلاء والاظهر انه ظرف لبغض المصر كما يشير اليه قوله (حتى يترك السلام) اى فى الابتداء ورده فى الانتهاء (فهو) اى حق السلام ورده (يسقط بادنى غرض) كالبول فى الحمام ونحوه (فورد من انتهر) اى زجر وقهر (صاحب بدعة) اى منكرة (ملأ الله قلبه ايمانا) اى معرفة وايقانا (ومن اهانه امنه الله) اى جعله آمنا من عذابه (يوم الفزع الاكبر) وهو القيمة الكبرى (ومن لان له) اى فى الكلام (او اكرمه) اى بالقيام (اولقيه ببشر) اى فى حال السلام (فقد استخف بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) اى فلم يعمل بما يجب عليه من الاحكام وان استحل ذلك فقد خرج عن دائرة اهل الاسلام والحديث لم اجد فى كتب الاعلام ولكن ورد

عنه عليه السلام من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام (ويستفتى من الفاب فى الخلاء) اى اذا كان وحده اوفى حكم الخلاء (ان اظهار البغض اقرب الى الانزجار) اى امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما (ام التلطف بالنصح) انسب الى اصلاح امرهما فيفعل بمقتضى ذلك (ولا يحسن الى من جنى) اى ظلم (فى حق الناس) اى لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية (فهو) اى الاحسان الى الظالم (اساءة فى حق المظلوم) اى الاولى بالرعاية كما فى نسخة (بخلاف حقه) اى فله ان يعاقبه بمثله وله ان يحسن اليه فى مقابلة ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه قال تعالى * ادفع بالتى هى احسن (ويضطر الذمى الى اضيق الطرق) اى بنية اهانته وعزة المسلم وغلبته فالاسلام يعلو ولا يعلى عليه (ولا يبدأ بالسلام عليه) لانه من باب الاكرام لديه والاحسان اليه (ولا يزيد فى جوابه) اى على قوله وعليك اوعليك فحسب وعبارة المصنف موهمة ان يقول له وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله وبركاته وليس كذلك فانه مخالف للرواية والدراية (ويسلم على من اتبع الهدى ان كان) الذمى اوالحربى اوالفاسق اوالبدعى (فى جمع المسلمين) وكأنه مقتبس من قول موسى عليه السلام * والسلام على من اتبع الهدى * وكذا فى العكس بان كان المسلم بين الكافرين اوالفاجرين وقيل يقول السلام عليكم و ينوى المسلمين الكاملين (ويدعو فى تشميته) اى جواب عطسته (بالهداية) اى بان يقول يهدينا ويهديكم الله (لا بالرحمة) فلا يقول يرحمكم الله (ولا يرشده) اى لا يدله (الى معبده) اى من البيعة لليهود والكنيسة للنصارى فانه اعانة على المعصية وقال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان (ولا يصافحه) لان المصافحة من باب كمال المصالحة (و يعيد الوضوء) اى اللغوى وهو غسل اليد (ان صافحه) اى كافرا ا ظاهر قوله تعالى انما المشركون نجس (ولا يستقبل جنازته بالوجه) اى بالمواجهة بل يدبر عنها وجهه اذا اتته فى المقابلة

الباب التاسع فى الصمت وآفات اللسان

المراد بالصمت السكوت فى ميدان البيان فقد ورد من صمت نجا رواه الترمذى من حديث عبدالله بن عمر بسند فيه ضعف والطبرانى بسند جيد الصمت حكمة وقليل فاعله الديلمى عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقى فى الشعب من حديث انس بلفظ حكم بدل حكمة قال والصحيح عن انس ان لقمان قال ولابى نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر من كثر كلامه كثر سقطه وما احسن قول القائل

(شعر) * ما ان ندمت على سكوتى مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا *

(بسم الله الرحمن الرحيم) خير كلام صدر من كل حكيم (ورد ان اكثر خطايا ابن آدم فى لسانه) الطبرانى وابن ابى الدنيا فى الصمت وللبيهقى فى الشعب بسند

حسن وللترمذى وصححه وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث معاذ قلت يارسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم الاحصائد السنتهم وللترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر قلت يارسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وفى الصحيحين من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا اوليسكت ولابن ابى الدنيا وغيره من حديث انس مرفوعا رحم الله عبدا تكلم فغنم اوسكت فسلم (ففى الصمت الوقار) اى حصول الرزانة والطمانينة (واجتماع الهمة) اى للامور المهمة (والفراغ للعبادة) التى هى وسيلة الى سيادة السعادة (والسلامة من آفات الدارين) اى محن الكونين وفتن المحاين (فان البلاء) اى فى الدنيا والاخرى (موكل بالنطق) مصدر ميمى اى بنطق اللسان الصادر من الانسان فى معرض البيان فا للسان صغير جرمه وكبير جرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان والطاعة والعصيان الا بشهادة اللسان ثم الذى ادرجه المصنف فى كلامه حديث رواه الخطيب فى تاريخه عن ابن مسعود بلفظ البلاء موكل بالمنطق فلو ان رجلا عير رجلا برضاع كلبة لرضعها قال السخاوى ضعيف اقول وقويه مانسبه الزركشى الى ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلمى من حديث ابى الدرداء قال السيوطى والديلمى ايضا من حديث ابن مسعود مرفوعا واحمد فى الزهد عنه موقوفا وابن السمعانى فى تاريخه من حديث على مرفوعا و بهذا تبين خطأ ابن الجوزى حيث ذكره فى الموضوعات لكن لفظه البلاء موكل بالقول ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع (منها) اى من آفات اللسان (مالا يعنى) اى مالا ينفع الانسان من البيان (وهو) اى مالا يعنى (مالا اثم عليه ولا ثواب) اى لا اجر لديه وينبغى ان يزاد ولا حاجة اليه وقد يعبر عنه باللغو ومنه قوله تعالى * والذين هم عن اللغو معرضون * واذا مروا باللغو مروا كراما * والاصل فى اللغو ومالا يعنى كلاهما شمول القول والفعل بل خطور القلب وتصوره فى ميدان العقل الا ان الاكثر استعمالهما فيما يتعلق باللسان (ففيه) آفات كثيرة وعاهات شهيرة ذكر المصنف منها ثلاثة عشر آفة الاولى (تضييع الوقت) وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك فرأس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى مالا يعنيه ضاعت حالاته ومضت ايامه فى الدنيا ولم يدخر فيها ثوابا للعقبى ومن هنا قال الصديق الاكبر ليتنى كنت اخرس الا عن ذكر الله وفى الحديث ليس يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها رواه الطبرانى والبيهقى عن معاذ وجاء فى حديث ضعيف ان الله امرنى ان يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ونظرى عبرة (وقساوة القلب) لانها بالغفلة عن ذكر الرب قال تعالى * فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * وقال عزوعلا * الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله

لا بذكر الله تطمئن القلوب * اى تسكن وتلين وقال عز وعلا فى بيان القرآن وذكره
* تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله (ووهن البدن)
اى ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء يتألم معه سائر الاجزاء
(وتأخير الرزق) اى المعنوى او الحسى ايضا جزاء لما فاته من الرفق (وايذاء الحفظة) اى
الكرام الكاتبين بالقاء كلامه واملاء مرامه من غير فائدة فى تمامه قال عطاء بن ابى رباح
ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون منه ماعدا كتاب الله
وسنة رسوله اوامرا بمعروف اونهيا عن منكر اونطقا بحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك
منها اتنكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون وعن اليمين وعن الشمال
قعيد مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد امايستحيى احدكم ان لو نشرت صحيفته التى
املأ صدر نهاره كان اكثرما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه (وارسال كتب)
اى صحائف من (اللغو اليه تعالى) اى للعرض عليه قبل القيمة (وقراءته بين يديه تعالى
يوم القيمة على رؤس الاشهاد) كما يشير اليه قوله تعالى * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا * ومن هنا قال عمر رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وهو مستفاد من قوله
تعالى * ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله * وتكرار
الامر بالتقوى لانها مطلوبة فى الدنيا والاخرى فافهم (والحبس عن الجنة) اى بمقدار
ما اختاره فى الدنيا من الغفلة عن الحضرة (والحساب) اى لما اثبته فى الكتاب
من استحقاق الثواب او استيجاب العتاب (واللوم) كما يشير اليه قوله سبحانه * لا اقسم
بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة * فانها تلوم نفسها على وجه الندامة فانها
ان عملت خيرا تلوم نفسها لماذا مازادت عليه وان عملت شرا فظاهر فى حقها الملامة
(والتعيير) اى التوبيخ على التقصير (وانقطاع الحجة) اى ابطالها فى تلك الحالة
(والحياء منه تعالى) لماله من الخجالة (وورد) اى من حديث ابى هريرة فى رواية
الترمذى وابن ماجه (من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه) بل ورد ماهو اشد
من هذا فعن انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة
من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يابنى وقال عليه
السلام ومايدريك لعله كان يتكلم فيما لايعنيه او يمنع مالايضره ابن ابى الدنيا
وللترمذى مختصرا وفى حديث آخر انه عليه السلام فقد كعبا فسأل عنه فقالوا
مريض فخرج يمشى حتى اتاه فلما دخل عليه قال له ابشر ياكعب فقالت امه هنيئا
لك الجنة ياكعب فقال عليه السلام من هذه المتألية على الله قال هى امى يارسول الله
قال ومايدريك ياام كعب لعل كعبا قال مالايعنيه او منع مالايغنيه والمعنى ان الجنة
انما تهنأ لمن لايحاسب ولايعاقب ومن تكلم فيما لايعنيه حوسب عليه وان كان كلامه
مباحا فلا تتهنأ الجنة له لاسيما مع المناقشة فى الحساب فانه نوع من العذاب (ومنها

الفضول) اى فضول الكلام (وهو زيادة فيما يعنى) يعنى على قدر الحاجة فان
من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام يختصره ويمكنه ان يبسطه ويعززه ويكرره ومهما
تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية فضول اى فضل على الحاجة
فعن ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرئ مابلغ به حاجته اى من المرام
فى المقام (فورد طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله) وتمامه
ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة رواه البغوى والبيهقى وقال ابن عبد البر حديث
حسن وفضول الكلام لاينحصر ولايحصى بل المهم محصور فى كتاب الله تعالى
* لاخير فى كثير من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس *
وقد ورد الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا امرا بمعروف او نهيا عن منكر او ذكر الله
البزار عن ابن مسعود والطبرانى عن ابى الدرداء بلفظ الدنيا ملعونة ملعون مافيها
الا ما ابتغى به وجه الله عز وجل (ومنها الخوض فى الباطل) وهو الكلام فى المعاصى
(كمحاسن النساء) اى حكايات احوالهن من قدهن وخدهن وجمالهن (ومقامات
الفساق) من مجالس الخمر وسماع الزمر (وتنعم الاغنياء) اى بالمأكول والمشروب
من الاشياء (وتجبر الملوك) اى واتباعهم من الامراء والوزراء (وحروب الصحابة)
كقصتى الجمل وصفين على طريق الاخباريين لاعلى رواية المحدثين (والمذاهب
الباطلة) وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فان كل ذلك مما لايحل الخوض فيه
(فورد اعظم الناس خطايا) جمع خطيئة كقضية وقضايا (يوم القيمة اكثرهم خوضا
فى الباطل) ابن ابى الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه هو والطبرانى
موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح وهو فى حكم المرفوع ولابن ماجه والترمذى وقال
حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله
مايظن ان تبلغ به مابلغت يكتب الله بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم
بالكلمة من سخط الله مايظن ان تبلغ به مابلغت يكتب الله بها عليه سخطه الى
يوم القيمة وكان علقمة يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن
الحرث ولابن ابى الدنيا من حديث ابى هريرة بسند حسن مرفوعا ان الرجل ليتكلم
بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها ابعد من الثريا وللشيخين والترمذى واللفظ له
وقال حسن غريب ان الرجل ليتكلم بالكلمة لايرى بها بأسا يهوى بها سبعين خريفا
فى النار (وهو) اى الخوض فى الباطل (حرام) كما يشير اليه قوله تعالى * وكنا نخوض
مع الخائضين * وقوله * فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره * وقال سلمان
اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما فى معصية الله وقال ابن سيرين كان رجل
من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول توضأوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث
يعنى فان الحدث مباح وكلام المعصية منكر ولذا كان بعض السلف يتوضأ من الغيبة

والنميمة والمقصود الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الذميمة (والاولان) اى مالايعنى وفضول الكلام (مكروهان) كراهة تنزيه لانهما ترك الاولى كما لايخفى (وسبب الكل) اى باعث جميع ماذكر ممالايعنى والفضول والخوض (هو الحرص على علم لاينفع) بل انه يضر ولايدفع ومن هنا قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم وقال الانساب بيان علم لاينفع وجهل لايضر (والانبساط بالكلام للتودد) اى للتحبب مع الانام والغفلة عن ذكر الملك العلام (وامضاء الوقت) من الليالى والايام من غير منفعة للخاص والعام (والعلاج) اى معالجة الكل ستة (ذكر اتيان الموت) لانه به يتدارك الفوت فى الاوقات وقد ورد اكثروا ذكر هادم اللذات (والسؤال) اى وذكر السؤال عن الاحوال يوم العرض على الملك المتعال (ولحوق الخسران بتضييع الوقت) اى الزمان فى الهذيان فقد قال تعالى * قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * (والعزلة وهو الانفع) اى فى المعالجة لان اكثر الضرر فى الصحبة والخلطة (والقاء نواة فى الفم) اوحصاة (وهو مروى عن الصديق) رضى الله عنه ففى الاحياء عنه انه كان يضع حصاة فى فيه يمنع بها نفسه عن الكلام فيما لايعنيه فكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذى اوردنى الموارد اى المهالك الصادرة من شانه (والسكوت عن بعض المهمات) حذرا من كل الآفات لانه لانجاة من هذا الامر الا بالسكوت عن كل مالايأثم به لوسكت فى المقامات وعن بعضهم جعلت على نفسى بكل كلمة فيما لايعنى صلاة ركعتين فسهل ذلك على فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل على ولم تنته حتى جعلت على نفسى بكل كلمة ان اتصدق بدرهم فصعب على فانتهت كذا فى شرح الخطب (ومنها المراء وهو) فى هذا المقام (الطعن فى الكلام) اى كلام الغير (باظهار خلل) اى نقصان (اوطغيان) اى زيادة فى معرض بيان بحسب المبنى اومن جهة المعنى (وهو حرام) قال تعالى * فلاتمار فيهم الامراء ظاهرا * وعنه عليه السلام لاتمار اخاك ولاتمازحه ولاتعده وعدا فتخلفه الترمذى من حديث ابن عباس وللطبرانى من حديث ابى الدرداء وابى امامة وانس بن مالك وواثلة بن الاسقع وابن ابى الدنيا موقوفا على ابن مسعود ذر والمراء فانه لاتفهم حكمته ولاتؤمن فتنته (والواجب السكوت) باظهار كونه معترفا اومتوقفا وهذا اذالم يكن بامور الدين متعلقا (اوالسؤال مستفيدا) اى متعرفا (او التعريف) اى تعريف الحال (متلطفا) اى لامتعنتا ولامتكلفا (وورد من ترك المراء وهو محق) اى صاحب حق (بنى له بيت فى اعلى الجنة ومن ترك وهو مبطل بنى له فى اسفل الجنة) وفى رواية بنى له بيت فى ربض الجنة رواه الترمذى وابن ماجه من حديث انس مع اختلاف قال الترمذى حديث حسن ولابن ابى الدنيا من حديث ابى هريرة لايستكمل عبد حقيقة

الايمان حتى يذر المراء وان كان محقا وهو عند احمد بلفظ لايؤمن العبد حتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وان كان صادقا وللديلمى من حديث ابى مالك الاشعرى ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف وتعجيل الصلوة فى يوم الدجن اى الغيم والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو صادق وللطبرانى من حديث ابى امامة تكفير كل لحاء ركعتان واللحاء مصدر لاحى بمعنى مارى وآفات المراء كثيرة ومضراته مستطيرة قال سفيان لوخالفت اخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى بى الى السلطان وقال ايضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابى ليلى لااماري صاحبى فامان اكذبه واما ان اغضبه (ومنها الجدال) اى البحث لترجيح كلامه كيف ما كان على وفق مرامه (وهو) اى فى العرف او الغالب (مراء متعلق باظهار المذاهب) اى الفروعية الخلافية او الاصولية الاعتقادية قال تعالى * ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شئ جدلا * وقال عز وعلا * ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن * وقال عز وعلا * ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن * فهو مأذون فيه مع اهل الكفر والبدعة ومنهى عنه فى حق المسلمين من اهل السنة والجماعة فللترمذى من حديث ابى امامة وصححه ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدال (وهو) اى الجدل المذموم (يعرف بكراهة اصابة الخصم) اى الحق والصواب فى اثنائه (وارادة اخطائه) وهو قد يوجب ظهور كفره واغوائه (واظهار فضل النفس) فى اهوائه (وورد) اى من حديث ام سلمة (ان اول ماعهد الى ربى ونهانى عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال) اى مجادلتهم ومنازعتهم ومماراتهم فى محاوراتهم رواه ابن ابى الدنيا والبيهقى وابوداود مرسلا من حديث عروة بن رويم (والسبب) اى الباعث للمراء والجدال (الترفع) باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار نقصه فى العلوم او الاعمال (والغضب) اى وتهيجه فى محافل الرجال (وعلاج كل) اى من الترفع والغضب (فى موضعه) اى اللايق به ومجمله ان علاج الترفع ترك الكبر والتواضع وعلاج الغضب تصور قدرة الرب وروى ان الامام الهمام اباحنيفة قال لداود الطائى احد تلاميذه لم آثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسى بترك الجدال والمراء فقال احضر المجالس واسمع مايقال ولاتتكلم فى الاثناء قال ففعلت ذلك فما رأيت مجاهدة اشد منها ذلك قال فى الاحياء وهو كما قال لان من سمع من غيره خطأ وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذا قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس اوما يحصل لها من المحنة ثم قال وينبغى للانسان ان يكف اللسان عن اهل القبلة واذا رأى احد المبتدعة تلطف فى نصحه

على المحاورة بطريق المجادلة الحسنة والمحاورة المستحسنة فعنه عليه السلام رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما قدر عليه ابن ابى الدنيا من حديث هشام ابن عروة مرسلا وقال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات (ومنها الخصومة) وهى من الصفات المذمومة والاخلاق المشؤمة (وهى لجاج) اى مخاصمة زائدة (فى الكلام) مع اصحابه الكرام (لاستيفاء حق) اى له او لغيره اصالة او نيابة (ابتداء او اعتراضا) كاثبات الوارثة ودفع الخصومة انتهاء فالاول نعت المدعى بالكسر والثانى وصف المدعى عليه ومن هناقيل الصوفى لايخاصم ولايخاصم (فورد) اى فى البخارى عن عائشة (ابغض الرجال الى الله الالد الخصم) اى اللجوج الشديدة الخصومة والحديث مقتبس من قوله تعالى * ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله على مافى قلبه وهو الد الخصام * ولابن ابى الدنيا وغيره عن ابى هريرة من جادل فى خصومة بغير علم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع (وهو حرام الا لمظلوم ينصر حجته بطريق الشرع مقتصرا على الحاجة) اى قدر حاجته من غير تعد الى حد لجاجته لقوله تعالى * لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم * وقوله * والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون * (والاولى الترك) اى اذا وجد اليه سبيلا فى مكان الامكان (لعسر ضبط اللسان على الاعتدال) فى ميدان البيان (والاحتراز عن موجبات الاثم) اى ولا حتراس عن مقتضيات انواع العصيان (كالحقد والغضب والسب) وغيرها من نحو الكذب والبهتان (والفرح بغم المسلم) فى ذلك المقام (وفوت طيب الكلام) اى ولفوته وقد قال عليه السلام يوجب الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام الطبرانى من حديث هانى ابن شريح باسناد جيد وقال عمر رضى الله عنه (شعر)

بنى ان البر شئ هين * وجه طليق وكلام لين *

ولاجل ما تقدم قال تعالى * فمن عفا واصلح فاجره على الله * وقال عز وعلا * وقولوا للناس حسنا * وقد قال بعضهم ماخاصم قط ورع فى الدين وقال ابن قتيبة مر بى بشر بن عبدالله بن ابى بكر فقال مايجلسك قلت خصومة بينى و بين ابن عم لى قال ان لابيك عندى يدا وانى اريد ان اجزيك بها وانى والله مارأيت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروءة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لى خصمى مالك فقلت لا اخاصمك فقال عرفت انه حق فقلت لا ولكنى اكرم نفسى عن هذا قال فانى لا اطلب منه شيئا هولك (ومنها التشدق) اى التكلف فى الكلام والتوسع فى المرام (بتكلف السجع والتصنع فيه) اى من غير ان يكون فى سجيته سجيع الطبع كما قيل لبعض المشايخ فى ذم السجع فقال رجعت عما سجعت واما اصل السجع فغير مذموم فى الشرع كما نزل فى فواصل آى القرآن القديم وورد فى كثير من حديث النبى الكريم ومنه اعوذبك من علم لاينفع وقلب لايخشع ونفس لاتشبع ودعاء لايسمع

ومن هؤلاء الاربع واما ماورد من انه عليه السلام قضى بغرة فى الجنين فقال بعض قوم الجانى كيف ندى من لاشرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل اى يهدر و يبطل فقال عليه السلام اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بين عليه فى هذا الباب والحديث رواه مسلم من حديث المغيرة بن شعبة وابى هريرة واصلهما عند البخارى ايضا (فورد شرار امتى الذين يتشدقون فى الكلام) ابن ابى الدنيا من حديث فاطمة شرار امتى الذين غذوا فى النعيم يأكلون الوان الطعام و يلبسون الوان الثياب و يتشدقون فى الكلام ولمسلم من حديث ابى مسعود الاهلك المتنطعون ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء ولاحمد من حديث ابى ثعلبة وهو عند الترمذى من حديث جابر وحسنه ان ابغضكم الى الله وابعدكم منى مجالسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون (والسبب اظهار الفصاحة) والبلاغة (واما تحسين الالفاظ فى المواعظ) وكذا فى الخطب والتصنيف (للتأثير فى القلوب فجائز دون الافراط) اى من غير الاطناب فى الاغراب لان المقصود تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها وتحقيقها وتدقيقها ولرشاقة الالفاظ والمبانى تأثير فى ميدان المعانى واما المحاورات التى تجرى فى قضاء الحاجات فلايليق بها السجع فيما بين الكلمات فالاشتغال به من التكلف المذموم اذلا باعث عليه الا الرياء الملوم (ومنها الفحش وهو التصريح بالذمائم) اى بالكلمات الذميمة (كلفظ الجماع) اى تصريحا لا تلويحا فعن ابن عباس ان الله حى كريم و يكنى كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة بالاجماع (والبول) وكذا الخرء بالاولى فينبغى ان يكنى عنهما بقضاء الحاجة او بالغائط فانه من كنايات القرآن اذ حقيقته الموضع المنخفض من الارض مع مافيه من التنبيه ان مثل هذا المكان يليق بقضاء حاجة الانسان (والجذام) ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج والاسهال بل يقال العارض الذى يشكوه (وزوجتك) وكذا امرأتك وسريتك بل يقال من فى البيت او العيال او اهل البيت او ام الاولاد ونحو ذلك والظاهر ان زوجك من كنايات القرآن حيث قال تعالى * اسكن انت وزوجك الجنة * وقال * امسك عليك زوجك (فورد الفحش ليس من الاسلام) احمد وابن ابى الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شئ الحديث وللنسائى والحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمر واياكم والفحش فان الله لايحب الفحش ولا التفحش ولابن ابى الدنيا وابى نعيم فى الحلية من حديث عبدالله بن عمرو باسناد لين الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها قال العلاء بن زياد وكان عمر بن عبدالعزيز يتحفظ

فى منطعه فخرج جراح فى ابطه فقلنا نسأله ماذا يقول فقلنا من اين يخرج فقال من باطن اليد ومن هذا القبيل قوله عليه السلام لامرأة رفاعة حتى تذوقى عسيلته و يذوق عسيلتك رواه البخارى من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفق الشيخان عليه من حديثها فى المرأة التى سألته عن الاغتسال من الحيض خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها الحديث (ومنها السب) اى الشتم (فورد سباب المؤمن فسق) رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ولمسلم من حديث ابى هريرة المستبان ماقالا فعلى البادى مالم يعتد المظلوم ولاحمد وابى يعلى والطبرانى من حديث ابن عباس باسناد جيد ملعون من سب والديه وفى رواية الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يارسول الله كيف يسب الرجل والديه قال يسب ابا الرجل فيسب الآخر اباه ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال لاتسبوا هؤلاء فانه لايخلص اليهم شئ مما تقولون وتؤذون الاحياء رواه ابن ابى الدنيا من حديث محمد بن على الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا وقع فى اب للعباس كان فى الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لاتسبوا امواتنا فتؤذوا احياءنا ولابى داود والترمذى وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائى من حديث عائشة لاتذكروا موتاكم الا بخير واسناده جيد وللبخارى من حديث عائشة لاتسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ماقدموا (والرخصة فى مثل هل انت الامن بنى فلان) اى اذا كان بنو فلان من القبائل الدنية واهل الشمائل الردية فيكون صادقا فى قوله (يامسئ الخلق) لان الخلق لايخلو من سوء الخلق (لاحياء لك) اى حق الحياء (يااحمق) اذ لايخلو احد من نوع حماقة (ياجاهل) لان كل احد جهله اكثر من علمه لقوله تعالى * وما اوتيتم من العلم الا قليلا * (فكل) اى من افراد الانسان (لايخلو عن جهل وحمق) ولو فى بعض الاحيان والله المستعان (ومنها اللعن) بمعنى الطرد (وهو الابعاد عنه تعالى) اى طلب بعد الغير عن رحمته سواء يكون بجملة خبرية كلعنه الله او دعائية كاللهم العنه (فهو حكم عليه تعالى) لان الخبر ايضا بمعنى الامر (فلا يجوز) اى على احد من فاسق ومبتدع وفاجر بل لايجوز (لا على ميت كافر) اى بحسب حكم ظاهر (لجواز انه اسلم) اى ولم يطلع على ايمانه احد (الا اذا علم موته كافرا) بنص قطعى من كتاب كابى لهب او بتواتر فى حديث (كابى جهل وفرعون) فان كفره ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة ولا التفات الى كلام ابن العربى ومن تبعه كما بينته فى رسالة مستقلة (ولا حى) اى ولا على كافر حى (لاحتمال انه يسلم) فى آخر عمره وخاتمة امره (بخلاف الترحم للاسلام الحالى) جواب سؤال مقدر وهو انه ينبغى ان لايجوز الترحم للمسلم فى الحال لجواز انه

يكفر فى المآل فقال انما يجوز (لانه) اى الدعاء بالرحمة للمسلم (سؤال الثبات على الاسلام وهو مستحب) باجماع الاعلام (وسؤال الثبات على الكفر كفر) لانه يدل على رضاه به بخلاف الدعاء لاحد بالموت على الكفر فان رضاه ليس بكفره بل بموته على كفره تشيظا فى امره و يدل على جوازه دعاء موسى وهارون على فرعون وقومه بقولهما * ربنا اطمس على اموالهم و اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم * ومن المعلوم ان ايمانهم عند رؤية العذاب ايمان بأس وتوبة يأس فلايقبل لقوله تعالى * فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا * وقوله * حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن * وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر واما اذا قيل اغفر وارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء له بان يجعله سبحانه اهلا للمغفرة والرحمة بالايمان والمعرفة فقيل لابأس والظاهر انه لايجوز لنهى الشارع ان يقال فى جواب عطسة الكافر يرحمك الله بل يقال يهديك الله (و يجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين) لقوله تعالى * فلعنة الله على الكافرين * و * الا لعنة الله على الظالمين * بل يجوز التعميم ايضا فى حق الفاجرين من غير تعيين بان يقال لعن الله آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا ولعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها كما اخرجه ابوداود والحاكم عن ابن عمر ولعنت القدرية على لسان سبعين نبيا رواه الدارقطنى فى العلل عن على رضى الله عنه و يجوز لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض (والاولى الترك) اى ترك اللعن (مطلقا) اى عموما وخصوصا فيما لم يرد فى الكتاب والسنة لعنه (اذ هو مما لايعنيه) قال مكى بن ابراهيم كنا عند ابن عوف فذكروا بلال بن ابى بردة فجعلوا يلعنونه و يقعون فيه وابن عوف ساكت فقالوا ياابن عوف انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عوف انهما كلمتان تخرجان من صحيفتى يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتى لا اله الا الله احب الى من ان يخرج لعن الله فلانا وعلى الجملة ففى لعنة الاشخاص خطر فليجتنب فى امره ولاخطر فى السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره (وورد المؤمن) اى الكامل (ليس بلعان) اى بذى لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان او للمبالغة فانه ربما يصدر عن المؤمن فى حالة من احوال الغضب او الغفلة وهو مذموم سواء يكون لانسان او جماد او حيوان والحديث رواه الترمذى وحسنه من حديث ابن عمر لايكون المؤمن لعانا ولابى داود والترمذى من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذى حسن صحيح لاتلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال عمران بن الحصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره اذا امرأة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عليه السلام خذوا ماعليها واعروها فانها ملعونة قال

فكأنى انظر الى تلك الناقة تمشى فى الناس لا يتعرض لها احد رواه مسلم ولابن ابى الدنيا باسناد جيد من حديث انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون قال ذلك انكارا عليه كذا فى الاحياء ومن ابى ذر وابى الدرداء ما لعن الارض احد الا قالت لعن الله اعصانا لله ومن عائشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر العانين وصديقين كلا ورب الكعبة العانين وصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود رواه ابن ابى الدنيا ولمسلم من حديث ابى الدرداء ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وشرب نعيمان الخمر مرات فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام لا تكن عونا للشيطان على اخيك وفى رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر فى الاستيعاب وللبخارى من حديث ابن عمر ان رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد جلده فى الشراب فاتى به يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يؤتى به فقال عليه السلام لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله وهذا يدل على ان لعن فاسق بعينه لا يجوز وفى الصحيحين من حديث ثابت بن الضحاك لعن المؤمن كقتله والتحقيق ان اللعن غير جائز الا على من يتصف بصفة تبعده عن الله وهو الكفر والفسق والظلم والبدعة وذلك غيب باعتبار الخاتمة اذ ربما يموت صاحبه على التوبة فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا انه عليه السلام يجوز ان يعلم من يموت على غير الاسلام ولذا كان يقول فى دعائه على قريش اللهم عليك بابى جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن قتلوا على الكفر ببدر كما فى الصحيحين من حديث ابن مسعود واما من لم يعلم عاقبته وكان يلعنه فنهى عن ذلك اذ روى انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة فى قنوته شهرا فنزل قوله تعالى * ليس لك من الامر شئ او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون * يعنى انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون كذا فى الاحياء وقال مخرجه رواه الشيخان من حديث انس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا الحديث وفى رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكوان الحديث ولهما من حديث ابى هريرة كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه العن لحيان ورعلا الحديث وفيه ايضا ثم بلغنا انه ترك ذلك لما نزل الله * ليس لك من الامر شئ * واللفظ لمسلم واما من بان موته على الكفر فيجوز لعنه ان لم يكن فيه اذى على مسلم لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابا بكر

عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه وهو عمرو بن سعيد قال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهمام من ابى قحافة فقال ابو بكر يكلمنى هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عليه السلام لعمر واكفف عن ابى بكر وانصرف ثم اقبل على ابى بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابناء للآباء فكف الناس عن ذلك كذا فى الاحياء قال مخرجه رواه ابو داود فى المراسيل من رواية على بن ربيعة قال لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة توجه من فوره ذلك الى الطائف ومعه ابو بكر ومعه ابنا سعيد بن العاص فقال ابو بكر لمن هذا القبر قالوا قبر سعيد بن العاص فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يحاد الله ورسوله الحديث وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا وللترمذى من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله ثقات لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين او آمرا به فقال الغزالى هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا عن اللعن لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق وبصيرة نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا رضى الله عنه وقتل ابو لؤلؤة عمر رضى الله عنه لان ذلك ثبت متواترا ولا يجوز ان يرمى مسلم بكفر وفسق من غير تحقيق فعنه عليه السلام لا يرمى رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتد عليه ان لم يكن صاحبه كذلك رواه الشيخان من حديث ابى ذر وللديلمى من حديث انس ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه وهذا معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيرها كان مخطئا لا كافرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله لعنه الله قلت الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله وهو كافر ثم تاب عن القتل والكفر جميعا ولا يجوز ان يلعن والقتل كبيرة ولا ينتهى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر كذا فى الاحياء وقد تقدم منه انه لا يجوز لعن احد الا اذا تحقق موته على الكفر فالصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات على الكفر لعنه الله اذ لا يجوز لعنه ان مات على الايمان وتاب عن العصيان والله المستعان (ومنها نسبة الذنب الى المسلم) يعنى وهو برئ منه (الا الذنب بعد التحقيق) اى الا الذنب الذى تحقق وقوعه منه فقد قال تعالى * ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا (ومنها الدعاء على احد) قال تعالى * ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا (فورد ان المظلوم ليدعو على الظالم) اى فيقول لا اصح الله جسمه ولا سلم الله روحه ونحوه (حتى

يكافيه) اى يمثله فى الظلم (ثم يبقى للظالم عنده فضلة) اى زيادة (يوم القيمة) اى ان زاد على مثله لقوله تعالى * فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم * والحديث كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل وللترمذى من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلمه فقد انتصر قلت وهو مطابق لقوله تعالى * ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس * اى ابتداء او بالتجاوز عن الحد انتهاء (ومنها المزاح) بكسر الميم مصدر مزح اومازح وبالضم اسم ما يمزح به وهو المطايبة فى الكلام باللسان الا انه لما كان اللسان كالترجمان عن حال الجنان قال المصنف (وهو مطايبة القلب) ولا يبعد ان يكون المعنى وهو سبب لطيب القلب (وهو) اى كثيره او اصله (مذموم) اى وفاعله ملوم (لانه يولد) اى يهيج (كثيرا من الذنوب والعيوب) اى الظاهرة والباطنة (كحقد العاقل وجراءة السفيه) اى الجاهل فعن سعيد بن العاص لابنه يابنى لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدنى فيجترئ عليك (وسقوط الوقار) اى الهيبة والعظمة فى نظر الابرار فعن عمر رضى الله عنه من مزح استخف به (وذهاب حلاوة المحبة) لانه لا يخلو عن مرارة فى الصحبة ويقال المزاح مذهبة للبهاء ومقطعة للاصدقاء (والغفلة عنه تعالى) اى عن ذكر الرب بحسب الاغلب (وظلمة القلب) اى الناشئة عن الغفلة (وورد لا تمار اخاك ولا تمازحه) الترمذى (الا النادر الخالى عن الباطل) اى فانه غير مذموم كما ورد انى لا امزح ولا اقول الا حقا لكن مثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وكثرة الضحك تميت القلب ويدل على الغفلة عن احوال الآخرة واهوالها وقد ورد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا متفق عليه من حديث انس وعائشة وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قلوص له فسلم فجعل كلما دنا الى النبى عليه السلام ليسأله نفر به وجعل الصحابة يضحكون منه ففعل ذلك ثلاث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابى قد صرعه قلوصه فهلك قال وافواهكم ملائى من دمه ابن المبارك فى الزهد والرقايق وهو مرسل (كما هو المأثور) عن الحسن قال اتت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى * انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا * الترمذى فى الشمائل هكذا مرسلا واسنده ابن الجوزى فى الوفاء من حديث انس بسند ضعيف وروى زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى يدعوك فقال ومن هو اهو الذى بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض قال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا والله فقال عليه السلام ما من احد الا بعينه بياض اراد به البياض المحيط بالحدقة الزبير بن بكار وجاءته امرأة اخرى فقالت يا رسول الله احملنى على بعير فقال عليه

السلام نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملنى فقال عليه السلام وهل من بعير الا وهو ابن البعير ابو داود والترمذى وصححه من حديث انس بلفظ انا حاملوك على ولد الناقة وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابى كان رجلا دميما قبيحا فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندى امرأتان احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احديهما فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت هى احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسألة عائشة اياه لانه كان دميما الزبير بن بكار من رواية عبد الله بن حسن مرسلا او معضلا وللدار قطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حصين الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث ابى هريرة وقال عليه السلام لصهيب وبه رمد وقد رآه يأكل تمرا فقال اتأكل التمر وانت رمد فقال انما آكل بالشق الآخر فتبسم عليه السلام قال بعض الرواة حتى بدت نواجذه ابن ماجه والحاكم من حديث صهيب وروى ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بنى كعب بطريق مكة فطلع عليه النبى عليه السلام فقال يا ابا عبد الله مالك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لى شرود قال فمضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل ذلك الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رأيته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعد ما قدمت المدينة حتى طلع على وانا اصلى فى المسجد فجلس الى فطولت صلاتى فقال لا تطول فانى انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فسكت واستحييت قال وكنت اتفرر منه حتى لحقنى يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه فى شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذى بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت قال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله الطبرانى فى الكبير من رواية زيد بن اسلم عن خوات بن جبير ورجاله ثقات وكان نعيمان الانصارى رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعله ويأمر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان يشترى الشئ ويهديه الى النبى صلى الله عليه وسلم ثم يجئ بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول عليه السلام اولم تهده لنا فيقول يا رسول الله والله لم يكن عندى ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك عليه السلام ويأمر لصاحبه ثمنه رواه الزبير بن بكار فهذه مطايبات يباح مثلها بل يستحب احيانا ومن الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفة على الدوام ويتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك باذنه عليه السلام لعائشة فى النظر الى رقصهم فى يوم عيد هم فهذا خطأ

ومن الصغائر ماتصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ماتصير صغيرة بالاصرار كذا
فى الاحياء (ومنها الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكر عيوبه على وجه يضحك)
اى منه على الملاء (قولا وفعلا) متعلقان بذكر عيوبه تنبيها على ان ذلك قد يكون
بالمحاكاة فى الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء فعن عائشة حكيت انسانا فقال
عليه السلام ما يسرنى انى حكيت انسانا ولى كذا وكذا رواه ابو داود والترمذى
وصححه (وهو) اى بجميع انواعه (حرام لانه ايذاء) وايضا هو عمل السفهاء ولذا قال
موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين حين قال قومه اتتخذنا هزوا اى مهزوا بنا
(وورد) فى سورة الحجرات (لايسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم) تمامه
* ولانساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن (من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله)
الترمذى عن معاذ بن جبل وحسنه وذكر عن احمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه
وعنه عليه السلام ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم
فيجئ بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فمايزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب
فيقال له هلم هلم فما يأتيه ابن ابى الدنيا مرسلا وعن عبد الله بن عباس فى قوله تعالى
* ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة الا احصيها * الصغيرة التبسم
بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وذلك كالضحك على خطه وصنعته
او على صورته وخلقته (الا) استثناء من حرام اى انما يحرم فى حق من يتأذى به لا (فيمن
جعل نفسه مسخرة يمزح به) وربما يفرح بسببه (فهو) اى السخرية فى حقه
(كالمزاح) الذى فى اصله من جنس المباح (ومنها اظهار السر) اى افشاء سر
الغير صاحبه واذاعته واشاعته (فهو من لؤم الطبع) ومنهى عنه فى لسان الشرع
(وفيه الايذاء والاستحقار) اى التهاون بحق المعارف والاصدقاء (وورد لايحل
لاحد ان يفشى على صاحبه مايكره) لم يعرف بهذا اللفظ لكن ورد الحديث بينكم
امانة رواه ابن ابى الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا والخطيب عن على المجالس
بالامانة ولابى داود عن جابر المجلس بالامانة الاثلثة مجالس سفك دم حرام اوفرج
حرام اواقتطاع مال بغير حق وورد من حديث جابر (اذا حدث الرجل الحديث
ثم التفت فهى امانة) ابو داود والترمذى وحسنه (ومنها الوعد على عزم الخلف
فهو من ثلاث) اى خصال (هى علامات النفاق) فعن ابى هريرة مرفوعا ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا ائتمن خان متفق عليه (والوا جب) اى شرعا اومروءة (الوفاء فى كل وعد
فهم) اى صاحب الوعد (منه الجزم وان استثنى) اى وقال ان شاء الله لانه قد
يقال للتبرك اوللتبرى من الحول والقوة كما يشير اليه قوله تعالى * ولا تقولن لشئ
انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله * اى الامقرونا بذكر مشيته وارادته (فورد) اى

فى قوله تعالى * ياايها الذين آمنوا (اوفوا بالعقود) اى بالعهود وورد فى السنة
(العدة) اى الوعد (دين) اى فرض كقرض (اوعطية) شك اواختلاف رواية وهو
الاظهر وقد اقتصر فى الاحياء على الثانى وقال مخرجه ابو نعيم فى الحلية عن ابن
مسعود ورواه غيره ايضا واما اللفظ الاول فرواه الطبرانى فى الاوسط عن على وعن ابن
مسعود وفى رواية ابن عساكر عن على العدة دين ويل لمن وعد ثم اخلف كرره ثلاثا
ولابن ابى الدنيا من رواية ابن ربيعة مرسلا الواى مثل الدين او افضل وقال الواى
يعنى الوعد ورواه الديلمى ايضا عن على وقد اثنى الله على نبيه اسماعيل بقوله انه كان
صادق الوعد يقال انه واعد انسانا الى موضع فلم يرجع اليه فبقى اثنين وعشرين
يوما ينتظره وعن عبد الله بن ابى الحمساء بايعت النبى صلى الله عليه وسلم فوعدته
ان آتيه بها فى مكانه ذلك فنسيت يومى والغد فاتيته اليوم الثالث وهو فى مكانه فقال
يافتى قد شققت على انا ههنا منذ ثلاث انتظرك رواه ابو داود وكان عليه السلام جالسا
يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل فقال ان لى عندك موعدا قال صدقت
فاحتكم ماشئت فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال هى لك ولقد
احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التى دلته على عظام يوسف كانت احزم منك
واجزل حكما حين حكمها موسى فقالت حكمى ان تردنى شابة وادخل معك الجنة
ابن حبان والحاكم فى مستدركه من حديث ابى موسى مع اختلاف وقال الحاكم صحيح
الاسناد واجزم بالجيم والزاى اوجب ولايبعد ان يكون بالحاء المهملة اى احوط والزم
(ويعذر) اى يعد معذورا (ان ترك) اى الوفاء (بعذر) اى شرعى اوفرعى فكان
ابن مسعود لايعد وعدا الا ويقول ان شاء الله اى تعليقا لئلا يكون الوعد تحقيقا وقيل
لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجئ قال ينتظره مابينه وبين
ان يدخل وقت الصلوة التى تجئ قلت وهذا من قبيل الايجاب وماسبق من باب
الاستحباب (فورد فيه) اى فى المعذور (نفى الاثم ان كان فى نيته الوفاء) اى من
اصله فى الوعد المذكور فلابى داود والترمذى من حديث زيد بن ارقم اذا وعد
الرجل اخاه وفى نيته ان يفى فلم يف فلااثم عليه (لكنه متصور بصورة الخلف فالاولى
الاحتراز) اى احترازا من التهمة فى خلف الوعد واما ما فى الاحياء انه عليه السلام
كان اذا وعد وعدا قال عسى فقال مخرجه لم اجد له اصلا (ومنها الكذب) بفتح
فكسر وبكسر فسكون وقد عد من قبائح الذنوب وفواحش العيوب (وهو حرام)
بالكتاب والسنة قال تعالى * انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله * وفى
الصحيحين اربع من كن فيه فهو منافق اذا حدث كذب وفيهما عن ابن مسعود
لايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ولابن عبد البر
فى التمهيد بسند ضعيف عن عبد الله بن جراد انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم
هل يزنى المؤمن قال قد يكون من ذلك قال هل يكذب قال لاثم اتبعها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله *وفى حصره مبالغة فى نفيه عن المؤمن اومقيد بالكامل ويؤيده ماروا ابن ابى شيبة فى مصنفه من حديث ابى امامة وابن عدى من حديث سعد بن ابى وقاص اعلى كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقيل لحسان الدين صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا قال نعم (الا) استثناء من قوله وهو حرام اى ولا يحرم بل يجب (اذا وقع فى تركه) اى حصل فى ترك الكذب (افحش منه) اى منكر اعظم من الكذب (كما فى ستر الاسرار) اى بان يسأل عن ستراخيه فله ان ينكره ويكذب فيه وكذا فى ستر اسرار نفسه من كشف عوراته فمنه عليه السلام اجتنبوا هذه القاذورات التى نهى الله عنها فمن عمل شيئا فليستتر بستر الله رواه الحاكم باسناده حسن وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى بل اعظم من الاولى فللرجل ان يحفظ ذمه وماله الذى يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا (والانكار عن العلم) اى وكما فى عدم الاقرار (بمكان من اختفى عن ظالم قصد قتله) اوضربه اواخذ ماله او كشف عرضه وحاله فعن ميمون ابن مهران ان الكذب فى بعض المواطن خير اى من الصدق ارأيت لو ان رجلا يسعى وآخر وراءه بالسيف فدخل دارك فانتهى اليك فقال ارأيت فلانا ماكنت قائلا له الست تقول لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب (اوفيه) اى اوفى تركه (احسن من الصدق) كما فى اصلاح ذات البين (فوردالاستثناء) اى استثناء حرمة الكذب (فى الحرب والاصلاح) اى اصلاح ذات البين (والحديث مع المرأة) ففى صحيح مسلم عن ام كلثوم قالت ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص فى شئ من الكذب الا فى ثلاث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول فى الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها ولعل المراد بتحدث الزوجين مايقع بينهما من الوعد فى احد الامرين بنية عدم الوفاء فى الخبر بن لما رواه ابن عبد البر فى التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار مرسلا قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم اكذب اهلى قال لا خير فى الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك ولان اسرار الحرب او وقف عليه العدو واجترأ واسرار الزوج لو وقفت عليه المرأة نشأ عنه فساد اعظم من فساد الكذب وكذا المتخاصمان يدور بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى من الصدق الذى لم يترتب عليه خير ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبدالله بن عامر جاء عليه السلام الى بيتنا وانا صبى صغير فذهبت لالعب فقالت امى يا عبدالله تعال اعطك فقال عليه السلام مااردت تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة رواه ابو داود (لا) اى لا يجوز الكذب (عند استواء الطرفين فاصله قبيح) اى فى الامرين فلابد من ترجيح (والاولى الترك) اى ترك

الكذب (فى حاجته) اى امر نفسه لان الصدق انجى والخلاص فيه ارجى (لا فى حاجة الغير) وهو تصريح بما علم ضمنا (ان امكن) اى تركه (لغموض الامر) اى لخفاء جواز امر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الاوقات والحالات (ولو تعريضا) غاية من قوله والاولى الترك (لانه) اى التعريض بمعنى التلويح (تقرير على ظن كاذب) وقد ورد من حدث بالحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكذابين رواه مسلم فى مقدمة صحيحه من حديث سمرة بن جندب هذا وقد جوز الكذب للضرورات المبيحة للمحظورات (والا) اى وان لم يمكن ترك الكذب (فالمعاريض) متعينة وهى بفتح الميم ان يتكلم الرجل بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده شئ آخر كذا فى البستان وتحقيقه فى قوله تعالى *ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء* وفى المغرب التعريض خلاف التصريح والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض يضمن الكلام دلالة ليس فيها ذكر كقوله ما اقبح البخل تعريض بانه بخيل والكناية ذكر اللازم وارادة الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حمائل السيف والمعنى انه طويل ومضياف وقد ورد ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ابن عدى والبيهقى عن عمران بن حصين مرفوعا وفى الاحياء وقد نقل عن السلف ان فى المعاريض مندوحة عن الكذب وغفل مخرجه ايضا عن ايراد حديثه (مثل الله يعلم ما قلته) لاحتمال كون ما نافية اوموصولة اواستفهامية (ومثل رفعت مارفعت الجنب عن الفراش الامار فعه الله تعالى) فانه يشمل الرفع الاختيارى والاضطرارى (فى الانكار عن القول) بالنسبة الى الاول (والصحة) بالاضافة الى الثانى فهما لف ونشر مرتب فى بديع المبانى ومنبع المعانى وفى الاحياء ومن امثلة المعاريض ماروى ان مطر فادخل على زياد فاستبطأه فتعلل بمرض وقال مارفعت جنبى مذفارقت الامير الاما رفعنى الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك شيئا فكرهت ان تكذب قلت ان الله ليعلم ماقلت من ذلك من شئ فيكون قوله ماحرف نفى عند المستمع وعنده الابهام وكان معاذ عاملا لعمر رضى الله عنهما فلما رجع قالت امرأته ماجئت به مما يأتى به العمال من عراضة اهليهم ولم يكن جاء به فقال كان معى ضاغط فقالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فبعث معك عمر ضاغطا فقامت بذلك فى نسائها فاشتكت عمر فلما سمع عمر بذلك دعا معاذا فقال بعثت معك ضاغطا فقال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيئا وقال ارضها به وقوله ضاغطا يريد به ربه تعالى اى محاسبا ضابطا وكان النخعى لا يقول لابنته اشترى لك سكرا ولوزا ولكن يقول ارأيت لو شريت لك فانه ربما لا يتفق له ذلك وكان ابراهيم اذا طلبه فى الدار من يكرهه قال الجارية قولى له اطلبه فى المسجد ولا تقولى ليس ههنا كيلا يكون كذبا وكان الشعبى اذا طلب

فى البيت وهو يكرهه يخط دائرة ويقول الجارية ضعى اصبعك فيها وقولى ليس ههنا ومن المعاريض مااخرجه الحسن بن سفيان والديلمى عن ابى هريرة قال ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ناقة ابى بكر وقال ياابابكر ول الناس عنى فانه لاينبغى لنبى ان يكذب فجعل الناس يسألونه من انت قال باغ يبتغى قالوا ومن وراءك قال هاد يهدينى (ثم التصريح) اى بالكذب عند عدم امكان التلويح (والمعتبر النية) اى تحسين الطوية فى التصحيح (والاستفتاء من القلب) اى السليم من الغرض السقيم (ومنه) اى من جنس الكذب الملحق به ولايوجب الفسق بسببه (التسامح فى العدد) اى بذكره (مبالغة) اى زائدة (مثل قلته مائة مرة) وقد يزاد فى المبالغة ويقال الف مرة فيأثم بالمرة (ونحوها) اى العشرة (لا بالمتجاوز عن الحد) اى حد الكثرة (المعهودة) فى المحاورة (ولكن لايعتاده) اى لاينبغى اعتياد المبالغة (ففيه خطر الوقوع فى الاثم) اى اثم الكذب اذالم يصل فى العرف الى حد الكثرة وكذا الاستعارة مرتبة من هذا القسم من الكذب فى المبالغة ولكنها ليست بكذب فان علماء البيان قد حققوا ذلك بالبرهان وقالوا الاستعارة تفارق الكذب من وجهين احدهما البناء على التأويل وثانيهما نصب الدليل من القرينة على ارادة خلاف الظاهر نحو رأيت اسدا فى الحمام والله اعلم بحقايق المرام ولكن عليك بالاحتياط فى مثل هذا الكلام فعن حوات التيمى قال جاءت اخت الربيع بن خيثم عائدة الى بنى فانكبت وقالت كيف انت يابنى فقال ربيع ارضعته قالت لا قال ماعليك لوقلت ياابن اخى فصدقت (وفى شهوة الطعام) اى من الكذب التسامح فى نفى شهوة الطعام وذلك كأن يقال لانسان كل الطعام فيقول لااشتهيه وذلك منهى عنه ان لم يكن له غرض صحيح فيه (فورد) اى عن مجاهد عن اسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التى هيأتها وادخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة قالت فوالله ماوجدنا عنده قرى اى ضيافة الاقدحا من لبن فشرب ثم ناوله عائشة قالت فاستحيت الجارية قالت فقلت لاتردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه قالت فاخذته على حياء فشربت منه ثم قال لى ناولى صواحبك فقلن لانشتهى فقال عليه السلام (لايجتمعن جوعا وكذبا) كذا فى الاصل من باب الافتعال والرواية الصحيحة لاتجمعن جوعا وكذبا قالت فقلت يارسول الله ان قالت احدانا لشئ نشتهيه لااشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال عليه السلام ان الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة والحديث اخرجه ابن ابى الدنيا والطبرانى فى الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد وهو الصواب فان اسماء بنت عميس كانت اذذاك بالحبشة لكن فى طبقات الاصبهانيين لابى الشيخ من رواية عطاء بن ابى رباح عن اسماء بنت عميس رفقنا الى النبى صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فاذا كانت غير عائشة

ممن تزوجها بعد خيبر فلامانع من ذلك (والافحش) من انواع الكذب (وقوعه فى اليمين فهو من الكبائر) فورد ثلثة نفر لايكلمهم الله يوم القيمة ولاينظر اليهم يوم القيمة ولايزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الكاذب والمسبل ازاره رواه مسلم من حديث ابى ذر وفى الصحيحين من حديث ابن مسعود من حلف على يمين مأثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم وقال عليه السلام وكان متكئا الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الاوقول الزور متفق عليه من حديث ابى بكر وهواعم من شهادة الزور (وفى) اى وكذا الافحش وقوعه (مثل الله يعلم انه كذا) قال النووى فى الاذكار وهذه العبارة فيها خطر وان كان صاحبها متيقنا (فعن عيسى عليه السلام انه من اعظم الذنوب) فانه نسبة الجهل الى علام الغيوب فان علمه تعالى تعلق بعدم وقوعه (وفى الاخبار) اى وكذا الفحش الكذب صدوره فى الاخبار وهو بفتح الهمزة او بكسرها اى الاعلام لاسيما الكذب على النبى عليه السلام (والرؤيا) اى وفى الاحلام (فهما عدا من اعظم الفرى) اى الافتراء ففى البخارى ان من اعظم الفرى ان يدعى الرجل الى غير ابيه او يرى عينيه مالم ترا ويقول على مالم اقل وفى الاحياء وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار فى فضائل الاعمال وفى التشديد فى المعاصى وزعموا ان القصد فيه صحيح وهو خطأ محض اذ قال عليه السلام من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار يعنى وهو متفق عليه من طرق قاربت ان يكون متواترا فهذا لايترك الا لضرورة اذ فى الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد من الآيات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القائل ان ذلك تكرر على الاسماع وسقط وقعه وماهو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ليس هذا من الاغراض التى تقاوم محذور الكذب على الله ورسوله ويؤدى فتح بابه الى امور تشوش الشريعة ولايقوم خير هذا بشره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر اقول وقد صرح الجوينى والد امام الحرمين بانه كفر هذا وعن اسماء بنت ابى بكر سمعت امرأة تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول ان لى ضرة وانى اتكثر من زوجى بما لم يفعل اضارها بذلك فهل على فيه شئ فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبى زور متفق عليه ولابن عبد البر فى الاستيعاب عنه عليه السلام لايستكمل المؤمن ايمانه حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب فى مزاحه (ومنها الغيبة) بكسر الغين (وورد فيها) اى فى حدها وتعريفها (ذكرك اخاك بمايكره) اى على سبيل المنقصة فى حال الغيبة فعن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ماالغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارأيت ان كان فى اخى مااقول قال ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ماتقول فقد بهته رواه مسلم (ويجوز

الاجمال) اى الابهام فى الغيبة (فورد مابال اقوام يفعلون كذا) رواه ابو داود عن عائشة بسند صحيح انه عليه السلام كان اذا كره من انسان شيئا قال مابال اقوام يفعلون كذا وكذا (الا ان يفهم المعين) اى من المبهم بقرينة فقولك بعض من قدم من السفر وبعض من يدعى العلم وبعض من رأيناه اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة لان المحذور تفهيمه دون مابه التفهيم (وكذا مثل الطائفة الذين مضوا على اليوم) من جملة الابهام فان الطائفة بمعنى القوم (وانواعها) ستة (التصريح) وهو ظاهر ومنه ان عائشة ذكرت امرأة فقالت انها قصيرة فقال عليه السلام اغتبتها رواه احمد واصله عند ابى داود والترمذى وصححه (والتعريض) اى التلويح (مثل فلان تاب الله عليه) ففيه تنبيه على انه يرتكب مايجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين قد بلى بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه (الحمد لله الذى عصمنى عن مخالطة السلطان) وهذا من غيبة القراء المرائين واتباع الشيطان وهو اخبث انواع الغيبة فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا من انفسهم التعفف عن الغيبة ولايدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة (والاشارة فورد تسميته غيبة) وفى نسخة تسمية غيبة ومن ذلك قول عائشة دخلت علينا امرأة فلما ولت اومأت بيدى اى قصيرة فقال عليه السلام قد اغتبتها ابن ابى الدنيا وابن مردويه ورجاله ثقات (والغمز) اى بالعين للتشبيه اواخذ البدن للتنبيه (والمحاكاة) فورد حين حكت عائشة انسانا فقال مايسرنى وفى رواية مااحب انى حكيت انسانا وان لى كذا وكذا وقد تقدم يقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثل فعله واكثر مايستعمل فى القبيح قال النووى ومن الغيبة المحرمة المحاكاة بان يمشى متعارجا اومتطأطئا رأسه اوغير ذلك من الهيئات بل هو اشد انواع الغيبة لانه اعظم فى التصوير والتفهيم على مافى الاحياء (وكل مايفنى عنها) كذكر المصنفين فى تصنيفاتهم شخصا معينا وتهجين كلامه وتهوين مرامه الا ان يقترن به شئ من الاعذار المحوجة الى ذكره وذلك لان القلم احد اللسانين وتحصل به الغيبة تصريحا وتلويحا (فورد) اى فى سورة الحجرات (ولايغتب بعضكم بعضا) اى لايتناول بعضكم بعضا فى ظهر الغيب بمايسوءه مما فيه (ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا الآية) اى فكرهتموه والاستفهام للانكار كما قال مجاهد لما قيل لهم ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا قالوا لا اى بلسان القال اوبيان الحال قيل فكرهتموه والمعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج وتأويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لايحس به وقالت عائشة لايغتابن منكم احد احدا فانى قلت لامرأة مرة وانا عنده عليه السلام ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظى الفظى فلفظت بضعة من لحم احمر ابن ابى الدنيا وابن مردويه فى التفسير ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل فى الزنا

قال رجل لصاحبه اقعص كما يقعص الكلب اى قتل مكانه فمر النبى صلى الله عليه وسلم وهما معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يارسول الله ننهش جيفة فقال مااصبتما من اخيكما انتن من هذه ابو داود والنسائى من حديث ابى هريرة باسناد جيد وعن ابى هريرة موقوفا ومرفوعا من اكل لحم اخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة فيقال كله ميتا كما اكلته حيا ابن مردويه فى التفسير وروى عن ابى بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأكلاه مع الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا مانعلمه فقال بلى مااكلتما من لحم صاحبكما رواه ابو العباس الثغولى اوالدغولى فى الآداب من رواية عبد الرحمن بن ابى ليلى نحوه كذا فى تخريج الاحياء وقال الامام الدميرى هو من كبار الحفاظ توفى سنة خمس وعشرين وثلثمائة وله مسند مشهور ففى هذا الحديث وحديث المرجوم جميعهما وكان القائل احدهما تنبيه على ان المستمع احد المغتابين وان المستمع لايخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام اوقطع الكلام بكلام آخر فى ذلك المقام فلم يفعل لزمه الاثم ولايكفى ان يشير باليد اى اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور بل ينبغى ان يعظمه ويذب عنه صريحا فعنه عليه السلام من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق احمد والطبرانى عن سهل بن حنيف ولابن ابى الدنيا عن ابى الدرداء من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة ولاحمد والطبرانى عن اسماء بنت يزيد من ذب عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار (الغيبة اشد من ثلاثين زنية فى الاسلام) وانما قيده بحال الاسلام لانه اقبح مماقبله فى الاحكام وقيل لان الزنى فى دار الحرب وفى عسكر اهل البغى لايوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الا لكونه فى خطر انتقاله الى اهلهما والا فلا يسقط عنه بالكلية ولانه اخف من زناه فى دار الاسلام والله سبحانه اعلم بحقايق المقام والحديث رواه ابن ابى الدنيا فى الصمت وابن حبان فى الضعفاء وابن مردويه فى التفسير بلفظ اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزنى ويتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لايغفر له حتى يغفرله صاحبه واما الحديث بلفظ المتن فقد اشتهر على وجه المبالغة وليس له اصل صريح لكن قد يؤخذ من حديث انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربوا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربوا اعظم عند الله فى الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربوا عرض الرجل المسلم فالغيبة تناول العرض والحديث رواه احمد وابن ابى الدنيا وعن مجاهد فى تفسير قوله تعالى * ويل لكل همزة لمزة * الهمزة الطعان فى الناس واللمزة الذى يأكل لحوم الناس وقال الحسن والله

للغيبة اسرع فسادا فى دين المؤمن من الاكلة فى الجسد وقال بعضهم ادركت
وهم لايرون العبادة فى الصوم ولا فى الصلوة ولكن فى الكف عن اعراض الناس
السلف وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب صاحبك فاذكر
عيوبك ولعله مقتبس من قوله عليه السلام طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس
الديلمى عن انس وقال ابوهريرة يبصر احدكم القذا فى عين اخيه ولايبصر الجذع
فى عين نفسه وسمع على بن الحسين رجلا يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام
كلاب الناس وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والافك والكل
فى كتاب الله فالغيبة ان تقول مافيه والبهتان ماليس فيه والافك ان تقول مابلغك
ولعل الاخير مأخوذ من القصة المعروفة وتعميمه مستفاد من حديث كفى بالمرء كذبا اواثما
ان يحدث بكل ماسمع (والسبب) اى الباعث على الغيبة سبعة مشهورة (التشفى من الغيظ)
اى الغضب الكامن فى القلب فيسبق اللسان بالطبع الى الطعن الدنى ان لم يكن له مانع
من الدين القوى والورع الجلى فللبزار وابن ابى الدنيا وابن عدى والبيهقى فى الشعب
من حديث ابن عباس ان لجهنم بابا لايدخله الا من شفى غيظه بمعصية الله وللديلمى
عن سهل بن سعد من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه ولابى داود والترمذى
وحسنه وابن ماجه من حديث معاذ بن انس من كظم غيظا وهو قادر على ان ينفذه
اى يمضيه كما فى رواية دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق حتى يخيره فى اى الحور
شاء (وموافقة الاقران) اى اخوان الزمان (خوفا عن التثقيل) اى عن عده ثقيلا
فى ذلك المكان اذا انكر الغيبة اوقطع مجلس الصحبة ويرى ذلك من حسن المعاشرة
وجميل المحاورة ولم يعلم بان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه فى رضى المخلوقين
(والتحامى) اى المحافظة (عن رد قوله لسبق الغير فى تقبيحه) اى تقبيح قوله
وبيانه ان يستشعر من انسان انه سيقصده و يطول لسانه ويقبح مقاله ويفضح
حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه
ليسقط اثر مقالته وشهادته وكما اذا ذكر زيد مسألة فاعترض عليها عمرو فيكون
باعثا لزيد ان يغتاب عمرا بان يقول هو جاهل اواحمق ونحوهما ليحامى ماسبق
من كلامه عن بطلان مرامه (والتبرى عن فاحشة منسوبة اليه بالنسبة الى الغير)
اى بنسبته الى غيره ليخلص عن عيبه وضرره وحاصله انه ينسب الى شئ فيريد ان يتبرء
منه فيذكر الذى فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولايذكر الذى فعله ولاينسب غيره
اليه فيكون بهذا جامعا بين الذنوب لديه وقد قال تعالى * ومن يكسب خطيئة اواثما
ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا (والمباهاة) اى التصنع والمفاخرة بان يرفع
نفسه بتنقص غيره وخفض امره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف
وعقله خفيف وغرضه ان يثبت فى ضمن ذلك فضل نفسه ويرى انه اعلم منه (والحسد)

وهو انه ربما يحسد من يثنى الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة
عنه فلايجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد ان يسقط ماء وجهه عند
الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء على حاله ومقاله لانه يثقل عليه ان يسمع
علو مرامه (والاستهزاء) اى الاستحقار له فان ذلك قد يجرى فى الحضرة فيجرى ايضا
فى الغيبة (ونحوها) اى من اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت باسباب المقت
(والعلاج) اى الذى به يمنع اللسان من الغيبة (ذكر ماورد فيها) اى فى ذم الغيبة
من الكتاب والسنة (ودفع السبب) اى من نحو الحسد والحقد والتكبر والغضب
(بما فى موضعه) اى بما يذكر من كتب الاخلاق فى محله فان مساوى الاخلاق كلها
انما تعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها وانما علاج كل علة بمضادة سببها فليفحص
عن سببها و يعالج بضدها هذا والمغتاب فاسق واذا كان من عادته ردت شهادته
الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق
وهذه بلية عامة شاملة للعباد فى جميع البلاد فهى من اكبر الفساد الا من حفظه الله
من العباد (والمرخص) اى فى ذكر مساوى الغير سبعة امور (التظلم فورد) فى سورة
النساء (لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الآية) فمن ذكر قاضيا بالظلم والخيانة
واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا واما المظلوم من جهة القاضى فله ان يتظلم الى السلطان
و ينسبه الى الظلم اذ لايمكنه استيفاء حقه الا بذكره وقد قال عليه السلام (ان لصاحب
الحق مقالا) ومطل الغنى ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث ابى هريرة ولابى داود
والنسائى وابن ماجه من حديث الشريد باسناد صحيح لى الواجد يحل عرضه
وعقوبته (والاستعانة) اى بالحاكم ونحوه (على تغيير المنكر) اى ازالته (واصلاح
العاصى) بتركه وتوبته (فهو مأثور) اى مروى عن الصحابة كما قيل لعمر بن الخطاب
ان ابا جندل قد باشر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسم الله
الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذى الطول لااله الا هو اليه المصير * فتاب الله عليه ورجع بالرحمة اليه
(والاستفتاء) كما تقول للمفتى ظلمنى ابى اواخى اوزوجى وكيف طريق الخلاص لى
(فلم يمنع هندا امرأة ابى سفيان بن الحرب) اى لم يمنعها النبى صلى الله عليه وسلم عن الغيبة
حال كونها (ذاكرة بخل ابى سفيان لاخذ ماله) اى لاجل اخذها من ماله (بغير علم)
ففى الصحيحين من حديث عائشة ان هندا قالت للنبى صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان
رجل شحيح لايعطينى مايكفينى انا وولدى فقال عليه السلام خذى مايكفيك وولدك
بالمعروف وهذا كان بطريق الفتوى لاعلى سبيل الحكومة والدعوى (والتعريض اولى)
بان يقول كيف من يأخذ مال زوجها بغير اذنه لاجل بخله (والتحذير عند خوف سراية
الفسق) فاذا رأيت متفقها يتردد الى فاسق اومبتدع وخفت ان يسرى اليه فسقه

او تعدى بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه (اوالضرورة) اى او عند خوف الضرر الكثير المنجر (الى الغير فورد) اى من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده (اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس) رواه الطبرانى وغيره بلفظ اترعوون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس وهذا دليل السراية واما دليل الضرورة فقوله عليه السلام لامرأة استشارت النبى فى تزوج معاوية او ابى جهم او اسامة (اما معاوية فرجل صعلوك) اى فقير جدا (لا مال له) تأكيد لحاله (واما ابو جهم فلا يرفع العصا عن اهله) وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه وفى رواية عن عنقه وهو يحتمل المعنى المذكور او الكناية عن كثرة سفره وقلة اقامته فى حضره (انكحى اسامة ابن زيد) اى فانه خير منهما فى حسن عشرته وطيب نفقته (واشتهار المذكور باسم العيب) اى من الاعذار المرخصة (كالاعمش والاعرج) وكذا الاعمى والاعور والاصم والابكم والابرص والاحمر والاصفر (والعدول) اى الى وصف آخر او عبارة اخرى (اولى) اى احرى ولذا يقال البصير للاعمى عدولا عن اسم النقص فى المبنى وان كان المآل واحدا فى المعنى وقد ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله انى ارانى قد اغتبته وذكر لابن سيرين ابراهيم فقال النخعى ولم يقل الاعور (واظهاره الفسق) اى اعلانه وعدم مبالاته به من المرخص كالمخنث والقواد والمجاهر بشرب الخمر والزنى والربوا ومصادرة الناس باخذ اموالهم (فورد) من حديث انس (من القى جلباب الحياء) اى غطاءه (فلا غيبة له) رواه ابن عدى وابو الشيخ نعم لو ذكره بغير ما تظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج وقال قوم لا غيبة فى الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصى وذمه يجوز بدليل ماروى انه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وكثرة صومها وصلاتها ولكنها تؤذى جيرانها فقال هى فى النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وذكر امرأة اخرى بانها بخيلة قال فاخيرها اذا رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابى جعفر محمد بن على مرسلا قال فى الاحياء وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم النقص ولا يحتاج اليه فى غير مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول وفيه بحث لان الصحابة كانوا عارفين بان اذى الجار والبخل من الصفات الذميمة واما قوله والدليل عليه اجماع الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب ففيه ان هذا عام وقد خص منها احكام فلا حجة فيه ولا الزام (ونحوه) اى ونحو المذكور (من الغرض الصحيح) بان يقول لمن يريد ان يودع عند احد انه خائن

(والاصل) اى فى الغرض الصحيح (الاستغناء من القلب) اى فى التصريح والتلويح بذكر العيب ثم اعلم ان الواجب على المغتاب ان يتوب ويندم ويتأسف على ما فعل ليخرج عن حق الله ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغى ان يستحله وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال وربما يحتج فى ذلك بما روى انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له ابن ابى الدنيا والحارث بن اسامة فى مسنده من حديث انس بسند ضعيف وقال مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثنى عليه وتدعو له بخير ويؤيده قوله تعالى * ادفع بالتى هى احسن السيئة * والاحسن التفصيل وهو ان لا يحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المغتاب منه بخلاف ما اذا وصله الا اذا كان يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار اكبر من الذنب عند بعض الابرار واما قول عطاء بن ابى رباح حين سئل عن التوبة عن الفرية قال تمشى الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص بالافتراء بل ينبغى ان يعترف بالخطأ فى حضور الملاء بالخلاء او الملاء فقول صاحب الاحياء وهو الاصح مبنى على انه لا فرق بين الغيبة والفرية وهو بعيد بلا مرية واما اطلاق قول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال فكلام ضعيف اذ فى الحديث الصحيح المتفق عليه عن ابى هريرة من كانت لاخيه عنده مظلمة فى عرض او مال فليتحللها من قبل ان يأتى يوم ليس هنالك دينار ولا درهم فيؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته فان كانت صاحب الغيبة غائبا او ميتا فينبغى ان يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات تكفيرا للسيئات فان الحسنات يذهبن السيئات وكان بعض السلف لا يحلل للظالم قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمنى وقال ابن سيرين انى لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله ابدا والظاهر ان المراد بالاستحلال جعله فى حل بمعنى عفوه عنه لا ينقلب حرامه بمنزلة الحلال المباح له وهذا محمل قوله عليه السلام ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم انى تصدقت بعرضى على الناس رواه البزار وابن السنى فى اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء من حديث انس وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر ابى ضمضم فى الصحابة قال العراقى وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى والمعنى انى لا اطلب مظلمة فى القيامة منه ولا اخاصمه والا فلا تصير الغيبة حلالا به بل ولا تسقط المظلمة بسببه لانه عفو قبل وجوبه الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان له ذلك قياسا على سائر الحقوق بل صرح بعض الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمته ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل وثوابه اكمل وقال الحسن اذا جثت الامم على الركب بين يدى الله

يوم القيمة نودوا ليقم من كان اجره على الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلمة فى الدنيا وكأنه مستفاد من قوله * فمن عفا واصلح فاجره على الله * وجاء فى قوله تعالى * خذ العفو * الآية انه عليه السلام قال ياجبريل ماهذا العفو قال ان الله يأمرك ان تعفو عمن ظلمك و تصل من قطعك و تعطى من حرمك وقد روى عن الحسن ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال قد بلغنى انك قد اهديت الى حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرنى فانى لا اقدر على ان اكافيك على التمام وقال بعضهم لو كنت اغتاب احدا لاغتبت امى فانها اولى بان تأخذ حسناتى اوآخذ من سيئاتها يوم القيمة (ومنها النميمة وهى تبليغ كلام) اى مذموم (يقال فى حق الغير اليه) متعلق بتبليغ اى الى الغير وهو المقول فيه كأن يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا (وهو حرام) سواء كان التبليغ قولا اوفعلا اوكناية اورمزا اواشارة (فورد) فى سورة ن (هماز) اى عياب اومغتاب (مشاء بنميم الآية) وهى * مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم * والمقصود منه من جمع بين انواع من الوصف الذميم وفى رواية احمد من حديث ابى مالك الاشعرى (الا اخبركم بشراركم المشاؤن بالنميمة) آخره المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات وفى الصحيحين من حديث حذيفة لا يدخل الجنة نمام وفى حديث آخر قتات وهو النمام قال عبدالله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ويمشى بالنميمة دل على انه ولد زنا استنباطا من قوله تعالى * زنيم * فانه هو الدعى وللحاكم من حديث ابى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشدة اوفيه شئ منها وللطبرانى بلفظ لا يسعى على الناس الا ولد بغى والا من فيه عرق منه وقال تعالى * حمالة الحطب * قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى * فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا * قيل كانت امرأة لوط تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر بانه مجنون (والسبب) اى الباعث على ذلك ثلاثة (ارادة الشر فى القائل) اى قصد السوء بالمحكى عنه فعن ابى ذر من اشار على مسلم كلمة يشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيمة ابن ابى الدنيا والطبرانى وعن ابى الدرداء ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها برئ ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله ان يشينه بها يوم القيمة فى النار ولعل الحديثين مقتبسان من قوله تعالى * ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة * (اواظهار محبة السامع)وهو المحكى له وقد قال بعضهم اوصح مانقله النمام اليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والمنقول عنه اولى بحلمك حيث لم يقابلك بشتمك (او التفرج بالحديث) اى التنزه بحكاية اهل الدنيا (فعلى السامع التكذيب) اى تكذيب قول القائل وعدم قبوله فعن مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ

فاخبر به كمن قبله واجازه (لان النمام فاسق لا يقبل قوله) لقوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين * وعلى السامع ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى * وامر بالمعروف وانه عن المنكر * وان يبغضه فى الله وان لا يظن باخيه الغائب السوء لقوله تعالى * اجتنبوا كثيرا من الظن * وان لا يحمله ماحكى له على التحقيق والتفحص لقوله تعالى * ولا تجسسوا * وان لا يرضى لنفسه بما صدر من النمام فى حقه فلا يحكى نميمته بقوله فلان قد حكى لى كذا وكذا فيكون به نماما ومغتابا ويكون قد اتى بما عنه نهى فقد روى كعب انه اصاب بنى اسرائيل قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما اجيب فاوحى الله اليه انى لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد اصر على النميمة فقال موسى يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال ياموسى انها كم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وقال الحسن من نم اليك نم عليك وروى عن عمر بن عبدالعزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال له عمر ان شئت نظرنا فى امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الآية * ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا * وان كنت صادقا فانت من اهل هذه الآية * هماز مشاء بنميم * وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا ومثله روى عن على كرم الله وجهه ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال له ياهذا نحن نسأل عما قلته فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلنى يا امير المؤمنين فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة وقد ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ماظنكم بقوم يحمد الصدق فى كل طبقة من الناس الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى احد من العلماء فقال الموت يجمعنا والقبر يضمنا والقيمة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين هذا وقد قال تعالى * ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض * والنمام منهم وقال عليه السلام ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره متفق عليه من حديث عائشة والنمام منهم وقال عليه السلام لا يدخل الجنة قاطع رواه الشيخان من حديث جبير بن مطعم قيل اى قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقيل قاطع الطريق والله ولى التوفيق (ومنها التكلم) اى تكلم ذى اللسانين (مع كل من المتعادين بمايوافقه) اى تكلم كل واحد بكلام يوافقه (فهو نفاق) اى نوع من النفاق وصنف من الشقاق (فورد) عن عمار بن ياسر مرفوعا (من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان فى الآخرة) رواه البخارى فى كتاب الادب المفرد وابو داود بسند حسن بلفظ من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وهو كذلك فى الاحياء وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة تجد من شر الناس يوم القيمة ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفى لفظ آخر يأتى هؤلاء بوجه

وهؤلاء بوجه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره
قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الطبرانى من طرق
واصله فى صحيح البخارى وقال ابو الدرداء انا لنشكر فى وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم
وقالت عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس
رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول واقبل عليه فلما خرج قلت يارسول الله قلت
ماقلت ثم النت له القول فقال ياعائشة ان شر الناس الذى يكرم اتقاء شره متفق عليه
(ومنها المدح) وهو منهى عنه فى بعض المواضع (فهو يضر المادح) اذا كان الممدوح
ظالما اوفاجرا (بخطر اسرار الفاسق) اى فرحه بمدحه فلابن ابى الدنيا
والبيهقى من حديث انس ان الله يغضب اذا مدح الفاسق (والرياء) فانه بالمدح
مظهر للحب وقد لايكون مضمرا له ولامعتقدا لجميع مايقوله فيصير به مرائيا منافقا
(والكذب) اى حقيقة اوحكما حيث يذكره بالظن وقد لايكون مطابقا (فورد
ان كان لابد احدكم ان يكون مادحا) اى لاحد (فليقل احسب فلانا) اى كذا وكذا
انه صالح اومتق اونحوهما (والممدوح) اى ويضر الممدوح (بحدوث الكبر والعجب)
اى والغرور فى قلبه بسبب مدحه (فورد فيه) اى فى ضرر الممدوح برواية الصحيحين
من حديث ابى بكرة ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك
(قطعت عنق صاحبك) زاد ابن ابى الدنيا (اوسمع) اى اوبلغه وقبله (ماافلح) لحدوث
المهلك وقال عمر رضى الله عنه المدح هو الذبح (ولو سلم) اى المدح (عنه) اى عن
الضرر (فمندوب اليه فورد انا سيد ولد آدم) اى يوم القيمة كما فى صحيح مسلم
من حديث ابى هريرة وزاد الترمذى وابن ماجه من حديث ابى سعيد الخدرى والحاكم
من حديث جابر وقال صحيح الاسناد (ولا فخر) وله من حديث عبادة بن الصامت
انا سيد الناس يوم القيمة ولافخر (اى اقوله اثتمارا) اى امتثالا لامره سبحانه
* واما بنعمة ربك فحدث (لاافتخارا) اى تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على
انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه فى مقام انسه لابكونه مقدما على ابناء
جنسه (لووزن ايمان ابى بكر بايمان العالم) وفى نسخة العالمين (لرجح) اى ايمان
ابى بكر وغلب على ايمان غيره من غير الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين اخرجه
ابن عدى فى الكامل من حديث ابن عمر مرفوعا ولفظه لووزن ايمان ابى بكر بايمان
الناس لرجح ايمان ابى بكر ورواه اسحاق بن راهويه والبيهقى فى الشعب بسند صحيح
عن عمر موقوفا والترمذى وحسنه من حديث عقبة بن عامر لوكان بعدى نبى لكان
عمر بن الخطاب ولابن عدى عنه لولم ابعث فيكم لبعث عمر فيكم وللديلمى عن ابى هريرة
لولم ابعث لبعثت ياعمر قال سفيان بن عيينة لايضر المدح من عرف نفسه واثنى على
رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لايعرفوننى فانت تعرفنى وقال على كرم الله

وجهه لما اثنى عليه اللهم اغفر لى مالا يعلمون ولاتؤاخذنى بما يقولون واجعلنى خيرا
مما يظنون (ومنها التكلم بالمنهى عنه) اى من الاقوال الصادرة على لسان العامة
وبعض الخاصة الناشئة من الغفلة عن دقائق الخطأ فى الكلام لاسيما فيما يتعلق
بالله من ذاته وصفاته (كالحلف بالآباء) ففى الصحيحين من حديث عمر ان الله
ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم ولابن عمر من حلف بغير الله فقد اشرك احمد والترمذى
والحاكم فى مستدركه وفى رواية احمد والبيهقى عن قتيلة بنت صيفى من حلف
فليحلف برب الكعبة وفيه تنبيه على انه لايجوز الحلف بالكعبة ولا بالمصحف ولا بالنبى
ولا بالامانة ونحوها (وتسمية العنب بالكرم) بفتح فسكون فروى الكرم قلب المؤمن
وفى الصحيحين من حديث وائل بن حجر لاتسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم
ولمسلم من حديثه لاتقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة ولابى داود من حديث
ابى هريرة لايقولن احدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الاعناب
(وقوله ماشاء الله وشئت) لان فى العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية
فى الكلام وهو خلاف مايوجب الاحترام فعن حذيفة لايقل احدكم ماشاء الله وشئت
ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكلمه فى بعض الامور فقال ماشاء الله وشئت فقال عليه السلام اجعلتنى لله
عدلا قل ماشاء الله وحده وفى صحيح مسلم من حديث عدى بن حاتم خطب رجل
عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد
غوى فقال عليه السلام قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفى الاحياء فكره قوله
ومن يعصهما لانه تسوية وجمع انتهى وفيه بحث لايخفى ولعل الاوجه ان يقال
العدول عن الاسمين الشريفين غير لائق وان كان المقام يقتضى الضمير اختصارا
ولله در القائل * اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ماكررته يتضوع *
ولهذا ورد فى كثير القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله (وعبدى وامتى
وربى وربتى) فعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقل احدكم عبدى
وامتى كلكم عباد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى
ولايقول المملوك ربى ولاربتى ولكن ليقل سيدى وسيدتى فكلكم عبيد والرب هو الله سبحانه
رواه الشيخان (فالصواب) اى فى مقام الخطاب (ثم شئت) بدل قوله وشئت فكان
ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك ويجوز
ان يقول لولا الله ثم فلان ولايقول لولا الله وفلان (وغلامى وجاريتى) بدل عبدى
وامتى (وسيدى وسيدتى) بدل ربى وربتى (ونحوها) اى من الكلمات المنهية
وللنسائى وابن ماجه من حديث بريدة باسناد صحيح من قال انا برئ من الاسلام
فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام فهذا وامثاله

ممايدخل فى مذموم الكلام ولا يمكن حصره فى هذا المقام وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل ياحمار ياخنزير قيل له يوم القيمة احمارا رأيتنى خلقة اخنزيرا رأيتنى خلقة وعن ابن عباس ان احدكم يشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة ولاحمد من حديث البراء من سمى المدينة يثرب فليستغفر الله هى طابة هى طابة ولابى داود من حديث بريدة بسند صحيح لاتقولوا للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وكما روى لايقولن احدكم زرعت ولكن ليقل حرثت والحديث فى الاكمال للسيوطى ولعله مقتبس من قوله * افرأيتم ماتحرثون ءأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وكان يقول على فيه وفى نظائره بل انت وفى الحديث لايقل احدكم خبثت نفسى وليقل لقست وفى الحديث لايقل احدكم نسيت بل ليقل نسيت (ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه) اى حتى للخاصة (كسر الروح) وقد قال تعالى * قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا * والمعتقد ان الارواح اجسام لطيفة تدخل فى اشباح كثيفة وتخرج منها كما اخبر سبحانه عنها بقوله * ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى * وانها خلقت قبل الاجساد بخمسمائة عام فهى حادثة غير قديمة خلافا للحكماء ومن تبعهم من الجهلاء (وحقائق الصفات) كحقيقة كلامه سبحانه وكذا كنه معرفة سمعه وبصره وسائر كمالاته وقد قال تعالى * ولا يحيطون به علما * و * ليس كمثله شئ * فكل ماخطر ببالك فالله وراء ذلك وقد قال عليه السلام سبحانك لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اى من قوله قل هو الله احد وسائر آيات الصفات من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات (او يضر) اى عما يضره ولو لم يتعذر (كسر القدر) فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر فهو بحر عميق كم فيه غريق ولا مخلص منه الا بان يقال فيه يفعل الله مايشاء ويحكم مايريد ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهديكم اجمعين خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وانما شان العوام الاشتغال بالعمل بما فى القرآن والتسليم بما جاءت به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان ولذا قال عليه السلام ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فانهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فأتوا منه مااستطعتم متفق عليه من حديث ابى هريرة وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد المنبر فقال سلونى فما تسألونى عن شئ الا انبأتكم به فقام اليه رجل فقال يارسول الله من ابى فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يارسول الله من ابونا فقال ابوكما الذى تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يارسول الله افى الجنة ابى اوفى النار فقال لابل فى النار فلما رأى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا فقال احسنت رحمك الله انك ماعلمت لموفق

متفق عليه وفى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة وعنه عليه السلام يوشك الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد الله الصمد حتى تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم والحاصل ان السؤال ينبغى ان يكون من اهل الكمال فيما يكون من الضروريات فى الاعتقادات والعبادات والمعاملات والله اعلم بحقائق الحالات (وكالقول بالظن) لاسيما فى العقائد المتعلقة بالرب قال تعالى * ان الظن لايغنى من الحق شيئا (وهو) اى القول بالظن اونفس الظن (مايغير به القلب) اى بسماعه عما كان به ويحصل التردد فى بابه وانما جوز فى الفروع دون الاصول للضرورة فى قلة المنقول (فورد اجتنبوا كثيرا من الظن الآية) اى * ان بعض الظن اثم * ولما كان هذا الظن يشمل ما اذا بنى عليه خبر من موت احد اوقدومه اوسفره اوامر غيره استثنى بقوله (الا اذا اخبر عدل) اى بالموت اوالقدوم اوالسفر ونحوه (وعلم عدم العداوة) اى بالنسبة الى الميت واهله (وحامل) اى وعلم عدم باعث (آخر) كالعصبية فى نسبه والدعوة الى ملته ومذهبه (فيعذر) اى اذا اخبر عن ظن وقوعه (اذ تكذيبه سوء الظن) اى به وبكلامه (والتجسس) عطف على القول بالظن اى وكالتفحص عن حقيقة الامر (فهو هاتك الستر) اى كاشفه وفاضحه فى الخبر (فورد) فى سورة الحجرات (ولاتجسسوا والاستماع) اى وكاستماع القول بالظن (فورد) فى سورة القصص (واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه) تمامه * وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لانبتغى الجاهلين (المستمع شريك القائل) لم اره اصلا وفى الاحياء المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم ولم يخرجه العراقى وفى الطبرانى مرفوعا نهى عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة (وفيه) اى فى استماعه (هيجان الوساوس) اى ثورانها (وبقاؤها فى النفس) على طريق الهواجس (ولاقصاص فى نحو الغيبة) فلا مخلص لمن يقول انا اغتاب الناس وهم يغتابوننى فيكون المقاصصة فى الدنيا دون العقبى (والسب والتجسس) من الاقوال الردية والافعال الدنية (لانحصاره) اى القصاص (على مورد الشرع) اى فى النفس والاطراف ونحوها من تضييع الاموال فيقتص بالضرب والقطع والقتل واخذ الامثال والابدال (وورد ان امرؤ عيرك بما فيك) اى من الخصائل الذميمة (فلا تعيره بما فيه) اى فانه لايجوز فيه المقاصصة ولا يبعد ان يكون هذا محمولا على التحريض على ماهو الاولى من العفو (وقيل يقابل) اى نحو الغيبة وماعطف عليه (بما لاكذب فيه) لظاهر قوله تعالى * وجزاء سيئة سيئة مثلها (والاولى الترك) لقوله * فمن عفى واصلح فاجره على الله * ولقوله تعالى * ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * (والتحقيق) فى سماع الابرار

(ان لا حرمة فى الاشعار) اى فى نفسها مع قطع النظر عما فيها فان الشعر كالنثر كلام صريح حسنه حسن قبيحه قبيح (للالتذاذ) اى لا يحرم لاجل التلذذ بها (والا لحرم كل لذه) يلتذ منها كالماء الجارى والخضرة ونحوها ولم يقل احد بحرمتها (ولا للوزن) اى ولا يحرم بمجرد التقابل والتعادل بين الكلمتين او الجملتين او المصراعين (والا لحرم سماع صوت العندليب) اى المسمى بالبلبل المعبر عنه بالهزار دستان فان انغامها بلغت الالف فى الاشجار والبستان (والقمرى) وكذا الفاختة والحمامة واغرب من الكل الطوطى المسمى بالدرة التى تتفصح حتى تقرؤ الآية والسورة وتتكلم بما وقع فى البيت من امور الضرورة طبق ماوقع فى المعنى والصورة (فهو) اى صوتهما ونحوهما (موزون) اى متلائم بنتظم اوائله واواخره (لتناسب مطالعه ومقاطعه) اى مبادبه ومايشعر بتناهيه (ولا للفهم) اى ولا يحرم لمجرد فهم الكلام من الصوت فى ذلك المقام (والا لحرم كل مفهوم) من المرام ولم يقل به احد من الاعلام (هذا) اى مضى اوخذ هـذا او الامر هذا (والشعر كلام) اى كسائر الكلام من حيث هو مباح فى اصل الاحكام (والانشاد أنور) وعن النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه مروى ومنشور فكان عليه السلام ينقل اللبن مع القوم فى بناء المسجد وهو يقول

*هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا ابر ربنا واطهر *

رواه البخارى فى قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الاحاديث انه عليه السلام نطق ببيت شعر تام غير هذا البيت وفى الصحيحين من حديث انس يرتجزون ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم يقول * اللهم انه لا خير الا خير الآخرة * فانصر الانصار والمهاجرة * قال العراقى وليس البيت الثانى موزونا يعنى باعتبار المصرع الاول فتأمل وفى رواية *اللهم ان العيش عيش الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة* وفى الصحيحين ايضا انه قاله فى حفر الخندق بلفظ فبارك فى الانصار والمهاجرة وفى رواية فاغفر وفى رواية لمسلم فاكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والانصار وللبخارى تعليقا ولابى داود والترمذى والحاكم متصلا من حديث عائشة كان عليه السلام يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اوينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسانا بروح القدس ما نافح اوفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الترمذى حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ولمسلم من حديث عائشة انشاد حسان (شعر)

* هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء *
* هجوت محمدا ولست بكفؤ * فشركما لخيركما الفداء *

القصيدة وانشاد حسان ايضا *

* وان سنام المجد من آل هاشم * بنو بنت مخزوم ووالدك العبد *

وللبخارى انشاد ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع

الابيات وللترمذى فى الشمائل انشاده ايضا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة

* خلوا بنى الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله *
* ضربا يزيل الهام عن مقيله * ويذهل الخليل عن خليله *

وللبغوى فى معجم الصحابة وابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث النابغة قال انشدت النبى صلى الله عليه وسلم شعرا فقال احسنت لا يفضض الله فاك وفى الصحيحين عن عائشة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك ابو بكر وبلال وكان بها وباء فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر اذا اخذته الحمى يقول

* كل امرئ مصبح فى اهله * والموت ادنى من شراك نعله *

وكان بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اى صوته ويقول (شعر)

* الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل *
* وهل اردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل *

وهما جبلان بمكة قالت عائشة فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وانقل حماها فاجعلها فى الجحفة ومن انشاد عائشة

*ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب *

وللترمذى من حديث جابر بن سمرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتناشدون الاشعار وهو يتبسم وللبيهقى فى دلائل النبوة ان النساء انشدن عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم

*طلع البدر علينا من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا ما دعا لله داع *

واما ذكر السطوح والدف والالحان كما ذكره فى الاحياء فمما لا اصل له كما صرح به مخرجه وفى الجملة اشعار بفرح قدمه وسرور قدومه عليه السلام الى ذلك المقام ومن هذا القبيل قوله عليه السلام انى لا ادرى بفتح خيبر افرح ام بقدوم جعفر ولمسلم من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبى صلى الله عليه وسلم مائة قافية من قول امية بن الصلت فى كل ذلك يقول هيه هيه اى استزاده ثم قال ان كاد فى شعره ليسلم فنفس الانشاد والسماع جائزان بالاجماع ولابى داود الطيالسى عن انس كان يحدى له فى السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال فقال عليه السلام يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال من عادة العرب فى زمانه عليه السلام واصحابه الكرام وما هو الا اشعار تؤدى باصوات طيبة والحان موزونة (والنهى) اى عن الشعر (للتجرد له فهو اشتغال بما لا يعنيه فورد لان يمتلى بطن احدكم قيحا) اى صديدا (حتى يريه) بفتح فكسر من ورى وريا كرمى رميا اى يفسده (خيرله من ان يمتلى شعرا) رواه احمد واصحاب الكتب الستة (وتضمنه) عطف على التجرد اى ولتضمن الشعر (فحشا) من الكلام (وهجاء) اى ذما لاحد من اهل

الاسلام (وافتره) اى فى مقام المرام (كنظم الكفار والمبتدعة) فى ذم المسلمين واهل السنة والجماعة (ويجوز هجوهم) اى ابتداء وانتهاء (فقد فعله حسان وامر به) كما تقدم فى الصحيحين من حديث البراء انه عليه السلام قال لحسان اهجهم اوهاجهم وجبريل معك وقد قال تعالى * والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا (والتوسع) اى ويجوز المبالغة (فى المدح ان وجد الوصف المذكور فى الممدوح) اى فى الجملة (لانه ليس بكذب) اى حينئذ بل مبالغة وتسامح لاسيما فى الشعر (اذ لم يقصد اعتقاد صورته) اى صورة الكذب وحقيقته (وتوارث استماع المبالغات) اى وتواتر استماعها فى اشعار العرب وغيرهم (بلا نكير) اى بلا انكار على قائلها ومنشدها بل عد الكذب من محسنات الشعر كما قيل اكذب الشعر احسنه ويشير اليه قوله تعالى * والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون مالا يفعلون * وقد سبق التسامح فى النثر ايضا اذا اريد به المبالغة مثل مائة مرة والف مرة ويراد به الكثرة ونظير هذا قولهم لبيك وسعديك فى اطلاق التثنية وقصد التكرير والتكثير كقوله تعالى * ثم ارجع البصر كرتين * ومن هذا القبيل ايضا قوله تعالى * ان تستغفر لهم سبعين مرة * فانه لم يرد به حقيقة العدد اذ لا مفهوم له عند ارباب الاصول بل اريد به الكثرة هنا بدليل آية اخرى * سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم (ووصف نحو الخد) وجاز نعت نحو الوجه والوجنة من البياض والحمرة (والقد) اى القامة باعتدالها فى جمالها وكمالها (والصدغ) اى الشعر المتدلى على الوجه المسمى بالزلف (على الاقرب) اى جاز ماذكر على القول الاقرب الى الصواب او الانسب فى بيان الرخصة المحتاج اليها فى هذا الباب وقيل لا يجوز مطلقا وان وجد التفصيل الآتى وهو قوله (ان لم يحمل) اى صاحب الخد والقد وكذا السامع (على معينة سوى امرأته وامته) وذلك كمن يعشق زوجته او سريته فيصغى الى غنائها لتتضاعف لذته فى لقائه وهذا اذا كان السامع او المغنى فى بيته واما اذا كان فى مجلس من جماعته فلا يجوز له ذكر امرأته ولا جاريته وكذا لا يجوز ان يحمل على امرد صبيح الوجه بخصوصه مطلقا (او استعار) اى جاز ما تقدم ان استعار (العارف) بالمجاز والحقيقة والصريح والكناية (سواد الصدغ لظلمة الذنب) وهو جنس المعصية الناشئة من ظلمة الغفلة (وبياض الخد لنور الطاعة) وسرور الحالة (والوصال) وفى معناه الوصل والاتصال (للقائه تعالى) اى فى دار البقاء او مقام الفناء (والفراق) وكذا الجفاء والانفصال (للحجاب ونحوها) من انواع العذاب (والنظر) مبتدأ (الى الاثر) اى اثر التأثير (فى المتغنى به) من الشعر وغيره نفرده تفصيلا (على الاقرب) اى بناء على القول الاقرب

وقد قيل لا عبرة بالنظر الى التأثير بل هو حرام مطلقا (مندوب) خبر اى فيستحب سماعه ومطلوب لكن بشروط بينها بقوله (ان شوق) اى المتغنى به (الى الحج او الغزو ان كان) اى احدهما (قربة) اى واجبا (بخلاف ما اذا لم يجب) بان لم يوجد شرائط وجوب الحج (او الابوان لا يأذنان) فانه عذر فى التأخير على القول بالتراخى فى الحج (او غلب الهلاك فى الطريق) اى برا او بحرا (ونحوه) من فقدان سائر شروط الاداء وفى الاحياء ومن الغناء المباح غناء الحجيج فانهم يدورون اولا فى البلاد بالطبل والشاهين والغناء وهو جائز لانها اشعار نظمت فى وصف الكعبة والمقام وزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام ووصف البادية وغيرها من الامور الكرام تأثير ذلك تهييج الشوق الى بيت الله واشعال نيرانه ان كان ثمه تشوق حاصل او استثارة الشوق بتحصيل مايشوق اليه محمودا (او حزن) اى ان اوقع المتغنى به حزنا وتأسفا (على التقصير فى الدين كالمروى عن داود عليه السلام) وقد ورد فى معرض المدح لداود عليه السلام انه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه وفى تلاوة الزبور حتى كان يجتمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته وكان يحمل من مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب من ذلك فى تلك الحالة وفى الحديث فى مدح ابى موسى الاشعرى لقد اعطى مزمارا من مزامير آل داود وقد تقدم وذكر فى تفسير قوله تعالى * يزيد فى الخلق مايشاء * هو حسن الصوت وقد قرئ بالحاء المهملة وقد ورد لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته وقوله تعالى * ان انكر الاصوات لصوت الحمير * يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن وهذا امر مجمع عليه وفى الاحياء ان الطير كانت تقف على رأس داود عليه السلام (وما) اى وكما (انشده الوعاظ على المنابر) من نظم او نثر مسجع من الترغيبات والترهيبات فى الحج والغزو ونحوهما (او اكد) اى ان زاد المتغنى به (حبه تعالى) بذكره والتأمل فى امره والاشتغال بفكره فانه مندوب فى كل من التشويق والتحزين (مباح) اى مستو طرفاه لا ثواب ولا عقاب (ان اكد المتغنى به السرور) والفرح (فيما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة) اى اولها (والختان وحفظ القرآن) اى تمامه وكذا اجتماع الاخوان فى بعض الزمان للطعام والكلام وكذا قدوم بعض الاصحاب من السفر كما تقدم وتقرر (فهو مأثور) اى مذكور عن السلف والخلف بل عن النبى صلى الله عليه وسلم اما العيد ففى الصحيحين عن عائشة ان ابابكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان فى ايام منى تدففان وتضربان والنبى صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر وفى رواية قال مزامير الشيطان فكشف النبى عليه السلام عن وجهه فقال دعهما يا ابابكر فانها ايام عيد قالت وكان يوم عيد تلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اما تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامنى وراءه وخدى على خده

ويقول دونكم اى افعلوه يابنى ارفده حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبى وفى صحيح مسلم فوضعت رأسى على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت انا التى انصرفت واما العرس فقد تقدم حديث اعلنوا بالنكاح واضربوا عليه بالدف وفى معناه الولادة والختان ومما يؤيد الولادة ذبح العقيقة وهو لاصحاب الطريقة فى الحقيقة واما حفظ القرآن فهو اكبر سرورا واعظم نورا (اوشوق) المتغنى به (الى الاخوان) من الاحباء الاتقياء فى الغربة اوالبلدان (اوالمرأة اوالامة) من غير تعينهما للاجنبى فانه حينئذ مباح (حرام ان شوق) المتغنى به (الى الزنى) اوتوابعه (اوحزن) المتغنى به (على الموتى) اى فيحصل به الجزع والفزع (والبلايا) اى على البلايا المتقدمة (فورد) فى الحديد (كيلا) وفى التنزيل لكيلا (تأسوا على مافاتكم) تمامه * ولاتفرحوا بما آتيكم * بالمد والقصر وفى آل عمران * لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولاما اصابكم (وادنى رتبه) اى مراتب التغنى وسماعه (الاستماع للشهوة) ويحرم حينئذ سواء غلب على قلبه حب شخص معين اولم يغلب لانه لايسمع وصف نحو الخد والقد والوصل والهجر الا ويحرك ذلك شهوته ونزله على صورة معينة وفق لذته ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ انسان يزيله الجماع وتهيجه السماع (وهو بنفخ الشيطان) المنافى لنفخ الرحمن فللديلمى من حديث على كان ابليس اول من ناح واول من تغنى ولابن ابى الدنيا والطبرانى عن ابى امامة مارفع احد عقيرته بغناء الابعث الله اليه شيطانين على منكبيه يضربان على اعقابهما بصدره حتى يمسك (ثم للتلهى) اى الاشتغال (بمجرد النغمة) وهو المعنى بقوله تعالى * ومن الناس من يشترى لهو الحديث * الآية (والمواظبة عليه) اى من غير تخلل التوبة لديه (ذنب) اى عند الكل من العلماء والصوفية من الصلحاء وهذا محمل لكلام الائمة المجتهدين من الفقهاء فقد حكى القاضى ابو الطيب الطبرى عن ابى حنيفة ومالك والشافعى وسفيان وجماعة من العلماء الفاظا استدل بها على انهم رأوا تحريمه قال وقال الشافعى فى كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال الشافعى صاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته قال وحكى عن الشافعى انه كان يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن قال واما مالك فقد نهى عن الغناء وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ان يردها وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده قال واما ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذا سائر اهل الكوفة وسفيان الثورى وحماد وابراهيم النخعى والشعبى وغيرهم انتهى كلام الطبرى ويؤيده ماورد من الاحاديث فى ذم القينة وهى الجارية المغنية فللطبرانى من حديث عائشة ان الله حرم القينة

وبيعها وثمنها وتعليمها ويقويه مارواه ابو داود عن نافع كنت مع ابن عمر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه فى اذنيه ثم عدل عن الطريق ولم يزل يقول يانافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه ثم قال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابو داود وعن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل رواه البيهقى ولابن المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن كثير مرسلا ماامتلأت دار منها حبرة الا امتلأت عبرة والحبرة الغناء ومنه قوله تعالى * فى روضة يحبرون * اى يغنون او يسرون ومر على بن عمر على قوم محرمون وفيهم رجل يغنى فقال الا لاسمع الله لكم وقال الشبلى السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة اى ومحنة واما مانقل ابو طالب المكى اباحة السماع عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وغيرهم فاما محمول على سماع ليس فيه شئ من الغناء كسماع القرآن واشعار العرب ولو بالالحان واما على انه مذهبهم المختار عندهم فان المسألة خلافية لا اجماعية وفعلهم ليس بحجة عند غيرهم فكذا ماروى عن بعض المشايخ الصوفية وقد ذكرت هذه المسئلة فى رسالة مستقلة وقد رأيت رسالة منسوبة الى الشيخ احمد الغزالى اخو حجة الاسلام محمد الغزالى متضمنة لتكفير منكر السماع بادلة سخيفة ظاهرة الفساد واقيسة ضعيفة مالها عند الائمة رواج وكساد هذا وقد يكون مراد المصنف ان التلهى صغيرة والمواظبة والاصرار على الصغيرة كبيرة وقدر اذ ان التلهى مباح والمواظبة على المباح قد تصير كبيرة كما اذا داوم على الطبل طول الايام اوتبع الحبشة فى رقصهم على الدوام (ثم لترويح النفس) اى لاراحتها وازاحة تعبها (قطعا للملالة) والسآمة (من العبادة) كما يجرى ويسرى فى العادة لاهل الارادة وهى للعابدين (ثم لمقابلة حالها) اى حال النفس ومقامها (فى المعاملة معه تعالى) من تحصيل مرامها وهذا حالة العارفين وفيها خطر باعتبار تمامها ودوامها وتحقيق ذلك ان الاناء يترشح بما فيه سواء يكون صاحبه يوافقه او ينافيه فالسماع يشبه الخمر فى اخراج مافى الباطن وبه يعرف مافى القلب من خوف ورجاء وقلق وسكون وشوق وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد حال نفسه فى المعاملة مع ربه فاذا كان فى باطنه خوف يظهر منه آثاره من نحو البكاء والحزن والمحن واذا كان رجاء يتبين انواره من الفرح والسرور وكمال الحضور ومن هنا قال ابو سليمان السماع لايجعل فى القلب ماليس فيه ولكن يحرك مافيه (ويشترط رعاية السنة) اى الشريعة الغراء والطريقة الزهراء (بالحمل) اى بحمل الاستماع (على مايليق به تعالى) اى على وجه الكمال ففى بياض الخد ونحوه يتذكر صفات الجمال وفى الزلف ونحوه يتفكر فى نعوت الجلال (ثم لحبه تعالى فقط) اى مع قطع النظر عن لوازمه وتفصيل مكارمه (وهو) اى هذا المقام (لمن فنى عن حظوظ نفسه) اى بالكلية (وغاب عما سواه) اى عن خطور غير الله تعالى (حتى عن شهوده معه ايضا) المعبر عنه

بالفناء عن الفناء وذلك فانه مهما فنى عن نفسه فهو من غيره افنى فكأنه فنى عن كل شئ الا عن الواحد المشهود وفنى ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه مشاهد فقد غفل عن المشهود كالسكران لاخبر له عن سكره وهو نهاية مقام العارفين فى حال البقاء وقد يعبر عن هذا بمقام اللقاء ولكن هذا كالبرق الخاطف من ظهوره فى عالم السماء فان دام لا تطيقه القوة البشرية (ومنه) اى ومن حبه تعالى (تولد الوجد) اى حصول الذوق ووصول الشوق (وهو) اى الوجد (ما صادف القلب) اى وجد القلب (من شوق) اى الى الله ورضاه (وخوف) اى من حجابه وسخطه (وحزن) اى تأسف على ما فات (وقلق) اى اضطراب فى حال آت (ويجدى) من الاجداء اى يفيد الوجد (نقاء القلب) اى طهارته عن السوى من كمال الصفاء (وحصول العلم) اى زيادته المقرونة بالحلم (والمكاشفة) وهى العلم بالله وصفاته الفاخرة وباحوال الآخرة (وربما لا يمكن العبارة عنه) اى اذا كان متعلقا بالذات او بكنه الصفات (كما عن الفصاحة والملاحة) فانهما من المعانى الدقيقة يعجز التعبير عنها ولو بالمبانى الرشيقة ثم لا يبعد ان يكون السماع سبب الكشف بما لم يكن مكشوفا قبل الاستماع فان للكشف اسبابا ولفتحه ابوابا منها التنبه والسماع تنبيه للنبيه ومنها تغير الاحوال ومشاهدتها فى الاقوال والافعال وادراكها نوع علم يفيد ايضاح امور لم تكن معلومة قبل ذلك من الاحوال ومنها انبعاث وانبساط ونشاط القلب بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان قصر عنه دركه كما يقوى الجمل على الحمل بحيث يطاع على الجبل بسبب سماع الحداء بانواع الغناء وحمل القلب استكشاف جماله وملاحظة اسرار الملكوت وانوار الجبروت طبق جماله ووفق جلاله ومنها الصفاء وهو سبب الكشف لارباب الوفاء وهذا نوع اسباب وفتح ابواب ورفع حجاب اى بمثل الحق لعبده فى لفظ منظوم لقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف او بالالهام اوفى صورة مشاهدة منزهة عن صورة الانام والسماع شبكة للحق يصيد به الخلق هذا وكما يسمع صوت الهاتف عند سماع القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر عليه السلام فانه يتمثل لارباب القلوب بصور مختلفة وفى مثل هذه الحالة تمثل الملائكة للانبياء اما على حقيقة صورتها او على مثال يحاكى صورتها بعض المحاكاة (والتواجد) اى التكلف فى الوجد واظهاره من غير تحصيل القصد (مذموم للرياء) لتعلقه برؤية الخلق (لا بقصد الوصول الى الحقيقة) اى حقيقة الوجود لتعلقه برؤية الحق وذلك (لورود اللهم ارزقنى حبك) يحتمل الاضافة الى الفاعل والمفعول كما حقق فى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وكذا قوله (وحب من يحبك وحب من يقربنى الى حبك) اى من القول والعمل وغير ذلك والحديث قد ذكر (وما سبق) اى ولورود ما تقدم

(من التباكى) اى ومدحه وهو التكلف بالبكاء (فى التلاوة) اى فى فصل التلاوة وذلك للتشبه باهل البكاء من الانبياء والاولياء حال القراءة ومن تشبه بقوم فهو منهم (ومشاهدة افضاء دوام ذكر الشئ) اى ايصاله واتصاله (والنظر اليه) فى اختلاف احواله (والفكر فى فضائله) وما يترتب عليه من تحسين آماله (الى عشقه) متعلق بافضاء اى بانجراره الى محبته ومودته (حتى يمتنع الخلاص عنه) اى عن تفكره وتذكره ولو تكلف بالدفع فى تصوره (وحقه) اى حق السماع وواجبه (ان لا يكون المستمع) اى المغنى (ممن حرم النظر اليه) كالنسوان والمردان (الا الشيخ) اى الكبير الفانى (الآمن على نفسه) اى من الشهوة (كما فى قبلة الصائم) من التفصيل بين الامن وغيره وقال القاضى ابو الطيب استماعه من المرأة التى ليست بمحرمة له لا يجوز عند اصحاب الشافعى بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء ستره وسواء كانت حرة او مملوكة انتهى ولعل وجهه ان صوت العورة عورة لا تحل الا للضرورة ولا يخفى ان الامرد الحسن الوجه خطره اقوى فانه عند الشيطان اشهى والخلائق اغوى حتى قال النووى ان النظر اليه حرام ولو بلا شهوة واما قول الغزالى ان صوت المرأة فى غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء فى زمن الصحابة يكلمن الرجال فى السلام والاستفتاء فى الاحكام والمشاورة فى الكلام فمحمول على ان الضرورات تبيح المحظورات (ولا الآلة) اى ولا يكون آلة الغناء (مزمارا) وكذا طبل الكوبة اوتارا وهذا مجمع عليه لانه من شعار الاشرار واما قصب الراعى فمختلف فيه فاباحه الرافعى وحرمه النووى من اتباع الشافعى وصرح علماؤنا بان الدف مباح فى محله اذا لم يكن له جلاجل فى طرفيه لان اباحته وقعت على خلاف القياس فيقتصر على مورده وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (فهو) اى الغناء باعتبار اصله (شعار اهل الشرب) فى مجلسه (فحرم تبعا) اى لحرمة شرب الخمر فانه قد يفضى الى فساد الامر وينجر الى مباشرة الشر (كخلوة الاجنبية) لانها مقدمة الجماع (والنظر الى فخذها) لاتصاله بالسوءتين ثم انهما حرامان لا لذاتهما بل تبعا لحرمة الزنا ذهما قد يكونان وسيلتين الى فعله (ولانه) اى الغناء المذموم (يذكره) اى الشرب ويفكره (كالمزفت) بتشديد الفاء المفتوحة اى ظرف القير (والحنتم) اى الظرف الاخضر ونحوهما من الدبا والنقير فان الشرع حرم استعمال هذه الاشياء ولذا امر بكسر دنان الخمر وظروفها تبعا لحرمة الخمر تغليظا فى امرها ثم احلها بعد بعد المدة وفيه انه ابيح هذه الاشياء بخلاف آلات الغناء فهو حجة على مبيح مطلق السماع من العلماء فالسماع حينئذ حرام كقليل الخمر وان كان لا يسكر لانه يدعو الى السكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به فحكم

الجرمة ينسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية له واخطارا مانعا حوله كما ورد ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه (وفيه) اى ويقع فيما اذا كان الآلة مزمارا (التشبه باهل الشرب) ومن تشبه بقوم فهو منهم حتى حرم تشبه الرجال بالنساء كعكسه وحتى قيل تترك السنة اذا صارت شعار اهل البدعة ثم قال فى الاحياء بل للتشبه باهل الفساد ينهى عن لبس القباء فى بلاد صار فيها من لباس الاجناد ولا ينهى عن ذلك فى ماوراء النهر لاعتياد اهل الصلاح من الزهاد والعباد قال فلهذه المعانى حرم المزمار العراقى والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها واما ماعدا ذلك فليس فى معناه كالشاهين للرعاة والحجيج وشاهين الطبالين وكالطبل والقصب سوى مايعتاده اهل الشرب فانه اذا ارتفع علة المشابهة بقى على اصل الاباحة (كما) اى كالتشبه (فى الاجتماع للسماع واحضار الآلات ونصب الساقى) اى المناول (فى ادارة السكنجبين) ونحوه من اللبن والماء والقهوة الحادثة المصنوعة من اللبن وقشره فانه اذا اجتمع قوم فى مجلس والساقى على قاعدته يدور بكأس واحد على جماعته واحد بعد واحد وفق عادته فانه يحرم السكنجبين وامثاله للتشبه (بخلاف نحو الدف) بضم الدال ويفتح (والطبل) اى طبل الحج والغزو واما طبل الكوبة فحرام لانه من شعار الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط واسع الطرفين ولعل هذين لم يكونا من شعار اهل الشرب فى زمنه عليه السلام اوفى ايام المصنف اوذكره تبعا للغزالى لجوازهما فى مذهبه واما اذا كانا من شعار اهل الفسق فينبغى ان يقال بحرمتها للتشبه فان العلة مشتركة (ولا المتغنى به قرآنا اذلا يجوز فيه) اى فى القرآن (مد المقصور وقصر الممدود) اى فى المجمع عليهما وهما لازمان فى التغنى المذموم (لتوافق الصوت) اى بالالحان الفسقية والانغام الموسيقية والا فالصحابة الكرام تبعا له عليه السلام كانوا يأمرون فى مجلس سماعهم ان يقرأ واحد بصوت حسن ماتيسر من القرآن عملا بقوله عز وجل *واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق* وقد اخبر الله سبحانه عن حال الانبياء بقوله *اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا* وعن حال الاولياء من الاصفياء *ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا* الى قوله *يبكون ويزيدهم خشوعا* وفى الصحيحين ان ابن مسعود قرأ على النبى عليه السلام بامره فلما انتهى الى قوله فكيف *اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا* قال حسبك الآن ورأيت عينيه تذرفان اى تسيلان دمعا ولمسلم من حديث ابن عمر انه قرأ *ان تعذبهم فانهم عبادك* فبكى ولابن عدى فى الكامل والبيهقى فى الشعب انه قرئ عنده *ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما* فصعق اى بكى بصوت ولابى داود والنسائى والترمذى فى الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير انه كان يصلى ولصدره ازيز

كازيز المرجل واما حديث اختصام على وجعفر وزيد بن حارثة فى حضانة ابنة حمزة فقال لعلى انت منى وانا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقى وخلقى فحجل وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل الحديث فرواه ابوداود من حديث على وهو عند البخارى دون ذكر الحجل وعلى تقدير صحته فالمراد به اظهار الفرح والسرور بما وقع من المدح فى الحضور وان كان الحجل فى اصله نوعا من الرقص وهو على رجل واحد فلا ينبغى ان يحمل عليه لقولهم الرقص نوع من النقص ومابعد من استدل على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذى وقع ندرة من الصحابة الكرام فى مجلسه عليه السلام مع عدم كونه نصا فى مقام المرام وقد ورد ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزينوا اصواتكم بالقرآن وزينوا القرآن باصواتكم (ولا النهى) اى وانما قلنا انه لا يجوز ان يكون المتغنى به قرآنا اذلا يجوز فيه مد المقصور الى آخره ولا يجوز النهى (عن آية) اى عن قراءتها حيث (لا توافق السامع) بالنسبة الى ماله من الحالات والمقامات (كاحكام المعاملات والحدود) فى باب السياسات وهذا لقصور فهم السامع عن الآيات البينات وما يتضمنها من اللطائف والاشارات واما العارف فيلاحظ هذه المعانى من جميع المبانى كما قال سبحانه *فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب* واما الموحد فينظر الى كلام ربه كأنه يسمع منه فانيا عن غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشغولا بفكره كما قال تعالى *الا بذكر الله تطمئن القلوب* وقال *تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله* وقال *انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم* وقال *لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله* ومن المقرر ان القرآن افضل الذكر لاشتماله على ذكر الله باعتبار توحيد ذاته وانواع صفاته واصناف حكوماته واجناس اخباره من مبدأ مخلوقاته ومنتهى مصنوعاته فالطمانينة وكذا الاقشعرار والخشية ولين القلب والوجل والخشوع وسمع عمر رجلا يقرأ *ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع* فصاح صيحة وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وروى ان زرارة بن ابى اوفى من التابعين كان يؤم الناس بالرقة فقرأ ليلة *فاذا نقر فى الناقور* فصعق ومات فى محرابه وسمع الشافعى قارئا يقرأ *هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون* فغشى عليه وكان الشبلى فى مسجده ليلة من رمضان وهو يصلى خلف امام له فقرأ الامام *ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك* فزعق الشبلى زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من اهل التصوف قارئا يقرأ *يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية* فاستعادها من القارى وقال كم اقول لها ارجعى فليست ترجع

وتواجد فزعق زعقة فخرجت روحه وسمع على بن الفضيل قارئا يقرأ * يوم يقوم الناس لرب العالمين * فسقط مغشيا عليه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ * وانذرهم يوم الآزفة * فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بطاعتك بعد الانذار ثم غشى عليه وسمع ابراهيم بن ادهم احدا يقرؤ * اذا السماء انشقت * فاضطربت اوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل فى الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ * وامتازوا اليوم ايها المجرمون * فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وقال بعض الصوفية كنت ليلة اقرأ هذه الآية * كل نفس ذائقة الموت * فجعلت اردها فاذا هاتف يهتف بى كم تردد هذه الآية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم الى السماء منذ خلقوا وقال ابو على المغازلى للشبلى ربما يطرق سمعى آية من كتاب الله فاجدنى على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالى والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال ماطرق سمعك من القرآن فاجتذبك اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك التبرى من الحول والقوة فى التوجه اليه وبالجملة لايخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن وذكر الرب فان كان القرآن لايؤثر فيه اصلا فمثله * كمثل الذى ينعق بما لايسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لايعقلون (ولا يجوز) اى حينئذ وهو حال كون المتغنى به قرآنا (ضرب اليد والدف) لان القرآن حق محض فلا يقرن بصورة اللهو كما يشير اليه قوله تعالى * افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون * اى مفتتون ويدل عليه قوله سبحانه * وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون * وقوله عز وعلا * واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون * ثم فى معنى القرآن كل مايكون من ذكر الله والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يفعله بعض من مشايخ اليمن من الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفى على جماعة بحيث يحسبه العامة انه طريق الصوفية وقد يجترؤن على مثله فى المسجد وفى المقبرة وفى الاسواق ومحاضر النساء والله ولى دينه وناصر دين نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت لظهور اهل الفساد وغلبة اهل العناد والله رؤف بالعباد ومما يؤيده ماقدمنا انه فى البخارى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جوار يغنين فسمع احدا هن تقول وفينا نبى يعلم مافى غد فقال عليه السلام دعى هذا وقولى ماكنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة فزجرها عنها وردها الى الغناء الذى هو لهو لان هذا جد محض فلا يقرن بصورة اللهو فالفاعلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم (وينتفى) عطف على ان لايكون اى وحق

السماع ان ينتفى فيه (شاغل) للخاطر مما ينافيه (من الزمان كوقت الصلوة والطعام) اى حضوره (والمكان) اى وشاغل من المكان (كالشارع) اى الجادة والاسواق (ومافيه صورة قبيحة اورائحة كريهة) فانهما منفرتان للطبيعة المستقيمة ولتبعد الملائكة عنهما (والاخوان) اى وشاغل من الاخوان الحاضرين (كالمتكبر المحتاج الى رعايته) خصوصا اذا كان من ذوى الجاه والحكومة (والمتكلف) اى من الفقهاء حيث تكلف فى حضوره (المشوش) فى خاطره (بالرقص) بناء على قول بعض الصوفية ايضا الرقص من النقص (وخرق الثوب) فانه من ضيق الحال وعدم اتساع المجال مع مافيه من تضييع المال او المتكلف المتواجد من اهل التصوف المرائى بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وقد قال سهل كل وجد لايشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وروى ان موسى عليه السلام وعظ فى بنى اسرائيل فمزق واحد منهم ثوبه فاوحى الله الى موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثوبك (والمتزهد) اى المتكلف فى الزهد عن الدنيا والرغبة الى العقبى (المفلس فى الباطن) عن محبة المولى (وعديم الذوق فى السماع) بان لايكون فى طبعه لذة وشوق الى الاستماع فقد عد هذا اضل من البهائم فانه حول محسوساته هائم (والجاهل الحامل على مالا يليق به تعالى) فان الصحبة قد تؤثر فى الباطن قبل الظاهر (والملوث قلبه بحب الدنيا) وهذا يستغنى عنه بقوله والمتزهد وانما ذكره لاستيعاب الانواع المحذورة فى مجلس السماع (والشهوة) اى ويحب مايشتهى من المحمدة والثناء (والملتهى بالنغمة) اى المشتغل بمجرد النغمة ومابه يتلهى (ويصغى بالحضور) اى وحق السماع ان يستمع بحضور القلب المفيد للسرور ونفى الخاطر المحظور (ولا يلتفت الى الجوانب) اى ولا ينظر الى الداخل والخارج من الاقارب والاجانب (ووجوه المتغنين) لانه من اسباب الفتور المانع عن الحضور الحاصل بسماعهم وكلامهم لابملاحظة وجوههم ومقامهم (ويشتغل بنفسه) ومايجب عليه من مقام انسه (برعاية قلبه) عند ذكر ربه (ومافتح عليه) من كشف لبه (ويجلس على هيئة المتأمل) فى الكلام (المستغرق) فى المقام من لجة التفريد وبحر التوحيد (ويحترز عما يشوش) اى عليه وعلى غيره ان امكن له (كالسعال والتثاؤب) وكذا العطاس فانها من الشيطان (والمنكرات كضرب اليد) اى على طبق الغناء (وتحريك الاطراف) اى التى مقدمة الرقص المعبر عنه بالوجد (والرقص) نفسه وهو بالقيام ونحوه (وخرق الثوب) اى قطعه ورميه (الا ان صار مغلوبا) على عقله (بحيث لايعلم بفعله او) اى ان كان مجذوبا (لايطيق الامتناع عنه اطربان نحو هيبة) اى عظمة الهيبة (اواجلال) اى خوف مع خشية ربانية (او حياء) من نعم واردة على تواتر زمانية (فيعذر) اى فى هذه الحالات عن مخالفة ظاهر الشريعة من المنكرات (كما غلب على عمر رضى الله

عنه عام الحديبية) بالتخفيف افصح (و يوم مات عبدالله بن ابى) رئيس المنافقين (حمية الدين) فاعل غلب اى حمايته ورعايته بحسب ماظهرله من حسن رأيه وفق عادته (حيث انكر الصلح) اى عام الحديبية فقال عمر كما فى صحيح البخارى فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله الست نبى الله حقا قال بلى قال السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا قال انى رسول الله ولست اعصيه وهو ناصرى قال العلماء لم يكن سؤاله وكلامه المذكور شكا بل طلبا لكشف ماخفى عليه من الامر وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام وعز اهله الابرار كما عرف فى خلقه وقوته فى نصرة الدين واذلال المبطلين (والصلوة) اى وانكر عمر الصلوة (على جنازته) اى جنازة ابن ابى (والدعاء) اى فى الصلوة وغيرها (والقيام له على قبره) حيث هم النبى صلى الله عليه وسلم بفعل هذا كله وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل * ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولعل همه عليه السلام كان لظاهر ماكان يبدى من الاسلام اولتألف ولده فانه كان فى انقياد الاحكام ومنع عمر لما كان يترشح من ابى آثار الكفر والظلام (وابى طيبة) رضى الله عنه اى وكما غلب على ابى طيبة حب الاسلام (حيث شرب دمه عليه السلام بعد الحجامة) تبركا بما برز من باطنه عليه السلام والحديث رواه الدار قطنى وقال حسن صحيح وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة من الصحابة الكرام ولم ينكر عليهم بل نسب الخير اليهم فقال لواحد صحة ولآخر لم يمسك النار وقد بسطت عليه الكلام فى سيره عليه السلام وقد قال جماعة من العلماء الشافعية ان فضلاته عليه السلام طاهرة وانه من خصوصياته ظاهرة وهو قول امامنا الاعظم والله اعلم ومن ذلك ماروى ابن حبان ان غلاما كان فى بنى اسرائيل على جبل فقال لامه من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الارض فقالت الله فقال من خلق هذه الغنم قالت الله قال انى اسمع لله تعالى شأنا ثم رمى نفسه من الجبل فتقطع وهذا كأنه سمع مادل على جلال الله وعظمته وتمام قدرته فطرب لذلك ورمى نفسه من هنالك وفى الاحياء رأيت مكتوبا فى الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم لم ترقصوا اقول المعنى بينالكم الترغيب والترهيب فلم تمتثلوا وشوقنا بذكرنا وفكرنا فلم تشتاقوا (الكنه) اى وصف المغلوبية (ضرب تقصير) اى فيه نوع قصور منه (جل قدرذوى الكمال عنه لاسيما الانبياء) وكذا ورثتهم من العلماء واتباعهم من الاولياء (لانهم اصحاب شرايع) اى حقيقة وحكما (مكملون) اى كاملون فى نفسهم مكملون لغيرهم لقول عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى فى الملكوت عظيما اى فينبغى ان يكون فى الملك كذلك عظيما (و يساعد) اى وحق السماع ان يعاون (الاخوان فى القيام) فى المجالس (ورفع العمامة) عن الرأس اذا سقطت عمامته (ان كان)

اى التعاون (معتادا) فيما بينهم (فالمخالفة موحش) اى بعد الحضور (والاسرار) مبتدأ اى وادخال السرور (بالمساعدة فيما لم ينه عنه) اى نهيا صريحا (وصار معتادا بعد عصرهم) اى بعد انقضاء زمان السلف وانتهاء الامر الى الخلف (حسنة) خبر المبتدأ اى مستحسن لماروى عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا مارآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ولقوله عليه السلام خالقوا الناس باخلاقهم رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين (وان كان) اى ماذكر (بدعة) اى فى نفس الامر والاولى عدم حضور ذلك المجالس لئلا تحتاج الى خطر الخطير فقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان * فاجتناب التعاون على المباح اقرب الى النجاح وعدم الجناح لاسيما وقد قال عليه السلام من احدث فى امرنا ماليس منه فهورد اى مردود وقال كل بدعة ضلالة فعليك باتباع السنة وترك البدعة نعم البدعة المحذورة ما زاحم السنة المأثورة ولم يقع نهى عن الصور المذكورة (ويخفى به) اى وحق السماع بالنسبة الى المقتدى ان يخفى بالاسماع (لئلا يقتدى العوام) به فى جواز مطلق الاسماع وعموم انواع السماع (و يظهر المنع) اى للعوام (فهو يضر الاكثر للاعانة على الهوى) اى لغلبة هوى النفس حتى على المبتدئين من المريدين (ويخالف الكامل المعرفة) اى فى ابه (والمحبة) لربه عن مجالس التغنى والسماع فى غالب امره (للاستغناء) اى لاستغناء الكامل فى مقام الفناء والبقاء (عن المحرك الخارجى) من سماع الغناء كما اشار اليه الصديق حيث رأى الاعراب يقدمون ويسمعون القرآن فيبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا اى اشتدت وقويت لتحمل مانزل بنا وقيل للجنيد مابالك تركت السماع فقال * وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب * وقال بعضهم صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رأيته تغير عند شئ كان يسمعه من الذكر والقرآن فلما كان فى آخر عمره قرأ رجل بين يديه * فاليوم لا يؤخذ منكم فدية * الآية فرأيته قد ارتعد وكاد يسقط فلما عاد على حاله سألته عن ذلك فقال نعم ياحبيبى ضعفنا وكذلك سمع مرة قوله تعالى * الملك يومئذ الحق للرحمن * فاضطرب فسأله ابن سالم وكان من اصحابه وقال قد ضعفت فقيل له وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال لا يرد عليه وارد الا وهو يتلقاه بقوة حاله وقال الجنيد لايضر نقصان الوجد مع فضل العلم اذفضل العلم اتم من الوجد (الابنية الاسرار) اى ادخال السرور فى قلوب اصحاب مجالس التغنى بشروطه (بالمساعدة) فى الموافقة وترك المخالفة بالمباعدة (وتعليم) اى والابنية تعليم (ضبط الجوارح) من الاقوال والافعال (مع كمال الحال والاسلم) فى جميع الاحوال والاقوال (الاجتناب عن مطلق السماع) و لو بشر و ط مع الاصحاب (لمكان الاختلاف) اى فى هذا الباب والصوفى فى طريقة اختيار

العزيمة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه السماع المشهور فى الاسماع (وندرة تحقق الشروط) فى غالب مجالس الاستماع (لدقة مكائد النفس) اى هواجسها (والشيطان) يحملها على وساوسها وما احسن قول الحصرى ماذا اعمل بسماع ينقطع اذامات من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدائم فالانبياء وكمل الاولياء فى لذة السماع على الدوام فلا يحتاجون الى تحريك كالعوام وقال بعض المشايخ الكرام ليتنانجونا من هذا السماع رأسا برأس وقال ابو القاسم النصرابادى لابى عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع القوم فيكون منهم قوال يقول خير من ان يغتابوا فقال ابو عمرو الرياء فى السماع وهو ان ترى من نفسك حالا ليس فيك شر من ان تغتاب ثلاثين سنة

مم

م

قد تم طبع المجلد الاول من شرح عين العلم ويليه الثانى اوله الباب العاشر

مم

م

فهرس الجلد الثانى من عين العلم

الجلد الثانى





بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الباب العاشر فى الاناءة والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد ﴾

الاناءة بفتحات اسم لضد العجلة والحلم التحمل والعفو التجاوز والنصيحة ارادة الخير للمنصوح له والحقد بالكسر العداوة بالقلب وينتج نحو الحسد والغضب (بسم الله الرحمن الرحيم) الذى يستعان به على كل خلق كريم ويستعاذ به من كل طبع ذميم (الاناءة معنى) اى خلق باطنى (باعث على الاحتياط فى الامور) اى المتعلقة بالحكم الخارجى وهو ارادة اتمام الامور على وجهها بحيث لا يفوت شئ من حقها (والتأنى) مصدر باب التفعل وتاؤه للطلب او التكلف (اتباعها) اى تتبع تلك الامور (بعد الدخول) اى دخول الانسان (فيه) اى فى حال الدخول قبل الدخول وضده التعسف فى الحصول (والتوقف قبله) ى ويقال له التوقف (وضدها) اى الاناءة (العجلة وهو) اى العجلة معنى (باعث على الاقدام) اى اقدام الانسان على الامور (باول خاطر) من غير تأمل وتفكر (والاستعجال اتباعه) اى تتبع ذلك الباعث من غير تأخر (وورد العجلة من الشيطان) ابو يعلى من حديث انس بلفظ التأنى من الله والعجلة من الشيطان والترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الاناءة من الله (الا فى تزويج البكر) اى خصوصا اذا بلغت ووجدت لها كفوا (وقضاء الدين) ولو كان مؤجلا (وتجهيز الميت) اذا كان ميسرا (وقرى الضيف) اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى ☼ فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ☼ ففيه الدلالة على المبادرة بالعبارة والاشارة (والتوبة من الذنب) اذ يجب ان تكون فى الحال فان اكثر عذاب اهل النار من تسويفهم فى القال ويستثنى ايضا الصلاة اذا دخل وقتها فان فى التأخير آفات (وآفاتها) اى العجلة اشياء منها (الحرمان) عن المطلوب (فمن استعجل نيل

منزلة) من مال او جاه او لذة او مقام او حال او مرتبة (او اجابة دعوة قبل الوقت) اى المقدر لها فان الامور مرهونة باوقاتها (يترك ملالة) اى يترك المستعجل طلب تلك المنزلة والدعوة من جهة الملالة فيكون سبب الحرمان عن وصول تلك الحالة لا محالة او يغلو ويبالغ فى الجهد واتعاب النفس فينقطع عن الطريق فهو بين افراط وتفريط وكلاهما نتيجة الاستعجال وقد ورد برواية البزار والحاكم والبيهقى وغيرهم ان دينناهذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والمنبت الذى انقطع به فى سفره وعطبت راحلته وانفعل انبت مطاوع بته من البت وهو القطع وفى المثل السائر ان لم تستعجل تصل وابعضهم يقول * قد يدرك المتانى بعض حاجته ☼ وقد يكون المستعجل الذليل * فيفتر وييأس و يترك الدعاء فيحرم حاجته قال تعالى * لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط (او مكافاة ظالم) اما منصوب عطفا على نيل منزلة او مجرور عطفا على منزلة (يبطل) اجره لعدم صبره (بالدعاء عليه) اى على الظالم وذلك بان يظلمه انسان فيغيظه و يدعو عليه وربما يتجاوز عن الحد فيقع فى المعصية والهلاك قال تعالى ☼ ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا (واقتحام الشبهة) اى ومن آفات العجلة دخول الشبهات المورثة للسيئات (فاصل الورع) اى اساسه الذى عليه مدار الشرع (النظر البالغ فى كل شئ) اى من الاصل والفرع الذى هو بصدده من اكل وشرب وكلام وغيره فاذا كان الرجل مستعجلا فى اموره غير متأن ولا متثبت عند صدورها فيميل الى كل طعام وكلام فيقع فى شبهة او حرام وكذا فى سائر المرام فيفوته الورع الذى عليه مدار احكام الاسلام وقد ورد اخبار وآثار فى فضل الرفق الذى عليه مدار حسن الخلق فى معاشرة الخلق ففى صحيح مسلم من حديث عائشة * ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف وفى الصحيحين من حديثها يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله * ولمسلم من حديث جرير * من يحرم الرفق يحرم الخير * اى كله كما فى رواية ابى داود وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابن مسعود والبيهقى فى الشعب كلاهما من حديث عائشة * الرفق يمن والخرق شؤم * ولابن المبارك فى الزهد من حديث ابى جعفر مرسلا * اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته * وعن الحسن المؤمن وقاف متان وليس كحاطب ليل ثم العنف وان كان محمودا فى بعض الاحوال ولكن الاحتياج الى الرفق اقوى فى اكثر الافعال والاقوال ومن هنا قال سفيان لاصحابه اتدرون ما الرفق فقالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور فى مواضعها الشدة فى موضعها واللين فى موضعه والسيف فى موضعه والسوط فى موضعه وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغى مزج الغلظة باللين والعنف بالرفق كما قيل ☼ ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * اى باهله * مضر كوضع السيف فى موضع الندى ☼ اى العطاء وعن ابى عون الانصارى

ما تكلم الناس بكلمة صعبة الا وإلى جانبها كلمة الين منها تجرى مجراها (والافراط) اى ومن آفات العجلة الاكثار والمبالغة (فى الغضب وهو) اى الغضب وافراطه (مذموم) اى شرعا وعرفا (فورد) اى برواية الطبرانى والبيهقى من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده (الغضب يفسد الايمان) اى كماله او يطفئ نوره او يمنع ظهوره (كما يفسد الصبر العسل) وهو بفتح الصاد وكسر الباء عصارة شجرة مر وعن ابى هريرة ان رجلا قال يارسول الله مرنى بعمل واقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب رواه البخارى ومن هنا قيل لابن المبارك اجمل لنا الخلق الحسن فى كلمة قال ترك الغضب وعن عكرمة فى قوله تعالى * وسيدا وحصورا * قال السيد الذى لا يغلبه الغضب وقد قيل الغضب غول العقل (وهو) اى الغضب (غليان دم القلب لطلب الانتقام والمحمود) من الغضب (الاعتدال) كسائر الاخلاق والاحوال فللبيهقى فى الشعب مرسلا خير الامور اوساطها (وهو) اى الاعتدال (الضبط تحت الشرع والعقل) بان لا يكون فيه تفريط ولا افراط فيغضب حيث وجبت الحمية الشرعية وينطفئ حيث يحسن الحلم فى القضية الفرعية (فالتفريط) اى بفقد الغضب اوضعفه (مذموم) وهو الذى يقال فيه انه لا حمية له ولذا قال الشافعى من استغضب فلا يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان (كالافراط) اى كما ان الافراط بالتجاوز عن الحد مذموم قال تعالى * اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين * ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة من الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم الله عليهم من السكينة (فورد) فى مدح الاعتدال قوله تعالى (اشداء على الكفار) تمامه * رحماء بينهم * وكذا قوله * اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين * وقد قال تعالى لنبيه عليه السلام * يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم * (ولا تأخذكم بهما) اى بالزانى والزانية فى حدهما (رأفة فى دين الله) اى شدة رحمة وهو دليل لذم التفريط وقال عليه السلام * خيار امتى احداؤها * يعنى فى الدين رواه الطبرانى والبيهقى عن على (وقلعه) اى قطع الغضب ودفعه (فى زوال ما استغنى عنه) كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب (ممكن) اذ ليست هذه الاشياء ضروريات لاحد من الخلق فيمكن رفعها بالرياضة والمجاهدة العلمية والعملية (لا) اى لا يمكن قلعه فى زوال (ما احتيج اليه) اى ولا يستغنى عنه بحال (كطعام يسد جوعته) من قوت يومه وليلته (وثوب يستر عورته) ويصحح صلاته (وبيت يواريه) اى يستر حالته ويدفع برودته وحرارته (وكتاب يطالعه) وفى معناه كل آلة بها يكتسب صاحبها والاخير من ضروريات بعض افراد الناس (لصعوبة تفريغ القلب عن حبها) اى عن حب هذه الاشياء بحكم الطبيعة فانه لا يمكن قلعها بالرياضة ولا كلف احد بها فى ابواب الشريعة وقد اشار اليه

صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله من اصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا اى جمعت له لذاتها الترمذى وابن ماجه من حديث عبد الله ابن محصن وقال الترمذى * حسن غريب * ورواه الطبرانى فى تاريخه والكل بدون زيادة بحذافيرها (الالمن غلب عليه التوحيد) فلا يغضب على فوت هذه الاشياء لما عنده من المقام السديد وحال الفناء (فيرى الخلق مسخرين للحق) القاهر الغالب (كالقلم للكاتب) لكن غلبة التوحيد الى هذا الحد فى مقام التفريد انما يكون كالبرق الخاطف يقع فى احوال نادرة مع الرب ثم يرجع القلب الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لاحد من الانام لتصور لرسوله عليه السلام فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه ويقول انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر كما فى الصحيحين وفى رواية فايما مسلم سببته او لعنته اوضربته فاجعلها منى صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة (وفيه) اى فيما احتيج اليه (يتصور الكسر) اى كسر النفس (بان لا يظهر الاثر) اى اثر الغضب فى البشرة لا قلع الغضب بالمرة لانه غير مقدور البشر ومن على كرم الله وجهه كان عليه السلام لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له رواه الترمذى فى الشمائل وفى صحيح مسلم عن عروة ان عائشة حدثته ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرأى ما اصنع فقال مالك يا عائشة اغرت فقلت ومالى لا يغار مثلى على مثلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لقد جاءك شيطانك قالت يارسول الله اومعى شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال نعم قلت ومعك يارسول الله قال نعم ولكن ربى اعاننى عليه حتى اسلم فلا يأمرنى الا بخير فى الاحياء اراد شيطان الغضب والمعنى انه لا يحملنى على الشر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يارسول الله اكتب عنك كلما قلت فى الغضب والرضاء قال اكتب فوالذى بعثنى بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل انى لا اغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجنى عن الحق ولا اعمل بموجب الغضب والحديث رواه ابو داود باسناد صحيح وهو متضمن لما فى قوله تعالى * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى * وقوله سبحانه * قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى * اى التميز بينى وبينكم بوقوع الوحى الى دونكم هذا وقد يفقد اصل الغضب فيما هو ضرورى اذا كان القلب مشغولا بضرورى اهم منه فلا يكون فى القلب متسع للغضب لاشتغاله بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداها ولو كانت من الضروريات ومن هنا لما شتم سلمان قال ان خفت موازينى فانا شر مما تقول وان ثقلت موازينى فلا يضرنى ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم ولم يصر سببا لغضبه وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال يا هذا سمع الله كلامك وان دون الجنة عقبة ان قطعتها لم يضرنى ما تقول وان لم اقطعها

فانا شر مما تقول وقيل للبسطامى لحيتك افضل ام ذنب الكلب فقال ان مت مؤمنا فلحيتى والا فذنب الكلب فكان همه حسن الخاتمة وشتم رجل ابا بكر الصديق فقال ماستر الله عنك اكثر فكأنه كان مشغولا بالنظر فى تقصير نفسه عن ان يتقى الله حق تقاته و يعرف الله حق معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان فى امره اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لكمال قدره وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى فقال ماعرفنى غيرك فكأنه كان مشغولا بان ينفى عن نفسه آفة الرياء ليصل الى حالة الاخلاص ومقام البقاء بعد الفناء وسب رجل الشعبى فقال ان كنت صادقا فغفر الله لى وان كنت كاذبا فغفر الله لك (والسبب) اى باعث الغضب ستة اشياء (الكبر والعجب والمزاح والاستهزاء والايذاء) اى بالتعيير والمراء (والحرص) اى شدة الميل (فى الفضول) اى زيادة المال والجاه وهى باجمعها اخلاق ردية واحوال دنية مذمومة فى امور شرعية واحكام فرعية ولاخلاص من الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلابد من ازالتها باضدادها المعروفة فى الباب (وعلاج كل) اى من الكبر ونحوه (فى موضعه) اى يأتى مفصلا واما مجملا فهو بان يميت الكبر بالتواضع و يميت العجب بمعرفة النفس اذا كان بالعلم والعمل واما اذا كان بالنسب المجرد فبمعرفة ان بنى آدم جنس واحد وان الشرف بالفضائل والفخر والعجب من اكبر الرذائل و يميت المزاح بالاشتغال بالمهمات الدينية والامور الاخروية و يزيل الهزل بالجد و يميت الباطل بالحق لقوله تعالى * انه لقول فصل وماهو بالهزل * و يزيل التعيير بالاشتغال بعيوب نفسه فورد طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومن عير اخاه بذنب لم يمت حتى يبتلى به و يزيل الحرص على مزايا العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاستطاعة فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة مع مافى القناعة من الاستغناء والترفع عن ذل الحاجة ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مألوفة هينة سديدة فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل واتصفت بمحامد الفضائل ومكارم الشمائل * والحاصل ان الغضب انما هو لضعف النفس فالمريض اسرع غضبا من الصحيح والمرأة اسرع غضبا من الرجل والصبى اسرع غضبا من الكبير والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته عند فوت لقمته ولبخله عند فوت حبته وصاحب الفضل يملك نفسه عند غضبه وحدته ففى الصحيحين عن ابى هريرة ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب وهو الذى ذكرناه علاجه بتفصيل الاحوال (و بالاجمال) علاجه اثنا عشر (التوضى) والاغتسال ثم فى الحديث اذا غضب احدكم فليتوضأ بالماء فان الغضب من النار ابو داود من حديث عطية السعدى وفى رواية اخرى ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من

النار و انما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ وروى ان عمر غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب فى الجملة (والتعبد) اى بالصلاة ونحوها وفى نسخة التغسل وهو الظاهر فيكون فى الاصل تصحيف وتحريف اذ لم يرد فيه حديث شريف بخلاف الاغتسال فقد اخرج ابن عساكر من حديث معاوية الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار والماء يطفئ النار فاذا غضب احدكم فليغتسل ومن جملة العلاج السكوت فعن ابن عباس مرفوعا اذا غضبت فاسكت احمد وابن ابى الدنيا والطبرانى والبيهقى فى شعب الايمان (والقعود) اى الجلوس اذا كان قائما (والاتكاء) اذا كان جالسا (والاضطجاع) اذا كان متكئا فللترمذى من حديث ابى سعيد ان الغضب جمرة فى القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم اى فليضطجع فان لم يزل ذلك فليتوضأ بالماء البارد او يغتسل فان النار لايطفيها الا الماء ولابن ابى الدنيا من حديث ابى هريرة كان عليه السلام اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ولاحمد باسناد جيد وكان ابو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لنا اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا فليضطجع والمرفوع عند ابى داود بسند فيه انقطاع والاضطجاع غاية السكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة والظاهر عنوان الباطن ويستعان بكل منهما على الآخر كما حقق فى طهارة الظاهر والباطن وقد ورد ان ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء فى خصومة بينهما وفى رواية يا ابن الخضراء فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغنى انك اليوم عيرت رجلا بامه قال نعم فانطلق ابو ذر ليرضى صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتك وان كنت متكئا فاضطجع رواه ابن ابى الدنيا باسناد صحيح وفى الصحيحين من حديثه قال كان بينى وبين رجل من اخوانى كلام وكانت امه اعجمية فعيرته بامه فشكانى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر انك امرؤ فيك جاهلية ولاحمد انه عليه السلام قال له انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوى ورجاله ثقات (والصاق الخد بالارض) فعن ابى سعيد الخدرى مرفوعا الا ان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم الا ترون الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض الترمذى وحسنه وكأن هذا اشارة الى تمكين اعز الاعضاء من اذل الاشياء لتستشعر به النفس

المذلة و يزيل عنها الزهو والعزة وايماء الى ان من اوله وآخره التراب لا يصلح له الغضب فى باب من الابواب والى قول بعض اولى الالباب ماللتراب ورب الارباب والله اعلم بالصواب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لى ابى اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما (فالكل مروى) اى فعله كما قدمنا (مأمور به) كما بينا والمعنى انه جمع فيه بين العمل والقول (معللا) وفى نسخة معلل (بانه) اى الغضب (جمرة) اى حرارة غريزية اوحادثة عرضية تتوقد (فى القلب بدليل حمرة العين) اى حينئذ (وانتفاخ الاوداج) اى عروق الرقبة وقد سبقت به الرواية وتحقق فيه الدراية (والاستعادة) اى ومن جملة العلاج العودة الى الحالة الاولى بعد التغير عنها الى الحالة الثانية (والاستعاذة) اى التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظ وهو متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فاحدهما احمر وجهه وانتفخت اوداجه فقال عليه السلام لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد الحديث ولابن عدى من حديث ابى هريرة اذا غضب الرجل فقال اعوذ بالله سكن غضبه ولابن السنى فى اليوم والليلة من حديث عائشة كان عليه السلام اذا غضبت عائشة يأخذ بانفها وقال يا عويش قولى اللهم رب النبى محمد اغفرلى ذنبى واذهب غيظ قلبى واجرنى من مضلات الفتن (والاستعانة بالله تعالى) اى بحوله وقوته فى دفع غضبه وشدة حدته (والعلم بثواب الحلم والتحلم) عطف على العلم لا الحلم اى ومن العلاج التكلف فى الحلم فانه محمود ايضا وللطبرانى انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم (فورد) فى التنزيل (والكاظمين الغيظ اى المتحلمين) وذلك فى معرض مدح المتقين من المؤمنين وتمامه * والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * وللطبرانى فى الاوسط والبيهقى فى الشعب من حديث انس (من كف غيظه كف الله عنه عذابه) ولا بن ابى الدنيا من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه ولابن ابى الدنيا من حديث على اشدكم من ملك نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند القدرة (ان المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم) اى بالنهار (القائم) اى بالليل رواه الطبرانى فى الاوسط ولابن السنى من حديث ابى هريرة * اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم وفى الصحيحين يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم والاناءة وللطبرانى من حديث فاطمة * ان الله يحب الحيى الحليم ولابن ماجه باسناد جيد من حديث ابن عمر ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله زاد ابن أبى الدنيا من حديث ابن عباس وما كظمها عبد الاملأ الله قلبه ايمانا وقال ايوب حلم ساعة يدفع شرا كثيرا واجتمع سفيان الثورى وفضيل بن عياض فتذاكرا واجتمعا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل فغضب عمر حتى عرف

فى وجهه فقال له رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله قال * خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين * وهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت وكأنما كانت نارا فاطفئت (وشدة غضبه تعالى وقدرته وفضيحة الآخرة) اى والعلم بها فانها تكون سببا لاطفاء نار الغضب وتسكينها عن اللهب فيخوف نفسه بعقاب الله بان يقول قدرة الله على اعظم من قدرتى على هذا الانسان فلو امضيت غضبى عليه لم آمن ان يمضى الله غضبه على يوم القيمة احوج ما اكون الى العفو والمرحمة وقد قال تعالى فى بعض الكتب المتقدمة يا ابن آدم اذكرنى حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاءه قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا اى خوف القصاص فى القيمة ابو يعلى من حديث ام سلمة بسند ضعيف ولاحمد من حديث عبد الله بن عمر وسأل رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يبعدنى من غضب الله قال لا تغضب (وتشبه الحليم بالانبياء) فورد كاد الحليم ان يكون نبيا وقد مدح الله سبحانه خليله بانه حليم وكذا بشره بغلام حليم (والاولياء) اى باتباع الانبياء من الاصفياء فقد ورد العلماء ورثة الانبياء وضد ذلك حال الاكراد والاتراك والجهلة والاغبياء (والغضوب) اى وتشبه كثير الغضب (بالسبع الضارى) اى الصائل العادى من الاسد ونحوه فهو من اخلاق البهائم والكلاب الهائم (وقبح هيئته) اى بتغير صورته حال غضبه وشدة حدته بان يتفكر و يتذكر صورة غيره حال غضبه وتغير لونه وشدة رعدته فى اطرافه واكلافه وخروج افعاله عن ترتيبه ونظامه من اضطراب الحركة فى اعضائه وكلامه حتى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة فى الظاهر ولو رأى الغضبان نفسه فى حال غضبه وقبح صورته يسكن غضبه من قبح هيئته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من ظاهره وهذا التغير فى جسده واما اثره باللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام الذى يستحيى منه ذوو العقول ويستحيى منه قائله ايضا عند فتور غضبه وذلك مع تخبط نظمه او اضطراب لفظه واما اثره على الاعضاء فالضرب والهجم والتمزيق والجرح والقتل عند التمكين من غير مبالات فان هرب منه المغضوب عليه اوفاته بسبب لديه وعجز عن التشفى اليه رجع الغضب على نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه وقد يضرب بيده على الارض اوجدره ويعدو عدو الواله والسكران فى مشيه وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو سريعا وربما يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة ويتعاطى افعال المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول لها الى متى منك يا هذا يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى ربما رفسته دابة فيرفس هو الدابة ويقابلها بذلك وربما قتل نفسه بيده اما بآلة او بشنق او برمى

فى بحر ونحوه (والعجز) اى والعلم بالعجز (عن الغلبة على مراده تعالى) فالله غالب على امره وهو القاهر فوق عباده فان الغضبان يود جريان الشئ على وفق مراد نفسه دون مراد ربه ومن وقع فى هذه الورطة وبابه باء بغضب من الله وعذابه ونعم ماقيل * تود النفس ان تاتى مناها * ويأبى الله الا ما يريد *
فيفعل الله مايشاء ويحكم مايريد * فكن مسلما لامره ان كنت من المريد الطالب لمقام المزيد (وانتقام المغضوب عليه) اى فيحذر نفسه عاقبة الانتقام من تسلط المغضوب عليه على اظهار معائبه والشماتة بمصائبه (وحدوث الذنوب) اى انواع العصيان (لاخذ اللسان فى الفحش والسب) للانسان (والجوارح فى الضرب والجرح والقتل) كما سبق فى معرض البيان (والقلب فى الحقد) فان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفى فى غبطه رجع الى باطنه واحتقن فيه فصار حقدا فحينئذ يلزم قلبه استثقاله ويحسده فى حسن حاله ويظهر الشماتة بمسائه والحزن بمسرته والعزم على افشاء سره وهتك ستره والاستهزاء به فى قوله وفعله وجميع امره (وهو) اى الحقد (ذميمة) اى خصلة مذمومة (فاحشة) اى متجاوزة عن الحد لاشتماله على سيئات متعدية عن العد (فورد المؤمن) اى الكامل (ليس بحقود) فعول بمعنى فاعل اى ليس بذى حقد اوليس بمبالغ فى الحقد والحديث فى الاحياء وقال مخرجه لم اقف له على اصل (والعلاج) اى علاج الحقد (قلع الغضب) اى الذى سبب الحقد الباعث على الحسد ونحوه (وذكر ماورد) اى من الفضائل فى الكتاب والسنة (فى العفو مثل والعافين عن الناس) وتمامه * والله يحب المحسنين * وللطبرانى فى مكارم الاخلاق من حديث انس اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى اجره على الله قال العافون عن الناس وهو مستفاد من قوله * فمن عفى واصلح فاجره على الله * ولاحمد والحاكم وصححه ان الله عفو يحب العفو فالتخلق باخلاق الله له شأن عظيم عند مولاه (خذ العفو) تمامه * وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين * وورد فى تفسير العفو ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عن من ظلمك (وان تعفوا اقرب للتقوى) تمامه * ولاتنسوا الفضل بينكم * (وهو) اى العفو (اسقاط حق وجب) اى ثبت للعبد على غيره (اما قول ابى ضمضم) وهو رجل من بنى اسرائيل (اللهم تصدقت بعرضى على عبادك فوعد) اى لاعفو لانه اثبات ماله للغير لا اثبات حق واجب له على الغير (وعليه الوفاء) اى بوعده وعهده وتوضيحه انه لما قال العفو اسقاط حق وجب ورد عليه ان قول ابى ضمضم تصدقت يدل على ان العفو قد يكون باسقاط الحق قبل الوجوب فاجاب بانه وعد بانه لايخاصمه به يوم القيمة لاعفو كما قدمناه وفى الاحياء قال رجل من المسلمين اللهم ليس عندى صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضى شئ فهو صدقة عليه فاوحى الله الى النبى عليه السلام انى قد غفرت له

قال مخرجه رواه ابو نعيم فى الصحابة والبيهقى فى الشعب وابن عبد البر فى الاستيعاب من حديث ابى هريرة ان رجلا من المسلمين ولم يسمه وقال اظنه ابا ضمضم وتقدم فى آفات اللسان حديث ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل فيمن كان قبلكم اذا اصبح قال اللهم انى قد تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى والمعنى انتم اولى بهذه الخصلة المهمة فانكم خير امة وقيل فى قوله تعالى * ربانيين * اى علماء حلماء وعن الحسن فى قوله تعالى * واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما] * قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا يعنى بل يجيبونهم بقول يسلمون فيه عنهم وقال عطاء بن ابى رباح ويمشون على الارض هونا اى حلماء وقال ابن ابى حبيب فى قوله * وكهلا * قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد * واذا مروا باللغو مروا كراما * اى اذا اوذوا صفحوا وروى ان ابن مسعود مر بلغو معرضا فقال عليه السلام اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى * واذا مروا باللغو مروا كراما * ابن المبارك فى البر والصلة ولاحمد من حديث سهل بن سعد اللهم لايدركنى ولا ادركه زمان لايتبعون فيه العليم ولايستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وعن على كرم الله وجهه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لاتباهى الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسأت استغفرت الله وعن الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالحلم وقال بعضهم ما احسن الايمان بزينة العلم وما احسن العلم بزينة العمل وما احسن العمل بزينة الرفق وما اضيف شئ الى شئ مثل حلم الى علم وعن انس بن مالك فى قوله تعالى * فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * الى قوله * عظيم * هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فيغفر الله لك وان كنت صادقا فيغفر الله لى وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عنى فاستعبدنى بها زمانا وسب رجل ابن عباس فلما فرغ قال ياعكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل رأسه واستحيى وعن على بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف درهم ومر المسيح بن مريم عليهما السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده ولاحمد من حديث جابر بن سمرة ان امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه ولابى داود من حديث ابى هريرة شتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدأ ينتصر منه قام عليه السلام فقال انك كنت ساكتا لما شتمنى فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس فى مجلس فيه الشيطان (وما ارتكب) اى وذكر ما اكتسب (الحقود من مكروه كترك الاعانة فى الحاجة) وقد قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى * (والدعاء) اى وكترك الدعاء له فى الغيبة فان الدعاء

يستجاب فى غيبة المؤمن ويكون للداعى مثله (والوعظ) اى النصيحة وترك الفضيحة فقد ورد الا ان الدين النصيحة قيل لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المؤمنين وعامتهم (والرفق) اى بالنية الصحيحة (فورد ان الله يحب الرفق) اى اللطف وهو ضد العنف وقد تقدم مخرجه (ومن حرام كالشماتة) وهى الفرح ببلية العدو (والاعراض) عند المواجهة بترك السلام والكلام (والاهانة) بترك القيام والتوسيع فى المقام (والغيبة) اى ذكر مايكرهه فى الغيبة (وترك صلة الرحم) ان كان من ذوى القرابة (وقضاء الحق) اى وتركه من حقوق المسلمين من رد السلام وتشميت العاطس وعيادة المريض وامثالها (والنصيحة) اى وتركها (وهى ارادة بقاء النعمة على المسلم مما) اى من شئ (له) اى للمسلم (فيه) اى فى ذلك الشئ (صلاح) دنيوى واخروى (عرف) كونه صلاحا (بغلبة الظن اوقيد بشرطه) اى اوقيد البقاء بشرط الصلاح بان يقول ان كان له فيها صلاح فابقها (وضدها) اى النصيحة (الحسد وهو ارادة زوالها) اى النعمة (عنه) اى عن المسلم (مماله فيه صلاح فان انتفى الصلاح) وقد اراد زوالها عنه مطلقا من غير ان باشر سببا لاجل زوالها (فغيرة) وهى مذمومة (وان اراد مثلها لنفسه دون الزوال عنه فغبطة ومنافسة) وهى خصلة محمودة ومنه قوله تعالى * وفى ذلك فليتنافس المتنافسون * وحديث الصحيحين عن ابن عمر لاحسد الا فى اثنين رجل آتاه الله علما فهو يعمل به و يعلمه الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق (والحسد) اى المذموم (حرام) لقوله تعالى * ام يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله * وعن الفضيل المؤمن يغبط والمنافق يحسد ولقوله عليه السلام * الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب * ابوداود من حديث ابى هريرة وابن ماجه من حديث انس وفى الصحيحين * لاتقاطعوا ولاتدابروا ولاتباغضوا ولاتحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا * وللبيهقى فى الشعب كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر (فآفاته) ستة (كراهة نعمته تعالى) فللطبرانى من حديث معاذ استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم (وقضائه) فعن زكريا عليه السلام قال تعالى الحاسد عدو لنعمتى ساخط لقضائى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى وقد يؤخذ هذا المعنى من قوله تعالى * ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما * وقال تعالى * لكل اجل كتاب * وكل شئ عنده بمقدار * وقد شكى نبى من الانبياء من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه فر من قدامها حتى تنقضى ايامها (وراحة المسلم) اى وكراهتها وهو من خصال المنافقين كما قال تعالى * فى حقهم

ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها * وقال معاوية كل الناس اقدر على رضاه الا حاسد نعمة فانه لايرضيه الا زوالها ولذا قيل

* كل العداوة قد يرجى اماتتها * الا عداوة من عاداك من حسد *

ومن هنا قال الله تعالى * قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور * وقال اعرابى ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن آدم لم تحسد اخاك فان كان الذى اعطاه الله اياه لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره الى النار (وفعل المعاصى) بالرفع اى من آفاته (كالتملق) فى الحضرة وانما يتملق الحسود على المحسود لئلا يطلع على ارادته الباطنة اذ الخائن يخاف من الفضيحة وهو من صفات المنافقين وقد سبق ان المؤمن ليس يتملق الا فى طلب العلم (والغيبة) اى غيبة المحسود فى الغيبة (والشماتة) وهى الفرح ببلية المحسود فللترمذى من حديث واثلة بن الاسقع لاتظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله و يبتليك وفى رواية ابن ابى الدنيا فيرحمه الله (فورد) فى التنزيل (ومن شر حاسد اذا حسد) اى اذا اظهر الحسد والا فلا يخلو الجسد من الحسد وعن الحسن انه سئل عن الحسد فقال غمة فانه لايضرك مالم تبده (والتعب فى الدنيا) فان الحسود لايسود ولعدم خلو الدنيا من ذى نعمة (والعقاب فى الآخرة بلانفع) اى للحاسد (بل ينفع المحسود فى الدنيا بمضرة العدو) وهو الحاسد (وفى الاخرة بطلب المكافاة) اى المجازاة على عمله الكاسد (وعمى القلب) الناشئ من عدم الرضاء بقضاء الرب (والخذلان) اى عدم النصرة (فى الدنيا والآخرة ففيه الاثر) اى المروى عن بعض السلف ان الحاسد لاينال من المجالس الامذمة وذلا ولاينال من الملائكة الا لعنة و بغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الاشدة وهولا ولاينال عند الموقف الافضيحة ونكالا (الا فى نعمة الكافر) مستثنى من قوله والحسد حرام (والفاسق المستعين بها على الفسق) والظالم المتقوى بها على الظلم (والمبتدع) الذى يشتد بها على البدعة (وهو يكره من حيث آلته) اى آلة ما ذكر من الكفر والفسق والظلم والبدعة (دون النعمة) اى اصلها (بخلاف الغيرة) فانها غير حرام (فورد أتعجبون من غيرة سعد) وهو ابن ابى وقاص (فوالله ان سعدا لغيور و انا اغير منه والله اغير منا) وغيرة الله ان يأتى المؤمن ماحرم الله عليه (والغبطة) اى و بخلاف الغبطة فانها ليست بحرام (فورد) اى فى التنزيل (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) اى ليرغب الراغبون و يطلب الطالبون المنازل العالية والمحافل الغالية وورد فى الحديث (هما فى الاجر سواء فيمن قال لوان لى مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله) اى من الخيرات والمبرات فلابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح مثل هذه الامة مثل اربعة رجال رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب العلم لوان لى مال فلان لكنت

اعمل فيه بمثل عمله فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته الله مالا فيقول لو ان لى مثل مال فلان لكنت اعمل بمثل عمله فهما فى الوزر سواء (فهى) اى الغبطة (تتبع ما غبط فيه) بصيغة المجهول (حرمة) كالمعاصى (واباحة) كالمباحات من الثياب الفاخرة وسائر النعم الظاهرة لكن الغبطة فى المباحات تناقض علو الحالات والمقامات كالزهد والرضاء والتوكل والقناعة والتسليم وتحجب عن المقامات الرفيعة من غير اثم فى قواعد الشريعة (ووجوبا) كالايمان والصلوة والزكوة وسائر الاعمال (وندبا) كانفاق الاموال فى تحسين الاحوال (والسبب) اى للحسد سبعة (خبث النفس وهو داء مدمن) اى لازم (لانه جبلى) لا علاج له فقد يوصف عنده حسن حال رجل من عباد الله فيما انعم به عليه مولاه فيشق ذلك عليه ويحب زوال نعمة الله تعالى عنه وليس بينه وبينه عداوة خفية ولا جنسية جلية ولا شئ مما ذكر من اسباب الحسد بل انما هو لخبث فى نفسه ورذالة فى طبعه لا يزول الا بموته كما تقدم فى ذمه (والرغبة فى نعمة الغير كالرياسة) فى مقام الجاه والسياسة فانه يحب ان يكون فريد دهره ووحيد عصره (وخوف فوت المقاصد كما فى الضرة) على توهم المضرة ومن هذا القبيل الاخوان عند الاب والتلاميذ عند العلماء والندماء عند الامراء بل ومن ذلك حسد العالم للعالم دون العابد وحسد العابد للعابد دون العالم وقس على هذا (والعداوة) الكامنة فى القلب (والتعزز بكراهة ترفع الغير عليه) فى المنازل والمحافل فيما بين اهل الفضائل ومنه قوله تعالى * اهؤلاء من الله عليهم من بيننا * (والتكبر) وهو من اردى الرذائل (والتعجب برجحان من ساواه) اى نسبا وحسبا ومنه قوله تعالى * ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون * تعجبوا من ان يكون الرسول بشرا وجوزوا ان يكون الاله حجرا ومنه ايضا قوله تعالى * وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم * وقوله * ءانزل عليه الذكر من بيننا * وقوله * اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم * (فمن ثم كثر الحسد بين الاقارب وقل بين الاجانب (لكثرة تحققها) اى المساواة فى ذوى القرابات (دون علماء الآخرة) فانه لا يكثر فيهم بل لا يوجد عندهم اذ مقصودهم معرفة الله تعالى وهى بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عنده وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس بسبب الكثرة (وورد) فى التنزيل (ونزعنا) اى فى الدنيا والاخرى (ما فى صدورهم من غل) اى حقد وحسد (اخوانا على سرر متقابلين وعلاج كل) اى كل واحد من اسباب الحسد (ضده) فعلاج خبث النفس سلامته وطيبه وعلاج الرغبة التنفر وعلاج الخوف الامن لعدم خلاف المقدور وعلاج العداوة المحبة والتعزز التذلل والتكبر التواضع والتعجب الاطمئنان بالتفكر فى قدرته وقضائه وارادته فى خليقته (وذكر الآفات المذكورة) اى من جملة علاج الحسد (وما ورد فيه) اى وذكر ما ورد فى ذم الحسد

(ووجوب) اى وذكر وجوب (موالاة المؤمن ورعاية حقوقه وعظم قدره والفوائد) اى وذكر الفوائد الواصلة من المؤمن اليه من ترك الحسد (كالتعاون) على البر والتقوى والتساعد على العلم والعمل والفتوى (وبركة الجماعة) لا سيما فى الجمعة والجنازة والمشاعر العظام والاجتماع بالعلماء الكرام والمشايخ الفخام وقد قال تعالى * ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم * وقال * ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء * وقال * بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا * اى حسدا ولله در القائل من ذوى الفضائل

* لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا فيك الذى يحمد *
* لا زلت محسودا على نعمة * فانما الكامل من يحسد *

ونعم المقال من بعض اهل الحال * حسد حافده وحفد حاسده

الباب الحادى عشر فى العزلة والخمول وحب الذم و بغض المدح

العزلة ضد الخلطة والخمول ضد الشهرة فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على الخلطة سفيان الثورى وابن ادهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وبشر الحافى وطائفة وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن المسيب والشعبى وابن عيينة وابو حنيفة وابن المبارك والشافعى واحمد بن حنبل وجماعة فعن الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال الثورى هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقيل كان مالك ابن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطى الاخوان حقوقهم فترك ذلك كله واحدا واحدا حتى ترکها كلها وكان يقول لا يتهيأ للمرء ان يخبر بكل عذر له وقال الفضيل انى لاجد للرجل عندى يدا اذا لقينى ان لا يسلم على واذا مرضت ان لا يعودنى وقال ابو سليمان الدارانى بينما الربيع بن خيثم جالس على باب داره اذ جاءه حجر فصكه فى الجبهة فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى اخرجت جنازته وكان سعد بن ابى وقاص وسعيد ابن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة للجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال له الك حاجة قال نعم قال ما هى قال ان لا ترانى ولا اراك وقيل للفضيل ان ابنك عليا يقول لوددت انى فى مكان ارى الناس ولا يرونى فبكى الفضيل فقال ويح على افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يرونى وعن ابن عباس افضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا ترى (بسم الله الرحمن الرحيم) الذى يأنس به ارباب الخلوة ويستأنس به اصحاب الجلوة (فى العزلة فوائد) تسعة (وهى الفراغ للعبادة فالخلق شاغلون) بل مانعون لاهل الارادة وفق العادة فانهم كما قال

تعالى ٭ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ٭ فعن الحاتم الاصم طلبت
من هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجد منها الواحدة طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم
يفعلوا فقلت اعينونى عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عنى ان فعلت فلم
يفعلوا فقلت لاتمنعونى عنها اذا فمنعونى فقلت لاتدعونى الى مالا يرضى الله ولاتعادونى
عليها ان لم اتابعكم فيها فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بمخاصمة نفسى فانها اولى
منهم بها (وكان عليه السلام يعتزل فى جبل حراء) اى فى اول امره كما فى الصحيحين
من حديث عائشة كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه اى يتعبد الليالى المتتابعة حتى
قوى فيه انوار النبوة وظهر منه اسرار الرسالة (والجمع) اى بين الفراغ والخلطة
(متعذر) فيتعين الخلوة (الالمن استغرق باطنه به تعالى) بحيث لايمنعه الوحدة عن الكثرة
ولاتحجبه الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبر عنها بالكائن البائن
والقريب الغريب والعرشى الفرشى (فغاب عنهم قلبا) اى جنانا (وشهدهم لسانا)
اى حضرهم بيانا و برهانا وهذا انما يتصور لمن اراد به سبحانه شانا فقد نقل عن الجنيد
انه قال انا اكلم الله منذ ثلاثين سنة والناس يظنون انى اكلمهم وقال بعضهم لايتمكن
احدهم من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله والمتمسكون بكتابه استراحوا من الدنيا
وبذكر الله عاشوا و بذكر الله ماتوا و بذكر الله لقوا الله وقيل لبعضهم ما اصبرك على
العزلة فقال ما انا وحدى انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجينى قرأت كتابه واذا
شئت ان اناجيه صليت وقيل الاستيناس بالناس من علامة الافلاس وقيل بينما اويس
القرنى جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ماجاء بك قال جئت لانس بك فقال
اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيأنس بغيره وقال بعض الحكماء انما يستوحش
الانسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة التى سبب انسه وقال الفضيل اذا اقبل الليل
فرحت به وقلت اخلو بربى واذا اصبحت استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجئ
من يشغلنى من ربى وعن بعضهم انى اصبح وامسى بين نعمة وخطيئة فاشغل نفسى
بشكر الله على النعمة وبالاستغفار من الخطيئة (والخلاص عن المعاصى) التى يتعرض
لها الانسان غالبا بالخلطة و يسلم منها فى الخلوة (كالرياء) والسمعة اذ كل من خالطهم
داراهم ومن داراهم راآهم ولقد صدق يحيى بن معاذ فى قوله رؤية الناس بساط الرياء
(والغيبة) والسكوت عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق
الردية والاحوال الدنية (والبدع) فى الاقوال المتعارفة (مثل كيف اصبحت) فانه
ان لم يكن على قصد الاعانة فهو نفاق وليس من اخلاق اهل الديانة فقد كان السلف
يتلاقون و يحترزون فى قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفى الجواب عنه وكان
سؤالهم عن احوال الدين لا احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت
فى نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا اباحامد السلامة من وراء الصراط

والعافية فى الجنة اى على بساط النشاط وحال الانبساط وقد ورد اللهم لاعيش
الاعيش الآخرة وكان اذا قيل لعيسى عليه السلام كيف اصبحت قال اصبحت لااملك
نفع ما ارجو ولا استطيع دفع ما احترز واصبحت مرتهنا بعملى والخير كله بيد
غيرى فلافقير افقر منى وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف اصبحت قال اصبحنا
ضعفاء مذنبين نستوفى ارزاقنا وننتظر آجالنا وكان ابوالدرداء اذا قيل له كيف
اصبحت قال اصبحت بخير ان نجوت من النار وكان سفيان الثورى اذا قيل له كيف
اصبحت يقول اصبحت اشكو ذا الى ذا واذم ذا الى ذا وافر من ذا الى ذا وقيل
لاويس القرنى كيف اصبحت قال كيف يصبح رجل اذا امسى لايدرى انه يصبح
واذا اصبح لايدرى انه يمسى وقيل لمالك بن دينار كيف اصبحت قال اصبحت فى عمر ينقص
وذنب يزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت قال اصبحت لاارضى حياتى لمماتى ولانفسى
لربى وقيل لحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل رزق ربى واطيع عدوه ابليس
وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ماظنك برجل يرتحل كل يوم الى الآخرة
مرحلة قلت وعن على كل نفس خطوة الى اجلك وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت
قال اصبحت اشتهى عافية يوم الى الليل فقيل له الست فى عافية كل الايام فقال العافية
يوم لا اعصى الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه ماحالك فقال وماحال من يريد
سفرا بعيدا بلازاد و يدخل قبرا موحشا بلامونس و ينطلق الى ملك عدل بلاحجة
وقيل لبعضهم ماحالك قال ماحال من يموت ثم يبعث ثم يحاسب (عافاك الله) اى
اذا كان اقبل السلام ولم يكن فى الجمام وعن الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك
اذا سلمت والله القلوب فاما الآن كيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله
فان اخذنا بقولهم كانت بدعة ولاكرامة فان شاؤا غضبوا علينا وان شاؤا لا وفى الاحياء
وانما قال ذلك لان البداية بقوله كيف بدعة (ومشاهدتها) اى ورؤية المعاصى
(فهو يورث الاستحقار بها) بل رؤية ارباب الدنيا فانه يورث الاستعظام بها
ومن هنا قال تعالى ٭ ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم لاتمدن عينيك
الى مامتعنا به ازواجا منهم ٭ وذلك لان مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق
الناس واعمالهم وسائر احوالهم داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين
فلا يجالس الانسان فاسقا اومبتدعا مدة مع كونه منكرا عليه فى باطنه الا ولوقاس
نفسه الى ماقبل مجالسته لادرك فيها تفرقة فى النفرة عن الفساد اذ يصير الفساد
بكثرة المشاهدة من العباد هينا على الطبع و يسقط عنه وقعه واستعظامه له فى الشرع
ومهما طالت مشاهدته للكبائر من غيره استصغر الصغائر من نفسه ولذا يزدرى
الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم فى ان يستصغر ماعنده ويؤثر
مجالسة الفقراء فى استعظام ماقدر له من النعماء فكذا النظر الى المطيعين والعصاة

فمن يقصر نظره على ملاحظة احوال الصحابة والتابعين فى عبادة المولى والتنزه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار والى عبادته بعين الاستحقار ومادام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو من داعية الاجتهاد رغبة فى الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة على اهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصى استعظم امر نفسه بادنى رغبة فى الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك لنفسه ومما يدل على سقوط وقع الشئ من القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان اكثر الناس اذا رأوا مسلما افطر فى نهار رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضى الى اعتقادهم كفره وهم يشاهدون من يخرج الصلوات عن اوقاتها ولا تنفر عنه طباعهم كنفرتهم عن تأخير الصوم مع ان صلوة واحدة يفضى تركها الى الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه وكذا لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب استبعدته النفوس وقد يشاهد فى مجلس طويل لا يتكلم فيه الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه والغيبة اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهون على النفوس امرها وقيل لبعضهم ما حملك على العزلة قال خشيت ان اسلب دينى ولا اشعر به فتفطن لهذا القول الاسد وفر من الناس فرارك من الاسد لانك لا تشاهد منهم الا ما يزيد على حرصك فى الدنيا وغفلتك عن العقبى ويهون عليك المعصية ويضعف رغبتك فى الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك الله صورته وانيسا يفكرك الله سيرته فالتزمه واغتنمه فان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السوء لكن الجليس الصالح عزيز الشهود فى صحن الوجود كما قال عليه السلام اخبر تقله والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وكما قيل * اعمى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر * فان الحر من لا يستعبده هواه ولا تسترقه دنياه بل تستغرقه خدمة مولاه وهذا معنى قوله (والجليس السوء) بفتح السين وضمها اى ومشاهدته او والخلاص منه (لتأثير الصحبة) اى خيرا او شرا بحسب الرتبة (فورد مثل الجليس السوء مثل القين) اى الحداد تمامه ان لم يحرق ثوبك اصابك ريحه ومثل الجليس الصالح مثل العطار ان لم يعطك من عطره اصابك من ريحه وفى البخارى من حديث ابى موسى مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه او تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة (والفتن) اى والخلاص من محن انواع الفتن وقل ما يخلو العباد فى البلاد عن تعصبات وخصومات (فورد) اى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص لما ذكر عليه السلام الفتن ووصفها وقال اذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه قلت فما تأمرنى

فقال (الزم بيتك) اى لازم سكونه (واملك عليك لسانك) اى التزم سكوته (وخذ ما تعرف) واعمل به (ودع ما تنكر) اى اتركه (وعليك بامر الخاصة) اى والزم خاصة نفسك (ودع عنك امر العامة) اى من لم يتعلق بك (حين قيل) ظرف لورد (ماذا تأمرنى فى زمان الفتن) والحديث رواه ابو داود والنسائى باسناد حسن وفى البخارى من حديث ابى سعيد الخدرى يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وللخطابى من حديث ابن مسعود وللبيهقى من حديث ابى هريرة وسيأتى على الناس زمان لا يسلم لذى دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذى يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصى الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد ابويه فان لم يكن ابواه فعلى يدى زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدى قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وفى الاحياء هذا الحديث وان كان فى العزوبة فالعزلة مفهومة منها اذ لا يستغنى المتأهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بالمعصية ولاجله قال سفيان الثورى والله لقد حلت العزلة اقول وفى زماننا وجبت وعن سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم فى بلاد الشام فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان قال ما هنأت بالعيش الا ههنا افر بدينى من شاهق الى شاهق فمن رآنى يقول موسوس او جمال او ملاح وعن ابن عمر انه لما بلغه توجه الحسين الى العراق لحقه على مسيرة ثلاثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق فاذا معه طوامير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فابى فقال ابن عمر انى محدثك حديثا ان جبريل اتى النبى عليه السلام فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله لا يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا الذى هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال استودعك الله من قتيل رواه الطبرانى فى الاوسط والبزار بنحوه واسنادهما حسن وكان فى الصحابة اكثر من عشرة آلاف فما خف ايام الفتنة اكثر من اربعين رجلا ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه فقيل له لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال رأيت مساجدكم لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة فى فجاجكم عالية وفيما ههنا عما انتم فيه عافية (وايذائهم) اى والخلاص عن ايذاء الجلساء فانهم يؤذونك تارة (بنحو الغيبة والنميمة) واخرى بسوء الظن والتهمة والنقول الذميمة ومرة بالاطماع الكاذبة التى يعسر الوفاء بها فيشتد الجفاء بسببها وقد قيل معاشرة الاشرار تورث الظن بالاخيار وقيل لعبد الله بن الزبير الا تأتى المدينة

قال مابقى فيها الا حاسد نعمة اوفرح بنقمة وقيل كان الناس دواء يتداوى بهم فصاروا داء لادواء لهم وعن ابى الدرداء كان الناس وردا لاشوك فيه فصاروا شوكا لاورد فيه وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصنى فقال اياك والناس وعليك بالناس ولابد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس و بقى الكناس والنسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا فى ماء الناس وقيل الزم الدفاتر اوالمقابر وقال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البنانى وكان ايضا من اولياء الله فقال للحسن بلغنى انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال الحسن و يحك دعنا نتعاشر بستر الله علينا انى اخاف الله ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نماقت عليه قال فى الاحياء وهذه اشارة الى فائدة اخرى فى العزلة وهى بقاء الستر على الدين والمروءة ولقد قال الشاعر

※ ولاعار ان زالت عن المرء نعمة ※ ولكن عار ان يزول التجمل ※

وقال ابو الدرداء اتقوا الله و احذروا الناس فانهم ماركبوا ظهر بعير الا ادبروه ولاظهر جواد الا عقروه ولاقلب مؤمن الاخربوه (وطمعهم) من اضافة المصدر الى الفاعل اى والخلاص من طمع الناس عنك فان رضاء الناس غاية لاتدرك (فرعاية الحقوق شديدة) ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز وعيادة المريض وحضور الولائم والاملاكات (وفيها) اى فى رعاية الحقوق (ضياع الاوقات وفوات المهمات) والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها عائق ويستقل فيها المعاذير ولا يمكن اظهار تلك الاعذار فيقولون قام بحق فلان وقصر فى حقى و يصير ذلك سبب عداوة ومن عمم الناس كلهم بالحرمان رضوا عنه كلهم وعن عمرو بن العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء (والطمع عنهم) وفى نسخة فيهم اى والخلاص من ان يطمع هو فيهم (فالنظر الى زهرات الدنيا) اى انواع زينتها واصناف بهجتها (يحرك الحرص) وانبعث بقوة الحرص طمعه ثم لايرى الا الخيبة فى كثرة الاطماع فيتأذى بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع هنالك ولذا قال تعالى ※ ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وأمر اهلك بالصلوة و اصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ※ وقال عليه السلام فيما رواه مسلم من حديث ابى هريرة انظروا الى من هو دونكم ولاتنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وحكى ان المزنى خرج من باب جامع الفسطاط وقد اقبل ابن عبد الحكم فى موكبه فبهره مارأى من حسن حاله وهيئته فتلا قوله تعالى ※ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ※ ثم قال اصبر وارضى يعنى كما قيل

※ رضينا قسمة الجبار فينا ※ لنا علم وللاعداء مال ※
※ فان المال يفنى عن قريب ※ وان العلم يبقى لايزال ※

(ولقاء الثقيل والاحمق) اى والخلاص من ملاقاة الثقلاء والحمق ومشاهدة

اخلاقهم ومقاساة احوالهم (فهو اشد البلايا) اى المعنوية فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عيناك قال من النظر الى الثقلاء و يحكى انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له فى الخبران من سلب الله كريمتيه عوضه عنهما ماهو خير منهما فما الذى عوضك فقال فى معرض المطايبة عوضنى عنهما انه كفانى رؤية الثقلاء وانت منهم وقيل النظر الى الاحمق حمى باطن (وآفات) اى فى العزلة (وهى) عشرة (فوات التعلم فهو مقدم) على العزلة (لاقتصار العبادة) العلمية (والتقوى) العملية (اليه) ولذا قال النخعى وغيره تفقه ثم اعتزل وفى لطائف العارف الجامى قدس الله سره السامى ان العزلة بغير عين العلم زلة كما انها بغير زاى الزهد علة (والتعليم) اى وفواته (فهو اولى) من العزلة (ايضا) اى كالتعلم (ان كان) التعليم (فى علم الآخرة) اى علم ينفعه فى العقبى (وارعى حقه تعالى) بالاخلاص وابتغاء وجه ربه الاعلى وكذا (بالاحتراز عن الذمائم كالرياء وحب الجاه) من الاستكثار بالاصحاب والاتباع وما يتبعه من حب المال وسائر الاخلاق الذميمة فى الاحوال فحكم العالم فى هذا الزمان ان يعتزل ان اراد سلامة دينه فانه لايرى مستفيدا يطلب فائدة ليقينه بل يستعمله فى معرض المنافسة والمباهاة بعلمه وتبيينه ولايطلبه غالبا الا للتوصل الى التقدم على الامثال وتولى الولايات واجتلاب الاموال واستشعار الاذلال على الجهال فان صودف طالب الله ومتقرب بالعلم الى رضا مولاه فالاعتزال عنه و كتمان العلم منه من اكبر الكبائر (فورد اذا ظهرت الفتنة وسكت العالم فعليه لعنة الله) لم اجد له اصلا وقد قال تعالى ※ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون ※ وقد قيل مافسدت الرعية الا بفساد الامراء ومافسدت الامراء الا بفساد العلماء ومن هنا قيل فساد العالم فساد العالم فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذى ليس له دواء (والا) اى وان لم يكن تعليمه وتعلمه فى علم الاخرة (فالعزلة) متعينة بل واجبة (كما فى زماننا لذهاب علم الآخرة)من التفسير والحديث والفقه المتعلق بالعبادة فى اكثر البلدان (والعمل عليه) اى ولذهاب العمل على طبق العلم فى عامة اهل الزمان ولاينبغى ان يغتر الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبر بهم انهم ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها اوراغبين عنها وزاهدين فيها وليس الخبر كالمعاينة واما العلم الذى اشار اليه سفيان فهو علم الحديث وتفسير القرآن و معرفة سير الانبيا و الصحابة فان فيها التخويف و التحذير فان لم يؤثر

فى الحال فقد يؤثر فى المآل فاما الكلام و جدل الخصام والفقه المجرد الذى يتعلق بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات فلا يريد الراغب فيه الا الدنيا لا الله بل لا يزال متماديا فى حرصه الى آخر عمره ونهاية امره ومن هنا قال بشر الحافى حدثنا باب من ابواب الدنيا (وتعذر رعاية الحقوق) اى ولتعذرها او تعسرها من حقوق الاساتذة و التلامذة فعن ابى سليمان الخطابى دع الراغبين فى صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم مال ولا جمال اخوان العلانية اعداء السر اذا لقوك تملقوك واذا غبت منهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم عليك فما غرضهم العلم وحسن الحال فى المآل بل الجاه وكثرة المال وان يتخذوك سلما الى اوطارهم وحمارا فى حاجاتهم واوزارهم ان قصرت فى غرض من اغراضهم كانوا اشدا اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دلالا عليك ويرونه حقا واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم فتعادى عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنهض لهم سفيها وقد كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا (وموج الفتن) اى ولغلبة الفتن وما يترتب عليه من انواع المحن ما ظهر منها وما بطن فانك ترى المدرس فى رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن يتردد لديه فكأنه يهدى تحفة اليه فيرى حقه واجبا عليه فلا يزال يتردد الى ابواب السلاطين ويقاسى الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على بعض وجوه السحت من مال المسلمين من اليتامى والمساكين ثم لا يزال العامل يسترقه ويستخدمه ويمتهنه ويستبذله الى ان يسلم اليه ما تعده نعمة مستأنفة من عنده عليه ثم يبقى فى مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم مقته المبرزون ونسبوه الى الجنون وقلة التمييز والمعرفة فى الفنون وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثاروا عليه ثوران الاساود والآساد فلا يزال فى مقاساتهم فى الدنيا وفى مظالم ما يأخذه ويفرقه فى العقبى (والانتفاع) اى وفواته (من الغير) وكذا نفع الغير (بالكسب للكفاية) اى لكفاية نفسه من ابناء جنسه (او الصدقة) على غيره بالزيادة على قدر الكفاية بطريق القناعة (فهو) اى الكسب وفى نسخة فهى اى الصدقة (اولى من عمل الظاهر) كالصلوة والصوم وتلاوة القرآن وتوضيحه ان حالك لا يخلو من ان تكون محتاجا الى القوت اولا فان كنت محتاجا اليه فاشتغالك بالكسب اولى بل فرض كما لا يخفى وان كنت مستغنيا عنه فلا يخلو اما ان تكون فى خلوتك مشغولا بالاعمال الظاهرة فالكسب للصدقة افضل من العزلة لتعدى المنفعة واما ان تكون مشتغلا بالاعمال الباطنة من الانس بالله والحضور مع الله والتفكر فى صفات الله والتذكر لاحوال الآخرة فى عقباه والشوق الى لقاء ربه والذوق الى مقام رضاه فالعزلة اولى من الكسب ابقاء المنفعة ودوامها وتمامها فى الدنيا

والاخرى (والتأدب) اى فوات كسب الادب وتحصيله (بالارتياض) اى المجاهدة وقبول رياضة النفس والمعاودة (فى البداية والتأديب) اى وفوات تعليم الادب (بالرياضة) فى النهاية (وهو كالتعليم) فى مقام الهداية وفى الاحياء ويعنى بالتأدب الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة فى تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهى من الفوائد التى تستفاد بالمخالطة وهو افضل من العزلة فى حق من لم يتهذب بعد اخلاقه ولم يذعن لحدود الشرع شهواته واما التأديب فنعنى به ان يروض غيره وهو حال مشايخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيب حالتهم الا بمخالطتهم وللترمذى وابن ماجه من حديث ابن عمر المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم (والمؤانسة) اى وفوات الاستيناس والايناس بالناس فى المصاحبة والمجالسة كالانس بملازمة ارباب التقوى من الاولياء ومواظبة اصحاب الفتوى من العلماء وانما سمى الانسان بالانس لما فيه نوع من الانس لاسيما والمؤمنون اخوة وبينهم زيادة الفة لقوله تعالى * والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم * ولقوله عليه السلام * المؤمن يألف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف * رواه احمد عن سهل بن سعد (فهى) اى المؤانسة (مستحبة لقطع الملالة المنفرة للعبادة) اى كما هو فى العادة والرفق فى العبادة من حزم اهل الارادة فورد ان الله لا يمل حتى تملوا وقد تقدم ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين والايغال فيه برفق دأب المستبصرين ولذا قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس وقال مرة لدخلت بلدا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس قلت وكذا لا يصلح الناس الا الناس ومن هنا قيل ما زينة الناس الا الناس فلا يستغنى المعتزل اذا عن رفيق يستأنس بمشاهدته ويستلذ بمحادثته فى اليوم والليلة من ساعته فيجتهد فى طلب من لا يفسد فى ساعته تلك شيئا من طاعته فقد قال عليه السلام المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقد تقدم وليحرص ان يكون حديثه عند اللقاء فى امور الدين وحكاية المشايخ الصالحين والعلماء المجتهدين فهذا النوع من الجلوة فى بعض الاوقات قد يكون افضل من الخلوة فى تحسين المقامات فقد ورد نوم العالم عبادة ومنه كلميني يا حميراء (وثواب اقامة الجمعة والجماعة) اى وفوات اقامتهما وادامتهما (ونحوهما) من حضور الجنازة وصلوة العيدين ومجلس العلم ووقوف عرفة وامثالها (وحقوقهم) اى وفواتها (كالعيادة) للمرضى (والتشييع) للجنازة ومنها اجابة الدعوة فى نحو الوليمة وقد حكى عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوة وعيادة المرضى وحضور الجنازة بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون الا الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى قلل الجبال ميلا الى الفرار تفرغا للعبادة وحذرا من الشواغل فى الارادة

(والتواضع) اى وفوائه من آداب المخالطة ولا يقدر عليه فى الوحدة (فقد يحمل التكبر عليها) اى على العزلة (بحب زيارتهم تبركا) اى على سبيل التبرك والمعنى انه قد يكون الكبر سببا للعزلة وعلامته انه يحب ان يزار ولا يحب ان يزور ولو كان له الاشتغال بذكره والاستغراق فى فكره لبغض زيارة الناس اليه ووقوفهم عليه لشغلهم عن المقصود لديه ثم اعلم ان التواضع فى المخالطة لا ينقص عن منصب من هو كبير بعلمه اودينه وقد كان على يحمل التمر والملح فى ثوبه ويده ويقول

لا ينقص الكامل من كماله ❊ ما جر من نفع الى عياله ❊

وكان ابو هريرة وحذيفة وابى وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق وغيره على اكتافهم وكان ابو هريرة يقول وهو وال على المدينة والحطب على رأسه طرقوا لاميركم وكان عليه السلام يشترى الشئ فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطنى احمله فيقول صاحب المتاع احق بحمله رواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة فى حمله سراويله الذى اشتراه ثم اعلم ان من حبس نفسه فى بيته لتحسين اعتقاد الناس فى حقه فهو فى عناء حاضر فى الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى فلا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعلما وعبادة واشتغالا بامره تجردا وزهادة بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته او كثرت آفاته اوتشوشت عليه عباداته فمن شغل نفسه لطلب رضى الناس فهو مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان الخلق لا يغنون عنه من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه الحق واسخط عليه الخلق بل رضى الناس غاية لا تدرك ولذا قيل

من راقب الناس مات غما ❊ وفاز بالراحة الجسور ❊

وقيل للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك فى السؤال فتبسم وقال للقائل هون على نفسك فانى حدثت نفسى بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسى بالسلامة من الناس لانى قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى يارب احبس عنى السنة الناس فقال ياموسى هذا شئ لم اصنعه لنفسى فكيف افعله لك واوحى الله سبحانه الى عزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك علكا فى افواه الماضغين لم اكتبك عندى من المتواضعين وفى الحديث النبوى اذكروا الله حتى يقولوا مجنون وقد قالوا فى حق اعقل الخلق مجنون وساحر ومسحور وكذاب وشاعر ومغرور (والتجارب) اى وفوائه فانها تستفاد من المخالطة ولا توجد فى العزلة فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الاخلاق الذميمة انما تنفجر وتظهر آثارها من القلوب السقيمة اذا حرك بادنى الحركة المستقيمة كما يشير اليه خبر اخبر تقله وقولهم حرك ترى ما يجرى (فتتعلق بها) اى بالتجارب (مصالح الدارين) من المناقب والمراتب (لاسيما الرياضة) فى ترك

المناصب وعند حصول المصائب فمن هنا كانوا يجربون انفسهم فمنهم من كان يحمل قربة ماء اونحوه بين الناس على ظهره اوحزمة حطب على رأسه ويتردد فى الاسواق لتجربة نفسه اذا استشعر كبرا فى باطنه فان غوائل النفس ومكائدها قل من يتفطن بها فقد حكى عن واحد انه قال اعدت صلاة ثلاثين سنة مع انى كنت اصليها فى الصف الاول ولكنى تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا فى الصف الاول فوقفت فى الصف الثانى فوجدت نفسى تستشعر خجلة من نظر الناس الى وقد سبقت الى الصف الاول فعلمت ان جميع صلاتى كانت مشوبة بالرياء فالمخالطة لها فائدة ظاهرة فى استخراج القبائح واظهارها ولذا قيل السفر يسفر عن الاخلاق فانها نوع من المخالطة مع الخلق واذا عرفت هذا فان تحققت الفوائد وانتفت الآفات فاختر العزلة والا فالخالطة وان تقابلا فخذ بالارجح فى المسألة (والاصل الاستغناء من القلب اذا كان مشحونا بذكر الرب والافضل هو الجمع بين الخلوة والجلوة كما يشير اليه قول الشافعى الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فى المحادثة فكن بين المنقبض والمنبسط ولذا قيل كن وسطا وامش جانبا ويومى اليه فى قوله تعالى ❊ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (وحقها) اى العزلة (نية الاحتراز) اى الاحتراس (عن شر النفس) وما فيها من الوسواس (والغير) اى وغيرها من الجنة والناس فينبغى للمعتزل ان ينوى بعزلته كف شر نفسه عن الابرار ثم طلب السلامة من شر الاشرار (والتقصير فى رعاية الحقوق) اى ثم الخلاص عن آفة القصور عن القيام بحق الانام (والتجرد للعبادة) اى ثم العزيمة بكنه الهمة للعبادة والفراغ للطاعة (وتهذيب الاخلاق) بان يكون فى خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر ودفع الامل وانتظار الاجل (والسلوك فى طريقه تعالى) بمنع الناس عن زيارته لئلا يكون مشوشا فى وقته وحالته وعدم السؤال عن اخبار الناس وافعالهم واراجيفهم فى احوالهم والقناعة باليسير من المعيشة والصبر على ما يلقاه من اذى الجيران وغيرهم وعدم الاصغاء الى ما يقال فى حقه من مدح فيه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة وينبغى ان يكون له اهل صالح اوجليس معتمد عليه يستريح نفسه اليه فى اليوم ساعة عن كد المواظبة فى الطاعة ثم لا يتم له الصبر فى العزلة الا بقطع الطمع عن الدنيا وما الناس منهمكون فيه مما يوافقه او ينافيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل وتقريب الاجل (والحضور فى نحو الجمعة) فانه فرض (والجماعة) فانه واجب اوفرض كفاية اوسنة مؤكدة (والعيد) فانه واجب اوسنة من سنن الهدى وشعار اهل التقى (والحج) فانه طريق اهل السلوك (ومجالس العلم) فانه لا يستغنى عنه الصعلوك ولا الملوك ولا المملوك (ويجوز الترك) اى ترك الحضور فى تلك الامور (عند معارضة منكر الخش منه) اى من ترك الحضور (والاحب حينئذ ان يسكن موضعا) بعيدا

من العمارات (بسقطها) اى المذكورات من الجمعة والجماعات ونحوها من المأمورات (والسكون فى رباط السالكين) اى خانقاه الصالحين (يفيد سلامة العزلة) عن آفات الخلطة (و بركة الجمعة) والجماعة (والتعاون على البر) والتقوى (والتأدب) بآداب اهل الشرع والفتوى (فلسان الحال افصح) من بيان القال (وورد) فى التنزيل اتقوا الله (وكونوا مع الصادقين والطريق) اى الموصل للعزلة (الاستغراق بالعباده) ذكرا وفكرا وعلما وعملا وصبرا وشكرا صحوا ومحوا وسكرا وفناء و بقاء وقبضا و بسطا (فالاستيناس بالناس من الافلاس) اى من علامة الافلاس عن مقام الايناس فاذا رأيت نفسك تتطلع الى سلامهم و كلامهم وملاقاتهم فى مقامهم فاعلم ان ذلك فضول ساعة الفراغ وفى الحديث نعمتان مغبون فيهما اكثر الناس الصحة والفراغ وقيل

❁ ان الشباب والفراغ والجدة ❁ مفسدة للمرء اى مفسدة ❁

ومتى ماانقت العبادة ولازمتها حق الملازمة و وجدت حلاوة المناجات مع الحضرة واستأنست بكتاب الله وآياته واخبار رسوله وآثار صفاته استوحشت عن الاغيار على انه ليس فى الدار غيره ديار فى نظر الابرار وفى بعض الاخبار ان موسى عليه السلام كان اذا رجع من المناجات يستوحش من كلام الناس و يجعل اصبعيه فى اذنيه كيلا يسمع كلامهم ولا يفهم مرامهم فعليك بما قال بعضهم اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا شاهدا كنت فيه اوغائبا قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا (وقطع الطمع) عن الخلق بل عن الحق ايضا بان يعطيك غير ماقسم لك فيهون عليك امر الخلق والنظر اليهم والطمع فيهم فان من لاترجو نفعه ولاتخاف ضره فوجوده وعدمه سواء عليك وقبوله ورده مستو لديك وهذا نبذة من توحيد الافعال حيث قال تعالى خبرا عن مآلهم من الاحوال ❁ واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولايملكون موتا ولاحيوة ولانشورا (وذكر الآفات) اى آفات الخلطة وفوائد العزلة (وايثار الخمول) فانه الراحة وضده الشهرة ففيها الآفة (وهى) اى صفة الخمول (فضيلة عظيمة) ومنقبة جسيمة وقد قيل فى تعريفه هو اسقاط النفس عن نظر الخلق (فورد رب اشعث) اى متفرق الشعر (اغبر) مغبر الوجه (ذى طمرين) اى كسائين اسودين اوازارين خلقين (لايؤبه له) اى لايعتبر له عند اكثر الخلق (لواقسم على الله) فى شئ نفيا او اثباتا (لابره) اى لجعله الحق بارا فى قسمه ذلك بان يجعله مطابقا لما اراده هنالك والحديث رواه مسلم من حديث ابى هريرة بلفظ رب اشعث مدفوع بالابواب لواقسم على الله لابره وللحاكم رب اشعث اغبر ذى طمرين ينبو عنه اعين الناس لواقسم على الله لابره وقال صحيح الاسناد ولابن ابى الدنيا ومن طريق الديلمى من حديث ابن مسعود رب ذى طمرين لايؤبه له لواقسم على الله لابره اوقال اللهم انى اسئلك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وفى الاحياء عن ابى هريرة

مرفوعا ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذى طمرين لايؤبه له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوايج احدهم تتجلجل فى صدره لوقسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وسكت عليه مخرجه وفى رواية ان من امتى من لواتى احدكم فسأله دينارا لم يعطه اياه ولوسأله درهما لم يعطه اياه ولوسأله فلسا لم يعطه اياه ولوسأل الله تعالى الجنة لاعطاها اياه الطبرانى فى الاوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح وزاد فى الاحياء ولوسأله الدنيا لم يعطه اياها ومامنعها اياه لهوانه عليه بل لكرامته لديه قال مخرجه وروى مرسلا (ولواتسع الجاه بلا طلب فغير مذموم كما للانبياء) والمرسلين (والخلفاء) الراشدين (والائمة) المجتهدين من العلماء والصلحاء المعتمدين (الا ان فيه) اى فى اتساع الجاه (فتنة للضعفاء) اى ابتلاء ومحنة لغير الاقوياء حيث لم يتلذذوا بحال الفقراء فى خاطرهم ميل الى مقام الاغنياء وذهلوا عما ورد من ان سليمان يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة عام او كذا ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة بعد فقراء المهاجرين بخمسمائة عام بل فى الاحياء ان عذاب الكافر الفقير اخف من الغنى فى دار البقاء (فورد) من حديث انس عند البيهقى (حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه) اى بالعلم والعمل اى مخافة عجبه وغروره (ودنياه) اى بالمال والجاه اى خشية كبره و بطره وفسر الحسن دينه بالبدعة ودنياه بالفسق (وانما المذموم حب الجاه) اى لاوجوده وشهوده (فورد) فى التنزيل (تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض) اى لايحبون اعتلاء بالجاه والمال اذ لايريدون استعلاء بغير الحق (ولافسادا) بحال الخلق بل يريدون صلاحا لاهل الحق لكن كما قيل آخر مايخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولوكان من حيث المشيخة وباب السياسة والحاصل ان الله سبحانه علق جعل الدار الآخرة بنفى ارادة العلو المستلزم لحب الجاه دون نفس الجاه فعلم ان المذموم حب الجاه دون نفس الجاه من غير حب له (واصله) اى الجاه (انتشار الصيت) واشتهار السمت فالخمول محمود الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه لقوة يقينه (وحقيقته) اى الجاه (ملك القلوب) المطلوب منها تعظيمها وطاعتها (الموصل الى المقاصد) اى الدنيوية وقد تكون الدينية والاخروية قال ابن ادهم ماصدق الله من احب الشهرة وقال ايوب السختيانى ماصدق الله عبدا لاسره ان لايشعر بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا كبرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابى العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة قام وقال بشر لايجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس وعن معاذ بن جبل ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة الطبرانى والحاكم

وصححه وقال الفضيل بلغنى ان الله عز وجل يقول فى بعض مايمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلنى عندك من ارفع خلقك واجعلنى فى نفسى من اوضع خلقك واجعلنى عند الناس من اوسط خلقك وقال الثورى وجدت قلبى بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب خوف وعبادة (وهو) اى الجاه (اشهى) اى الذ (من المال) ولذا يبذل المال لتحصيل الجاه ولانه يحصل به المال واوفى المآل (وتحصيل الغرض) من حظ النفس واتباع الهوى (به) اى بالجاه (ايسر) اى اهون من تحصيله بالمال (مع انه) اى الجاه (مأمون عن نحو السرقة والغصب) بخلاف المال (ونام) اى منتشر فى العالم (دون التعب) ببذل المال وبيان الحال (ومطاع بالطوع) اى بالرغبة فى خدمته لارباب الكمال واصحاب الجمال (لحرام) اى الجاه (ان كان بارتكاب ذنب كالكذب) بكونه علويا فى النسب او من نسل الملوك والعلماء والمشايخ فى الحسب (والخداع باظهار انه عالم اوورع اوشريف وهو بخلافه) من جاهل اوفاسق اووضيع ومن هنا قيل فمن ادعى المشيخة فان كان صادقا فهو افضل الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلائق وقدورد ماذئبان ضاريان فى زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال فى دين الرجل المسلم رواه النسائى والترمذى وقال حسن صحيح من حديث كعب بن مالك (وبيع العبادة) اى وحرام ان كان بيعها وهى من امور الدين بشئ من امور الدنيا مالا اوجاها (فجعلها) اى العبادة النافعة فى العقبى (وسيلة للدنيا) الدنية الفانية (جناية) وعلى نفسه خيانة (والا) اى وان لم يكن حب الجاه بارتكاب ذنب ولا ببيع عبادة (فمباح) وبضم نية نفع مسلم اودفع ظالم يصير مندوبا وقد يكون مطلوبا (فورد) فى يوسف (قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم) اى مخاطبا لملك مصر فانه طلب منزلة فى قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا الى طلبه وكان صادقا فى قوله ونافعا لغيره فى امره (والاولى) لغير الاقوياء (الاحتراز عنه) اى عن طلب الجاه فانه لايخلو عن خطر لحظ نفسه ومايهواه (ففيه آفات) اربعة (وهى النفاق) لان صاحب الجاه لايستغنى عن المداهنة فى الاخلاق وهى مخالفة الظاهر الباطن قولا اوفعلا (واضطراب القلب) اى تزلزله عند ظهور العيوب (لشغله برعاية القلوب وحفظ الجاه) اى تمامه بين العباد ودوامه فى البلاد (ودفع الحساد) اى ضررهم وشرهم العناد (الاقدرا) استثناء من الاحتراز اى الا قدرا يسيرا من الجاه (يعين على الطاعة) و يكون سببا للراحة بقدر الاستطاعة (كاستمالة قلب خادم يتعهد) امورا ضروريا للمخدوم (اورفيق يعاون) فى السفر اوالحضر على البر والتقوى ومحافظة امور العقبى (اوسلطان يدفع الشر) والبلوى (والسبب) اى سبب حب الجاه ثلاثة (طول الامل) اى بتبعيد الاجل (وخوف الآفة) اى توهم المحنة التى تكون منشأ للمهنة

وتوضيحه ان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان وان كان مكفيا فى الحال فانه طويل الآمال فيخطر بباله ان المال الذى فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه فلايدفع الم خوفه الا الامن الحاصل لوجود مال آخر يفزع اليه ان اصاب هذا المال جائحة فهو ابدا الشفقته على نفسه وحبه للجاه يقدر طول الحيوة و يقدر هجوم الحاجات و يقدر امكان تطرق الآفات وهذا خوف لايوقف له عند مقدار مخصوص من المال اوالجاه ومن هنا ورد منهومان لايشبعان منهوم العلم ومنهوم المال الطبرانى وغيره ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولايملأ جوف ابن آدم الا التراب و يتوب الله على من تاب (واستدعاء الطبع) اى استشعاره (الكمال) الحقيقى والوهمى (لتحقق الطبع) اى الخلق (الربوبى فى الانسان) من الاستعلاء والاستيلاء والتكبر والتجبر واظهار العظمة والكبرياء اذ معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال وكل انسان بطبعه محب لان يكون منفردا بالكمال فى الجمال والجلال ولذا قال بعض الصوفية مامن انسان الاوفى باطنه ماصرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد مجالا وفى الاحياء وهو كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فى جميع الاحوال (كالسبعى) من القتل والجرح والضرب والايذاء (والشيطانى) كالمكر والخديعة والاغواء (والبهيمى) من الاكل والشرب والوقاع مع النساء (فيحب) اى الانسان بالطبع الربوبى (الاستعلاء بالاسترقاق) اى استرقاق العبيد على وجه الاكثار واستعباد اجساد الاحرار (ان امكن) الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة متى يتصرف فيهم بالاستسخار (كما فى الاجساد الارضية) من نحو الكلا والاغراس والاشجار بالقلع والابقاء والابداء والافناء وكالدراهم والدنانير والامتعة فيحب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها مايشاء من الرفع والوضع والعطاء والمنع فان ذلك قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبية محبوبة بالطبع والجبلة الخلقية ولذا احب الاموال وان كان لايحتاج اليها فى مأكله ومشربه وملبسه وشهوات نفسه (ثم بالاستمالة) اى بطلب ميل الخلق اليه ظاهرا وغلبة اوباطنا ورغبة (كما فى القلوب) طوعا وكرها (ثم بالاطلاع) اى الاشراف (كما فى السموات) وفى نسخة السماويات اى اخبارها وامورها واسرارها (وعالم الملكوت) من العرش والكرسى وحولهما من الملائكة وانوارها اوالمراد بالملكوت عالم الباطن بما يخطر من الخطرات والعزائم فى الحركات والسكنات والحاصل ان مطلوب القلب الكمال والكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور وفسرور كل انسان ولذته بقدر مايدركه من الكمال فهذا هو السبب فى كون العلم والمال والجاه من المحبوبات وهوامر وراء كونه محبوبا

لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه العلة قدتبق مع سقوط الشهوات واللهوات بل يحب الانسان من العلوم مالايصلح للتوصل به الى قضاء الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض والاعواض ولكن الطبع يتقاضى العلم فى جميع العجائب والمشكلات لان فى العلم استيلاء على المعلومات وهونوع من الكمال الذى هو من الصفات الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو كان صاحبه فى مقام العبودية (والعلاج) اى علاج رفع حب الجاه خمسة اشياء (العلم بانه) اى الجاه الدنيوى (كمال وهمى) ليس فى الواقع كمال حقيقى (لزواله بالموت) انتهاء ولحدوثه ابتداء (ولان القدرة الحقيقية لله تعالى) ازلا وابدا (وفيه) اى فى الجاه الوهمى الصورى (التشبه بالسباع والشياطين والبهائم) كما تقدم (اما الحقيقى) اى كماله (فمعرفته تعالى ومحبته ومايعين عليه) اى على كماله من العلم والعمل كما حكم به شرعه وانما يكون هذا كمالا حقيقيا (لبقائه بعد الموت) فالكمال الحقيقى ماينتقل مع صاحبه ولاينفك عن جانبه (وفيه) اى فى هذا الكمال (التشبه بالانبياء والملائكة) الموصوفين بكمال المعرفة والمحبة الدائمة الباقية فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان وهم غافلون واقبلوا على طلب الكمال بالجاه والمال وهو الكمال الذى لايسلم من الزوال وان سلم فى الحال فلابقاء له فى المآل واعرضوا عن كمال الحرية والمعرفة المسمى علما الدنيا واذاحصل كان ابديا لاانقطاع له لكونه سرمديا فهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلاجرم لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى * المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا * فالعلم والقربة هى الباقيات الصالحات التى تبقى كمالا فى النفس واما المال والجاه فيفنى فى الحال او المآل كما مثله الله تعالى بقوله * انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الآية (وآفات الدنيا) اى والعلم بها (وخساستها) اى دناءة نفسها من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها فلله در القائل

* اشد الغم عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا *

ولآخر من اهل الفضائل

* اضغاث احلام وظل زائل * ان اللبيب بمثله لايخدع *

(وماورد) اى والعلم بما جاء من السنة (فى ذم الجاه ومدح الخمول) على ما تقدم (واحوال السلف فى ايثار العقبى) على مناصب الدنيا ومعاونة بعضهم لبعض فى البر والتقوى فقد كتب الحسن البصرى الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت وقدمات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكتب عمر بن عبد العزيز فى جوابها اما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقروا الجاه والمال فى الدنيا وبصائر اكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة

لايتعد نورها الى مشاهد العواقب الآجلة كما قال تعالى * بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى * وقال تعالى * كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة (ومباشرة امر) بالرفع عطفا على العلم اى والعلاج العمل وهو مباشرة فعل (يسقطه) اى جاهه وقدره عن قلوب الخلق واعينهم ويفارقه لذة القبول ويأنس بالخمول ويقنع بنظر الخالق وقبوله وهذا طريق الملامتية الطالبين للحالة السلامتية (كشرب الماء الحلال (فى قدح يشبه الخمر لونا) اى يشبه لونه لون الخمر حتى يظن به انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا فى جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لايفتى به الفقيه مهمارأوا صلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون مافرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف فى الطريق حتى عرفوه واخذوه وضربوه واستردوا منه الثياب وسموه لص الحمام (الاان يكون متبوعا) اى من المقتدين حيث لايجوز ان يفعل مالايكون بظاهره مشروعا فانه يوهن الدين فى قلوب المسلمين واما الذى لايقتدى به فلاينبغى له ايضا ان يقدم على محظور لاجل ذلك (فيباشر مايرى مباحا) مما يسقط قدره عند الناس (كاظهار الشره) بفتحتين اى الحرص فى الطعام كما روى ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى طعاما وبقلا واخذ يأكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذى صرفك عنى وهذا بالنسبة الى المتقدمين واما فى زماننا فمن عمل بالكتاب والسنة فى امره لم يلق صديقا فى دهره مدة عمره (والاقوى) اى فى المعالجة (القناعة) بلزوم الطاعة وعدم الطمع من اهل الاستطاعة والاكتفاء بما لابد منه للاحياء كلقمة تسد جوعته وخرقة تستر عورته وبيت يدفع عنه حره وقره (والاغتراب) اى وطلب الغربة والهجرة الى موضع الخمول وعدم الشهرة (واما الاعتزال فى الوطن فلا يخلو عنه) اى عن نوع من الجاه (لمعرفة الناس به) فان المعتزل فى البلد التى هو فيها مشهور لايخلو فى بيته عن حب المنزلة التى يترشح له فى القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور بها وانما سكت نفسه لانها قدظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوا فيه وذموه جزعت نفسه وتألمت ثم لايمكنه ان لايحب المنزلة فى قلوب الناس مادام يطمع فيهم فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع الطمع عنهم اصبح الناس كلهم عنده كالاراذل فلا يبالى اكان له منزلة فى قلوبهم كما لايبالى بما فى قلوب الذين هم منه فى اقصى المشرق او المغرب لانه لايراهم ولايطمع فيهم ثم لاينقطع الطمع عنهم الا بالقناعة فمن قنع شبع واستغنى عن غيره ومن هنا ورد لايكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر (ثم الاولى) فى باب العلاج (كراهية المدح وحب الذم) فان معالجة الفساد انما تكون

بالاضداد (فورد ويل للصائم و ويل للقائم و ويل لصاحب الصوف الامن تنزهت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة) كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث انس ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله ولم يخرجه ولده فى مسنده (ثم التسوية) اى تسوية المدح والذم بان لاتغمه المذمة ولاتسره المدحة قال بعض السلف اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وهذا قد يظن بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا به ان لم يمتحن نفسه فى حال انسه (ويعرف) استواء المدح والذم (بتسوية المادح والذام فى استثقال جلوسهما) عنده (والفرح بسرورهما والغم بمصيبتهما) وحزنهما ونحوه من المنع والعطاء فى فعلهما والسعى فى قضاء حاجتهما وما ابعد ذلك عن قلوب اكثر العباد من العلماء والعباد والزهاد فان وجد فهو الكبريت الاحمر يتحدث به ولايرى ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه فهذا على خير كبير وان كان قد بقى عليه بقية من الاخلاص الذى هو سبب الخلاص من الناس (ثم عكس الاول) الذى ذكر فى المرتبة الاولى وهى ان يحب المدح ويكره الذم فى الضمير (دون اظهار قول وفعل) فى وجههما بضرب وشتم او ثناء وعطاء (ثم باظهارهما) اى اظهار القول والفعل فى مقابلة المدح والذم فيقابل الذام بالشتم والضرب والمادح بالثناء والعطاء وهو حال اكثر الخلق (وحب المدح كحب الجاه حرمة) ان كان بارتكاب ذنب (واباحة) ان كان بامر مباح (ونفعا) اى كان لدفع شر (وضرا) ان كان بجلب نفع محرم كما سبق مفصلا (والسبب) لحب المدح ثلاثة (الشعور بكمال النفس) اى استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك الراجح وتقول لنفسك هذه الصفة التى يمدحك بها انت متصفة بها ام لا فان كنت متصفة بها فهى اما ان تكون صفة تستحق بها المدح كالعلم والورع فينبغى ان لاتفرح بها لان الخاتمة غير معلومة واما صفة لاتستحق المدح كالمال والجاه فالفرح بها كالفرح بنبات الارض مما تذروه الرياح ولا ينبغى ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغى ان يفرح بمدح المادح بل بوجودها فالمدح ليس هو سبب وجودها وشهودها فلا يجب ان يفرح به بل سبب وجودها هو الله سبحانه فهو المستحق للحمد والثناء تبارك وتعالى ومنه قوله عز وعلا * قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * وان كان الصفة التى مدحت بها وفرحت بسببها انت خالية عنها ففرحك بمدحه غاية الجنون عند اهل الفنون اذ مثال ذلك مثال من يهزؤ به انسان ويقول سبحان الله ما اكثر العطر الذى فى احشائك وما اطيب المسك الذى فى اعضائك وانت تعرف نفسك بكثرة الاقذار والنتن فى اثوابك واجزائك (والاستيلاء على المادح) فان المدح يدل على تسخير قلب المادح (واستمالة قلوب السامعين)

فهذا يرجع الى حب الجاه وعلاجه بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله (فيقوى) اى حب المدح اذا حصل (من المعتبر) علما وعملا اكثر واظهر من غيره (والمرتفع) قدره فى الجاه والمال وفى نسخة المترفع اى من اهل التصدر فى المجالس والمحافل وان لم يكن من ذوى الفضائل (وفى الملا اقوى) من الخلا وفيه خطر للممدوح ولذا قال عليه السلام للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة (والعلاج) اى علاج حب المدح شيئان (علاج الجاه) اى حبه وقد تقدم حكمه (وعلمه) اى الممدوح (ان الصفة الممدوح بها ان فقدت) بان يكون كذبا (فاستهزاء) وهذا كثير فى قصائد الشعراء للاغنياء والامراء وقد ورد اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب وهو كناية عن الخيبة او ايماء الى دفع شرهم بباب من الابواب وسبب من الاسباب من اعطاء الدراهم والدنانير والثياب فقد ورد ما وقى به العرض فهو صدقة (وان وجدت) اى تلك الصفة بان يكون صادقا فى قوله (فالدنيوية) من المال والجاه (كمال وهمى والدينية) من العلم والعمل (موقوفة على الخاتمة) اى حسنها وهى غير معلومة فانما الاعمال بالخواتيم كما ورد (والاولى) فى علاج حب الجاه (اظهار البغض للمادح قطعا للفتنة) ومن هنا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور بمدحته وما يتفرع عليه من محنته حتى ان بعض الخلفاء الراشدين سأل رجلا عن شئ فقال يا امير المؤمنين انت خير منى واعلم فغضب وقال انى لم آمرك ان تزكينى وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله فيهم فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فاشهدك على مقته وانما كرهوا المدح خيفة ان يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلائق لان الممدوح على الحقيقة هو المقرب عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله الملقى فى النار مع الاشرار فى دار البوار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من اهل الجنة فلا ينبغى ان يفرح الا بفضل الله و برحمته وليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله قل التفاته الى مدح الخلق وذم من سواه وسقط من قلبه حب مدحه واشتغل بما يهمه من امر دينه وحب ربه (وسبب كراهة الذم النقايص المذكورة) اى الاسباب المسطورة (فى حب الجاه) من الشعور بكمال النفس واستيلاء المدح واستمالة قلوب السامعين (والعلاج) لكراهة الذم (علم ان الصفة المذموم بها ان وجدت) فيك سواء قصد القائل به النصيحة او التعنت والفضيحة (فتبصير العيوب) وهو مطلوب اهل القلوب (وفيه الفرح) بالاطلاع على الصفة الذميمة (والشغل بالازالة) اى بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان قدرت عليها وليس للكراهة

مجال لديها فمن عمر رضى الله عنه رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسى (وان فقدت تلك الصفة بان يكون القائل كاذبا فى المذمة (فكفارة الذنوب) اى ابقية مساو بك فكأنه رماك بعيب انت برئ منه وطهرك عن عيب انت متلوث به (وفيه الشكر لله تعالى) اذلم يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما انت برئ منه وماستر الله من عيوبك اكثر فتدبر (والترحم عليه) اى على الذام (حيث اهلك نفسه) بذمك فالمسكين جنى على دينه حتى سقط من عين ربه واهلك نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الاليم يوم جزائه فلا ينبغى ان يغضب عليه مع غضب الله ابديه و يقول اللهم اهلكه ونحوه فيشمت الشيطان بك وبه بل ينبغى لك ان تقول رغما للشيطان وحزبه اللهم اصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه اللهم اهده (وورد) فى دلائل النبوة للبيهقى (اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون دعا) اى النبى عليه السلام (لقوم) من كفار قريش (كسروا سنه عليه السلام) اى رباعيته وشجوا رأسه وذلك باحد ودعا ابراهيم ابن ادهم لمن شج رأسه بالمغفرة فقيل له فى ذلك فقال اعلم انى مأجور بسببه فلا ارضى ان يكون هو معاقبا بسببى ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع فان من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك فى قلبك واصل الدين القناعة بما اعطاه الله من المال و بها ينقطع الطمع عن الجاه والمال واما مادام الطمع قائما فكان حب المدح والجاه يغلب فى قلب من طمعت فيه دائما

الباب الثانى عشر فى التواضع وذكر المنة

اى فى مدحهما وذم ضدهما وهما الكبر والعجب (بسم الله الرحمن الرحيم) الذى يتواضع له العرش الكريم (ورد) فى الحلية لابى نعيم عن ابى هريرة (من تواضع لله رفعه الله) ومفهومه من تكبر على الله وضعه وللبيهقى فى الشعب عن ابن عباس اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وللاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث انس ان التواضع لايزيد العبد الا رفعة ولمسلم فى اثناء حديث لابى هريرة وما تواضع احد لله الا رفعه الله ولاحمد والبيهقى فى الشعب باسناد صحيح من حديث عبد الله ابن عمر ومن كان فى قلبه مثقال حبة من كبر اكبه الله فى النار على وجهه وللترمذى وحسنه من حديث سلمة بن الاكوع لايزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب فى الجبارين فيصيبه ما اصابهم وللترمذى من حديث اسماء بنت عميس بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد سها والها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وبغى و نسى المبدأ والمنتهى ورواه الحاكم فى مستدركه وصححه (الشرف التواضع) فلابن ابى الدنيا الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وعن عروة بن الورد التواضع احد مصائد

الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال الفضيل التواضع ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبى قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وعن ابن المبارك التواضع ان تضع نفسك عند من دونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس عليك بدنياك فضل وان ترفع نفسك على من هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه انه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطى مالا اوجمالا اوثناء اوعلما ثم لم يتواضع فيه كان عليه يوم القيمة وبالا (وضده التكبر وهو اتباع الكبر) واظهاره كما ان التواضع اتباع الصفة واظهار المسكنة بان يرى نفسه دون غيره فى صفة الكمال فمن تكبر على امثاله فهو متكبر فى حاله ومن تأخر عنهم فهو متواضع فى مقام كماله (وهو) اى الكبر (ان يرى نفسه فوق غيره فى صفة الكمال فيحصل به نفخة) اى انتفاخ الكبر فى نفسه وعن ابن عباس فى قوله تعالى * ان فى صدورهم الاكبر ماهم ببالغيه * فقال عظمة لم تبلغوها وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر وعن ثابت بلغنا انه قيل يارسول الله ما اعظم تجبر فلان فقال اليس بعده الموت البيهقى فى الشعب هكذا مرسلا وروى انه خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن التواضع ان تخرج من منزلك فلاترى مسلما الارأيت له عليك فضلا وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر وفى الاحياء لعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد لايثبت نفسه ولايراها شيئا حتى يضعها و يرفعها (وورد اعوذبك من نفخة الكبر) روى ابوداود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه فنفخه الكبر ونفثه الشعر اوالسحر وهمزه الوسوسة فى السر (وآثاره) اى علامات الكبر ثلاثة عشر (الترفع فى المجالس) على الاقران اى من غير استحقاق له به (والتقدم فى الطرق) على الاخوان مع استحقاقهم به قال ابو الدرداء لايزال العبد يزداد من الله بعدا مامشى خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لايعرف من عبيده اذكان لايتميز عنهم فى صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصرى فمنعهم وقال مايبقى هذا من قلب العبد وكان عليه السلام فى بعض الاوقات يمشى مع الاصحاب فيأمرهم بالتقدم و يمشى فى الغمار اما لتعليم غيره واما لنفى وسواس الشيطان بالكبر والعجب كما انتزع الثوب الجديد فى الصلوة ولبس الخليق لاحد هذين المعنيين كذا فى الاحياء والمعروف نزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق ونزع الخميصة ولبس الانبجانية كما تقدم والله اعلم وللديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابى امامة بسند ضعيف جدا انه خرج يمشى الى البقيع فتبعه اصحابه فوقف وامرهم ان يتقدموا ومشى خلفهم فسئل عن ذلك فقال انى سمعت خفق نعالكم فاشفقت ان يقع فى نفسى شئ من الكبر (والنظر) الى الغير (بالماق) اى بطرف العين

تكبرا وتجبرا قال تعالى * يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور (وعين الاستحقار) بان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الان يجلس بين يديه فعن ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن ابى رواد فمس فخذى فخذه فنحيت نفسى عنه فاخذ بثوبى فجرنى الى نفسه وقال لم تفعلون بى ما تفعلون بالجبابرة انى لا اعرف منكم رجلا شرا منى وقال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت وقد تقدم مخرجه ومن ذلك ان يتوقى فى مجالسة المرضى والمعاولين وعنهم يتحاشى فكان ابن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته وقد ثبت اكله عليه السلام مع مجذوم وقال له قل بسم الله ثقة بالله رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه من حديث جابر (وتعويج العنق) مع تحريك الاطراف (واطراق الرأس) فروى ان عمر بن عبد العزيز حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال فى مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال ليست هذه مشية من فى بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها وعن الحسن ان فى كل عضو من الاعضاء لله نعمة وللشيطان به لعنة ورأى محمد بن واسع ولده يمشى يختال فدعاه فقال اتدرى من انت اما امك فاشتريتها بمائتى درهم واما ابوك فلا اكثر الله فى المسلمين مثله ولاحمد والطبرانى والحاكم وصححه والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر من تعظم فى نفسه واختال فى مشيته لقى الله وهو عليه غضبان ولعله مقتبس من قوله تعالى * ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا * ومن قوله * ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا * وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وفى لفظ مسلم خيلاء (والاتكاء) اى الميل الى احد جوانبه بحضور اقاربه واجانبه من غير ضرورة وعارضة فى بابه وكذا حكم التربع المشير الى الترفع (وقيام الناس بين يديه نجاه) اى فى الخبر او الاثر (ان من قعد والناس بين يديه قيام) واقفون بامره (فهو من اهل النار) والحديث معروف بلفظ من احب ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار احمد وابو داود والترمذى عن معوية وفى الشمائل للترمذى عن انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال الشبلى من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع حصة والتحقيق ان من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار اورد الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف من ان يخضع لله و يتواضع له بطاعته واتباع رسله فقد تكبر بينه وبين الحق (والمشى) اى الخروج (راكبا مع المشاة) بين يديه (وترك الخروج) من منزله ولو الى المسجد للجمعة والجماعة (الا بشخص

او اشخاص (عقبه وكان عليه السلام يمشى بين الجمع غير متقدم) كما تقدم (وعمل البيت) اى وتركه وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله عليه السلام ففى مسند احمد عن عائشة انه عليه السلام كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم وللبيهقى فى الشعب من حديث ابى هريرة من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وبالجملة فجامع حسن الاخلاق يؤخذ من سيرته عليه السلام واتباعه من اصحابه الكرام ولما عوتب عمر فى بذاذة هيئته عند دخول الشام قال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز من غيره (وحمل السلعة) اى وتركه (فورد من حملها) اى سلعته وفى رواية بضاعته (فقد برئ من الكبر) البيهقى عن ابى امامة ولابى يعلى الموصلى عن ابى هريرة انه عليه السلام حمل سروالا اشتراه لنفسه وابى ان يحمله غيره وقال صاحب المتاع احق بحمله وعن على كرم الله وجهه

* لا ينقص الكامل من كماله * ما جر من شئ الى عياله *

وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت ابن مالك رأيت ابا هريرة اقبل من السوق ويحمل حزمة من حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن مالك وعن الاصبغ بن ابى نباتة قال كأنى انظر الى عمر معلقا لحما فى يده اليسرى وفى يده اليمنى الدرة يدور فى الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رأيت عليا يشترى لحما بدرهم فحمله فى ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل ويروى ان عبد الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف قد كان فى غلمانك وبنيك ما يكفونك فقال اجل ولكنى اردت ان اجرب نفسى هل تنكر ذلك منى فلم يقنع منها بما اعطيه من العزيمة على ترك الانفة حتى يجربها اهى صادقة ام كاذبة وروى ان عمر بن الخطاب حمل قربة على عنقه فقال له اصحابه يا امير المؤمنين ما حملك على هذا فقال ان نفسى اعجبتنى فاردت ان اذلها وروى ان ابا موسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم فلبس عباءة صلى فيها بالناس (واحتمال الاذى) اى وتركه (فهو) اى احتمال الاذى من السب وغيره (هو الاصل) الذى عليه مدار حسن الخلق والتواضع للحق (المأثور) المروى عن السلف والخلف خلافا لاكلة الحشيش والعلف وقد قدمنا ما نقل عنهم فى ذم الغضب وما يتعلق به من الادب (ولباس الدون) اى وترك اللباس الخشن او الخلق او المرقع (فورد من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة) اى دفعها مع القدرة عليها (تواضعا لله وابتغاء وجهه) اى لا للرياء والسمعة فى حقه (كان على الله) اى واجبا بمقتضى وعده (ان يدخله عبقرى الجنة) اى ديباجها من سندسها واستبرقها ابو سعد الماليني فى مسند الصوفية وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة الدنيا لله الحديث وقد ورد البذاذة من الايمان ابو داود وابن ماجه من حديث

ابى امامة بن ثعلبة وقال هارون سألت عن معنى البذاذة فقيل هو الدون من اللباس
وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار
فيه اربعة عشر رقعة بعضها من ادم اى جلد وعوتب على فى ازاره مرقوع فقال
يقتدى بى المؤمن ويخشع له القلب وقال عيسى عليه السلام جودة اللباس خيلاء القلب
وقال طاوس انى لاغسل ثوبى هذين فانكر قلبى ماداما نقيين وقيل لسلمان الا تلبس ثوبا
جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به الى العتق فى الآخرة وما اعد الله
لعبيده من الثياب الفاخرة (ونزع عليه السلام الجديد) اى من الشراك والخميصة
(ولبس العتيق) منهما (للتعليم) اى لتعليم غيره (او البعد عن الوسوسة) فى نفسه على
ماتقدم (الا للنظافة) اى بقصدها فانه حينئذ لا بأس بترك الدون من اللباس ولبس
الثوب الفاخر كسائر الناس (فورد نفى الكبر فى حسن الثياب لمعرفة حال السائل)
اى لمعرفته عليه السلام لحال السائل ومقامه من المرام ففى الطبرانى من حديث ثابت
ابن قيس بن شماس انه سأل النبى عليه السلام وقال انى امرؤ قد حبب لى من الجمال
ما ترى فهل من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق اى جهله وانكره وغمص الناس
اى حقرهم رواه احمد من حديث عقبة بن عامر وفى رواية مسلم عن ابن مسعود
الكبر من بطر الحق وغمط الناس وفى رواية الترمذى من بطر الحق وغمص الناس
وقال حسن صحيح وفى رواية ابن بكار عن ابن مسعود قال جاء رجل الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انه ليعجبنى ان يكون ثوبى غسيلا ورأسى دهينا وشراك
نعلى جديدا وذكر اشياء حتى ذكر علاقة سوطه افمن الكبر هذا فقال عليه السلام لا هذا
من الجمال والله يحب الجمال لكن الكبر من سفه الحق وظلم الناس (ويعرف) اى حال من يلبس
للنظافة او كونه مظهرا للغنى شكرا للنعمة او كونه فقيرا يرى نفسه غنيا للعفة (بتسوية
الخلاء والملاء) عنده فى لباسه للنظافة ونحوها بان يلبس فى الخلاء للصلوة وغيرها
كما يلبس فى الملاء عند حضور الجماعة ونحوها ثم المحبوب الوسط المطلوب فللنسائى
وابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده كلوا واشربوا والبسوا
وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة (والغضب) بالرفع عطف على الترفع اى ومن آثار
الكبر الغضب (على من لا يبدأ بالسلام) او لا يبادر بالقيام ونحوه من انواع الاكرام
(والاهتمام) بالرفع اى والاغتمام (باصابة الخصم المناظر) اى المجادل فى منقوله
(والانكار عليه) اى وبانكار الخصم عليه فى معقوله وتوضيحه ان يناظر فى مسئلة
مع واحد من اقرانه فان ظهر شئ من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له
والاعتراف به والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق فذلك يدل على ان فيه
كبرا دقيقا فليتق الله وليشتغل بعلاجه اما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة
نفسه وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما بالعمل فبأن يكلف نفسه ماثقل

عليه من الاعتراف بالحق فيطلق لسانه بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز فى الاداء
ويشكره على الاستفادة ويقول ما احسن ما فطنت له من الافادة وقد كنت غافلا عنه
فجزاك الله عنى خيرا على ما نبهتنى له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغى ان يشكر
من دله عليها (وآفاته) اى الكبر ستة (منازعته تعالى) اى فى مشاركته سبحانه
فى بعض صفاته (فورد) فى صحيح مسلم وغيره (الكبرياء ردائى) اى بمنزلته فى اظهار
ملكى وجبروتى (والعظمة ازارى) اى بمنزلته فى اسرار ملكوتى والمعنى انهما
صفتان مختصتان بى كما ان رداء الانسان وازاره يختصان به ولا يشاركه احد فى لبسه
(فمن نازعنى فيهما) اى واحدا منهما كما فى رواية (قصمته) اى اهلكته وفى رواية
عذبته وفى اخرى القيته فى جهنم وفى اخرى قذفته فى النار (وبغضبه تعالى) اى له
فى الدنيا والاخرى (فورد) فى التنزيل (انه لا يحب المستكبرين) ومفهومه انه يحب
المتواضعين (وعمى القلب) بمعرفة الرب (فورد) فى التنزيل (سأصرف عن آياتى) اى
المنصوبة فى الآفاق والانفس من مصنوعاتى وقيل فى التفسير سادفع فهم القرآن
عن قلوبهم (الذين يتكبرون) تمامه * فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية
لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا *
وفى بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن مشاهدة ملكى وملكوتى وعجائب قدرتى
وغرائب جبروتى وقال ابن جريج سأصرفهم عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذا
قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت فى السهل لا فى الوعر وكذلك الحكمة تنمى فى قلب
المتواضع دون المتكبر الا ترى انه من تشمخ برأسه الى السقف شجه ومن طأطأ اظله واكنه
(ويطبع الله على كل قلب متكبر) بالاضافة ودونها (جبار) مبالغ فى الفساد
من قهر العباد وكسر البلاد (والذل) اى المذلة فى العاقبة والمهانة فى الآخرة وللترمذى
وحسنه من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده المتكبرون يوم القيمة فى صور الذر
يطؤهم الناس لهوانهم على الله وعن حاتم اجتنب الموت على ثلاثة على الكبر والحرص
والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل اهله
وخدمه والحريص لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يحوجه الى كسرة او شربة
ولا يجد مساغا والمختال لا يخرجه الله تعالى من الدنيا حتى يمرغه ببوله وقذره (والبعث)
اى التحريص والحث (على الذمايم) من صفات البهائم (كتغير الخلق) بان اسوء الخلق
كالبشاشة الى العبوسة (والجحد عن الحق) اى بانكاره وعدم اقراره وقد سبق فى الحديث
تفسير الكبر المذموم به ومنه البعد عن اهل الحق فقد قالت قريش لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء الفقراء فنزل قوله تعالى * ولا تطرد الذين
يدعون ربهم * رواه مسلم وابن ماجه (والحجب) اى ومنعه (عن الفضائل) وحجزه
عن حسن الشمائل (كالتواضع) للحق (والحلم) عن الخلق (والنصيحة) للعامة

من غير الفضيحة (والامر بالمعروف) اى وكذا النهى عن المنكر (ولايستلزمه) اى
اى الامر بالمعروف التكبر (فالعبد الرقيب) بامر الحبيب (يضرب والد المولى عند الاساءة
و يتواضع له) مع ذلك بعد تلك الحالة (ثم التخاسس) اى طلب الخسة المسمى بالضعة
وهو الافراط فى التواضع (كتأخر العالم عن الخصاف) ونحوه من النداف والعلاف
فى المجلس او الطريق (مذموم ايضا كعكسه) وللبغوى وابن قانع والطبرانى والبزار
من حديث انس طوبى لمن تواضع فى غير مسكنة وانفق مالا جمعه فى غير معصية
ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة ومن ذلك حديث من تواضع
لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه البيهقى فى الشعب عن ابن مسعود من قوله من خضع لغنى
ووضع له نفسه اعظاما له وطمعا فيما قبله ذهب ثلثا دينه وذلك لان آلة العبادة قلب
ولسان واركان وفى تعظيم الغنى لابد من استعمال اللسان والجوارح وله عن انس بلفظ
من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على ربه ومن اصبح يشكو مصيبة فانما
يشكو ربه ومن دخل على غنى فتضعضع له ذهب ثلثا دينه واخرج الديلمى فى حديث
ابى ذر لعن الله فقيرا تواضع لغنى من اجل ماله من فعله ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه
وكذا ابو داود ولم يصب ابن الجوزى فى ذكره فى الموضوعات كما قاله السيوطى
ومن التخاسس بل اخسه ان يمشى العالم خلف الظالم ولذا قيل بئس الفقير على باب
الامير ونعم الامير على باب الفقير وعن يحيى بن معاذ التكبر على ذى التكبر عليك بماله
تواضع و يقال التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنياء احسن والتكبر فى الخلق
كلهم قبيح وفى الفقراء اقبح وكان بشر الحافى يقول سلموا على ابناء الدنيا بترك السلام
(فالتواضع معه بعدم الاستحقار) فعن الصديق لايحقرن احدكم احدا من المسلمين
فان صغير المسلمين عند الله كبير ولمسلم من حديث ابى هريرة بحسب امرئ من الشر
ان يحقر اخاه المسلم (واظهار البشر) وفق مرامه (والرفق) بحسب مقامه (واجابة
الدعوة) فكان عليه السلام يجيب دعوة المملوك ونحوه (والسعى فى الحاجة) لقوله
تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى * وحديث من كان فى عون اخيه المؤمن كان الله
فى عونه * فالعدل ان يعطى كل ذى حق حقه فقد ورد اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه (لكن
التكبر الخش) من التخاسس اذ ورد عن بعض المشايخ ما يفاد به وكأنه كان فى مقام
المعالجة (والسبب) اى سبب الكبر الحقيقى (العجب فقط) اى العجب سبب الكبر
والكبر سبب التكبر فسبب سبب الشئ سبب لذلك الشئ وهو مذموم قال تعالى * ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم * ذكر ذلك الاخبار فى معرض الانكار ولابى داود والترمذى
وحسنه وابن ماجه اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه
فعليك بنفسك وللبزار والبيهقى فى الشعب من حديث انس لو لم تذنبوا لخشيت عليكم
ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وعن مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب

الى من ان ابيت قائما واصبح معجبا وكان بشر بن منصور من الذين اذا رأوا ذكر الله
فاطال الصلوة يوما ورجل جالس خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلوة
قال لايعجبك ما رأيت منى فان ابليس قد عبد مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار
اليه وقيل لعائشة متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وكأنه مقتبس
من قوله تعالى * وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * وفى الصحيحين بينما رجل
يتبختر فى برديه قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة
(ويطلق) اى الكبر (مجازا) اى بطريق المجاز (لوجود آثاره) اى آثار الكبر
من اسراره (على المنبعث من غيره) اى على الكبر المنبعث من غير العجب (كالحقد)
فى الباطن (والحسد) اعم (والرياء) فى الظاهر (ويختص هذا) الاخير وهو الكبر
المنبعث من غير العجب (بالملاء) دون الخلاء والمعنى ان الرياء يختص بالملاء دون الحقد
والحسد والعجب فان الذى يتكبر بها يستوى عنده الخلاء والملاء والحاصل ان آثار
الكبر اذا ظهرت من الكبر يسمى تكبرا حقيقة واذا ظهرت من غير الكبر كالحقد
والحسد والرياء يسمى تكبرا مجازا لا حقيقة لانها ليست من نتايج الكبر لكن لما كانت
صورتها صورة الكبر الحقيقى سميت تكبرا مجازا ثم اعلم ان العجب انما هو بالاسباب التى
بها يتكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأى الخطأ الذى تزين له بجهله وثمرته
الاستبداد بالرأى وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين لرأيه (والعلاج) اى علاج
الكبر خمسة اشياء (ذكر ما ورد فيه) اى فى ذم الكبر من الاخبار (واحوال السلف) الاخيار
وما صدر عنهم من الآثار فى ترك الكبر واختيار التواضع (ومواظبة اخلاق
المتواضعين) من العلماء الابرار والمشايخ الكبار (والتكلف فيه) اى فى رفع العجب
بدفع العجب او التكلف فى تحصيل اخلاق المتواضعين بالتشبه فى افعالهم والتزين
باحوالهم والتصنع باعمالهم فان المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص ويشير اليه
حديث ان لم تبكوا فتباكوا والعلم بالتعلم والحلم بالتحلم (وقلع العجب) اى استيصاله من اصله
وقطعه من مادة فرعه وفصله من وصله ولا يحصل اصل قلعه الا بقلع الحقد والرياء والحسد
من قلبه (وهو) اى العجب (استعظام النفس) اى عدها عظيمة برؤية قدرها فوق قدر
غيرها (وخصالها التى هى النعم) فيها جسمية ووسمية (مع الركون اليها) اى
الى النفس وما صدر منها وظهر عليها (ونسيان الاضافة) اى نسبة النعم (اليه تعالى)
وهو المنعم بجميع النعم على جميع الامم (والامن من الزوال) لتوهم انه من اهل الكمال
(فمن رأى النعمة منه تعالى) ابتداء (وفرح بها من حيث انها منه) اى من الله تعالى
ويستوجب عليه حمدا وثناء (وخاف على الزوال) اى زوال تلك النعمة انتهاء
(لا يكون معجبا) وان كان مستعظما لها (وهو) اى العجب (غير الادلال فهو) اى
الادلال (عجب مع رؤية حق النفس عنده تعالى) على مظنة ان لها الكمال فلا مدله

الاوهو معجب ورب معجب لايكون مدلا اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء والادلال لايتم لامع توقع جزاء (فورد ان صلوة المدل لاترفع فوق رأسه) وهو كناية عن عدم قبولها والحديث كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجدله اصلا وقال قتادة فى قوله تعالى * ولاتمنن تستكثر * اى لاتدل بعملك قيل ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكى وانت مدل بعملك او بعلمك (ويعرف) اى الادلال والمدل (بالتعجب) اى بعجبه (عن رد دعائه) حال استدعائه فى كشف بلائه اواستجلاب عطائه بناء على ظن انه من اهل ولائه (واستقامة حال مؤذيه) اى ويعرف ايضا بتعجبه من استقامة اهل ايذائه (وغير الكبر) اى والعجب ليس عين الكبر بل غيره (لكونه) اى الكبر (اثره) اى العجب والاثر غير المؤثر (واستدعائه) اى ولاستدعاء الكبر (المتكبر عليه) بخلاف العجب فانه يتصور بغيره حيث لايستدعى غير المعجب به (وهو) اى العجب (مذموم) لما تقدم (وآفاته) اى العجب ثمانية (الهلاك فهو) اى العجب (عد من المهلكات) فقد ورد ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه البزار والبيهقى والطبرانى فى الاوسط عن ابن عمر (ونسيان الذنوب) فانه لو ذكرها لما اعجب مع وجود العيوب وعن عيسى عليه السلام كم من سراج قد اطفأه نسيان الذنوب وكم من عمل قد افسده العجب (واستحقارها) اى استصغار الذنوب وهو قد عد من كبارها (وترك التدارك) اى لما فاته من الطاعات والعبادات وحقوق الآدميين والحيوانات (وتعهد آفات العمل) اى وترك تفقدها وتعهدها (على زعم انه مغفور) اى بناء على توهم انه غير مأخوذ بنقصها (والامن من مكره تعالى) ولو بالكرامات وخوارق العادات * فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون (والاستنكاف) اى العار (من التعلم) عن الابرار وهذا من كمال جهله (والاتعاظ) اى ومن الاتعاظ بغيره وقد ورد كفى بالموت واعظا والسعيد من وعظ بغيره والشقى من وعظ به غيره (وتزكية النفس) اى ومن آفات العجب ثناؤها ومدحها (وورد فى التنزيل (فلا تزكوا انفسكم) تمامه * هو اعلم بمن اتقى * وقال تعالى * ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها * وقال عليه السلام اللهم آت نفسى تقويها وزكها انت خير من زكيها انت وليها ومولاها قال ابن جريج معنى قوله لاتزكوا انفسكم اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لاتبروها اى لاتعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب (وضده) مبتدأ اى ضد العجب (وهو ذكر توفيقه تعالى) جملة معترضة مفسرة للمنة التى هى ضد العجب (فرض) اى حتم لازم (ان حدث داعية العجب فى خاطره والافنفل) فى امر باطنه وظاهره (والسبب) اى سبب العجب (خبث الطبع وهو) اى خبث الطبع (داء) معنوى (معضل) اى مشكل لادواء له (والجهل بالحقايق واعتقاد كمال النفس) اى بحقايق النفس

ودقايقها وهو انها من اى شئ خلقت ابتداء وماتكون فى عاقبة امرها انتهاء فانه مهما عرف نفسه حق المعرفة علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل فانه لايليق به الا التواضع والمسكنة واذا عرف ربه علم انه لايليق العظمة والكبرياء الا بالله وحده ثم معرفة ربه وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو الى علم المكاشفة يؤل واما معرفة نفسه فيكفيه ان يعرف معنى آية واحدة فى كتاب ربه ففيه علم الاولين والآخرين لمن فتح عين بصيرته ورفع حجاب قلبه فقد قال تعالى * قتل الانسان ما اكفره من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره * وفى الاحياء هنا كلام طويل فيه تنبيه جزيل (والعلاج) للعجب (قلع السبب) له (بالنظر) اى بالتأمل (فى حقارة النفس) وخساستها (فاولها النطفة) اى المذرة كما قال تعالى * فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب (وآخرها الجيفة) اى القذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة وعن الحسن العجب لابن آدم يغسل الخراء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجاءه يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى اثر ذلك فى وجهه فقال عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقيل فى قوله تعالى * وفى انفسكم افلا تبصرون * هو سبيل الغائط والبول وفى قوله تعالى * كانا يأكلان الطعام * ايماء الى انهما يبولان ويغوطان * انظر كيف نبين الآيات ثم انظر انى يؤفكون * اى يصرفون عن الحق ولايعرفون انهما لايستحقان الربوبية مع ماظهر فيهما من اثر العبودية ولابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من حديث بشر بن جحاش ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه عليها وقال يقول الله ابن آدم اتعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد اى رزانة وثقالة جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصدق وانى اوان الصدقة منك وروى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير اى المهلب بن ابى صفرة وهو يتبختر فى جبة خز فقال يا اباعبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اماتعرفنى فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك عذرة فمضى المهلب وترك مشيته وقال مجاهد فى قوله تعالى * ثم ذهب الى اهله يتمطى * اى يتبختر ثم قال عز وعلا * ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى (وانه) اى وبالنظر فى انه (لو استأذن) للدخول (على امير البلدة ربما لايأذن له) اى لحقارته عنده فاى فائدة فى عجبه بنفسه والامير من اذل الخدام على باب الملك العلام وقد اذن الله سبحانه حتى يعبده لديه ويثنى عليه ويتوجه اليه ويرضى بركعتيه مع معايبهما ووعد من الثواب الجزيل

على ادائهما فى اقل مراتبهما (واحوالها) اى وبالنظر فى احول النفس (الهاجة) اى الآتية بغتة بالورود عليها والوجود لديها (كالمحن والشدائد) المتوجهة اليها من الفقر والمرض وسائر المصائب فربما يتعجب من تفاوت المراتب اذ رزقه الله عقلا وافقره وافاض على غيره المال مع كونه جاهلا واقدره فيقول منعنى من قوت يومى وانا الفاضل العاقل وافاض على غيرى وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلما كما يشير اليه قوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا ولا يدرى المغرور بعلمه المعذور فى جهله بانه او جمع له بين العقل والمال جميعا لكان ذلك بالظلم اشبه فى ظاهر الحال اذ يقول الجاهل الفقير يارب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتنى منهما فهلا جمعتهما لى او هلا رزقتنى احدهما والى هذا اشار على كرم الله وجهه حيث قيل له مابال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما رأى الجاهل الغنى احسن حالا من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع من ذلك ومن هذا قال تعالى * نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات * الآيات وقال عز وعلا * كل حزب بما لديهم فرحون * وفى الحديث اللهم قنعنى بما رزقتنى ولله در القائل

* رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال *
* فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لايزال *

وقال عز وجل * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * اى ممنوعا من احد من خلقه وقال * ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا * فيعلم من يصلح للفقر ومن يصلح للغنى ومن يصلح للجمع بينهما وقد رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رجلا غنيا جلس لجنبه فقير فانقبض منه وجمع اليه ثيابه فقال عليه السلام اخشيت ان يعدو عليك فقره رواه احمد وقال ابوذر كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل المسجد فقال لى يا اباذر ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسى فاذا رجل عليه خلقان فقال يا اباذر هذا خير عند الله من قراب الارض مثل هذا رواه ابن حبان فى صحيحه (واعمالها) اى وبالنظر فى اعمال النفس اى من اعمالها واهمالها (فاجرة اجير يعمل طول النهار او يحرس) ذلك الاجير (طول الليل درهمان) اى لذلك الاجير اولكل منهما اذ يعلم به ان اعمال العباد انما صارت ذات قيمة لما وقع من الله فى موقع الرضاء والقبول والا فاجره اجر الاجير المعمول وبه يعرف نقصان كمالها فيضعف حينئذ بعض دلالها (وانما يعطى المال الخسيس بالاستخدام على الدوام) فى التعمل النفس (والالقاء فى الاخطار) كالغوص فى الماء وتعليق البناء من جانب الهواء فى جو السماء وانت تصلى ركعتين فى غمضة العين بقوة ما اعطاك الله من النعم الظاهرة والباطنة وتطمع ماوعدك من الدرجات الذاخرة فى الدار الآخرة

فتعجب منهما وتستعظمهما وليس هذا شان العاقل (وكرمه تعالى) اى وبالنظر الى كرمه ولطفه (بالتوفيق) اى بالاعانة على الطاعة والعبادة (ووعده) اى وبوعده سبحانه (الثواب المخلد) اى المؤبد مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما ورد فى الخبر (على ساعة من العمل المعيوب) فى حد ذاته المخلوط بسائر سيئاته (والنظر) اى وكرمه بنظره (اليه) واقباله عليه وهو حقير ذليل فى مقداره (مع جلاله) اى عظمة الله فى جماله (الذى يعجز العالمون) من الانبياء والاولياء (عن ادراكه) اى ادراك كنه كماله (وبمعرفة) عطف على بالنظر اى وبعلم (ان الكمال الدنيوى) من النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار من الرجال (وهمى) لزواله بالموت فى ماله (كما سبق) فى حب الجاه (والدينى) من العلم النافع والعمل الصالح (ينافيه) اى العجب (فالعلم النافع) فى الدنيا والاخرى (مايزيد خوفا منه تعالى) كما قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء * وورد انا اعلمكم بالله واخشاكم منه ومن لم يزدد من العلم زهدا لم يزدد من الله الا بعدا (ولا عبرة لغيره) اى لغير العلم النافع فقد تعوذ منه عليه السلام حيث قال اسألك علما نافعا واعوذبك من علم لا ينفع واعلم ان العلم هو معرفة العبودية والربوبية واما ماوراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والنحو والشعر وفصل الخطاب وطريق المجادلات فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها كبرا وشقاقا بل كفرا ونفاقا وهذه العلوم تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما (ولا عمل) موجود (دونه) اى بدون العلم (فهو) اى العلم (شرطه) اى العمل صحة وكمالا فلا يستقيم لغيره فى جميع عمره (هذا) الكلام مضى او احفظ هذا (ولا يصلح النسب) المجرد عن الحسب (للتعويل) اى الاعتماد عليه والاستناد اليه (وهو تعزز بالغير) اى بغيره سبحانه فروى من تعزز بالعبيد اذله الله ولابى داود والترمذى وحسنه وابن حبان من حديث ابى هريرة ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم اوليكونن اهون على الله من الجعلان الذى تدوف بانفهما القذر وتفاخرت قريش عند سلمان يوما فقال لكنى خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم آتى الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وروى ابن المبارك عن ابى ذر قال قاولت رجلا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السوداء فقال عليه السلام يا اباذر طف الصاع طف الصاع اعيرته بامه ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال ابوذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ على خدى ولله در القائل

* لئن فخرت بآباء ذوى شرف * لقد صدقت ولكن بئس ماولدوا *

(وورد) فى التنزيل (فلا انساب بينهم) تمامه * يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه * الآيات (يا فاطمة بنت محمد ويا صفية بنت عبد المطلب اعملا لانفسكما فانى لا اغنى) اى لا ارفع (عنكما شيئا) اى من العذاب (حين) اى خاطبهما حين (نزل قوله وانذر

عشيرتك الاقربين) ففى الصحيحين من حديث ابى هريرة وفى مسلم من حديث عائشة لما نزل قوله تعالى ❊ وانذر عشيرتك الاقربين ❊ ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة الحديث وفيه الاان لكما رحما سأبلها ببلالها وللطبرانى من حديث عمران بن حصين يا معشر بنى هاشم يأتى الناس بالاعمال يوم القيمة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم وقال ارجو سليم شفاعتى ولا يرجوها بنو عبد المطلب الطبرانى فى الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر (ولا الجمال) اى ولا يصلح للتعو بل الجمال الظاهر المتغير فى المآل (فالاعتبار للباطن) والقلب من الكمال (وهما مملوان بالاقذار) الحسية (والرذائل) المعنوية وخاليان من الفضائل العلمية والفواضل العملية وللديلمى والقضاعى عن على مرفوعا آفة العلم النسيان وآفة الجمال الخيلاء (ولا المال) لانه سريع الزوال (ولا القوة) اذ لا حول ولا قوة الا بالله ثم لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوم تأخذ من قوة عديدة ما لا تنجبر فى مدة مديدة ثم ان اقوى انسان لا يكون اقوى من حيوان فاى افتخار بين ارباب العظايم بما سبق به البهايم وقد حكى الله عن قوم عاد اذ قالوا من اشد منا قوة ❊ اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة ❊ وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقب الله تلك القطعة من الجبل حتى صارت فى عنقه كالخرزة وقد ورد ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب والحاصل ان القوة المحمودة هى التى تصرف فى العبادة التى هى وسيلة للسعادة (ولا الاتباع) اى الاشياع الملتزمين للاتباع (وورد) فى التنزيل (حتى اذا فرحوا) اى فرح بطر (بما اوتوا) اى من كثرة المال وقوة الحال وغلبة الرجال (اخذناهم بغتة) فجأة (الآية) فاذا هم مبلسون ❊ اى آيسون متحيرون ❊ وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين (فقال لصاحبه وهو يحاوره) اى يخاطبه ويناظره (الآية) اى ❊ انا اكثر منك مالا واعز نفرا ❊ حتى اجابه صاحبه بقوله ❊ ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا ❊ ومن ذلك تكبر قارون وتجبره كما اخبر سبحانه عنه بقوله ❊ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتى قارون ❊ الآيات (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الآية) اى وصاحبته وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه (ولا العمل) اى المجرد عن القبول (فورد) فى التنزيل (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) وافمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ❊ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا ❊ وبالجملة من جوز ان يكون شقيا عند الله فما له سبيل ان يتكبر على من سواه ويشير اليه قوله تعالى ❊ والذين يؤتون

ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ❊ اى يؤتون الطاعات ويخافون من عدم قبولها فالكبر دليل الامن والامن مبعد والتواضع دليل الخوف وهو مسعد (ولا العلم) اى المجرد من العمل الظاهر والباطن (فالاطلاع على الذنوب الباطنة صعب) والخلاص عنها بعد الاطلاع عليها لا يمكن الا اذا كان هناك كسب ووهب ومن هنا ورد اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد تقدم وفى الصحيحين يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى فى النار فيندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال ❊ مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا ❊ وقال فى بلعام بن باعورا ❊ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ❊ الى قوله ❊ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتى بلعام كتابا فاخلد الى شهوات الارض اى سكن حبه اليها فمثله بالكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ❊ اى سواء آتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ومن هنا كان بعض الصحابة يقول ياليتنى لم تلدنى امى ويأخذ الآخر تبنة من الارض ويقول ياليتنى كنت هذه التبنة ويقول الآخر ياليتنى كنت طيرا كل ذلك خوفا من خطر العاقبة كما اشار اليه المصنف بقوله (والخاتمة مع هذا مستورة) والروايات بان المدار على الخاتمة مشهورة فينبغى للعالم ان يعلم ان التكبر لا يليق الا بالله وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندى قدرا ما لم تر لنفسك قدرا واذا نظر الى العاقبة تيسر له ان يتواضع للفسقة والمبتدعة بل للكفرة فكم من مسلم نظر الى عمر بن الخطاب قبل اسلامه فاستحقره للكفر وقد رزقه الايمان وفاق اكثر اهل الايمان فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه قد عصى الله بجهل وانا عصيت الله بعلم فهو اعذر منى وان نظر الى عالم قال قد علم ما لم اعلم وان نظر الى كبير قال قد اطاع الله قبلى وان نظر الى صغير قال قد عصيت الله قبله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدرينى لعله يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الآن من سوء المقام فليس دوام الهداية الى كما لم يكن ابتداؤها الى وكل ذلك بان يعلم ان الكمال فى سعادة الآخرة والقرب من الله فى المرتبة الفاخرة الباقية لا فيما يظهر للناس من الدنيا من الامور الفانية (والمعصية المستعقبة ندما) اى ندامة وحسرة (خير من الطاعة المستعقبة عجبا) اى غرورا وغفلة (لاضمحلالها) اى لذهاب المعصية (مع حصول الندامة) وبقاء العجب بالطاعة من غير الملامة وهو اكبر من كل سيئة وفى الحكم معصية اورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا (وورد ما منكم من احد ينجيه عمله) اى من غير قبوله بفضله (ولا انا) اى ولا ينجينى عملى ايضا (الا ان يتغمدنى الله برحمته) متفق عليه من حديث ابى هريرة هذا وفى الاحياء قد صلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيرى او لتصلن وحدانا انى رأيت فى نفسى انه ليس فى القوم افضل منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم

من هذا فكيف يسلم الضعفاء من متأخرى هذه الامة فما اعرف على بساط الارض عالما يستحق ان يسمى عالما ثم انه لا يحركه عز العلم وخيلاؤه فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغى ان يفارق بل يكون النظر اليه من العبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو فى اقصى الصين لسعينا اليه رجاء لان تشملنا بركته وتسرى الينا سيرته وسجيته وهيهات فانى يسمح آخر الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا فى القرن الاول ومن يليهم من اهل العلم والعمل بل يعز فى زماننا عالم يختلج فى نفسه الاسف والحزن والحسرة على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم او عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا كما رواه الترمذى من حديث ابى هريرة واحمد عن ابى ذر لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا نتمسك بعشر عشره ونسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبائح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله

﴿الباب الثالث عشر فى الاخلاص والنية والصدق﴾

اى الصدق فى الاخلاص الذى هو تصحيح النية وتخليصها عن الرياء والسمعة (بسم الله الرحمن الرحيم) الذى به يحصل المناص فى الدنيا والخلاص فى العقبى (الاخلاص تجريد النية) وهى الارادة المتوسطة بين العلم والعمل ويطلق عليها القصد (عن الشوب) اى خلطة الرياء والسمعة اى عن شائبة مخالطة النفس بها ومن شوائبها ومعايبها ان تدعى ترك الدعوى على التواضع مع ادعائها انها قد بلغت رتبتهم او تعجب بكمالها حيث تركت هذه الدعوى باستقلالها واهم ات عند اهل المناقب (فالاعلى) اى اعلى مراتب الاخلاص للمولى (ارادة وجهه تعالى) اى قصد رضاه فى الدنيا والاخرى دون جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى ۞ يدعون ربهم بالغداوة والعشى يريدون وجهه ۞ وقال عز وعلا ۞ وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ۞ وقال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ۞ وقال ۞ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا ۞ نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه الحاكم من حديث طاوس مرسلا قال رجل انى اقف الموقف ابتغاء وجه الله واحب ان يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية وللبزار من حديث معاذ من صام رياء فقد اشرك وفيه انه عليه السلام تلا هذه الآية وعن رابعة وحقك ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك الا ابتغاء وجهك (ويعرف) اى الاخلاص الاعلى (بالتفكر فى صفاته وافعاله) اى فى مصنوعاته (والمناجاة) مع ربه فى جميع اوقاته وقد قال بعضهم فى اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز قال عز وجل الا لله الدين الخالص ۞ وللديلمى

من حديث معاذ اخلص العمل يجزك منه القليل ولابن عدى من حديث ابى موسى ما من عبد يخلص لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وكان معروف الكرخى يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصى تخلصى وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى ويشير اليه قوله تعالى ۞ وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ثم ارادة نفع الآخرة) سواء اراد النجاة من النار او درجات الابرار (فهو حظ النفس) اى فى الجملة فهو حط عن مرتبة الاحرار (وورد فى حقيقته) اى حقيقة الاخلاص او فى تحققه فى الاشخاص (ان تقول ربى الله ثم تستقيم كما امرت) اى لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم فى عبادته كما امرت باستقامته فى الاحياء سئل عليه السلام عن الاخلاص فقال ان تقول ربى الله ثم تستقيم كما امرت قال مخرجه لم اره بهذا اللفظ وللترمذى وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى قلت يا رسول الله حدثنى بامر اعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ قل لى فى الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم والكل مقتبس من قوله تعالى ۞ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ۞ الآيتين ومن قوله عز وعلا ۞ فاستقم كما امرت (خالص الاعمال) اى وورد خالص الاعمال اى العمل الخالص (هو الذى تعمله لله لا تحب ان يحمد عليه احد) ولم اعرف له اصلا فى المرفوع نعم ورد عن عيسى عليه السلام انه قال الحواريون ما الخالص من الاعمال قال الذى يعمل العمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا المعنى فى سبب نزول الآية السابقة قد تقدم ولا يبعد ان تكون الجملة من مبتدأ وخبر فى تعريف الاخلاص وان تكون معترضة وقد قال بعضهم كنت اتصدق بصدقة بين الناس فاعجبنى نظرهم الى فوجدته لا على ولا لى قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله لديه اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقال سهل الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركته لله خاصة قال السوسى الاخلاص فقد رؤية الاخلاص لان من يشاهد فى اخلاصه الخلاص فقد احتاج فى اخلاصه الى اخلاص والى المقامين يشير قوله تعالى ۞ الا عبادك منهم المخلصين ۞ بكسر اللام وفتحها وقال رويم الاخلاص فى العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا فى الدارين وقيل لسهل اى شئ اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق وقيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفى عن العلائق وقال الجنيد الاخلاص تصفية الاعمال من كدورات الاحوال وقال الفضيل ترك العمل لاجل الناس رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص

ان يعافيك الله عنهما وهذا افضل ماقيل فى هذا الباب (وفى فضله) اى وورد فى فضل
الاخلاص فى التنزيل (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين) اى له الدين فتقييد العبادة
بالاخلاص يشير الى فضله الخاص (الاخلاص) اى وورد فى الحديث القدسى والكلام
الانسى الاخلاص (سرى استودعته قلب من احببت من عبادى) رواه القشيرى
فى رسالته من حديث على كرم الله وجهه (واصله) اى اصل الاخلاص (النية) اى
تصحيحها وتحسينها (وهى) اى النية (الارادة الباعثة) اى الداعية (للاعمال
المنبعثة) اى تلك النية (عن المعرفة) بالاحوال فمعنى الارادة انبعاث القلب الى ماراه
موافقا لغرضه المعروف بعوضه امافى الحال واما فى المآل (كشهوة الطعام الحاصلة من
المعرفة بتحققه) اى الطعام (ودفعه) اى وعن المعرفة بدفع الطعام (الجوع الباعثة)
بالجر صفة بعد صفة للشهوة اى الداعية (لامتداد اليد اليه) فان امتداد اليد الى الطعام
انما يكون بعد المعرفة بتحقق الطعام وبانه دافع للجوع عن الانام لان الارادة اثر والاثر لايدخل
تحت الاختيار (فلاتدخل) اى النية (تحت الاختيار) بل الداخل تحت الاختيار انما هو المؤثر
وتوضيحه ان كل عمل اختيارى فانه لايتم الا بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لايريد
الانسان مالايعلمه فلابد ان يعلم ولايعمل مالم يرد فلابد من الارادة بعد خلق الانسان
بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه بعض الامور وينافيه فاحتاج
الى جلب الملائم الموافق لقلبه الهائم (فمن وطئ) امرأة (لغلبة الشهوة) عليه فى تلك
الحالة (اتى بفعله قوله الحسى) اى اللسانى (اوالنفسى) اى الجنانى (نويت به) اى
بالوطئ (اقامة السنة وتكثير الامة) ومن هنا ورد الشرك اخفى فى قلب ابن آدم
من دبيب النملة السوداء فى الظلمة الظلماء على الصخرة الصماء رواه احمد وغيره ولهذا
امتنع جماعة من السلف من جملة الطاعات اذا لم يحضرهم تصحيح النيات لعلمهم
بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لاباعث
قرب حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة الحسن البصرى وقال ليس تحضرنى نية
ومات حماد بن ابى سليمان وكان من اكابر علماء الكوفة وشيخ ابى حنيفة فقيل
للثورى الاتشهد جنازته فقال لوكان لى نية لفعلت وكان اذا سئلوا عملا من اعمال البر
قالوا ان رزقنا الله تعالى نية فعلنا ذلك وحكى ان داود بن المحبر لما صنف كتاب المعتقد
جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا فرده فقال له مالك قال فيه
اسانيد ضعاف فقال داود انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت
فيه بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده على حتى انظر فيه بالعين التى نظرت بها اليه
فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا قد انتفعت به وقال بعضهم انا
فى طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لى بعد وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون
ابن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال له ابنه الاتعرض عليه العشاء

فقال ليس من نيتى (وهى) اى النية (احد جزئى العبادة) اى ركنيها وهما النية
والعمل (فهى) اى العبادة (تتوقف عليها) اى على النية (توقفها) اى مثل توقف
النية (على العمل) لان العبادة بدون النية لاتسمى عبادة فالنية خيرهما وبتوقف
العمل عليها دون العكس (وورد) اى فى الصحيحين من الروايات (انما الاعمال بالنيات)
اى معتبرة بها فى جميع الحالات (ولكل امرئ ما نوى) اى من الخير والشر فى المباحات
وتمامه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها اوامرأة يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه (وخيرهما) اى والنية افضل
جزئى العبادة (لورود نية المؤمن خير من عمله) رواه البيهقى فى الشعب عن انس به
مرفوعا وذلك لان النية عمل السر ولا رياء فيها والعمل يخالطه الرياء ولانها تمتد
الى مالانهاية له والعمل محصور فى محصوله ولانها بانفرادها تصير عبادة يترتب
عليها الثواب بخلاف اعمال الجوارح فانها انما تكون عبادة اذا صاحبت النية لحديث
من هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة متفق عليه ولانها تبقى بخلاف
العمل ولذا قيل الخلود فى الجنان والنار جزاء النية ولان مكانها مكان المعرفة
اعنى قلب المؤمن قال سهل بن عبد الله التسترى قدس الله سره العلى ماخلق الله
تعالى مكانا اعز واشرف عنده من قلب عبده المؤمن وما اعطى كرامة للخلق اعز
عنده من معرفته فجعل الاعز فى الاعز فما نشأ من اعز الامكنة يكون اعز مما نشأ
من غيره قال سهل فتعس عبد اشغل المكان الذى هو اعز الامكنة عنده تعالى بغير
معرفته سبحانه وفى خبر انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم وما وسعنى
ارضى ولاسمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن اشعار بذلك وقيل نية المؤمن خير
من عمله وعمل المنافق خير من نيته وقيل نية المؤمن خير من عمله بغير نية ثم قيل للقلب
عملان النية والندامة فالنية تجعل المعدوم موجودا والندم يجعل العصيان الموجود
معدوما ومما ورد فى نفع النية بدون العمل حديث انس ان بالمدينة اقواما ماقطعنا
واديا ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا
فى ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يارسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر
فشركونا بحسن النية البخارى مختصرا وابوداود (وتوقف) اى ويتوقف
(نفع العمل) اى تأثيره طاعة اومعصية (عليها) اى النية (دون العكس)
اذ لاتوقف نفع النية على وجود كل عمل (فورد فى المقاتلين) اى فى حقهما
(ان القاتل والمقتول فى النار وبين) اى النبى عليه السلام (علة المقتول) اى فى
دخوله النار (انه قصد الرياء) كذا فى النسخ والظاهر انه قصد قتل اخيه لادفعه
عن نفسه اواراد بالقاتل الكافر وبالمقتول المسلم المرائى ويؤيد ما اخترناه حديث
الاحنف عن ابى بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا

يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه متفق عليه ولابن ابى الدنيا من حديث عمر انما يبعث المقتتلون على النيات ولمسلم من حديث جابر يبعث كل عبد على مامات عليه ويؤيده مافى الاصل حديث اكثر شهداء امتى اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته احمد من حديث ابن مسعود (وفيمن) اى وورد فيمن (تمنى ان لواصاب مالا ينفق فى المعصية) اى مقدرة (انه شريك المنفق فيها) اى فى المعصية حقيقة (فى الوزر) اى فهما فى الوزر سواء ومفهومه ان لواصاب مالا ينفق فى الطاعة انه شريك المنفق فيها فهما فى الاجر سواء فقد ورد الناس اربعة رجل آتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه فيقول رجل لوآتانى الله كما آتاه لعملت كما يعمل فهما فى الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط بجهله فى ماله فيقول رجل لو آتانى الله مثل ما آتاه لفعلت كما يفعل فهما فى الوزر سواء ابن ماجه والترمذى (وكون الشراب) اى ولكون شرب المعجون (لعلاج المعدة انفع من الطلاء على الصدر) لسرعة تأثير الاول وبطء الثانى فى العمل ووجه كونه علة لمشابهة الشراب الداخل فى المعدة بالنية الداخلة فى القلب من حيث انهما من الامور الباطنة ولمشابهة الطلاء الظاهر على الصدر بالعمل الظاهر على الجوارح من حيث انهما من الامور الظاهرة (بل) اضراب عن قوله وخيرهما (هى) اى النية (الاصل) وما سواها الفرع (لكون المقصود من العمل تأثر القلب بالميل اليه تعالى عن الغير) اى عما سوى الرب وذلك التأثر بالميل الى الله تعالى حاصل بالنية دون مجرد العمل فهى الاصل (فورد) فى التنزيل (لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وهى انما تكون فى القلب كما قال عليه السلام والتقوى ههنا واشار الى صدره وفى الخبر ايضا ان الله لاينظر الى صوركم ولا اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم (ووقع الاجماع على اثم المجامع امرأته على قصد انها غيرها) اى غير امرأته (بخلاف المجامع غيرها) اى غير امرأته (على قصد انها هى) اى امرأته ولاحمد من حديث صهيب من تزوج امرأة على صداق وهو لاينوى اداءه فهو زان (واثم المصلى) اى والاجماع على اثم المصلى (المتوضئ على ظن انه محدث بخلاف المحدث) اى المصلى (على ظن انه متوضئ وهى) اى النية التى معناها القصد (اما واحد وهو الخالص) عن المشاركة (كالقيام للاكرام) اى اكرام المسلم حال السلام من غير نظر الى سائر اوصافه الفخام (واما متعدد كالتصدق للفقير والقرابة) ونحوهما من استحقاق الصدقة (فاما) اى ثم المتعدد (اما لايستقل كل شئ) اى من المقصود بنفسه عند انفراده فى باعث العطاء (ويعرف) عدم الاستقلال المذكور (بالامتناع) اى بامتناع النية والقصد (عند انفراد احد من المقاصد) اى عن الآخر فلا يعطى

للغنى القريب بمجرد قرابته ولا للفقير الاجنبى بمجرد فقره وعند الاجتماع لايمتنع عن العمل فيعطى الفقير القريب (او يستقل) كل من المقصود (متساويا) بان يكون كل واحد داعيا الى القصد (او متفاوتا) فى مراتب القصد او منقب الاستقلال فيكون بعضها مستقلا وبعضها لايكون مستقلا (كقوة فرحة المصلى عند حضور الناس) اى بمجرد باعث الرياء وهو الفرحة فى قول المصنف (مع انه لو لم يرج الثواب لماصلى) وتوضيحه ان يكون للانسان ورد فى الصلوات وعادة فى الصدقات فاتفق ان حضر فى وقتها جماعة من الناس فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا لم يفتر عن الصلوة وعلم ان عمله لولم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء بعمله فهو شوب تطرق الى النية وتشوش فى تحسين الطوية (وبتعدد الجزاء) اى الثواب (بتعددها) اى بمقدار تعدد النية (خبرا كان) المتعدد فى النية (كالدخول فى المسجد) اى مسجد كان (للزيارة) اى لزيارة بيت الله اولخ لله فيه فعنه عليه السلام من قعد فى المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره ابن حبان من حديث سلمان وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة من غدا الى المسجد اوراح اعد الله له الجنة نزلا كلما غدا اوراح (وانتظار الصلوة) اى لادائها بالجماعة فى وقتها وقد عد من الرباط فى قوله تعالى * ورابطوا * وفى الخبر انتظار الصلوة صلوة (والاعتكاف) وهو من جملة العبادات الفاضلة فتارة مستحبة نافلة واخرى سنة مؤكدة كاملة وان كان بمكة فزيادة الطواف وان كان بالمدينة فزيادة الزيارة المندوبة بلا خلاف (والانزواء) اى الاعتزال عن الاشتغال بالسوى (والتجرد للذكر) من التهليل والتمجيد والتحميد والثناء (وترك الذنوب) ولوكان من باب الحياء فان من العصمة ان لا تقدر على الجفاء (اوشرا) اى اوكان المتعدد شرا (كالقعود فيه) اى فى المسجد (للتحدث بالباطل) فان كلام الدنيا فى المسجد تبطل الحسنات فى العقبى (وملاحظة النساء) اى ومخالطة المردان بعنى الاشتهاء (والمناظرة للمباهاة) اى المفاخرة (والمراثاة) اى المجادلة للسمعة والرياء وكذا قصد التنزه فى الليلة القمراء وسماع مافيه من الذكر والشعر المشابه بمجالس السمراء (وبجعل خيرها) اى خير النية (المباح عبادة كالتطيب) الذى فى اصله مباح بوقوعه (يوم الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد) فقد قال تعالى * وطهر بيتى * قيل فى معناه بخره (واليوم) اى وتعظيمه فانه افضل ايام الاسبوع بلاخلاف وقيل افضل الايام مطلقا وهو عيد المؤمنين وحج المساكين (ودفع الاذى بالنتن) اى الريح الخبيثة عن نفسه وغيره لاسيما الملائكة الحاضرون فى وقته (والاسرار بالعرف) بفتح العين اى وبتفريح من بجنبه بالريح الطيبة (وسد باب الغيبة) بالروائح الكريهة (وربما تفضله) اى النية المباح (من محضها) اى فيصير المباح بالنية افضل من العبادة المحضة

(فالترفه) اى التنعم والاسراء (بنومة) قليلة نحو قيلولة (اودعابة) اى مزاح ومطايبة (مباحة لرد نشاط الصلوة افضل منها) اى من الصلوة (فى الملال) اى فى حال الكسالة فعن ابى الدرداء انى لاستجم نفسى باللهو ليكون ذلك عونا على الحق ويؤيده قول ابى مدين * لا تنكر الباطل فى طوره * فانه بعض ظهوراته * وقال على رضى الله عنه روحوا القلوب ساعة فساعة فانها اذا اكرهت عميت ومن هنا حرم الصوم فى بعض الاوقات وكذا الصلوات فى الازمنة المكروهات (وشرها) اى تجعل شر النية المباح (معصية كالتطيب) المباح فى اصله (للتفاخر باظهار الثروة) اى الغنى والنعمة على وجه الكثرة فانه يصير به معصية ففى الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة ابو الوليد الصفار مرسلا (والتزين) اى وكالتزين المباح فى اصله (للرياء) فانه معصية كما انه للعبادة طاعة لقوله تعالى * يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد * وللطبرانى باسناد جيد من حديث ابن مسعود من هاجر يبتغى شيئا فهوله هاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وللنسائى من حديث عبادة بن الصامت من غزا وهو لا ينوى الاعقالا فله ما نوى ولابى داود باسناد جيد من حديث يعلى ابن امية انه استأجر اجيرا للغزو وسمى له ثلاثة دنانير فقال عليه السلام وما اجدله فى غزوته هذه فى الدنيا والآخرة الادنانيره التى سمى وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال داود الطائى من كان اكثر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذا الجاهل بعكس ذلك وقال ابو هريرة مكتوب فى التورية ما اريد به وجهى فقليله كثير وما اريد به غير وجهى فكثيره قليل وكان الفضيل بن عياض اذا قرأ * ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم * يبكى ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا (ولا تؤثر) اى النية (فى الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان) ولا لموافقة حكام الزمان فقد ورد لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وكالذى يغتاب انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال ظلم به او يبنى مسجدا او مدرسة او رباطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ومن هنا قال سهل ما عصى الله بمعصية اعظم من الجهل قيل يا محمد هل تعرف شيئا اشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل ويسمى هذا الجهل المركب وكذا افضل ما اطيع الله به العلم ورأس العلم العلم بالعلم فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب عليه الناس من العلوم المزخرفة التى هى من وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل ومنبع فساد العلم والمقصود ان من قصد الخير بمعصية عن جهل فهو غير معذور وقال تعالى * فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * وقال عليه السلام لا يعذر الجاهل على الجهل

ولا يحل للجاهل على ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت على علمه كما رواه الطبرانى فى الاوسط من حديث جابر ثم لا يجوز امداد المتعلم بنوع علم يتمكن به من الوصول الى شهواته والحصول فى مقام رياساته فلم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يتردد اليهم فاذا رأوا منه تقصيرا فى نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا رأوا منه فجورا هجروه ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم ان من يعلم مسألة ولم يعمل بها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الجاهل وقد هجر احمد بعض اصحابه الملازم له سنين بان طين حائط داره لما اخذه من الطريق قدر سمك الطين والحاصل ان الشيطان لا يسلم منه احد الا من دق فى نظره وسعد بعصمة الله وقدره وحفظ من خطره والا فالعدو ملازم للمشمرين بعبادة الله لا يغفل عنهم لمحة حتى يحملهم على الرياء فى سكون او حركة حتى فى كحل العين وقص الشارب ونحوهما مما هو صورة العبادة ولذا قال تعالى * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير * وقال عز وعلا حكاية عنه انه * قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم * اى من امور الدنيا والآخرة * وعن ايمانهم وعن شمائلهم * اى من طريق الحسنات والسيئات * ولا تجد اكثرهم شاكرين * ولذا قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة الف سنة من جاهل وفى الخبر لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد (وكماله) اى كمال الاخلاص وجماله (الصدق) فى نيته وقوله وعمله فمن جمع له هذا يكون صديقا مبالغة الصادق والا فهو صادق اضافى عند ذوى الحقائق والدقائق ويدل عليه حديث ان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا متفق عليه (فورد) فى التنزيل (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا) اى قبل النبوة (نبيا) اى مخبرا عن الله حال الرسالة ثم الصدق لا ينافى المعاريض الصادرة عند المعبر عنها بثلاث كذبات لصورتها لان العبرة بمعانيها لا بمبانيها وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا توجه فى سفر وورى بغيره كما فى الصحيحين من حديث كعب ابن مالك وذلك كيلا ينتهى الخبر الى عدوه وقد ورد فى الصحيحين ايضا من حديث ام كلثوم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين وقال خيرا او نمى خيرا ورخص فى النطق على وفق المصلحة فى ثلاثة مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان فى مصالح الحرب فالصدق ههنا يتحول من القول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق الطوية فمهما صدقت نيته وتجردت للخير ارادته كان صادقا وصديقا كيف ما كان لفظه توفيقا (ان الرجل) اى وورد فى الحديث ان الرجل (ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وادنى رتبه) اى اقل مراتب الصدق

(فى القول) مع الخبر (فى كل حال) من الامن والخوف والنفع والضر والغضب والرضاء (والكمال) اى وكمال الصدق فى القول (بترك المعاريض حذرا عن تفهيم غير الحق وكسب القلب صورة كاذبة) الا ان الضرورات تبيح المحظورات وقد ورد ان فى المعاريض لمندوحة عن الكذب وقد حكى عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو فى داره فقال لزوجته خطى باصبعك دائرة وضعى الاصبع فى الدائرة وقولى ليس هو هنا (ورعايته) اى ومراعاة العبد الصدق (معه) اى مع الحق (تعالى ممن قال وجهت وجهى لله) اوللذى فطر السموات والارض حنيفا (وكان فى قلبه سواه واياك نعبد) اى نخصك بالعبادة (وهو يعبد الدنيا فهو كاذب) فى دعواه اختصاص عبادة مولاه فان قلبه اذا كان منصرفا عن الله مشغولا بامانى الدنيا وشهواتها فهو كاذب فى دعواه وعن مالك بن دينار لولا ان هذه الآية اى * اياك نعبد واياك نستعين * امر من الله لما قرأتها لعدم صدقى فيها وروى ان العبد اذا قرأ هذه الآية يقول الله تعالى له كذبت لو كنت اياى تعبد لم تطع غيرى ولم تلتفت الى سوائى ولو كنت بى تستعين لم ترفع حوائجك الى ذليل مثلك ولم تكن الى مالك وكسبك وكقوله انا عبد الله ان لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق فى قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه لانه ان كان عبدا لنفسه اوعبدا للدنيا اوعبدا لشهواته لم يكن صادقا فى قوله وكل ماتقيد العبد به فهو عبد له كما قال عيسى عليه السلام ياعبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم وعبد الخميصة رواه البخارى وانما العبد الحق لله من اعتق اولا نفسه عن غير الله فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا فخلت فيه العبودية لله فيشغله بالله وبمحبته وتقيد ظاهره وباطنه لطاعته وعبادته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم يجاوز هذا الى مقام آخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب اوتبعيد كما قيل

* اريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما اريد لما يريد *

وهذا عبد اعتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد واعتق عن نفسه وصار حرا عن نفسه وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضى ولم يبق فيه متسع لطلب والتماس واغراض واعواض بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى الغاسل وهذا منتهى الصدق فى العبودية وفق ما تقتضيه الربوبية وهذا عزيز الوجود فى متن دائرة الشهود فقد قيل

* انى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر *

(ثم فى النية) اى ثم اعلى من الصدق فى القول الصدق فى النية

(بتمحيضها) اى بتخليصها (لله تعالى فالشوب) اى الخلط بغيره فى النية (يفوته) اى هذا المقام من الاخلاص اوالصدق (يقال هذا صادق الحلاوة اى محضها) يعنى خالصها (ثم فى العزم) اى ثم الصدق فى العزم اعلى مماذكر (وهو جزم قوى على الخير) اى فعله وجزم على ترك الشر (كالتصدق والعدل ان نال مالا اوولاية) وتوضيحه ان الانسان قد يعزم على العمل فيقول فى نفسه ان رزقنى الله مالا لتصدقت بجميعه اوبشطره وان اعطانى الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم وميل عن الحق الى الخلق وهو قد يكون صادقا فى عزمه وقد يكون كاذبا فى عزمه ومن الاول قول عمر رضى الله عنه لان اقدم فيضرب عنقى فى غير حد احب الى ان اتأمر على قوم فيهم ابوبكر اللهم الا ان تسول لى نفسى عند القتل شيئا لا اجده الآن لانى لا آمن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة الوفاء بالعزم ومن الثانى قول مجاهد رجلان خرجا على ملأ من الناس قعود فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فرزقهما الله فبخلا به فنزلت * ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * الآية (ثم فى الوفاء فالنفس قد تسمح) اى تسخى (بالعزم) عند البيان اى ثم الصدق فى الوفاء اقوى مماذكر (وتتوانى) اى تتأخر وتتباعد (بالوفاء) عند الامتحان (وورد) فى التنزيل (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) وقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه * رواه ابو نعيم فى الحلية وفى البخارى مجملا ان هذه الآية نزلت فى انس بن النضر وفى الترمذى وقال حسن صحيح عن انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه والله لئن ارانى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما اصنع فشهد احدا من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال له ياابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة انى لاجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد فى جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت النضر اخته ماعرفته الا ببنانه ونزلت هذه الآية * رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه * اى نذره (ثم فى العمل) اى الصدق فى العمل اعلى (وهو) اى الصدق فى العمل (تسوية السر والعلانية) بان يكون باطنه مثل ظاهره وظاهره مثل باطنه ولذا قال عيسى عليه السلام اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى صالحة وقال زيد بن الحارث اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف اى العدل وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور والخطل وانشدوا

* اذا السر والاعلان فى المؤمن استوى * فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا *

* فان خالف الاعلان سرا فماله * على سعيه فضل سوى الكد والعنا *

* كما خالص الدينار فى السوق نافق * ومغشوشه المردود لايقتضى المنى *

وقال معاوية بن قرة من يدلنى على بكاء بالليل بسام بالنهار وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهى عاملت الناس فيما بينى و بينهم بالامانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة (فالماشى على هدو) بضمتين وقد يدغم وفى نسخة على هدء بفتح فسكون ومعناهما على سكون فى الظاهر (وان خلا الباطن) اى باطن الماشى (من الوقار) اى السكون والثبوت (غير صادق) فيما بينه من الاظهار (وورد فيه) اى فى حق الصادق فى العمل (ان تكون سريرته خيرا من العلانية) اى علانيته يعنى على نيته واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام من صدقنى فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته (ثم) اى ثم الصدق (فى مقامات الدين) من احوال اهل اليقين اعلى (فى الخوف) اى صدقه فيه يتحقق (بصفرة الوجه وقلق الباطن) اى اضطرابه فى الحالات (وترك المعاصى واللذات) اى المناهى والشهوات التى فيها الشبهات (واقامة الطاعات) فى انواع العبادات (وعلى هذا) القياس (فى غيره) اى غير الخوف من سائر المقامات كالرضا فهو بعدم الحزن بفوت شئ من الجاه والمال والنفس ومن الاولاد والاتباع من الرجال وعدم الشكاية الى المخلوق فى جميع الاحوال (والصديق المطلق هو المتصف بالجميع) اى بجميع انواع الصدق عند اهل الحق وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الخلق وقال ابو سليمان اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك و الله غاية طلبك وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين و يؤيده قوله تعالى * واتقوا الله وكونوا مع الصادقين * وقال الثورى فى قوله تعالى * ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة * قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا فيها صادقين وقال محمد بن سعيد المروزى اذا طلبت الله بالصدق افادك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شئ من عجائب الدنيا والآخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الحق والرفق فيما بينك و بين الخلق وقيل لذى النون هل للعبد الى اصلاح اموره سبيل فقال

* قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الصدق ماالیه سبيل *

* فدعاوى الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقيل *

وعن الجنيد فى قوله تعالى * ليسأل الصادقين عن صدقهم * قال يسأل الصادقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر عظيم وحذر جسيم (وضده) اى الاخلاص (الرياء) اى رؤية الخلق وفى معناه السمعة وان كان فى اصل المادة فرق بينهما فان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع وفى الصحيحين من حديث جندب بن عبد الله من رائى رائى الله به ومن سمع سمع الله به وللطبرانى من حديث ابن عمر بلفظ من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره وصغره و كذا لاحمد وابن المبارك وابن منيع

من حديث ابن عمرو (وهو) اى الرياء (طلب المنزلة) اى الوجاهة والمرتبة بالرؤية او السمعة (عند غيره تعالى بالعبادة) اى لابالامور المباحة وفق العادة (وهو حرام) لقوله تعالى * فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن * وقوله * والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد * قال مجاهد هم اهل الرياء ولاحمد والبيهقى فى الشعب من حديث محمود بن لبيد عن رافع بن خديج ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله عزوجل يوم القيمة اذا جازى العبيد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء (ويختص) الرياء (بعمل الظاهر) اى بما يتعلق به الرؤية او السماع وذلك لامكان نظر الخلق اليه واطلاعهم عليه دون عمل الباطن فانه لارياء لديه قال عكرمة ان الله يعطى العبد على نيته مالا يعطيه على عمله لان النية لارياء فيه (اما نحو قصد الحمية) اى الاحتماء بترك ما يضره عن الاكل (فى الصوم) مع قصد التقرب (والتبرد) اى وقصد تبرد الاعضاء (فى الوضوء) وكذا قصد النظافة فيه وفى الغسل مع التقرب (والتفرج) اى وقصد طلب الفرج والخلاص من الهم والغم بالتنزه (والتوحش) اى الملالة (عن الاهل) اى القرابة او اهل القرية صداقة او عداوة وكذا قصد صحة المزاج فى السفر (والتجارة) اى وقصدها (فى الحج) اى ادائه مع التقرب (والخلاص) اى قصده (عن المؤنة) اى مؤنة نفقة المملوك (وسوء خلق) من المالك او المملوك من جهة التربية (فى العتق) اى عتق عبد او جارية (فغير) اى فغير الرياء لعدم تعلق انظار الخلق اليه (ويفوت به) اى بقصد المذكورات (الاخلاص) فى تلك العبادات لان فيه شوب نفع نفسه وحظ انسه والاخلاص تجريد النية عن شوب الارادة النفسية (ويكون) الرياء (بالبدن) اى من جهة البدن باظهار الخشوع واكثار الحزن (والهيئة) اى السمت الصالح (والزى) اى لبس الصلحاء (والقول) اى نقل كلام الاولياء (والعمل) اى واعمال الاصفياء (وغيرها) كالمال والاتباع والبيوت وانواع الاستمتاع (كاظهار النحول) هذا وما بعده نشر للف المتقدم مرتبا والمراد بالنحول ضعف البدن فى مشيه وصوته ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد فى العبادة وكثرة الحزن على امر الدين وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل و بالصفار على سهر الليل وكذا بتشعث الشعر ليشعر على استغراقه فى الامر ولذا قال عيسى عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن رأسه ولحيته و يمسح شفتيه ويرجل شعره ويكحل عينه وكذا روى عن ابى هريرة وكذا قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين (وابقاء اثر السجود) على الجبهة واطراق الرأس فى المشية والهدؤ فى الحركة (ولبس الصوف) وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا من غير ترقيع ومنه التقنع بالازار فوق العمامة ونحوها وقد يلبس الاصواف الرقيقة من الاصناف

المتبعة اذا كان يدخل عند الاغنياء او على الامراء فقيمة ثوبه قيمة
الاغنياء واونه وهيئته لون ثياب الصلحاء فيلتمس القبول عند الفريقين فى مقام
الرياء ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة
الذبح (والوعظ) اى التذكير والنصيحة والنطق بانواع الحكمة وحفظ الاخبار
وآثار الاخيار وتحريك الشفتين بمحضر الناس وامثالها (وتطويل الصلوة) بطول
القيام والركوع والسجود واطراق الرأس وترك الالتفات وتسوية القدمين واليدين
وكذا فى الصوم والزكوة والحج وسائر العبادات وبقية المعاملات (وكثرة التلاميذ)
للعلماء وكثرة المريدين للصلحاء وكثرة الزائرين من الاجانب والاقرباء (وما) مبتدأ اى
والرياء الذى (طلب بغير العبادة ككثرة المال) والانصار من الرجال (وحفظ الاشعار
فخارج) عن حد الرياء كما سبق فى تعريفه فحينئذ (لا يحرم) طلب تلك المنزلة (اذا
لم يؤد الى رذيلة) اى خصلة مذمومة (كالتكبر) على الناس (كما سبق فى الجاه) اى
فى ذمه وهو قوله هناك فحرام اى فالجاه حرام ان كان بارتكاب ذنب كالكذب وههنا
ايضا كذلك (وكذا التزين لاستمالة قلوب الاخوان) حال مخالطتهم (والتحمى)
اى السلامة (عن ملامتهم) والمعنى ان تحسين الثوب الذى يلبسه الانسان عند الخروج
الى الناس مراآة ليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وعلى هذا فقس كل
تجمل للناس وتزين لهم (والمروى) لابن عدى فى الكامل عن عائشة (من تزينه
عليه السلام) اى حين اراد ان يخرج الى اصحابه الكرام فكان ينظر فى جب الماء
ويسوى عمامته وشعره فقالت اوتفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد
ان تزين لاخوانه اذا خرج اليهم فهذا كان منه عليه السلام (عبادة لانه) حينئذ
(مأمور بالدعوة) اى بدعوة الخلق وترغيبهم فى اتباع الحق واستمالة قلوبهم بالرفق
(فلو اسقط نفسه عن قلوبهم) بسقوطها من اعينهم لترك تزينه لهم (لما حصل
المقصود) ولم يرغبوا فى اتباعه المطلوب من المعبود وهو اجابة الحق من الخلق فكان
يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدريه اعينهم فى اقباله فان اعين الخلق
تمتد الى الظواهر دون السرائر (وآفاته) اى الرياء (التلبيس) اى المكر والتدسيس
الحاصل من وسوسة ابليس (باراءة ما ليس فيه) متحقق فى الخارج موجود فى الواقع
لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله وانه من اهل الدين وليس كذلك (فهو) اى
التلبيس (بالامر الدنيوى حرام) ايضا حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه
متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته لاثم بذلك لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر
والخديعة بخلاف ما اذا انفق الرجل ماله على جماعة من الاغنياء لا فى معرض العبادة
والصدقة ولكن ليعتقد الناس انه سخى فهذه مراآة وليس بحرام وكذا امثاله
(فبالدينى اولى) اى فالتلبيس بالامر الدينى اولى ان يكون حراما لانه محض العبادة

(والاستهزاء عليه تعالى) اى ومن آفاته الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو (ايثار
رضاء غيره) اى اختياره (على رضاه) اى على ايثار رضاه سبحانه وتعالى والمعنى انه
مهما قصد بعبادة الله رضاء ما سواه فهو مستهزئ بالله ولذا قال قتادة اذا راءى
العبد قال الله لملائكته انظروا اليه كيف يستهزئ بى ومثاله ان يمثل بين يدى ملك
من الملوك طول النهار كما جرت عادة وقوفه ويكون وقوفه لملاحظة جارية من جوارى
الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته
بل قصد عبدا من عبيده فاى استخفاف يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله مراعاة
عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا انه ظن ان ذلك العبد اقدر على
تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالقرب اليه من الله اذ آثره على ملك الملوك فجعل
مقصود عبادته واى استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى (وتعظيم نفسه) اى وايثار
تعظيمها (فى القلوب على تعظيمه تعالى) تعظيم علام الغيوب وتوضيحه ان الرياء لو لم يكن
فيه الا انه يركع ويسجد لغير الله فكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله تعالى
فقد قصد غير الله ولعمرى لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو
الكفر الخفى لان المرائى عظم فى قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يركع ويسجد فكان
الناس هم المعظمون بالسجود من وجه فهما زال قصد تعظيم الله بالسجود وبقى تعظيم
الخلق فى الشهود كان ذلك قريبا من الشرك المعهود الا انه ان قصد تعظيم نفسه
فى قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله فعن هذا كان شركا خفيا
لا شركا جليا وذلك غاية الجهل والنقصان ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم
عنده ان العباد يملكون من ضره ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومنافع آماله اكثر
مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك
قلوبهم اليه ولو وكله الله سبحانه اليهم فى الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافأة له على
صنعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون
موتا ولا حيوة ولا نشورا فكيف لغيرهم وهذا فى الدنيا فكيف فى العقبى يوم لا يجزى
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل تقول الانبياء فيه نفسى نفسى
فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله بالدرجات الفاخرة
ما يرتقبه بطمعه الكاذب فى الدنيا من الناس فلا ينبغى ان يشك فى ان المرائى اطاعة الله
فى سخط الله من حيث النقل والعقل وهذا معنى قوله (والاحتراز) اى وايثار المرائى
الاحتراز (عن مقت غيره) سبحانه (عليه) اى على الاحتراز (من مقته) تعالى فقد سأل رجل
سعيد بن المسيب فقال احدنا يصطنع المعروف ويحب ان يحمد ويؤجر قال له ايحب
ان يمقتك الله قال لا قال اذا عملت لله عملا فاخلصه (ورد العمل) اى ومن آفاته عدم
القبول (فورد) اى فى الحديث القدسى (انى لا اقبل الا ما كان خالصا لى) لما جده

بهذا اللفظ ولكن ورد معناه . وهو مارواه مالك من حديث ابي هريرة يقول الله من عمل عملا اشرك فيه غيري فهوله كله وانا اغنى الاغنياء عن الشرك ويؤيده قوله تعالى * انما يتقبل الله من المتقين (واللوم) اى ومن آفاته الملامة (بين الملائكة فورد في الحديث الانسي (يقال عند صعودهم بالعمل) المخلوط بالرياء (ردوه الى سجين) لقوله تعالى * ان كتاب الفجار لفي سجين * وهو موضع في اسفل سافلين مكان الشياطين وقيل هو كتاب اعمال المشركين (فانه لم يردني) اى بعمله خالصا له الدين ولابن المبارك في زهد ومن طريقة ابن ابي الدنيا وابو الشيخ في حديث طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا لم يردني بعمله فاجعلوه في سجين (وفي القيمة) اى ومن آفاته الملامة والندامة يوم القيمة (فورد في ندائه) اى المرائي (فيها) اى في القيمة (ياكافر) حقيقة او حكما بكفران النعمة (يافاجر) اى يافاسق بترك الاخلاص في الطاعة (ياغادر) اى ياماكر للخلق او للحق ايضا على زعمه الباطل (ياخاسر) اى الذي خسر الدنيا والآخرة والحديث رواه ابن ابي الدنيا ومن رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم ان المرائي ينادي يوم القيمة باربعة اسماء ياكافر يافاجر ياغادر ياخاسر ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا (والحرمان عن الاجر) اى ومن آفاته حرمان ثواب العمل (فورد يقال) اى المرائي يوم القيمة (التمس الاجر) اى اطلب الثواب (ممن كنت تعمل له) من الخلق كما تقدم (الم يوسع عليك في المجالس الم تكن رئيس الدنيا الم يرخص بيعك الم تكرم) اى بالقيام والسلام وانواع من الاكرام وقد روى عن علي ان الله عزوجل يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبدؤن بالسلام الم تقض لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم والمعنى وكان هذه الاشياء قصدك من اظهار الطاعة فقد جزيت بها في الدنيا فلم يبق لك اجر في العقبى كما قال تعالى * من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون (والعذاب) اى ومن آفاته عذاب الآخرة (فورد اهل الرياء يعذبون في النار) لم اره بهذا اللفظ وللترمذي وابن ماجه من حديث ابي هريرة استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين (والافحش) مبتدأ اى الاغلظ والاشد في الرياء (باعتبار نفسه) اى نفس الرياء واصله ولهذا الرياء اربع درجات (ان لا يريد الثواب اصلا) اى لا يكون مراده الثواب قطعا كالذي يصلي بين الناس ولو انفرد كان لا يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الرياء (وهو) اى المرائي (في غاية المقت) من الله وغضبه وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلي بنفسه لما اداها وهذا غالبا لا يتصور الا من المنافق فالنفاق يبطل العمل من اصله والرياء

يوجب رده والمن والاذى يحبطان الصدقة اصلا وعند بعض المشايخ يبطلان اضعافها واما الندامة فيحبط العمل في قولهم جميعا والعجب يذهب اضعافه والتهاون يخفف العمل فيذهب رزانته (ثم مافيه ارادتان) ارادة الاجر والرياء (والرياء غالب) وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن قصد الاجر لكان قصد الرياء يحمله على العمل كمن يريد الصلوة لوجه الله تعالى ارادة ضعيفة لا تنهضه عليها فاتفق مجيء جماعة عنده فظهر داعية الرياء في قلبه مع بقاء ارادة وجه الله فانهضه عليها ولو لم يكن الرياء ما كان ينهضه مجرد ارادة وجه الله ولو لم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة الرياء تنهضه (وهو يقرب به) اى هذا النوع من الرياء يقرب الافحش وهو الاول الذي ليس فيه ارادة الثواب اصلا فهذا يقرب ماقبله في المقت لكن لما فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل ولا ينفي عنه المقت والاثم (ثم ما استويا) اى ثم الافحش باعتبار نفس الرياء ما استوى الارادتان او القصدان (فيه) اى في ذلك العمل بحيث لو كان كل واحد منهما خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما اصلح (فالمرجو) اى المأمول من فضل الله وكرمه (ان لا يكون له) اى لصاحب الارادتين المستويتين نفع وثواب (ولا عليه) ضرر وعقاب بل يسلم رأسا برأس او يكون له من الثواب مثل ماعليه من العقاب ويؤيده ماروي عن معاذ قال لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم * فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا * شق على القوم واشتد عليهم فقال افلا افرجها عنكم قالوا بلى يارسول الله قال هي مثل الآية التي في الروم * وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله * فقال عليه السلام من عمل رياء لا يكتب له ولا عليه كذا في الجامع الكبير للسيوطي (لكن اطلاق الاخذ في الادلة يشمله) اى ظواهر الاخبار من ادلة ذم الرياء يشمل هذا النوع فيحصل له الاثم ويدل على انه لا يسلم (ثم) اى ثم الافحش باعتبار نفس قصد الرياء (ما ترجح فيه قصد الثواب) بان يكون طلب الاجر غالبا ويكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا لنشاطه ولو لم يكن لما كان يترك العبادة ولو قصد الرياء وحده لما اقدم (فالمظنون) اى الذي نظنه والعلم عند الله سبحانه (فيه) اى في هذا النوع (النقصان) اى نقصان الثواب (لا البطلان) اى لا نحكم على العمل ببطلانه بالكلية لان العبرة بالغلبة في الاحكام الجزئية (او الثواب) اى على قدر ما اخلص في نيته (والعقاب) على قدر الرياء (بحسب القصدين) اى المتقدمين (والاصل ان القرب منه تعالى بالميل اليه تعالى) اى بسبب الاقبال عليه والحضور لديه (والبعد عنه تعالى بالذهول) اى الغفلة عنه لقوله تعالى * ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه وكان امره فرطا (وماورد) اى في حديث (انا اغنى الاغنياء

من الشرك) وفى نسخة من اشراكه (ونحوه) اى مما يدل على البطلان (فمحمول على الاول) اى مما لا يريد الثواب اصلا او على ما تساوى القصدان او كان قصد الرياء ارجح فان لفظة الشركة مطلقة للتسوية (وباعتبار مابه رياء) اى والاخش من الرياء باعتبار ما يقع به الرياء من العبادات هو الرياء (باصل الايمان) وقيل هو بدل من قوله به باعادة الجار وماقدرناه اولى بالاعتبار وذلك بان يظهر كلمتى الشهادة باللسان من غير تصديق بالجنان لكنه يرائى احيانا لظاهر الامر فى بعض الاركان (وهو اغلظ ابواب الرياء) كما يشير اليه قوله تعالى * يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك * اى متحير بين ذلك * لا الى هؤلاء * المسلمين * ولا الى هؤلاء * المشركين * ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا * اى مخلصا ودليلا فلم يكن مخلصا بل يكون دائما حقيرا ذليلا (وفيه الخلود بالنار) فى دار البوار كما قال تعالى * ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار * وذلك لانهم جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر فحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين ولان ضررهم للمسلمين اكثر من ضرر المشركين وكان النفاق فى بدء الاسلام يكثر ممن يدخل فى ظاهر الاسلام ويعمل ببعض الاحكام لغرض فاسد او عوض كاسد وذلك مما يقل فى زماننا حيث لا باعث عليه هنالك ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملاحدة او يعتقد طى بساط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين فى النار وليس وراء هذا الرياء رياء (ثم) اى ثم الاخش بعده الرياء (باصل فرائض سواه) اى غير الايمان وذلك بان يكون مال الرجل فى يد غيره فيأمره باخراج الزكوة خوفا من المذمة والله يعلم من باطنه انه او كان فى يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو فى جمع فيصلى وعادته ترك الصلوة فى الخلوة وكذا يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لما كان يحضرها وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهى خلوة من الخلق ليفطر او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة ولكن خوفا من المذمة او يغزو او يحج كذلك (وفيه المقت) اى اشد الغضب من جانب الرب الا انه ليس بكافر عند اهل السنة والجماعة وذلك لانه مراء فى الاركان ومعه اصل الايمان فيعتقد ان الله لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لما عداه لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل الطارى فى الاوقات وينشط عند اطلاع الناس وفق العادات فتكون منزلته عند الخلق احب اليه من منزلته عند الخالق وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقوبة الله ورغبته فى محمدتهم اشد من رغبته فى مثوبة الله وهذا غاية الجهل بالرب وما اجدر صاحب هذا بالمقت الذى هو اشد الغضب (ثم) اى ثم الاخش بعده الرياء (باصل السنن) المؤكدة (والنوافل) المستحبة التى لو تركها لا يعصى ولكنه يكسل عنها فى الخلوة لفتور رغبته فى ثوابها ولايثار لذة الكسل على ما يرجى

من ثواب العمل ثم يبعثه الرياء على فعلها وذلك كحضور الجماعة فى الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عاشوراء ونحوه فقد يفعل المرائى هذه الجملة خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى من ضميره انه لو خلى بنفسه لم زاد على اداء فرائضه فهذا ايضا عظيم فى نفسه لكن كما قال (وفيه) اى فى هذا النوع من الرياء (نصفه) اى نصف المقت او بعضه باختلاف تفاوت احواله فى الرغبة باعثة له وذلك (لايثار رضاء غيره تعالى على رضاه سبحانه دون ايثار الاحتراز عن مقت غيره سبحانه عليه) اى على المرائى (من مقته تعالى) فان الذى قبله آثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الخالق واما هذا فلم يفعل ما فعل ذلك لانه لم يخف عقاب الله على ترك النافلة او تركها ولكنه عوقب على الشطر الاول فلهذا عقابه نصف عقابه فتأمل (ثم بالاوصاف) اى ثم الاخش بعده الرياء باوصاف العبادات لا باصولها من الفرائض المهمات (فبالواجب كتعديل الاركان) من الركوع والسجود والقومة بتسكين الجوارح والاعضاء فيها حتى يطمئن فانه يرائى بفعل ما فى تركه نقصان العبادة كالذى غرضه ان يخفف الركوع والسجود والقومة فان رآه الناس احسن افعالها ومد القعود بين السجدتين وامثالها فقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهى استهانة يستهين بها ربه يعنى انه ليس يبالى باطلاع الله عليه فى الخلوة كما فى الجلوة فاذا اطلع آدمى عليه احسن الصلوة ومن جلس بين يدى انسان متربعا او متكئا فدخل غلامه فاستوى فى الجلسة واحسن كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد لا محالة وهذا حال المرائى بتحسين الصلوة فى الملأ دون الخلاء وكذا الذى يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الردية فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من الملامة وكذا الصائم يصون صومه عن الغيبة الا لاباحة الصوم خوفا من المذمة فهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديم الخلق على الخالق لكنه دون الرياء باصول التطوعات كذا فى الاحياء والظاهر انه دون الرياء باصول العبادات من الفروض لان اصول التطوعات دون اصول الواجبات وكذا يجوز ترك التطوعات رأسا ولا يجوز ترك الواجبات اصلا نعم بترك الفرائض تبطل العبادات بخلاف ترك الواجبات فانه يوجب الاثم والنقصان فى وصف العبادات (ثم المكمل) اى ثم الاخش بعده الرياء بفعل ما لا نقصان فى تركه لكن فعله فى حكم التكملة والتتمة لعباداته فهو ما كان وجوده خيرا من عدمه (كتطويلها) اى الصلوة بتطويل الركوع والسجود ومد القيام واطالة القراءة (وتحسين الهيئة) فى رفع اليدين ووضعهما مع اظهار تزيين النية المشعر بتحسين الطوية وحفظ العين عن الالتفات واطراق الرأس فى الحالات ليستدل بذلك على غاية خشوعه ونهاية خضوعه وكل ذلك مما لو خلى ونفسه لكان لا يقدم عليه بمقتضى طبعه

ومراعاة شرعه (ثم لزائد) اى بعده لرياء بزيادة خارجة عن نفس النوافل ايضا (كالبكور فى المسجد) اى لحضور الجماعة قبل القوم (وقصد الصف الاول) وتوجهه الى يمين الامام ومايجرى بجراه من الاحكام وكل ذلك مما راأى به الانام ويعلم الملك العلام انه اوخلى بنفسه لكان لايبالى اين وقف ومتى حضر (وباعتبار ماله) اى والاخش باعتبار مايقع الرياء لاجله ماله فيه (قصد المعصية) وقيل انه بدل من ضمير ماله والاولى ماقدرناه لحسن مآله وذلك بان يكون مقصوده التمكن من معصيته (كتقلد الوقف للمداهنة) اى كالذى راأى بالعبادات و يظهر التقوى والورع بكثرة النوافل من الطاعات والامتناع عن اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بتأدية الامانات فيؤتى تولية القضايا اوالاوقاف اوالوصايا اومال الايتام فيأخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوة والصدقات ليستأثر بما يقدر عليه منها فى الحاجات او يودع الودايع فيأخذها و يجحدها فى بعض الحالات وهؤلاء ابغض المرائين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوه آلة ومتجرا و بضاعة لهم فى فسقهم (ثم المباح) اى قصده بالرياء (كنكاح الشريفة) اوالمرأة الجميلة فيكون غرضه بالرياء نيل حظ من حظوظ الدنيا من مال اوجمال فيظهر الحزن بالبكاء ويشتغل بالوعظ فى الصباح والمساء لتبذل له الاموال ويرغب فى نكاحه النساء فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله متاع الحيوة الدنيا ولكنه دون الاول فان المطلوب بهذا مباح فى نفسه (ثم التميز عن العامة) بالمشى والزى وترك اكل اللحم ونحوه كى يعد من الخاصة كالزهاد والعباد فيما بين العباد من اهل البلاد فيظهر عبادته لا لقصد نيل حظ دنيوى من مال اونكاح بل خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص و يعتقد انه من جملة العامة كالذى يمشى مستعجلا فى طريق فيطلع عليه الناس فيحسن المشى ويترك العجلة كيلا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار والسكون وكذلك الذى يسبق اليه الضحك اويبدر منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين الوقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكاء و يقول ما اعظم غفلة الآدمى عن نفسه والله يعلم منه انه لوكان فى خلوة هنالك لما كان يثقل عليه ذلك (وقد يخفى) اى الرياء فانه كما تقدم اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء (كالفرح باطلاع الغير) على طاعته فرب عبد مخلص فى عمله لايعتقد الرياء بل يكرهه و يرده عن نفسه ويتم العمل كذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على رياء خفى فيه يترشح السرور منه (والتعريض للاظهار) يعنى ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهيته فيصير ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفى من الرياء فيتقاضى تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقاء الكلام غرضا بالاظهار وقد حكى ان رجلا اضاف الثورى واصحابه فقال لاهله هاتوا الطبق الذى جئت به

فى الحجة الاولى فنظر سفيان وقال مسكين قد افسد عليه بهذا حجته (وتحسين الاداء فى الخلاء) وجعله عادة له (لئلا يخالف فى الملاء) ظنا منه انه يتخلص بهذا عن الرياء ولم يعرف انه يتكرر منه الرياء فى الخلاء والملاء (وللتزين) كذا فى النسخ والظاهر ان يقول والتزين فى الاعين اى اعين اهل الملاء (بظهور الخشوع فى الاعضاء) كاظهار النحول والصفار وخفض الصوت و يبس الشفتين وآثار الدمع وغلبة النعاس الدال على طول التهجد والحاصل انه مهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء وقد روى لايكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر (وتأثيره) اى الرياء فى العمل بالاحباط والاثبات (انه اذا هجم) اى غلب الرياء (بعد التمام) اى تمام العمل الخالص (بالفرح) متعلق بهجم اى بفرحه (على الظهور) من غير قصده (اوالاظهار) بقوله (لايبطل) ثواب العمل المؤدى بالاخلاص (لعدم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارى) اى الحادث بعده (وفيه الثواب) على عمله الذى مضى (والعقاب) على مرائاته بطاعة الله بعد الفراغ منها (وحمل ماورد) اى فى الحديث من نفى العمل تغليظا (ماصمت ولا افطرت فيمن قال صمت) اى فى حق من قال صمت (دائما) والمحفوظ صمت الدهر يارسول الله ثم المعروف فى مسلم من حديث ابى قتادة قال عمر يارسول الله كيف بمن يصوم الدهر قال لاصام ولا افطر فهذا حمل (على كراهة صوم الدهر) اى لا على ابطاله بالرياء لاظهار عمله ولانه يكون فى قوله نوع كذب (لدخول العيدين) اى عيد الفطر والاضحى (والتشريق فيه) اى فى قوله صمت الدهر وصوم هذه الايام الخمسة حرام باتفاق الائمة الاربعة واخرج ابن جرير كما فى الجامع الكبير عن ام كلثوم قالت قيل لعائشة تصومين الدهر وقد نهى عليه السلام عن صيام الدهر قالت نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام الدهر ولكن من افطر يوم الفطر و يوم النحر فلم يصم الدهر وقال بعضهم انما قال عليه السلام زجرا له عن اظهاره (وماجاء) اى وحمل ماورد عن ابن مسعود (ذلك) اى اظهارك (حظك) ولفظ الاحياء حظه (منها) اى من القراءة (فيمن قال قرأت البارحة) اى الليلة المتقدمة (سورة البقرة على) اى حمل على (عدم خلو القلب عنه) اى عن الرياء (حالة القراءة) لانه هجم بعد تمامها (بدلالة الاظهار) كيف ماكان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده لما ان ظهر منه التحدث به اذ يبعد ان يكون ما يطرؤ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بالكلية نعم يبطل كمال ثوابه فى القضية (واذا هجم) اى غلبه الرياء (فى الاثناء) اى اثناء العبادة (متجردا) عن الاخلاص فى قصد الثواب (و بعث على العمل) اى على اتمامه (وختم) العمل (به) اى بالرياء المتجرد عن قصد الثواب (كما لو تذكر

ضالة) فى اثناء الصلوة (اوحدث نضارة) اى فرجة ونزهة فى اثنائها (فاتم العمل لحضور الغير عنده اولاه) وفى نسخة لولاهو اى ذلك الغير (لقطع) ذلك العمل وطلب الضالة او بفرح على النضارة (يبطل) جواب اذا هجم اى يبطل هذا الرياء ثواب العمل لكن (فى عمل ذى اركان) اى اجزاء (يتعلق صلاح بعضها ببعض كالصلوة والصوم والحج) والظاهر ان الغزو كذلك لكن قال الطبرى اذا كان الباعث اولا اعلاء كلمة الله لايضره ماعرض له بعد ذلك على مانقله عنه السيوطى فى حاشية البخارى (فورد العمل كالوعاء اذا طاب اوله طاب آخره) هكذا فى الاحياء ورواه ابن ماجه من حديث معاوية بلفظ اذا طاب اسفله طاب اعلاه وعلى كل تقدير فظاهره لايوافق المدعى الا ان يراد مفهوم الحديث كما لايخفى (من رائى بعمله ساعة حبط عمله الذى كان قبله) كذا فى الاحياء قال مخرجه لم اجده بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع سمع الله به من رائى رائى الله به (دون غيره) اى بخلاف عمل ليس بذى اركان يتعلق صلاح بعضها ببعض (كالصدقة و التلاوة) وانما لم يبطل هذا النوع من العمل كله بالرياء (اذكل جزء) من كل منهما (منفرد) اى من جزء آخر حيث انه مستقل بنفسه لاتعلق له بغيره فعن بعض الصالحين قال كنت ليلة وقت السحر فى غرفة لى اقرأ سورة طه فلما ختمتها غفوت غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولم ارلها ثوابا ولم ارها اثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادى من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت فى منامى بكاء شديدا وقلت لم فعلتم ذلك قال مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها وهذا يدل على ان الرياء فى الاوصاف مبطل لثواب العمل رأسا (والطارى) اى الحادث من الرياء (لايبطل الماضى) من العمل بل يبطل الباقى وفيه مخالفة لماروى من ان الشخص اذا ذكر العمل السرى مرة ينقل الى العلانية واذا ذكره ثانيا ينقل الى الرياء (واذا لم يتجرد) الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب (بل غلب) الرياء عليه (كغلبة الفرح باطلاع الغير) اى بمشاهدة غيره اليه (فالغالب فيه) اى الظن الغالب فى هذا النوع من العمل (الفساد ان انقضى) على حالة الرياء (ركن) من اركان ذلك العمل مع غلبة قصد الرياء (ولم يعاوده) اى العامل الركن او المصلى (الباعث الاصلى للصلوة) وهو الاخلاص (لانا نستصحب نية البداءة) اى نعطى النية السابقة التى كانت خالصة لقصد المثوبة حكم استصحاب الحال والمعنى نحكم عليها بالاخلاص الى تمام العمل فى المآل (بشرط ان لايطرأ) اى لايحدث بعد النية السابقة فى اثناء العمل من الرياء اللاحقة (ما) اى الرياء (اوقارن ابتداء لمنع) الباعث الاصلى الذى هو الاخلاص (وان احتمل) اى ولو احتمل (الجواز) اى صحة العمل (لبقاء قصد الثواب الموجود

حال العقد) من التحريمة المقرونة بالنية وتوضيحه مافى الاحياء اذا كان واراد الرياء بحيث لايمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لوحضر جماعة فى اثناء صلاته ففرح بحضورهم فاعتقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لاجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قدأثر فى العمل وانتهض باعثا على الحركات فان غلب عليه حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغى ان يفسد العبادة مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط ان لايطرأ مايغلبها و يغمرها ويحتمل ان يقال لايحبط العبادة نظرا الى حالة العقد والى بقاء اصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو اغلب منه والله اعلم بالصواب وذهب الحارث المحاسبى الى الاحباط فى امر اهون منه قال اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس يعنى سرورا هو لحب المنزلة والجاه . قال وقد اختلف الناس فى هذا فصارت فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الاول وركن الى حمد المخلوقين ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط ان لم تزد فى العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالاغلب على قلبى انه يحبط اذا ختم عمله بالرياء ثم قال فان قيل فقد قال الحسن البصرى انماهما صورتان فان كانت الاولى لله لاتضره الثانية وقد روى ان رجلا قال يارسول الله اسر عملى لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرنى قال لك اجران اجر السر واجر العلانية رواه البيهقى والترمذى وابن حبان من حديث ابى هريرة ثم تكلم المحاسبى على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لاتضره اى لايدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى ثلاثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد بظهور عمله بعد الفراغ وليس فى الحديث انه قبل الفراغ وثانيها انه اراد انه يسر به لاقتداء الناس به ونحوه من سرور محمود لاسرورا بحسب حب المحمدة والمنزلة بدليل انه جعل له به اجرا ولا ذاهب من الامة الى ان للسرور بالمحمدة اجرا وغايته انه يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائى اجران وثالثها انه قال اكثر من روى هذا الحديث رويه غير متصل الى ابى هريرة بل اكثرهم يوقفه على ابى صالح السمان وفيهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة اولى (وان اتصل) الرياء (بالعقد) اى بالتحريمة وابتداء النية (متجردا) من قصد الثواب (واتم) العمل حتى سلم (عليه) اى على الرياء المتجرد (يعيد) ذلك العمل (اتفاقا) اى وهو اثم اجماعا (وان رجع) المصلى عن الرياء الى الاخلاص وندم على ما قصده (قبل التمام) اى تمام العمل (فكذلك) يعيد ذلك العمل اتفاقا (لفقد الانعقاد) على الاخلاص (وضعف

القول) اى ولضعف قول القائل (بوجوب اعادة الافعال) الصادرة عن الرياء (لفسادها) اى لبطلان تلك الافعال (دون التحريمة) اى من غير وجوب اعادتها (فهى) اى التحريمة (عقد) له ثبوت واستقرار (والرياء خطرة لاتخرجها) اى التحريمة (عن الانعقاد) والمعنى ان قول المصلى اصلى لله تعالى عقد نيته على الاخلاص لله كالاقرار باللسان عقد ثابت والرياء خطرة لاتبطل العقد كما ان اقرار المنافق باللسان لايبطل نفاقه بالجنان بل يثبت حكمه فى الدنيا فكذا هنا فقوله فهى عقد الخ دليل وجوب الاعادة واما دليل القول الاول المضعف للثانى فقوله (لان الافعال الفاسدة من الركوع والسجود) اذا لم تصح فهى (زائدة فيها) اى فى الصلوة (فتبطلها) اى تلك الافعال الصلوة (و بوجوب الاستغفار) اى واضعف القول بوجوب الاستغفار (قلبا والاتمام) اى وبوجوب اتمام العمل (مخلصا) اى متجردا عن الرياء (لاعتبار الختم) تعليل لوجوب الاستغفار والاتمام مخلصا اى لاعتبار خاتمة العمل (كما لوختم بالرياء وابتدأ بالاخلاص) لكان يفسد عمله (وكون العمل) اى و بكون العمل او ولاعتبار كون العمل (لله تعالى) لالغيره (والا) اى فلولم يكن العمل خالصا له بان صلى لغيره (لكفر) كما كفر من يسجد للصنم ونحوه (وزوال عارض الرياء) اى و بزواله او ولاعتبار زواله (بالتوبة لانه) دليل لضعف وجوب الاستغفار والمعنى لان الرياء (قادح فى النية وحالة البداءة) اى الاولى (اولى بالرعاية) فى الاخلاص من الحالة الثانية لان المدار عليها فى الافعال الباقية فقد فات ذلك فيبطل العمل و تجب الاعادة وتوضيحه مافى الاحياء من ان الرياء الذى يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف فى انه يعصى ولايعتد بصلاته وان ندم عليه فى اثنء صلاته واستغفر ورجع قبل التمام ففيما يلزمه ثلاثة اوجه قالت فرقة لم تنعقد صلاته مع قصد الرياء فليستأنفه وقالت فرقة يلزمه اعادة الافعال كالركوع والسجود و تفسد افعاله دون تحريمة الصلوة لان التحريم عقد والرياء خاطر فى قلبه لايخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لايلزمه اعادة شئ بل يستغفر الله بقلبه و يتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتمة العبادة كما لو ابتدأها بالاخلاص وختمها بالرياء لكان يفسد عمله وقالوا ان الصلوة والركوع والسجود لايكون الا لله فان سجد لغير الله كان كافرا ولكن اقترن به عارض بالرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لايبالى بحمد الناس وذمهم فيصح صلاته قال ومذهب الفريقين الاخيرين خارج عن قياس الفقه جدا خصوصا من قال يلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود اذا لم يصح صارت افعالا زائدة فى الصلوة فتبطل الصلوة و كذا قول من يقول لو ختم بالاخلاص صح نظرا الى الآخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح فى النية واولى الاوقات بمراعاة احكام النية حال الافتتاح فالذى يستقيم على قياس الفقه هو ان يقال

ان كان باعثه مجرد الرياء فى ابتداء العقد دون طلب الثواب وامتثال الامر لم ينعقد الافتتاح ولم يصح مابعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه لم يصل فهذه الصلوة لانية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وهنا لاباعث ولا اجابة واما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلى الا انه ظهر له الرغبة فى المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان وهذا معنى قوله (وان لم يتجرد) الرياء من قصد الثواب (ففيما لايقبل الفساد) وهو العمل الذى ليس بذى اركان (كالصدقة) والقراءة والصوم والحج (يثاب) على قصد الاخلاص حيث اطاع باجابة باعث الثواب (ويعاقب) على قصد الرياء حيث عصى باجابة باعث الرياء وعدل عن طريق الصواب (فورد) فى التنزيل (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) اى يرجزاءه فى الدنيا والاخرى (الآية) اى * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * فله ثواب بقدر قصده الصحيح وعليه عقاب بقدر قصده الفاسد ولايحبط احدهما الآخر (وفى غيره) اى وفى غير ما لا يقبل الفساد وهو فيما يقبل الفساد وهو عمل ذو اركان (كالصلوة) فانها تقبل الفساد بتطرق خلل الى النية ففرق بين الفرض والنفل حيث قال (لايبطل النفل حتى يصح الاقتداء) والمعنى ان حكمه ايضا حكم الصدقة فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع فى قلبه الباعثان ولايمكن ان يقال صلاته فاسدة والاقتداء به باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا فى البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلاته ويصح الاقتداء به (ولايسقط الفرض ان لم يستقل قصد الثواب) بان اقترن به قصد آخر هو عاص به فاجتمع الباعثان وكان كل واحد لايستقل وانما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لايسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينتهض باعثا فى حقه بمجرده واستقلاله (وان استقل) اى قصد الثواب بمقتضى ظاهر كلام المصنف والاظهر ان استقل كل من القصدين الباعثين حتى لولم يكن باعث الرياء لأدى الفرض ولولم يكن باعث الفرض لانشأ صلوة التطوع لاجل الرياء (فوجهان) اى ففيه احتمالان احدهما (السقوط) اى سقوط الفرض واعتباره للامتثال (بالنية المستقلة) واقتران غيره به لايمنع سقوط الفرض عنه كما لوصلى فى دار مغصوبة فانه وان كان عاصيا بايقاع الصلوة فى الدار المغصوبة فانه مطيع بامتثال الصلوة ومسقط للفرض عن نفسه (وعدمه) اى وثانيهما نفى سقوط الفرض (لان الواجب) فى تأدية الفرض (هو الخالص) من الرياء لقوله تعالى * وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين * وقد فات ذلك باتصال الرياء (وان كان) باعث الاخلاص مستقلا ثم تعارض الاحتمال فى تعارض البواعث انما هو فى اصل الصلوة وان كان اتصال الرياء (فى المبادرة) مثلا دون اصل الصلوة

مثل من بادر بالصلوة فى اول الوقت لحضور الجماعة ليقولوا انه مبادر الى الخيرات ومسارع الى الطاعات والمبرات ولو خلا لاخر الى وسط الوقت او آخره ولولا الفرض لكان لايبتدى صلوة لاجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض عن ذمته (ففيه فوت الفضيلة) وهى تصحيح النية فى المبادرة (والمعصية لقصد الرياء) فى المبادرة (اما المغلوب) من الرياء (الغير المؤثر) اى اذا لم يبلغ اثره الى حيث يؤثر فى العمل كالذى لم يحمله على تطويل الصلوة (مثلا كمجرد الفرحة) باطلاع الغير (فالغالب) من جهة الظن (فيه) اى فى ذلك الرياء المغلوب الغير المؤثر (الجواز) اى صحة العمل (لعدم اعتبار غير المؤثر) دفعا للحرج (واحتمل ان الواجب) على العبد (هو الخالص) من العمل عن الرياء (والمخلوط) بالرياء (غير مؤدى) حق الاداء (ومن ثم توقف الحارث المحاسبى مائلا الى الفساد) اى فساد العمل بالرياء غير المغلوب كما قدمناه (وقيل بافساد باقل خطرة) فيما كان من اركان العمل (مطلقا) اى سواء بلغ اثره الى حيث يؤثر فى العمل ام لا وقيل مطلقا اى رياء كان او غيره (حرصا) لطلبه الرب (فى تصفية القلب) عما عداه سبحانه لاسيما حال العبادة هو مذهب الثورى والجنيد (والمسألة) اى مسألة الرياء (غامضة) اى مشكلة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها فى فن الفقه والذين خاضوا فيها وتصرفوا من ارباب التصوف لم يلاحظوا قوانين الفقه من صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب ومرادها وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنى الخواطر والارادات (والعلم عنده تعالى) فى جميع الحالات والمقامات ومما يؤيد القول بابطال الرياء فى جميع الطاعات اطلاق قوله تعالى * يا ايها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس * الآية ورواية ابى داود من حديث ابى هريرة ان رجلا قال يارسول الله رجل يبتغى الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضا من عرض الدنيا فقال عليه السلام لااجر له وللنسائى من حديث ابى امامة باسناد حسن ارأيت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال لاشئ له فاعادها ثلاث مرات يقول له لاشئ له ثم قال ان الله لايقبل من العمل الا ما كان خالصا وابتغى به وجهه نعم قد يقال الحكم للاغلب والله تعالى اعلم (والعلاج) اى دواء داء الرياء اربعة (قلع حب الجاه والمدح) اللذين هما سببه (وكراهة الذم والطمع) مما فى ايدى الناس اى وقلع كراهتها والطمع (بما سبق) ذكره من الاشياء ومما يشهد للرياء بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائى ماروى ابو موسى ان اعرابيا سأل النبى عليه السلام فقال يارسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يأنف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب قال والرجل يقاتل لذى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه والرجل يقاتل الذكر وهذا هو طلب الحمد باللسان فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا متفق عليه وعنه عليه السلام من غزا لايبغى

الاعقالا فله مانوى رواه النسائى وهذا اشارة الى الطمع (واخفاء العمل متكلفا) اى مجتهدا مبالغا فيه بان يعود نفسه اخفاء العبادات كما يخفى السيئات (وذكر فوائد الاخلاص وآفات الرياء) على ماتقدم والحاصل ان قوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونور الايقان وضعف المعرفة بسبب حب الدنيا وحسب الغفلة ونسيان العقبى وقلة التفكر فيما عند المولى من الدرجات وعدم التأمل فى آفات الدنيا وعظم نعيم الاخرى واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو رأس كل خطيئة ومنبع السيئات فان حلاوة حب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا الفانية هى التى تغمر القلب وتميله عن الرب وتحول بينه وبين التفكر فى العاقبة الباقية والاستبصار بنور الكتاب والسنة الثابتة وانوار العلوم النافعة واسرار الاعمال الرافعة (فما اقبح من لايكتفى بنظره تعالى على ساعة من العمل المعبوب) عنده (وهو تعالى مع جلاله) اى جلالة قدره وعظمة شانه (يكتفى بنظره) اى بنظر عبده وتأمله فى خلق سمائه وارضه ونزول امره (فورد) فى التنزيل * الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير الآية) اى * وان الله قد احاط بكل شئ علما (ومن) اى وما اقبح من (باع عمله بخسيس فان واعرض عن بيعه بثواب الدارين) من نفيس باق ليس له ثان (فورد) فى التنزيل (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فليطلبهما من عنده فانه لايوجد واحد منهما عند غيره (وذكر ماورد فيه) اى فى الاخلاص من الفضيلة وفى ذم الرياء من الرذيلة ويكفى فى ذلك قوله سبحانه * فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه احدا * والاخبار فى هذا الباب كثيرة والآثار شهيرة (ويحمد الفرحة بالظهور) اى بسبب ظهور الطاعة من غير قصد فى اظهارها (على حسن لطفه تعالى) اى شكرا (باخفاء الذنوب) اى ستر السيئات (واظهار الطاعات فورد) فى التنزيل (قل بفضل الله وبرحمته) من الايمان والقرآن (فبذلك فليفرحوا) اى لابغير ماذكر (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا الفانية وفى الدعاء يا من اظهر الجميل وستر القبيح (او دلالته) اى او يحمد الفرحة بالظهور على دلالته (على انه تعالى يفعل كذلك) من اظهار الحسنات وستر السيئات (فى الآخرة) اى آخر الحالات (فورد) فى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة (ماستر الله على عبده فى الدنيا الا وستره عليه فى الآخرة) وفى معناه انشدوا

* لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقى *

فيكون الاول فرحا بالقبول فى الحال من غير ملاحظة للاستقبال والثانى التفات الى حال المآل وحسن المنال (او انه) اى يحمد بالفرحة او بالظهور على ان من ظهر عمله (يقتدى به فيضاعف الاجر) بسبب ظهوره (او) اى او يحمد بالفرحة على (ان المطلعين على عمله يثابون بمحبته) اى بمحبة صاحب العمل (والثناء عليه) فى مقام

رضاه ففي الخبر افضل الاعمال الحب في الله (ويعرف الاخير) وهو صدق دعوى فرحه بإثابة الناس او فرحه باقتدائهم في عمله (بتسوية مدحه ومدح صالح غيره) فانه حينئذ دل على ان فرحه محمود لا مذموم ومردود (ومنه) اي ومن الفرح المحمود (ما ورد لك اجران اجر السر واجر العلانية فيمن قال) على طريق السؤال (اخفي العمل) خوفا من الرياء (فاذا ظهر افرح) بظهور الثناء فللبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود ان رجلا قال اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيطلع عليه فيسرني فقال عليه السلام لك اجران اجر السر واجر العلانية ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ابي هريرة ولفظه قال قلت يارسول الله بينا انا في مصلاي دخل علي رجل فاعجبني الحال التي رآني عليها فقال عليه السلام رحمك الله يا ابا هريرة لك اجران اجر السر واجر العلانية والحديث في المشكوة (والاظهار) اي ويحمد اظهار العمل (للترغيب) اي لترغيب غيره فيه (فورد) في صحيح مسلم من حديث جرير بن عبد الله البجلي (من سن سنة حسنة) اي فعمل بها كما في رواية (فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة) وسبب وروده ان انصاريا جاء بصرة فتتابع الناس بالعطية لما رواه للبيهقي من حديث ابن عمر عمل السر افضل من عمل العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء وله من حديث ابي الدرداء ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين ضعفا وله من حديث عائشة بفضل او يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة على الذي يسمعه بسبعين ضعفا (وبه) اي وبالاظهار (امر الانبياء عليهم السلام) ويفهم منه انه يحسن الاظهار (بشرط ان يكون) المظهر (ممن يقتدى به) من العلماء والصلحاء ليتم فائدة الاظهار الذي دون الاسرار قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا قد يكون فائدة فلذا اثنى الله على السر والعلانية فقال تعالى ﴿ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ قال وقد قال ايضا ﴿الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم﴾ الآية قال علي رضي الله عنه تصدقت بدرهم في ليل وآخر في نهار وآخر سرا وآخر علانية عملا بالآية (ويبالغ) اي وبشرط ان يبالغ (في الاحتراز عن الرياء) ليصل الى مقام اهل الاختصاص من الاخلاص فربما يكون فيه رياء في غاية خفاء فيدعوه الى الاظهار بعذر اقتداء فيهلك هنالك وهو لا يشعر بذلك (ويعرف) احترازه او يعرف المظهر للترغيب دون الرياء (بانه لو قدر) اي فرض (اقتداء الناس بغيره) من العلماء في عمله حال ظهوره (وعرفانه) اي وقدر معرفة هذا المظهر (باستواء اجر السر والعلانية) فضلا عن كون عمل السر افضل (لما رغب) المظهر (فيه) اي في اظهار عمله لان غرضه حصل من عمل غيره فمهما وجد الثقل في نفسه او رغب في اظهار العمل مع وجود اظهاره من الغير فهو كاذب في دعواه طالب لمقتضى هواه

(والذكر) اي ويحمد ذكر العمل (بعده) اي بعد فراغ العمل ليقتدى به كقول عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في الاحياء ولابي يعلى الموصلي في معجمه من رواية انس عنه في اثناء حديث وان عثمان قال يارسول الله فذكره بلفظ منذ بايعتك قال هو ذاك عثمان او تحدثا بنعمة ربه (وهو) اي الذكر انما جاز (لمن قوي باطنه) في المعرفة بعدم الالتفات الى سوى الله (وتم اخلاصه) عن الرياء (وخطره) اي خطر الذكر بعد العمل (اصعب) من خطر الظهور (لخفة المؤنة) اي الكلفة في ذكره ببعض الكلمة (وزيادة المبالغة) اي ولزيادة تهافي ذكر العمل بان يقول ما نمت البارحة مع انه لا يخلو من نوع من النوم ولو بالنعاس (ولذة النفس) في اظهار الدعاوى (واخف) اي اهون على المظهر في التأثر وان يطرق في الذكر بعد العمل (لان اللاحق) من ذكر العمل (لا يبطل السابق) من نفس العمل مع الاخلاص (وكتمان المعاصي) اي ويحمد كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس على العيوب (لا) اي لا يحمد (لان يعتقد فيه) في الكاتم (الورع (رياء بل) يحمد لثمانية اشياء (للتحامي عن الهتك) اي للمحافظة على هتك ستره وظهور امره من ذنبه خوفا من سقوط وقع المعاصي من النفس وجرائتها عليها فان النفس متى الفت ظهور الذنوب زاد انهماكها واسترسلت في شهواتها بارتكابها وما بالت بعدم اجتنابها (فقيه) اي في الهتك في الدنيا (خوفه) اي خوف العبد او خوف الهتك (في الآخرة) اي في القيمة بالكرة الآخرة عكس ما تقدم في قوله

* لقد احسن الله فيما مضى * كذلك يحسن فيما بقي *

(او لان الستر) اي كتمان المعاصي (مأمور به) اي في باب استحبابه (فورد) في حديث من ستر الله عليه في الدنيا ستر الله عليه في الآخرة باعتبار مفهومه وكذ (من ارتكب شيئا من هذه القاذورات) اي السيئات (فليستتر بستر الله تعالى عليه) رواه الحاكم (ويعرف) صحة هذا المقام (بكراهة ظهورها) اي المعاصي (من الغير) ففي الخبر لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه (او لئلا يتألم بالذم) اي بذم الناس فان الذم مؤلم للقلب وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان بعاص (فهو) اي التألم (مباح لكونه جبليا) كما ان الضرب يؤلم الجوارح بالطبع فاذا تألم القلب بالذم ربما يصير مانعا من الخشوع والخضوع في العبادة لفوات عقله بسبب الغضب الناشي عن تألمه (والترك) اي ترك التألم (كمال) فان كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وان العباد كلهم عاجزون مقهورون تحت قدره وقضائه فللترمذي من حديث البراء وحسنه بلفظ قام رجل فقال ان حمدي زين وان ذمي شين فقال كذبت ذاك الله وللاحمد من حديث الاقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله ثقات (او لان الناس شهداء) اي شهداء الله

تعالى كما قيل السنة الخلق اقلام الحق (فورد) فى مسند احمد والصحيحين والنسائى عن انس (من اثنيتم) ايها الصحابة اوايها الامة (عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت عليه النار انتم شهداء الله فى الارض ثلاثا) اى قاله ثلاث مرات وهو المستفاد من قوله سبحانه * وكذلك جعلناكم امة وسطا * اى عدلا * لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (اولان الذام يصير عاصيا) اى بسبب ذمه ولو بالمعاصى او بتجاوزه عن الحد فى الذم فيذم بما ليس فيه (ويعرف) تصحيح هذا المقام او يعرف هذا الكتمان (بتسوية ذمه وذم غيره) يعنى كما يتألم بذمه كذلك بذم غيره والفرق بين هذا التألم والذى قبله ان هذا يوجد فى الانسان اذا ظهرت المعصية عن غيره ايضا كما يوجد اذا ظهر منه والذى قبله انما يوجد فى الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون غيره (اولخوف ان يقصد بسوء) من محتسب وغيره وهذا وراء الذم فان الذم مذموم من حيث يشعر القلب بنقصانه وان كان ممن يؤمن شره وهذا يخاف شر من يطلع على ذنبه فيتغير عليه من جهة قلبه (اوللحياء فهو من كرم الطبع) ولا يلزم منه الرياء (وورد الحياء خير كله) مسلم من حديث عمران بن حصين (الحياء شعبة من الايمان) متفق عليه من حديث ابى هريرة وفى الخبر الحياء لا ياتى الا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين ويعرف الكتمان للحياء بعدم الكتمان فيمن لا يستحيى منه كالاجانب بخلاف باقى الاسباب فان صاحبها يحب الكتمان فى الاجانب والاقارب (اولان لا يقتدى به الغير) فى معصيته فينبغى ان يخفى العاصى معصيته من ولده وعبده ايضا (وحب) اى ويحمد حب (محبته الناس) كان الظاهر ان يقال محبة الناس ليكون اضافة المصدر الى فاعله والمفعول محذوف اى اياه لكنه قلب الكلام وقال محبة الناس بالاضافة الى المفعول والناس فاعلها (لان يعلم منه) اى من حب الناس له (محبته تعالى) رياء (فمن احبه تعالى جعله محبوبا فى قلوبهم) اى قلوب الخلق اجمعهم لقوله تعالى * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا * ولقوله عليه السلام اذا احب الله عبدا دعا جبريل فقال انى احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض الحديث رواه مسلم عن ابى هريرة (ثم الطاعة التى يلتذ بها العامة كالصلوة والصوم) والصدقة (يترك بمحضر الغير ان هجم الرياء) مجردا عن باعث آخر او عن الاخلاص (فى الشروع) اى فى ابتداء شروعه فى العمل (حتى اندفع الرياء) اى الى ان يندفع الرياء ويطرأ باعث الاخلاص (ويشرع) فى العمل (مجاهدا) نفسه فى رفع الرياء وتحصيل الاخلاص بالمعالجة والدواء (ان هجم باعثان) فى وقت الشروع (ويتم) اى يجاهد (كذلك) اى كما تم فى هجوم باعثين (ان هجم) باعث الرياء (بعده) اى بعد الشروع (ولا يترك) اى زيادة الشروع فى العمل مع هجوم الرياء لوجهين (لانه موافقة الشيطان) فانه يحب ترك العمل من اصله فانه يدعوك اولا الى ترك العمل فاذا لم تجبه واشتغلت بالعمل فيدعوك

الى الرياء فاذا لم تجبه ودفعته بقى يقول لك هذا العمل ليس بخالص وانت مراء وتعبك ضايع فاى فائدة لك فى العمل الذى لا خلاص فيه حتى تدلك على ترك العمل بخوفك فاذا تركته حصلت غرضه بل يجب عليه حينئذ ان يعمل العمل ويطلب الاخلاص من الله تعالى فان الرياء قنطرة الاخلاص (ولان الاشتهار باخفائها) اى الطاعة (ليعلم اخلاصه رياء والاحتراز عن النسبة الى الرياء رياء) كما قال الفضيل العمل لغير الله شرك وترك العمل لاجل الخلق رياء والاخلاص ان يخلصك الله منهما (وترك النخعى التلاوة لدخول شخص) لم يكن لمجرد اخفاء الطاعة بل (لما علم انه يحتاج اليه بالاشتغال به فبادر الى ترك التلاوة قبل دخوله (لكونه) اى التبادر (ابعد من الرياء) فرأى ان عدم اشتغاله بالقراءة ابعد من الرياء وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليها بعد ذلك والحاصل ان تركه لم يكن لهجوم الباعثين عند الشروع او هجوم باعث الرياء بعد الشروع (وان زاد) اى المصلى مثلا (على المعتاد) فى ورده كمية او كيفية (بحدوث النشاط) فى العبادة (عند رؤيته متعبد) اى عند رؤيته لمتعبد آخر فان للصحبة تأثيرا بليغا ولذا شرع الجمعة والجماعة (فان كان) ما زاد على المعتاد (غبطة) فى العبادة (لزوال الغفلة والكسل بمشاهدته) اى المتعبد (فيفعل الزيادة) على العادة وان ظن انه رياء (دافعا وسوسة انه رياء) بخلاف ما اذا كان نشاطا لاستمالة قلبه) اى قلب المتعبد الآخر فلا يفعل الزيادة لانه رياء محض لا ثواب له بل عقاب عليه (ويعرف) هذا المقام وهو النشاط لاجل الغبطة (بانه) اى بان العابد الذى يزيد على المعتاد غبطة (لو رأى) اى المنشط المتعبد (بحيث لم يره) المتعبد المنشط (رغب) العابد (فيه) اى فى العمل الزائد فانه حينئذ يصدق انه مخلص وباعث الزيادة حصول الغبطة (اما ما تلتذ به العامة) من الطاعة (فالاعلى الخلافة) اى الامامة الكبرى (فورد) فى الطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس (ليوم من امام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين سنة) وفى رواية عاما وللاصفهانى فى الترغيب والترهيب من حديث ابى سعيد الخدرى اقرب الناس منى مجلسا يوم القيمة امام عادل (وخطرها) اى آفة الخلافة (اعظم لتحريكها) اى الخلافة (الباطن فى محبة الجاه) وهو اعظم بلاء الدنيا فلاحمد والبزار وابى يعلى والطبرانى من حديث ابى هريرة مامن والى عشرة الاجاء يوم القيمة يده مغلولة الى عنقه لا يفكها الا اذا عفر له وفى الصحيحين من حديث معقل بن يسار مامن عبد يسترعيه الله رعية لم يحطها بنصيحة الالم يرح رائحة الجنة وعن الحسن ان رجلا ولاه النبى عليه السلام فقال خرلى يا رسول الله قال اجلس رواه الطبرانى ورواه ايضا من حديث ابن عمر بلفظ الزم بيتك وفى الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة وللبخارى من حديث ابى هريرة انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ورواه ابن حبان فبئست المرضعة وبئست الفاطمة وفيهما من حديث ابى موسى انا

لا نولي امرنا من سألنا (والافضاء) اى واتصال الخلافة وانجرارها (الى ارتكاب الذنب لنموه) اى زيادة الجاه فان كل ماينما جاهه وغلب على النفس حبه صارت الولاية محبوبة عنده فيحتاج الى حفظها و يوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل مايقدح فى جاهه وان كان حقا (ومن ثم احترز عنها) اى عن الخلافة (الاتقياء) من اكابر الامة لكن لابد لاحد ان يقوم بامرها (فيحترز عنها الضعيف) اى العاجز عن السياسة (دون القوى) القادر على الرياسة (لعدم تأثيرها) اى تأثير الخلافة او محبة الجاه (فيه) اى فى القوى (الا اذا علم القوى) اى خاف (الانقلاب) عن حالة القوة الى حالة الضعف (عند التقليد) اى عند قبول الخلافة لما قدمنا من الخطر والآفة (فالصحيح) الاحوط (فيه) اى فى هذا الحال من خوف الانقلاب (الاحتراز اذ النفس خداعة يخاف عليها عند الجزم) اى عند عزمها وجزمها (بالثبات فعند الخوف) من عدم الثبات (اولى ان يخاف عليها (والامتناع) عن المنصب (اهون من العزل) كما هو المشاهد فى اهل العدل يشير اليه ما فى حديث البخارى نعمت المرضعة و بئست الفاطمة (ثم القضاء) وخطره ايضا ادنى من خطر الخلافة ولمسلم من حديث ابى ذر لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ولاصحاب السنن من حديث بريدة القضاة ثلاثة اثنان فى النار وواحد فى الجنة رجل علم الحق فقضى به فهو فى الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار ورجل عرف الحق فجار فى الحكم فهو فى النار ولهم من حديث ابى هريرة من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين وفى رواية من ولى القضاء واسناده صحيح (ثم الوعظ للناس (والدرس) للطلبة (والفتوى) لارباب الحاجة (فى الفضل) لانها عبادات متعدية (والخطر) لاتساع الجاه فيها وعظم القدر بها فخطر ما فيها عظيم بقدرها (واشتراط القوة) بان يحول التعليم خالصا لوجه الله الكريم (ومدافعة السلف) مبتدأ (فيها) اى فى المذكورات (مشهورة) قال بعضهم كان السلف يتدافعون اربعة اشياء الامامة والوديعة والوصية والفتوى (وتعرف القوة) فى كل منهم (بعدم كراهة ظهور آخر) احسن منه علما وعملا (يتقلده) اى بالقيام فى امره (فان عدم القوى) فى مقام التقوى (الكامل) فى العلم بالفتوى (تعين اقوى الناس مجتهدا) اى حال كونه مبالغا (فى الاحتراز عن آفاته) اى آفات ماذكر من الخلافة وغيرها فى جميع حالاته ومقاماته و بالجملة مايتعلق بالخلق من الطاعة وللنفس فيه لذة فهو مثار الآفات ومنبع البليات فالاحب للقوى ان يعمل و يدفع الآفة بالعلم فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليستخر به وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل مادل عليه نور العلم بالشرع دون الميل اليه بالطبع اذ ما يجده اخف على قلبه واهون اليه يكون فى الاكثر اضر عليه لان النفس لاتشير الا بالشر قلما تشير بمحض الخير وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفى واثبات نظرا الى تعاليلها بل هى موكولة الى اجتهاد القلب

المشحون بذكر الرب لينظر فيه لدينه ويحقق يقينه و يدع مايريبه الى مالا يريبه ومن جرب آفات مناصب العلم وما يترتب عليها من الحرام والشبه علم انها بالولايات والحكومات اشبه وان الحذر منها فى حق الضعيف اسلم والله سبحانه اعلم

﴿ الباب الرابع عشر فى التفويض وقصر الامل وذكر الموت والانتباه ﴾

اى اليقظة من نوم الغفلة بالتوبة والاستقامة (بسم الله الرحمن الرحيم) وافوض امرى الى ربى الكريم (الخطر) وهو الاشراف على الهلاك ان لم يكن مقرونا بالحذر وفق القدر (خطران) اى نوعان احدهما (خطر الفساد) بان لايستيقن فيه الصلاح (ويحتاج فيه الى التفويض) اى التسليم الى امر الله وما قدره وقضاه فيما اراد من الصلاح والفساد فان المراد للعباد ثلاثة مراد يعلم يقينا انه شر وفساد كالنار والعذاب والحجاب وفى الافعال كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل لك الى ارادة ذلك ومراد يعلم قطعا انه خير وصلاح كالجنة والايمان والطاعة والسنة فلك ارادتها بالحكم لا موضع للتفويض فيه اذ لا خطر فيه ومراد لايعلم يقينا ان لك فيه صلاحا ام فسادا فهذا موضع التفويض فليس لك ان تريدها قطعا الا بالاستثناء او شرط الخير والصلاح فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان اردت دون الاستثناء فهو مذموم ومنهى عنه فموضع التفويض اذا كل مراد فيه الخطر وهو ان لا يستيقن صلاحك فيه (وهو) اى التفويض (ارادة حفظه تعالى للمفوض فيما) اى فى عمل (لا امن فيه عن الفساد) وقال بعض المشايخ هو ترك اختيار ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصالح العباد من الصلاح والفساد وعبارة الشيخ السنجرى هو ترك اختيارك المخاطرة على المختار ليختار لك ماهو خير لك ويؤيده كلام الامام الشاذلى لا تختر فان تختر فاختر ان لا تختار فربك يخلق مايشاء ويختار ومن هنا لما قيل لابى يزيد ماتريد قال اريد ان لا اريد وقال الشيخ ابو عمر هو ترك الطمع اى من الحق والطمع ارادة الشئ المخاطر بالحكم وعن الشاذلى اقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك فهذه عبارات القوم وماذكره المصنف هو اختيار الامام الغزالى بعينه وهو ان التفويض ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا تأمن الخطر فيه لاجلك (قيل هو) اى العمل الذى لا امن فيه من الفساد (مايكون دونه نجاة) فالايمان ليس لغيره نجاة وكذا الواجبات والمحرمات (ويمكن ان يجامعه ذنب) فالاستقامة التى هى حمل النفس على طريق السلامة من اخلاق القرآن والسنة من غير الشك والشبهة لا يجامعها ذنب اذ السنة لا يجامعها بدعة لان البدعة الذميمة هى التى تزاحم السنة الكريمة (فيختص) التفويض (بالنوافل والمباحات) دون الواجبات والمحرمات والمكروهات (وقيل) المراد بالعمل الذى لا امن فيه من الفساد (ما) اى عمل (يمكن ان

يعترض عليه) اى يطرأ و يحدث على شروعه (ما يكون الاشتغال به اولى فيم
الفرض) اى ونحوه واكثر المشايخ واختيار الامام فى منهاج العابدين ان الفرض ليس
موضع التفويض و به قال القشيرى حيث قال فى هذه المسألة ان الذى افترض الله
عزوجل على عبده من الصلوة والصيام والحج ونحوها ففيها صلاح العبد لامحالة
وصحت ارادتها بالحكم البتة انتهى وقال بعضهم ان الله عزوجل لايأمر العبد بشئ
الاوفيه صلاح اذا تجرد عن العوارض ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث لايعدل عن
ذلك الا وفيه صلاح له وانه ربما يسبب عذرا لاجله يكون العدول عن احد الفرائض
اولى من الاشتغال بالآخر فيكون العبد فى ذلك معذورا بل مأجورا لكن لا يترك هذا
الفرض بل يفعل الفرض الذى هو اولى اولا (اذ من قصد اداء صلوة ضاق وقتها
وعنده غريق اوحريق) اواعمى اوصغير يريد ان يرمى فى بئر (يمكن انقاذه) اى
تخليصه بترك اداء الصلوة او بقطعها وتأخيرها (فهو اولى) من ادائها واتمامها
لان ذلك هو فرض الوقت الذى يوجب تركه المقت (ولابد منه) اى من التفويض
لامرين (لاطمئنان القلب فى الحال) فان الامور اذا كانت خطرة مبهمة لايدرى
صلاحها من فسادها فيكون مضطرب القلب متردد النفس فى مرادها لايدرى يقع
فى صلاح او فساد فاذا فوضت الامر الى الله وما قدره وقضاه علمت انك لاتقع الا فى خير
وصلاح ونفع وفلاح فتكون آمنا من الخطر والآفة والمخافة مطمئن البال فى الحال
وهذه الطمأنينة والامن والراحة فى القلب غنيمة عظيمة فى المثال فكان يقول بعض المشايخ
فى مجالسه كثيرا دع التدبير الى من خلقك تسترح (وحصول الصلاح) اى الخير
والنفع (فى الاستقبال) وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر فى صورة خير
وكم من نفع فى حلية ضر وكم من سم فى طينة شهد وانت جاهل بالعواقب واسرار
المراتب واما اذا فوضت الامر اليه وتوكلت عليه وسلمت نفسك لديه وسألته ان يختار لك
ما هو صلاحك (فلا يفعل) رب العباد (فى المفوض) اى فى امر المفوض للمراد
(الفساد) بل لم يلق الا الخير والرشاد ولا يقع الا الصلاح والسداد (فورد) فى التنزيل
حكاية عن مؤمن آل فرعون (وافوض امرى الى الله الى فوقيه الله الآية) * ان الله بصير
بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب * فالمرجو هو المتيقن
بالصلاح (واما الاصلح) للعبد (فربما لايفعل) الله فى المفوض (حتى نام عليه السلام
مع اصحابه) الكرام (عن صلوة الفجر) حين عرس عليه السلام وقت سحر فى حال
سفر والحديث فى الصحيحين بطوله (وله) اى وللمفوض (اختار الافضل) اى فى طلبه
من الله بغير استثناء منه وهو لايقدح فى تفويضه الذى هو كمال تسليمه (كقول المريض
المفوض (الطبيب) الذى بمنزلة الحبيب (اجعل دوائى ماء السكر لاماء الشعير اذا كان الصلاح
فيهما) بحسب التدبير (مع الرضاء بالمفضول) وهو ماء الشعير (ان اختبره) اى اختار

الطبيب المفضول (له) للمريض بحسب التقدير وانما قيد بكونه مع الرضاء لانه لولم
يرض به لكان المفضول مكروها وكان الافضل حينئذ هو الفاضل (بخلاف الاصلح فهو
مجهول) اى لايعرف احد من العباد جهة الصلاح وجهة الفساد حتى يختار الاصلح
فيما اراد وتوضيحه ما فى الاحياء فان قيل هل يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل
فاعلم ان الايجاب مستحيل فى حق الله تعالى ولا يجب لعباده عليه شئ وقد يفعل
بالعبد الاصلح دون الافضل لحكمة فى فعله الاترى انه قدر للنبى عليه السلام واصحابه
ان ناموا طول الليل فى بعض الاسفار حتى فاتتهم صلوة الفجر والصلوة افضل من النوم
وربما يقدر للعبد الغنى والنعمة فى الدنيا وان كان الفقر افضل باعتبار العقبى ويقدر له
الاشتغال بالاولاد والازواج وان كان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعباده خبير
بصير فالمقصود للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع الفساد والاهلاك
فان قيل فلماذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان
الفرق بينهما ان العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد
لعريه بالحكم ثم معنى اختياره الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما
هو الافضل و يختار له ذلك و يقدره هنالك لا ان للعبد تحكما فى شئ لقوله تعالى
* ليس لك من الامر شئ * فهذه جملة من دقائق هذا العلم واسراره وحقائقه
وانواره ولولا ان الحاجة مست اليه لما تعرضنا بالايراد عليه لانه يلاطم بحار علوم المكاشفة
ونحن فى ساحل علوم المعاملة (وضده) اى ضد التفويض (الطمع) من الحق بمعنى
الرجاء (وهو) اى الطمع (محمود ان قيد بشرط الصلاح) فيما لا امن فيه عن الفساد
(او باين) اى ان فارق المطموع (الخطر) اى خطر الفساد (فورد) فى التنزيل
حكاية عن ابراهيم (والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى) يوم الدين وعن السحرة (انا نطمع
ان يغفر لنا ربنا خطايانا) ان كنا اول المؤمنين * وكذا قوله تعالى حكاية عن
المؤمنين * ومالنا لانؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا القوم
الصالحين * فالطمع الوارد فى هذه الآيات مثال ما باين الخطر (والا فمذموم) اى ربما
وان لم يقيد بشرط الصلاح اولم يباين الخطر فالطمع مذموم ففى الخبر اياكم والطمع فانه فقر
حاضر وقيل صلاح الدين الورع وفساده الطمع (فهو) اى الطمع المذموم (سكون
القلب الى منفعة مشكوكة) وقيل هو ارادة الشئ المخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل
التفويض لاغير فاعلم ذلك واما حصن التفويض فهو ذكر خطر الامور وامكان
الهلاك والفساد منها وحصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر
والامتناع من الوقوع فيها لجهلك وغفلتك وضعفك فالمواظبة على هذين الذكرين
يحملك على تفويض الامور كلها الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع
عن ارادتها الا بشرط صلاحها وهذا غاية التحقيق والله ولى التوفيق (وخطر عدم

الكون) بالرفع عطف على قوله فى اول الباب خطر الفساد اى الخطر خطر ان خطر الفساد وخطر عدم الكون اى عدم وجود الامر (و يحتاج فيه) اى فى خطر عدم الكون (الى قصر الامل) اى وتقريب الاجل وتكثير العمل (وهو) اى قصر الامل (ان لا يراد امر يشك فى كونه) اى وجوده (الا بالاستثناء بذكر المشيئة) اى بقيد ان شاء الله كما قال تعالى * ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله (او العلم) اى او بذكر علم الله فيقول ان علم الله انى افعل ذلك الفعل فافعل (قلبا) اى يكفى فى الذكر والعلم خطور القلب وحضور الجنان ولا يلزم فيها النطق باللسان فى عالم البيان (فورد) فى قصر الامل خطابا لابن عمر (اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء) اى بادراكه (واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح) وتمامه وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا وصدر الحديث كن فى الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور رواه ابن حبان ورواه البخارى من قول ابن عمر ولابن ابى الدنيا من حديث على مرفوعا قال ان اشد ما اخوف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه يورث الحب للدنيا ثم قال الا ان الله يعطى الدنيا من يحب و يبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدنيا ابناء وللدين ابناء فكونوا ابناء الدين ولا تكونوا ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الآخرة قد اظلت مقبلة الا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم توشكون ان تكونوا فى يوم حساب ليس فيه عمل (والامل) اى وضد التفويض الامل ايضا (هو الارادة) اى ارادة امر يشك فى كونه (بالحكم) اى بالقطع لا بالاستثناء وقيد المشيئة (وفيه) اى فى الامل (التفاوت من امل البقاء ابدا) كما للكفار من الدهرية والى الالف كما قال تعالى * ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر الف سنة * وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة قلب الشيخ شاب على حب اثنين طول الحيوة وحب المال (والى الهرم) اى الكبر وهو حال الاكثر (والسنة) وهو قريب الى السنة فانه عليه السلام كان يدخر لعياله قوت سنة لكفاية حالهم من ماله (والفصل) من الفصول الاربعة (والشهر) فلابن ابى الدنيا والطبرانى وابى نعيم والبيهقى عن ابى سعيد اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة اشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت ان جفنى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى وظننت انى واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين ولابن

المبارك وابن ابى الدنيا والبزار من حديث ابن عباس كان يخرج عليه السلام يريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لا ابلغه وكان عليه السلام يقول فى دعائه اللهم انى اعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة واعوذ بك من حيوة تمنع خير المماة واعوذ بك من امل يمنع خير العمل ابن ابى الدنيا من رواية حوشب وقال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنأ بالعيش ولا قامت بينهم الاسواق وقال بعضهم لولا الحمقى لخربت الدنيا وقال الثورى الزهد فى الدنيا بقصر الامل ليس بأكل الغليظ ولبس العباء وقيل للحسن الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك ورأى وهب بن منبه فى حجر منقور ابن آدم انك لو رأيت ما بقى من اجلك لزهدت فى طول املك ولرغبت فى زيادة عملك واقصرت عن حرصك وجهلك انما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيمة قبل الحسرة والندامة وعن داود الطائى من خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو آت قريب وكل ما يشغلك عن ربك فهو مشؤم وان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور فاهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند ربهم يختصمون وروى ان معروف الكرخى اقام الصلوة فقال لاحمد بن ابى توبة تقدم فقال ان صليت لكم هذه الصلوة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلى صلوة اخرى اعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وكان الحسن يقول فى موعظته المبادرة فانما هى الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التى تتقربون الى الله تعالى عز وجل رحم الله عبدا نظر لنفسه وبكى بعد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية * انما نعد لهم عدا * يعنى الانفاس آخر العد خروج نفسك عن نفسك واجتهد ابو موسى الاشعرى قبل موته اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال الخيل اذا ارسلت فقاربت رأس مجاريها اخرجت جميع ما عندها والذى بقى من عمرى اقل من ذلك فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول لامرأته شدى رحلك فليس على جهنم معبر وقال ابن عمر خرج عليه السلام والشمس على اطراف السعف وقال ما بقى من الدنيا الا مثل ما بقى من يومنا هذا الى ما مضى منه ابن ابى الدنيا والترمذى وحسنه وعن انس قال عليه السلام مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى آخره فبقى معلقا بخيط فى آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع رواه ابن ابى الدنيا ومر داود الطائى فسأله رجل عن حديث فقال دعنى انما ابادر خروج روحى وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى * ولكنكم فتنتم انفسكم * قال بالشهوات واللذات * وتربصتم * قال بالتوبة

* وارتبتم * قال شككتم * حتى جاء امر الله * قال الموت * وغركم بالله الغرور (واليوم) فعن عيسى عليه السلام لاتهتموا برزق غد فان يكن غد من آجالكم فسيأتى فيه ارزاقكم وان لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم وهو يؤخذ من قوله تعالى * وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا (والساعة) النجومية واللغوية الشاملة للحظة والغمضة و يؤخذ هذا من قوله تعالى * اذاجاء اجلهم لايستأخرون ساعة * ومن قوله * ولن يؤخر الله نفسا * اى ولونفسا * اذاجاء اجلها * وفى الاحياء ومنهم من يكون الموت نصب عينه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو الذى يصلى صلوة مودع وفيه ورد مانقل عن معاذ لماساله عليه السلام عن حقيقة ايمانه فقال ماخطوت خطوة الاظننت انى لااتبعها اخرى رواه ابونعيم فى الحلية وكما نقل عن الاسود وهو الحبشى انه كان يصلى ليلا و يلتفت يمينا وشمالا فقال قائل ماهذا قال انتظر ملك الموت من اى جهة يأتينى يعنى وفى اى صفة يحضرنى وهل اكون من اصحاب اليمين او اصحاب الشمال فخوف الرجال من هذا الحال لامن انتهاء الآجال وفى منهاج العابدين قال اكثر علمائنا ان الامل ارادة الحيوة للوقت المتراخى بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء بمشيئة الله وعلمه فى الذكر او بشرط الصلاح فى الارادة فاذن ان ذكرت حياتك بانى اعيش بعد نفس ثان اوساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل وذلك معصية اذهو حكم على الغيب وان قيدته بالمشيئة والعلم من الله فقلت اعيش ان شاء الله وان علم الله انى اعيش بعد خرجت عن حكم الامل وكذلك ان اردت حياتك للوقت الثانى قطعا فانت آمل وان قدرت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل ووصفت بتقصير الامل حيث تركت الحكم فى ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر ذكر القلب ثم المراد منه التوطين على ذلك وتثبيت القلب على ماهنالك (و يظهر) هذا التفاوت (بالادخار) اى بوضع ذخيرة الارزاق (والتأهب) اى التهيؤ لاسباب المعاش فى الارفاق (وآفاته) اى آفات الامل ومضراته ستة (ترك الطاعة) رأسا (والكسل) فى العبادة والملل (والتسويف) اى تأخير العمل بان يقول سوف اعمل (والحرص) على الدنيا (ونسيان الآخرة) ومافيها من لقاء المولى (والقسوة) اى قساوة القلب ومنه قوله تعالى * ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة اواشد قسوة * وقوله سبحانه * فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * ومن علامة القساوة عدم الرقة وقلة البكاء على الغفلة (فورد) فى التنزيل * المريأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولايكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل (فطال عليهم الامد) اى زمان الاجل (فقست قلوبهم) بسبب طول الامل وفى آية اخرى * ذرهم يأكلوا و يتمتعوا (و يلههم الامل) اى يشغلهم الامل عماخلقوا له من العمل (فسوف يعلمون) غاية جهلهم فى طول املهم وقصر

عملهم وتوهم تأخير اجلهم (والسبب) اى سبب الامل شيئان (حب الدنيا) فانه يوجب كراهة مجيء الاجل (والجهل بالحقايق) اى حقايق مايرد على الانسان من موت الفجاءة وقتل البغتة ومن مقدمات الموت كالحمى والصداع ونحوهما فانه لايكون الاغفلة قال تعالى * وكم من قرية اهلكنا فجاءها بأسنا بياتا اوهم نائمون * اى اوهم قائلون اى مستريحون بالقيلولة (وعلاج كل) من سببيه (ماعرف فى موضعه وذكر فجاءة الموت) اى ومن علاجه تصورها فى الجنان وتقريرها باللسان (فذكره) اى الموت مطلقا (يوجب التأهب له) اى يقتضى التهيؤ والاستعداد للموت قبل مجيئه (والتجافى) اى التباعد (عن دار الغرور) وهى الدنيا فانها غدارة مكارة كما قال تعالى * فلاتغرنكم الحيوة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور * اى الشيطان المانع عن سلوك سبيل العقبى (فورد) فى الحديث (نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة) والظاهر ان يقول فى كل ساعة اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت و يحتمل ان يذكره فى اليوم عشرين مرة وفى الليلة عشرين مرة اوفى اليوم عشرة وفى الليل عشرة متوالية اومتفرقة والمقصود منها الكثرة (حين قيل هل يحشر مع الشهداء احد) والحديث تقدم وقال المخرج لم اقف له على اسناد قلت روى الطبرانى فى الاوسط عن عائشة قالت قلت يارسول الله ليس الشهداء الامن قتل فى سبيل الله قال ياعائشة ان شهداء امتى اذن لقليل من قال فى يوم خمسا وعشرين مرة اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت ثم مات على فراشه اعطاه الله اجر شهيد وفى السنن الاربعة عن ابى هريرة اكثروا ذكر هادم اللذات الموت وفى رواية اكثر ذكر الموت يسليك عماسواه وفى رواية اكثروا ذكر هادم اللذات فانه لايكون فى كثير الا قلله ولا فى قليل الا اجزأه وفى رواية فانه لم يذكره احد فى ضيق من العيش الا وسعه عليه ولاذكره فى سعة الاضيقها عليه وفى رواية اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب و يزهد فى الدنيا فان ذكرتموه عند الغنى هدمه وان ذكرتموه عند الفقر ارضاكم بعيشكم وللبيهقى فى الشعب من حديث ام حبيبة الجهنية لو تعلم البهائم من الموت مايعلم ابن آدم ما اكلتم منها سمينا ولابن ابى الدنيا عن عطاء الخراسانى مرسلا انه عليه السلام مر بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجالسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا قوم يتحدثون و يضحكون فقال اكثروا من ذكرها دم اللذات فوالذى نفسى بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا رواه ابن ابى الدنيا من حديث ابن عمر وفيه ايماء الى قوله تعالى * فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا * وللطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عمار بن ياسر كفى بالموت وعظا وفى رواية مفرقا قال ابن عمر اتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقال رجل من الانصار من اكيس الناس واكرم الناس يارسول الله قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له

اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة ابن ابى الدنيا بسند جيد وقيل
فى تفسير قوله تعالى * ايهم احسن عملا * ايهم اكثر ذكرا للموت واشدهم استعدادا قبل
الفوت وقال بعضهم احذر الموت فى هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت
ولا تجده . وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها وقالت
صفية ان امرأة شكت الى عائشة قساوة قلبها فقالت اكثرى ذكر الموت يرق قلبك
ففعلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضى الله عنها وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك
ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار (وحقه) اى وحق ذكر الموت (ان يذكر رغبة)
اى ميلا ومحبة (الى لقائه تعالى) فى الجنة (وبعثا) اى تحريضا وحثا (للخوف
الموجب سرعة التدارك) اى تلافى مافات منه من الطاعات (دون التأسف) اى
الحسرة (على فوات الدنيا) اى من لذاتها وشهواتها (فهو) اى التأسف المذكور
(مبعد عنه تعالى) لقوله عليه السلام من اسف على الدنيا فانه اقترب من النار مسيرة
الف سنة اخرجه الرازى فى مشيخته عن ابن عمرو (فورد) فى الحديث (من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) رواه الشيخان وغيرهما وفى
رواية زيادة والموت دون لقاء الله والمراد بلقاء الله المصير الى دار الآخرة وطلب ما عند الله
من المراتب الفاخرة وليس الغرض به الموت لان كلا يكرهه فمن ترك الدنيا وابغضها
احب لقاء الله ومن اختارها وآثرها وركن اليها كره لقاء الله لانه يصل اليه بالموت
وقوله والموت دون لقاء الله يبين ان الموت غير اللقاء ولكنه معترض دون الغرض المطلوب
وهو الوصول الى قرب المحبوب فيجب ان يصبر عليه ويحتمل مشاقه لديه حتى يصل
الى الفوز باللقاء كذا فى النهاية وفى شرح مسلم للنووى ليس معنى الحديث ان حبهم
لقاء الله سبب لحب الله لقاءهم ولا ان كراهتهم سبب لكراهته بل الغرض بيان
وصفهم بانهم يحبون لقاء الله حين احب الله لقاءهم انتهى وتوضيحه ان المحبة
صفة الله ومحبة العبد ربه تابعة لها ومنعكسة منها ومتفرعة عليها كظهور عكس
الماء على الجدار ويؤيده ما روى انه عليه السلام قال اذا احب الله عبدا عشقه عليه
وفى تقديم يحبهم على يحبونه فى القرآن اشارة اليه ودلالة عليه فمعنى الحديث من احب
لقاء الله فهو سبب للاخبار بان الله يحب لقاءه . اذاقنا الله حلاوة محبته وافاقنا بمزيد
عنايته كذا فى شرح المشارق فالاول صفة المحبين والآخر صفة من يخاف عقاب الله
على ذنوبه من المؤمنين او صفة الكافرين والمفهوم من ظاهر ما ذكر فى المصابيح ان
الآخر صفة الكفرة فقط حيث قال عليه السلام هذا الحديث فقالت عائشة انا لنكره الموت
قال عليه السلام ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته
فليس شئ احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره
الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شئ اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله

لقاءه وفى القرآن يشير الى المقامين حيث قال تعالى * ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون * الآيات
وقال عز وعلا * يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ويقول ذوقوا
ما كنتم تعملون (والمراد بالمحب) اى لقاء الله اى فى الحديث انما هو (العارف)
بذات الله وصفاته وبدايع مصنوعاته (المشتاق اليه) لزيادة ما لديه (فالموت موعده)
اذ لا يتصور لقاؤه دونه كما فى حديث مسلم انكم لن تروه حتى تموتوا وهذا مجمل جوابه
تعالى لموسى عليه السلام * لن ترانى * اى فى الدنيا بالعين الفانية وانما ترانى فى العقبى
بالعين الباقية وهذا مجمل قوله عليه السلام تحفة المؤمن الموت ابن ابى الدنيا
والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله بن عمر بسند حسن وعلامة المحب العارف ان لا ينسى
قط موعد لقاء الحبيب بل يستبطى مجئ الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين
وينتقل الى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء
على فاقة لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الى من الغنى والسقم
احب الى من الصحة والموت احب الى من العيش فسهل على الموت حتى القاك فاذا
التائب معذور فى كراهة الموت وهذا مشكور فى حب الموت واعلى منهما رتبة
من فوض امره الى الله فصار لا يحب لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب
الاشياء اليه حبه الى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم
والرضاء وهو غاية المنتهى وهو معنى قول المصنف فيما يأتى (وبالكاره) اى والمراد بالكاره
لقاء الله (الراغب الى الدنيا) مالا وجاها ومنالا كما قدمنا (بخلاف الخائف هجومه)
اى هجوم الموت ومأتاه بغتة (قبل تمام التوبة) وتدارك اوقات الغفلة فى التوبة
(واصلاح الزاد) ليوم المعاد (فهو انما يكره فوت اللقاء) اى لا نفس اللقاء وعلامة
صدق هذا ان يكون دائم الاستعداد لا شغل له سوى اعداد الزاد للمعاد قال القعقاع
ابن حكيم قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو اتانى ما احببت تأخير شئ منه وقال
الثورى رأيت شيخا فى مسجد الكوفة يقول انا فى هذا المسجد منذ ثلاثين سنة انتظر
الموت ان نزل بى او اتانى ما امرته بشئ ولا نهيته عن شئ ولا لى على احد شئ ولا لى
عند احد شئ (والاعلى) اى اعلى المراتب بالنسبة الى ما ذكر من الموت وسائر المناقب
(ترك الاختيار) اى فى امر الاقيما اراد الله منه ان يختاره (والتفويض) بالرفع اى
وتفويض امره وتسليمه الى المدبر المختار بقوله تعالى * وربك يخلق ما يشاء ويختار *
وفى الاخبار عن سيد الاخيار وسند الابرار لا يتمنين احدكم الموت فان فعل ذلك لا محالة
فليقل اللهم احينى ما كانت الحيوة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى واجعل
الحيوة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر وانما كره بعض الانبياء
والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الآخرة وطول العمر فى العبادة من كمال السعادة (ويفرغ

القلب) اى وان يفرغ قلبه (عن غير الموت) اى استعداده قبل الفوت (ويتفكر دائما تفكر العازم على السفر) هائما من خوف البحر والبر واوضح طريق فيه ان يذكر موت اخوانه واقرانه الذين مضوا قبله ويتذكر مصرعهم تحت التراب ويتفكر صورهم فى مناصبهم ومقام حضورهم وكيف تبددت الآن اجزاؤهم فى قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا بناتهم وابناءهم وضيعوا اموالهم وتقضوا احوالهم وخلت منهم مجالسهم واخبارهم ومساجدهم وآثارهم مع ماكان بهم من طول املهم للعيش والبقاء ونسيانهم للموت والفناء وانخداعهم بمواساة الاسباب وركونهم الى القوة والشباب وميلهم الى الغفلة عما يرادبهم من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله وعقباته وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف كان يريد لنفسه مالايحتاج اليه الى عشرين سنة ونحو ذلك من الاحوال والاهوال فعند ذلك ينظر الى نفسه انه مثلهم فى عاقبة امره قال ابو الدرداء اذاذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الاترون انكم تجهزون غاديا ورائحا الى الله عزوجل تضعونه وقد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب وواجه الحساب ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا (والاصل فيه) اى فى ذكر الموت (الانتباه) اى استيقاظ القلب من نوم الغفلة (وهو) اى الانتباه (خلاف الغرور) اى ضده ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا (وهو) اى الغرور (سكون النفس واطمئنانها وهى قوة فى الانسان مائلة الى الشر والفساد كما قال تعالى * ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى * فن الغرور ميلها (الى مايوافق الهوى والشبهة) ويخالف الهدى والسنة بان تكون ارادتها موافقة الطبع من غير داعية الشرع واما اذا اجتمع الهوى والهدى فهو نور على نور وسرور على سرور ولذا قال تعالى * ومن اضل ممن اتبع هويه بغير هدى من الله * (فورد) فى التنزيل (لاتغرنكم الحيوة الدنيا) فانها غدارة مكارة غرارة سحارة فقيل انها اسحر من هاروت وماروت (ولايغرنكم بالله الغرور) اى الشيطان المغرور وفى الترتيب تنبيه على ان من احب الدنيا يضله الشيطان ومن تركها لم يقدر عليه بالطغيان بل قيل من اراد الدنيا لم يقدر على هدايته جميع الانبياء ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشيطان واهل الاغواء وقال عز وعلا * وغرتكم الامانى حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور * وفى الحديث حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يعيبون سهر الحمق واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل ممن على الارض من المغترين كذا فى الاحياء وهو من قول ابى الدرداء بنحوه كما رواه ابن ابى الدنيا والترمذى وحسنه وابن ماجه من حديث

شداد بن اوس الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله (وانواعه) اى انواع الغرور (كثيرة) واكثرها كبيرة لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشئ ويراه على خلاف ماهو به فالغرور هو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به وهو الذى يغره فمن اعتقد انه على خير اما فى العاجل او فى الآجل عن شهوة فاسدة او شبهة كاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير الا ان غرور بعضهم اظهر واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفجار (كايثار الدنيا) اى اختيارها فانه من اقبح انواع الغرور ثم ان اختيارهم الدنيا واغترارهم بها (لكونها نقدا حاضرة (على الآخرة لكونها نسئة) اى متأخرة غائبة وذلك جهل وغرور (لان النسئة الكثيرة راجحة) على النقد القليل (وان شك فيه) اى فى حصول النسئة الكثيرة وانما يرجح مع وجود الشك فيه (والمريض يترك اللذات) التى هى نقد الحالات (ليصح) زمانا طويلا (فى المستقبل) من الاوقات (والتاجر يخاطر الاموال) اى يوقعها فى الخطر من الاهوال كركوبه فى البحر وسفره فى البر وتحمله شدائد الاحوال (ليربح فيه) اى فى زمان الاستقبال (فالآخرة اولى) بالاختيار من الدنيا (للتيقن بها) اى بالآخرة (وعدم نسبة الدنيا اليها) اى الى العقبى (شدة ودواما) اى كمية وكيفية ونظاما كما قال تعالى * والآخرة خير وابقى * بل قيل لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا باقيا لكان العاقل اختار الآخرة فكيف والامر بالعكس ولمن غرته الحيوة الدنيا فان اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلايترك اليقين بالشك وهذا ونحوه اقيسة فاسدة تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتنى من نار خلقته من طين والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى * اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون * وعلاج هذا الغرور اما بتصديق الايمان واما بتحقيق البرهان اما الاول فهو ان يصدق الله فى قوله * ماعندكم ينفد وماعند الله باق * وقوله * وماعند الله خير وابقى * وقوله * والآخرة خير وابقى * وقوله * وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور * واما الثانى فيعلم مما تقدم والله اعلم وفى هذا المقام قال على كرم الله وجهه لبعض الملحدين ان كنت ماقلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ماقلنا حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال على هذا عن شك منه فى الآخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله فمن شك فى الآخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول الصبر اياما قلائل وهى منتهى العمر قريب بالاضافة الى مايقال من امر الآخرة فان كان ماقيل فيه كذبا فما يفوتنى الا التنعم ايام حياتى وقد كنت فى العدم من الازل الى الآن لاانتعم فاحسب انى بقيت فى العدم وان كان ماقيل صدقا فابقى فى النار ابد الآباد وهذا لايطاق فيه العباد ولذا قال ابو العلاء المعرى

قال المنجم والطبيب كلاهما لايحشر الاموات قلت اليكما*

* ان صح قولكما فلست بخاسر * او صح قولى فالخسار عليكما *

ومن جملة غرور الكفار قول بعضهم فى انفسهم وبالسنتهم ان كان لله من معاد فنحن به احق من غيرنا ونحن اوفر حظا منه واسعد حالا كما اخبر الله عنه من حال الرجلين المتحاور بن اذ قال * وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا * وجملة امرهما كما قيل فى التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا بالف دينار وخدما بالف دينار وزوجة بالف دينار وفى ذلك كله يعظه المؤمن ويقول اشتريت قصرا وبستانا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا وبستانا فى الجنة لا يفنى واشتريت خدما بالف دينار وزوجة بالف دينار الا اشتريت خدما لا يموتون وازواجا من الحور العين لا يفنون وفى كل ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شئ وما قيل من ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لى فى الآخرة خير من هذا وكذا وصف الله قول العاص بن وائل اذ يقول * لاوتين مالا وولدا * ورد عليه بقوله * اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا * وروى عن الخباب بن الارت انه قال كان لى على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقضنى فقلت انى اجده فى الآخرة وقال اذا صرت الى الآخرة فان لى هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل الله تعالى * افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا * رواه الشيخان وقال عز وجل * ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى * الآية وذلك انهم ينظرون تارة الى نعم الله عليهم فى الدنيا فيقيسون عليها نعم الآخرة وتارة الى تأخر العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الآخرة ويقولون كما اخبر الله عن بعضهم * لولا يعذبنا الله بما نقول * الآية واخرى ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم ويقولون اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه * ولم يعرف هذا المغرور ان الله يحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما يحمى احدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبه كما رواه الترمذى وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن النعمان وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين فالمغرورون اذا اقبلت عليهم الدنيا ظنوا انها كرامة عند الله واذا صرفت عنهم ظنوا انها هوان كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله * فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى اهانن كلا * بين ان ذلك غرور من كل منهما فقد قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا بكرامتى ولا هذا بهوانى ولكن الكريم من اكرمته بطاعتى غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتى غنيا كان او فقيرا (والاعتماد) بالجر اى وكالاعتماد (على

مجرد الايمان) مع ترك العبادات وارتكاب المحظورات فانه من اعظم الغرور فى الحالات (فورد) فى التنزيل (وانى لغفار لمن تاب) عن الشرك والكفران (وآمن) بالقلب واللسان (وعمل صالحا) بسائر الاعضاء والاركان من ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات (ثم اهتدى) بالاستقامة فى الحالات الى الممات فالمغفرة مقيدة بهذه الطاعات وكقوله تعالى * ان رحمت الله قريب من المحسنين * فى العبادات وقيل للحسن قوم يقولون نحن نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب به (والعصر) اى اقسم بصلوة العصر التى هى الصلوة الوسطى او بعصر المصطفى او بالدهر الذى هو منبع الخير والشر ومعدن النفع والضر (ان الانسان) اى جميع افراده (لفى خسر) اى خسارة فيما عندهم من تجارة (السورة) اى * الا الذين امنوا * كالصديق * وعملوا الصالحات * كالفاروق * وتواصوا بالحق * كذى النورين * وتواصوا بالصبر * كالمرتضى (وعلى) اى وكالاعتماد على (انه تعالى كريم) مع ترك الطاعات وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا والشهوات فيغفر لى فى الآخرة بكرمه وفضله ويدخلنى فى الجنات ومنشأ هذا قوله تعالى * يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم * حيث لقنه بان يقول غرنى ربى كرمك وقد قيل انه تعالى كما انه كريم رحيم متفضل بالثواب شديد العقاب فقد قال تعالى * فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا * وقال تعالى * وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم (فورد) فى التنزيل ما يدل على ذم الغرور بارتكاب المحظور (ان ليس للانسان) نفع فى العقبى (الا ما سعى) من خير فى الدنيا * وان سعيه سوف يرى * قليلا او كثيرا * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (وفيه العكس) اى وفى هذا الاعتماد عكس ما ينبغى فى الاعتقاد (بترك التعويل) اى الاعتماد على المولى (فى الدنيا) اى فى امورها ومهماتها (مع ورود من) وفى نسخة وورد من (يتوكل على الله فهو حسبه) وحاصله ان المغرور لم يعتمد على كرمه سبحانه فى امر الدنيا مع ورود وعدها فى باب التوكل من غير قيد مباشرة بسبب من اسباب السعى ويعتمد فى باب الآخرة على كرمه مع ان وعدها مقيد بالسعى والعمل وتوضيحه انه يجتهد فى امور الدنيا ويعتمد فى امور الآخرة على كرم المولى مع انه كريم فى الدنيا والآخرة فماله لم يعتمد على المولى فى الدنيا من غير السعى مع انه سبحانه ما كلفه بكسبه ويترك العمل فى الآخرة مع انه عز وجل كلفه به ولم يرض عنه بتركه (والعلاج) اى علاج الغرور (العلم) بالكتاب والسنة وما يقربه من الله وما يبعده عنه وتوضيحه ما فى الاحياء من ان الغرور علاجه معرفة دلائل الكرامة والاهانة اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدها عن الله ووجه كون التباعد عنها

مقربا الى الله يدرك بالالهام فى منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله وقد قال تعالى * ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون * وقال * سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * قيل فى تفسيره انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى * فتحنا عليهم ابواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون * وقال تعالى * انما نملى لهم ليزدادوا اثما * وقال * ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار * الى غير ذلك مما ورد فى الكتاب والاخبار (والتفكر) فى احوال الماضين من الامة والمراد بالتفكر احضار القلب العارف فاذا اجتمعت فيه وازدوجت على ترتيب مخصوص انتج ذلك العلم ضروريا وصورته كمن يعلم مثلا ان الابقى بالايثار اولى ثم يعلم ان الآخرة خير وابقى فينتج ان اختيار الآخرة اولى بلغنا الله المقام الاسنى

الباب الخامس عشر فى نفى الخواطر والرياضة

اى نفى الخواطر الدنية وتحصيل رياضة النفس الردية لتهذب بالاخلاق البهية العلية والاحوال السنية وتندرج فيه عجائب القلب من غرائب خلق الرب (بسم الله الرحمن الرحيم) استعين به على كل خلق كريم (الاهم) فى امر الدين الاتم (اصلاح القلب) وحفظه عما يفسده لثمانية عشر وجها (لنظره تعالى اليه) واقباله عليه كما انه يصلح بدنه وثوبه ليحسن نظر الخلق اليه (فورد) فى الحديث كما تقدم (ان الله لا ينظر) اى نظر عناية ورعاية (الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم) وفى رواية واعمالكم وفى اخرى واحوالكم ويشير اليه قوله تعالى * انه عليم بذات الصدور * فاذا كان القلب موضع نظر الرب كما يشير اليه حديث لا يسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن فواعجبا ممن يهتم بتنظيف وجهه الذى هو منظر الخلق ولا يهتم بتطهير قلبه الذى هو منظر ربه (وتعلق صلاح الجسد بصلاحه) اى لتوقفه ظاهرا على تحققه باطنا وكذا تعلق فساد الجسد بفساده (فورد) فى الحديث كما تقدم (ان فى الجسد مضغة) اى قطعة لحم مجوفة كأنها ممضوغة (اذا صلحت) بضم اللام وبفتح (صلح الجسد كله) تمامه واذا فسدت فسد الجسد كله (الا) للتنبيه (وهى) اى تلك المضغة (القلب) اى محل تعلقه وسرير ملكه فان القلب ملك مطاع ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع فاذا صلح المتبوع صلح التبع واذا استقام الملك استقام الرعية ولذا قيل الناس على دين ملوكهم (وسعادة الابد) اى وسيادة السرمد (بسلامته) اى بسلامة القلب من نحو الكفر

والغل والحقد والحسد (فورد) فى التنزيل (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) اى من كل خلق سقيم كالشرك والنفاق والشقاق والاغراض الدنيوية والاعواض الدنية وقيل هو ما لا يخطر فيه الا شهود الرب (وكونه) اى ولكون القلب (معدن النفائس) ومنبع الفواضل الموهوبة (من العلم والمعرفة) اى علم الكتاب والسنة ومعرفة الرب التى هى اجل انواع النعمة (وسائر الفضائل) المكتسبة من تحسين الاخلاق وتزيين الشمائل والحاصل ان القلب خزينة نعم الرب فحقها ان يحفظ ويحرس عن الآفات ويكرم ويبجل بضروب الكرامات ثم اعلم ان شرف الانسان وفضله الذى فضله الله على سائر خلقه باستعداده من بين عباده لمعرفة ربه التى هى فى الدنيا جماله وفخره وفى الآخرة كماله وعدته وذخرته وانما استعد للمعرفة بقلبه وجنانه لا بعضو آخر من اركانه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعى المتقرب الى الله وهو المقرب اليه والمشهود عليه والمكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات كالجوانح يستخدمها القلب فى خدمة الرب استعمال الملك للعبيد واستخدام الراعى للرعية والصانع للآلة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو المعاقب وهو الذى يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذى يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما السارى الذى ينتشر على الجوارح من العبادات انواره وهو العاصى المتمرد على الله سبحانه وانما الطارى الى الاعضاء من الفواحش آثاره وباظلامه واستنارته تظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذى اذا عرفه الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه فقد عرف ربه وهو الذى اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو لغيره اجهل فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه التى هى مظاهر الرب اصل الدين واساس طرق المجتهدين (وقصد العدو اليه) اى واقصد الشيطان الذى هو اكبر اعدائه دائما الى اغوائه (كما ورد به) اى بقصد العدو الى القلب (الخبر) وهو قوله عليه السلام ان الشيطان جاثم وفى رواية واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله تعالى خنس اى تأخر وخلاه واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه ابن ابى الدنيا وابو يعلى وابن عدى (وكثرة شغله) اى ولكثرة اشتغال القلب واحواله وترتب ما عليها من اقوال الانسان وافعاله (فهو) اى القلب (معترك العقل والهوى) اى موضع عراكهما وقتالهما وهلاكهما فاذا برز خاطر الهوى داعيا الى الشر قابله خاطر العقل ودافعه داعيا الى الخير فتارة يغلب العقل ويعلو علم الهدى واخرى يغلب الجهل فترتفع راية النفس والهوى فالحرب سجال وقد قال الملك المتعال * وتلك الايام نداولها بين الناس * وقد قيل * فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر *

وفى الحديث رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ومنه قوله تعالى * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (وكثرة العوارض) اى ولكثرة الامور الطارية والاحوال السارية (لورود الخواطر) الدنية فى القلوب الفواتر الردية من حب الدنيا والرياسات وحصول اللذات والشهوات واللهوات (مع العجز عن المنع) اى مع عجز السالك عن دفع وقوع ما هنالك فان الخواطر كالسهام لا تزال تقع فى القلب كالمطر لا تزال تنزل عليه ليلا ونهارا لا تنقطع ولا انت تقدر على منعها فتمتنع وليس بمنزلة العين التى هى بين الجفنين حتى تغمض وتستريح او اللسان الذى هو وراء الشفتين حتى تطبق وتصمت والحاصل ان الخواطر لا يقدر احد على منعها ولا على التحفظ عنها مع ان النفس مائلة اليها وهى محبوبة لديها (وسرعة الانقلاب) اى ولسرعة تقلب القلب فى الطاعة والمعصية للرب وسمى بالقلب لتقلبه فى احواله ولذا كان عليه السلام يكثر فى دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك رواه الترمذى وحسنه من حديث انس والحاكم من حديث جابر وقال صحيح على شرط مسلم ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك وفى رواية قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمننى والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وللنسائى فى الكبرى وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط الشيخين من حديث النواس بن سمعان ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه (فورد) من حديث ابى عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقى فى الشعب (انه) اى القلب (مثل العصفور) وهو الطير الصغير المشهور بالتقلب الكثير (يتقلب فى كل ساعة) اى الى جهة فكذا القلب تارة يميل الى طاعة ويقظة واخرى الى معصية وغفلة ولاحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى من حديث المقداد بن الاسود مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا وفى رواية لهما قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر فى غليانها وللطبرانى والبيهقى من حديث ابى موسى الاشعرى باسناد حسن مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن (وفيه) عطف بالمعنى على قوله لنظره لانه فى قوة قولنا ولما فيه اى فى القلب ومحله من الصدر (الانشراح) اى الانبساط والنشاط الموجب للصلاح والفلاح (والانفساح) اى الاتساع والانفتاح (عند عدم النقصان) اى نقصان القلب بارتكاب المخالفة بل يكونان عند كماله فى اكتساب الموافقة فللحاكم فى مستدركه من حديث ابن مسعود انه عليه السلام سئل عن قوله تعالى * افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه * ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به فى القلب اتسع له الصدر وانشرح والمعنى اتسع القلب لتجلى الرب وحفظ السر الذى شاهده فى القلب ولذا قيل صدور الاحرار قبور الاسرار ونعم ما قال بعض الابرار

* من اطلعوه على سر فنم به * لم يأمنوه على الاسرار ما عاش *

(والحجاب) عن رب الارباب وهو اشد العذاب او الحجاب عن الاكتساب فهو بالجر عطف على النقصان اى عند عدم حجاب الملاهى ونقاب المناهى ويجوز رفعه عطفا على الانفساح اى وفى القلب حجاب المعاصى والشهوات المتراكمة الواردة على وجه القلب المانعة له عن مشاهدة تجليات الرب فان ذلك يمنع من صفاء القلب وجلائه فيمنع ظهور الحق بقدر ظلامه فى اثنائه وقد قال ابو سليمان الدارانى اذا اعتادت النفوس ترك الآثام جالت فى الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرايف الحكمة ويؤيده حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السماء رواه احمد من حديث ابى هريرة (والمهلكات) التى هى ضد المنجيات (والانصراف) اى عند الانصاف والاعتراف (الى العلم) اى علم الشريعة والطريقة ليعمل به ليصل الى مراتب الحقيقة والمراد بالعلم هو التوحيد المقرون بوصف التفريد من معرفة ذات الحق وصفاته وقدرته فى مصنوعاته والتوجه اليه وترك كل ما يشغل لديه مما يرد عليه وانما زاد الانصراف الى العلم التوحيدى لحصول الانشراح والانفساح ولم يكتف فى ذلك بعدم النقصان والحجاب والمهلكات لان المطيع القاهر لشهواته الماهر فى استقامة حالاته من طاعاته وعباداته وان كان قلبه صافيا عن لهواته وغفلاته فانه لا يحصل له الانشراح والانفساح بل ينكشف له ما هو متفكر فيه من دقايق آفات الاعمال ان كان تفكره فيها او من مصالح المعيشة والاحوال ان كان تفكره فيها واما الانشراح والانفساح فلا يحصل الا اذا انصرف القلب الى العلم التوحيدى المتعلق بالذات والصفات بشرط عدم النقصان والحجاب والمهلكات (وهو) اى العلم المترتب على العمل (المراد بالامانة التى حملها الانسان) اى قبلها بقابليته لتحمل التكاليف الشرعية من تصحيح العقائد الدينية الاصلية وارتكاب الفرائض الفرعية واجتناب الامور المنهية وفى الاحياء فيه اشارة الى ان للقلب خاصة تميز بها عن السموات والارضين والجبال وتلك الامانة هى المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمى مستعد لحمل الامانة ومطيق لها فى الاصل انتهى ولا يخفى ان جميع الاجزاء من الارض والسماء له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند العارفين بما هنالك كما حقق فى قوله سبحانه * وان من شئ الا يسبح بحمده * وغير ذلك من الآيات والاحاديث الثابتات ان الاشياء كلها لها معرفة بصانعها وكذا اهل السموات والارض والجبال من النساء والرجال فالاظهر ان يقال ان الملائكة مظاهر الجمال فلا تتأتى منهم المعصية وما يقتضيه من العقوبة والشياطين مظاهر الجلال فلا يتصور منهم الطاعة وما يترتب عليها من الرحمة فاراد الله سبحانه جمعا يكون لهم مرتبة الكمال بان يكون فيهم نصيب وحظ من الجمال والجلال وتقع فيهم قابلية للطاعة والرحمة والمعصية والعقوبة ولذا ورد لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وفى قوله تعالى * نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى

هو العذاب الاليم * ايماء الى ذلك وفى قوله * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول * كذلك ثم من افراد هذا الانسان من يكون على الشان بحيث مع انه خلق فيه داعية العصيان جاهد نفسه واطاع ربه وقام بحق الامانة فى ميدان التبيان ومنهم من ترك الطاعة وضيع الامانة بالخيانة من غاية الطغيان فصار المؤمن الكامل من الانسان اعلى مرتبة من ملائكة الرحمن والكافر منهم اخفض منزلة من جنس الشيطان كما يشير اليه قوله تعالى * ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار * فنعوذ بالله من دار البوار وبما قررنا فيما حررنا انكشف وجه قوله سبحانه * انا عرضنا الامانة * اى حملها من غير الخيانة * على السموات والارض والجبال * اى ذواتها اوما فيها من سكانها ومتصرفاتها * فابين ان يحملنها * لعدم استعدادهن لها ولكونهن ما خلقن لاجلها * وحملها الانسان * مع كونه ضعيف البنيان فكل ميسر لما خلق له * انه كان ظلوما * على نفسه بحمله * جهولا * لعاقبة امره وتحمله وهذا حكم عليه باعتبار اغلب افراده ممن لم يميز بين صلاح حاله وفساده فى ماله كما اشار اليه بقوله * ليعذب الله المنافقين * الآية (وزيادة اليقين) اى وفى القلب مزية الايقان فى امر الدين (والايمان) اى وفيه الايمان الذى سبب الامن والامان وباعث على الاسلام والاحسان فلهما درجات فيها مناقب ادناها التقليد كما لعوام المؤمنين واوسطها الخروج عن التقليد بنوع من استدلال التوحيد كما للمتكلمين واعلاها المشاهدة والمكاشفة كما للعارفين ومثاله كمن اخبر صادق بوجود زيد فى الدار فصدقه من غير شهودة ثم سمع صوته فاستدل به على وجوده ثم رآه وشاهده فالمشاهدة نتيجة المجاهدة ثم المشاهدة ايضا على مراتب كمن يشاهد السلطان جالسا على سريره من وراء الحائط او حجاب ستره ثم من يشاهده من داخل داره ثم من قريب فى مزاره ثم من هو جالس فى مجلسه ثم من هو جالس قريبا منه بحيث يلاحظ صحفة وجهه وجميع ما خفى من غيره وقس على هذا تفاوت درجات المشاهدة فى الامور الالهية السبحانية والعلوم التوحيدية الربانية الصمدانية كما يشير اليه قوله تعالى * ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى * ثم اكثر العوام ايمانهم تقليد تبع لآبائهم فانهم اذا بلغوا سن التمييز سمعوا وجود الله وعلمه وارادته وقدرته وبعثة الرسول وصدقه فيما جاء به وكما سمعوا قبلوه وثبتوا عليه واطمأنوا اليه وهذا الايمان سبب النجاة فى الآخرة عند جمهور المتكلمين واهله من اوائل رتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر نور اليقين وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة بما سمعوا من آبائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القى اليهم الخطأ والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لما القى اليهم كلمة الحق (ودرجات العلم) اى وفيه مراتب العلم من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين او المراد بها

علم الشريعة التى هى متعلقة بالاعمال الظواهر وعلم الطريقة التى هى مطاوبة فى الاخلاق السرائر وعلم الحقيقة التى هى المواهب بعد تحصيل المكاسب من شرائف المناقب ولطائف المراقب (والنور) اى وفيه النور (المسؤل فى الدعاء المأثور) اللهم اجعل فى قلبى نورا رواه مسلم وغيره (والطبع) اى وفيه الختم قال تعالى * ونطبع على قلوبهم * و * ختم الله على قلوبهم (والرين) اى وفيه السواد الذى يغم الفؤاد (عند الاتصاف بالرذائل) و الخلو عن الفضائل (وتراكم الظلام) اى وتكاثف الظلمات الناشى عن الظلم وسائر السيئات (والاحتجاب منه تعالى) بعدم توفيق الحسنات وهو مأخوذ من قوله تعالى * كلا بل ران * اى غلب وعلا * على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون * اى عن رحمته اورؤيته وفى الحديث ان المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها واذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكر الله فى كتابه * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * اخرجه البغوى فى تفسيره باسناده (والتحقيق) عند اهل التوفيق (انه) اى القلب (هو ذلك الانسان العارف) اى المدرك للجزئيات (العالم) بالكليات (المخاطب) بالامر والنهى (المطالب) باكتساب المأمورات واجتناب المنهيات ليترتب عليهما الثواب والعقاب فى دار الجزاء والحساب * فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فى جهنم خالدون (يطلق عليه) اى على الانسان (اسم القلب) اى مجازا (لتعلقه) اى الانسان (به) اى بالقلب (بلا واسطة) اى من غير واسطة شئ آخر (وبسائر الحواس) اى ولتعلقه بباقيها (بواسطته) اى القلب (كما يطلق) اى القلب (على المضغة المكيفة) وهى قطعة لحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص فى باطنه تجويف وفى ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه كذا فى الاحياء تبعا للحكماء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت الهايم واما قول سهل التسترى القلب هو العرش والصدر هو الكرسى فمراده تشبيه القلب بالعرش والصدر بالكرسى وعن كعب الاحبار قال دخلت على عائشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع اى واع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وقال على رضى الله عنه فى تمثيل القلوب ان لله تعالى فى ارضه آنية وهى القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها فى الدين واصفاها فى اليقين وارقها على الاخوان يعنى المرافقين وهو اشارة الى قوله تعالى * اشداء على الكفار رحماء بينهم * وقوله تعالى * مثل نوره كمشكوة فيها مصباح * قال ابى بن كعب مثل نور المؤمن وقلبه وقوله * او كظلمات فى بحر لجى * مثل قلب المنافق

الفاسق وقال زيد بن اسلم فى قوله تعالى * فى لوح محفوظ * هو قلب المؤمن وفى الحديث
اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه الديلمى من حديث ام سلمة باسناد جيد
ولاحمد والطبرانى فى الصغير من حديث ابى سعيد القلوب اربعة قلب اجرد فيه
سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف
مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان
فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد
فاى المادتين غلبت عليه حكم له بها وفى رواية ذهبت به وفى الحديث القدسى والكلام
الانسى لم يسعنى ارضى وسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الوادع كذا
فى الاحياء وقال مخرجه لم اره له اصلا وتعقبه بعض الحفاظ بانه رواه عبد الله بن احمد
فى الزهد عن وهب بن منبه بلفظ ان الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش
فقال حزقيل سبحانك ما اعظم شانك يارب فقال الله ان السموات والارض
ضعفن عن ان يسعنى ووسعنى قلب عبدى المؤمن الوادع اللين انتهى ولا يخفى ان
هذا من الآثار فلا ينافى ما نفاه المخرج من الاخبار وفى الخبر قيل من خير الناس فقال
كل مؤمن مخموم القلب فقيل وما مخموم القلب فقال هو النقى التقى الذى لاغش فيه ولا بغى
ولا غدر ولا حسد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر باسناد صحيح وفى الاحياء
عن عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى اذا كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع
الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت فى قلبه فيرى جنة عرض بعضها
السموات والارض اما جملتها فاكبر سعة من السموات والارض لان السموات
والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسع الاطراف متباعد
الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة
الابصار المخصوص بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذى يلوح للقلب فيه مقدار متناه
ولكنه فى نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت
اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات اذ ليس
فى الوجود شئ سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك
للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون
سعة ملكه فى الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته
وافعاله من مصنوعاته واتمام اداء الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته
وجلاؤه وقد افلح من زكاه ومراده بتزكيته حصول نور الايمان فيه اعنى اشراق
نور المعرفة وفى الاحياء ان القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق
عجيب وتلك اللطيفة هى حقيقة الانسان وهى المدركة العالمة العارفة من الانسان
وهو المخاطب والمطالب والمعاتب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسمانى وقد تحيرت

عقول اكثر الخلق فى ادراك وجه علاقته وان تعلقها به يضاهى تعلق الاعراض
بالاجسام والاوصاف بالموصوفات انتهى ومن هنا قيل معنى قوله من عرف نفسه فقد
عرف ربه تعجيز وفيه تنبيه على ان ليس لاحد من الانسان ان يعرف حقيقة نفسه مع انه بها
باكمال انسه هذا وفى اطلاق القلب على الانسان لم يظهر وجه فى ميدان التبيان بل
المغايرة بينهما ظاهرة عند الاعيان لقوله تعالى * ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب *
الآية فالصحيح ان القلب آلة لمعرفة الرب كما يشير اليه قوله تعالى * افلم يسيروا فى
الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها * والفرق بين القلب
والنفس والعقل ان القلب يفرق بين الحق والباطل ثم يتقلب فى قبول احدهما
ويتردد فى خاطرهما ويترتب عليهما صلاح الجسد وفساده والنفس غالبا مائلة الى
الشهوات واللذات كما يشير اليه قوله سبحانه * وفيها ما تشتهيه الانفس * من المأكولات
والمشروبات والمشمومات والمسموعات وسائر الملذوذات ثم النفس المذمومة هى التى لا تفرق
بين المباحات والمحظورات ومنه قوله سبحانه * واما من خاف مقام ربه ونهى النفس
عن الهوى فان الجنة هى المأوى واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هى المأوى *
والعقل الجزئى مشترك بين الحيوان والصبيان وسائر الانسان والعقل الكلى وهو
المميز بين الخير والشر فى العاقبة دنيويا واخرويا وقيل بين خير الخيرين وشر الشرين
فهذا عقل المطبوع وهو لا ينفع بدون عقل المشروع ولذا ترى الحكماء حجبوا بعقولهم
الناقصة وان ادعوا كما لها عن متابعة الانبياء زعما منهم ان الرسل ارسلوا للعامة
وانهم من الخاصة فصاروا اجهل من كل جاهل فان المقلد قبل ايمانه وفاز بتقليده
درجات جنانه والحكيم بعقله تنزل فى دركات نيرانه (واسم النفس) اى ويطلق
على الانسان اسم النفس لقوله تعالى * خلقكم من نفس واحدة * فالنفس جسم
كثيف والروح جسم لطيف له سريان شريف فى سائر الاعضاء لطيف كلطافة
سريان الهواء فى البدن من قوله * كل نفس ذائقة الموت * و * علمت نفس ما قدمت
واخرت * و * علمت نفس ما احضرت * وكالزبد فى اللبن والدهن فى الجوز واللوز وماء
الورد فى الورد والقلب داخل النفس وهو الطف واضوء من النفس والسر نور رحمانى
آلة للنفس فانها تعجز عن العمل بدونه ولا تفيد فائدة ما لم يكن السر عنده والحاصل
ان النفس هنا عبارة عن الهيكل الانسانى المركب من الجسد الجسمانى والروح الربانى
اذ المراد من نفس واحدة آدم عليه السلام (فقسمها) اى النفس (التنزيل) اى
القرآن بعد اطلاقه النفس على آدم ونحوه وما يتعلق به من الاجزاء (الى مطمئنة)
حيث قال تعالى * يا ايتها النفس المطمئنة * اى بذكر الله سبحانه وهى النفس المؤمنة ولذا
قال * ارجعى الى ربك راضية مرضية * الآية وهو يحتمل ان يراد بها الهيكل المركب
الانسانى فالمراد بقوله * فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى * اى مع عبادى الصالحين

كقوله تعالى حكاية عن الانبياء والمرسلين * توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين * وادخلنا الجنة آمنين و يشبر اليه قوله سبحانه * الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الابذكر الله تطمئن القلوب * ويحتمل ان يراد بها الروح المجرد عن الجسد فالمراد بقوله * فادخلى فى عبادى * اى فى اجسادهم وعلى كل تقدير اريد بالنفس الجنس (ولوامة) حيث قال * ولا اقسم بالنفس اللوامة * اى كثيرة الملامة لنفسها لاسيما يوم القيمة ان كانت عملت خيرا قالت هلا زدت وان عملت شرا قالت ليتنى لم افعل وهو قول الفراء فهى شاملة للنفس البرة والفاجرة وقيل تلوم على الخير والشر والنفع والضر وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة وقال الحسن هى النفس المؤمنة فان المؤمن والله ما تراه الايلوم نفسه ما اردت بكلامى ما اردت باكلى وان الفاجر يمضى عليه الدهر لايحاسب نفسه ولايعاتبها وقال مقاتل هى النفس الكافرة يلوم نفسه فى العقبى على مافرط فى امر الله فى الدنيا وهو يحتمل الاحتمالين السابقين (وامارة) حيث قال تعالى * ان النفس لامارة بالسوء الامارحم ربى * اى الامدة رحمة ربى اوالامن رحم ربى به ولا يخفى انه لايصح اطلاق النفس بهذا الوصف على الانسان المعروف وفى بعض النسخ هنا زيادة وملهمة وهى نسخة مهملة اذلم يعرف فى آية منزلة (كما نطلق) اى النفس (على مايجمع الرذائل) من سوء الشمائل (فسماها الشارع اعدى الاعداء) كما اخرجه البيهقى عن ابن عباس بسند ضعيف اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها (واسم الروح) اى ويطلق عليه اسم الروح ايضا بانفراده وفيه البحث الذى تقدم والله اعلم فان الارواح ضد الاشباح والانسان عبارة عن المركب منهما واستدلاله بقوله (فورد فى التنزيل (قل الروح من امر ربى) ليس فيه دلالة على انه يطلق الروح ويراد به الانسان فان كل موجود ذات كمية ومقدار فهو من عالم الخلق وكل موجود منزه عن الكمية والمقدار فهو من عالم الامر كذا قيل والصواب ان كل ماخلق الله بالتدريج فهو من عالم الخلق وكل ماخلقه بمجرد الامر وهو يتعلق الارادة او بلفظ كن على اختلاف فيه فهو من عالم الامر كما قال تعالى * اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون * وقال عز وجل * ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام * الى ان قال * الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين (كما يطلقه) اى الروح (الاطباء) من الحكماء (على الجسم المكيف) والصواب التوقف فى سر الروح وامره اذلم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقاله ابن مسعود كما فى الصحيحين ومالم يتكلم فيه فليس لغيره ان يتكلم فيه وقد قال تعالى * وما اوتيتم من العلم * اى به وبغيره * الا قليلا * لان علم جميع الخلق بالاضافة الى علم الحق كقطرة من البحر والمراد به العلم بانه ما بوجوده الحيوة و بفقده الممات والاقرب

فى تعريفه ماقيل من انه جسم لطيف روحانى ربانى منبعه تجويف قلب جسمانى و ينتشر بواسطة العروق والضوارب الى اجزاء البدن ثم جريانه فى البدن وفيضان انوار الحيوة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهى فيضان النور من السراج الذى يدار فى زوايا البيت فانه لاينتهى الى جزء من البيت الا و يستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل فى الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركاتها فى الباطن مثاله مثال حركات السراج فى جوانب البيت بتحريك محركه واما قوله تعالى * فنفخت فيه من روحى * فالمراد به اضافة تشريف لان الروح من جملة مخلوقاته وقد ثبت ان الارواح خلقت قبل الاجساد بالفى عام واول الارواح روح ختم الانبياء و كذا قوله * وروح منه * اى من عنده اومن امره وانما اطلق الروح على جبريل الامين لتجرد روحه لان الملائكة كلهم ارواح متجردة ولتخصصه بنزول القرآن المسمى بالروح فانه سبب احياء الروح كما قال تعالى * يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده * وقال * اومن كان ميتا فاحييناه * وسمى جبريل ايضا بالروح المقدس اى المنزه عن النقصان فى تبليغ امر الحق الى رسل الانسان والله المستعان (واسم العقل) اى و يطلق عليه اسم العقل وفيه النظر السابق وما ذكره من الاستدلال فغير المطابق حيث قال (فورد اول ماخلق الله العقل وقال له اقبل الحديث) اى فاقبل وقال ادبر فادبر ثم قال الله عز وجل وعزتى وجلالى ماخلقت خلقا اكرم على منك بك آخذ وبك اعطى وبك اثيب وبك اعاقب الحديث كذا فى الاحياء وقال مخرجه رواه الطبرانى فى الكبير والاوسط من حديث ابى امامة وابو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين انتهى وقال ابن تيمية وتبعه الزركشى انه كذب موضوع باتفاق اهل العلم و تعقبه الحافظ السيوطى بما رواه عبدالله ابن الامام احمد فى زوائد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسلا بسند جيد بلفظ لما خلق الله العقل الخ وفى الحديث دليل على ان العقل غير العلم فان العلم عرض لايتصور ان يكون اول مخلوق بل لابد ان يكون المحل مخلوقا قبله اومعه ولانه لايمكن الخطاب معه (كما يطلق) اى العقل (على الصفة المكيفة) اى الوصف الذى يتميز الانسان به عن سائر البهائم من جنس الحيوان وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى اراده الحارث بن اسد المحاسبى حيث قال فى حد العقل انه غريزة يتهيأ بها درك العلوم النظرية وكانه نور يقذف فى القلب ليستعد به لادراك الاشياء وهذا هو الصواب فى تعريفه ونظيره ان الحيوة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية ثم العقل كالمرآة التى تفارق غيرها من الاجسام والاكوان فى حكاية الصور والالوان لصفة اختصت بها فى تلك الحالة وهى الصقالة وبها اتصفت بالآلة فعن ابن عباس مرفوعا لكل شئ آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل رواه ابن المحبر وكذلك العين تفارق

الجبهة فى هيئات وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة التى هى العقل الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزه فى سياقها الى انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس الى البصر وعن على رضى الله عنه رأيت العقل عقلين فطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع * كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع * فالاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا هو اكرم عليه من العقل كما اخرجه الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية الحسن عن عدة من الصحابة والاخير هو المراد بقوله عليه السلام لعلى اذا اكتسب الناس من انواع البر ليتقربوا بها الى ربنا عزوجل فاكتسب انت انواع العقل تسبقهم بالزلفة والقربة رواه ابو نعيم فى الحلية وهو المراد ايضا بقوله عليه السلام لابى الدرداء اذا ازددت عقلا ازددت من ربك قربا فقال بابى انت وامى فكيف لى بذلك فقال اجتنب محارم الله وادفرائض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد فى عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز رواه الترمذى الحكيم وغيره وقال ابن المسيب ان عمر وابى بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل قالوا من اعبد الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام * وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين * ان العاقل هو المتقى وان كان فى الدنيا خسيسا دنيا رواه ابن المحبر وله من حديث انس من حديث ابن سلام سأل النبى عليه السلام فى حديث طويل فى آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت يا ربنا هل خلقت خلقا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال تعالى فانى خلقت العقل اصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطى حبة ومن الناس من اعطى حبتين ومنهم من اعطى الثلاث ومنهم الاربع ومنهم من اعطى فرقا ومنهم من اعطى وسقا ومنهم من اعطى اكثر من ذلك ورواه الترمذى الحكيم فى نوادره مختصرا ولهذا انقسم الناس الى بليد لا يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل فى التعليم والى ذكى يفهم بالرمز والاشارة من غير حاجة الى العبارة والى كامل ينبعث من نفسه حقايق الامور ودقايقها بدون التعليم * يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار * وذلك مثل الانبياء عليهم السلام وبعض اتباعهم من الاولياء الكرام ويعبر عن الاول بالوحى وعن الثانى بالالهام هذا وقد قال عليه السلام يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا انه مجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دنى المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة نصوحا

نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم واياهم فانهم من الخاسرين رواه داود بن المحبر احد الضعفاء فى كتاب العقل من حديث ابى هريرة وهو فى مسند الحارث بن ابى اسامة عن داود وعن انس قال اثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده فى العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال عليه السلام ان الاحمق يصيب بحمقه اكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا فى الدرجات زلفى من ربهم على قدر عقولهم رواه ابن المحبر بتمامه والحكيم الترمذى مختصرا وعن عمر مرفوعا ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدى صاحبه الى هدى او يرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله ابن المحبر وعنه الحارث بن ابى اسامة وعن ابى سعيد مرفوعا لكل شئ دعامة اى عماد ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته اما سمعتم قول الفجار فى النار * لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير * ابن المحبر وعنه الحارث وقال عليه السلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله فعند ذلك تم له ايمانه واطاع ربه وعصى عدوه ابليس ابن المحبر من رواية عمر وابن شعيب عن ابيه عن جده به والحديث عند الترمذى مختصرا دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه وعن عائشة قالت قلت يا رسول الله باى شئ يتفاضل الناس فى الدنيا فقال بالعقل قلت فى الآخرة قال بالعقل قالت اليس انما يجزون باعمالهم فقال هل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ابن المحبر والحكيم الترمذى نحوه وقال عليه السلام اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا ابن المحبر من حديث ابى قتادة وفى الاحياء اما العلوم الدينية فهى المأخوذة من الانبياء عليهم السلام بطريق التقليد وذلك يحصل بالتعلم لكتاب الله وسنة رسوله وفهم معانيهما بعد سماع مبانيهما وبه كمال صفة القلب فى معرفة الرب وبه سلامته عن الاعراض والاغراض والادواء والامراض فالعلوم العقلية غير كافية فى سلامة القلب وان كان محتاجا اليها فى معرفة الرب فالداعى الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفى بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء وكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة المصطفوية وهى وظائف العبادات والاعمال التى رتبها الانبياء عليهم السلام لاصلاح القلوب فمن لا يداوى قلبه المريض بمعالجة العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض بالغذاء ثم قال والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية

واخروية والدنيوية كعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وآفات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله وهما علمان متنافيان يعني ان من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الآخر ضرورة على الاكثر ولذا ترى الاكياس في علوم الدنيا جهالا في امور الآخرة والاكياس في دقايق علوم الآخرة جهالا في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذا قال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله رواه الدارمي من حديث انس وقال الحسن ادركنا اقواما لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوكم لقالوا شياطين وقال تعالى ❁ يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم من الآخرة هم غافلون ❁ فالدنيا والآخرة لا تجتمعان فهما ضرتان اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ومن هنا قال عليه السلام من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى (ثم الخواطر آثار تحدث في القلب) وهي التي تعرض فيه من الاذكار والافكار (تبعث على الافعال) اي تارة (والتروك) اي وعليها تارة فان الخواطر هي المحركات للارادات فمبدأ الافعال الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة تنقسم الى قسمين (فان نفع) اي الخاطر او ما يخطر فيه او الفعل او الترك (في الآخرة فخير) محض (والاعانة عليه توفيق) اي لطف وهداية من الله سبحانه (وان ضر) ذلك في الآخرة (فشر والاعانة) اي عليه كما في نسخة (خذلان) اي ترك نصرة منه واغواء فالاعانة الثانية وقعت بطريق المشاكلة (والفارق) بين الخير والشر (الشرع) ولا عبرة بالطبع (ثم) الفارق (عمل الصلحاء) اي من العلماء (فالموافق خير والمخالف شر ولو) كان (برخصة او شبهة) لانه لا ينفع في الآخرة اذ التقدير ولو كان ذلك الموافق برخصة والمخالف بشبهة والرخصة ما يستباح بعذر مع قيام دليل الحرمة كتناول المضطر مال الغير وترك الخائف على نفسه الامر بالمعروف وحكمه ان الاخذ بالعزيمة اولى (ثم) الفارق (النفس فما نفرت عنه نفرة طبع لا خشية) اي مخافة من مخالفة غير الله (خير) وقيل نفرة الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والمخاط ونحوهما ونفرة الخشية كنفرته عن الحيوانات المؤذية فاذا خطر له ان يطوي ميلا الى ثلاثة ايام في الصوم ولكن يجد في نفسه نفرة وكراهة من هذا العمل فهذا الخاطر خير لانه لا يهلك بجوع ثلاثة ايام غالبا (وما مالت اليه ميل طبع لا رجاء من الله سبحانه (شر) مثلا خطر الخاطر ان يخرج من البيت ويتفرج المكان الفلاني ولا يخطر معه نية خير يرجو ثوابه مثل زيارة اخ في الله او عيادة مريض بل خرج لمجرد الخاطر فهو شر لما ورد من حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (ثم) الخاطر الصادر (من الملك الهام وليس) ذلك الخاطر (سوى الخير) لانه مرشد ناصح هنالك لم يرسل الا لذلك (ومن الشيطان وسواس وهو شر) محض غالبا (وقد يكون) الوسواس (خيرا) في الصورة

وقصده منه شرا (كما يدعوه الى المفضول بالشغل) اي بسبب اشتغاله بالمفضول ممتنعا (عن الفاضل) كمن يلقي في قلبه خاطر العبادة من الفعل ليشغله عن العلم الذي هو افضل منها مع الجهل (والجر) عطف على الشغل اي وكما يدعوه الى خير بسبب جره (الى ذنب لا يفي خيره) اي لا يعدل نفعه بشره وضرره (كالعجب) او غيره من طلب جاه ونحوه (فوردان القلب مفتون) اي ممتحن (بملك وشيطان يدعوانه) اي الى خير وشر والحديث لم اجده اصلا فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة الخير وافادة العلم والشيطان عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف عند الهم بالخير بالفقر كما قال تعالى ❁ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ❁ فنسب فعل الملك الى نفسه تفضلا او نظرا الى الحقيقة من غير الواسطة فان رؤية الاسباب نوع من الحجاب ومن هذا الباب قوله تعالى ❁ ونقلب افئدتهم وابصارهم ❁ وقوله ❁ واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه ❁ وورد القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم حيث يقولون ❁ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ❁ الآية وقال عليه السلام في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله سبحانه وتعالى فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا ❁ الشيطان يعدكم الفقر ❁ الآية رواه الترمذي وحسنه من حديث ابي سعيد وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان من الله امضاه وما كان من عدوه جاهده ونهاه ولتجاذب القلب بين هذين السلطين ورد قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن اي بين صفتي الجمال والجلال او تمثيل بسرعة تقلب القلب وتردده بالشيء المأخوذ بين الاصبعين المتحركين ولما كان قلب لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى النفسية لا جرم لا يخلو قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذا قال عليه السلام ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بالخير رواه مسلم عن ابن مسعود ثم القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذا قال تعالى ❁ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ❁ وكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله قال تعالى ❁ افرأيت من اتخذ الهه هواه ❁ وقال جرير بن عبد الله شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في قلبي من الوسواس فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه ومن هنا قيل المفلس في امان الله وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال

فقعلت ذلك فاذهبه الله عنى رواه مسلم ولابن ماجه والترمذى من حديث ابى بن كعب ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه والحاصل انه لا خلاص من الشيطان الا بالالتجاء الى الرحمن والتبرى من الحول والقوة للانسان واظهار العجز فى ميدان البيان بذكر الله فانه هو المستعان وذلك لا يقدر عليه الا المتقون كما يشير اليه قوله سبحانه ❁ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون❁ (ومنه) اى من الوارد من عنده تعالى (ابتداء خاطر مطلق) وانما قال ابتداء لان حدوث الخواطر جميعها فى قلب العبد من الله حقيقة لكن اذا حدثت عقيب دعوة الملك تنسب اليه وتسمى الهاما واذا حدثت عقيب دعوة الشيطان تنسب اليه وتسمى وسوسة واذا حدثت موافقا للطبع يقال له هوى النفس وتنسب اليه واذا حدثت من الله فى القلب ابتداء بلا واسطة الملك والشيطان ولا موافقا الطبع الانسان يسمى خاطرا مطلقا غير مقيد بالواسطة والرابطة (وهو اما خبر اعتناء) اى عناية ورعاية لعبده (واما شر ابتلاء) اى امتحانا لعبده (ومن النفس هوى) اى والوارد منها يسمى هوى وهو ضد هدى (وليس الهوى سوى الشر) كما ان الهدى ليس سوى الخير (وقيل كالوسوسة) اى من الشيطان يدعو الى الشر غالبا وقد يدعو الى الخير اليسير ليجره به الى الشر الكثير وذلك كما قال احمد بن ارقم البلخى نازعتنى نفسى بالخروج الى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول ❁ان النفس لامارة بالسوء❁ وهذه تأمرنى بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فارادت لقاء الناس لتتروح اليهم وتتسامع الناس فيستقبلونها بالتعظيم والتكريم فقلت لها لا انزلك العمران ولا انزلك على ذى معرفة فاجابت فاسأت الظن بها فقلت الله اصدق فقلت اقاتل العدو حاسرا اى بلا سلاح فتكونين اول قتيل فاجابت فاسأت الظن بها فعدا اشياء مما ارادها فاجابت الى كل ذلك فقلت يارب نبهنى لها فانى متهمها ومصدق لك فكوشفت كأنها تقول يا احمد تقتلنى كل يوم بمنعك اياى من شهواتى مرات بمخالفتك لى كرات وما يشعر بذلك احد فان قاتلت فقتلت مرة واحدة نجوت منك وتتسامع فيقال استشهد احمد ويكون لى شرف وذكر فقعدت ولم اخرج الى الغزو فى ذلك العام فانظر الى خداع النفس وغرورها تراءى الناس بعد الموت بعمل لم يكن بعد ولقد صدق القائل❁

❁ توق نفسك لا تأمن غوائلها ❁ فالنفس شر من السبعين شيطانا ❁

(وقيل الا اذا كانت) النفس (مطمئنة) بذكر الله (فليس) خاطرها (سوى الخير وهذا هو الخامس) من الخواطر (المسمى بخاطر القلب) لقوله تعالى ❁الا بذكر الله تطمئن القلوب❁ يعنى ولا تميل ابدا الى الذنوب والعيوب (فورد استفت قلبك) تمامه وان افتاك المفتون فالخطاب للمتقى فان قلبه لا يخطئ ومن

هنا قيل حكى قلبى عن ربى (اما الفرق) بين الخواطر فى الخير والشر (ففى الخير يعرف الخاطر) المطلق الذى يرد من الله (بكونه مصمما) اى ثابتا على حالة واحدة دائما (ومحدثا) اى وبكونه واقعا (عقيب الطاعة اثابة) اى جزاء واكراما (فورد) فى التنزيل (والذين جاهدوا فينا) بالطاعة (لنهدينهم سبلنا) الباقية الموصلة الى قربنا ووصلنا ففى الخبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم وهو معنى قوله سبحانه ❁والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقويهم❁ وقوله ❁واما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى❁ اى الطريقة السهلة الموصلة الى الحالة الاخرى فى الدنيا والعقبى (وطاريا) عطف على مصمما اى عارضا (فى الاصول) اى الاعتقادات (والاعمال) اى العبادات (الباطنة فلا سبيل لغيره تعالى اليها) فهو عليم بذات الصدور وخفايا الامور (وتنبيها) عطف على اثابة اى للتنبيه عن نوم الغفلة فى مقام الاثابة على فعل الطاعة ولا يبعد ان يعطف على مصمما بذكر المصدر وارادة الفاعل اى منبها على الغفلات عن عمل الخيرات (فورد) فى الدعاء (اللهم نبهنا عن نومة الغافلين) لم اره اصلا (والالهام) الملكى يعرف (بكونه) اى الخاطر (مترددا) بين الفعل وتركه غير قوى فى حكمه وقيل مترددا اى يجئ مرة ويذهب اخرى (ومبتدئا) اى لا يحدث ابتداء بعد عمل عبادة ونحوها (وطاريا) اى عارضا (فى الفروع) العلمية والعملية (والاعمال الظاهرة) الاخروية وقيد الاعمال بالظاهرة لان الملك لا سبيل له الى معرفة باطن العبد فى قول اكثرهم (وحثا على الطاعة) فى الامور الدينية (فورد) فى التنزيل ❁لا يعصون الله ما امرهم (ويفعلون) اى الملائكة (ما يؤمرون) لانهم جبلوا على الطاعة (والوسوسة) من الخواطر يعرف (بكونها مع عجلة) لا مع تأن لقوله تعالى ❁وكان الانسان عجولا❁ وفى الحديث العجلة من الشيطان والاناة من الله رواه الترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد وقال عز وجل ❁ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه (ونشاط) اى فرح وانبساط وهو خفة تحصل للانسان للاقدام على العمل من غير بصيرة وتصور مشوبة (دون خشية) اى من غير مخافة (على اتمامه) اى اتمام العمل انتهاء (واداته على وجهه) اى وجه العمل وحقه ابتداء (وقبوله تعالى اياه) اى العمل وصاحبه اذلا يبرئ لما سواه (وبصيرة) اى ودون بصيرة (انه) اى ذلك العمل (خير) يرجى عليه الثواب (او شر) يخاف عليه العقاب وقيل المراد بالبصيرة بصارة العاقبة بان تبصر وتحقق وتيقن انه خير ورشد ويجب لزومه مع قطع النظر عن قصد الثواب والله اعلم بالصواب والحاصل انك ان وجدت نفسك فى ذلك الفعل الذى خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف ومع عمى عن العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من الشيطان وان وجدت نفسك مع ضد ذلك بان تكون مع خشية لا مع نشاط ومع تأن لا مع عجلة ومع خوف لا مع امن ومع بصيرة لا مع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك وهذا الفرق

فى الخواطر فى الخير كله (وفى الشر يعرف الخاطر) المطلق الذى هو من الله سبحانه (بكونه مصمما) اى قويا (ومحدثا) واقعا (عقيب الذنب عقوبة) اى للعقوبة على المعصية (فورد) فى التنزيل (بل ران) اى غلب وعلا (على قلوبهم ما كانوا يكسبون) من السيئات الواقع بعضها عقيب بعض عقوبة لهم حتى اسودت قلوبهم حيث تراكمت ذنوبهم ومنه قوله تعالى * واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى * اى الطريقة العسرى الموصلة الى مثلها فى الدنيا والاخرى (والهوى) اى ويعرف خاطر هوى النفس (بكونها مطالبة للشهوة) اى للذة التى فيها اللهوة (فورد) فى التنزيل (ماتشتهى انفسكم) حيث نسب الاشتهاء الى النفس التى هى منبع الهوى (ومصرة على معين) اى وبكونها مصممة على شهوة معينة على وجه معين وطريق مبين لا عدول عنه بوجه اصلا وقطعا (فالنفس لاتسكن دون قضاء الشهوة) اى من غير غرضها التى تريده كما قيل

* تريد النفس ان تلقى مناها * ويأبى الله الا ما يريده *

(والوسوسة) تعرف (بكونها مبتدأة) اى ليست عقب طاعة ولا معصية (فى الاكثر) اى اكثر الاحوال او اكثر الوساوس (ومترددة) فتارة تدعو الى معصية واخرى الى اخرى فهى غير مصممة على حالة واحدة (فالشيطان كلب) او ذئب (اذا طرد من جانب دخل من آخر) اى جانب آخر كما يشير اليه قوله تعالى * بما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم ومن ايمانهم وعن شمائلهم * والمراد طرق المعاصى جميعها فعن ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وشماله وقال هذه سبل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا * وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله (وباعثة) اى وبكونها محرضة (على غير معين) من انواع المعاصى (فغرضه نفس الاغواء) من اى جهة كان من الاعمال والاحوال (ومسولة) اى وبكونها مزينة ومسهلة (لمعصية) من المعاصى غير متعين (فورد) فى التنزيل (الشيطان سول لهم) اى زين لهم سوء اعمالهم (واملى لهم) اى امهلهم ببطء آجالهم او القى فى قلوبهم ما يندمون عليه فى ما لهم قال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لايستغفرون الله عزوجل منها وهى الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لايعلمون ان ذلك من الاسباب التى تجر الى المعاصى فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان انه يشغل الانسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس فى المذاهب الاصولية والفروعية والخصومات الدنيوية وقال عبدالله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله عزوجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم فيفرق بينهم

فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم (ومندفعة) اى وبكونها مندفعة (بذكره تعالى) واو بذكر خفية (فورد) فى الحديث (فيه) اى فى حق الشيطان (اذا ذكر) العبد (الله خنس) اى تأخر الشيطان (واذا غفل وسوس) قال مجاهد فى معنى فى قوله تعالى * من شر الوسواس الخناس * قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال تعالى * استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله * وعن انس قال عليه السلام ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فاذا ذكر الله خنس وان نسى الله التقم قلبه ابن ابى الدنيا وابو يعلى وابن عدى هذا وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الآدمى ودمه فسلطنة الشيطان ايضا سارية فى لحمه ودمه ولذا قال عليه السلام ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوة المانعة عن الطاعات وفيه تنبيه على انه لايتخلص احد من الشيطان مادام حيا نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته كما قال عليه السلام ان المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى احدكم بعيره فى السفر اى يهزله ويضعفه رواه احمد من حديث ابى هريرة وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس قال لى شيطان دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الآن مثل العصفور فقلت ولم ذلك قال تذيبنى بكتاب الله عزوجل وقال ابوهريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن مالك فقال انا مع رجل اذا اكل سمى الله فاظل جائعا واذا شرب سمى الله فاظل عطشانا واذا ادهن سمى الله فاظل اشعث واذا لبس سمى الله فاظل عريانا فقال شيطان الكافر لكنى مع رجل لايفعل شيئا مما ذكرت فانا اشاركه فى طعامه وشرابه ودهنه ولباسه [ ] وفى النسائى من حديث سبرة باسناد صحيح ان الشيطان قعد لابن آدم فى طريقه فقعد له فى طريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتذر ارضك وسماءك فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه وجاهد فقال عليه السلام فمن فعل ذلك ومات كان حقا على الله ان يدخله الجنة واذا عرف هذا فينبغى للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالبحث عن اصله ونسله ومحله فقد قال تعالى * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير * وقال عز وعلا * الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين *

وان اعبدونى هذا صراط مستقيم (وقيل يتعذر التمييز) بين الخواطر بشىء من الاشياء (الا بنور التقوى والمعرفة) بصفات المولى كما قال تعالى *ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا * اى رجعوا الى نور العلم * فاذا هم مبصرون * اى انكشف لهم الاشكال وانحل لهم العقال وتبين لهم غامض الاحوال واما من لم يرض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى اذعان الهوى لتلبسه بمتابعة الهدى و يكثر فيه غلطه وتعجل هلاكه وهو لا يشعر به وفى مثلهم قال تعالى *وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون* قيل هى اعمال ظنوها حسنات فاذا هى سيئات وفى الاحياء ينبغى ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا شك فى كونه الهاما والى ما يتردد فيه ولا يدرى انه من لمة الملك او من لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر فى معرض الخير والتمييز فى ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصور الشر لهم بصورة الخير ولذا روى ان ابليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك وعن النبى صلى الله عليه وسلم كان راهب فى بنى اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى فى قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتى بها الى الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحبلت منه فوسوس اليه وقال الآن تفتضح يأتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى فى قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه فقال ماتت فالقى اليهم الشيطان انها مدفونة عنده فنفشوا عليها فوجدوها مقتولة فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذى اخذتها وانا الذى القيت فى قلوب اهلها فاطعنى اخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لى سجدتين فسجد له سجدتين فقال له الشيطان انى برىء منك فهو الذى قال الله تعالى * كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك* الآية والحديث رواه ابن ابى الدنيا فى مكائد الشيطان وابن مردويه فى تفسيره من حديث عبيد بن رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على على بن ابى طالب وقال صحيح الاسناد ووصله معين فى مسنده من حديث على وذكره البغوى فى تفسيره عن ابن عباس وذكر ان الراهب اسمه برصيصا وتعال بعد قتلها بان جنبها اخذها وراح بها ولم يقدر على دفعه عنها القصة بطولها فانظر الآن الى حيل الشيطان واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له فى قبول الجارية للمعالجة وهو امر هين فى المخالطة وربما يظن صاحبه انه خير وحسنة وملاطفة فى المرافقة وحسن عشرة فى المخالقة فيحسن ذلك فى قلبه ويخفى الهوى فى نفسه فيقدم اليه كالراغب فى الخير لديه فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره هنالك ويجر البعض الى البعض بحيث لا يجد

محيصا فى الخلاص عن الامر المذكور فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشارة بقوله عليه السلام من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه متفق عليه من حديث النعمان ابن بشير (واختلف فى الاخذ) اى فى المؤاخذة (بالخواطر) فبعضهم قال بعدم الاخذ مطلقا واستدل بقوله عليه السلام بقول الله تعالى اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها وبعضهم بالاخذ مطلقا واستدل بقوله تعالى * ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم* (والتحقيق) التفصيل فان اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطرت له مثلا صورة امرأة وانها وراء ظهره فى الطريق بحيث لو التفت اليها لراها ويسمى حديث النفس والثانى هيجان النفس فى الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التى فى الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ويسمى ميل الطبع والثالث حكم القلب بان هذا ينبغى ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الله تعالى عن الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم العزم وجزم النية وقيل الارادة ميل الباطن نحو المطلوب والقصد قراره فى القلب على نهج المرغوب والعزم بحيث لا يمكن زواله والجزم بحيث يوجب العمل فى ماله فاذا عرفت هذا فالتحقيق عند اهل التدقيق وارباب التوفيق (عدمه) اى عدم الاخذ بمعنى المؤاخذة (فيما لا اختيار له كحديث النفس) مما يخطر ببالها ويذهب بسرعة زوالها (وميل الطبع) اى الجبلى الذى لا اختيار لصاحبه فى الميل اليه وانت عرفت ان حديث النفس وميل الطبع متغايران وقيل عطف تفسيرى وهو خاطر فعل الذى ما انجر الى العزم والهم (لامتناع التكليف فيه) اى فيما لا اختيار فيه فانه تكليف ما لا يطاق وقد قال تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها (وورد) فى الحديث (عفى ما حدثت به نفوسنا) وهو معنى حديث الصحاح الست عن ابى هريرة ان الله تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها ما لم يتكلم به او يعمل به وعن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله اذا هم عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوا عليه سيئة فان تركها من اجلى فاكتبوها حسنة واذا هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها حسنة فان عمل فاكتبوها عشرة رواه الشيخان (وانما هو) اى الاخذ والمؤاخذة (فى العزم) اى حكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل (والهم) اى المصمم فهو عطف تفسيرى وهو قصد الفعل بعد الخطور ولكن ما افضى الى مباشرة الفعل لمانع من الشرع او العقل او غيرهما فانه قد يكون الفاسق محروما وفسقه مجزوما او الثانى اخص من الاول فتأمل (فورد) فى التنزيل (وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله) اى ان تظهر واما فيها من العزم والهم على المعصية او تخفوه يجازكم به كما قال * فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء * ولما نزلت الآية جاء اناس من الصحابة الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالوا كلفنا مالانطيق . ان احدنا ليحدث نفسه بما لايحب ان يثبت
فى قلبه ثم يحاسب بذلك فقال عليه السلام لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل
سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله * لايكلف الله نفسا الا
وسعها * رواه مسلم من حديث ابى هريرة وابن عباس فظهر به ان كل مالايدخل تحت
الوسع من اعمال القلوب لايؤاخذ به قال تعالى (ان السمع والبصر الآية) اى * والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسئولا * وقال تعالى * ولاتكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم
قلبه * وقال * لايؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم *
(انما يحشر الناس على نياتهم) رواه ابن ماجة من حديث جابر دون قوله انما وله من
حديث ابى هريرة انما يبعث الناس على نياتهم واسناد هما حسن وفى الاحياء ونحن
نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزنى فمات تلك الليلة مات مصرا
و يحشر على نيته والدليل القاطع فيه حديث اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل
والمقتول فى النار قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل
صاحبه رواه الشيخان (ووقع الاجماع على الاخذ) اى المؤاخذة (بالكبر والعجب
والرياء) وخص الثلاثة بالذكر لكونها من اعمال الباطن ولمناسبتها بالخواطر (الاان
يمتنع) من العمل السوء (بعد العزم) اى القصد والجزم على الفعل (له) اى يكون
امتناعه لاجله (تعالى) رجاء اوخوفا (فيمحوه) اى فيمحو الله سبحانه الاخذ بها والعقوبة
عليها (لرجحان تأثير الامتناع) من العمل لاجله تعالى (فى تنوير الباطن لانه) اى الامتناع
(يخالف الطبع) و يوافق الشرع فيترجح (على تأثير القصد) اى قصد المعصية
والعزم عليها فيكون مؤثرا (فى تسويده) اى تسويد الباطن وتغبيره (لانه يوافقه)
اى لان قصد المعصية يوافق الطبع ولايلايم الشرع وحاصله الامتناع من حيث انه
يخالف الطبع يحتاج الى جد شديد وسعى اكيد وما كان جده اشد وسعيه اهم كان
تأثيره اكمل واتم فثبت بهذا ان تأثير الامتناع فى تنوير الباطن اشد من تأثير قصد
المعصية فى تسويد الباطن لانه لايحتاج الى سعى بليغ ولما كان جده واجتهاده اقل
كان التأثير انقص فتأمل وفى الخبر افضل الطاعات احمزها اى اشقها واصعبها (وورد
فى الخبر (فيه) اى فى الامتناع (ان تركها) اى العبد السيئة (فاكتبوها حسنة) وقد تقدم
ولابن ابى الدنيا فى مكائد الشيطان وهكذا مرسلا قال ثابت لما بعث النبى صلى الله عليه
وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ماهو فانطلقوا ثم جاؤه فقالوا ماندرى
قال ابليس انا آتيكم بالخبر فذهب ثم جاء فقال بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل
شياطينه الى اصحاب النبى عليه السلام فينصرفون خائبين فيقولون ماصحبنا قوما قط مثل
هؤلاء ليس لنا نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فينمحى اثر ذلك فقال ابليس رويدا بهم
عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهنالك تصيبون حاجتكم منهم ومما يدل على ان حديث النفس

لايؤاخذ به ماروى عن عثمان بن مظعون حيث قال يارسول الله ان نفسى تحدثنى
ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتى النكاح قال نفسى تحدثنى ان اجب نفسى قال
مهلا خصاء امتى ذووب الصيام قال نفسى تحدثنى ان اترهب قال مهلا رهبانية
امتى الجهاد والحج قال نفسى تحدثنى ان اترك اللحم قال مهلا فانى احبه واواصبته
لاكلته ولوسألت الله لاطعمنى رواه الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول عن سعيد ابن
المسيب مرسلا (ثم الواجب الاحتراز) اى الاحتراس (عن الشيطان) وما فيه من
الوسواس (لانه عدو كما نطق به القرآن) حيث قال * ان الشيطان لكم عدو مبين *
وقال * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا * الآية (ولان العابد) العالم (يغايظه)
اى يغالبه فى غيظه لاجل كونه فى سبيل الله (فتشتد معاداته) اى الشيطان (اياه)
اى ذلك العابد ولذا ورد لفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ثم من عداوته
للانام امره لهم بالآثام ووعده الامان من عذاب الله وعدم حسابه والياس من ثوابه
من غير شبهة فضلا عن حجة و يخوفهم بالفقر فى اعطاء الزكاة و يحثهم على
الانفاق فى المحرمات و يخيل لهم حصر اللذات فى الشهوات واللهوات و يدعومن له
ازواج وجوار ذات جمال ومزينة ومعطرة فى غاية كمال الى زنا من ليس لهما ذلك
فى الاحوال و يأمر الامراء بالظلم فى اموال الاغنياء واوقاف الايتام والفقراء مع وفورها
لهم و بقتل النفس بادنى خيال مع تمكنهم من الدفع فى حال واستقبال وله ابواب فيها
اطناب (والطريق) اى طريق الاحتراز خمسة (الاستعاذة) منه به تعالى (لانه)
اى العبد او الاستعاذة (مأمور بها) فى قوله تعالى * واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله * الآية وسائر الآيات والاخبار الواردات وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد
صلوة الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا من غير انفسنا بصيرا بعيوبنا مطلعا
على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لانراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك
وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعد بيننا و بينه كما ابعدت بينه و بين جنتك انك
على كل شئ قدير وعن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال كان شيطان يأتى النبى
صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلى فيقرأ و يتعوذ
فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله التامات التى
لايجاوزهن بر ولافاجر من شر ماذرأ و برأ فى الارض ومن شر مايخرج منها ومايترل
من السماء ومايعرج فيها ومن فتن الليل والنهار وطوارق الليل والنهار الاطارقا
يطرق بخير يارحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه رواه ابن ابى الدنيا
فى مكائد الشيطان هكذا مرسلا ولمالك فى الموطأ نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا
ووصله ابن عبد البر فى التمهيد من رواية يحيى عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن
زرارة عن عياش الشامى عن ابن مسعود ورواه احمد والبزار من حديث عبد الرحمن

ابن حنبش (ولان الكلب ان حاربته تعبت وربما غلبت فالرجوع الى ربه اولى)
فى الخلاص عن البلوى ومثل الشيطان بالكلب الجايع يقرب منك فاذا لم يكن بين
يديك لحم اوخبز فانه ينزجر بان يقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين
يديك شئ من ذلك وهو جايع فانه يهجم عليك ولايندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالى
عن قوت الشيطان يندفع عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت
حقيقة الذكر الى حواشى القلب فلم يتمكن الذكر من سويدائه فيستقر الشيطان
فى سويداء القلب ومثل بعضهم الشيطان بالكلب التركى فانه لاتخلص لاحد منه
لابالسيف ولا بالفرار ولا باعطاء اللحم وغيره وانما ينجيه منه همهمة صاحبه من
داخل خيمته فيفتر غضب كلبه ونهمته (والمجاهدة) مع الشيطان (بازد) اى برد
الوسوسة ودفعها فى الحالة الانسية (وقلع المهلكات) اى وازالتها من اصلها
وهى الحسد والحرص والغضب والشهوة وحب التزين فى الثياب والاثاث والدار
والشبع من الطعام ولو لم يكن من الحرام والطمع فى الانام واخذ كل مايزيد على
قدر القوت والحاجة من الدراهم والدنانير وسائر اصناف الاموال وخوف الفقر
والبخل والتعصب للمذاهب والترصد للمناصب والتفكر فى ذات الله وسوء الظن
بالمسلمين ونحو ذلك من الحالات الكاسدة والمقامات الفاسدة (فهو) اى الشيطان
(انما سلط) على الانسان (للامتحان) فى ميدان الطاعة والعصيان فحينئذ يكرم
المرء او يهان (وادامة ذكره تعالى لسانا) خفية اوجهرا (وقلبا) فهو افضل واكثر
تأثيرا والجمع بينهما اكمل (لماسبق) من ان العبد اذا ذكر الله خنس الشيطان وتأخر
وفى الخبر ماسلك عمر فجا اى طريقا الاسلك الشيطان فى غير فجه رواه الشيخان من حديث
سعد بن ابى وقاص قال فى الاحياء وهذا لان قلبه هذا كان مطهرا عن مرعى
الشيطان وقوته وهى الشهوات فمهما طمعت فى ان يندفع الشيطان عنك بمجرد
الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا كمن طمع فى ان يشرب الدواء قبل الاحتماء والمعدة
مشغولة بغليظ الاطعمة ويطمع فى ان ينفعه الدواء كما نفع الذى يشربه بعد الاحتماء
وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر
اندفع الشيطان عنه كما تندفع العلة بنزول الدواء فى معدة خالية عن الاطعمة فان
قلت الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان قلنا ان عمومات الشرع
مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتأمل
ان منتهى ذكرك وعبادتك وصلاتك لله فراقب قلبك اذا كنت فى صلاتك كيف
يجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك
فى اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لاتذكر مانسيته من فضول الدنيا الا فى صلاتك
فلا تزدحم الشياطين على قلبك الا اذا صليت والصلوة محك للقلوب فيها مساويها

ومحاسنها فالصلوة لاتقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلاجرم لاتطرد عنك
الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس فى ذلك الزمان كما ان الدواء قبل الاحتماء
ربما يزيد عليك الضرر فى الداء فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء
بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر كما يشير اليه قوله تعالى * ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون * فالشرط فى الذكر تقدم التقوى
او كمال الحضور فى ذكر المولى ومن هنا ورد من صلى ركعتين لم يحدث فيهما بشئ
من الدنيا غفر له ماتقدم من ذنبه وقد قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان
فى العلانية وانت صديقه فى السر اى مطيعه فى الباطن وقال بعضهم ياعجبا لمن
يعصى المحسن بعد معرفته باحسانه و يطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وعن بعض
الحكماء الشيطان يأتى ابن آدم من قبل المعاصى فان امتنع اتاه من قبل النصيحة
حتى يلقيه فى البدعة فان ابى امره بالتحرج والشدة حتى يحرم ماليس بحرام فان
ابى شككه فى وضوئه وصلاته حتى يخرجه من العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر
حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد
الحاجة فانها آخر درجته ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة (والاستخفاف بدعوته)
اى الاستحقار وعدم الاعتبار بدعوة الشيطان (فالكلب ان اعرضت عنه سكت)
عنك (وان اشتغلت معه) بالدفع (اتعبك) بالعواء (ومعرفة مكائده) الآتى بيانها
(فاللص ان علم احساس صاحب الدار فر) اى شرد واضطر الى الفرار ولم يتمكن
من القرار (وهى) اى المكائد سبعة (كالمنع عن العمل) من اصله (والتسويف) اى
التأخير عن محله (والعجلة) فى فعله (والرياء) فى قصده (والعجب) بعد فراغه (ورجاء
الاظهار منه تعالى) للخلق بعدم الاكتفاء بنظر الحق وهو من الرياء الخفى (وعدم
الحاجة الى العمل بناء على قسمة الازل فى السعادة والشقاوة) وهذا لف فى العبارة
ونشر بالاشارة فى قوله (والرد) اى رد المكائد المذكورة (بالحاجة) الى العمل (للتزود)
اى لزاد المعاد فى يوم التناد فقد قال تعالى * وتزودوا فان خير الزاد التقوى (وهجوم
الاجل) اى مجيئه بغتة قبل حصول العمل (ورجحان القليل) من العمل (التام) اى
الكامل بالتأنى (على الكثير) من العمل (الناقص) بالعجلة (وكفاية رؤيته تعالى)
لقوله سبحانه * الم يعلم بان الله يرى * وقوله عزوجل * اليس الله بكاف عبده (وذكر منته
والتفويض اليه) اى التسليم بين يديه (فى الاظهار والاخفاء) فى العبادة بل ينبغى ان يميل
الى الاخفاء لانه ابعد من الرياء وفى الخبر افضل امتى الاتقياء الاخفياء (وفرضية امتثاله)
اى امتثال امره على عبده ثم ان كنت شقيا فانا محتاج الى العمل لكيلا الوم نفسى يوم القيمة
فانى لو ادخلت النار وانا مطيع احب الى من ان ادخلها وانا عاص لخفة العذاب وان
كنت سعيدا فانا محتاج الى زيادة الثواب (وحقية وعده الادنى) اى الاقرب بالاثابة

على الطاعة والاجابة (ثم) الافضل (الاقتصار على التكذيب) اى تكذيب الشيطان فيما يوسوسه (وترك الجدال) فانه يردد قلب العبد و يشوشه ولان المجادلة شاغلة عن العبادة الكاملة (ثم الاستمرار على ما كان عليه) من العبادة والاستقرار من غير تكذيب ولا جدال لان التكذيب ايضا شاغل كالجدال وان كان قليلا فان المقصود الاعلى هو الحضور مع المولى (ثم الزيادة) اى زيادة الاجتهاد (فى ضده) اى اضداد ما ذكر من المكائد او فى ضد كيد الشيطان (ففيه اغضابه) اى اغضاب الشيطان وارضاء الرحمن كما حكى عن ابراهيم بن ادهم انه لما اراد ان يدخل البادية اتاه الشيطان فخوفه بان هذه بادية مهلكة هاوية ولا زاد معك ولا سبب ولا راوية فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا يقطعها حتى يصلى الف ركعة تحت كل ميل من اميالها هنالك وقام بما عزم عليه من الهمة ووفى عليه فى البادية اثنتى عشرة سنة و يروى عن الفضيل ابن غزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك بسوء فقال والله لاغيظن من امره قيل من امره قال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له انى لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة ان يزيد فى حسناته وهو خلاف ماله من الارادة (واختلف) اى اختلف العلماء (فى امن الاقوياء) كالانبياء والاصفياء من الاولياء (منه) اى من الشيطان فقال قوم هم معصومون ومحفوظون عنه لقوله سبحانه * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان * وقوله * الا عبادك منهم المخلصين (والحق) من الاقوال (عدمه) اى عدم امنهم من الشيطان فى جميع الاحوال (لقصة آدم عليه السلام) فى اكل الشجرة فانه صريح فى الملام ونص فى الكلام حيث قال * وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى * ولقوله تعالى * واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله * والخطاب لنبينا عليه السلام وقد روى انه عليه السلام نظر الى علم ثوبه فى الصلوة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلنى عن الصلوة ولقوله سبحانه * وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى * اى قرأ * القى الشيطان فى امنيته * اى قراءته * فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته (وورد) فى صحيح مسلم وغيره (انه) اى الشان (ليغان) اى ليحجب (على قلبى) فيمنعنى عن ذكر ربى مع ان شيطانه اسلم فلا يأمر الا بخير وتمام الحديث وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وفيه انه ليس فى هذا الحديث ما يدل على مدعى المصنف من اغواء الشيطان له فان المراد بالغين حجاب يقع من كثرة مشاهدة غبار الغير فى مقام البين فيمنع عن مشاهدة العين فيستغفر به من الذنب اللائق به فان سيئات المقربين الاحرار حسنات المطيعين الابرار وما دمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار (وفى) اى وكذا اختلف فى (منافاة الترصد) اى التحفظ للحذر من الشيطان (التوكل) بالنصب مفعول منافاة (والحق) من الاقوال المختلفة (عدمها) اى عدم المنافاة (فاخذ السلاح) من الدرع والمغفر وسائر الاسلحة (وجمع العسكر) للمقاتلة (وحفر

الخندق) فى المقابلة (ما قدحت فى توكله) اى ما طعنت فى توكله (عليه السلام) واصحابه الكرام بل ورد الامر من الله سبحانه باخذ السلاح فى قوله تعالى * وليأخذوا حذرهم واسلحتهم * وقال * واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل * وفى الحديث الا ان القوة الرمى (وفى) اى وكذا اختلف فى (كيفية الحذر) عن الشيطان فقوم قالوا اذا حذرنا الله تعالى من العدو فينبغى لنا ان نستغرق فى ترصده و لا يكون شئ اغلب على قلوبنا من ذكره وفكره وقال قوم لا ينبغى لنا ان نجمع بين ذكر الله سبحانه وبين ذكر عدوه فضلا ان يكون ذكره غالبا ففى الخبر من احب شيئا اكثر ذكره وقال قوم غلط الفريقان لان كلا من القولين لا يخلو عن نوع من النقصان كما سيأتى له البيان (فالاولى تقرر عداوته) اى احكام عداوة الشيطان واثباته (على القلب) فاذا تقرر عداوته فى القلب لزم ترك الالتفات اليه (والاستغراق فى ذكره تعالى) اى وتمام التوجه الى ذكر الرب (بجمع الهمة) من غير الالتفات الى ذكر الشيطان ومكره بسبب حضور القلب فى طاعة ربه (والاشتغال بالدفع) اى بدفع الشيطان (عند الانتباه بوروده) اى بدخول الشيطان فى القلب بالوسواس ونحوه لدخوله فى الانسان مجرى الدم فى لحمه (اما الاستغراق فى الترصد) اى فى التحفظ عن الشيطان للحذر (فينافى الذكر) المطلوب لذاته (وهو) اى الاستغراق المذكور فى الذكر (اسراره) اى ايقاع الشيطان فى السرور وايثاره لانه مراده فى مقام اختياره (والجمع) اى وينافى جمع الهمة او مقام الجمع او جمع الجمع وهو ان لا يمنع الكثرة عن الوحدة ولا يحجب الوحدة عن الكثرة والجمع بين ذكر الرحمن وبين ترصد الشيطان (ينقص الحضور) فى ميدان المشاهدة والعيان على قدر اشتغال القلب بذكر الشيطان فان الله سبحانه امر الخلق بذكره ونسيان غيره (وورد) فى التنزيل (قل الله) اى ولا سواه ولا نعبد ولا نشهد الا اياه (ثم ذرهم) اى اترك الخلق من الشيطان وغيره فهم (فى خوضهم) اى اباطيلهم من الاشتغال بغير الحق (يلعبون) كالبهائم والاطفال والمجانين كما قال فى موضع آخر * ذرهم يأكلوا و يتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون * اى جزاء عملهم او مضمون قوله سبحانه * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * اى ليوحدون اولا ثم يطيعون ثانيا ثم يذكرون على الدوام ثالثا ثم يعرفون حق المعرفة رابعا (وعن النفس) عطف على قوله عن الشيطان اى ثم الواجب الاحتراز عن النفس الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء و بلاؤها اصعب البلاء (فعلاجها اعسر) من علاج الشيطان واشد الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء لاربعة امور (لانها محبوبة) لصاحبها مع انها اعدى عدوه (والحب يعمى) العين (عن رؤية العيب) فى محبوبه (ويصم) الاذن (عن سماع الملامة) فى مطلوبه ففى الخبر حبك الشئ يعمى ويصم رواه احمد وغيره عن ابى الدرداء والحاصل ان للانسان عمى عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر عيبا فى مطلوبه كما قال قائل فى شعره

* وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا *

فاذا يستحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولايكاد يطلع على عيب لها الا ويقول انه مليح وهى فى عداوته مستقرة وفى غوايته مستمرة فما او شك ان توقعه فى هلاك وفضيحة ويتوهم انه خلاص ونصيحة وهو لا يشعر به الا اذا حفظه الله سبحانه بفضله وكرمه (وعدو) اى ولانها عدو (داخلى) اى باطنى (فاص البيت) اى ممن يدخل فيه ويخرج منه (تعزفيه الحيلة) اى يعسر فى دفعه الخلاص من المكيدة ولذا قال تعالى * لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا (ولاتنفك) اى النفس عن الانسان (الا بالموت) بخلاف الشيطان فانه ينفك بالاستعاذة والمجاهدة (ولاتندفع) النفس وشرها (بالذكر) اى بذكر الله بخلاف الشيطان فانه يندفع بالذكر لما سبق من حديث اذا ذكر الله خنس (وتشكو النفس يوم القيمة عمن وافقها فى الدنيا) فللحاكم عن انس مرفوعا عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيمة يقول يارب اليس وعدتنى ان لا تظلمنى قال بلى قال فانى لا اقبل على شهادة شاهدا الا من نفسى فيقول اوليس كفى بى شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين فيردد هذا مرات فيختم على فيه وتكلم اركانه بما كان يعمل فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اجادل واما ما فى الاحياء من انه عليه السلام قال كف اذاك عن نفسك ولاتتابع هواها فى معصية الله تعالى اذن تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يعفو الله ويستر فقال مخرجه لم اجده بهذا السياق (ومنها) اى من النفس (نشأ ذنب ابليس بالكبر والحسد) حيث قال انا خير منه وامتنع عن حكم ربه فكفر بسببه بعد قضاء الله السابق فى حقه فغرق فى بحر الضلال بعد عبادة ثمانين الف سنة فى بعض الاقوال ولم يكن هناك دنيا ولاخلق ولاشيطان آخر بل كانت النفس وحدها فعملت ما عملت من جهدها (وقابيل بالشح) اى بسبب بخله على اخيه فى اخته فانكر على ابيه فوقع فى الكفر بسببه لابسبب قتل اخيه (وهاروت) وصاحبه ماروت وقعا فيما وقعا من البلية (بالشهوة) التى ادت الى الزنا ونحوه من المعصية قيل وآدم وحواء بالحرص على الدوام والبقاء حتى اغترا بقول ابليس * هل ادلكما على شجرة الخلد وملك لايبلى * فسقطا بذلك من جوار المولى الى هذه الدنيا الدنية الحقيرة النكدة الفانية واوقع اولاده من الامور المهلكة ثم هلم جرا الى يوم القيمة لاتجد فى الخلق فتنة ولافضيحة ولامحنة ولاضلالا ولامعصية الا واصلها النفس وهواها والاكان الخلق فى سلامة وخير فى مبدأ الامور ومنتهاها واذا كان العدو بهذا الضرر كله فحق على العاقل ان يهتم بامرها فى حقه فان قيل بين لنا طريق دفع هذه النفس فيقال (والطريق) اى طريق تذلل النفس وتكسر هواها اوطريق الاحتراز عن النفس ومشتهاها ثلاثة (منع الشهوات) ودفع اللهوات ورفع اللذات عنها (فالحرون) اى الصعب من الدواب (يلين بنقص العلف) عن عادته مع حبسه فى مربطه (وحمل اعباء العبادة) اى اثقالها واشغالها (فالحمار) الجموح

(ينقاد بزيادة الحمل) على ظهره (والاستعانة به تعالى) اى التضرع اليه ليهون امرها عليه والافلا مخلص لديه (فورد) فى التنزيل (ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى) اى من رحمه اومدة رحمته (والاصل فيه) اى فى طريق الاحتراز اوفى طريق تذلل النفس (الرياضة) اى وفق الشريعة المرضية ففى تحفة الملوك لاتحل الرياضة بتقليل الاكل الى ان يضعف عن اداء العبادة ولو واصل اربعين يوما ثم مات مات عاصيا ولومرض وترك المعالجة توكلا على الله فمات لم يمت عاصيا والتنعم بانواع الفاكهة يباح وتركه افضل والجمع بين الاطعمة حرام اى ممنوع ومكروه كراهة تنزيهية اوحرام فى طريق الصوفية ثم الاصل المهم فى المجاهدة والوفاء بالعزم على المعاندة فاذا عزم على ترك شهوة وتيسر اسبابها ابتلاء من الله فينبغى ان يصبر عنها ويستمر عليها فانه ان عود نفسه كسر العزم الفت بعد ذلك عدم الجزم وفسدت لفقد الحزم واذا اتفق منه بعض العزم فينبغى ان يلزم نفسه عقوبة عليه وجزاء لديه (وهى) اى الرياضة اوالمقصود من الرياضة المستحسنة بالاتفاق (تهذيب الاخلاق فورد) فى الحديث (انى رأيت البارحة عجبا) اى امرا غريبا (رأيت رجلا من امتى جاثيا) اى جالسا على ركبتيه (وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق) من باب (فادخله على الله تعالى) من غير حساب ولاعقاب والحديث رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عبد الرحمن بن سمرة (اثقل ما يوضع فى الميزان حسن الخلق) رواه ابو داود والترمذى وصححه من حديث ابى الدرداء ولابى داود والترمذى من حديث ابى الدرداء ما من شئ فى الميزان اثقل من حسن الخلق وللطبرانى فى الاوسط من حديث عمار بن ياسر حسن الخلق خلق الله الاعظم ولاحمد والحاكم والبيهقى من حديث ابى هريرة بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ولاحمد من حديث عائشة الشؤم سوء الخلق ولابن حبان وغيره سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وللخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث عائشة اليمن حسن الخلق وللطبرانى فى الصغير من حديث عائشة ما من شئ الا وله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لايتوب من ذنب الا عاد فى شر منه وذكر شيخ مشايخنا الجلال السيوطى حديث احسن الحسن الخلق الحسن رواه الحسن عن الحسن عن ابى الحسن عن جد الحسن بسند حسن (وهو) اى حسن الخلق (ضبطه) اى حفظه وربطه (تحت الشرع والعقل) فى قضية الطبع (وهو) اى تحسين الاخلاق (ممكن) بالاتفاق (لصيرورة الصيد الوحشى اهليا) كالظبى والحمام (والجموح منقادا) كالفرس والبعير (والكلب معلما) وكذا سائر الجوارح من الصيود حتى يصير آلة للصيد فى مقام القيد (وورد) فى الحديث (حسنوا اخلاقكم) رواه ابن لال فى مكارم الاخلاق من حديث معاذ يا معاذ حسن خلقك للناس ولاحمد من حديث عائشة اللهم حسنت خلقى فحسن

خلق وللطبرانى من حديث جابر ان اقربكم منى مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا هذا والخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى روية وفكر ثم ان كانت الهيئة بحيث يصدر منها الافعال الجميلة شرعا وعقلا سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا حسنا وان كان الصادر منها الافعال القبيحة بسهولة سميت الهيئة التى هى المصدر خلقا سيئا وكما ان حسن الصورة الظاهرة لا يتم الا بحسن جميع اعضائه فكذا فى الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن فى جميعها وهى قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه الثلاثة ويعبر عن حسن القوة الغضبية بالشجاعة وعن حسن قوة الشهوة بالعفة والمراد بالعدل هو اعتدال القوتين بين الافراط والتفريط فان الامر المحمود فى كل شئ هو التوسيط فالجبن والتهور مذمومان كما ان البخل والاسراف منهيان والشره والجوع مشغلان وقدور د خير الامور اوساطها رواه البيهقى فى شعبه وقال تعالى فى ذم التبذير والتقتير * والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * قال * ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا * وقال تعالى * كلوا واشربوا ولا تسرفوا * وقال * اشداء على الكفار رحماء بينهم * وقال * اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين * فالاعتدال مطلوب فى جميع الاحوال فان العقيدة الجيدة هى المتوسطة بين التشبيه والتعطيل وبين القدر والجبر وبين النصب والرفض وهو الصراط المستقيم والدين القويم الذى لا عوج له ولا ميل الى احد الجانبين الزائغ عن الجادة قال تعالى * وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله * وقال * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * ولما كان الوسط الحقيقى بين الطرفين فى غاية الغموض بل هو ادق من الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم فى الدنيا جاز على مثل هذا الصراط فى العقبى وقل ما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعنى الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذى مال اليه فكذا لا ينفك عن عذاب ما واجتياز عن النار وان كان مثل البرق قال تعالى * وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله فى كل يوم سبعة عشر مرة بقوله * اهدنا الصراط المستقيم * ومن هنا قال عليه السلام استقيموا ولن تحصوا اى لن تطيقوا حق الاستقامة وهى الموصوفة بنعت الاستدامة فينبغى للعبد ان يجتهد ان يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله والمقصود عجز الانسان كما يشير اليه قوله تعالى * كلا لما يقض ما امره * هذا وقال يحيى بن معاذ فى سعة الاخلاق كنوز الارزاق وعن الحسن من ساء خلقه عذب نفسه وقال الكتانى التصوف خلق فمن زاد عليك

فى الخلق زاد عليك فى التصوف وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات ثم قال الحسن حسن الخلق بسط المحيا وبذل الندى وتحمل الاذى وقال الواسطى هو ان لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالمولى وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك للحق (فالاسرع علاجا) اى الاهون مداواة (من غفل عن اعتقاد وتميز) من جهة اعتماد كالصبيان والنسوان والبله من الانسان وجماعة التركمان ومن هنا ورد اكثر اهل الجنة البله (ثم من عرف القبيح) اى واعتقده سيئا فانه قابل للعلاج فى تركه (ثم من اعتقده) اى القبيح (حسنا) وذلك كالمبتدعة ونحوهم قال تعالى * افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (وهو اصعب) لان علاجه باخراجه عن اعتقاده وفيه غاية من التعب وفى مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب (والطريق) مبتدأ اى طريق تهذيب الاخلاق (عند فقد الكمال الفطرى) اى الجبلى الذى لا يحتاج الى التكلف الطبيعى (كما للانبياء عليهم السلام) وكذا لبعض الاصفياء والاولياء من اتباعهم الكرام (والجذبة) اى وعند فقد الجذبة (الالهية كما للسحرة) اى سحرة فرعون (وعمر رضى الله عنه) فانه آمن بغتة (التكلف) خبر المبتدأ اى تكلف السالك (فى اعتياد الاضداد) اى تعود اضداد الاخلاق السيئة (بالتدريج) اى بالتأنى فى المعالجة (والمجاهدة) بالرفع عطف على التكلف ويجوز جره عطفا على التدريج اى المبالغة فى المعالجة (فيه) اى فى الاعتياد (حتى يعتاد) السالك (الطاعة) بوصف الدوام (ويلتذ بها) اى بالطاعة (التذاذ المريض بالطعام بعد العلاج) اى بعد علاج المريض (والمتنعم) اى والتذاذه (بالعلم على الدوام) متعلق بالتكلف كذا قيل والاظهر انه متعلق بيلتذ (لا احيانا) اى متساوية نعم قد يفيد المجاهدة اذا كان فى اكثر الاحوال الواردة وقد مثل عدم افادة بعض الاوقات فى الذكر والفكر والطاعات بايقاد النار تحت البرمة فانها لا تفور ابدا اذا كان الامر مترددا بين الحالات هذا وقد توهم عبارة المصنف ان صاحب الجذبة لا يحتاج الى سلوك المجاهدة وليس كذلك فان الجهاد لا بد لجميع العباد غاية ما فى الباب ان ارباب السلوك على نوعين منهم سالك مجذوب وهو اغلب احوال المريدين ومنهم مجذوب سالك وهو قليل من بين المرادين ويشير الى الطائفتين قوله تعالى * الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * واختلفوا فى ايهما افضل والجمهور على ان السالك المجذوب اكمل هذا والانبياء عليهم السلام ايضا فى مقام الترقى لا يستغنون عن زيادة المجاهدة لكمال المشاهدة فقد قال تعالى * وقل رب زدنى علما * وفى دعائه عليه السلام اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى اى زدنى تحسين خلقى والا فكان عليه السلام خلق على خلق عظيم ثم كان خلقه القرآن

وقد قال له * خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين * وفسر العفو بان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عن من ظلمك وكان من دعائه عليه السلام اللهم اهدنى لاحسن الاخلاق لايهدينى لاحسنها الا انت واصرف عنى سيئها لايصرف عنى سيئها الا انت رواه مسلم من حديث على (فالمقصود منه) اى من حسن الخلق اومن رياضة الخلق (رسوخ حبه تعالى) اى ثبوته (فى القلب وقلع حب الدنيا عنه) اى عن القلب فانهما لايجتمعان كما يشير اليه قوله تعالى * ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه * وورد من احب آخرته اضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته فآثروا مايبقى على مايفنى وقد مثل على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة بالضرتين اذا ارضيت واحدة اسخطت الاخرى وبكفتى الميزان اذا اثقلت واحدة خفت الاخرى وبالمشرق والمغرب فمهما توجهت الى المشرق بعدت عن المغرب وكذا بالعكس فكل قلب مال الى حب شئ سوى الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب الشئ لكونه معينا له على حب الله ودينه قال تعالى * فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * قال على رضى الله عنه الايمان يبدو لمعة فى القلب بيضاء وكلما ازداد الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق ليبدو فى القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله وفيه تنبيه على ان الخلق الحسن من نتيجة الايمان والعرفان والسيئ من ثمرة النفاق والكفران ثم اعلم ان اصل الاشياء وموجدها ومخترعها الذى جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شئ ولم يعرف الله سبحانه فكانه لم يعرف شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه ومن احبه لايؤثر عليه الدنيا ولاغيرها من المحبوبات كما قال تعالى * قل ان كان آباؤكم وابناؤكم * الى قوله * احب اليكم من الله ورسوله * الآية فمن كان عنده شئ احب اليه من الله ورسوله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء اوسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهى مريضة محتاجة الى الدواء (وهو) اى الطريق الذى يعرف به الانسان عيوب نفسه اوالتكلف باعتبار الاضداد انما يحصل بخمسة اشياء (بالاستفادة من شيخ) اى ولوشاب تائب من الذنوب (بصير بالعيوب) اى الظاهرة والباطنة (مطلع على الخفايا) من احوال المريد كالعجب والرياء (وهو عزيز الوجود) فى ميدان الشهود كما يشير اليه قوله تعالى * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم * وقوله * وقليل من عبادى الشكور * وورد الناس كابل مائة لاتجد فيها راحلة واخبر تقله وقال الشاعر

* اتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر *

والمراد بالحر من لايستعبده هواه ولا تسترقه دنياه فالاطباء هم العلماء وقد استولى

المرض عليهم وغلب حب الدنيا لديهم فلا يفيد للسالك التردد اليهم بل اندرس هذا العلم وهو معرفة احوال القلوب الخفية وانكر وجودها بالكلية واقبل الخلق على اعمال ظاهرها عبادات وباطنها مراياة وعادات نعم كان يكثر وجودهم فى الصحابة واكابر التابعين وبعض المتأخرين كالسرى والجنيد والشبلى رضى الله عنهم اجمعين وقد قال الشبلى للحصبرى ان كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة التى تأتى شئ غيرالله عزوجل فحرام عليك ان تأتينى (اوصديق) اى صاحب صديق (ينبه صديقه (عليها) اى على عيوبه (كما روى عن السلف) ومنهم عمر رضى الله عنه حيث قال رحم الله من اهدى الى بعيوبى وكان يسأل سلمان عن عيوبه كلما قدم عليه وقال ما الذى بلغك عنى ما كرهته فاستعفى والح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال هل بلغك غير هذا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول انت صاحب سر رسول الله فى المنافقين فهل ترى على شيئا من آثار النفاق وقد قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين * قال بعضهم كن مع الله فان لم تطق فكن مع من يكون مع الله وهذا ايضا عزيز فيقل فى الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب اويترك الحسد فلايزيد على قدر الواجب ولذا كان داود الطائى قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لاتخالط الناس فقال ما اصنع باقوام يخفون عنى عيوبى فكان شهوة ذوى الدين من السلف المجتهدين ان ينتبهوا على عيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا بعيوب احوالنا ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التى ثمرتها كثرة العصيان واصل ذلك كله ضعف الايمان (اوعدو) حاذق عاقل (فعين السخط) بفتحتين وبضم فسكون اى عدم الرضاء (تبديها) اى تظهر العيوب وتكشف الذنوب كما تقدم فى قول الشاعر

* فعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا *

فلعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه (اومخالطة الناس) اماما اومأموما (وترك مارأى مذموما) لئلايكون مذموما ومايراه محمودا يطالب نفسه به ليصير مسعودا فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه فلو ترك الناس كلهم مايكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن مؤدب لانفسهم وقيل لعيسى عليه السلام من ادبك فقال ما ادبنى احد رأيت جهل الجاهل فجانبته (اوالكتاب والسنة) اى العمل بهما (وهو) اى الاعتصام بهما (الانفع) بل هوالنافع ويؤيده قوله تعالى * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * وحديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالايعلم (والاصل) فى تهذيب الاخلاق اوفى رسوخ حبه سبحانه (ترك التمتع بما لاينال) اى لايحصل منفعته (فى القبر) الذى هو البرزخ بين

الدنيا والاخرى فينبغى ان لا يتمتع (الا بقدر الضرورة) فى معيشة الدنيا من اللقمة والخرقة ونحوهما و يتعين ترك التمتع باللذات والشهوات من غير الضرورات فقد قال وهب بن منبه مازيد على الخبز فهو شهوة وقال يزيد الرقاشى السلام على الماء البارد مادمت فى الدنيا لعلى لا احرمه فى الاخرى وقال السرى منذ اربعين سنة يطالبنى نفسى ان اغمس جزرة فى دبس فما اطعمتها (لئلا يحصل الانس بالدنيا المؤدى الى حبها) والى نسيان الاخرى وذلك انه اذا تمتع بشئ منه انس به وألفه واذامات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا الا من لاحظ له فى الاخرى (فهو) اى حب الدنيا (رأس كل خطيئة) كما رواه البيهقى عن الحسن البصرى مرسلا وقال تعالى * اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى * قيل نزع عنهم محبة شهوات الدنيا وقال عليه السلام المؤمن بين خمس شدائد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقتله وشيطان يضله ونفس تنازعه رواه ابو بكر بن لال من حديث انس وقال عليه السلام لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر يارسول الله قال جهاد النفس رواه البيهقى فى الزهد وللترمذى فى اثناء حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد المجاهد من جاهد نفسه وقال سفيان الثورى ماعالجت شيئا اشد على من نفسى مرة لى ومرة على وكان ابو العباس الموصلى يقول يانفس لا فى الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا فى طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كانى بك بين الجنة والنار تحبسين الا يانفس ما تستحيين وقال يحيى بن معاذ الرازى جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام واحتمال الاذى من الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفوة الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الدرجات وليس على العبد اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدى الخمول وقلة الكلام حتى ينقطع من الظلم والانتقام فتأمن بوائقها فى سائر الايام وتصفيها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورانية خفيفة فتجول فى ميدان الخيرات وتسير فى مسالك الطاعات والمبرات كالفارس الفار فى الميدان وكالملك المتنزه فى البستان وقال ايضا اعداء الانسان ثلاثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فى نعمتها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك شهواتها وقال جعفر بن حميد اجمعت العلماء والحكماء ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس فى قلبه شجرة الندامات وقال

وهب بن الورد من اراد شهوات الدنيا فليتهيأ للذل فى العقبى وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردى فلم اجد الحلاوة التى كنت اجدها فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف فى عباءة مطروح على الطريق فلما احس بى قال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت ياسيدى من غير موعد قال بلى سألت الله محرك القلوب ان يحرك الى قلبك قلت قد فعل فما حاجتك قال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هو يها صار داؤها دواءها فاقبل على نفسه فقال اسمعى قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد قال فانصرف وما عرفته وكان مالك بن دينار يطوف فى السوق فاذا رأى الشئ يشتهيه قال لنفسه اصبرى فوالله ما امنعك الا من كرامتك على وقال ابراهيم الخواص كنت فى جبل لكام فرأيت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى قال من عرف الله لا يخفى عليه شئ فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من هذه الزنابير قال وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يحميك من شهوة الرمان فان لذغ شهوة الرمان يجد الانسان المه فى الآخرة ولذغ الزنابير يجد الانسان المه فى الدنيا فان قيل التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من الله فيقال هذا خيال ضعيف او المباح الخارج عن الحاجة من الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة كما ورد وكذا يؤيده حديث اشبعكم فى الدنيا اجوعكم فى العقبى وللطبرانى فى الكبير وابى نعيم فى الحلية من حديث ابن عباس ان اهل الجوع فى الدنيا هم اهل الشبع فى الآخرة وللديلمى من حديث ابى هريرة مرفوعا نور الحكمة الجوع والتباعد من الله عز وجل الشبع ولاحمد والحاكم والبيهقى باسناد جيد انه عليه السلام نظر الى رجل سمين البطن فاومأ الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا فى غير هذا لكان خيرا لك وللبيهقى فى الشعب من حديث عائشة انه عليه السلام قال لها اياك والاسراف فان اكلتين فى يوم من السرف ولابى الشيخ عن ابن عمر مرفوعا ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له ثم اعلم ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب ومتشابهها عتاب وورد من نوقش فى الحساب عذب كما فى الصحيحين فعند الصباح يحمد القوم السرى فترك الشهوة يثقل على المريد فى البداية ثم يتنعم فى النهاية ونظيره الطفل فى الفطام عند الرعاية وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المؤمن والمنافق فقال ان المؤمن همته فى الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته فى الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل احد الا الله والمؤمن آمن من كل احد

الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن و يبكى والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة والجلوة والمؤمن يزرع و يخشى الفساد والمنافق يقلع و يرجو الحصاد والمؤمن يأمر و ينهى للسياسة والمنافق يأمر وينهى للرياسة واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر على الاذى واحتمال البلوى ومن شكى من سوء خلق غيره فدل ذلك على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال اذى الخلق وقال عيسى عليه السلام جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم وقال سهل ماصار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس وقد قيل فى صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة

الباب السادس عشر فى التوبة والمرابطة والتقوى

قد ورد التوبة ندم رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود وقال تعالى * يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون * ومعنى التوبة ندم اى معظم اركان التوبة الندامة كما ورد الحج عرفة والا فمن اركانها ترك المعصية مباشرة والعزم على ان لايعود اليها ابدا والتدارك لما امكنه من حقوق الله وحقوق العباد (بسم الله الرحمن الرحيم) المستعان به فى امر الدنيا والاخرى (التوبة) فى اللغة الرجعة وفى الشرع الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الى الحضرة وقال بعضهم هى (تنزيه القلب عن الذنب) اى عن اختياره (وقيل الرجوع من البعد) اى من كل ما يبعد العبد عن المولى (الى القرب) اى الى قرب الرب فى الدنيا والاخرى فيختص بتحصيل كل فضيلة جليلة تقربه الى الله وبالرجوع عن كل خصلة رذيلة تبعده عن الله فى دنياه وآخرته فيعم الذنوب الظاهرة والعيوب الباطنة والاخلاق الذميمة والغفلة عن الاذكار الكريمة وقيل فى حد التوبة ذوبان الحشاء لما سبق من الخطاء وقيل هو نار فى القلب تلتهب وصدع فى الكبد لاينشعب وقيل هو خلع لباس الجفاء ونشر بساط الوفاء وقال سهل التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة فكانه اخذ من قوله تعالى * الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات * على ماذهب اليه بعض المفسرين ومن معانيها ترك المعاصى فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال وتدارك ماسبق من التقصير فى ماضى الاحوال (وهى) اى التوبة (واجبة) اى فريضة لازمة لكل من المكلفين (لورود قوله تعالى * توبوا الى الله) اى * جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون * وفى نسخة * توبة نصوحا * اى خالصة لله من دون رياء وسمعة واغراض فاسدة والامر فى الآيتين

للوجوب بناء على اصله (ودلالة الاجماع) المنعقد من الامة على ان التوبة من المعصية فريضة (والعقل) اى ودلالة العقل (فالواجب) من طريق العقل مع قطع النظر من ورود النقل (ما تعلق بفعله السعادة) العظمى (و بتركه الشقاوة) الكبرى اذ بها الوصول الى سعادة الابد من قرب المولى والنجاة من هلاك السرمد الذى هو الحجاب عن اللقاء فى العقبى (وهو) اى التعلق بهما (محقق فيها) اى ثابت فى التوبة بلا خلاف عند العقلاء (وجدواها) اى فائدة التوبة ومنفعتها وثمرتها ونتيجتها اربعة اشياء (حبه تعالى اياه فورد) فى التنزيل (ان الله يحب التوابين) وفى الحديث (التائب حبيب الله) رواه ابن ابى الدنيا وابو الشيخ من حديث انس بلفظ ان الله يحب الشاب التائب ولعبد الله بن احمد فى زوائد المسند من حديث على ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب ولاحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة ولابن ماجه من حديث ابن مسعود التائب من الذنب كمن لاذنب له وللشيخين من حديث ابن مسعود وانس الله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى ارض دوية مهلكة فقد راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش او ماشاء الله قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته زاد مسلم فى حديث انس ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدى وانا ربك اخطأ من شدة الفرح هذا وايضا من علامات حب العبد لله ان يتوب عما يشغله عن مولاه ويطيعه فيما يأمره و ينهاه كما قيل

* تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع *
* لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع *

و يشير اليه قوله تعالى * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله * و يفيد ايضا الملازمة بين المحبتين كما يومى اليه قوله تعالى سبحانه * يحبهم و يحبونه * واولا محبته السابقة لما وجدت محبتنا اللاحقة (والتوفيق) اى جعله تعالى اسبابا موافقة للاعانة (على الطاعة) فى كل وقت وساعة (فقيد الذنوب) التى بمنزلة القيود والاغلال من العيوب (يمنع عنها) اى عن الطاعة وتوفيقها (ولان الاصرار) اى الاقامة على المعاصى من غير تخلل التوبة بالرجوع الى الرب (يقسى القلب) اى يسوده و يشدده (و يجر الى الشقاوة الكبرى) فان المعصية بريد الكفر وقد قال تعالى * والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون (ولان المتلطخ بالنجاسة) اى المتلوث بنجاسة المعصية (لايقرب) الى بساط الرب بل يبعد و يحجب (فورد اذا كذب العبد) وهو من اهون اسباب البعد (تنحى الملكان) اى تبعد اللذان معه من الكرام

الكاتبين من عنده لكمال نزاهتهما وجمال طهارتهما (عن نتن ما يخرج من فيه) اى من فمه وهو الكذب والحديث رواه الترمذى وحسنه وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر ولفظه اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به (وحلاوتها) اى لذة الطاعة التى لو لم يكن للمطيع جزاء لعمله الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجاة ربه لكان ذلك كافيا فكيف بما ينضاف اليه من نعيم الآخرة كما يشير اليه قوله تعالى * فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون * الآية وفى الخبر القدسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتقسيم هذه اللذة لا يكون فى ابتداء التوبة بل التوبة فى اولها مرة كانقطام الصبى ثم يصير حلوة بعد ما صبر على مرارة ترك العادة مدة مديدة ومعالجة شديدة والنفس قابلة ما عودتها تتعود (فالمصر لا يجدها) اى تلك اللذة اذ من لم يذق لم يعرف ان ترك اللذة الفانية هى اللذة الباقية (وقبولها) اى قبول الطاعة قال تعالى * انما يتقبل الله من المتقين (فرب الدين لا يقبل هدية المديون المماطل) الممتنع من اداء الدين فمن الفضول تضييع الاصول (ولان الغضب) المترتب على معصيته بالعقاب الصادر عن تجلى صفة الجلال (ينافى القبول) اى قبول طاعته المترتب عليه بالثواب الوارد عن تجلى نعت الجمال (وهى) اى التوبة (واجبة على الكل) من الانبياء والاولياء فلا تظن ان التوبة اختصت بآدم عليه السلام حيث قال تعالى * وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى * بل هو حكم ازلى مكتوب على جنس البشر لا يمكن فرض خلافه ما لم تتبدل السنة الالهية التى لا مطمع فى تبديلها فالرجوع فى حق كل انسان يكون ضروريا نبيا كان او غبيا وليا او غويا

* فلا تحسبن هندا لها الغدر وحدها * سجية نفس كل غانية هند *

ويشير اليه حديث كلكم خطاؤن وخير الخطائين التوابون كما رواه احمد فى غيره عن انس (فى كل حال) اى على الدوام (لعموم الادلة) كقوله تعالى * وتوبوا الى الله جميعا * وذلك لان كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخل عنه الانبياء الاخيار كما فى القرآن والاخبار من خطاياهم وتوبتهم وبكائهم فان خلا احد فى بعض الاحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب فى القلب فان خلا عن الهم فلا يخلو من وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور فى العلم بالله وبصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب وترك اسبابه بالتشاغل باضدادها رجوع عن الطريق الى ضده وانما يتفاوتون فى مقادير النقصان لا فى اصله (وعلى الفور) واجبة من غير تراخ ومهلة (لوجوب الانتهاء) اى الامتناع (عن المعاصى كذلك) اى على الفور

من غير التراخى (وحرمة التسويف) اى ولحرمة تأخير التوبة (فورد) فى التنزيل (وليست التوبة الآية) اى * للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن (اكثر صياح اهل النار من التسويف) كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجد له اصلا وقال لقمن لابنه يا بنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة فكل ايمان لم يثبت فى اليقين اصله ولم ينتشر فى الاعمال فرعه لم يثبت على عواصف الاحوال عند ظهور ناصية ملك الموت وسائر الاهوال وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقى بماء الطاعات حتى توالى الايام والساعات واما قول العاصى للمطيع انى مؤمن كما انك مؤمن فهو كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر انى شجرة وانت شجرة وما احسن جواب الصنوبر اذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقطع اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة فى اسم الشجر مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار

* سوف ترى اذا انجلى الغبار * افرس تحتك ام حمار *

وهذا امر يظهر عند الخاتمة نسأل الله العافية ولقد صدق ابو سليمان الدارانى فى قوله او لم يبك العاقل فيما بقى من عمره الا على فوت ما مضى منه فى غير طاعة الله وامره لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى الممات فكيف من يستقبل ما بقى من عمره بمثل ما مضى من جهله فيما سبق من الحيات وقال بعض العارفين ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقى من عمرك ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو اول ما يظهر من معانى قوله تعالى * وحيل بينهم وبين ما يشتهون * واليه الاشارة بقوله سبحانه * وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها * اى ولا نفسا هذا ومامثال المسوف الامثال من احتاج الى قلع شجرة فرآها قوية لا تنقلع الا بمشقة شديدة جلية فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة فى الدنيا اعظم من حماقته اذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو فى نفسه وقوى الضعيف (وهى) اى التوبة اذا استجمعت شرائطها (مقبولة) لا محالة (فورد) فى التنزيل (وهو الذى يقبل التوبة الآية) اى * عن عباده فوعده حق وقوله صدق لا يجوز خلفه ولا يتصور تبديله (قابل التوب) فهو من صفاته كقوله * غافر الذنب (ان الله يبسط يده بالتوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) وفى الاحياء ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسىء الليل الى النهار ولمسىء النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قال مخرجه رواه مسلم من حديث ابى موسى بلفظ يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار الحديث وفى رواية

الطبرانى لمسئ الليل ان يتوب بالنهار و بسط اليد كناية عن طلب التوبة ومبالغة فى قبولها اذا الطالب ابلغ من القابل قرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا وهو قابل ولابن ماجه من حديث ابى هريرة لواخطأتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم اى قبل توبتكم اورجع عليكم بالرحمة والمغفرة ولابن المبارك فى الزهد عن الحسن مرسلا ان العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فارا حتى يدخل الجنة ولابى نعيم فى الحلية من حديث ابى هريرة ان العبد ليذنب الذنب فاذا ذكره احزنه فاذا نظر الله اليه انه احزنه غفرله الحديث ولاحمد وابى يعلى والحاكم وصححه من حديث ابى سعيد ان الشيطان قال وعزتك يارب لا ازال اغوى عبادك مادامت ارواحهم فى اجسادهم فقال وعزتى وجلالى لا ازال اغفرلهم ما استغفرونى وقال سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى * انه كان للاوابين غفورا * فى الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن اصبحوا تائبين وامسوا تائبين و يروى ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل اذنب ذنبا فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى لئن عدت لاعذبنك فقال يارب انت انت وانا انا وعزتك لئن لم تعصمنى لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال نادما تائبا حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ياليتنى لم اوقعه فى الذنب يعنى لاهلكه بالعجب و يروى انه كان فى بنى اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر فى المرآة فرأى الشيب فى لحيته فساءه ذلك ثم قال الهى اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلنى فسمع قائلا يقول ولا يرى الشخص احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك وقد قال تعالى * وان عدتم عدنا * وورد * ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة (وايضا) اى وفى العقل ايضا دلالة على ان التوبة مقبولة لامحالة فانها (تزول ظلمة الذنب) و بخارها (عند سطوع نور التوبة) وآثارها (زوال الدنس) اى كزوال الوسخ والدرن من الثوب والبدن (بالصابون) ونحوه من الاشنان (والصداء) اى وكزوال صداء الحديد من المرآة ونحوها (بالصيقل) وتوضيحه ان نار الندم تحرق غبرة الذنب ونور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار وكما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله لان يكون فى جواره فكما ان استعمال الثوب فى الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لامحالة فاستعمال القلب فى الشهوات يوسخ القلب وغسله بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه و يطهره فكل قلب زكى طاهر فهو مقبول كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول والقبول له حسب القضاء

السابق الازلى مبذول والحاصل ان من توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يقلع وان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه فى تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه من اصله ومثاله ان تتراكم الذنوب حتى تصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يتوب ولا يرجع الى الرب وربما يقول باللسان قد تبت من العصيان فيكون ذلك كقول القصار قد غسلت الثوب هذا وقد ورد ان للقلوب صداء كصداء الحديد وجلاؤها الاستغفار رواه الحكيم الترمذى وابن عدى عن انس ثم لما كان المصنف استشعر سؤالا وهو ان يقال لا ينبغى ان يجوز الشك فى القبول لانه يخالف اخبار الله والرسول اجاب بقوله (وانما يشك التائب) فى قبول توبته وحصول اوبته (لشكه فى تحقق الشروط) المعتبرة فى باب التوبة (والاركان) اللازمة فى حصول الاوبة كما سيأتى بيانها فى محلها اللائق بها ومجملها الندم والقلع والعزم والتدارك بالجزم (فهى) اى الشروط والاركان (دقيقة) ادراكها فلا يجزم بكونها حقيقة (شك) اى مثل شك (شارب المسهل) فى حصول شروط الاسهال فى الدواء باعتبار الوقت والحال وكيفية خلط الدواء وطبخه وجودة عقاقره وادويته والافلا شك فى تأثيره وخاصيته (بخلاف القصار اذ شروطه) من الماء والصابون والدلك (جلية) وليست فى نظر صاحبه خفية ثم اعلم ان التوبة ترك الذنوب ولا يمكن ترك الشئ الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجبة ولذا قال المصنف (والذنب ما يخالف امره تعالى من فعل) للطاعات (او ترك) للسيئات (و ينقسم الى حقه تعالى) وهو اقرب الى العفو كترك الصلوة والصوم ونحوهما (وحق العبد) اى والى حقه كترك الزكوة وقتل النفس وامثالهما (وهو) اى حق العبد (اغلظ) اى اشد وعن العفو ابعد (فورد) فى الحديث (انه) اى حق العبد (لا يترك) اى لا يعفى الا ان العبد يرضى ولذا قيل حق الكافر اشد من حق المسلم واقوى وحق الحيوان اشد من الكافر كما لا يخفى ولاحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم و بين الله تعالى واما الديوان الذى لا يغفر فالشرك واما الديوان الذى لا يترك فظالم العباد اى لا بد ان يطالب بها حتى يتخلص عنها (وايضا) ينقسم (الى) معصية (كبيرة وصغيرة) كما جاء فى القرآن * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم (وورد فى البعض) (انه) اى ذلك البعض (من الكبائر) ففى البخارى من حديث عبد الله بن عمر مرفوعا الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يارسول الله وماهى قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال

اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ولهما من حديث ابى بكرة الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وقول الزور ولهما من حديث ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان يقتل ولدك مخافة ان تطعم معك قلت ثم اى قال ان تزنى حليلة جارك وللطبرانى من حديث سلمة بن قيس انما هى اربع لاتشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفى الاوسط للطبرانى من حديث ابن عباس الخمر ام الفواحش واكبر الكبائر وللبزار من حديث ابن عباس باسناد حسن ان رجلا قال ما الكبائر قال الاشراك بالله والاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله وللحاكم من حديث عبيد بن عمير عن ابيه الكبائر تسع فذكر منها استحلال البيت الحرام وللطبرانى من حديث واثلة ان من اكبر الكبائر ان يقول الرجل على ما لم اقل وله ايضا من حديثه ان من اكبر الكبائر ان ينتفى الرجل من ولده ولمسلم من حديث جابر بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلوة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والديه ولابى داود من حديث سعيد بن زيد ان من اربى الربوا الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق وفى الصحيحين من حديث ابن عباس انه عليه السلام مر على قبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير وانه لكبير اما احدهما فكان يمشى بالنميمة واما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله الحديث ولاحمد فى هذه القصة من حديث ابى بكرة اما احدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولابى داود والترمذى من حديث انس عرضت على ذنوب امتى فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القرآن او آية اوتيها رجل ثم نسيها وللديلمى من الكبائر السبتان بالسبة وقد اختلف الصحابة والتابعون فى عدد الكبائر من اربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك قال ابن مسعود هى اربع وقال ابن عمر هى سبع وقال ابن عمرو هى تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هى الى سبعين اقرب منها الى سبع (واختلف) على اقوال (فى حصرها) اى الكبائر (على ما نهى) اى على ذنب ورد عنه نهى نهيا (مخصوصا فالتخصيص) بالذكر فى القرآن (للتعظيم) اى لتعظيم العصيان وقد قال ابن عباس كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ويشير اليه قوله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه * اذا كانت الاضافة بيانية (وما) اى على ذنب (اوعد) اى ورد الوعيد (عليه بالنار لعظم العقوبة) فقد قال جماعة من الصحابة كل ما توعد الله عليه بالنار فهو من الكبائر (وما) اى وعلى ذنب (وجب عليه حد) من رجم وجلد وقتل وقطع (فالتعجيل) لعقوبة المذنب (للتغليظ) فى حق ذنب فقد قال بعض السلف كل ما اوجب الحد فى الدنيا فهو كبيرة (وما) اى وعلى ذنب (استصغر) اى استحقر وعد صغيرا وحقيرا (كان الصغيرة ما استعظم) اى عد عظيما وكبيرا

(فورد لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار) رواه الديلمى عن ابن عباس به مرفوعا وعن انس موقوفا وعن ابى سعيد الخدرى وغيره من الصحابة رضى الله عنهم انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر رواه احمد والبزار بسند صحيح وقال ابن مسعود لما سئل عن الكبائر فقال اقرأ من اول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها عند قوله * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم * فكل ما نهى الله عنه فى هذه السورة الى ههنا كبيرة وقال قائلون لا صغيرة بل كل مخالفة لله فهو كبيرة وضعف هذا القول لقوله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه * وقوله * الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم * اى الصغائر وفى الحديث * ان تغفر اللهم فاغفر جما * فاى عبد لك لا الما (وقيل الاصح انها) اى الكبيرة (مبهمة) اذ ربما قصد الشرع بابهامها كون العباد على وجل منها (كليلة القدر وساعة الجمعة) وكذا الصلوة الوسطى ليعظم جد الناس فى طلبها وعدم الاكتفاء بها عن غيرها (لانها) اى والدليل على كون الكبيرة مبهمة ان المراد بها (ما) اى ذنب (لا يكفره الصلوات الخمس) اى ونحوها من المكفرات للسيئات (فورد) فى الحديث (الصلوات الخمس يكفرن ما بينهن) اى من الصغائر ولم يبق عليه شئ من الذنوب حينئذ (ان اجتنبت الكبائر) وليس المعنى ان اجتناب الكبائر شرط لكون الصلوات ونحوها تكفر الصغائر بل ان كان عنده الصغائر والكبائر فتكفر الصغائر والا فتخفف الكبائر وان كان محفوظا من الكبائر والصغائر فتكون سببا لرفع الدرجات العالية والزلفات الغالية (او الا الكبائر) شك من الراوى او اختلاف الروايات فالاخير رواية مسلم وللحاكم من حديث ابى هريرة وصححه الصلوة الى الصلوة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاث اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك السنة قال الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله (وهو) اى حكم الكبيرة او التكفير وهو الاظهر (يتعلق بالآخرة فالابهام اولى) (تحذيرا عن الكل) اى كل المعاصى لئلا يقع احد فى مخالفة المولى لاحتمال ان يكون كل ذنب اقدم عليه بارتكابه كبيرة فيتخلص من الكبائر والصغائر جميعها ومطلوب الرب من العبد ان لا يقع فى مطلق الذنب ليحصل له كمال القرب وتوضيحه ان كل ما لا يتعلق به حكم فى الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام (ولا تكليف فيها) اى لا تكليف بما لا يطاق فى معرفة الكبائر للاجتناب عنها لان دار التكليف هى دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لا حكم لها فى الدنيا من حيث انها كبيره بل لها تعلق فى حكم العقبى (فموجبات الحدود معلومة) باساميها كالسرقة والزنا والقتل وغيرها وفى الاحياء وكذلك اجتناب

الكبائر يكفر الصغائر بموجب قوله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم * ولكن اجتناب الكبيرة انما يكفر الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فكف نفسه عن الوقاع بها واقتصر على نظر ولمس منها فان مجاهدة نفسه فى الكف عن الوقاع اشد تأثيرا فى تنوير قلبه من اقدامه على النظر من اظلامه فهذا معنى تكفيره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا ولكن امتنع لخوف امر آخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا فكل من لا يشتهى الخمر لطبعه ولو ابيح له لما شربها فاجتنابها لا يكفر عنه الصغائر التى هى من مقدماته كسماع الملاهى والاوتار نعم من يشتهى الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه عن الخمر ويطلقها فى السماع فمجاهدة النفس بالكف ربما يمحو عن قلبه الظلمة التى ارتفعت اليه من معصية السماع (ورد الشهادة) فى الحكومة (لا يختص بها) اى بالكبيرة بل ولا بالصغيرة (فالاكل فى الطريق) من السوق ونحوه (يوجبه) اى رد الشهادة (مع كونه مباحا) وفى الاحياء لا خلاف فى ان من يسمع الملاهى ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب ويشرب من اوانى الذهب والفضة لا تقبل شهادته ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر فكل الذنوب تقدح فى العدالة الا ما يخلو الانسان عنه غالبا بالضرورة مجارى العادات كالغيبة والتجسس وسوء الظن والكذب فى بعض الاحوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائدا على حكم المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجرة والتكاسل عن تعليم الاهل والولد جميع ما يحتاجون اليه فى امر الدين فهذه ذنوب لا ينفك الشاهد عن قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الآخرة ويجاهد نفسه مدة بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده وبطلت الاحكام والشهادات وليس لبس الحرير ونحوه من قبيل هذه المذكورات (وقيل الاصح انها) اى الكبيرة (اسم اضافى) كان الزنا كبيرة بالنسبة الى المعانقة مع التجريد عن الثياب فى الجانبين والمعانقة كبيرة بالنسبة الى اللمس واللمس كبيرة بالنسبة الى النظر بالشهوة والنظر صغيرة بالنسبة الى الهم والعزيمة وقطع يد المسلم كبيرة بالاضافة الى ضربه وصغيرة بالاضافة الى قتله (والمطلق) اى الفرد الذى اذا اطلق الكبيرة ينصرف اليه (هو الكفر) اذ لا كبيرة فوقه وقد قال تعالى * ان الشرك لظلم عظيم * ولهذا لا يغفر بالاجماع او الذنب المطلق هو الكفر وباقى الذنوب مقيد بالاضافة ولما كان هذا القول يفيد انه لا كبيرة الا الكفر وهو مفرد وقد جاء فى القرآن بلفظ الجمع قال فى دفع هذا الاشكال (والجمع) مبتدأ اى وقوع لفظ الكبيرة جمعا (فيما ورد) فى التنزيل (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) وقد قرئ كبير

ما تنهون عنه فيكون المراد به الكفر او اريد به الجنس (والذين يجتنبون كبائر الاثم لتنوعه) خبر المبتدأ اى لوقوع افراد الكفر انواعا كعبادة الصنم والشمس والقمر وكفر اليهود والنصارى والمجوس وامثالها (او تعدد المخاطب) فوقع مقابلة الجمع بالجمع او لان كفر زيد غير كفر عمرو (فالمغفرة) للصغيرة والكبيرة وهى العفو من غير التوبة (تتعلق بالمشيئة لا غير) اى لا غيرها من الاشياء المكفرة (فورد) فى التنزيل (ويغفر ما دون ذلك) اى غير الشرك والكفر بجميع انواعه (لمن يشاء) اى لمن تعلقت مشيئة الله تعالى بمغفرته وكان مطرف بن عبد الله يقول اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا فان المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راض عن فعله والحاصل ان الرضاء يتعلق بالطاعة والعفو والمغفرة بالمعصية (ثم هو) اى الذنب ولو صغيرة (يعظم) فى الكيفية حتى يصير كبيرة بسبب اربعة اشياء (بالاصرار) وهو الاستمرار على الذنب والاستقرار (لانه) اى الاصرار (سبب تراكم الظلام) اى ظلمات الآثام فى قلوب الانام (فورد لا صغيرة مع الاصرار) وتمامه ولا كبيرة مع الاستغفار وقد تقدم فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور وجودها لكان العفو عنها ارجى من صغيرة يواظب العبد عليها الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزنى الزانى بغتة من غير مراودة ومطالبة ومطالعة وقلما يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة فكل كبيرة يتبعها صغائر سابقة ولاحقة (والمباهاة) اى وبالمباهاة والمفاخرة (والاستحقار) بعدم المبالاة (فيهما) لف ونشر مرتبا (سبب التألف) اى تألف الذنب والالفة شديدة الاثر فى القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها فى تسويد القلب (وورد المنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطاره) اى عن نفسه وتمامه والمؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه رواه البخارى من رواية الحارث بن سويد عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ولا يخفى ان هذا الحديث يصلح ان يكون شاهدا لعدم المبالاة لا لوجود المباهاة فكان حقه ان يؤخر عن قوله (ونسيان حلمه) وهو بالجر عطف على التألف اى وسبب نسيان حلمه (وكرمه تعالى) وستره وعدم كشف حاله (فهو) اى ما ذكر من النسيان (سبب الامن من المكر) الالهى من استدراج العبد بالنعمة واخذه بالبغتة للنقمة (وورد) فى التنزيل (انما نملى لهم) اى نمهلهم اياما (ليزدادوا اثما) اى آثاما وقال بعضهم الذنب الذى لا يغفر قول العبد ليت كل شئ عملته مثل هذا فانما يعظم الذنب فى القلب لعلمه بعظمة الرب فاذا نظر الى جلال من عصى رأى الصغيرة كبيرة وقد اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر

الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين
الابرار لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من
الجاهل ويتجاوز عن العامى فى امور لا يتجاوز فى امثالها عن العارف لان المخالفة تكثر
بمعرفة قدر المخالف كما يشير اليه قوله سبحانه * يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله
وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما * فوزرهن مضاعف
كاجرهن ومن هنا قال تعالى خطابا لعلماء اهل الكتاب * يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته * وقال * الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به
يؤمنون واذا يتلى عليهم * الى ان قال * اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا * الآية
(والاظهار) اى وباظهار المعاصى للفجار (فهو) اى الاظهار (يؤدى الى ذنوب
اخر كهتك الستر) بنفسه لنفسه والله سبحانه هو الستار (وترغيب الغير) الى مثل
فعله فيكون عليه ذنب التسبب فى عمله ففى حديث مسلم من حديث جرير بن عبد
الله من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الحديث (وورد كل الناس
معافون) بضم الميم وفتح الفاء اى يقربون الى العفو (الا المجاهر بالذنب) فانه بعيد
عن العفو وتمامه يبيت احدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف
ستر الله فيحدث بذنبه والحديث فى الصحيحين من حديث ابى هريرة بلفظ كل امتى
وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولابد فلا ترغب فيه غيرك فتذنب ذنبين ولذا
قال تعالى * المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر
وينهون عن المعروف * وقال بعض السلف ما انتهك المرء من اخيه حرمة اعظم
من ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه فسبحان من يظهر الجميل ويستر القبيح
وقال تعالى * ونكتب ما قدموا وآثارهم * والآثار ما يكتب بعد انقضاء العمل
والعامل فاذا كان المذنب المظهر عالما يقتدى به وهو يلبس الحرير ويركب
سرج الذهب ويأخذ مال الحرام ويدخل على الظلمة من بين الانام طمعا
فى المناصب العظام كثرله الآثام فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم تتجاوز غيره
فعن ابن عباس ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس
فيذهبون بها فى الآفاق وقال بعضهم مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة
وتغرق اهلها وفى الاسرائيليات ان عالما كان يضل الناس بالبدعة ثم ادركته
التوبة فعمل فى الاصلاح دهرا فاوحى الله الى نبيهم ان قل له ان ذنبك لو كان
فيما بينى وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قد اضللت من عبادى فادخلتهم
النار (وحقها) اى حق التوبة على صاحب المعصية (ان يندم) اى يظهر
الندامة فى القلب (فورد) فى الحديث كما تقدم (الندم) وهو توجع القلب

بمخالفة الرب (توبة) اى معظم اركانها هى الندامة على فعل المعصية
من حيث انها معصية وتكون خالصة لله من الرياء والسمعة ويتبعها قلع المعصية
فى الحال والعزم على تركها فى الاستقبال وفى الاسرائيليات ان الله سبحانه قال
لبعض انبيائه وقد سأله النبى قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين فى العبادة
ولم يرأثر قبول توبته فى مقام السعادة فقال وعزتى وجلالى او شفع فيه اهل السموات
والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه فلا بد فى التوبة
من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها فيلتذ بترك اللذة ويشير اليه قوله عليه السلام
ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباً الحديث وينبغى ان يجد مثل هذه المرارة فى جميع
الذنوب وان لم يرتكبها قبل فتكون مرارة المعصية وحلاوة الطاعة بالطبع الموافق
للشرع فتكون المعصية عنده كالسم والطاعة كالعسل هذا وفى حديث الندم
توبة ايماء الى انه مقدور مرغوب فيه وكذا فى قوله تعالى * وتوبوا * والا فيكون
الامر بما لا يطاق وهو ما وقع فى الشرع بالاتفاق على خلاف فى جوازه وعدمه
(وقيل هو) اى الندم (غير مقدور) للبشر وفى الاحياء فان قلت تألم القلب
امر ضرورى لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاعلم ان سببه تحقيق
العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت
الوجوب لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه فى نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم
والفعل والارادة والقدرة للقادر والكل من خلق الله وفعله * والله خلقكم
وما تعملون هذا هو الحق عند ذوى البصائر وما سوى هذا ضلال (ويتدارك)
اى وحق التوبة ان يتدارك ويتلافى ما فاته من الطاعة وما سبق له من المعصية (وهو)
اى التدارك (فى حقه تعالى القضاء) بدل الاداء (والكفارة) بدل المعصية
وقصد دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت مع استدراك الفوت (محتاطا)
اى حال كونه يحتاط فى امره من اوله الى آخره برد فكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن
او الاحتلام فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا
وينظر الى الطاعات ما الذى قصر عليه فيها والى المعاصى ما الذى قارفه منها
فان كان قد ترك صلوة او صلاها مع ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة او ترك
فيها شيئا من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضيها من آخرها فان شك
فى عدد ما فاته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذى يستيقن انه اداه
ويقضى الباقى وله ان يأخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على حسب التحرى
والاجتهاد وكذا امر الصوم والزكوة والحج وسائر فرائض الاسلام وشرايع
الاحكام فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات واما بحثه عن السيئات فيتفكر من اول
بلوغه الى آخر امره عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه ويده ورجله وفرجه وسائر

جوارحه ثم ينظر فى جميع ايامه وساعاته و ينشر عند نفسه ديوان سيئاته حتى يطلع على جميعها قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها ثم ينظر فيه فما كان من ذلك بينه و بين الله من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى غير محرم وقعود فى المسجد مع الجنابة ومس المصحف من غير طهارة واعتقاد بدعة وشرب خمر وسماع آلة فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها ثم اعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة واثر اتباع الدنيا فى القلب السرور بها والا لتفاتها والحنين اليها فلا جرم ان كل اذى يصيب المسلم ثم ينبو بسببه قلبه عن الدنيا يكون ذلك كفارة لداء القلب يتجافى بالغموم عن دار الهموم فورد من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهموم وفى لفظ آخر الا الهم بطلب المعيشة رواه الطبرانى فى الاوسط وابونعيم فى الحلية من حديث ابى هريرة ولاحمد من حديث عائشة اذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له اعمال يكفرها ابتلاه الله بالحزن فيكون كفارة لذنوبه و قال الهم الذى يدخل على القلب والعبد لا يعرفه هو ظلمة الذنوب والهم بها وروى ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام فى السجن فقال له يوسف كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن عليك حزن مائة ثكلى قال فما له عند الله قال اجر مائة شهيد والطبرانى والحاكم عن ابى الدرداء مرفوعا ان الله يحب كل قلب حزين (وفى حق العبد) اى والتدارك فى حق العباد ثلاثة اشياء (رد المال محتاطا) اى فى قدره (الى المالك) ان كان حيا (او الوارث) ان كان ميتا (مبالغا) فى غاية الاجتهاد (فى التبليغ) اى ايصال حق العباد (بالطوف) اى السير والتردد (فى البلاد) رجاء ان يلقى المالك له فيرد اليه حقه او يستحل منه (ان امكن له) السفر (والا فالتصدق) على الفقراء والمساكين (او الصرف الى مصالح المسلمين) من بناء مسجد وعمارة وجسر ومدرسة (او التسليم الى القاضى الامين) ليصرفه فى امور الدين (والدية) عطف على رد المال اى وفى حق العبد اداء الدية الى مستحقها اذا وقع القتل او القطع خطأ (والقصاص) اذا وقع عمدا (فى النفس) وكذا فى الاطراف فيجب عليه ان يعترف عند ولى الدم و يحكمه فى روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله ولا يسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كالوزنى اوشرب اوسرق او قطع طريقا او باشر ما يجب فيه الحد لله فانه لا يلزمه فى التوبة ان يفضح نفسه ويهتك ستره و يلتمس من الوالى استيفاء حق الله بل عليه ان يستر بستر الله و يقيم حد الله على نفسه بانواع المجاهدة فان رفع امره الى الوالى حتى اقام عليه الحد وقع فى موقعه و يكون توبته صحيحة مقبولة عند الله (والاستعفاء) اى طلب العفو والاستحلال عند العجز عن رد المال او الدية او القصاص (ثم ان كان حق العبد (او مالا وعند العجز) اى عدم القدرة على الاستعفاء (فتكثير الحسنات)

متعين (بحسب المظالم) اى مراتبها فى مقام السيئات وذلك بان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة و يحاسب نفسه على الحبات والذرات من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان يحاسب يوم القيمة و يناقش نفسه قبل ان يناقش وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على كل منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات حتى يقبض منه يوم القيمة فتؤخذ حسناته وتوضع فى موازين ارباب المظالم ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فانه ان لم تف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فتهلك بسيئات غيره (وفى) اى والتدارك فى (نحو الغيبة) وكذا النميمة (والسب) اى الشتم واللعن (والايذاء) باللسان او بالاركان ومنه الزنا بحليلة المسلم اوجاريته اوبقرابته (فالاستعفاء) متعين لعدم وجوب المال وجواز القصاص فى امثالها (والذكر المفصل) بفتح الصاد او كسرها بان يذكر الغيبة ونحوها مبينة معينة (الا ان يزداد التأذى) اصاحب الحق (بالاظهار فالمبهم) اى فالاستعفاء المبهم متعين (تحاميا عن ذنب آخر) فان مثل هذا الاعتذار اشد من الذنب عند اهل الاعتبار ولانه يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول (والجبر) اى جبر نقصان الاستعفاء المبهم (بالحسنات) ولو كان حيا موجودا حاضرا (كما لو كان) صاحب الحق (ميتا او غائبا) لم يمكن الاجتماع به (والمبالغة) اى حينئذ (فى الاستعفاء بالتلطف) فى طريق المحو (والتودد) اى اظهار المحبة بالقيام والاكرام (والاحسان) بالهدية والضيافة والانعام لا بالاكراه والابرام فانه غير مفيد عند الله (فان عفا) اى صاحب الحق وفى نسخة فان عفى اى عن المذنب بالاستعفاء فيها (والا فيحاسب) فى القيمة بحسناته (فى مقابلته) اى مقابلة سيئاته كما قدمنا (فالكل مأثور) وعن السلف مذكور والحاصل ان الانسان عبد الاحسان وكل من نفر قلبه بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة تودده وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال عن فعله فان ابى الا الاصرار فليكن تلطفه واعتذاره اليه من جملة حسناته التى يمكن ان يجبر بها فى القيمة جنايته وليكن قدر سعيه فى فرحه وسرور قلبه بتودده و تلطفه كقدر سعيه فى ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الآخر اوزاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم القيمة بحكم الله عليه كمن اتلف فى الدنيا مالا فجاء بمثله وامتنع من هو له عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض والابراء عنه شاء ام ابى فكذلك يحكم الله فى صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل المقسطين (و يتبع) وهو مرفوع وقيل منصوب اى وحق التوبة ان يتبع (الحسنة بحسب السيئة) اى بقدرها كمية و كيفية (فسماع الملاهى) من انواع الاوتار المناهى يتبع (بسماع

القرآن) ومجالس الذكر الالهى (والقعود فى المعصية) كقعود فى المسجد جنبا (بالاعتكاف) فيه مع الاشتغال بالعبادة وكذا مس المصحف محدثا باكرام المصحف وكثرة تقبيله وبان يكتب مصحفا و يجعله وقفا (وشرب الخمر بالتصدق بشراب حلال لذيذ) اى حلو بارد (والقتل بالاعتاق) اى وقتل النفس عمدا او خطاء باعتاق رقبة لان ذلك نوع احياء اذالعبد مفقود بنفسه موجود بسيده فالاعتاق ايجاد لايقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد (والغيبة) ونحوها من الايذاء (بالثناء) على صاحب الحق اوعلى اهل الدين والخير فى الحضور اوالغيبة (والغصب بالصدقة ونحوها) عطف على سماع الملاهى اى وكذا نحو المذكورات فعد جميع المعاصى غير ممكن فى العبارات والعاقل يكفيه بعض الاشارات والمقصود سلوك طريق المضادة فان المرض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلايمحوها الانور يرتفع اليه بحسنة تضادها والمتضادات هى المتناسبات فلذا ينبغى ان يمحى كل سيئة بحسنة من جنسها لكن تضادها فان البياض يزال بالسواد لابالحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف فى طريق المحو فالرجاء فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان كان ذلك ايضا مؤثرا فى المحو هذا وسلوك طريق المضادة فى التكفير والمحو مشهود له فى الشرع حيث كفر القتل باعتاق الرقبة (فورد فى التنزيل (ان الحسنات) اى جميع الطاعات (يذهبن السيئات) اى يمحونها (اتبع السيئة) اى وورد اتق الله حيث كنت واتبع السيئة من باب الافعال اى اعقب السيئة (الحسنة تمحها) رواه الترمذى من حديث ابى ذر وصححه وللبيهقى فى الشعب من حديث معاذ اذاعملت سيئة فاتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية (ويستغفر) اى وحق التوبة ان يستغفر (فورد ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة) رواه ابوداود والترمذى عن ابى بكر (والستر احب) اى من الاظهار فى حق الله (ولواقر لاقامة الحد) اى فى حقوق الله الخالصة (فلاقدح) اى لاذم ولامنع كما تقدم (فورد فى ماعز رضى الله عنه) حيث اعترف بالزنى ورجم (لقدتاب توبة لوقسمت بين الامة) وفى رواية بين الخلايق (لوسعتهم) اى لكفتهم وهو عبارة عن كثرة ثوابها والحديث رواه مسلم من حديث بريدة ابن الحصيب وكذا حديث الغامدية واعترافها بالزنى ورجمها وقوله عليه السلام لقد تابت توبة لوتابها صاحب مكس لغفرله (ويؤكد العزم) اى وحق التوبة ان يشدد العزم و يقوى الجزم (على ان لايعود) بمثل الذنب الذى تاب منه ابدا قال بعضهم من صدق فى ترك شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب من ذنب فاستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا (و يخلص النية)

اى وحقها ان يصحح النية و يخلص الطوية فى ترك المعصية الجلية والخفية (فمن ترك المعصية (لذهاب مال) كما فى القمار ونحوه (اوجاه) من سقوط اعتباره عند الخلق (اوعدم اسباب) معينة له على المعصية (لا يكون تائبا) وقيل من العصمة الا ان تقدر (ثم) اى بعد ذلك حق التوبة على التائب (ان يغسل الثياب) التى عصى الله فيها (و يغتسل) فان طهارة الظاهر عنوان طهارة الباطن وفى رواية و يتوضأ واختيار الغسل اشعار بالتوبة عن الكل (و يصلى اربع ركعات) تنبيها على جهات اربع تشهد له يوم القيمة كما قال تعالى * يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها * (فى موضع خال) عن اشغال وعن توهم الرياء والسمعة فى بال (و يضع الوجه) اى وان يضع جبينه (على الارض) تواضعا لله (والتراب) لزيادة الخشوع عند رب الارباب (وللتذكر) اى اصله ومرجعه فى هذا الباب كما يشير اليه قوله تعالى * منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى * (بدمع حار) اى مع بكاء فى الندامة فان دمع الندامة والخوف حار ودمع الفرح والسرور بارد ولذا ورد قرة عين وقرى عينا (وقلب حزين) على ماسبق له من المعصية (وصوت على) اى رفيع فى البكاء والا فالدعاء والاذكار اولى ان تكون بالاخفاء (و يذكر الذنوب) اى وان يتذكر ذنوبه (واحدا واحدا) جنسا وفردا (و يلوم النفس) اى وان يعيبها ويذمها (و يوبخها) اى يثربها و يقرعها (و يرفع يديه) الى كتفيه اواذنيه حتى يرى بياض ابطيه مبالغة فى التضرع الى الله والالتجاء اليه (و يحمد الله) على آلاء الله و نعمائه الظاهرة والباطنة عليه و يقول الحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار (و يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم) لانه شفيع المذنبين (و يدعوا نفسه) لقبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة (ولوالديه) فيقول رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا (وللمسلمين) فيقول رب اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب * ويكثر الاستغفار لاسيما ماورد عن سيد الابرار نحو قوله * رب ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى ذنوبى * وكذا يكثر من سيد الاستغفار (وجاء فى الاثر اذا اتبع الذنب بعزم التوبة) اى بالتوبة على وجه العزم والجزم (وخوف العقاب) عند مناقشة الحساب (ورجاء العفو) من رب الارباب (واداء ركعتين فى المسجد) فانه افضل الاماكن واشرفها و يشهد له بما عرفه (والاستغفار سبعين مرة) لماورد فى بعض طرق الاحاديث ولو زاد حتى صار مائة مرة فهو افضل واكمل (والتسبيح والتحميد مائة مرة) اى كل واحد منهما و يقول سبحان الله العظيم و بحمده مائة مرة و ينبغى ان يكون التكبير والتهليل كذلك لتجتمع الباقيات الصالحات بل و يضم اليها * لاحول ولاقوة الابالله * كذلك (والتصدق سرا وعلانية) وكذا نهارا وليلا ليدخل فى قوله تعالى * الذين ينفقون

اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم * وليكون تصدقه مكفرا لجميع انواع معاصيه من السيئات السرية والعلانية والليلية والنهارية (وصوم يوم) فانه من جملة الحسنات المكفرات للسيئات (فالعفو) عن الذنب حينئذ (ارجى) اى اكثر رجاء وفى الاحياء ان فى الآثار مايدل على ان الذنب اذا اتبعت بثمانية اعمال كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلب وهى التوبة او العزم على التوبة وحب الاقلاع عن الذنوب وخوف العقاب عليها ورجاء المغفرة لها واربعة من اعمال الجوارح وهى ان تصلى عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ثم يصوم يوما وفى بعض الاخبار يصلى ركعات قال مخرجه اثران من مكفرات الذنب ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلى ركعتين رواه اصحاب السنن من حديث ابى بكر الصديق مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ثم يستغفر الله الاغفر الله له هذا لفظ ابى داود وهو فى الكبرى للنسائى مرفوعا وموقوفا وحديث لتكفير بصلوة اربع ركعات ذكره ابن مردويه فى التفسير والبيهقى فى شعب من حديث ابن عباس قال كان رجل يهوى امرأة الحديث وفيه فلما رآها جلس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل الهدبة فقام نادما فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكرله ذلك فقال له عليه السلام صل اربع ركعات فانزل الله عز وجل * واقم الصلوة طرفى النهار * الآية واسناده جيد وفى هذا الحديث دلالة على ان توبة العنين صحيحة وفى الصحيحين ان رجلا قال يارسول الله انى عالجت امرأة فاصبت منها كل شئ الا المسيس فامض على بحكم الله فقال عليه السلام اوماصليت معنا صلوة الغداة فقال بلى فقال عليه السلام ان الحسنات يذهبن السيئات وهذا يدل على ان مادون الزنى من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلوة كفارة له بمقتضى قوله عليه السلام الصلوات الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر كذا فى الاحياء وقال مخرجه حديث الرجل متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله اوما صليت معنا صلوة الغداة رواه مسلم من حديث انس وفيه هل حضرت معنا الصلوة قال نعم ومن حديث ابى امامة وفيه ثم شهدت الصلوة معنا قال نعم الحديث (والطريق) الموصل الى التوبة عشرة اشياء (ذكر ماورد فيها) اى من الكتاب والسنة فى فضل التوبة كقوله تعالى * ان الله يحب التوابين * وكقوله عليه السلام ليتمنين اقوام لو اكثروا من السيئات الذين بدل الله عز وجل سيئاتهم حسنات رواه الحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة وهو مقتبس من قوله تعالى * الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات (وذبح الذنب) فعن ابن مسعود ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا آية * فنسوا حظا

مما ذكروا به * ولانه مخالفة الرب وقد تجر الى الكفر كقصة ابليس اوله ذنب وآخره كفر وكذا قضية قابيل وبلعم بن باعوراء اوله شهوة وآخره شقوة (وشدة العقوبة) اى وذكر شدتها الناشئة من غضب الله وسخطه الذى لا طاقة لاحد به (وضعف النفس عن الاحتمال) اى تحمل اهوال يوم القيمة فقد قال تعالى * فما اصبرهم على النار * فان من لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطى كيف يحتمل غدا حر نار جهنم وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات اعناقها كاعناق البخت وعقارب كالبغال خلقت من النار فى دار الغضب والبوار نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سخط الواحد القهار (وشرف الآخرة) اى وذكر شرفها فانها خير وابقى (وخساسة الدنيا) من سرعة فنائها وقلة بقائها وكثرة عنائها وخسة شركائها (وقرب الموت) كما قيل

* كل امرئ مصبح فى أهله * والموت ادنى من شراك نعله *

(ولذة المعرفة) فانها لا تجامع المعصية فقد اجمع السلف على ان كل من عصى الله فهو جاهل (والمناجاة) لانها تختص باهل العبادات والمناداة (وخوف الاملاء) بالرفع عطف على ذكر اى وخوف الامهال (بعدم الاخذ الحالى) بتشديد الياء نسبة الى الحال ضد الماضى والاستقبال فقال تعالى * انما نملى لهم ليزدادوا اثما (والاستدراج) اى وخوف الاستدراج (بالاحسان) اى باحسان الرب (بعد الارتكاب) اى ارتكاب الذنب وذلك بمزيد العطية وقت صدور الخطية (وقلع اسبابه) عطف على ذكر ماورد اى وقطع اسباب الذنب (وهى) اسبابه ثلاثة (الغرور) قال تعالى * وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور * فلا تغرنكم الحيوة الدنيا * وهو سكون النفس الى دليل فيه شك وشبهة كمن يذنب وتسكن نفسه الى ان الله تعالى غفور فهذا تمن وغرور بخلاف من يطيعه ويرجو ثوابه من اللقاء والحضور او الجنة والحور والقصور (وحب الدنيا) فانه رأس كل خطيئة كما ورد (وطول الامل) فانه مانع من العمل ومسوفه الى آخر الاجل فقلع اسبابه (بما فى موضعها) من علاج هذه الاشياء بتمامها (والتحقيق) فى وجوب التوبة عن كل معصية بلا مهلة او فى قلع الاسباب علمك (ان ترادف المعاصى) اى تواردها وتتابعها باصرارها من غير تخلل توبة فى اثنائها (سبب تراكم ظلام القلب) اى تكاثف ظلمانه (وبه يحصل الرين) فى قوله تعالى * كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (والطبع) اى الختم فى قوله سبحانه * ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون * وقال مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت اصبعه حتى تنقبض الاصابع كلها فيشتد عليه القفل فذلك هو القفل يعنى فيما قال تعالى * افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها * وقال بعض السلف ليست اللعنة

سوادا فى الوجه الى اللعنة ان لا يخرج من ذنب الاوقد وقع فى مثله اواشر منه وقال ابو سليمان الدارانى لايفوت احدا صلوة جماعة الابذنب يذنبه وفى الخبر ما انكرتم من زمانكم فبما تركتم من اعمالكم رواه البيهقى فى الزهد من حديث ابى الدرداء (وهو) اى ترادفهما (داء عضال) اى صعب فى غاية اشكال يعجز عنه اطباء القلوب الاان يريد دواءه علام الغيوب (واختلف فى صحتها) اى التوبة (عن بعض الذنوب) ففى الاحياء ومن مهمات التائب اذالم يكن عالما ان يتعلم مايجب عليه فى المستقبل ومايحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة ثم ان لم يؤثر العزلة لم تتم له الاستقامة المطلقة الاان يتوب عن بعض الذنوب كالذى يتوب عن الشرب والزنى واللواطة والغصب مثلا دون غيره وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة لاتصح وقال قائلون تصح ولكن لفظ الصحة فى هذا المقام مجمل (والحق) اى الذى لامحيص عنه ان فى التوبة عن بعض المعاصى (افادة نقصان العقوبة لانها) اى العقوبة (بحسب الذنب) كثرة وقلة (دون النجاة) اى دون افادة النجاة من النار (لانها) اى النجاة انما تحصل (بترك الكل) اى جميع المعاصى وتوضيحه ان يقال لمن قال لاتصح ان عنيت به ان ترك بعض الذنوب لايفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطأك فانا نعلم ان كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقلتها سبب لقلته ويقال لمن قال تصح ان اردت به ان التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولا يوصل الى النجاة اوالفوز فهذا ايضا خطأ بل النجاة والفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر فلسنا نتكلم فى خفايا اسرار عفوالله فهو اعلم بالسرائر (فان قلت انما الترك) اى ليس مراد القائل الاول بعدم الصحة عن البعض الاترك بعض الذنب وهو شرب الخمر مثلا (لكونه) اى ذلك البعض الذى تاب منه وهو الشرب (ذنبا لابعينه) اى لالكونه شرب الخمر بذاته (وهو) اى كونه ذنبا اوعلة تركه (مشترك فيه) اى يشترك فى هذا المعنى جميع الذنوب شامل بين جميع المعاصى لان من ترك الخمر لكونها معصية وتوقعه فى عقوبة وجب عليه ان يترك سائر المعاصى لكونها معصية وموقعة فى العقوبة (فكيف تتصور) التوبة (عن البعض) دون البعض فاذا ثبت انها لاتصح من البعض بهذا المعنى فوجب ان يتوب عن الجميع دون البعض (قلت) التوبة عن بعض الذنوب لاتخلو اما ان تكون من الكبائر دون الصغائر او بالعكس اوعن كبيرة دون كبيرة اما الاول فانه ممكن ويقال (يجوز الترك) لبعض الذنوب (لكونه) اى ذلك البعض (افحش) اى اغلظ واعظم واجلب لسخط الله وغضبه (والعقاب عليه اصعب) اى اشد واقوى وابقى والصغيرة اقرب الى تطرق العفواليه فلايستحل ترك الكبيرة بهذه العلة ومثاله كمثل عبد يترك ضرب ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب دابته لظن ان السيد ربما يسامحه فى ذلك وكالمريض يحذره الطبيب عن اكل الحلو

تحذيرا شديدا فيتوب المريض عن العسل دون السكر واما الثالث وهو ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد عندالله من بعض كمن ترك شرب الخمر مثلا لكونه مفتاح الشر ولانه اذازال عقله ارتكب سائر المعاصى فيجتنبها دون الزنا (اوالتدارك) او يكون تدارك ذلك البعض (اشق) اى اتعب كالذى يترك القتل اوالنهب ومظالم العباد لعلمه ان التدارك فيه اصعب ولان ديوان العباد لايترك يوم المعاد و يرتكب مابينه و بين الله كترك الصلوة فانه متسارع العفواليه واما الثانى وهو ان يتوب عن الصغائر وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة وهذا ايضا ممكن كالذى يترك الغيبة اوالنظر الى غير المحرم ومايجرى مجراه وهو مصر على شرب الخمر لان ميل النفس اليها اكثر (اوميل النفس اليه) اى الى ماترك من الصغائر (اقل) فيكون تركه اهون واسهل ووجه امكان ذلك انه ما من مؤمن الا وهو خائف على المعاصى نادم على فعله ندما ضعيفا اوقويا ولكن ميل نفسه فى تلك المعصية اقوى من الم قلبه فى الخوف منها لاسباب توجب الخوف من الجهل والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الخوف موجودا لكن لايحمل على ترك الذنب فان سلم من شهوة هى اقوى منه بل لم يعارضه الاماهو اضعف منه فهواى ذلك الخوف الضعيف ملك الشهوة التى هى اضعف منه ودفعها وان لم يسلم من شهوة هى اقوى منه كشرب الخمر لم يقدر على الدفع فمثاله كمثل رجل له عدو ان احدهما ضعيف والآخر قوى فاذا واجه الضعيف غلب عليه واذا واجه القوى صرعه القوى ولان التوبة على حسب المعصية وتوبة ذنب لاتتوقف على توبة ذنب آخر وهذا لان توبة ذنب احسان فى العبودية وتوبة ذنب آخر احسان آخر وصحة احسان لاتتوقف على صحة احسان آخر (هذا) هو التحقيق اوخذ هذا على طريق التوفيق (ولم يشترط الكل) اى لم يشترط التوبة عن جميع المعاصى (فيما ورد) من الكتاب والسنة فى التوبة كقوله تعالى * ان الله يحب التوابين * حيث لم يقل عن جميع الذنوب وكقوله عليه السلام التائب من الذنب كمن لاذنب له ولم يقل عن جميع الذنوب وقوله الندم توبة ولم يقل عن جميع المعاصى وايضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلوة والزكوة حيث لاتتوقف صحة طاعة على وجود اخرى اجماعا (وفى صحتها) اى وكذا اختلف فى صحة التوبة (عن العاجز) الذى لم يقدر على المعصية (كالعنين) بوزن سكين وهو من لم يقدر على الجماع (عمازنى) اى كتوبته عما قارفه (قبل العنة) اى حدوثها (والاقرب) اى القول الاقرب الى الصحة اوالصواب (العدم) اى عدم صحته (لامتناع الترك فى غير المقدور) لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله واما مالايقدر على فعله فقد انعدم بنفسه لابتركه اياه (لكن) قد يقال (لوتندم) العنين (وتألم القلب) بالزنى (بحيث لوفرضت الشهوة) اى قدرت شهوة الزنى (لقهرها)

اى لغلبها وتركها (فالرجاء) اى المأمول من كرمه سبحانه (القبول) اى قبول توبته (على حسب اطلاعه تعالى على الضمائر) اى على ما يخفى على غيره من السرائر (كما وتاب) العنين عن الزنى (قبل طريان العنة) اى حدوثها (ومات قبل هيجان الشهوة) اى شهوة الزنى او الجماع (وتيسر اسباب قضائها) اى قضاء الشهوة ومباشرتها لكان من التائبين اتفاقا فبعد طريان العنة لو تندم بما تقدم لكان من التائبين ايضا حيث لا فرق بينهما (وفى) اى واختلف ايضا فى (ان الافضل من يجاهد شهوته) و يمنع معصيته (او من انقطعت شهوته) وسكنت نفسه عن الميل الى معصية فقال احمد بن ابى الحوارى واصحاب ابى سليمان الدارانى ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل المجاهدة و يؤيده ما اخرجه الامام احمد فى الزهد عن مجاهد انه قال كتب الى عمر يا امير المؤمنين رجل لا يشتهى المعصية ولا يعمل بها افضل ام رجل يشتهى المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر ان الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم * و يقويه ان جنس البشر افضل من جنس الملك لما تقدم والله اعلم وقال علماء البصرة ذلك الاجر افضل لانه لو فتر فى توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذى هو فى عرضة القصور عن المجاهدة (والحق ان الثانى اسلم مطلقا) سواء كان انقطاع شهوته من المجاهدة او ضعف البنية (وافضل) اى الثانى مقيدا بقيد وهو انه (ان كان انقطاعها) اى الشهوة (لقوة اليقين) فى مقام المشاهدة (وسبق المجاهدة) مع النفس فى دفع الشهوة على سبيل المعصية (فالمظفر) اى المنصور على العدو (اولى من المجاهد) المشغول فى صف القتال ولا يدرى كيف يسلم فى الاستقبال (وان كان) انقطاعها (لضعفها) اى لفتور الشهوة (فى نفسها) اى فى اصل خلقتها (فالاول) وهو الذى يجاهد شهوته افضل (لان الترك بالمجاهدة من قوة اليقين واستيلاء الدين) ولقد زل فى هذا البحث فريق فظنوا ان الجهاد هو المقصود الاقصى ولم يعلموا ان ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وعلائقها الشاغلة عن المولى وظن آخرون ان قمع الشهوات واماطتها بالكلية مقصود بالذات حتى جرب بعضهم ذلك فعجز عنه فقال هذا محال وكذب بالشرع وسلك سبيل الاباحة واسترسل فى اتباع الشهوات وكل ذلك جهالة وضلالات (وفى) اى وكذا اختلف فى (نفع الاستغفار) باللسان (مع الاصرار) على الذنوب الكبار والصغار (والحق النفع) لثلاثة اوجه (لما سبق) من الاخبار فى فضل الاستغفار من غير قيد بعدم الاصرار (وكونه) اى ولكون الاستغفار باللسان (حسنة تصلح للتكفير) اى لتكفير العصيان (وعدم ضياع الاجر) اى ولعدم ضياع اجر عامل عبده سبحانه (فورد) فى التنزيل (ان الله لا يضيع اجر المحسنين) ولا يضيع اجر من احسن عملا * (وان تك حسنة يضاعفها) تمامه * ويؤت من لدنه اجرا عظيما * وقال * فمن

يعمل مثقال ذرة خيرا يره (وما ورد) مبتدأ اى وما جاء فى حديث (ان المستغفر بلسانه المصر على ذنبه) اى بجنانه (المستهزئ بربه) وفى الاحياء بلفظ المستغفر من الذنب وهو مصر كالمستهزئ بآيات الله قال مخرجه هو حديث ابن عباس عند ابى الدنيا ومن طريقه البيهقى فى الشعب ولفظه المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه (محمول عليه) خبر المبتدأ اى حمله العلماء على الاستغفار (بحكم العادة من الغفلة) عن الارادة (دون الابتهال) اى التضرع فى الحال (والصدق فى السؤال) اى سؤال المغفرة فى الاستقبال فهذا حسنة تصلح ان تدفع بها السيئة وكذا ما نقل عن بعضهم انه كان يقول استغفر الله من قولى استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وهو محمول على الاستغفار بمجرد القول من غير ان يكون للقلب فيه شركة العمل وقال رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير فلا تظن انها تذم حركة اللسان من حيث انه ذكر الله بل تذم غفلة القلب فهو يحتاج الى استغفار من غفلة جنانه لا من حركة لسانه فانه من سكت عن الاستغفار باللسان ايضا يحتاج الى استغفارين لا الى استغفار واحد فهكذا ينبغى ان يفهم حمد ما يحمد وذم ما يذم والا جهلت معنى قول القائل الصادق حسنات الابرار سيئات المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغى ان تؤخذ من غير اضافة بل ينبغى ان لا يستحقر ذرات الطاعات والسيئات ولذا قال الامام جعفر الصادق ان الله تعالى خبأ ثلاثا فى ثلاث رضاه فى طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وسخطه فى معاصيه فلا تحقروا منها شيئا فلعل غضبه فيه وخبأ وليه فى عباده فلا تحقروا من عباد الله احدا فلعله ولى الله وزادوا وخبأ اجابته فى دعائه واسمائه فلا تتركوا شيئا منهما فربما كانت الاجابة فيه وقال سهل لا بد للعبد فى كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه فى كل شئ مما قدره وقضاه فان عصاه قال يا رب استر على فاذا فرغ من المعصية قال يا رب تب على فاذا تاب قال يا رب ارزقنى العصمة واذا عمل الطاعة قال يا رب تقبل منى وسئل ايضا عن الاستغفار الذى يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذى هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له و يكون عنده مأواه ثم التنقل الى الافراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا فى قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل عن معنى قوله عليه السلام التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيب الله اذا كان فيه جميع ما ذكره الله فى قوله تعالى * التائبون العابدون * الآية وقال الحبيب هو الذى لا يدخل فيما يكرهه حبيبه وفى الاحياء

فاياك ان تستحقر ذرات الطاعات فلاتأتيها وذرات المعاصى فلاتتقيها كالمرأة الخرقاء
تكسل عن الغزل تعللا بانها لاتقدر فى كل ساعة الاعلى خيط واحد فتقول واى غنى
يحصل فى خيط واحد وماوقع ذلك فى الثياب ولا تدرى المعتوهة ان ثياب الدنيا
اجتمعت خيطا خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذا
التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لاتضيع عندالله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان
ايضا حسنة اذاحركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان فى تلك الحالة بغيبة
اوفضول كلام بل هوخير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه
وانما يكون نقصانا بالاضافة الى عمل القلب ولذا قال بعضهم لشيخه ابى عثمان المغربى
ان لسانى فى بعض الاحوال يجرى بالذكر والقرآن وقلبى غافل فقال اشكرالله اذ استعمل
جارحة من جوارحك فى خير وعوده الذكر ولم تستعمل فى الشر ولم يعودها الفضول
انتهى فاياك ان تلمح فى الطاعات بمجرد الآفات فتفتر رغبتك فى العبادات فهذه
مكيدة روجها الشيطان بلعبه على المغرورين وخيل اليهم انهم ارباب البصائر واهل
التفطن فى الخبايا والسرائر فاى خير فى ذكر اللسان مع غفلة الجنان والله المستعان (وفى)
اى وكذا اختلف فى (نسيان الذنب) وذكره (بعدالتوبة) ايهما اولى وانما قيدنا بعد
التوبة فان النسيان قبلها مذموم اجماعا قال تعالى * ونسى ماقدمت يداه * فقال
قوم حقيقة التوبة ان تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخرون حقيقة التوبة ان تنسى
ذنبك (وهو) اى نسيان الذنب (الاولى للمبتدى تحاميا عن تحريك الميل) اى
احترازا عن تحريك ميل قلبه الى المعصية الناشئة عن الشهوة عند ذكرها ولان المذنب
اذا نسيه لم يكثر احتراقه ولاتقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق لان ذلك يستخرج
منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه
بالاضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق (ومارُوى)
مبتدأ اى وما نقل (من كثرة نوح المتنهين) من الانبياء والمرسلين والاولياء
والصالحين (وبكائهم) حال كثرة دعائهم والخبز (فلايقاس) فى سلوك طريق
الدين (الملائكة بالحدادين) فان صدور البكاء واظهار الذنوب بالاستغفار والدعاء
انما كان لتعليم امتهم حتى لايغفلوا عن حال الجفاء وقت الوفاء هذا وقد اخرج ابن المبارك
وابن ابى حاتم عن المقبرى ان عيسى بن مريم كان يقول يا ابن آدم اذا عملت حسنة فاله
عنها فانها عند من لايضيعها واذا عملت سيئة فاجعلها نصب عينيك (وافضل
التائبين المستقيم) على اكتساب الطاعات واجتناب السيئات (الى الموت) اى
انقضاء الحيوة من غير نقصان الفوت (مبالغا فى اجتناب غيرالزلات) التى لاينفك
البشر عنها فى الحالات بحسب العادات من المعاصى المنهيات وانما المبالغة مطلوبة
فى جانب المحظورات لماورد اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم واذانهيتكم

عن شئ فاجتنبوه (فهو) اى المستقيم (سابق بالخيرات) ومسارع الى المبرات مستبدل
لسيئاته بالحسنات وفى الكلام ايماء الى قوله تعالى * ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك
ذلك هو الفضل الكبير (والنفس) اى نفس هذا التائب الموصوف بهذه الصفات
(مطمئنة) راضية مرضية فى رياض التوبة واهل هذه الرتبة يتفاوت حالهم فى القوة
فمنهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك صراعها
ومنهم من لاينفك عن منازعة النفس ومنعها ولكن تغلب بالمجاهدة وردعها ومنهم
من يقل مدة النزاع ومنهم من يكثر ومنهم من يطول عمره و يطول اجتهاده فى امره
وتكثر حسناته وتستمر استقامته ومنهم من يقصر عمره فيظفر بالسلامة عن مرارة
امره وعن فتوره فى الطاعات وقصوره وهذا معنى قوله (ويزداد الفضل) اى فضل
التائب (بطول العمر) اى ان طال عمره فى مكابدة الطاعة (والمجاهدة) مع النفس فى العبادة
(فورد افضل السعادات طول العمر فى طاعة الله) اى فى العبادات والحديث لم اعرفه
وقدورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله رواه الطبرانى وابونعيم عن عبدالله بن بسر
(والسلامة) عطف على الفضل اى وتحصل زيادة السلامة عن الوقوع فى المعصية
والملامة (بقرب الموت) وقصر العمر وتمام الامر ونقصان الاجر وقدطلب بعض
الاكابر طول العمر رجاء كثرة العبادة وبعضهم الموت خلاصا من الفتنة والتسليم اسلم
ففى الدعاء المأثور اللهم احينى ماكانت الحيوة خيرالى وتوفنى اذاكانت الوفاة خيرالى
واجعل الموت راحة لى من كل شر واجعل الحيوة زيادة لى فى كل خير (ثم المعاود) عطف
على المستقيم اى ثم الافضل المعاود (فى بعض الذنب المجدد للتوبة) زجوعا الى الرب
(مبالغا) فى تجديد التوبة (وهو) اى كثير الابتلاء بالمعصية والتوبة (المفتن
التواب) اى كثير التوبة والرجعة وعند البيهقى عن على مرفوعا خياركم كل مفتن
تواب (والنفس) اى نفس هذا التائب المعاود فى بعض الذنوب (لوامة) تلوم صاحبها
بعد المعصية وترجع الى الطاعة التى فيها سلامة وهو المقتصد وهذه ايضا رتبة
عالية وان كانت عن الطبقة الاولى ناقصة نازلة فهى اغلب احوال التائبين لان الشر
معجون فى طينة البشر وانما غاية سعيه ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فيترجح
كفة الحسنات واما ان يخلو عنه بالكلية كفة السيئات فذلك فى غاية البعد من حيث
العادات فهؤلاء مع هذا الابتلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى اذ قال سبحانه * الذين
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم * اى الصغائر * ان ربك واسع المغفرة *
وفى الخبر * ان تغفر اللهم فاغفر جما * واى عبد لك لا الما * وقد قال عز وعلا فى مقام المدح
والثناء * والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله * الآية فاثنى
عليهم مع ظلمهم انفسهم لندمهم وتحسرهم (ثم التائب) عطف على المعاود او المستقيم

اى الافضل بعدهما التائب (عن البعض) اى بعض الذنوب (المسوف) اى المؤخر بالتوبة (فى الآخر) اى فى البعض الآخر من الذنوب (المتندم) اى مظهر الندامة (بعد الارتكاب) اى اكتساب المعصية (القاصد) اى الناوى (للتوبة فهو المخلط) الداخل فيمن قال الله فى حقه * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم * وهو ظالم لنفسه (والنفس) اى نفس هذا الغافل (مسولة) اى مزينة للمعصية ومسهلة لتأخير التوبة وقد قال تعالى * اولئك هم الغافلون لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون * فالخسارة مترتبة على الغفلة (وهو على الخطر فى الخاتمة فان مات تائبا فاز) بالجنة وظفر بالمثوبة (والا) اى وان لم يتب ومات (فى مشية الله تعالى) ان شاء عفا عنه بلطفه وكرمه وان شاء عذبه بقدر ذنبه (بخلاف الاولين) اى صاحب نفس المطمئنة وصاحب النفس اللوامة (فهما فائزان) بالجنة والسلامة فى العاقبة (واما المرتكب) للمعصية (المصر) عليها من غير التوبة (الناسى للتوبة) اى التارك لها نفسها (وعزمها) اى والعزم عليها (فهو) الذى اسمه (الغافل) عن حكم ربه الجاهل عما خلق لاجله فقد ورد من حديث ابن عمر عند الديلمى ان لله ملكا ينادى فى كل يوم وليلة ابناء الاربعين زرع قد دنا حصاده الحديث وفيه ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا فيجالسوا بينهم فيتذاكروا الحديث (والنفس) اى نفسه (امارة) اى كثيرة الامر (بالسوء) اى بالمعصية (يخشى عليه سوء الخاتمة) من الموت على الفسق او الكفر هنالك نعوذ بالله من ذلك (ويجوز شمول العفو) من الله (اياه) اى الغافل ولكنه نادر لايقع فى الاغلب بلا سبب (كنيل الكنز) اى كوصوله بالكنز (بلا طلب) وكمن يحصل له العلم اللدنى بمجرد الجذب الالهى (لكن التوقع) للعفو مع الاصرار على المعصية وعدم اتيان الطاعة (حماقة) اى غرور وجهالة (فورد) فى التنزيل (وان ليس للانسان الا ما سعى) وفق ما قدره الله له وقضى فلا بد من فعل الطاعة وترك المعصية او الرجوع عنها بالتوبة والا فعاقبته مخطرة فربما يختطف قبل التوبة ويقع امره فى المشية فان تداركه الله بالرحمة وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته شقوته وقهرته شهوته فيخشى عليه ان يحق عليه فى الخاتمة ما سبق عليه من القول الاول فى قضاء الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاحتراز عن شواغل التعلم دل تعذره على انه سبق له فى الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء فى حقه من ذلك الحين واذا تيسرت له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له فى الازل ان يكون من جملة العالمين فكذا ارتباط سعادات الآخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط المرض والصحة بتناول الاغذية والادوية وارتباط حصول فقه النفس الذى يستحق به المناصب العلية فى الدنيا

بترك الكسل فى طلب المراتب العليا والمواظبة على طلب العلم فكما لا يصلح لمنصب الرياسة والتقدم بالعلم فى مقام السياسة الانفس صارت فقيهة بطول التفقه فلا يصلح لملك الآخرة ونعيمها ولا للقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول التزكية والتطهير هكذا سبق فى الازل بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب قال تعالى * ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها * فالمخافة من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس خاتمة ما قبله اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به فليراقبه الانفاس والاوقع فى المحذور ودامت الحسرة الى ان يخرج من دار الغرور فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون الا المخلصون والمخلصون كلهم على خطر عظيم (ولا يتركها) اى التوبة (لخوف العود) اى لمخافة الرجعة الى المعصية (لجواز الموت قبله) اى قبل عوده الى ذنبه (وغفران السالفة) اى السابقة ان عاد الى ذنبه ولم يتب الى ربه وهذا الترك من خدوع الشيطان فانه من اين له هذا العلم فعسى ان يموت تائبا عن الذنب ويصير حبيبا للرب مع ان الخوف من العود لاضرر فيه بل فيه منفعة فعلى العبد العزم والصدق فى الجزم وعلى الله الاتمام من باب الفضل والاكرام فان اتم فهو المطلوب الاعلى وان لم يتم فقد غفرت ذنوبه السالفة كلها فهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبرى فالعبد من التوبة ابدا بين احدى الحسنيين (فورد) عن على مرفوعا (خياركم المفتن) بصيغة المجهول وفى رواية المفتن بالادغام (التواب) رواه البيهقى فى شعبه (اى كثير الابتلاء بالذنب وكثير التوبة منه) اى طاعة الرب وفى خبر آخر المؤمن كالسنبلة تقوم احيانا وتميل احيانا رواه ابو يعلى وابن حبان من حديث انس وللبيهقى والطبرانى من حديث ابن عباس باسانيد حسنة لابد للمؤمن من ذنب تأتيه الفيئة بعد الفيئة اى الحين بعد الحين فالفقيه فى الدين هو الذى لايؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من العثرات ومقارفة السيئات المختطفات فللترمذى والحاكم وصححه من حديث انس كل بنى آدم خطاؤن وخير الخطائين التوابون وللطبرانى والبيهقى من حديث جابر المؤمن واه راقع فسعيدهم من مات على رقعه اى واه بالمعصية والملامة راقع بالتوبة والندامة (وسبب الاستقامة الرياضة) وهى تهذيب الاخلاق (والمرابطة) وهى الاقامة بالمجاهدة والاستدامة (فورد) فى التنزيل (يا ايها الذين آمنوا اصبروا) على الطاعات وعن السيئات وفى المصيبات (وصابروا) اى وغالبوا الاعداء الظاهرة والباطنة بشدة الصبر وحدة الامر (ورابطوا اى انفسكم بالمشارطة) اى مع النفس بالمداومة على الطاعة والمواظبة على العبادة فى كل يوم وساعة خوفا عليهما من ضياع البضاعة والتحقيق ان المرابطة ربط النفس على الارتحال والفناء والقلب على اغتنام العبادات والتأهب ليوم الجزاء وهو معنى قوله (وهو) اى ربطها

بالمشارطة ثلاثة اشياء منها (وصية النفس) اى وصيته بها (فى اول النهار) بل فى كل نفس من الاعمار (نحوان لا بضاعة لك) اى ليس لك رأس مال (سوى العمر) وهو ايام غير معدودة (والانفاس) اى والحال ان انفاسه (معدودة) لا تزيد ولا تنقص (والماضى لا يعود) فى الوجود (والوقت ضيق) فى ميدان الشهود (والتمنى) بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا ليعمل عملا صالحا او تمنى المراتب العلية بدون المكاسب العلمية والعملية (غير نافع) بعد الورود (و) منها (توظيف العمل) بان يجعل فى كل وقت عملا ينفعه فى العقبى او يعينه على الطاعة فى الدنيا (و) منها (شرط الشروط عليه) اى على نفسه فحذف لفظ النفس فاتى الجار على ضميره فصار عليه ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى العمل والمعنى يقول لها ان كذبت فعليك صوم ثلاثة ايام وان اغتبت فعليك صدقة درهمين ونحوهما (ثم) المرابطة (بالمراقبة) وهى مشاهدة كونه سبحانه رقيبا بحاله عالما بفعاله (فى الحركات والسكنات) فلا يتحرك ولا يسكن الا بما برضاه الحق فى تلك الساعات من العبادات والطاعات (فالاعلى) اى اعلى انواع المراقبة (ان يصير) العبد (مغلوبا بالاستغراق به) من ذكره وفكره (تعالى وعدم الالتفات الى ماسواه) اى سوى الله وماعداه وهذا مراقبة المقربين من الصديقين وهو مراقبة التعظيم والاجلال بان يصير القلب فى جميع الاحوال مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومطالعة تجليات ذلك الجمال على وجه الكمال ومنكسرا تحت الهيبة والعظمة فى المشاهدة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير حتى يحتاج الى المجاهدة وهذا الذى صار همه واحدا وكفاه الله سائر همومه ابدا ومن نال هذه الدرجة مع الحق فقد غفل عن مراقبة الخلق فلا يبصر من يحضر لديه وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لاصمم فى اذنيه (ثم) الاعلى من انواع المراقبة (ان يكون تحت حكم الشرع) خارجا عن تحكم الهوى والطبع وهذه مراقبة الورعين من اصحاب اليمين (فينظر) ويتأمل ويتفكر (قبل العمل فى اول خاطر) يخطر (فيتم ما هو له تعالى) فيه رضاه (ويترك ماسواه وينظر) ايضا (عنده) اى عند الشروع فى العمل طاعة اوغيرها (ففى الطاعة يخلص النية) ويصفى الطوية بان يجعلها لله تعالى من غير الرياء والسمعة ويحضر القلب لمشاهدة الرب كما ورد الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه (ويراعى الادب) فى حضرة الرب ويحفظ نفسه عن النشاط فى بساط الانبساط (وفى المعصية يستحيى) من الرب (ويتوب) من الذنب (ويكفر) بما يناسبه ان صدرت عنه (وفى المباح يراعى النيات) فان المباحات بتحسين النيات تصير عبادات (والآداب) بان لا يتجاوز عن الضرورات (ثم) مرابطة النفس (بالمحاسبة فى آخر النهار) اوفى آخر كل نفس وساعة (وهو النظر بعد العمل) من الحسنات والسيئات (فورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا) وهو اثر من عمر كما تقدم وقد قال تعالى * يا ايها الذين

آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله (للعاقل اربع ساعات ساعة يحاسب نفسه فيها) اى وساعة يناجى فيها ربه وساعة يفضى فيها الى بعض اخوانه الذين يبصرونه بعيوبه وساعة يخلو فيها بينه وبين شهواته وقد تقدم (ثم) مرابطة النفس (بالمعاقبة) لها (فبالجوع) يعاقبها (ان اكل حراما والسهر) اى ويعاقبها بالسهر (ان نظر حراما ونحوه) بان رقد عن التهجد (فلو ساهل) التائب فى هذه المعاقبة (سهل عليه الرجوع) اى المراجعة الى المعصية وما يتبعها من الغفلة فقد عاقب عمر رضى الله عنه نفسه حين فاتته صلوة العصر فى جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة فى جماعة احيى تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكب بان فاعتق رقبتين (ثم) المرابطة (بالمجاهدة) وهى مخالفة النفس (باداء الورد) من انواع الطاعات والعبادات (عند استثقال النفس) عن بعض المأمورات (بل بالزيادة) على الموظفات (كاحياء ليلة) فى عبادة (عند التوانى) اى التساهل والتكاسل (عن حفظ جماعة) كان يحفظها (او اداء نافلة) كان يفعلها (ثم) المرابطة (بالمعاتبة بمثل يانفس) بالضم او الكسر اى يانفسى (الا تستحيين منه تعالى) فى ترك طاعته او فعل معصية (الك طاقة بعذابه الاليم) المؤلم من نار الجحيم ومن ماء الحميم (والكل) اى جميع ماذكر من انواع المرابطات (مأثور) عن السلف والخلف القائمين بمجاهدة النفس والرياضات فى مقام الطاعات (والاصل) المعتبر فى تحصيل الاستقامة (الاستعانة به تعالى) والاستغاثة بكرمه سبحانه (متضرعا بين يديه تعالى) اى حال عبادته وطاعته (متبرئا عن الحول والقوة) من جهته ورؤية العمل من طاقته كما يشير اليه قوله تعالى * اياك نعبد واياك نستعين * فاياك نعبد تفرقة واياك نستعين جمع وفى الجملة الاولى رد على الجبرية وفى الثانية على القدرية (قيل) اى فى باب الاستقامة (من جاهد) فى ترك المعصية (سبع مرات لا يبتلى) بالذنب (ثامنة) اى مرة ثامنة وبه تحصل الاستدامة (وقيل من استقام) على التوبة (سبع سنين لا يعود) الى المعصية فى جميع عمره وهو قول فرقد السبخى (ثم التوبة) فى عرف المحققين (من الذنب وهى للمؤمنين) خاصة حيث قال تعالى * يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا * اوعامة (فورد) فى التنزيل (توبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون) لعلكم تفلحون (والانابة من الغفلة) الى الحضور (وهى للمقربين فورد) فى التنزيل * من خشى الرحمن بالغيب (وجاء بقلب منيب) ومنه قوله تعالى * الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * وقوله * خر راكعا واناب (والاوبة من رؤية التقصير) فى الطاعة (وهى للمرسلين فورد) فى التنزيل * ووهبنا لداود سليمان (نعم العبد انه اواب) وكذا فى حق ايوب * انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب * وقد يستعمل فى حق المؤمنين المقربين كقوله تعالى * ان تكونوا صالحين فانه كان

اللاوابين غفورا (ثم التقوى اعم منها) اى من التوبة وهى اخص من التقوى فكل تائب متق وليس كل متق تائبا (فالممتنع عن ذنب لم يرتكبه قبل) اى قبل وقته (متق لاتائب) والممتنع بعد ارتكابه تائب ومتق اما كونه تائبا فظاهر واما كونه متقيا فلانه لم يرتكب الذنب مع امتناعه فمن هنا يصح ان يقال للنبى انه متق ولا يجوز ان يقال انه تائب والله سبحانه اعلم واما مافى الاحياء من انه يجب على كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد او مشهد ان يعلم اهله دينهم ويميز مايضرهم عما ينفعهم وما يشغلهم عما يسعدهم ولا ينبغى ان يصبر الى ان يسأل عنه بل ينبغى ان يتصدى لدعوة الناس الى نفسه فان العلماء ورثة الانبياء والانبياء ماتركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم فى مجامعهم و يدورون على ابواب دورهم فى الابتداء و يطلعون واحدا بعد واحد فيرشدونهم فان مرضى القلوب لايعرفون مرضهم كما ان الذى ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لايعرف مرضه مالم يعرفه غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة ففيه ان هذا غير معروف فى الكتاب والسنة انه فرض عين بل ولا فرض كفاية وانما الواجب على العلماء ان لايكتموا العلم و يبينوه لاهله وعلى الجهال ان يسألوهم كما قال تعالى * فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون * وقال * واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه * واما معنى قوله عليه السلام العلماء ورثة الانبياء فهو انهم لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر وهم مختلفون فى مراتب الوراثة كتفاوت مناصب العلوم من التفسير والحديث والفقه والقراءة هذا والعلماء الذين هم بمنزلة الاطباء فى زماننا صاروا مرضى بالداء الذى ليس له دواء وهو حب الدنيا فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء ومع هذا اغلب عليهم الرجاء وهى الدهياء المعضلة والعلماء العاملون من الاولياء والاصفياء اختاروا ان يكونوا من الاتقياء الاخفياء فنسأل الله الهداية من الابتداء الى الانتهاء ثم اعلم ان من ابتلى بحب الدنيا فداؤه عضال ليس له دواء وقد قال رجل لمحمد بن واسع اوصنى فقال انا اوصيك بان تكون ملكا فى الدنيا والآخرة فقال كيف لى بذلك فقال الزم الزهد فى الدنيا وكتب معاوية الى عائشة بالسلام ان اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد انى سمعت رسول الله عليه السلام يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك والحديث رواه الترمذى والحاكم وكتبت اليه مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك ان اتقيت الله كفاك الناس وان اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام وهو مقتبس من قوله تعالى * ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله * ومن قوله سبحانه * انهم لم يغنوا عنك من الله شيئا * وقال * لقمن لابنه يابنى زاحم العلماء بركبتيك ولاتجادلهم فيمقتوك

وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لآخرتك ولاترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما تكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلاتك فان الصلوة افضل من الصوم وقال ايضا يابنى لاتضحك من غير عجب ولا تمش فى غير ارب ولاتسأل عما لايعنيك ولاتضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ماقدمت ومال غيرك ماخلفت يابنى من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يفعل الخير يغنم ومن يفعل الشر يأثم ومن لم يملك لسانه يندم وقال رجل لابى حازم اوصنى فقال كل مالوجاءك الموت عليه فرأيته غنيمة فالزمه وكل ما لوجاءك الموت عليه فرأيته مصيبة فاجتنبه وقال رجل لحامد اللفاف اوصنى فقال اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفات قال وماغلاف الدين قال ترك طلب الدنيا الى مالابد منه وترك كثرة الكلام الافيما لابد منه وترك مخالطة الناس الافيما لابد منه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف ماخوفك الله واحذر ماحذرك الله وخذ مما فى يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لاعقل له و بها يغتر من لاعلم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوى جرحه يصبر على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن ارطاة اما بعد فان الدنيا عدوة لاولياء الله تعالى وعدوة اعداء الله اما اولياء الله فغمتهم واما اعداؤه فغرتهم ومجمل الكلام فى هذا المقام من المرام ان من اعطى غالبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف واتقى وانتظر المثوبة الاسنى وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى للطريقة اليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى ثم لايغنى عنه مااشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك فتردى وماعلى الانبياء الاشرح طريق الهدى وانما لله الآخرة والاولى

الباب السابع عشر فى الصبر والرضاء والشكر

(بسم الله الرحمن الرحيم) الذى نستعين بذاته وصفاته على توفيق الصبر على بلائه وابتلائه والرضاء بحكمه وقضائه والشكر على نعمائه وآلائه وقد اجتمع الثلاثة فى حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل عليه السلام على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر نعم يارسول الله قال وماعلامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة رواه الطبرانى فى الاوسط (الصبر) وهو حبس النفس عن الامر (ثبات باعث الدين) من قصد الامتثال ثم خوف النار ثم طمع الجنة ثم رجاء اللقاء وهذا كله طريق اهل الهدى وهو اسم لجميع مايقرب العبد الى المولى (فى مقابلة باعث الهوى) من الاغراض الفاسدة

والاعواض الكاسدة فالهوى هو ميل النفس الى الشئ من غير داعية الشرع بل بمجرد هوى النفس والطبع وقيل الصبر على ثلاثة انواع صبر العوام وهو صبر النفس على ماتكره وصبر الخواص وهو تجرع المرارات من غير تعبس وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء كالتلذذ بالآلاء فانه علامة اهل الولاء من الانبياء والاولياء وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب فى الثبات على الولاء وتلقى مر اقضيته بالرحب والسعة على احكام الكتاب والسنة وتنقسم اقساما صبر لله وهو الثبات على اداء اوامره وانتهاء زواجره وصبر مع الله وهو السكون تحت جريان قضائه من سرائه وضرائه وصبر على الله وهو الركون الى وعده فى كل شئ من امره حلوه ومره وصبر عن الله وهو مذموم وصاحبه ملوم مذؤم كما قيل

* الصبر يحمد فى المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم *

اى الاعنك وقد يحمد اذا وصل الى مقام الرضاء فى جميع ابواب القضاء كما قيل

* اريد وصاله و يريد هجرى * فاترك ما اريد لما يريد *

وقال الجنيد المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق فى جنب الحق شديد والسير من النفس الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله اشد وحكى عن بعض العارفين انه سئل الشبلى عن الصبر ايه اشد فقال الصبر فى الله فقال لا فقال الصبر لله قال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله قال فصرخ الشبلى صرخة كادت روحه يتلف وقد قيل معنى فى قوله تعالى * اصبروا وصابروا ورابطوا * اصبروا فى الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله تقاء والصبر مع الله وفاء والصبر عن الله جفاء وانشد

* الصبر عنك فمذموم عواقبه * والصبر فى سائر الاشياء محمود *

(فاما) ان يكون الصبر (بالجسم عن) الامر (الشاق) على البدن (كالعبادة اومن المصائب) البدنية (واما) ان يكون الصبر (بالنفس) طلبا للثواب اوهربا من العقاب (عن الشهوة) اى شهوة البطن وشهوة الفرج وغيرهما (فمن الشهوتين) المذكورتين يقال له (عفة وعن احتمال المكروه) بموت الاقارب ونحوه يقال له (صبر مطلقا) اى وهو الفرد الكامل فى هذا الباب كما اطلق فى منزل الكتاب * وبشر الصابرين * الآية فاقتصر حينئذ على اسم الصبر بلا اختلاف اسم خاص (وضده) اى نقيض (الصبر الجزع) وهو محركة الفزع (والهلع) بفتحتين الفحش الجزع كرفع الصوت بالبكاء وضرب الخدود وشق الجيوب ونحوها ومنه قوله تعالى * ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا * وظاهر الآية ان الهلع ضد الجزع والمنع كلاهما (وفى الغنى) اى و يقال فى احتمال الغنى وتحمله من البلوى (ضبط النفس) تحت الشرع والعقل

والهدى وحفظها عن متابعة الطبع والهوى (وضده البطر) بفتحتين وهو الطغيان بالنعمة ومنه قوله تعالى * كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى (وفى الحرب) اى والصبر فى مواطن الحرب يقال له (شجاعة) وهى قوة القلب وثباته فى المقاتلة (وضده الجبن) وهو ضعف القلب وخوفه من رؤية العدو فى المعركة حين المقابلة (وفى كظم الغيظ) اى تحمل الغضب (حلم) وعفو (وضده التهور) صوابه ما فى الاحياء من جعل ضده سفها واما التهور فهو التجاوز عما يقتضيه العقل فى الشجاعة وهو مذموم فى الشريعة قال تعالى * ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة * فان الخلق الحسن هو المتوسط بين طرفى الافراط والتفريط (والتدمر) وهو المترتب على التهور هو قبول الدمار وهو الاهلاك كالتدمير ومنه قوله تعالى عزوجل * تدمر كل شئ بامر ربها (وفى نوائب الزمان) اى حوادث الدهر وآفات الدورات (سعة الصدر) وهو كناية عن كمال التحمل فى الامر و يقال له شرح الصدر ومنه قوله تعالى * الم نشرح لك صدرك * (وضده ضيقه) اى ضيق الصدر ومنه قوله تعالى * ولا تك فى ضيق مما يمكرون * قرئ بالتخفيف والتشديد (والتضجر والتبرم) فالثلاثة الفاظ مترادفة او متقاربة (وفى اخفاء الامر كتمان وضده الاظهار) والافشاء (وفى فضول العيش زهد) وهو عدم الرغبة وقلة المحبة (وضده الحرص) على الزيادة (وفى اليسير من الدنيا) اى فى القليل من فضول الدنيا (قناعة وضده الشره) بفتحتين وهو الحرص على طلب الكثير (وورد) فى التنزيل (انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب) وقال * واصبروا ان الله مع الصابرين * وقال * وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون * وكان عمر رضى الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين يعنى بالعدلين الصلوة والرحمة و بالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على البعير وقد وجد فى رسالة عمر بن الخطاب الى ابى موسى الاشعرى عليك بالصبر واعلم ان الصبر صبر ان احدهما افضل من الآخر الصبر فى المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله وكان حبيب بن ابى حبيب اذا قرأ هذه الآية * انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب * بكا وقال واعجباه اعطى واثنى اى هو المعطى للصبر وهو المثنى عليه كما يشير اليه قوله تعالى * واصبر وما صبرك الا بالله * (الايمان) اى معظم خصال اهل الايمان (هو الصبر) لم اعرفه وفى رواية الديلمى من انس مرفوعا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وزاد البيهقى عن على موقوفا ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له (وهو) اى كون الايمان هو الصبر (لدخول اكثر اخلاقه) اى اخلاق الايمان من فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الجزع فى المصيبة (فيه) اى فى الصبر وللاكثر حكم الكل امر مقرر وقد جمع الله سبحانه اقسام ذلك وسمى الكل صبرا فقال والصابرين فى البأساء * اى المصيبة * والضراء * اى الفاقة

وحين البأس * اى المحاربة (الصبر نصف الايمان) رواه ابو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وللديلمى والبيهقى فى الشعب عن انس الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وفى النهاية اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان نسك وورع فالنسك ما امرت به الشريعة والورع ما نهت عنه انتهى والحديث مقتبس من قوله تعالى * ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور * اى لكل مؤمن وفى تقديم الصبر على الشكر ايماء بان الاحتياج اليه اكثر واتم وانه افضل كما تقدم والله اعلم (وهو) اى وكون الصبر نصف الايمان (لاطلاقه) اى الايمان (على المعارف) اليقينيات من الاعتقادات (والاعمال) الصالحات من العبادات (ولا تتم الاعمال) للمجتهدين (الا بثبات باعث الدين) من الهدى فى مقابلة باعث الهوى (فهو) اى الصبر (نصف الايمان) بهذا الاعتبار والترتيب بين النصف الاول والثانى وفق اقتضاء الشرع والطبع (و) ايضا (لاطلاقه) اى الايمان (على الاحوال) من استيلاء تلك المعارف وهى الرضاء والهيبة والانس والشوق (المثمرة للاعمال) لا على المعارف والعوارف من مقامات الرجال وفى الاحياء ان جميع مقامات الدين ومنازل السالكين انما ينتظم من ثلاثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هى الاصول فهى تورث الاحوال والاحوال تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والاعمال كالاثمار (وان ما) اى لاجل ان ما (اصاب) السالك من النعم الدنيوية (اما نافع) فى الدنيا والآخرة كالطاعات والمباحات (واما ضار) فيهما كالمصائب والسيئات (وفيهما) اى النافع والضار (الشكر) للعبد بالاضافة الى ما ينفعه (والصبر) بالنسبة الى ما يضره وهما لا يحصلان الا بتلك الاحوال (فهما نصفان) لتلك الاحوال باعتبار ما ذكر من الاقوال (ولابد) للعبد (منه) اى من الصبر (لابتداء العبادة) من الصلاة والصوم وسائر اسباب السعادة (عليه) اى على الصبر (فالدخول فيها) اى فى العبادة (لقمع النفس) لتكميلها ونفعها (والاتمام) اى اتمام العبادة بعد الدخول فيها (اشد) من دخولها فى باب الارادة والقمع والاتمام انما يتأتى بالصبر فى المقام (ولان الدنيا دار محنة) فمن كان فى الدنيا فلابد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها والصبر على جميع مراتبها لتحصل العبادة ومناقبها (والجزع شاغل) عن العبادة التى هى غاية المنحة (ولان طالب الآخرة اشد ابتلاء فورد اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل) كالعلماء (فالامثل) كالصلحاء رواه الترمذى وقال حسن صحيح وصححه ابن حبان والحاكم لكنه بدون لفظ الاولياء وقد قسم عليه السلام مرة مالا فقال بعض الاعراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبر به عليه السلام فاحمرت وجنتاه ثم قال عليه السلام رحم الله اخى موسى قد اوذى باكثر من هذا فصبر متفق عليه من حديث مسعود وقال عليه السلام صل من قطعك واعط من حرمك

واعف عمن ظلمك وقد تقدم وقال عيسى عليه السلام لقد قيل لكم من قبل يعنى فى التورية ان السن بالسن والعين بالعين والانف بالانف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايسر فحول له خدك الايمن ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين انتهى ولا يخفى ان عيسى عليه السلام كان مظهرا للجمال كما ان موسى عليه السلام كان مظهرا للجلال ونبينا صلى الله عليه وسلم كان مظهرا للكمال المتضمن للجلال والجمال فاحكامه فى غاية الاعتدال والله سبحانه اعلم بحقايق الاحوال (وهو) اى الصبر (عن الحرام واجب) اى فرض لازم (وعن المكروه) اى كراهة تنزيه (نفل) بل مستحب واما عن المكروه كراهة تحريم فواجب وعن فضول المباح زيادة فضيلة وحزم وفى الاحياء ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور كمن قطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فيهيج غيرته فيصبر على اظهار الغيرة ويسكت على ما يجرى على اهله فهذا الصبر محرم والصبر على المكروه هو الصبر على اذى يناله بجهة مكروهة فى الشرع فليكن الشرع محك الصبر الذى هو نصف الايمان ولا ينبغى ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع مخصوصة (ثم هو) اى الصبر (فى النعم الدنيوية) انما يحصل (بترك الميل) اليها ويعرف بترك ارتكاب المحرم والمكروه فى تحصيلها (ورعاية حقه تعالى) فيها لصرفها الى طاعته وعبادته (وهو الشكر) اى من وجه فلا يتحد الصبر والشكر كما قيل ثم اعلم ان جميع ما يلحق العبد فى هذه الحيوة لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق هواه والآخر ما لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر فى كل واحد منهما والنوع الاول اصعبهما فانه يوافق هوى نفسه من الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال فيها والركون اليها والانهماك فى اللذات المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان ويجرانه الى انواع من العصيان كما قال تعالى * كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى * وقال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها الا الصديق ولما فتحت اموال الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر وقال عليه السلام الولد مبخلة مجبنة محزنة رواه ابو يعلى الموصلى من حديث ابى سعيد ولاصحاب السنن من حديث بريدة باسناد حسن انه عليه السلام لما نظر الى ابنه الحسن او الحسين يتعثر فى قميصه نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال صدق الله * انما اموالكم واولادكم فتنة * انى لما رأيت ابنى يتعثر لم املك نفسى ان اخذته فى ذلك عبرة لاولى الابصار (و) الصبر

(في الطاعة) اى العبادة (بصون النية) اى بحفظها عن السمعة والرياء في حال الابتداء (والاداء) اى وبصون اداء العمل عن غير الاخلاص او عن الغفلة ودواعي الفترة في الاثناء (والثواب) اى وبصونه عن الافشاء حال الانتهاء فالثلاثة مذكورة بطريق اللف ومقابلاتها مسطورة على وجه النشر حيث قال (عن الرياء) وفي معناه السمعة واوفى الخلاء (والتكاسل) اى وعن التثاقل في الاعضاء (والافشاء) بالاملاء في الملاء (ونحوها) من العجب والغرور والندامة عن الطاعة ورؤية الحول والقوة والامن من مكر الله واستدراجه وعدم خوف الخاتمة ولعل المراد بقوله تعالى * نعم اجر العاملين الذين صبروا * اى على تصحيح النية وعلى اتمام العمل واخلاصه عن الآفات (و) الصبر (في المعصية) المبتلى بها (بالرياضة) اى برياضة النفس عن مخالفة هواها (و) الصبر (في مصيبة) من شانها انها (تمكن المجازاة) اى يمكن فيها المكافاة (بالتحمل) اى الحلم والعفو (بترك المكافاة) اى المجازاة ولو بالمماثلة في المعاقبة (قولا) كمن سبه (وفعلا) كمن ضربه ومنه قوله تعالى * وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله * وقد قال بعض الصحابة ماكنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى حكاية عن الانبياء * ولنصبرن على ما آذيتمونا * وقال تعالى * ودع اذيهم وتوكل على الله * وقال * واصبر على مايقولون واهجرهم هجرا جميلا * وقال * ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون * وقال * ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور * (وفي غيرها) اى وفي مصيبة غير ممكن المجازاة (بترك الجزع) والفزع (والشكاية) الى الخلق (واستمرار العادة) اى وباستقرارها على حالها (في الطعام واللباس) وكذا الكلام مع الناس وقد قيل ان الصبر هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ يشبه غيره وقال داود عليه السلام ماجزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال نبينا عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك ذكره في الاحياء وقال مخرجه لم اجده مرفوعا وانما رواه ابن ابي من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك انتهى وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة وفي الاثر ان ثواب الصبر على المصيبة اكثر مما فات فاذن مجارى الصبر ثلاثة الطاعة والمعصية والبلية من جهة الخلق او الخالق (اما التألم) اى الحزن للقلب (وجريان الدمع) من العين (فلا ينافيه) اى الصبر (لعدم الدخول تحت الاختيار) بل هما مستحبان لما ورد عن سيد الابرار انه بكى عند موت ولده وقال القلب يحزن والعين تدمع وانا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون رواه الشيخان من حديث انس (والكمال) اى كمال الصبر

(ترك مايشغل عنه) اى عن الله (تعالى) من امور الدنيا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان قال تعالى * ومن يعش عن ذكر الرحمن * الآية وعن الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف فقيل ماهو قال هي نفسك ان لم تشغلها شغلتك (وجاء) في الاثر عن ابن عباس (الصبر على الفرائض) اى ادائها (ثلاثمائة درجة) اى بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل (وعن المحارم ستمائة) لانه اصعب على النفس فان في فعل الطاعة نوعا من اللذة زيادة على لذة ترك المعصية (وفي المصيبة عند الصدمة الاولى) اى فورتها وشدتها وحدتها (تسعمائة) لانه اقوى واشق على النفس فلابن ابي الدنيا في كتاب محاسبة النفس عن عمر بن عبد العزيز افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس والحديث الذي في المتن رواه ابن ابي الدنيا في الصبر وابو الشيخ في الثواب عن علي مرفوعا بلفظ الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة مابين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة مابين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى الارضين ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة مابين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى العرش فالحديث يدل على ان الصبر عن المعصية افضل الانواع ويؤيده ماسبق من اثر عمر رضي الله عنه حيث قال الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله واما الصبر عند الصدمة الاولى فحديث رواه البزار وابو يعلى عن ابي هريرة مرفوعا وفي رواية البزار عن ابن عباس الصبر عند اول صدمة وفي رواية البخاري في تاريخه عن انس الصبر الصبر عند الصدمة الاولى (والطريق) في تحصيل الصبر بعد التوفيق ثلاثة منها (تضعيف باعث الهوى) اى تقليله (بالرياضة) الكثيرة بان يقوى داعي الهدى ويقهر داعي الهوى فلا يبقى لها قوة المنازعة في الامتناع عن الطاعة بحسب الاستطاعة وعند هذا قال من صبر ظفر والواصلون الى هذه الرتبة هم الاقلون فلاجرم هم الصديقون والمقربون * الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا * فهؤلاء لزموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم واما من يغلب عليه دواعي الهوى ويضعف عنده بواعث الهدى فهؤلاء هم الغافلون وهم الاكثرون وهم الذين استرقتهم شهوتهم وغلبت عليهم شقوتهم وهم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فخسرت صفقتهم وما ربحت تجارتهم وهذه الحالة علامتها اليأس والقنوط والغرور بالاماني وهي غاية الحمق كما قال عليه السلام الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى وفي رواية والعاجز بدل الاحمق كما رواه احمد والترمذي وابن ماجه والحاكم عن شداد بن اوس ومعنى دان نفسه حاسبها قاله الترمذي وغيره

من العلماء واما من يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعى الهوى اخرى فهذا من المجاهدين الذين قيل فيهم * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم * واما التاركون للمجاهدة فيشبهون بالانعام حيث قال تعالى * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون * وقال بعض الشعراء

* دع المكارم لاترحل لبغيتها * واقعد فانك انت الطاعم الكاسى *

وقد قال تعالى * اولئك كالانعام بل هم اضل * اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التى بها يجاهد مقتضى الشهوة وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا والمدبر يقينا وصدقا ولذا قيل

* ولم ار فى عيوب الناس عيبا * كنقص القادرين على التمام *

وهو مقتبس من قوله عليه السلام اشد الناس حسرة يوم القيمة رجل امكنه طلب العلم فى الدنيا فلم يطلبه ورجل علم علما فانتفع به دونه رواه ابن عساكر واما من علم وعمل وعلم فيدعى فى الملكوت عظيما كما قال عيسى عليه السلام (و) منها (ذكر قلة قدر الشدة) فى مخالفة النفس حال المجاهدة لان شدائد الدنيا واحوالها سهل بالنسبه الى شدائد الآخرة واهوالها (ووقتها) اى وذكر قلة وقت الشدة كما يشير اليه قوله تعالى * كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها * ولذا قيل الدنيا ساعة فاجعلها طاعة (واضرار الجزع) اى وذكر اضرار الجزع والفزع من غير حصول الدفع والنفع (و) منها (تقوية باعث الدين بذكر فضائل المجاهدة) الواردة فى الكتاب والسنة فى حق المجاهدين والمجتهدين من قوله تعالى * والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا * وقوله * وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما * وقوله عليه السلام المجاهد من جاهد هواه رواه النسائى ورجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقد تقدم (ثم ان كان) الصبر والتحمل او ذلك الثبات والتحمل حاصلا (بتعب قوى) اى شديد وجهد جهيد (فتصبر) اى فيقال له تصبر لان صاحبه متكلف فى الصبر كما يقال زاهد ومتزهد وصوفى ومتصوف (وان كان) ماذكر واقعا (بيسير) اى بتعب سهل وغير عسير (فصبر) اى فيخص باسم الصبر فاذا دام التقوى وقوى التصديق بما فى العاقبة من الحسنى تيسر الصبر بالوجه الاسنى قال تعالى * فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى (وان كان) الصبر (دون جهد) اى من غير تعب (فرضى) اى فهو رضى بما يفعل المولى (وورد اعبد الله على الرضاء) فان الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم (فان لم تستطع) على عبادته فى مقام الرضاء من غير جهد البلاء (ففى الصبر على ماتكره) بمقتضى البشرية (خير كثير) فى الامور الدنيوية والاخروية فاعبده على الصبر فان ما لايدرك كله لايترك كله والحديث رواه الترمذى

من حديث ابن عباس وقال ابو سليمان والله ما نصبر على مانحب فكيف نصبر على ماتكره (وان كان) الصبر على البلاء (بتلذذ) كتلذذ النعماء (فشكر) اى فهو شكر ينشأ عن كمال المحبة والصدق وغاية الرضاء عن الحق فقد قال بعض العارفين اهل الصبر على ثلاث مقامات الاولى ترك الشكوى وهذه درجة التائبين الثانية الرضاء بالمقدور وهذه درجة الزاهدين الثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين (وهو) اى التلذذ بالبلاء انما يكون بستة اشياء (بالغيبة عن حظوظ النفس) ولذات الهوى (والشهود) اى وبالحضور (معه تعالى) ليلا ونهارا (كما ورد) عنه عليه السلام انه قال (انى ابيت عند ربى) اى حاضر الديه كالواقف بين يديه (يطعمنى هو) اى لاغيره (ويسقينى) اى يغنينى عن الطعام والشراب ويقوينى بدلهما بما يلتذ به الاحباب فلم اجد الم الجوع والعطش لفناء حظوظ نفسى وشهود قلبى معربى فهذا المعنى يصلح ان يكون استيناف علة لمنع الاصحاب عن الوصال بدون ارتكاب الاسباب واما ما قيل من ان المعنى يطعمنى ويسقينى من طعام الجنة وشرابها فلا يصلح ان يكون علة لمنعهم كما لايخفى على اولى الالباب (وعدم التمييز) اى وبعدم الفرق (بين الالم واللذة) الطبيعيين ولقد قال بعض المحبين

* فليس لى فى سواك حظ * فكيف ماشئت فاختبرنى *

لكن لما كان فى هذا شائبة من الدعوى ابتلى بنوع من البلوى (كما فى حديث حارثة ما ابالى على اى الحالين) اى المقامين (وقعت) اى سقطت وثبت (على غنى او فقر) وكذا صحة ومرض وكذا وصل او هجران وقيل الفقر بلاء ومحنة والغنى هم ومشقة وكل ذلك قادح فى كمال الرضاء والمحبة بل ينبغى ان يفوض التدبير لمالكها ويسلم الامر الى صاحبها وسيدها ويقول ماقال عمر رضى الله عنه لاابالى اصبحت غنيا او فقيرا فانى لاادرى ايهما خيرلى وفيه اشارة الى قوله * ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا * وفى الحديث القدسى ان من عبادى من لايصلحه الا الفقر ومنهم من لايصلحه الا الغنى الحديث وقد قال عز وجل * عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لاتعلمون * فالتسليم اسلم والله اعلم (والاعلى) اى اعلى مراتب الصبر من التلذذ بالبلاء الذى هو الشكر بالنسبة الى عدم التمييز كحال اهل السكر (التمييز) بين النفع والضر والحلو والمر (واختيار الالم فى موافقته تعالى) حيث جعله مختارا (والالتذاذ به) اى بالامر فهو الاولى (فورد) عنه عليه السلام انه لما خير بين الدنيا وتركها بان يكون ملكا نبيا او عبدا نبيا فقال (اختار ان اكون عبدا نبيا) وفى رواية زيادة اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر ليفوز بالمقامين ويجمع بين الامرين لانه كان فى غاية من الكمال فاخذ ما يقتضيه الجمال ويستدعيه الجلال (وجاء) فى الخبر (يا) قوم (حبذا المكروهان) اى نعم المكروهان

فى طبع الانسان وهما سببا مزيد الاحسان (الموت) على الايمان (والفقر) المقرون برضى الرحمان رواه ابن ابى الدنيا وغيره واخرج احمد وسعيد بن منصور فى سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير له من الفتنة و يكره قلة المال وقلة المال اقل للحساب (ثم الرضاء بترك لاعتراض) بالقلب فى جميع انواع القضاء فلا يقول لحادث حدث لولم يحدث لكان اولى اوا وحدث فى غير هذا الموضع كان احسن واعلى اذ ليس فى الامكان ابدع مما كان كما فى الاحياء واعترض عليه من لم يفهم معناه من العلماء (وقيل ترك السخط) اى الكراهة وهو ضد الرضاء والرضاء غاية الغايات ونهاية العنايات فى الحديث ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك و يؤيده قوله تعالى * ورضوان من الله اكبر * اى من النعيم الذى يتم فيه فهذا فضل رضى الله وهو ثمرة رضى العبد كما يشير اليه قوله تعالى * رضى الله عنهم * اولا * ورضوا عنه * آخرا (ولابد) للعبد (منه) اى من الرضاء عن الله تعالى لاربعة اشياء (للفراغ) اى فراغ الخاطر (للعبادة) وقد ورد نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ (والتحامى) اى وللتحافظ (من هموم الدنيا) بالقلب (والتعب) ومن غموم النصب بالبدن والقالب (فيها) اى فى الدنيا وقد ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الآخرة كفاه الله هم الدنيا والاخرى (وغضبه) اى التحامى من غضبه (تعالى فورد) فى الحديث القدسى والكلام الانسى (من لم يرض بقضائى) فى احكام ارضى وسمائى (ولم يصبر على بلائى) اى ابتلاى فى سرائى وضرائى وفى رواية زيادة ولم يشكر على نعمائى (فليطلب ربا سوائى) اى غيرى وماعدائى من اعدائى وروى انه عليه السلام سأل طائفة من اصحابه الكرام فقال ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفى لفظ آخر انه قال حكماء علماء كاد وامن فقههم ان يكونوا انبياء وفى مناجاة موسى عليه السلام قال يارب اى خلقك احب اليك قال من اذا اخذت عنه محبوبه سالمنى قال فاى خلقك انت ساخط عليه قال من يستخيرنى فى الامر فاذا قضيته له سخط قضائى وفى الخبر قدرت المقادير ودبرت التدابير من رضى فله الرضاء منى حتى يلقانى ومن سخط فله السخط منى حتى يلقانى وفى الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفى الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكى الى الله تعالى الجوع والفقر والعمل عشرين سنة فما اصيب الى ما اراد ثم اوحى الله اليه كم تشكو هكذا كان بدوك عندى فى ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك منى وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام

تريد ان ابدل ما قدرت عليك فيكون ماتحب فوق ما احب او يكون ماتريد فوق ما اريد وعزتى وجلالى لئن يلج هذا فى صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة و يروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام ياداود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ماتريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لايكون الاما اريد ولله در من قال من اهل المزيد

* تريد النفس ان تلقى مناها * ويأبى الله الا مايريد *

(ويحصل رضوانه) اى وليحصل رضاء الله عنه (فورد) فى التنزيل (رضى الله عنهم ورضوا عنه) فعلامة رضى العبد عن الله رضاء الله عنه او بالعكس وهو الاولى لذكر رضى الله فى المرتبة الاولى واسبق رضاه فى الازل الاعلى وقد سئل الفضيل عن الصبر فقال هو الرضاء بقضاء الله قيل و كيف ذلك قال الراضى لايتمنى فوق منزلته وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضاء فيما قدنال وحسن الصبر فيما قدفات وروى عن بعضهم قال مررت على سالم مولى ابى حذيفة فى القتلى و به رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرنى قليلا الى الاعداء واجعل الماء فى الترس فانى صائم فان عشت الى الليل شربته وفى الخبر طوبى لمن هدى للاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به وفى خبر آخر من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل وللترمذى من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله وفى خبر آخر ارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس وفى اخبار موسى عليه السلام ان بنى اسرائيل قالوا له سل لنا ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى الهى قد سمعت ما قالوا فقال ياموسى قل لهم يرضون عنى حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ماروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عزوجل عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد من نفسه وفى اخبار داود عليه السلام ما لاوليائى والهم بالدنيا ان الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتى من قلوبهم ياداود ان علامة محبتى من اوليائى ان يكونوا روحانيين لايغتمون وروى ان موسى عليه السلام قال يارب دلنى على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله اليه ان رضائى فى كرهك وانت لاتصبر على ماتكره قال يارب دلنى عليه فقال ان رضائى فى رضاك بقضائى وعن عمر بن عبد العزيز مابقى لى سرور الافى مواقع القدر وقيل له ماتشتهى قال مايقضى الله تعالى (والسبب) لرضاء العبد بما يفعل الرب شيئان احدهما (ادهاش غلبة الحب) اى اغماؤها واغفالها (عن الاحساس بالالم) فى المحن واهوالها (كما بالعاشق) بالدنيا (والحريص) فى جمع مالها واحوالها وكان سهل به علة يعالج غيره منها ولايعالج نفسه فقيل له فى ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لايوجع وقال الجنيد سألت سريا السقطى هل يجد المحب الم البلاء قال لاقلت وان

ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة وقال بعضهم احببت كل شئ بحبه حتى لواحب النار احببت دخولها وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط فى شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لانى عاشق فقلت ولم سكت قال لان معشوقى كان بحذائى ينظر الى قلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر فزعق زعقة وخرميتا وقال يحيى بن معاذ الرازى اذا نظر اهل الجنة الى الله سبحانه ذهبت عيونهم فى قلوبهم من لذة النظر الى الله ثمانمائة سنة لاترجع اليهم فماظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله اذا لاحظوا اجلاله هابوا واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر قصدت عبادان فى بدايتى فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون قد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته فى حجرى فلما افاق قال من هذا الفضولى الذى دخل بينى و بين ربى لوقطعنى اربا اربا ما ازددت له الاحبا قال بشر فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبدو بين رب فانكرتها و يروى ان يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام دلنى على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب سمعه و بصره وهو يقول الهى متعتنى بهما ماشئت وسلبتنى ماشئت وابقيت لى فيك الامل يابر ياوصول و يروى ان عيسى عليه السلام مر برجل اعمى وابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عليه السلام ياهذا اى شئ من البلاء اراه مصروفا عنك فقال ياروح الله انا خير ممن لم يجعل الله فى قلبه ماجعل فى قلبى من معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ماكان به وصحب عيسى وتعبد معه وقطع عروة بن الزبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذى اخذمنى واحدة وابقى اخرى لئن كنت اخذت لقد ابقيت ولئن كنت ابليت لقد عوفيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وقال ابو سليمان الدارانى قد نلت من كل مقام حالا الا الرضاء فمالى منه الامشام الريح وعلى ذلك لوادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلنى النار كنت راضيا ولما قدم سعد بن ابى وقاص مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة قال عبدالله بن السائب فأتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفنى وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال فى آخرها فقلت له ياعم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يابنى قضاء الله عندى احسن من بصرى وقال بعض السلف لو قرض جسمى بالمقاريض لكان احب الى من ان اقول لشئ قضاه الله ليته لم يقضه (والعلم) اى وثانيهما المعرفة بشيئين (بجزالة الثواب) اى عظمته وكثرته يوم الحساب فقد قال تعالى * انما يوفى

الصابرون اجرهم بغير حساب * وقد ينال الجزاء فى الدنيا ايضا قبل العقبى كما روى عن الرميصاء ام سليم انها قالت توفى ابن لى وكان زوجى ابو طلحة غائبا فقمت فسجيته فى ناحية من البيت فقدم ابو طلحة فقمت فهيأت له افطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبى فقلت فى احسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى خيرا منه هذه الليلة ثم تصنعت له باحسن ماكنت اتصنع من قبل ذلك حتى اصاب منى حاجته ثم قلت الاتعجب جيراننا فقال ومالهم فقلت اعيروا عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ماصنعوا فقلت هكذا ابنك كان عارية من الله تعالى فان الله قبضه اليه فحمد الله واثنى عليه واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام اللهم بارك لهم فى ليلتهم قال الراوى فلقد رأيت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن رواه الطبرانى فى الكبير من طريقة ابى نعيم فى الحلية والقصة فى الصحيحين من حديث انس مع اختلاف وللنسائى فى الكبرى باسناد صحيح من حديث جابر دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امرأة طلحة فقد روى ان امرأة فتح الموصلى عثرت فقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما تجد من الوجع فقال ان لذة ثوابه ازالت عن قلبى حرارة وجعه وعذابه وقد ورد فى الترمذى وغيره حديث * هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل الله مالقيت * وقال شقيق من رى ثواب الشدة لايشتهى المخرج منها ولله در القائل

* ان كان سركم ما قال حاسدنا * فما لجرح اذا ارضاكم الم *

(كالمريض والتاجر) المسافر (المتحملين شدة الحجامة) رجاء للصحة (والسفر) اى ومحنته طمعا للزيادة (و بانه تعالى فى كل صنع حكمة) كما قال تعالى * صنع الله الذى اتقن كل شئ * وقال * صبغة الله ومن احسن من الله صبغة * بل حكما كثيرة (يتعجب الذاهل) الغافل (عن السر) اى سر تلك الحكمة فى تلك الصنعة وما يترتب عليها من الحكم (كما فى قصة موسى والخضر عليهما السلام) وماوقع بينهما من الملام والكلام فى تحقيق المقام وتدقيق المرام (ولايرد التناقض بينه) اى بين الرضاء بالقضاء فقد ورد فى الدعاء اللهم اسئلك الرضاء بالقضاء (و بين بغض المعصية) الواقعة بحكم القضاء (لان الرضاء) انما هو (بالقضاء) الذى هو فعل الرب وخلقه (والمعصية مقضية) على العبد صادرة عن فعله وكسبه ولو كان بتقدير الرب وحكمه ولان قضاء الشر ليس بشر انما الشر هو المقضى فلايكون الرضاء بالشر و بهذا يتحقق معنى الخبر الخير كله بيديك والشر ليس اليك (ولان الرضاء) بالقضاء (من حيث انه مقضى لاينافى) ايضا (البغض للمعصية من حيث انه معصية) فالحيثية اذا كانت مختلفة يصير الامور المختلفة كلها مؤتلفة كالولد العاق يحب من حيثة الوالدية و يبغض من جهة العقوقية (وهو) اى الرضاء بالقضاء (لايوجب ترك الاسباب) اى اسباب البقاء

وغيره من الابواب (وتحقيقه) اى تحقيق ترك الاسباب (يأتى فى التوكل) الموضوع لهذا الباب (ولا الدعاء) اى ولا يوجب الرضاء ترك الدعاء لقوله تعالى * ويدعوننا رغبا ورهبا * وثبت انواع من الدعاء عن سيد الانبياء مع انه فى اعلى مقامات الرضاء (بشرط الصلاح قلبا) ولو لم يشرطه لسانا (فورد اللهم زدنا فى اللبن اللهم ارزقنا خيرا منه فى غيره) والحديث رواه الترمذى فى الشمائل عن ابن عباس انه عليه السلام قال من اطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه واطعمنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه قال وقال عليه السلام ليس شئ يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن هذا وقد قال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه الدواء وقال الفضيل ان لم تصلح على تقدير الله فلم تصلح على تقدير نفسك وقال عبد العزيز ابن ابى رواد وليس الشان فى اكل خبز الشعير والخل ولا فى لبس الصوف والشعر ولكن الشان فى الرضاء بالقضاء والقدر وقال عبد الله بن مسعود لان احس جمرات احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت احب الى من ان اقول لشئ كان ليته لم يكن او لشئ لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة فى رجل محمد بن واسع فقال انى لارحمك من هذه القرحة فقال انى لاشكرها منذ خرجت اذ لم تخرج فى عينى وقال الثورى يوما عند رابعة العدوية اللهم ارض عنا فقالت اما تستحيى من الله ان يسأله الرضاء وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليمان متى يكون العبد راضيا عن الله قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وعن الفضيل اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى وعن احمد بن ابى الحوارى قال ابو سليمان الدارانى ان الله من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى به العبيد من مواليهم قلت كيف ذلك قال اليس مراد العبد ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال بعض السلف من حسن الرضاء بالقضاء ان لا يقول هذا يوم حار او بارد فى معرض الشكاية وقول القائل الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح فى كمال الرضاء بالقضاء وعن عمر رضى الله عنه لا ابالى اصبحت غنيا او فقيرا فانى لا ادرى ايهما خير لى وعن ابن مسعود انه قال الفقر والغنى مطيتان لا ابالى ايهما اركب ان كان الفقر ففيه الصبر وان كان الغنى ففيه البذل وانما لم يقل ففيه الشكر ايماء الى ان الفقر افضل من الغنى واشارة الى ان الغنى من غير البذل مذموم عند اهل الفضل والعدل هذا وقد اختلف العلماء فى الافضل من اهل مقامات ثلاثة رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا وارضى بما يختاره الله لى ورفعت هذه المسألة الى بعض العارفين فقال صاحب الرضاء افضل لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان

الثورى ويوسف بن اسباط فقال سفيان الثورى كنت اكره موت الفجاءة قبل اليوم واليوم وددت انى مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف من الفتنة فقال يوسف لكنى لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلى اصادف يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقال لوهيب اى شئ تقول قال انا لا اختار شيئا احب ذلك الى الله احبه الى فقبل الثورى بين عينيه فقال روحانية ورب الكعبة ويؤيده الدعاء المأثور اللهم احينى ما كانت الحيوة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى واجعل الحيوة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر (ثم الشكر يجمعه) ثلاثة اشياء (عرفان النعمة من المنعم) وهذا لم يصدر عن اعتقاد ان كل ما فى العالم موجود فهو من الله مشهود كما قال تعالى * وما بكم من نعمة فمن الله * وفى دعائه عليه السلام اللهم ما اصبح بى من نعمة او باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر (والفرح به) اى بالمنعم الحاصل بانعامه لا بنفس النعمة من حيث ذاتها الادنى بل من حيث انها وسيلة الى القرب من المولى والنظر الى وجهه الاعلى فهذا هو الرتبة العليا وعلامته ان لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة للاخرى ويحزن بكل نعمة تلهيه عن طريق الهدى وهذا حال (واستعمالها) اى صرف النعمة (فى طاعته) اى طاعة دون معصيته للمنعم وهذا عمل وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الجنيد الشكر ان لا ترى نفسك اهلا للنعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاصة على واردات القلوب وهى رتبة لا يدركها كل من انحصرت عنده اللذات فى البطن والفرج وسائر الشهوات ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلا عن لذة القلب وما يرد عليه من الواردات فان القلب السليم لا يلتذ فى حالة من الصحة القويم الا بذكر الله ومعرفته من حيث الذات والصفات وانما يلتذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يلتذ بعض الناس باكل الطين ويختاره على السكنجبين وكما يستبشع بعض المرضى الاشياء الحلوة ويستحلى الاشياء المرة حتى قيل

* ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا *

(ولا بد) للعبد (منه) اى من الشكر (لاستدامة النعمة) اى لطلب دوام النعمة وبقائها (فورد) فى التنزيل (وكفرت) صوابه فكفرت كما فى نسخة وصدر الآية * وضرب الله مثلا قرية * اى مكة * كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا * اى واسعا من كل مكان فكفرت * اى اهلها (بانعم الله) اى بتكذيب رسوله (فاذاقها الله لباس الجوع) اى القحط سبع سنين (والخوف) اى الرعب من المسلمين (بما كانوا يصنعون * وان) اى وورد فى الحديث (ان النعم اوابد) اى وحشيات متنفرات كصيود شوارد (فقيدوها بالشكر) وقد قيل الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد المنحة المفقودة كما يشير اليه قوله (واستزادتها) اى ولطلب زيادة النعمة (فورد) فى التنزيل (* لئن شكرتم لازيدنكم) تمامه * ولئن كفرتم ان عذابى لشديد * (والذين اهتدوا) بالايمان وترك الكفر واداء

الشكر (زادهم هدى) اى هداية على هدايتهم وعناية على رعايتهم ثم اعلم ان لكل
عضو من القلب واللسان وسائر الجوارح والاركان شكرا يليق به من عمل الطاعة وترك
المعصية واعظمها شكر الجنان واظهرها شكر اللسان وقد قال عليه السلام لرجل كيف
اصبحت فقال بخير فاعاد عليه السلام السؤال حتى قال فى الثالثة بخير احمد الله واشكره
فقال عليه السلام هو الذى اردت منك رواه الطبرانى فى الدعاء من رواية الفضل
ابن عمرو مرفوعا وهذا معضل وفى المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو وليس
فيه تكرار السؤال وقال احمد الله اليك وكان السلف يتساءلون ونيتهم استخراج
الشكر لله ليكون الشاكر لله مطيعا والمستنطق له به مطيعا فكل عبد يسأل عن
حاله فهو بين ان يشكر وبين ان يشكو وبين ان يسكت فالشكر طاعة صحيحة والشكوى
معصية قبيحة وكيف لا تقبح الشكوى من المولى وهو ملك الملوك وبيده كل شئ
وعبده مملوك لا يقدر على شئ فالاحرى بالعبد ان لم يصبر على البلوى وبقضيه
الضعف الى الشكوى ان يكون شكواه الى المولى فهو المبلى وهو القادر على ازالة
البلاء وذل العبد لمولاه عز والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبد مع كونه
عبدا مثله ذل قبيح قال الله تعالى ❁ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون❁ فقد روى ان
وفدا قدموا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير
المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان فى المسلمين من هو اكبر منك فقال تكلم فقال لسنا
وفد الرغبة ولا وفد الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد آمنا
منها عدلك وانما نحن وفد الشكر جئناك نشكرك باللسان وننصرف (وايضا) مما يدل
على تحقيق وجوب الشكر على العبد من جهة العقل مع قطع النظر من النقل
مثال وهو ان يقال (اذا ارسل ملك) عظيم (فرسا وثوبا وزادا الى عبد) بعيد
عن قربه (ليجئ اليه) راكبا لابسا متمتعا عليه (وينال حظ القربة) اى ويلتقى حظ
قرب الملك لديه (مع استغناء الملك عنه) وكمال احتياج العبد منه (فاستعمل) الفرس
والزاد (فى البعد عنه) اى عن حكمه وفى سفر المخالفة من قربه (او اهمل) امره
ونسى قدره وجلس فى محله ولم يستعمل لا فى قربه ولا فى بعده (او مكن) اى او اذا
اقدر (عبدا على بساط القربة) وامكنه من الانبساط فى نشاط عدم الكربة (فاشتغل
العبد عن خدمته) اى خدمة الملك وعن التأنى الى حضرته (ملتفتا الى خسيس فى حرفته
من دباغ وكناس وسيس دابة (يسأله) اى يطلب العبد عن ذلك الخسيس (كسرة
رغيف) باظهار فاقته وحرقته فى حضرة الملك وصحبته ولا شك ان كلا منهما (يستحق
المقت) اى كمال الغضب (و) يقتضى (سلب النعم) وجلب النقمة وادامة العقوبة والطرد
من الخدمة والبعد عن الحضرة وتوضيحه ما فى الاحياء ان الانبياء عليهم السلام

بعثوا لدعوة الخلق الى كمال توحيد الحق ولكن بينهم وبين الوصول اليه مسافة
بعيدة وعقبات شديدة وعلم الشرع كله تعريف الطريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك
العقبات الشاقة ويمكنك ان تفهم بمثال وهو ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد
بعد عنه مركوبا وملبوسا ونقدا لاجل زاده فى الطريق حتى يقطع به مسافة
البعد فيقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالتان احديهما ان يكون قصده من
وصول العبد الى حضرته ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غنى فى خدمته والثانية
ان لا يكون للملك حظ فى العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد فى ملكه كما ان
غيبته لا تنقص من ملكه فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب ونحوه ان يحظى العبد
بالقرب منه فى مقابلة خدمته وينال سعادة حضرته لينتفع هو فى نفسه لا لينتفع الملك
به وبانتفاعه فمنزل العباد من الله فى المنزلة الثانية لا فى المنزلة الاولى فان الاولى محال على
الله والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا فى الحالة الاولى بمجرد الركوب
والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التى ارادها الملك منه واما فى الحالة الثانية
فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا فيكون شكره
بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره بان لا يستعمل
ذلك فيه بان يعطله او يستعمله فيما يزيد فى بعده منه فمهما لبس العبد الثوب
وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا فى الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمته فى
سبيل محبته اى فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته
واخذ يبعد منه فقد كفر نعمته اى استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان
جلس ولم يركب لا فى طلب القرب ولا فى طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته
اذا اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما لو بعد منه فكذا خلق الله سبحانه الخلق
وهم فى ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات لتكمل ابدانهم بها
فيبعدون عن حضرته بسببها وانما سعادتهم فى القرب منه فاعد لهم من النعم
ما يقدرون على استعماله فى نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى
فقال ❁ لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات ❁ الآية فاذا انعم الله بآلات يترقى بها العبد عن اسفل سافلين
خلقها الله لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله سبحانه غنى عنه قرب
او بعد منه والعبد فيه بين ان يستعملها فى الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة
مولاه وبين ان يستعملها فى المعصية فقد كفر لاقتحامه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له
فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية وان عطلها فلم يستعملها الا فى طاعة ولا فى معصية
فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع اذ كل ما خلق الله تعالى فى الدنيا انما خلق آلة للعبد
ليتوصل بها الى سعادة الآخرة ونيل القرب من المولى فكل مطيع فهو بقدر

طاعته شاكر لنعمة الله في الاسباب التي استعملها وكل كسلان ترك الاستعمال
او عاص استعمل ذلك في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله فالمعصية والطاعة
تشملهما المشيئة ولكن لا تشملهما المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه
ووراء بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه صونا للحقيقة (و لفارق بين
محبوبه تعالى ومبغوضه) عز وعلا (للفعل) محبوبا ومبغوضا (والترك) كذلك
(العلم بالكتاب والسنة) فانهما كفتا ميزان العدالة (والاستبصار) اي برؤية كافية
فسيحة اي والاعتبار بفكر من العقل ونظر وتأمل في النقل (والضابط) لما يحبه
الله وما يبغضه (ان الموصل) للعبد (الى معرفته) اي الله (ومحبته محبوب لله) فينبغي
استعمال النية فيه (والشاغل عنه) اي والمانع عما ذكره من المعرفة والمحبة
(مبغوض لله) فيجب عدم استعمال النية فيه (ثم النعمة ما دنيوية كالخلقة السوية
والملاذ الشهية) من المطالبات النفسية (وصرف المفاسد والمضار) البدنية
بآلات حسية مثل اليد والرجل حيث يدفع الضر او يهرب من الشر (واما
دينية كالتوفيق على الطاعة والعصمة) في حق الانبياء (والحفظ) في حق الاولياء
(عن المعصية) مع القدرة او عدمها فان من العصمة ان لا تقدر (وهي) اي النعمة
الدينية (اعظم) قدرا من النعمة الدنيوية (لايصالها) اي لتبليغ النعمة الدينية (الى
السعادة الابدية) التي لا غاية لها (والانجاء) اي الخلاص (عن الشقاوة السرمدية)
التي لا نهاية لها (واشتراك الكفار) مع الابرار (في الدنيوية) والدنيا معرضة لسرعة
فنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها (واغتنام الابرار زوالها) اي فقد النعمة
الدنيوية خوفا من نقصان النعمة الاخروية كما قال بعض المجتهدين وورود الفاقات
اعياد المريدين (وطلب الاحصاء) نعم الله وعدها (توقع المحال) وتمنيه لعدم طاقة
البشر في ذلك الحال (فورد) في التنزيل (وان تعدوا) اي تريدوا ان تحصوا (نعمة
الله لا تحصوها) اي لا تطيقوا احصاءها وعدها فضلا عن القيام بحقها من شكرها وقد
قيل الانفاس في اليوم والليلة اربعة وعشرون الفا وفي كل نفس نعمتان في حصولها
باعتبار طلوعها ونزولها (والطريق) المفضي الى الشكر ثلاثة (المعرفة) لنعمته
سبحانه فانه ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله لرأى من الله نعمة او نعما كثيرة
تخصه لا يشاركه فيها عامة الناس بل يشاركه عدد يسير منهم وربما لا يشاركه فيها
احد (والتفكر في صنايعه تعالى) من الانفسية والآفاقية واحسانانه سبحانه عليه
من بين البرية (والنظر الى الادنى) في المرتبة المعيشية والامور الدنيوية (فورد
من نظر في الدنيا الى من دونه) في المرتبة من الجاه والمال (ونظر في الدين الى من فوقه)
من العلم والعمل والحال (كتبه الله صابرا) بالنظر الثاني (وشاكرا) بالنظر الاول
فتأمل والحديث رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وهو في الصحيحين بلفظ

انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله
عليكم اي لا تحتقروها وللعسكري عن انس مرفوعا من نظر الى ما في ايدي الناس
طال حزنه ولم يشف غيظه وحكي عن بعضهم انه كان يحضر كل يوم دار المرضى
والمقابر وموضع الحدود ليشاهد انواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحته وسلامته
عما ابتلوا به فيحمد الله على ما اعطاه من نعمه فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش
عما خص به وجد لله تعالى على نفسه نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان
والعلم والقرآن ثم بالفراغ والصحة والامان ولذا قيل

❁ من شاء عيشا رحيبا يستطيب به ❁ في دينه ثم في دنياه اقبالا ❁
❁ فلينظرن الى من فوقه ورعا ❁ ولينظرن الى من دونه مالا ❁

وقال عليه السلام ان القرآن هو الغنى الذي لا غنى بعده ولا فقر معه رواه ابو يعلى
والطبراني من حديث انس وقال عليه السلام من آتاه الله حفظ كتابه فظن ان احدا
اوتي افضل مما اوتي فقد صغر اعظم النعم رواه البخاري في تاريخه منه فقد استهزأ
بآيات الله وعن الصديق من اوتي القرآن فظن ان احدا اوتي افضل منه فقد حقر
عظيما وعظم حقيرا وقال عليه السلام من لم يتغن بالقرآن فليس منا اي لم يستغن
وقد سبق والكل مقتبس من قوله سبحانه ❁ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ❁ وقال بعض السلف يقول الله ان عبدا
اغنيته عن ثلاثة لقد اتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه فيه احتمالان وطبيب يداويه
وعما في يد اخيه وعبر الشاعر عن هذا بقوله

❁ اذا القوت يأتي لك والصحة والامن ❁ واصبحت محزونا فلا فارقك الحزن ❁

بل افصح العبارات واملح الاشارات كلام افصح من نطق بالضاد حيث
عبر عن هذا المراد على وجه الارشاد للعباد بقوله من اصبح آمنا في سربه معافى
في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا اي جمعت والحديث قد تقدم قال
في الاحياء ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من امور وراء هذه
الثلاث مع انها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يحمدون نعمة
الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم الى النعيم المقيم والملك العظيم بل لبصير ينبغي
ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع
ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق الى المغرب من احوال واتباع
وانصار وقيل له خذ هذا عوضا عن علمك بل عن عشر عشير علمك لم يأخذه وذلك
لرجائه ان نعمة العلم تفضي به الى قربه سبحانه في الآخرة بل لو قيل له لك ما ترجوه
في الآخرة بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التلذذ بالعلم في الدنيا وفرحك
به قبل المفنى لكان لا يأخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وثابتة لا تسرق ولا

تقصب ولا يتنافس فيها ولا تنقطع وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يبقى مرجوها بمخوفها ولا لذتها بالمها ولا فرحها بغمها هكذا يرى الى الآن وهكذا يكون الى آخر ما بقى من الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتخدع بها العقول الناقصة حتى اذا انخدعت وتقيدت بها ابت عليهم وامتنعت عنهم واستعصت منهم كالمرأة الجميلة ظاهرها مزين للشاب العشيق الغبى حتى اذا تعلق بها قلبه احتجبت عنه فلا يزال معها فى عناء دائم وتعب قائم وكل ذلك لاغترار بلذة النظر اليها فى لحظة ولو غفل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم فى جميع عمره فهكذا وقع ارباب الدنيا فى شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغى ان يقول ان المعرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها وجمعها ومنعها ودفع القصود عنها وألم المعرض عنها يفضى الى اللذة فى الآخرة وألم المقبل عليها يفضى الى العسر فى العاقبة وليقرأ المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى * ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون (فان قلت كيف يمكن الشكر) لله (والعبد يعجز عنه) اى عن شكر الله (الا بتوفيقه) لشكره (وهو) اى والحال ان توفيقه لشكر (نعمة تستدعى شكرا) آخر (الى ان يتسلسل) فيصير الشكر محالا (قلت التحقيق لمن بلغ مقام الفناء) عن نفسه والبقاء بربه (ان الشاكر) الذى (هو) الشكور (المشكور) وان المثنى هو المثنى عليه (ورد) فى الحديث المشهور (لا احصى ثناء عليك) اى لا اطيق الحمد والشكر على نعمك (انت كما اثنيت على نفسك) وحاصله ان الاعتراف بالعجز عن الشكر عين الشكر وانشد * العجز عن درك الادراك ادراك * كما حقق فى توحيد الذات حيث قال تعالى * ولا يحيطون به علما * وليس كمثله شئ * وقال على ما خطر ببالك فالله غير ذلك وقال الملائكة * سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا * ويوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا * وقيل فى معنى قول بعض السلف من عرف نفسه فقد عرف ربه اى من عرف نفسه بالعجز عرف ربه بالقدرة ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء وتوضيح السؤال والجواب ولو احتيج الى بعض الاطناب لانه من فصل الخطاب الذى هو لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب الالباب هو ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا من انواع الشكر على نعم الدنيا والاخرى هى نعمة اخرى من الله تعالى وبالشكر احرى اذ جوارحنا وقدرتنا وارادتنا وداعيتنا وسائر امورنا التى هى اسباب سكوننا وحركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمه فكيف نشكر نعمته بنعمته ولو اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا آخر له وركبناه او اعطانا مركوبا آخر لم يكن الثانى شكرا للاول منا بل كان الثانى يحتاج الى شكر آخر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدى الى ان يكون الشكر محالا فى حق الله تعالى

من هذين الوجهين والتبس ذلك فى الامرين وقد ورد به الشرع فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر خطر لداود وكذا لموسى عليهما السلام فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفى لفظ آخر وشكرى لك نعمة اخرى منك توجب الشكر على ذلك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى وفى خبر آخر اذا عرفت ان النعم منى رضيت بذلك منك شكرا والتحقيق فى مقام التوفيق على وجه التدقيق ان ههنا نظرين نظر بعين التوحيد المحض وهذا النظر يعرفك قطعا انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس فى الوجود غيره وان كل شئ هالك الا وجهه ومن هنا قول لبيد

* الا كل شئ ما خلا الله باطل *

وقول بعض ارباب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وقول بعض الابرار

* ليس فى الدار غيره ديار *

وذلك لان الغير هو الذى يتصور ان يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره لم يكن له وجود البتة وانما الوجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذى اذا قدر عدم غيره بقى موجودا فان كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا الواحد ولا يتصور ان يكون غير ذلك فاذا نظرت فى هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن هنا نظر حبيب بن ابى حبيب حيث قرأ * انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب * فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه اذا اثنى على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن هنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهنى حيث قرئ بين يديه * يحبهم ويحبونه * فقال لعمرى يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب نفسه اشار به الى ان المحب هو المحبوب وهذه رتبة عالية ومنزلة غالية لا تفهمها الامثال على حد عقلك فيقال ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنيعته فقد احب نفسه وكل ما فى الوجود سوى الله فهو تصنيفه وصنعته فان احبه فما احب الا نفسه واذا لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتحقيق التفريد ويعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اى فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير فى الكون الا الله وليس المعنى كما فهمه الوجودية من العينية لنص المعية كما بينه فى رسالة المرتبة الشهودية فى المنزلة الوجودية فهذا احد النظرين واما النظر الثانى فنظر من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فظن لنفسه وجودا مستقلا ولو عرف لعلم انه من حيث هو لا ثبات له ولا وجود له وانما وجوده من حيث اوجد

لامن حيث وجدوفرق بين الموجود و بين الموجد وليس فى الوجود الاموجود واحد وموجد فالموجودحق والموجد من حيث هوهو باطل والموجود قائم وقيوم والموجد هالك وفان فاذا كان كل من عليها فان فلايبقى الاوجه ربك ذوالجلال والاكرام ودرجات الموحدين متفاوته فى مقامات المجتهدين وقدجاء جميع الانبياء والمرسلين داعين الى التوحيد المحض وترجمته قول لا اله الاالله ومعناه ان لاترى الاالله الواحد القهار فالواصلون الى كمال التوحيدهم الاقلون والباقون وهم الاكثرون عن هذا المعنى غافلون كما قال تعالى * ومايؤمن اكثرهم بالله لا وهم مشركون * اذعبدة الاوثان قالوا * مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى * وكانوا داخلين فى اوائل التوحيد دخولا ضعيفا والمتوسطون وهم الكثيرون ففيهم من ينفتح بصيرته فى بعض الاحوال فتلوح لهم حقائق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لاتثبت وفيهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لايدوم والدوام فيه عزيز كما قيل

* لكل الى شأو العلا حركاته * ولكن عزيز فى الرجال ثباته *

ولما امر عليه السلام بطلب القرب بقوله سبحانه * واسجد واقترب * قال فى سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذبك منك لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله عليه السلام اعوذ بعفوك من عقابك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط وكأنه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففنى عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهى الصفات فقال اعوذ برضاك من سخطك ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد فاقترب ورقى من مقام مشاهدة الصفات الى مشاهدة الذات فقال اعوذبك منك فهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا به ومثنيا عليه ففنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا فى مقام انسه فاقترب فقال لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله لااحصى خبر عن فناء نفسه وخروجها عن مشاهدتها وقوله انت كما اثنيت على نفسك بيان انه هو المثنى وهو المثنى عليه وان الكل منه بدأ واليه يعود ولقد كان عليه السلام لايرقى من مرتبته الى الاخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى من الاولى كما قال انه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة حتى استغفر الله سبعين مرة وكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض فى مقام الوحدة ومشاهدة الكثرة هذا ومامن مقبول الاوهو مقود الى الجنة بسلاسل الاسباب من تسليط العلم والخوف عليه ومامن مخذول الاوهو مقود الى النار بسلاسل تسليط الغفلة والغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة قهرا والمجرمون يقادون الى النار قهرا ولاقاهر الاالله الواحد القهار ولاقادر الاالملك الجبار وهذا معنى قوله خلقت هؤلاء للجنة ولاابالى وخلقت هؤلاء للنار ولاابالى (واختلف فى وجوبه) اى الشكر

(فى المصائب والحق الوجوب) بناء على ستة اشياء (على ان لا يصيب اكبر منها) اى من تلك المصيبة التى اصابته اذ مقدورات الله لا تتناهى فلوضعفها الله وزادها ماذاكان يردها عماارادها وكان يقول شيخنا العالم التقى على المتقى اذااخذ عمامتك فتصدق بالحلاوة بسلامة رأسك فالمصيبة المالية اهون من المصيبة البدنية (وان لاتكون) المصيبة (فى الدين) فقد قال رجل لسهل دخل اللص بيتى واخذ متاعى فقال له اشكرالله تعالى لودخل الشيطان قلبك وافسد التوحيد ماذا كنت تصنع وقد ورد فى دعائه عليه السلام لاتجعل مصيبتنا فى ديننا وقال عمر رضى الله عنه ماابتليت ببلاء الاكان لله على فيه اربع نعم اذلم تكن فى دينى ولم تكن اعظم منها واذلم احرم الرضاء واذرجوت الثواب عليها (وان تعجل عقوبتها) بصيغة المجهول اى عقوبة المعصية فى الدنيا (ولاتدخر للآخرة) فلعذاب الآخرة اشد وابقى اذ مصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم تدم فلاسبيل الى تخفيفها بالتسلى اذ اسباب التسلى مقطوعة بالكلية فى الآخرة عن المعذبين وايضا مامن عقوبة الاوكان يتصور ان تؤخر الى الآخرة ومن تعجلت عقوبته فى الدنيا فلايعاقب ثانية فى العقبى لقوله عليه السلام اذا اذنب ذنبا فاصابته شدة او بلاء فى الدنيا فالله اكرم ان يعذبه ثانيا فى العقبى كذا فى الاحياء وقال مخرجه رواه الترمذى وابن ماجه من حديث على من اصاب فى الدنيا ذنبا عوقب به فالله اعدل من ان يثنى عقوبته على عبده ولاحمد والطبرانى باسناد صحيح من رواية الحسن البصرى عن عبدالله بن مغفل ان رجلا من الصحابة رأى امرأة كان يعرفها فى الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشى فصدمه حائط فاثر فى وجهه فاتى النبى عليه السلام فاخبره فقال عليه السلام اذااراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته فى الدنيا وقال على كرم الله وجهه الا اخبركم بارجى آية فى كتاب الله قالوا بلى فقرأ عليهم * وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفو عن كثير ولله در القائل (شعر)

* لعمرك ما كالشكر داع زيادة * ولاعوضا كالصبر عند المصائب *

(وانها) اى ولان المصيبة الماحية (كانت) فى التقدير (آتية) لابد من وصولها اليه وقد وصلت (ففرغ منها) و تخلص عنها فهى نعمة بذاتها كما يشير اليه قوله تعالى * ما اصاب من مصيبة فى الارض ولافى انفسكم الافى كتاب من قبل ان نبرأها * (وان ثوابها) اى المصيبة (خير منها) اى من عدمها فما من شئ يقع للعبد الاويتصور ان يكون له فيه ذخيرة دينية فعليه ان يحسن الظن بالله فيما يعطيه ويبليه فان حكمته تعالى واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلاء اذا رأوا ثواب البلاء ويتمنى انه كان يقرض ابدانه فى الضراء فقدروى

ان رجلا قال له عليه السلام اوصنى فقال لا تتهم الله فى شئ قضاه عليك رواه احمد والطبرانى من حديث عبادة وقال عليه السلام عجبا لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر وكان خيرا له رواه مسلم (وانها) اى ولان المصيبة (تنقص من القلب حب الدنيا) فلم يسكن اليها ولم يأنس بها فقد ورد الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر رواه مسلم من حديث ابى هريرة (فهى) اى المصائب (فى التحقيق نعم) يجب لاهل التوفيق الشكر عليها (اذ لا تخلو) المصيبة (عن تكفير للخطيئة) ان كان من المبتدئين (او رياضة للنفس) لما فيها من المحنة والبلية ان كان من المتوسطين (او رفع للدرجة) ان كان من المنتهين والاخبار الواردة فى الصبر على المصائب كثيرة شهيرة كقوله عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه رواه البخارى من حديث ابى هريرة ولابن ابى الدنيا من حديث ابى سعيد الخدرى ان رجلا قال يارسول الله ذهب مالى وسقم جسدى فقال لا خير فى عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه واذا ابتلاه صبره ولابى داود ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك (وقراءة سورة الواقعة) مبتدأ و(فى ايام العسرة) ظرفه والخبر (اطلب القناعة) اى قناعة القلب وهو ان لا يشغله شاغل عن حضرت الرب وهو جواب سؤال مقدر تقديره انكم اوصيتم الشكر على المصيبة واثبتم انها فى التحقيق من النعمة فقراءة السلف سورة الواقعة كل ليلة فى ايام العسرة لاى معنى كانت فاجاب بما تقدم وقد اخرج ابن عساكر فى فضائل القرآن وابو يعلى وابن مردويه فى تفسيره والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه الفاقة واخرج ابن مردويه عن انس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال سورة الواقعة سورة الغنى فاقرؤها وعلموها اولادكم (او العدة) اى الاستعداد (على العبادة دون وسعة الدنيا) لان السلف لم يكونوا محبين لوسعتها (وانما قرئت) السورة (لما ورد فيها) اى فى فضلها (من الاخبار والآثار) كما سبق (والا) اى وان لم يحمل على ما تقدم (فلا مبالاة بحمده تعالى) للسلف (بالشدة) اى بالبلاء والمحنة (فهم) اى السلف (كانوا يغتنمونها) اى الشدة والبلاء اكثر مما كانوا يغتنمون الراحة والنعماء (واما نداء ايوب عليه السلام) ربه انى مسنى الضر (فلبيان الشكر) واظهاره (على نعمة الصبر) لقوله تعالى * واما بنعمة ربك فحدث (وجزيل جزائه) اى وعلى عظيم جزاء الصبر وعطائه (لقرينة * وانت ارحم الراحمين) وذلك لان الله تعالى سلط بعض بلائه على خاصة عباده وخلاصة اصفيائه فهو فضل من الله ومن جملة عطائه فشكر عليه وتبجح لديه

واشار اليه بقوله مسنى الضر الذى تخص به انبياءك واولياءك بلا استحقاق منى بل بكرم منك فانك ارحم الراحمين (او لبلوغ المرض الى العقل) اى القلب (واللسان المفوت) ذلك المرض (للمعرفة) بالجنان (والذكر) باللسان (او العجز عن اقامة الصلوة) بتمام اركانها (او لانقطاع الوحى اربعين يوما) ومقام الفترة فى غاية من العسرة حتى كاد نبينا عليه السلام ان يرمى نفسه عن الصخرة ولذا قيل الحجاب اشد العذاب (وانما ورد الامر بسؤال العافية) فى الاحاديث الثابتة الوافية كما رواه الترمذى من قوله عليه السلام ما سئل الله شيئا احب اليه من ان يسأل العافية ولابن ماجه عن انس مرفوعا سل ربك العافية والمعافاة فى الدنيا والآخرة فاذا اعطيت العافية فى الدنيا واعطيتها فى الآخرة فقد افلحت ولاحمد والترمذى عن ابى بكر سلوا الله العفو والعافية فان احدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية (والنهى عن سؤال البلية) فقد مر عليه السلام بقوم مبتلين فقال اما هؤلاء كانوا يسألون الله العافية رواه الترمذى وقال على رضى الله عنه اللهم انى اسئلك الصبر فقال عليه السلام لقد سألت الله البلاء فسله العافية رواه الترمذى ولابن ماجه والنسائى باسناد جيد عن ابى بكر الصديق انه عليه السلام قال سلوا الله العافية فما اعطى عبدا فضل من العافية الا اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب اعلى من عافية القالب (لان الاولى سؤال تمام النعمة فى الدنيا) فان تمامها بعافية البدن فيها (وثواب الشكر) اى وسؤال ثوابه على نعمة رفع البلاء (فى الآخرة لقدرته تعالى على ان يعطى الاجر الجزيل على الشكر) على نعمة رفع البلاء (ما يعطى على الصبر) على محنة البلاء ومن هنا قال عليه السلام ولكن عافيتك اوسع كما رواه ابن ابى الدنيا وغيره فى اثناء دعائه يوم خرج الى الطائف وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الى من ان ابتلى فاصبر (واما) ما يرد على قوله والنهى عن سؤال البلية (مثل) قول سمنون المحب (شعر)

(* فليس لى فى سواك حظ * فكيف ما شئت فاختبرنى *) (وقول آخر) (شعر)

(* اريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما اريد لما يريد *)

(فكلام العشاق فى حالة الغلبة) من الاشواق (وهو) اى مثل هذا الكلام حين يجرى (يطوى ولا يروى) لان صاحب الحال لا يقتدى ومن اللطائف ما حكى ان فاختة كانت يراودها زوجها فتمنعه فقال ما الذى يمنعك عنى ولو اردت ان اقلب لك ملك سليمان ظهر البطن لفعلت لاجلك فسمعه سليمان فاستدعاه وعاتبه على ما جرى فقال يانبى الله كلام العشاق يسمع ولا يحكى ثم اعلم انه حكى ان سمنون بلى بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور على ابواب الكتاب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب ومن هذا القبيل ما قال بعضهم اود ان اكون جسرا

على النار يعبر على الخلق كلهم فيجون و ا ون انا فى النار لان محبة الانسان ليكون هوفى النار دون سائر الخلق غير ممكن ولكن قد تغلب المحبة على القلب حتى يظن بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فيما ذكر فلوزايله سكره علم ان ماغلب عليه كان حالة لاحقيقة لهـا فاغا يسر الدعوى وماعسر المعنى واما قول الشاعر اريد وصاله البيت فهو ايضا محال اذمعناه انى اريد مالااريد لان من اراد الوصال ماارادالهجر فكيف اراد الهجر الذى لم يرده كذا قرره الامام حجة الاسـلام ولايبعد ان يقال فى البيت الثانى انه اراد ان لايكون له ارادة بدون ارادةالله وان تكون ارادته تابعة لارادته سبحانه سواء يكون وصـلا اوهجرا قربا اوبعدا كما يشير اليه قوله تعالى * وماتشاؤن الاان يشاءالله * وقول السلف ماشاءالله كان ومالم يشأ لم يكن وفى هذا المقام قال ابويزيد البسطامى لما قيل له ماتريد اريد ان لااريد غايته انه قال صاحب منازل السائرين هذه ايضا ارادة ونوقش بان هذه ارادة مطاوبه وبانها داخـلة فى قوله لااريد والحاصـل انه من باب كمال الرضاء بالقضاء واما البيت الآخر فلانه يدعى ان يصل السالك الى مقام ليس له فيه حظ ولذة سوى ذكر المحبوب وفكره وقربه ولعل وجه الابتلاء انه كان فيه بقية حظ اوشطية لذة ولوكان فى ضمن الدعوى لهذه الحالة التى اظهرها بتلك المقالة (وفى) اى واختلف ايضا فى (ان الشاكر) الغنى (افضل ام الصابر) الفقير واما الفقير الشاكر فهو افضل من الغنى الشاكر اتفاقا فقدقال قائلون الصبر افضل من الشكر وقال آخرون الشكر افضل من الصبر وقال جماعة هما سيان لقوله عليه السلام الصـبر نصف الايمان وهو استدلال ضعيف اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الآخر كما يقال ان الايمان علم وعمل وهما لايستويان اذ العلم خير من العمل وقال طائفة يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير منهما واختاره الجلال السيوطى والصوفية اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من الغنى الشاكر بل قال بعضهم ان الفقـير الشاكى افضل من الغنى الشاكر ولما سئل الجنيد عن الصبر والشكر ايهما افضل قال ليس مدح الغنى بالوجود ولامدح الفقـير بالعدم وانما المدح فى الاثنين قيامهما بشروط ماعليهما فشرط الغنى ان يصحبه فيما عليه اشياء تلائم صفته و تمتعها و تلذذها والفقير ان يصحبه فيما عليه اشياء تألم صفته و انقباضها وانزعاجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عزوجل بشروط ماعليهما كان الذى آلم صفته وازعجها اتم حالا ممن متع صفتـه ونعمها و يقـال كان ابو العباس بن عطاء قد خالفه فى ذلك فقال الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه مااصابه من البلاء من قبل اولاده وتلف امواله وزوال عقـله اربع عشرة سنة و يقول دعوة الجنيد اصابتنى ورجع الى تفضيل الفقـير الصابر على الغنى الشاكر هذا والشاكر الذى يشكر على الموجود والشكور الذى

يشكر على المعبود ومن هنا قوله سبحانه * وقليل من عبادى الشكور * انه كان عبدا شكورا * وقوله عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا واما الشكور من اسمائه عزوجل فهو الذى يعطى الاجر الجزيل على الامر القليل (والحق) فى المسألة (انه) اى الشان (ان اريد) بالصبر (ماكان) من الصبر (بتلذذ فلاتعدد) كما سبق بيانه ان الصبر حينئذ هو الشكر (وهو) اى الصبر المطلق من غير التلذذ الملحق (على البلاء خير منه على الرخاء) كما مر فى كلام الجنيد من طريق الايماء (وهو) اى وهذا الصبر هو (المراد بماورد من افضل مااوتيتم اليقين وعزيمة الصبر) وقد تقدم (يؤتى يوم القيمة باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء الشاكرين و يؤتى باصبر اهل الارض فيقال له أترضى ان يجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله عزوعلا انعمت عليه) وفى نسخة الاحياء كلما انعمت عليه (فشكروابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر) كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اجدله اصـلا لكن معناه صحيح مستفاد من قوله تعالى * انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وروى يؤتى باهل البلاء فلاينصب لهم ميزان ولاينشر لهم ديوان و يصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافيـة فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهـل البلاء من الفضل كذا فى تفسـير البغوى (والا) اى وان لم يرد بالصبر ماكان بتلذذ (فالشكر) الذى يتضمن ركنيه وهما الامتناع عن المعصية وصرف النعمة الى الطاعة افضل من الصبر (لابتنائه) اى الشكر هذا (على المحبة وهى) اى المحبة (اعلى المقامات) وحاصله ان لافرق بين الصبر مع التلذذ والشكر التام ثم الصبر بغير التلذذ خـير من الشكر الذى غير تام والشكر التام خير من الصبر بغير التلذذ و اما قو له عليه السلام الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر كما ذكره الترمذى من حديث ابى هريرة فهو دليل عـلى فضيلة الصبر حيث الحق به الشكر ومن المعلوم ان المشبه به ينبغى ان يكون اعـلى رتبة فى القدر ومما يدل على فضيـلة الفقر مارواه الطبرانى فى الاوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الانبياء كلهم قبل داود وسليمن عليهما السلام الجنة باربعين عاما وروى البزار من حديث انس آخر من يدخل الجنة من اغنياء امتى عبد الرحمن بن عوف

(الباب الثامن عشر فى الخوف والرجاء)

وهما جناحان للسالك يطير بهما الى كل مقام محمود وعطيتان بهما يقطع كل عقبة كؤود فلايقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الارجاء الاازمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم الاسياط التخويف وسطوات التعنيف وقددخل عليه السلام على رجل وهو فى النزع فقال عليه السلام كيف تجدك فقال اجدنى اخاف ذنوبى وارجو رحمة ربى فقال عليه السلام مااجتمعا فى قلب

عبد فى هذا الموطن الا اعطاه الله مارجاه وامنه مما يخاف رواه الترمذى وغيره باسناد جيد ومن هنا قال تعالى * نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم * ليكونوا بين الرجاء والخوف وفى تقديم الرجاء ايماء الى ان الوصول به ارجى كما لا يخفى وكذا قوله تعالى * وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب * فكان حق المصنف ان يقدم الرجاء وانما اخره كما فى الاحياء لان الخوف حال اهل الابتداء بخلاف الرجاء فانه مقام اهل الانتهاء ومما يدل على استواء الامرين حديث القلوب بين اصبعين ومما يدل على ترجيح الرجاء حديث غلبت رحمتى غضبى وفى الجملة لا بد للمؤمن من اجتماعهما وعدم انفكاك احدهما فلابن حبان فى صحيحه والبيهقى فى شعبه وابن المبارك فى زهده من رواية الحسن مرسلا لا اجمع على عبدى خوفين ولا اجمع له امنين (بسم الله الرحمن الرحيم) رجاء كل خائف من العذاب الاليم (الخوف) للسائرين (والرجاء) للطائرين فى منازل السالكين (خاطران) عاطران وفى اصلهما عارضان وهما من جملة مقامات المريدين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا ثبت واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا يوشك زوالا فالذى هو غير ثابت يسمى حالا لانه يحول عن القلب على القرب وهو جار فى كل وصف من اوصاف القلب لتقلبه بتقليب الرب ثم اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه من الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له والحب يغلب بالرجاء واعتبر ذلك بملك له عبدان يخدم احدهما خوفا من عقابه والآخر رجاء ثوابه واذا كان الخوف والرجاء خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اقتدار عليهما (فلا تكليف الا فى مقدماتهما) وهى ذكر الآيات والاحاديث التى تبعث الانسان على الخوف والرجاء فمقدمات الخوف اربع ذكر الذنوب السابقة وذكر شدة العقوبة التى لا طاقة للانسان بها فى العاقبة وذكر ضعف النفس عن احتمالها وذكر قدرة الله على الانسان متى شاء وكيف شاء فى احوالها ومقدمات الرجاء اربع ايضا ذكر سوابق الفضل اليك من غير العمل وذكر ماورد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته فى بابه دون استحقاقك اياه بالخدمة فى جنابه وذكر كثرة نعمه عليك دنيا واخرى وذكر سعة رحمته تعالى وسبقها على غضبه فهو بالرجاء اولى واحرى ثم هما (مبنيان على انتظار ما يستقبل) من الثواب والعقاب فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والرجاء فرح يلحق لتوقع المحبوب (فالمستغرق بذكره تعالى ابن الوقت) بل ابو الوقت فانه الغالب عليه وانما غيره فهو ابن الوقت لانه الحاكم لديه والحاصل انه مشتغل بما هو اولى فى الوقت قائم بما هو مطالب فيه حذرا عن المقت (فيعدمهما) اى الخوف والرجاء وفى نسخة فيفقدهما (فالرجاء الفرح لانتظار محبوب فلا بد من سبب) وباعث لتحقق انتظار المطلوب (فان حصل اكثر الاسباب) اى اسباب

حصوله لديه (فلا اصدق اسم الرجاء) ووصوله عليه (كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا) نقيا غير عفن ولا مسوس (فى ارض صالحة) للزراعة بان يكون غير سبخة (يصلها الماء) على سعة (وان فقد) اكثر الاسباب (فالغرور والحماقة) اصدق عليه من اسم الرجاء لصاحبه فى هذا الباب (كما لو القى بذرا) تالفا (فى غير صالحة) من ارض (لا يصلها الماء) الامرة (وان شك فيها) اى فى كثرة الاسباب للحصاد بان حصل بعضها دون بعضها (فالتمنى) اصدق عليه من اسم الرجاء (كما اذا اصلحت الارض) مع القاء البذر الجيد (ولا ماء) لاحتمال وصول ماء من السماء وتوضيحه ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتنظيفها وحفر الانهار ونحوها والقلب المولع بالدنيا ومتاعها المستغرق لحبها وذكرها كالارض السبخة التى لا ينمو البذر فيها ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا مازرع ولا ينمو زرع الا من بذر الايمان وقل ماينفع الايمان مع خبث الجنان وسوء الاخلاق ومساوى العصيان فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ماليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله بصرف القواطع والمفاسد والموانع فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الممات وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة الكاملة الشاملة كان انتظاره رجاء حقيقيا وان قطع عن بذر الايمان ماء الطاعات وترك القلب مشحونا بالاخلاق السيئات وانهمك فى طلب اللذات والشهوات واللهوات ثم انتظر المغفرة وعلو الدرجات فانتظاره حمق وغرور فى الحالات (فورد ان الذين آمنوا والذين هاجروا) السيئات واللذات (وجاهدوا فى سبيل الله) بتكثير الطاعات (اولئك يرجون رحمت الله) اى هم الذين يستحقون ان يرجوا رحمة ربهم بخلاف من ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم على التوبة والرجوع اليه فرجاؤه المغفرة حمق وغرور كما قيل الغرة بالله ان يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى مغفرته عز وعلا (وكما ورد الاحمق من اتبع نفسه هواها) وتابعها فى طلب مشتهاها (وتمنى على الله) ان يدخل الجنة وماويها والحديث تقدم وقال يحيى بن معاذ الرازى من اعظم الاغترار عندى التمادى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله عز وجل من غير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصى وانتظار الجزاء من غير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الافراط فى الامل وانشد

(شعر)

* مابال دينك ترضى ان تدنسه * وثوبك الدهر مغسول من الدنس *

* ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لاتجرى على اليبس *
وقد ورد ان زيدا الخيل الذى غيره عليه السلام وسماه زيد الخير جاءه عليه السلام
وقال جئت لاسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لايريد فقال كيف اصبحت
قال اصبحت احب الخير واهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا
فاتنى شئ منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو هيأ للاخرى
هيأك بهائم لايبالى فى اى اوديتها هلكت رواه الطبرانى فى الكبير من حديث ابن مسعود
فمن ارتجى ان يكون مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور فى وادى الملامات
وعن على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة تبتل من الشهوات ومن اشفق
من النار رجع عن المحرمات (اما حسن الظن) بالله حيث يقول انا عند ظن عبدى بى
كما رواه الشيخان وزاد ابن حبان فليظن بى ماشاء وعنه عليه السلام لايموتن احدكم
الا وهو يحسن الظن بالله كما رواه مسلم من حديث جابر انما يكون (بالحذر عن المعصية
والاجتهاد فى الطاعة فلا بد منه للسالك) اى من حسن الظن وغلبة الرجاء (فهو
يبعث على الطاعة) وترك المعصية (و يهون احتمال المشقة) فى ورود المصيبة
والمحنة (والقنوط) وهو ضد الرجاء (كفر) قال تعالى * لاتقنطوا من رحمة الله
وقال * ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون * وهو بمعنى اليأس (وورد) فى التنزيل
(لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون) وورد انه عليه السلام قال لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم
وتجأرون الى ربكم فهبط جبريل فقال ان ربك عز وجل يقول لم تقنط عبادى
فخرج اليهم فرجاهم وشوقهم رواه ابن حبان فى صحيحه من حديث ابى هريرة
واوله متفق عليه من حديث انس وقال على كرم الله وجهه لرجل اخرجه
الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه ياهذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وعنه
رضى الله عنه انما العالم الذى لايقنط الناس من رحمة الله ولايؤمنهم من مكر الله
وللبيهقى فى الشعب عن زيد بن اسلم ان رجلا من بنى اسرائيل كان يقنط الناس
ويشدد عليهم قال فيقول الله تعالى له يوم القيمة اليوم اؤيسك من رحمتى كما كنت
تقنط عبادى منها وفى الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام احبنى واحب
من يحبنى وحببنى الى خلقى فقال يارب كيف احببك الى خلقك فقال اذكرنى بالحسن
الجميل واذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لايعرفون منى الا الجميل ولابن
ابى الدنيا والبيهقى فى شعبه من حديث انس مرفوعا ان رجلا يدخل النار فيمكث
فيها الف سنة ينادى ياحنان يامنان فيقول الله لجبريل اذهب فأتنى بعبدى قال
فيجئ به فيوقفه على ربه فيقول له كيف وجدت مكانك قال فيقول شر مكان فيقول
بما قدمت يداك وما انا بظلام للعبيد ردوه الى مكانه قال فيمشى فيلتفت الى ورائه

فيقول الله عز وجل الى اى شئ تلتفت فيقول رجوت ان لاتعيدنى اليها بعد
ان اخرجتنى منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة فدل هذا على ان رجاءه انجاه
والطريق) الموصل الى تحصيل الرجاء ذكر ستة اشياء (ذكر سوابق فضله) فى ايجاد العبد
وامداده من جوده وكرمه (دون شفيع) اى بلا شفيع من عنده (وما وعد الله من جزيل
ثوابه) فى كتابه (دون استحقاق) سابق فى بابه معانه لا استحقاق للمملوك على المالك
بشئ من حسابه (وما انعم) على عبده من الرزق والعافية وتوفيق الطاعة (بما يعد
نفعه (فى الدارين) من عنده (دون سؤال) اى غير مسألة سابقة من عبده (وسعة
الرحمة) قال تعالى * ورحمتى وسعت كل شئ * وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة
لو علم الكافر سعة رحمة الله ما ايس من جنته احد (وسبقها الغضب فورد رحمتى
سبقت غضبى) وفى رواية غلبت وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة ان الله كتب
على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتى تغلب غضبى (وما ورد فيه) اى فى فضل
الرجاء من الكتاب والسنة (مثل لاتقنطوا من رحمة الله الآية) اى * ان الله يغفر
الذنوب جميعا * وفى قرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايبالى كما رواه الترمذى
من حديث اسما بنت ابى يزيد وحسنه (انا عند ظن عبدى بى) كما تقدم والله اعلم
وكان ابو جعفر محمد بن على يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى آية فى كتاب الله
عز وجل * قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله * الآية
ونحن اهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله * ولسوف يعطيك ربك فترضى * انتهى
وذلك لما ذكر فى تفسيره انه عليه السلام قال لايرضى محمد واحد من امته فى النار اى
مؤبدا وكان بعض العارفين يرى آية المداينة فى سورة البقرة من اقوى اسباب الرجاء
فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل
والدين من رزقه قليل فانظر كيف انزل الله فيه اطول آية ليهتدى بها عبده الى
طريق الاحتياط فى حفظ دينه فكيف لايحفظ دينه الذى لاعوض له منه
فى دنياه وعقباه وروى فى تفسير قوله تعالى * يوم لايخزى الله النبى والذين
آمنوا معه * ان الله اوحى الى نبيه عليه السلام انى اجعل حساب امتك اليك فقال
لايارب انت خير لهم منى فقال اذن لااخزيك فيهم رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب
حسن الظن بالله تعالى وللبيهقى فى شعبه من رواية عتبة بن الوليد ان الخليل قال
يوما ياكريم العفو فقال جبريل اتدرى ماتفسير ياكريم العفو هو ان يعفو عن السيئات
برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه ولابن ابى الدنيا من حديث حذيفة مرفوعا ليغفرن الله
تعالى يوم القيمة مغفرة ماخطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء
ان تصيبه وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة ان لله تعالى مائة رحمة ادخر منها
عنده تسعة وتسعين رحمة واظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة يتراحم الخلق بها

فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيمة ضم هذه الرحمة الى التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك وللترمذى من حديث انس وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتى لاهل الكبائر من امتى وقال الثورى ما احب ان يجعل حسابى الى ابوى لانى اعلم ان الله تعالى ارحم بى منهما وقال ابن ادهم خلا لى المطاف ليلة وكانت ليلة ممطرة مظلمة فوقفت فى الملتزم عند الباب فقلت يارب اعصمنى حتى لا اعصيك ابدا فهتف هاتف من البيت يا ابراهيم انت تسألنى العصمة وكل عبادى المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر ويؤيده حديث لولم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بخلق آخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم رواه مسلم من حديث ابى هريرة وكان الحسن يقول لولم يذنب المؤمن لكان يطير فى الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب ويؤيده حديث لولم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب فقيل ما هو قال العجب رواه البزار وابن حبان والبيهقى من حديث انس وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين بالمحسنين ويؤيده قوله تعالى * ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين * وقال يحيى بن معاذ فى مناجاته يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الاعمال لانى اعتمد فى الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالآفة معروف واجدنى فى الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وكان بعض السلف يقول فى دعائه يارب واى اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمك عليهم سابغة وارزاقك عليهم دارة سائغة سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى لكأنك ياربنا انما تطاع وسبحانك ما اجلك تعصى وتدر الرزق وتسبغ النعمة حتى لكأنك ياربنا لا تغضب (والخوف) عطف على الرجاء (وهو الحزن لانتظار مكروه) وهو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال واما من انس بالله فى جميع الاحوال وملك الحق قلبه على وجه النظام وصار ابن وقته ومشاهد الجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى المستقبل من الايام فلم يبق له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج الى رعوناتها ولهذا اشار الواسطى حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة الرجاء والخوف فى الضمائر ويؤيده ظاهر قوله تعالى * الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * وهذا بالنسبة الى الخواص الكرام واما بالنسبة الى الصلحاء من العوام فمعناه لا خوف عليهم بلحوق العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب فى العقبى وبالجملة فالمحب اذا شغل قلبه فى مشاهدة محبوبه بخوف فراقه كان ذلك نقصانا فى شهوده وانما دوام الشهود غاية المقامات ونهاية الدرجات لكن الكلام

الآن فى اوائل الحالات فنقول الخوف له اسباب ينشأ منها ويصدر عنها كما قال (فاما من العلم بعدم مبالاته تعالى) فانه عز وجل لا يسأل عما يفعل ومن عزته فى صفاته انه لو اهلك العالمين لم يبال من احد ولم يمنعه مانع لوحدة ذاته (فورد) فى حديث مشهور ان الله تعالى لما خلق آدم مسح على ظهره فاستخرج منه ذريته فقبض قبضة فقال (هؤلاء فى الجنة ولا ابالى و) قبض اخرى فقال (هؤلاء فى النار ولا ابالى) اى لا ابالى (من ملامة احد) اذ لا يجب على الله شئ لا من اثابة المطيع ولا من تعذيب العاصى (او من الطاعة والمعصية) اى او المعنى لا ابالى من طاعة مطيع ولا من معصية عاص فانه كما ورد لو عذب اهل سمواته وارضه لكان عادلا فى حكمه غير ظالم فى امره (او) لا ابالى (لعدم تأثير الاثابة والتعذيب فى زيادة ملكى ونقصانه) كما فى حديث مسلم عن ابى ذر مرفوعا حكاية عن الله سبحانه ياعبادى انكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى ياعبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ياعبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا (او) لا ابالى (لانى متصرف فى ملكى) افعل ما اشاء واحكم ما اريد بالعدل (او) لانى (متفضل غير مائل) فى ادخال الجنة (عادل غير جائر) فى ادخال النار لما تقدم (او الجهل) اى او الخوف هو الحزن للجهل (بالخاتمة وهو) اى خوف الخاتمة (للمتقى اغلب) لانه بحسب معرفته بعيوب نفسه وبعظمة جلال الله وقدسه فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذا قال عليه السلام والله انى لاخشاكم لله واتقاكم له رواه البخارى من حديث انس وللشيخين من حديث عائشة والله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وقد قال تعالى * انما يخشى الله من عباده العلماء (والاعلى) من انواع المخافة وادلها على كمال المعرفة ان يكون الخوف (من سابقة الازل) لان الخاتمة اللاحقة تتبع المقدمة السابقة فالخاتمة فى هذا الباب يظهر بما سبق به القضاء فى ام الكتاب فالالتفات الى القضاء الازلى الذى جرى بتوفيقه القلم اعلى من الالتفات الى ما يظهر فى الابد بعد ما كان فى حيز العدم واليه اشار صلى الله عليه وسلم حيث قال على المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والاعمال بالخواتيم رواه الترمذى من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب وفى رواية السعيد من سعد فى بطن امه

والشقى من شقى فى بطن امه رواه البزار وغيره بسند حسن ومن هنا خوف الكاملين حيث لم يعرفوا انهم من اى القبضتين ومن اى الفريقين المذكورين فى قوله تعالى * فريق فى الجنة وفريق فى السعير * وفى قوله عز وعلا * فمنهم شقى وسعيد * وقوله عز وجل * فمنكم كافر ومنكم مؤمن * وقوله سبحانه * اما شاكرا واما كفورا * (واما) بالكسر عطف على قوله اما من العلم الخ والمعنى ان الحزن لانتظار مكروه امامن جهة المعرفة بصفة الله تعالى وعزته وجلاله فى مرتبة عظمته واما (من المعاصى) اى من جهة كثرة المعصية الصادرة عن العبد فى حال غفلته وغرته (ويختص) الخوف من المعصية (بموضع الغرور عند المواظبة على الطاعة بخلاف الاول) اى يختص هذا الخوف ويتميز من الخوف الاول وهو عدم المبالاة بان يغتر بمواظبته على الطاعة فيعلم ان هذا كان من المعاصى لامن عدم المبالاة لان خوف عدم المبالاة لايزول قط وخوف الثانى يزول عند المواظبة على الطاعة وتوضيحه ان هذا انقسام الخائفين الى من يخاف من معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لعظمته وجلاله فهذا اعلى رتبة واعلى منزلة ولذا يبقى خوفه وان كان فى طاعة الصديقين واما الآخر فهو فى عرضة الغرور والامن ان واظب على الطاعات وداوم على العبادات فالخوف من المعصية خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ماهو جدير بان يخاف من غير جنايته بل العاصى لو عرف الله حق معرفته لخاف الله ولم يخف من معصيته اذ لولا انه مخوف فى نفسه لما سخره للمعصية ويسر له سبيل بابها ومهد له تمام اسبابها فان تيسير اسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها ان يسخر للمعصية او تجرى عليه اسبابها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من تيسرت له الطاعات وتمهدت له سبل القربات فالعاصى قد قضى عليه بالمعصية شاء ام ابى فكذا المطيع حسب ماقدره الله وقضى فالذى رفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ووضع اباجهل فى اسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل شهوده جدير بان يخاف منه لصفة جلاله فان من اطاع الله اطاع بان سلط عليه ارادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا والذى عصى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة وآتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعرى ما الذى اوجب اكرام هذا وتخصيصه بتسليط ارادة الطاعات عليه وما الذى اوجب اهانة الآخر وتبعيده بتسليط دواعى المعصية لديه وكيف يحال ذلك على العبد وينسب اليه واذا كانت الحوالة ترجع الى القضاء الازلى من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما شاء ويحكم بما يريد حزم عند كل مريد طالب للمزيد (ثم) الخوف

عند سكرات الموت وشدته ومابعده (امامن السؤال) فى القبر من منكر ونكير اوعند الموقف من نقير وقطمير (اوالعذاب) فى القبر اومن هول المطلع اوهيبة الموقف والحياء من كشف الستر اومن مزلة الصراط اوحدته وكيفية العبور عليه باختلاف الاحوال اوالعذاب فى النار ومافيها من الاغلال والانكال والاهوال (اوفوت الجنة) دار النعيم والملك المقيم (ونحوها) من نقصان الدرجات وخوف حجاب الذات واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب فانه اشد العذاب عند ارباب الالباب وهو خوف العارفين وماقبل ذلك هو خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم يكمل معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق فاذا ذكر له ان العارف لايخاف النار وانما يخاف الحجاب فى دار القرار وجد ذلك منكرا فى باطنه وتعجب منه فى نفسه قال ذوالنون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت فى بحر لجى (ويختلف الآثار) للخوف بحسب اختلاف انواعه فى الاسرار (فمن خاف استيلاء العادة) فى اتباع الشهوات المألوفة بالارادة (واظب على تركها) ودوام على خلافها (ومن خاف اطلاعه تعالى) على السرائر (اشتغل بتنقية السر وتطهير القلب من الوساوس فى الضمائر (فاعتبر) وقس على هذا مخاوف اخروهى من خاف اغتراره بزخارف الدنيا زهد فيها ومن خاف هجوم الموت قبل التوبة بادر اليها (ويؤثر) الخوف (فى البدن بالهزالة) اى النحول باذابة اللحم والشحم (والصفرة) باللون المصحوب بالكدرة (والضعف) فى القوى (والبكاء) الصادر من الخشية (واذا كمل) الخوف (يؤدى الى الجنون) بان يصعد الى الدماغ فيفسد العقل (و) يقوى فيورث القنوط واليأس او يفضى الى (الموت) بان تنشق به المرارة (وهو) اى الموت من خوف الله (شهادة لكن الافضل من عاش وجاهد) لقوله عليه السلام طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وقد تقدم واعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لاينالها اومات فى ذلك الوقت لابسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة فاما بالاضافة الى بقائه وطول عمره فى طاعة الله وسلوك سبيل امره فليس بفضيلة بل للسالك لطريق الفكر والمشاهدة والترقى فى درجات المجاهدة فى كل لحظة رتبة شهيد ولذا ورد يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء ولولا هذا لكان رتبة صبى يقتل اومجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبى اومنزلة ولى يموت حتف انفه وهو محال والحاصل ان اقصى درجات الخوف ان يسلب الظاهر والباطن عماسوى الله حتى لايبقى فيه متسع لغير الله وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل والصحة فهو مرض يجب عليه علاجه ان كان قدرة لديه ولذا كان سهل يقول للمريدين الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولى ناقص العقل ويؤيده ما اشتهر فى لسان العامة

ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه وكذا يؤثر الخوف فى الجوارح فيكفها عن السيئات و يقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط فى الماضى واستعدادا للمستقبل ولذا قيل ليس الخائف من يبكى ويمسح عينيه بل الخائف من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقيل لذى النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه منزلة السقيم الذى يحتمى مخافة طول السقام (ومن غلب عليه) خوف الله (خافه كل شئ) مما سواه ولابى الشيخ ابن حبان وابن ابى الدنيا حديث من خاف الله خافه كل شئ (كما كان) هذا المقام المعمر (لعمر رضى الله عنه فورد ان الشيطان ليفر من ظل عمر) كما مر وكذا يؤثر فى الصفات بان يقمع الشهوات و يكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف ان سما فيه (والاعلى) فى مراتب الخوف (ان يدهشه) الخوف ويذهله (عن الاشياء) اى رؤيتها و يغفله عما يجرى على الاعضاء من حركتها (فلم تؤثر) الاشياء (فيه) اى فى الخائف (الغيبة عنها) اى لغيبة الخائف عن الاشياء والغفلة عنها (كما كان له عليه السلام حيث قصده الشيطان وهو فى الصلوة فاحترق) اى الشيطان فاذا كان الامر كذلك (فلابد) للسالك (منه) اى من الخوف هنالك (فهو) اى الخوف (يزجر النفس) و يمنعها (عن المعصية) وارتكابها (و ينفى العجب) ويدفعه (عن الطاعة) واكتسابها فاقل درجات الخوف مما يظهر اثره فى الاعمال المورثة للاحوال ان يمتنع من المحظورات ويسمى الكف الحاصل منها ورعا فاذا زادت قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فيكف عما لا يتيقن ايضا تحريمه ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق فى التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا واما الخوف الذى يجرى مجرى رقة النساء كما يخطر بالبال عند سماع آية من القرآن فيورث البكاء وكذا عند مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة عن خوف الرب فهذا خوف قاصر قليل الجدوى وهذا حال الناس كلهم الا العارفين والعلماء الراسخين ولست اعنى بالعلماء المترسمين برسومهم والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن الخوف لما فيهم من العجب والغرور بل العلماء بآيات الله وصفاته وافعاله فى مصنوعاته وذلك مما قد عز وجوده الآن كالكبريت الاحمر فى سالف الزمان ولذا قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واما الخوف المفرط وهو الذى يجاوز حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط فهو مذموم ايضا لانه يمنع من العمل والمراد من الخوف هو الحمل على العمل

واذا تحقق اليأس له فهو كفر منه لانه اعتقد عدم قدرته سبحانه على عفوه فى زلته (والامن) وهو ضد الخوف (كفر) ايضا لانه يدل على اعتقاد عدم قدرته وفقد ارادته على عقوبته على ذنوبه مع وجود طاعته وعبادته (فورد) فى التنزيل (فلا يأمن مكر الله الآية) اى ﴿الا القوم الخاسرون﴾ اى الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة بالكفر والمعصية (والطريق) الموصل الى تحصيل الخوف شيئان (النظر فى صفاته تعالى) الجلالية كالقهار والمنتقم والجبار (وافعاله) فى مصنوعاته من معاملاته مع طوائف الكفار فمن عرف الله حق معرفته حملته معرفته على خشيته بمشاهدة عظمة الله وعزته (فورد) فى التنزيل (انما يخشى الله من عباده العلماء) لانهم العارفون بصفاته الخائفون منه بحسب ذاته (انا اعلمكم بالله واخشاكم له) حديث متفق عليه (وذكر الذنوب) السابقة (والخصوم) المتعلقين به يوم القيمة فى الاحوال اللاحقة (وشدة العذاب) بعد مناقشة الحساب (وضعف النفس) عن العقاب والحجاب (وما ورد فيه) اى فى فضل الخوف من الكتاب والسنة واقوال السلف واحوالهم فى هذا الباب اما الكتاب فقوله تعالى * هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون * رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه * ولمن خاف مقام ربه جنتان * وخافون ان كنتم مؤمنين * سيذكر من يخشى * وهم من خشية ربهم مشفقون * واما السنة فقوله عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله رواه البيهقى فى شعبه من حديث ابن مسعود وقوله لعائشة لما قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق و يزنى قال لا بل هو الرجل يصوم و يصلى و يتصدق و يخاف ان لا يقبل منه رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وقوله عليه السلام ما من مؤمن يخرج من عينه دمعة وان كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا وحرمه الله على النار رواه الطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن مسعود وقوله اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها رواه الطبرانى والبيهقى فى شعبه من حديث العباس وقوله لا يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع رواه الترمذى وقال حسن صحيح وقوله لعقبة بن عامر حيث سأل ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقد تقدم وقوله ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع جرت من خشية الله او قطرة دم اهريقت فى سبيل الله رواه الترمذى من حديث ابى امامة وحسنه وقوله اللهم ارزقنى عينين هطالتين تسقيان بذروف الدمع قبل ان تصير الدموع دماء والاضراس جمرا رواه ابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر باسناد حسن وقوله سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله فى خلوة ففاضت عيناه رواه الشيخان وعن حنظلة قال كنا عند رسول الله

صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلى فدنت منى المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عنده عليه السلام واخذنا فى الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه وقلت فى نفسى قد نافقت حين تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادى نافق حنظلة فاستقبلنى ابو بكر فقال كلا لم تنافق فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة نافق حنظلة فقال عليه السلام كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنت عندك فوعظتنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلى فاخذنا فى حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك فقال يا حنظلة لو كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة فساعة رواه مسلم واما الآثار فقال ابو بكر الصديق من استطاع ان يبكى فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكأنه اخذه من قوله تعالى * فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا * ومن قوله * يبكون ويزيدهم خشوعا * ومن قوله * افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون * ومن قوله * خروا سجدا وبكيا * وكان محمد بن المنكدر اذا مسح وجهه ولحيته من دموعه يقول بلغنى ان النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقد تقدم فى الحديث ما يساعده وقال عبد الله بن عمر وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذى نفسى بيده لو يعلم احدكم ما وراءه لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال ابو سليمان الدارانى ما تغرغرت عين بمائها من خشية الله الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت دموعه انطفأ باول قطرة منها بحار من النيران ولو ان رجلا بكى فى امة ما عذبت تلك الامة وقال كعب الاحبار والذى نفسى بيده لان ابكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجنتى احب الى من ان اتصدق بجبل من ذهب وقال عبد الله بن عمر لان ادمع دمعة من خشية الله احب الى من ان اتصدق بالف دينار وقال فضيل من خاف الله تعالى دله الخوف على كل خير اى وحفظه عن كل شر وضير وقال الشبلى ما خفت الله يوما الا رأيت له بابا من الحكم والعبر ما رأيته قط وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه اى عقله وقال ذو النون ينبغى ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء فاذا غلب الرجاء تشوش القلب وكان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الناس غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال سهل لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال وقال ابو سليمان الدارانى ما فارق الخوف قلبا الا خرب (واختلف فى ان الرجاء) للعبد (افضل) من الخوف (ام الخوف) افضل له من الرجاء (والحق) من القول (عدم الانفكاك) اى انفكاك احدهما عن الآخر (اذ لو عدم

احدهما لصار آمنا) عند عدم الخوف (او قنوطا) عند عدم الرجاء فان الرجاء بلا خوف امن والخوف بلا رجاء يأس وكلاهما ممنوعان بنص القرآن فالحق الاعتدال فى غالب الاحوال وايضا فهما متلازمان لان كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته كما يشير اليه قوله تعالى * يدعوننا رغبا ورهبا * و * يدعون ربهم خوفا وطمعا * نعم يجوز ان يغلب احدهما على الآخر وهما يجتمعان ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر فى الحال لغفلته عنه (فشرطهما) اى شرط وجودهما (عدم القطع) فى كليهما فالامن والقنوط ينافى عدم القطع (فلا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف هجوم الاجل) لان امرهما مقطوع فيه عادة بل يقال انتظر لفوت الشرط وهو عدم القطع نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على مشكوك يتردد منه اذ المعلوم لا يرجى ولا يخاف فان المحبوب الذى يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف فالتقدير ان لا محالة يتقابلان نعم احد طرفى الشك قد يترجح بحصول بعض الاسباب ويسمى ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الآخر فاذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى الخوف بالاضافة وكذا بالعكس (والرجاء افضل من حيث هو هو) اى مع قطع النظر عن صاحبه انه فى اى مقام هو من مقامات المبتدين والمنتهين من المريدين فى طريق المجتهدين او المريدين فى امر الدين (فهو) اى الرجاء (طريق المحبة) وسبيل المحبين وهو افضل المقامات واكمل الحالات (وورد سبقت رحمتى غضبى) وقد تقدم وفيه تنبيه نبه على انه ينبغى ان يكون الرجاء اغلب على الخوف وتوضيحه ان الخوف والرجاء دواءان تداوى بهما القلوب ففضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب على العبد هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء افضل فبهذا الاعتبار غلبة الخوف افضل لان الاغترار اغلب على القلب وان نظر الى مطالع الخوف والرجاء فالرجاء افضل لانه مستقى من بحر الرحمة ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضى اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام فى طلب الرب واما الخوف فمستنده الالتفات الى الصفات التى تقتضى العنف والنقمة فلا تمازجه المحبة ممازجة الرجاء (وهو) اى الرجاء (الافضل) من الخوف والمفهوم من الاحياء انه الاصلح كما فى بعض النسخ هنا ولعله المصلح وانما يكون الرجاء اولى من الخوف (ان امتنعت النفس عن التوبة لكثرة المعاصى) الموجبة لليأس والقنوط من الرحمة (او اقتصرت) النفس (على الفرائض) دون الواجبات والسنن المؤكدات (او ضعف) بالمرض والكبر (واشرف على الموت) اى قارب به الفوت فان الافضل

حينئذ هو الرجاء (ليموت) بزيادة وصف الرجاء (على المحبة) الناشئة من كثرة الرجاء (والخوف) افضل واصلح واولى من الرجاء فى مقام الدواء (ان غلب التمنى واعتاد) صاحبه (المعاصى) لقلة خوفه (والاعتدال) بين الخوف والرجاء انسب واقرب (ان اتقى ظاهر الاثم وباطنه) اى جليه وخفيه ولذا قيل او وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وروى ان عليا كرم الله وجهه قال لبعض ولده يابنى خف الله خوفا ترى انك لو أتيته بحسنات اهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك (ولا يعرض) من الاعراض اى ولا يعدل المتقى المذكور عن الاعتدال (بمعارضة كثرة اسباب الرجاء) من الاعمال (فكان عمر رضى الله عنه) مع كمال تقواه وكثرة اعماله لله (يقول لو لم يدخل الجنة الا واحد) من المؤمنين (ارجو ان اكون اياه) اى ذلك الرجل (ولو لم يدخل النار الا واحد) من الخلق (اخاف ان اكون اياه) وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوى فمثل عمر رضى الله عنه ينبغى ان يساوى خوفه رجاءه فاما العاصى اذا ظن انه ذلك الرجل واستثنى من دخول النار كان ذلك دليلا على ما فيه من الاغترار (وتعسر التحرز) عطف بالمعنى لان الفاء فى قوله فكان عمر لتعليل المعنى فالتقدير لانه كان عمر ولتعسر الاحتراز (عن المعاصى الباطنة) ويجوز عطفه على قوله بمعارضة فيكون ما بينهما جملة معترضة وفيه جواب لسؤال مقدر وهو ان مثل عمر لا ينبغى ان يساوى خوفه رجاءه بل ينبغى ان يغلب رجاؤه خوفه فاشار الى ان شروط صحة الايمان على وجه الحقيقة من الامور الدقيقة فانه لا بد للقلب ان يكون نظيفا من الشرك الخفى والنفاق والرياء وخبايا الاخلاق الخبيثة فيه غامضة والآفات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق بها من اللذات واللهوات كثيرة وان سلم القلب فى الحال عن هذه الاحوال ربما يلتفت اليها فى الاستقبال فان كان ضعيف القلب جبانا فى نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما يحكى فى احوال الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوى القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاؤه فلا ولقد كان عمر يبالغ فى تفتيش قلبه وتقلب حاله من المعاصى حتى كان يقول رحم الله من اهدى الى بعيوب نفسى واذا كان يخاف من النفاق وخصال اهله (حتى) غاية التعسر اى الى ان (كان عمر يسأل حذيفة) بن اليمان (عن وجود اثر النفاق فيه) اى عمر اذ كان حذيفة قد خصه عليه السلام بعلم المنافقين وكان يسمى صاحب سر النبى عليه السلام (واحتمال زوال الاسباب) اى ولاحتمال زوال اسباب الرجاء (فى المستقبل) من الزمان (فورد ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة) وفى الاحياء زيادة خمسين سنة (حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر) قال فى الاحياء وفى رواية الا قدر فواق ناقة (فيسبق عليه الكتاب) اى المكتوب الازلى فى علم الله او المكتوب فى اللوح المحفوظ او عند تولده

فى صحائف الملائكة الموكلة على حفظه (فيختم له بعمل اهل النار) فيدخل النار وكذا فى من يعمل عمل اهل النار والحديث رواه مسلم من حديث ابى هريرة ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وللبزاز والطبرانى فى الاوسط سبعين سنة واسناده حسن وللشيخين فى اثناء حديث لابن مسعود ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع الحديث وليس فيه تقدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبر ولا فواق ناقة (ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه) اى من سوء الخاتمة وتغير الحالة فمن ذا يقدر على تطهير قلبه من خفايا النفاق والشرك الخفى والرياء فى زوايا القلب وان اعتقد نقاء قلبه وصفاء لبه عن مثله فمن يأمن مكر الله بتلبيس حاله عليه واخفاء غيبه عنه فان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة التى عليه مدار سعادة العاقبة فاذن اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء فى اكثر الناس فيكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة واين مثل عمر حتى يعتدل خوفه ورجاؤه كما مر فالخلق الموجودون فى هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى اليأس وترك العمل وقطع الطمع عن المغفرة فيكون سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك فى المعاصى وطول الامل فان ذلك قنوط وليس بخوف انما الخوف هو الذى يحث على الطاعات ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعوه الى التجافى عن دار الغرور والامنيات وهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذى لا يؤثر فى الكف عن السيئات والحث على العبادات ودون اليأس الموجب للقنوط من رحمة خالق البريات وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق فى بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه فى مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام فى محجة ذوى الاستبصار وقال مكحول النسفى من عبد الله بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجى ومن عبده لمجرد المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد صديق ثم سوء الخاتمة (اما بالشك) والتردد فى قبول الايمان (او الجحود) اى الانكار باصل الايمان ومحض الكفران (عند النزع) اى نزع الروح حال سكرات الموت وظهور اهواله الموجبة لتغير احواله فيقبض روحه فى حال شك القلب او جحود الرب وذلك يقتضى البعد الابد والعذاب المخلد وذلك الشك او الجحود انما يقع (لظهور بطلان بدعة) يعتقدها فى ذاته سبحانه او صفاته او افعاله فى مصنوعاته او بتأويلها فى آية من آياته (كان يعتقدها) اى البدعة (تقليدا) ممن هذا حاله (او تعويلا) اى اعتمادا (على مجادلته الكلام) اى مجادلته الخصام بما يعول عليه من اصول علم الكلام ويغتر به مما بين الانام (فهو) اى وقت النزع (حالة الانكشاف) اى انكشاف كل شئ على ما هو عليه

كما قال تعالى * فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * فقوله هو علة لظهور بطلان البدعة واما قوله (واعتقاد بطلان كل ما اعتقده) فمبتدأ وقوله (اوشكه) بالجر عطف على بطلان الثانى وقوله (لهذا) خبر المبتدأ اى واعتقاد بطلان كل المعتقدات الصحيحة اواعتقاد شك كلها لهذا (السبب) وهو ظهور النزع اى صار هذا الظهور سببا لاعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة اوسببا لاعتقاد شك الجميع ويجوز كون قوله اوشكه مرفوعا عطفا على قوله واعتقاد قيل وهو الارجح يعنى اعتقاد بطلان الجميع لهذا السبب اوشك الجميع لهذا الباعث والاظهر عندى انه فعل ماض عطفا على اعتقده فتأمل ثم حاصل كلامه انه جواب سؤال مقدر يترتب على قوله لظهور بطلان بدعة وتقرير السؤال فان قلت ظهور بطلانها مما يوجب الشك اوالجحود فى نفسها فقط دون بقية الاعتقادات الصحيحة وسوء الخاتمة المستلزم خلود النار انما هو باعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة او الشك فيها كلها فكيف يتصور سوء الخاتمة بهما فى بدعة واحدة فاجيب بما تقدم وتوضيحه ان المبتدع مهما كان بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه انه اخطأ فى هذا الاعتقاد خاصة لالتجائه فيه الى رأيه الكاسد وعقله الفاسد بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله و برسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة و بين اعتقاداته الفاسدة الصريحة فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او باعثا لشكه فيها فاذا اتفق زهوق روحه فى هذه الخطرة قبل ان يثبت و يعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله منه فهؤلاء هم المرادون بقوله تعالى * و بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (وورد) فى التنزيل (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية) اى * الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (والمعاملة) اى حسنها (لاتنافيه) اى لاتعارض سوء الخاتمة واراد بالمعاملة الورع والزهد وسائر الاعمال الصالحة فانها لاتكفى لدفع هذا الخطر بل لاينجى منه الا الاعتقاد الحق (والبله) جمع الابله (بمعزل عنه) اى عن خطر سوء الخاتمة فانهم هم الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والعجائز وسائر العوام الذين لم يخوضوا فى البحث والنظر العقلى استدلالا ولم يشرعوا فى الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف اهل الكلام فى تقليد آرائهم المختلفة التى تقتضى ضلالا واضلالا (ومن ثم ورد اكثر اهل الجنة البله) رواه البزار من حديث انس ولذا منع السلف الكرام من البحث والنظر والخوض فى الكلام والتفتيش عن هذه الامور بالتمام وامروا الخلق ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعه و بكل ما جاء من الظواهر من عنده مع اعتقاد نفى التشبيه ومنعوهم عن الخوض فى التأويل لان الخطر فى البحث

عن الصفات عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم مضطربة ومتعارضة والقلوب لما القى اليها فى ابتداء النشو آلفة و به متعلقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقائد الموروثة اوالمأخوذة بحسن الظن من المعلمين فى اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام بالله و بصفاته بالرأى والمعقول وفى تفاوت الناس فى قرائحهم واختلافهم فى طبائعهم وحرص كل جاهل منهم على ان يدعى الكمال والاحاطة بكنه ذى الجلال انطلقت السنتهم بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق فى ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولايتعرضوا لما هو خارج عن حد طاقتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفشا الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقدان ذلك علم واستيقان وانهم صفو ايمان وعرفان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين علم يقين بل عين يقين ولتعلمن نبأه بعد حين كما قيل

* سوف ترى اذا انجلى الغبار * افرس تحتك ام حمار *

وينشد فى حق هؤلاء عند كشف الغطاء

* احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر *

* وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو الليالى يحدث الكدر *

واعلم يقينا ان كل ما فارق الايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض فى البحث فقد تعرض لخطر سوء الخاتمة وهذا ملخص ما فى الاحياء (او) سوء الخاتمة يقع (بمعاداته تعالى) وهو من اضافة المصدر الى مفعوله (لعلمه) اى لمعرفة العبد (بتفريقه تعالى اياه) اى العبد من الدنيا (و) ألم القلب) اى وتوجعه (بفواتها) اى بفوات الدنيا ولذاتها (وكان يستولى حبها عليه) اى على قلبه (ولضعف ايمانه) بالله و بما لديه (ولايكون من ذكره تعالى فيه الاحديث النفس) المحظور اليه (وهو) اى والحال ان قلبه (اسود من تراكم ظلام الرذائل) من سوء الاخلاق والشمائل فان اتفق زهوق روحه فى تلك اللحظة التى خطرت فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء سرمدا وهلك هلاكا مؤبدا ولايظلم ربك احدا (فورد) فى التنزيل (قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم الآية) اى * وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره والله لايهدى القوم الفاسقين (او) سوء الخاتمة يحصل (بامر دنياوى كان يحبه) العبد (فاحتجب عنه تعالى شغلا) لذلك العبد (به) اى بالامر الدنيوى (فاعتاد ورسخ) اى ثبت (فى القلب لاينسى كما فى النوم) و يعرف هذا بمثال وهو لايخفى عليك

ان الانسان يرى فى منامه جملة من الاحوال التى عهدها طول عمره حتى انه لا يرى الا ما يماثل مشاهداته فى اليقظة فان المراهق الذى لم يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد واقع فى اليقظة ولو بقى كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى ان الذى مضى عمره فى التفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء ما لا يراه التجار الذى مضى عمرهم فى التجارة والتاجر يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر له فى حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الالف والموت يشبه النوم ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت فوق النوم واما سكرات الموت وغشيانه فقريب من النوم فيقتضى بذلك تذكر المألوفات من الطاعات او السيئات او اللذات والشهوات ومن هنا يخالف منامات الصالحين والطالحين وقد قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ويشير اليه قوله تعالى *كما بدأكم تعودون* وطول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت وساعات الفوت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على ما مات لديه ولذا قيل عن بقال كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة وهو يقول خمسة ستة اربعة زيادة (وهو) اى الاحتجاب المذكور وسائر الامور (لكثرة المعاصى مع قوة الايمان او قلتها مع ضعفه) اى لقلة المعاصى مع ضعف الايمان (وهذا) الحجاب المذكور او القسم المسطور من اقسام سوء الخاتمة (لا يوجب الخلود فى النار) بخلاف الاولين من اقسام سوء الخاتمة فانهما يوجبان الخلود فى دار البوار (ومن ثم) اى ومن اجل ان سوء الخاتمة يتحقق عند النزع (تكره الفجاءة) من الموت والبغتة المقتضية لبعض الفوت (لجواز اتفاقها) اى اتفاق وقوع الفجاءة (على خاطر سوء) يكون سببا لسوء الخاتمة (وتغبط الشهادة) اى يحب ويتمنى (لاستيلاء حبه تعالى) حينئذ (على القلب واعراضه عن الدنيا) واقباله بكليته على الرب (وهو) اى هذا المقام (لمن يخلص فى النية (ولا قصد الغلبة) من اخذ البلاد وقهر العباد (والغنيمة) من الاموال النفيسة والخدام الانيسة (والصيت) بالجاه والرياء والسمعة (والعلاج) للخلاص عن سوء الخاتمة (المعرفة) التامة من العلم النافع (ولزوم الطاعة) من العمل الصالح (وتعجيل التوبة) عن المعصية (والنوم على الطهارة ظاهرا) وهو ظاهر (وباطنا) بان لا يكون فى قلبه غل وغش لاحد من خلق الله فورد من بات على طهارة ثم مات من ليلته مات شهيدا رواه ابن السنى عن انس (وتنقية القلب) اى تصفيته وتخليته من حب غير الرب (وتلاوة القرآن) غيبا ونظرا مع مراعاة المبانى وملاحظة المعانى (وطلب العلم النافع) من التفسير والحديث والفقه والتصوف (فالامر) اى امر سوء الخاتمة (صعب) اى شديد ومر (ومن ثم روى عن السلف) من الصحابة والتابعين (كثرة النوح والبكاء) مع زيادة التضرع والدعاء فى السراء والضراء فقد قال الحسن البصرى يخرج رجل من النار بعد الف عام ياليتنى كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوف

سوء

سوء الخاتمة وقال محمد بن خولة الحنفية والله لا ازكى احدا غير رسول الله ولا ابى الذى ولدنى فثارت الشيعة عليه فجعل يذكر من فضائل على ومناقبه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام بكيا خوفا من الله عز وجل فاوحى الله اليهما لم تبكيان فقد امنتكما فقالا ومن يأمن مكرك رواه الطبرانى وغيره وكأنهما اذا علما ان الله علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا ان يكون قوله فقد امنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا من المكر وما وفيا بقولهما هذا ولولا ان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء للعارفين رحمة من الله لهم واسباب الغفلة رحمة على عموم الخلق من وجه وكان ابو الدرداء يحلف بالله ما احد امن على ايمانه ان يسلب عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال *وقلوبهم وجلة* ولما احتضر سفيان جعل يبكى فقيل يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك فقال او على ذنوبى ابكى لو علمت انى اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله بامثال الجبال من الخطايا وفى رواية عنه انه قال بكينا على الذنوب زمانا فالآن بكينا على الاسلام وكان سهل يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصى والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وروى عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصى ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وفيه تنبيه نبيه على ان خوف الانبياء اقوى وبه اشار حديث انا اخوفكم بالله والمعتقد ان الانبياء معصومون من الكفر اجماعا بحسب النقل لكنهم كانوا خائفين من جهة تجويز العقل اذ لا يجب شئ على الله وان فعله اما العدل واما الفضل وقد قيل كان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا فى ميل فيأتيه جبريل فيقول له الجبار يقرؤك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل انى اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى وعن الحسن لو اعلم انى برئ من النفاق كان احب الى مما طلعت عليه الشمس وقد قال الحسن ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذى يخلص من هذه المعانى بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ونسى كونها منكرا بالكلية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمانه عليه السلام فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهده عليه السلام فيصير بها منافقا انى لاسمعها من احدكم اليوم عشر مرات رواه احمد وكان الصحابة يقولون انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهده عليه السلام من الكبائر رواه البخارى وغيره وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس ما تأتى

مثله وان تحب على شئ من الجور وان تبغض على شئ من الحق وقيل من النفاق
انه اذا مدح بشئ ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء
فنصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهده
عليه السلام رواه احمد وسمع رجلا يذم الحجاج و يقع فيه فقال ارأيت لو كان
الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهده
عليه السلام واشد من ذلك ماروى ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا
يتكلمون فى شئ من شانه فلما خرج سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون
فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهده عليه السلام وكان حذيفة يقول انه
تأتى على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لايكون للنفاق فيه مغرز ابرة وتأتى عليه ساعة
يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة ولعلهم ما عنوا به النفاق الذى
هو ضد الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان من بعض العصيان والحاصل ان
العارف بين الالتفات الى السابقة والى الخاتمة اللاحقة خائفا منهما ولذا قال
عليه السلام العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لايدرى ما الله صانع فيه
و بين اجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه فوالذى نفسى بيده ما بعد الموت من
مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة والنار ذكره البيهقى وغيره وقال عيسى عليه
السلام يا معشر الحوار بين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة
وتباعدان من الدنيا و بحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب فى
طلب الفردوس قليل و روى عن الصديق انه قال لطائر ليتنى كنت مثلك يا طائر ولم اخلق
بشرا وقال ابوذر وددت لو انى لشجرة تعضد وكذا قال طلحة وقال عثمان وددت
انى اذا مت لم ابعث وقالت عائشة وددت انى كنت حيضة ونسيا منسيا وروى ان عمر
كان يسقط من الخوف فاذا سمع آية من القرآن خر مغشيا عليه وكان يعاد اياما واخذ يوما
تبنة من الارض وقال ياليتنى كنت مثل هذه التبنة ياليتنى لم اك شيئا مذكورا ياليتنى
كنت نسيا منسيا ياليت امى لم تلدنى وكان فى وجه عمر خطان اسودان من الدموع
ولما قرأ عمر * اذا الشمس كورت * فانتهى الى قوله * واذا الصحف نشرت * خر
مغشيا عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلى و يقرأ سورة والطور فوقف يستمع فلما
بلغ قوله تعالى * ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع * نزل عن حماره واستند الى حائط
فمكث زمانا ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولايعرفون مرضه وقال على
كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الصبح وقد علاه كآبة وهو يقلب يده لقد رأيت
اصحابه عليه السلام فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا شعثا غبرا بين
اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين
جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا وذكروا مادوا كما تميد الشجرة فى يوم الريح فهملت

اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كأنى بالقوم باتوا غافلين يعنى من حوله ثم قام فماروئى
بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمران بن حصين لوددت انى كنت رمادا
تسفينى الرياح فى يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت انى كبش فيذبحنى
اهلى فيأكلون لحمى و يحتسون مرقى وكان على بن حسين اذا توضأ اصفر لونه فيقول له
اهله ما هذا الذى يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدى من اريد ان اقوم وقرأ
مضر القارى يوما * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا * الآية فبكى عبد الواحد بن زيد
حتى غشى عليه وقال وعزتك وجلالك لا اعصينك جهدى ابدا فاعنى بتوفيقك على
طاعتى وكان المسور بن مخرمة لايقوى على ان يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد كان
يقرأ عنده الحرف والآية فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم
فقرأ عليه * يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا *
فقال انا من المجرمين ولست من المتقين فقال اعد على القول ايها القارى فاعاد عليه فشهق
شهقة فلحق بالآخرة وروى ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلاة الغدوة فلما قرأ
* فاذا نقر فى الناقور * خر مغشيا عليه فحمل ميتا وسئل ابن عباس عن الخائفين فقال
قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر
امامنا والقيمة موعدنا وعلى جهنم طريقنا و بين يدى ربنا موقفنا وقال عمر بن
عبد العزيز انما جعل الله الغفلة فى قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله وقال
الفضيل انى لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيمة انما
اغبط من لم يخلق وروى ان فتى من الانصار دخلته خشية النار فبكى حتى حبسه ذلك
فى البيت فجاء عليه السلام ودخل البيت فاعتنقه فخر ميتا فقال عليه السلام جهزوا
ميتكم فان الفرق من النار فتت كبده رواه ابن ابى الدنيا والبيهقى فى الشعب من حديث
سهل بن سعد وقال العنبرى اجتمع اصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع
عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلوة ويحكم
ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق انما هذا
زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وقال
رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت فقال بخير فقال كيف حالك فتبسم الحسن فقال
تسألنى عن حالى ما ظنك بناس قد ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم
فتعلق كل انسان منهم بخشبة على اى حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن
حالى اشد من حالهم وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما فى الجنة
او فى النار وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لايسكن روعه حتى يخلف جسر جهنم وراءه
وخلاصة الكلام فى هذا المقام ان غلبة الخوف حال الصحة اصلح ليبعثه على ترك الغفلة
وغلبة الرجاء فى تلك الحالة اصلح لانه اجلب للمحبة ولذا قال عليه السلام لايموتن

احدكم الاوهو يحسن الظن بربه رواه مسلم من حديث جابر ومن هنا لما حضر الوفاة سليمان التيمى قال لابنه يابنى حدثنى بالرخص واذكرلى الرجاء حتى القى الله حسن الظن به وكذلك لما حضر الوفاة الثورى واشتد جزعه جمع العلماء حوله يرجونه وقال الامام احمد عند الموت لابنه اذكرلى الاخبار التى فيها الرجاء وحسن الظن والمقصود من ذلك ان يحبب الله الى نفسه وان يموت مع المحبة التى هى مقام انسه رزقنا الله من فيض قدسه

الباب التاسع عشر فى الفقر والزهد

الفقر فخر الانبياء وذخر الاولياء والزهد زاد الاتقياء وقدم الفقر على الزهد بناء على تقدم وجود اصله فى كل مخلوق ونسله كما يشير اليه قوله تعالى * والله الغنى وانتم الفقراء * والزهد عارض من جهة عدم ميله الى الغنى المضر اوصول نيله (بسم الله الرحمن الرحيم) افتقر الى غنى ربى الكريم وازهد عن غير لقاء مولاى العظيم (الفقر) عند الصوفى (فقد ما يحتاج اليه) فى ظن الفاقد مما لديه اما فقد ما لاحاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا عليه لم يكن المحتاج اليه فقيرا واذا فهمت هذا لم تشك فى ان كل موجود سوى الله سبحانه فهو فقير لانه محتاج الى دوام الوجود فى ثانى الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله وجوده وان كان فى الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره فهو الغنى المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واحد فليس فى الوجود الاغنى واحد وكل ما عداه محتاج اليه فى ايجاده وامداده والى هذا الحصر اشير فى قوله تعالى * والله الغنى وانتم الفقراء * وهذا معنى الفقر مطلقا ولكن المراد هنا بيان الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا ينحصر (فان فرح) السالك (بالفقد) المذكور او بحصول ما يحتاج اليه (وكره الزائد على الضرورة) فيما لديه (فزاهد) اى فهو زاهد وهذه الحالة حالة عليا (وان لم يكره) الزائد على الضرورة كراهة يتأذى بوصوله (ولم يرغب) فى الزائد على الضرورة رغبة يفرح بحصوله (فراض) اى فاسمه راض ورب راغب فى المال لا يخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة فى فعل مولاه فتلك الكراهة هى التى يحبط ثواب الفقر فى عقباه (وورد يا معشر الفقراء) اى جماعتهم (اعطوا الله الرضاء من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم) وتتمة الحديث والا فلا رواه الديلمى عن ابى هريرة ويكاد مفهوم الحديث يشعر بان الحريص لاثواب له على فقره لكن العمومات الواردة فى فضل الفقر والقناعة والزهد تدل على ان له ثوابا فلعل المراد بعدم الرضاء هو الكراهة بفعله سبحانه فى حبس الدنيا عنه (وان ترك الطلب) اى طلب الزائد على الضرورة وهو

قادر على طلبه ولكن تركه (مع ان الوجود) اى وجود المال الزائد (عنده احب) من عدم وجوده لرغبة له فيه ولكن لم يبلغ رغبته ان يكون من طلبته بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه وفرح به وان افتقر الى تعب فى طلبه لم يشتغل به (فقانع) اى فيقال له قانع اذ قنع نفسه بالموجود حتى ترك طلب المفقود مع ما فيه من الرغبة الضعيفة فى الوجود (وان رغب) فى الزائد لو وجد سبيلا الى طلبه واو بالتعب لطلبه (وتركه للعجز) اى وترك الطلب لعجزه عن طلبه اوهو مشغول بالطلب وتعبه (فحريص) اسمه (وان اضطر اليه) اى افتقر الى ما يحتاج اليه (وفقده) وفقده ضرر عليه كالجائع الفاقد للخبز والعارى الفاقد للثوب (فمضطر) وصفه كيف ما كانت رغبته فى الطلب ضعيفة او قوية وقل ما ينفك صاحب هذه الحالة عن الرغبة فى الجملة (والاعلى) من الفقر او من الزهد او اعلى الاحوال الخمس (تسوية الوجود) اى وجود ما يحتاج اليه من المال (والعدم) اى وفقد ما يحتاج اليه فان وجده لم يفرح من ثباته ولم يتأذ من اتيانه وان فقده كذلك كحال عائشة اذ اتاها مائة الف درهم من العطاء فاخذته وفرقته من يومها فقالت خادمتها لو ابقيت منها درهما نشترلنا به لحما نفطر به فقالت لو ذكرتنى فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذا فيرها فى يده وخزائنها فى تصرفه لم تضره اذ هو يرى الاموال من جملة الخزائن الملك المتعال لا فى يد نفسه فلا يفرق بين ان تكون فى يده او فى يد غيره وقد حملت خزائن الارض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابى بكر وعمر فاخذوها ووضعوها فى مواضعها ولم يكن عندهم فرق بين الماء والمال فى كل الحال (فهو استغناء دون الغنى) المطلق (لاختصاصه) اى الغنى المطلق (به) اى بالحق (تعالى) شانه وينبغى ان يسمى صاحبه المستغنى لانه غنى عن فقد المال ووجوده جميعا وقد يقال له غنى بغنى مولاه لخبر ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ثم هذا العبد وان استغنى عن المال وجودا وعدما لم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله ليبقى استغناؤه الذى زين الله تعالى به قلبه فان القلب المقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذى اعتقه من هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب مقلبة بين الرق والحرية فى اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذا لم يكن اسم الغنى مطلقا عليه مع هذا الكمال الا مجازا (وهو) اى الاستغناء (المراد بما ورد) من الكتاب والسنة (فى فضل الفقر) والفقراء كقوله تعالى * للفقراء المهاجرين * الآية * وللفقراء الذين احصروا * الآية ساق الكلام فى معرض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وكقوله عليه السلام لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا رواه الحاكم من حديث بلال والطبرانى من حديث ابى سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا وقوله تدخل فقراء امتى الجنة قبل اغنيائهم

بخمسمائة عام رواه الترمذى من حديث ابى هريرة وقال حسن صحيح وقوله الفقر ازين بالمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبرانى من حديث شداد بن اوس وقوله اطلعت فى الجنة فرأيت اكثر اهلها الفقراء واطلعت فى النار فرأيت اكثر اهلها الاغنياء رواه احمد من حديث عبدالله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن زيد قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا اصحاب الجد محبوسون وقوله تحفة المؤمن فى الدنيا الفقر رواه محمد بن حنيف الشيرازى فى شرف الفقر والديلمى من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به وقوله آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان لمكان ملكه وآخر اصحابى دخولا الجنة عبدالرحمن بن عوف لاجل غناه وفى رواية رأيته دخل الجنة زحفا وللديلمى عن ابى الدرداء مرفوعا اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ياموسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وروى ان عيسى عليه السلام مر فى سياحته برجل نائم ملتف فى عباءة فايقظه وقال يانائم قم فاذكر الله فقال ماتريد منى انى قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذن حبيبى ثم وقال موسى عليه السلام يارب من احباؤك من خلقك حتى احبهم فقال كل فقير فقير فيحتمل ان يكون الثانى تأكيدا وان يكون المراد به شديد الفقر وكان عيسى عليه السلام احب الاسامى اليه ان يقال له يامسكين ولابى الشيخ من حديث انس يقول الله عزوجل يوم القيمة ادنوا منى احبائى فيقول الملائكة ومن احباؤك فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول اما انى لم ازو الدنيا عنكم بهوان كان بكم ولكن اردت بذلك ان اضعف لكم كرامتى اليوم فتمنوا على ماشئتم ولابى نعيم فى الحلية من حديث الحسين بن على اتخذوا عند الفقراء ايادى فان لهم دولة يوم القيمة وللطبرانى من حديث ابى امامة دخلت الجنة فسمعت حركة امامى فنظرت فاذا بلال فنظرت الى اعلاها فاذا فقراء امتى واولادهم ونظرت فى اسفلها فاذا فيهم الاغنياء والنساء قليل فقلت يارب ماشأنهم قال اما النساء فاضرتهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب فتفقدت اصحابى فلم ار عبدالرحمن بن عوف ثم جاءنى بعد ذلك وهو يبكى فقلت ماخلفك عنى فقال اما والله يارسول الله ماخلصت اليك حتى لقيت المشيبات فظننت انى لااراك قلت لم قال كنت احاسب بمالى، لابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الا اخبركم عن ملوك الجنة قالوا بلى يارسول الله قال كل ضعيف مستضعف ذى طمرين لايؤبه به لو اقسم على الله لابره وللحاكم والترمذى من حديث عائشة انه عليه السلام قال لها ان اردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولاتنزعى درعك حتى ترقعيه وعن ابن عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقير وقال لقمان لابنه لاتحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين

وايثارك لمجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وقال المؤمل مارأيت الغنى اذل منه فى مجلس الثورى ولارأيت الفقير اعز منه فى مجلس الثورى وللدارقطنى وغيره من حديث ابن عمران لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبرهم جلساء الله يوم القيمة وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية لمسلم كفافا ولابن ماجه من حديث انس مامن احد غنى ولافقير الاود يوم القيمة انه كان اوتى قوتا فى الدنيا وللديلمى يقول الله تعالى يوم القيمة اين صفوتى من خلقى فيقول الملائكة ومن هم ياربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائى الراضين بقضائى ادخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون منها والناس فى الحساب يترددون (اما ماورد اعوذبك من الفقر) كما للنسائى من حديث ابى سعيد الخدرى انه عليه السلام كان يقول اعوذ بالله من الكفر والفقر وفى رواية للحاكم من الفقر والكفر (ونحوه) من حديث كاد الفقر ان يكون كفرا وقد تقدم (فمحمول على الاضطرار) بلا انضمام زهد فى الاختيار وهو ان يضطر الى الشئ ويفقده لان هذه الحالة لاشك انها مشوشة او محمول على فقر القلب فعن ذى النون اقرب الناس الى الكفر ذوفاقة لاصبر له وفى الجملة كل ماهو شاغل عن المولى فهو شؤم فى الدنيا والاخرى ومن هنا ورد اعوذبك من شر فتنة الفقر وشر فتنة الغنى فان الفقر يكون منسيا كما ان الغنى يكون مطغيا هذا وسنذكر فضل الزهد فى محله الآتى واما الآثار فى الرضاء والقناعة فكثيرة منها قول عمر رضى الله عنه ان الطمع فقر واليأس غنى وانه من يئس عما فى ايدى الناس وقنع بما فى يده استغنى عنهم وفى دعائه عليه السلام اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه وقد قيل فى القناعة

۞ اضرع ابى الله لاتضرع الى الناس ۞ واقنع بيأس فان العز فى الياس ۞

۞ واستغن عن كل ذى قربى وذى رحم ۞ ان الغنى من استغنى عن الناس ۞

وقال ابن مسعود مامن يوم الاوملك ينادى من تحت العرش ياابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء مامن احد الا وفى عقله نقص وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبين فى هدم عمره ثم لايحزنه ذلك ويح ابن آدم ماينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل لبعض الحكماء ما الغناء فقال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ومر رجل بعامر بن عبدالقيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا اباعبدالله ارضيت من الدنيا بهذا فقال افلا ادلك على من رضى بشر من هذا قال بلى قال من رضى بالدنيا عوضا عن العقبى وروى ان الله عزوجل قال فى بعض الكتب المنزلة ياابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها الى غيرك فانا محسن اليك (واختلف فى ان الفقر) مع الصبر (افضل) من الغنى مع الشكر (ام الغنى) مع الشكر افضل من الفقر

مع الصبر فذهب الجنيد والخواص والاكثرون الى فضل الفقر وخالفهم ابن عطاء كما تقدم وقد استدل عليه بان الغنى وصف الحق واجيب بان غناه سبحانه ليس بالاسباب فانقطع ولم ينطق فى هذا البـاب واجيب ايضا بان التكبر من صفات الحق فينبغى ان يكون افضل من التواضع ثم قيل بل هذا يدل على ان الفقر افضل لان صفات العبودية افضل للعبـد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لاينبغى ان ينازع فيها لما ورد الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى فيهما قصمته وقال سهل حب العز والبقاء شرك فى الربوبية ولامنازعة فيهما لانهما من صفات الله قلت و يشير اليه قوله تعالى * والله الغنى وانتم الفقراء * ثم التحقيق ان الفقر والغنى اذا اخذا مطلقـا لم يشـك من قرأ الاخبار والآثار فى تفضيل الفقر وانما يتصور التردد فى مقامين احدهما فقير صابر ليس بحريص على الطلب بل هو قانع وراض بالاضـافة الى غنى ينفق ماله فى الخيرات ليس حريصا على امساك المـال وثانيهما فقير حريص مع غنى حريص اذ لايخفى ان الفقير القانع افضل من الغنى الحريص الممسك وان الغنى المنفق ماله فى الخير خير من الفقير الحريص اتفاقا واما الاول فربما يظن ان الغنى افضل من الفقير لانهما تساويا فى ضعف الحرص على المال والغنى متقرب بالخيرات والفقير عاجز عنه وهـذا هو الذى ظنه ابن عطـاء فى غالب الظن فاما الغنى المتمتع بالمال وان كان فى مبـاح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ماسيأتى من سؤال الفقراء عما يوهم ترجيح الاغنياء (والحق الاختلاف بحسب الاشخاص) بل وتفاوت الاحوال كما يشير اليه قوله تعالى * ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا * وفى الحديث القدسى ان من عبادى من لايصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسـد حاله وان من عبادى من لايصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وفى دعائه عليه السـلام اللهم وسع لى رزقى عند كبر سنى ومن هنا قيل التسليم اسلم ومقام الرضاء اتم والله اعـلم و يؤيده قوله تعالى * عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعـلم وانتم لاتعلمون (فالفضل) اى زيادة الفضيلة (بقدر الفراغ عن الشواغل) اى الموانع عن تحصيل الفضائل (والدنيا انما حذر عنها) اى عن حبها (للشغل عنه تعالى) بسببها وتوضيحه ان مالا يراد بعينه بل يراد لغيره فينبغى ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست محذورة لعينها بل لكونهـا عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان فيه فقد العائق عن الله سبحانه (وكم من فقير شغلته) الدنيا وحبها وكسبها وصرفه الفقر عن المقصد كاكثر ابناء الدنيا (وكم من غنى لم تشغله) الدنيا ولو اكثر فى مالها وجاهها (كسليمان عليه السـلام) وداود وابراهيم (وعبد الرحمن بن عوف) وعثمان بن عفان وذلك لان غاية المقصد فى الدنيا هو حب الله والانس به ولايكون ذلك الابعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة

مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما ان الغنى قد يكون من الشواغل كما يشير اليه قوله عليه السلام اعوذ بك من شر فتنة الفقر وشر فتنة الغنى كما تقدم وانما الشاغل على التحقيق حب الدنيا ولايجتمع معه حب المال فى القلب والمحب لاشئ مشغول به سواء كان فى فراقه اوفى وصاله وربما يكون شغله فى الفراق اكثر وربما يكون فى الوصال اكثر والدنيا معشوقة للغافلين فالمحروم عنها مشغول بطلبها والقادر عليها مشغول بحفظها والتمتع بها (اما فى حق الاكثر فالفقر) افضل (اذ هو ابعد عن الخطر) فى الشغل عن المولى (والانس) أى وعن الاستيناس (بالدنيا والقدرة) اى وعن القوة (على الشهوة) اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لاتقدر ولذا قال الصحابة بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر ومن هنا قال عيسى عليه السلام لاتنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وفى الخبر ان لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم رواه الديلمى من طريق ابى عبد الرحمن السلمى من حديث حذيفة وكان اصل عجل قوم موسى عليه السلام من حلية الذهب والفضة ايضا فاستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبيـاء و لاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله بطول المجـاهدة هناك اذ كان عليه السلام يقول للدنيا اليك عنى اليك عنى اذ كانت تمثل له بزينتها رواه الحاكم وكان على كرم الله وجهه يقول يا صفراء غيرى غيرى يا بيضاء غيرى غيرى وذلك لاستشعاره فى نفسه ظهور مبادى الاغترار بها اولا ان رأى برهان ربه (الا فى المضطر) فليس الفقر افضل فى حقه (لانه) اى المضطر (يموت جبرا) اى خاليا عن الخير قهرا وقد يكون ذلك كفرا (والواجد) بالنصب عطفا على الضمير وبالرفع على انه مبتدأ خبره (يحصل المعرفة) والجملة حال (الامن) استثناء من المستثنى اى الا المضطر (لايتوب عن المعاصى فالموت خير له) اى فالفقر الموجب للموت خير له اذ يقل معاصيه فى الديار ويتخلص هو عن الم الاضطرار (وكذا فى نفس الامر) اى وكما ان الفقر افضل فى حق الاكثر فكذا هو افضل فى نفس الامر (فورد اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين) رواه الترمذى من حديث انس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث ابى سعيد وفيه مبالغة عظيمة فى مدح المساكين حيث لم يقل واحشرهم فى زمرتى وهو اما تواضع منه عليه السلام واما اراد بهم الانبياء والمرسلين لان غالبهم كانوا فقراء ومساكين وفى رواية للترمذى زيادة يوم القيمة فقال عائشة لم يارسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا (بلغ عنى) خطاب منه عليه السلام لمن جاء برسالة (الفقراء) من اصحابه الكرام والمعنى اخبر عن قبلى الفقراء تسلية لهم حيث ماجعلوا اغنياء (ان لمن صبر) على الفقر (واحتسب) اى طلب من الله الاجر (منكم) ومن امثالكم (ثلاث خصال) مختصة لكم (ليست للاغنياء) واحدة منها فضلا عن جميعها (اما الخصلة الواحدة فان فى الجنة غرفا

اى قصوراعالية (ينظراليها اهل الجنة كما ينظراهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها
الانبى فقيراو شهيد فقير اومؤمن فقير) وهومن لايكون صاحب نصاب (والثانية
يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهوخمسمائة عام) وهذه الجملة رواه
الترمذى من حديث ابى هريرة وصححه (والثالثة اذاقال الغنى سبحان الله والحمد لله ولا
اله الاالله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغنى بالفقير وان انفق معها عشرة
الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها لمن جاء) متعلق ببلغ عنى اى قال النبى عليه
السلام لمن جاء (رسالة الفقراء ان الاغنياء) يجوز فتح ان وكسرها (يحجون و يعتمرون
و يتصدقون) بفضول اموالهم (ونحن عاجزون عن ذلك) فى تمام احوالهم وفى الاحياء
روى فى الخبران الفقراء شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الاغنياء بالخيرات
والصدقات) والحج والجهاد فعلمهم كلمات فى التسبيح وذكرلهم انهم ينالون بها فوق
ما نال الاغنياء فعلم الاغنياء بذلك فكانوا يقولونه فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال مخرجه متفق عليه
من حديث ابى هريرة ونحوه انتهى وقال فى الاحياء ايضا وقد استشهد ابن عطاء
بهذا ايضا قال وفيه نظرلان الخبر قد ورد مفصلا تفصيلا يدل على خلاف ذلك
وهوان ثواب الفقير فى التسبيح يزيد على ثواب الغنى وان فوزهم بذلك الثواب هو
❋ فضل الله يؤتيه من يشاء ❋ فقدروى زيد بن اسلم عن انس قال بعث الفقراء رسولا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى رسول الفقراء اليك فقال
مرحبا بك و بمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم الله قال قالوا يارسول
الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولانقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا
مرضوا بعثوا بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال عليه السلام بلغ عنى الفقراء الحديث
قال مخرجه لم اجده هكذا بهذا السياق والمعروف فى هذا المعنى مارواه ابن ماجه
من حديث ابن عمر اشتكى فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مافضل الله به عليهم اغنياءهم فقال يامعشر الفقراء الا ابشركم ان فقراء المهاجرين
يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهوخمسمائة عام (ولان) عطف على
وردفهو دليل ثان على ان الفقراء افضل فى نفس الامر وذلك لان (الغنى سبب
طول الحساب) وهونوع من العذاب ولذا قال ابو الدرداء ما احب ان لى حانوتا على
باب المسجد ولا تخطئنى صلوة ولاذكروارح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها فى
سبيل الله قيل وما تكره قال سوء الحساب ومن هنا قال شقيق اختار الفقراء
ثلاثة اشياء راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء ثلاثة
اشياء تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب (والغرور) اى وسبب طول الغرور
فى الامور الموجب للحجاب فقد قال بعض السلف مثل من تعبد وهو فى طلب الدنيا

كمثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان
الدارانى تنفس فقير فى شهوة لايقدر عليها افضل من عبادة غنى الف عام وعن
الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه فصبرواحتسب كان خيراله من الف
دينار ينفقها كلها فى سبيل الله عزوجل وقال رجل لبشر بن الحارث ادع الله
لى فقد اضرنى العيال فقال اذاقال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولاخبز فادع الله
لى فى ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائى وكان يقول مثل الغنى المتعبد مثل
روضة على مزبلة ومثل الفقير المتعبد مثل عقد الجوهر على جيد الحسناء وقد
كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء (فان عورض) ما ذكر من ادلة تفضيل
الفقر على الغنى (بان الغنى صفته تعالى والتخلق باخلاقه مندوب اليه) كما ورد تخلقوا
باخلاق الله (وبان الغنى قادر على العبادات المالية) من الزكوة والحج والعمرة (دون
الفقير) اى بخلافه (لم يعترض) اى لم يقبل اعتراضه فى الامرين فهما لف
ونشرهما مرتبا قوله (لان الغنى بالاسباب والاعراض) الواقعة من غير الاكساب
(ليس من خلقه) اى صفته (تعالى كالتكبر) بهما (دون استحقاق) للغنى والكبرياء
وذلك لان الله غنى بذاته لابما يتصور زواله والتكبر لا يليق بالعبد لانه من خاصة صفاته
اللائقة بذاته كما اوضحناه فيما تقدم (والعبادة) اى ولان العبادة (المالية انما توجب
الثواب) فى العقبى (لترك الدنيا) الاشتغال بخدمة المولى (كالتوبة) فى الدنيا توجب
المثوبة فى الاخرى (لترك الذنب) اى مخافة المولى (فلو فضل الغنى على الفقير) بهذا
الاعتبار (لفضل العاصى على المتقى) اى الطائع من الابرار وهو لا يصح عند اولى
الاستبصار (وحقه) اى حق الفقير الواجب عليه عشرون حقا (ان لا يكرهه) اى الفقر
(من حيث انه فعله تعالى) شرعا وان كان كارها للفقر طبعا كالمحجوم يكون كارها للحجامة
ولا يكره فعل الحجام الا كارها للحجامة (بل) ربما (يتقلد منه) سبحانه (المنة تقلد المحجوم) اى
كتقلده المنة (من الحاجم) ثم عدم الكراهة من هذه الحيثية واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب
الفقر وهذا معنى قوله (والاياثم) اى وان لم يحبه من حيث انه فعله تعالى يأثم لعدم الرضاء
بالقضاء وهو واجب على العباد شرعا وان كان الفقر مكروها عنده طبعا وارفع من
هذا المقام ان لايكون كارها للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالباله
وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا فى باطنه على الله تعالى وانقيا به فى قدر
ضرورته انه يأتيه الرزق لامحالة عند المولى ويكون كارها للزيادة على الكفاف وقد قال على
كرم الله وجهه ان لله عقوبات للفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة الفقراذا كان مثوبة ان
يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامته
اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصى ربه ويكثر الشكاية والتسخط بالقضاء وهذا آداب
باطنه معربه (ويستر) اى وحق الفقير فى ادب ظاهره ان يستر (امره) ويكتم فقره ويستر

ايضا سره فقد قال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وروى من كنوز البر كتمان المصائب
(بالتجمل) اوى باظهار الجمال كأنه صاحب المال كما قال صاحب هذا الحال
* واذا تصبك خصاصة فتجمل * وقال سفيان افضل الاعمال التجمل
عند شدة الاحوال (والتعفف) من السؤال واظهار الحال وقد وصف
الله اصحاب الصفة من كمل الرجال بقوله (يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف)
اى اظهار العفة حال المحنة (فوردان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال) رواه ابن ماجه من
حديث عمران بن حصين (ولا يتواضع) اى وحق الفقيران لا يتواضع (لغنى) بالمال
(للغنى) اى لاجل ماله من المال المستغنى عن طلب الكمال من العلوم والاعمال
(فورد فيه) اى فى ذمه من تواضع لغنى لاجل غناه (ذهب ثلثا دينه) رواه البيهقى
غيره وروى الديلمى من حديث ابى ذر بلفظ لعن الله فقيرا تواضع لغنى من اجل ماله
من فعل ذلك منهم فقد ذهب ثلثا دينه انتهى وذلك لان آلة العبادة قلب ولسان
وجوارح وفى تعظيم الغنى لابد من استعمال اللسان والجوارح وفيه تنبيه نبيه على
انه لو عظمه بقلبه ذهب كل دينه (بل) حق الفقيران (يترفع عليه) اى على
الغنى استغناء بربه الغنى المغنى (فوردانه) اى التكبر على الغنى المتكبر (صدقة) اى ثوابه
صدقة اوصدقة من صدقات الفقير تدل على صدقه فى باب الفقر وفى رواية نهمع
التاهى فانه صدقة وعن على كرم الله وجهه ما احسن تواضع الغنى للفقير
رغبة فى ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغنى ثقة لله فهذه رتبة واقل
منها ان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب فى مجالستهم لان ذلك مبادى الطمع قال الثورى
اذا خالط الفقير الاغنياء ورغب فى مجالستهم فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان
فاعلم انه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع
فيهم انقطعت عصمته واذا سكن اليهم ضل سعيه ومحنته (ولا يتوانى) اى وحقه
ان لا يفتر عن الطاعة ولا يتكاسل (فى العبادة) بسبب فقره وقلة صبره (ويتصدق بالفاضل)
اى وحقه ان لا يمنع ما يفضل عنه من حاجته كطعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته
ويدفع عنه حره وبرده وبيت يكنه ويستره فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال
كثيرة تبذل عن ظهر غنى (فورد فيه) اى فى حقه (ان درهما) من الفقير (افضل
من مائة الف) اى مائة الف درهم من الغنى وفى رواية سبق درهم مائة الف درهم
وعن ابى هريرة قال عليه السلام درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف
قيل وكيف يارسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف درهم فتصدق بها
واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم
افضل من صاحب المائة الالف رواه النسائى (ويستقرض) اى وحقه ان يستقرض
(تحسينا للظن به تعالى) ان يقضيه من خزائن كرمه وجوده (لا تعويلا) اى اعتمادا

(على السلطان الظالم) واعوانه وجنوده (فيقضى) دينه بنفسه (ان وجد حلالا)
بعده (والا) اى وان لم يجد حلالا فلا يأخذه فانه حينئذ (يقضيه تعالى) فى الدنيا
(ويرضى الخصماء) فى العقبى اما بفضله اوبعدله بان يعطى الخصم منزلة يرضى
بها عن حقه (ويكشف الحال) اى وان يظهره ولا يخفيه (عن المقرض) لئلا يدخل تحت
وعيد من غشنا فليس منا (ولا يخدع) اى وان لا يخدع المقرض (بالمواعيد) الكاذبة
(ويجب القضاء) اى قضاء دين الفقير حيث صرفه فى الطاعات (من بيت المال)
الموضوع لمهمات المسلمين من المات (والصدقات) اى الزكوة (ولا يسأل) اى وحقه
ان لا يسأل عن الناس اصلا (فهو) اى السؤال عن الخلق (فى الاصل) اى اصل وضع
الشرع (حرام) وانما يحل لعوارض تشرع من ضرورة اوحاجة مهمة قريبة من
الضرورة فان كان عنها بد فهو حرام وانما كان الاصل فيه التحريم لثلاثة امور محرمة
(لتضمنه الشكاية منه تعالى) اذ السؤال اظهار للفقر وفقد للمال وذكر لقصور نعمة الله عنه
فى الحال وهو عين الشكوى عن المولى وكما ان العبد المملوك اذا سأل غير سيده كان
سؤاله تشنيعا على مالكه فكذا سؤال العبد تشنيع على ربه سبحانه وهذا ينبغى ان يحرم ولا
يحل الا لضرورة كما لا تحل الميتة الا لضرورة (واذلال النفس) اى ولتضمنه اهانة
النفس (المؤمنة لغيره) سبحانه وقد قيل السؤال ذل ولو اين الطريق وورد لا يحل
لمؤمن ان يذل نفسه يعنى لغير الله بل عليه ان يذل نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه
فقد قال تعالى * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين * فاما سائر الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغى
ان يذل لهم الا لضرورة فى احواله ففى السؤال ذل السائل بالاضافة الى المسؤل
ومن دعاء الامام احمد اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن
مسألة غيرك (وايذاء المسؤل) اى ولتضمنه ايذاءه غالبا لانه ربما لا تسمح نفسه بالبذل
عن طيب قلب منه (فربما يعطى حياء) من السائل اوريا اذا كان السؤال فى المحافل فهو
حرام على الآخذ وان منع ربما استحيى وتأذى فى نفسه بالمنع اذ يرى نفسه فى صورة
البخلاء ففى البذل نقصان ماله وفى المنع نقصان جاهه وكلاهما مؤذيان والسائل هو
السبب فى الايذاء والايذاء حرام الا لضرورة (فورد) فى كون السؤال فى الاصل حراما
(ما احل من الفواحش غير مسألة الناس) وافظ الاحياء مسألة الناس من الفواحش
ما احل من الفواحش غيرها قال مخرجه لم اجده اصلا انتهى فورد من سأل
عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه
عظم يتقعقع ليس عليه لحم رواه ابوداود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية
ولمسلم من حديث ابى هريرة من سأل الناس اموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا وللشيخين
من حديث ابن عمر ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيمة وليس فى وجهه
مزعة لحم ولاصحاب السنن من حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه كانت مسألته

خدوشا وكدوحا فى وجهه ولمسلم من حديث عوف بن مالك الاشجعى انه عليه
السلام بايع قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفية
ولا تسألوا الناس شيئا ولقد كان بعضهم يقع السوط من يده فينزل عن فرسه ويتناوله
ولابن ابى الدنيا وغيره من حديث ابى سعيد الخدرى من سألنا اعطيناه ومن استغنى
اغناه الله ومن لم يسألنا فهو احب الينا وللبزار والطبرانى من حديث ابن عباس
استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك واسناده صحيح وفى رواية فتغتهو اولو بحزم
الحطب فهذه الاحاديث صريحة فى تحريم السؤال الا للفقير قال فى الاحياء وتقديره
عسير اذ ليس الينا وضع التقدير بل يستدرك ذلك بالتوقيف والتقرير وقد ورد فى
الحديث استغنوا بغنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة كذا
فى الاحياء قال مخرجه هو من حديث سهل بن الحنظلية قالوا ما يغنيه قال ما يغديه
او يعشيه ولاحمد من حديث على باسناد حسن قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلته
وهذا هو المختار من مذهبنا الحنفية وفى حديث آخر من سأل وله خمسون درهما
او عدلها من الذهب فقد سأل الحافا وفى لفظ آخر اربعون درهما ولعل هذه الاحاديث
محمولة على حالة احتياج السائل لغير الاكل من الثوب او البيت ونحوهما من
ضروريات معيشته وقيل يجوز للسائل ان يسأل معيشة سنة لاسيما اذا كان معيلا اولا
يعطى العطاء الا فى وقت واحد والله سبحانه اعلم (الا) اى وحقه ان لا يسأل احدا
الا (لضرورة تميت) اى تقتله (او تمرض) اى تجعله مريضا او تجعله عريانا او نحوها
فالسؤال حينئذ مرخص فيه لكن (لمن عجز عن الكسب) بحرفة و نحوها (او استغرق)
وقته (فى طلب العلم) الشرعى من الامر الاصلى او الفرعى لامن استغرق فى طلب
العبادة فان نفع هذا قاصر ونفع ذلك متعد ولان زيادة العبادة نافلة وزيادة العلم فريضة
(او تعب) اى اولمن تعب بسبب الكسب وضعف عن الطاعة (وفيه) اى فى حصول التعب
(الترك) للسؤال (اولى) مع جواز السؤال وفى الجملة ورد ما يدل على الرخصة فى السؤال
حيث قال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرس رواه ابو داود من حديث الحسين
ابن على ولابى داود والترمذى وقال حسن صحيح ردوا السائل ولو بظلف
محرق وقد سأل ثلاثة من الانبياء فى موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر
عليهم السلام وروى ان بعضهم رأى ابا الحسن الثورى يمد يده و يسأل الناس
فى بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فأتيت الجنيد فاخبرته فقال لا تعظم
هذا عليك فان الثورى لم يسأل الناس الا لتعظيمهم انما يسألهم ليثيبهم فى الآخرة
فيوجرون من حيث لا يضره ثم قال الجنيد هات الميزان فوزن مائة درهم ثم قبض
قبضة والقاها على المائة ثم قال احملها اليه فقلت فى نفسى انما يوزن الشئ ليعلم

مقداره فكيف خلط به مجهولا وهو رجل حكيم فاستحييت ان اسأله فذهبت بالبصرة
الى الثورى فقال هات الميزان فوزن مائة قال ردها عليه وقال قل له انا لا اقبل منك
شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبى فسألته فقال الجنيد رجل حكيم
يريد ان يأخذ الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الآخرة وطرح عليها قبضة
بلا وزن لله عزوجل فاخذت ما كان لله ورددت ما جعل لنفسه قال فرددتها الى الجنيد
فبكى وقال اخذ ماله ورد مالنا الله المستعان فانظر الآن كيف صفت قلوبهم واحوالهم
وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير
مناطقة باللسان ولكن بتشاهد القلب وتناجى الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال
وخلو القلب عن حب الدنيا والاقبال على المولى بكنه الهمة (و يحترز) اى وحقه
ان يحترس (عن الشكاية) من الله فى سؤاله (فيقول) كانما لحاله (انى مستغن)
بالقلب عن السؤال ثقة بالله الملك المتعال (لكن النفس تريد الشهوة) فتوقعنى فى السؤال
(وعن الاذلال) اى ويحترز عن التذلل فى السؤال فيجتنب اجنبيا لئيما من ارباب
الاموال (فيسأل قريبا) اى ذا قرابة رحيما من اهل الكمال من وصفه انه لا ينقصه ذلك
فى عينه ولا يزدريه بسبب فقره وكذا حكم صديقه فكان ابراهيم النخعى يسأل اصحابه
الدرهم والدرهمين و يعرض عليه غيرهم المائتين فلا يأخذه (او كريما) من ذوى الجمال
من نعته انه (لا يمن) على السائل بالعطاء والنوال (بل يقبل المنة) للسائل عليه فى اخذ
المال ولو بالسؤال فقد قال بشر الحافى ما سألت احدا قط شيئا الا السرى السقطى لانه
قد صح عندى زهده فى الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده و يتبرم ببقائه عنده فاكون
عونا له على ما يحب (وعن الايذاء) اى ويحترز عن ايذاء المسؤل (فلا يسأل فى الجمع
الا ممن يستحيى عن الرد) والمنع وان لم يكن فى الجمع (فيحرم) حينئذ ما اخذ (ان
وعطى) المسؤل (حياء منه) اى من السائل (او من حاضر) آخر (كما لو اخذه عنفا)
اى غصبا اذ لا فصل بين الاخذ بضرب القضاء او بسوط الحياء بل ضرب الباطن
اشد نكاية عند العقلاء (والفارق) بين عطائه لله او حياء من الخلق (القرائن) الموجودة
فى تلك الحالة (وفتوى القلب) الخالى عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن الايذاء
ان يأتى الكلام تعريضا فى الصحبة بحيث لا يقدم على البذل الا متبرع بصدق الرغبة
وان لا يعين شخصا للسؤال لئلا يشوش له البال (ويشكره) اى وحق الفقير ان يشكر
الله (سبحانه بعد القبض) اى اخذ العطاء بثلاثة من الاشياء (بالاشتغال بالطاعة
قولا وفعلا مثل ان يقول الحمد لله او يصلى ركعتين لله (والانفاق فيها) اى و بصرف
العطاء فى طاعة المولى (فهو) اى الانفاق فى الطاعة (الاحب) اى الافضل من غيره
المستفاد من قوله (او فى المباح) ينفق مثل فضول الحلال (ومعرفة فضل الفقر)
اى و بمعرفته الثمرة لترك التواضع المفرط للمعطى (وشكر المعطى) اى و بثنائه لجزائه

(بكونه سببا) فى عطائه (فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله) رواه احمد والترمذى
وحسنه عن ابى سعيد وذلك لاينافى رؤية النعمة من الله اما اذا غفل عن الله فى اخذ
العطاء واثنى على المخلوق وشكره بالثناء والدعاء فلا يكون شكره حينئذ شكر الله (ويدعو له)
اى وحقه ان يدعو بالخير للمعطى فيقول طهر الله قلبك فى قلوب الابرار وزكى عملك
فى عمل الاخيار او يقول بارك الله لك فيما اعطيت وفيما ابقيت (فورد من اسدى) اى اوصل
(اليكم معروفا) اى احسانا (فكافئوه) اى جازوه بمثله لقوله تعالى * هل جزاء الاحسان
الا الاحسان * (فان لم تستطيعوا) على المكافاة فى العطاء (فادعوا له) باظهار الثناء واسرار
الدعاء فللترمذى والنسائى وابن حبان عن اسامة من صنع اليه معروفا فقال لفاعله
جزاك الله خيرا فقد ابلغ فى الثناء وللشيرازى عن ابن عباس من اسدى الى قوم نعمة فلم
يشكروها له فدعا عليهم استجيب ولابن عساكر عن على من صنع الى احد من اهل بيتى
يدا اكافيه عليها يوم القيمة (ولا يستصغر) اى وحقه ان لا يستحقر العطاء ولا يترك الدعاء
والثناء لحديث من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر
رواه عبد الله بن احمد فى زوائد المسند عن عثمان بن بشير (ولا يفزع) اى وان لا يجزع
(بالمنع) فان العطاء والمنع والضر والنفع بيد الله سبحانه فورد لا مانع لما اعطيت
ولا معطى لما منعت وفى الحكم لابن عطاء ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك
وقال تعالى * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * وما منع
عبد عن باب الا وفتح له عن ابواب (ويحترز) اى وحقه ان يحترز (عن الشبهة)
اى تناولها (فورد) فى التنزيل (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) اى من الشدائد
الدنيوية والاخروية ويجعل له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا (ويرزقه
من حيث لا يحتسب) رزقا حلالا طيبا من غير حساب (ولا يأخذ) اى وان لا يقبل
(اكثر من قوت يوم وليلته) ان كان من الاقوياء (فهو) اخذ قوت اليوم (العزيمة)
التى يأخذ بها الانبياء والاولياء (والرخصة) للضعفاء ومن له العيال والنساء (قوت سنة
تجدد بسبب الدخل) وهو ما يدخل على الانسان من ضيعته وزراعته (بعدها) اى بعد
تمام سنته (وكان عليه السلام لا يأخذ) اى لا يدخر (للعيال اكثر منه) اى من قوت
سنة (بل يؤثر شيئا منه) اى من قوت سنته للفقراء (حتى ينتهى) اى يفرغ ما ادخره
(قبل مضى السنة وهو) اى ادخار قوت السنة (الوسط) اى الافضل المتوسط بين
الحالات (المرضى من الروايات فورد اربعون يوما) (او خمسون) يوما فى مدة جواز
الادخار وللشك او التنويع (ونصاب الزكوة) وهو عشرون دينارا او اربعمائة
درهم (وقيمة الضيعة) اى المزرعة فيستغنى بها طول عمره وفى معناها قيمة البيوت
والحوانيت المستغلة لفوائد الغلة (او البضاعة) اى قدر رأس مال التجارة (المحصلة
للغنى) بسبب الربح الكافى للمعيشة فيتجر بها ويستغنى عن غيرها وفى الاحياء

ان فى الادخار ثلاث درجات احديها ان لا يدخر الا يومه وليلته وهى درجة الصديقين
وثانيتها ان يدخر لاربعين يوما فاما زاد عليه دخل فى طول الامل وقد فهم العلماء
ذلك من ميعاد الله لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة فى امل الحيوة اربعين يوما
وهذه درجة المتقين وثالثتها ان يدخر لسنة وهى اقصى المراتب وهى رتبة
الصالحين ومن زاد فى الادخار على هذا فهو داخل فى غمار العموم خارج عن حيز
الخصوص بالكلية فغنى الصالح الضعيف لطمأنينة قلبه فى قوت سنة وغنى
الخصوص فى اربعين يوما وغنى خصوص الخصوص فى يوم وليلة وقد قسم النبى
عليه السلام لنسائه على مثل هذه الاقسام فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند
حصول ما يحصل وبعضهن قوت اربعين يوما وبعضهن يوما وليلة منهن عائشة
وحفصة وقد سكت عنه مخرجه (ويستر) اى وحقه ان يستر السؤال او اخذ النوال
ويكتمه فيسأل فى الخلاء دون الملاء (تحاميا عن هتك المروءة) اى تحفظا عن خرق
الفتوة فانها تقتضى عدم السؤال فى حال يوجب الايذاء او مروءة المسؤل ان رد السائل
مع القدرة والقوة (وكشف الحاجة) اى وتحاميا عن اظهار الفقر والفاقة وقد تقدم
ان من كنوز البر كتمان الفقر (والحسد) اى وعن اظهار الحسد الذى لا يخلو من الجسد
(والغيبة) بالطعن عليه فى الغيبة (وسوء الظن به) فى كونه غنيا ويظهر الفقر الذى
يقتضى خلقا دنيا وهذا كلها من الكبائر فصيانتهم عن هذه الجرائم اولى وذا انما
يحصل بستر السؤال والاخذ كما لا يخفى (وعن اعلان عبادة المعطى) فان الاخفاء
افضل فى الصدقة لقوله تعالى * ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم * وفى ستر السؤال واخذ النوال اعانة للمعطى على اسرار العمل
واخفائه الذى هو الاكمل والاعانة على اتمام المعروف معروف عند الكمل (و) عن اعلان
(مذلة النفس المؤمنة فهو حرام) من غير ضرورة (وشبهة الشركة) اى وتحاميا عنها
(فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم) او احد (فهم شركاؤه فيها) والمراد
بهم هم الذين يداومون مجلسه ويعتكفون بابه ويتفقدون اموره لا كل من كان جالسا
فى ذلك الوقت عنده كذا فى اصول الترمذى والحديث رواه الطبرانى من حديث حسن
ابن على بلفظ فجلساؤه شركاؤه فيها وعليه البخارى بصيغة تمريض قال السيوطى
واخرجه العقيلى من حديث عائشة انتهى واما حديث الهدايا تشترك فلا اصل له
وكذا الهدية لمن حضر الامن حيث المعنى من غير اعتبار المبنى (ويعرف) من ستر سؤاله
واخذه تحاميا عن هتك ستر المروءة الى آخره (بكراهة ظهور اخذ غيره كاخذه) اى
ككراهة ظهور اخذ نفسه فورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه
ويكره لاخيه ما يكره لنفسه (ويظهر) اى وحقه ان يظهر السؤال واخذ النوال (قصد
الاخلاص) فى تصحيح الحال والمعنى ان من ترك السؤال فى الملاء لئلا يعيب عليه

الخالق فى الخلاء فهذا نوع من الرياء فيصح له ان يظهر اخذ العطاء ليتخلص من شائبة الرياء (واسقاط الجاه) واسقاط المنزلة عند ارباب الدنيا (وهضم النفس) اى ولرياضتها فى طريق المولى النافعة له فى العقبى (واداء الشكر) اى ولادائه لنعمة الفقر (فورد) فى التنزيل لبيان مدح اظهاره (واما بنعمة ربك فحدث) ولبيان ذم اسراره (ويكتمون ما آتيهم الله من فضله) وهذا انما يصح لمن يتلذذ بالفقر والبلاء كما يتلذذ غيره بالسعة والنعماء بل يكون ممن يقتدى به الصلحاء و يتفق على فضله العلماء فيظهر الشكر على الفقر ليعلم ان موجب فضله الفقر المقرون بالشكر (و يعرف) من يظهر السؤال قصدا لاداء الشكر فى نعمة الفقر (بارادة ظهور عطاء الساتر له) اى المعطى (كعطاء المظهر له) بل ربما يرد العطاء على وجه الاسرار و يقبله على طريق الاظهار عكس فعل بعض الابرار (واما ان بلغ حدا يستوى فيه السر والعلانية) فى حقه (فكبريت احمر) اى فهو كبريت احمر عزيز الوجود فى دائرة الشهود بل كعنقاء المغرب يسمع له اسم ولا يرى له جسم (و يترك) اى وحقه ان يترك (ما) اى سؤال ما او اخذ ما يدخل (فيه) اى عطائه (السمعة والرياء) وكذا المنة والايذاء (تحاميا عن الاعانة على الاثم) قال تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وكان سفيان الثورى يرد ما يعطى و يقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به لاخذت وعوتب بعضهم فى رد ما كان يأتيه من صلة قال انما ارد صلتهم اشفاقا عليهم ونصحا لهم لانهم يذكرون ذلك و يحبون ان يعلم بهم فتذهب اموالهم وتحبط اجورهم و تفسد احوالهم (والاولى ان لا يأخذ الا للحاجة اليه) فيما لا بد منه وهو مفسر فى حديث رواه الترمذى و صححه عن عثمان مرفوعا لا حق لابن آدم الا فى ثلاث جلف الخبز والماء و ثوب يوارى عورته و بيت يسكنه و يكنه فما زاد فهو حساب (فورد ما المعطى من سعة) فى ماله (باعظم اجرا من الآخذ اذا كان) الآخذ (محتاجا اليه) رواه الطبرانى من حديث ابن عمر (او التفريق) اى اولا يأخذ الا لاجل تفريقه (على الفقراء) المحرومين من خيرات الاغنياء (فيعجل) فى التفريق ولا يهمل (تحاميا عن الانس بالدنيا) فلا يدخر فان امساكه ولو ليلة واحدة فيه اختبار وفتنة فربما يحلو فى قلبه فيمسكه ولاحمد من حديث عائشة بسند حسن انه قال فى مرضه الذى مات فيه يا عائشة ما فعلت بالذهب فجاءت ما بين الخمسة الى الثمانية الى التسعة فجعل يقلبها بيده و يقول ما ظن محمد بربه لو لقى الله وهذه عنده انفقيها وفى رواية سبعة او تسعة دنانير وله من حديث ام سلمة باسناد صحيح دخلت على عليه السلام وهو ساهم الوجه اى متغيرة قالت فحسبت ذلك من وجع فقلت يا نبى الله ما لك ساهم الوجه فقال من اجل الدنانير السبعة التى اتانا امس امسينا وهى فى خصم الفراش وفى رواية امسينا ولم ننفقها (او الاخذ) اى ولا يأخذ

الا لاجل اخذه (فى الملاء والرد فى الخلاء فهو اقرب الى السلامة) من السمعة والرياء ومن خجالة الاغنياء وما يحصل لهم من الايذاء واما ان اخذه فى الملاء وفرقه فى الخلاء فهو مقام الصديقين من الاولياء وهذا امر شاق على النفس لا يطيقه الا من اطمأنت نفسه بالرياضة هذا و يجوز له ان يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه الى من هو احوج اليه منه او يأخذ العطاء و يوصله الى من هو احوج اليه من الفقراء فيفعل كلاهما فى السر او كلاهما فى الملاء (و يختار التطوع) اى وحقه ان يختار اخذ صدقة التطوع على الواجب من الزكوة والفطرة (ان شك) الفقير (فى شرائط الواجب) اى فى وجود شرائط اخذ الزكوة الواجبة هل هو مستحق للزكوة ام لا فان اشتبه الامر عليه فهو محل الشبهة (او علم) الفقير (انه) اى الغنى (لا يتصدق) بصدقة التطوع (على غيره ان لم يأخذ) الفقير بعينه (او قصد) الفقير (التوسيع على الفقراء) بايثار مال زكوة الاغنياء فانه يختار اخذه فانه محض الخير ونفع الغير (والواجب) اى و يختار اخذ صدقة الواجب (ان قصد الاعانة على ادائه) اى اداء الواجب وقضائه (او) قصد (موافقة الفقراء) ومرافقة الضعفاء (او هضم النفس) اى رياضته فى مقام الابتلاء (فامثاله) اى امثال ما ذكر (تختلف باختلاف النية) اى نيات الصلحاء وجاءت الى فتح الموصلى صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسألة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن يروى هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزمة من دقيق فرد ذلك وقال من جلس مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله عز وجل يوم يلقاه وليس له خلاق وهذا يدل على ان امر العالم والواعظ اشد فى قبول العطاء وكان الحسن يقبل من اصحابه كذا فى الاحياء وقال مخرجه حديث عطاء لم اجده مرسلا بكذا ولاحمد وابى يعلى والطبرانى باسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهنى من بلغه من اخيه معروف من غير مسألة ولا اسراف نفس فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله عز وجل اليه وجاء خراسانى بمال الى الجنيد وسأله ان يأخذه و يأكله فقال افرقه على الفقراء فقال ما اريد هذا قال ومتى اعيش حتى آكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه فى الخل والبقل بل فى الحلوى والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراسانى ما اجد ببغداد آمن على منك فقال الجنيد ولا ينبغى ان يقبل الا من مثلك وقيل من اعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط قال العلماء يخاف فى الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول فى شبهة او غيره وفى الاحياء قال بعض العلماء المجاورين بمكة كانت عندى دراهم اعددتها للانفاق فى سبيل الله فسمعت فقيرا وقد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفى * جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى * فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد توارى به فقلت

فى نفسى لااجد لدراهمى احسن من هذا فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة ثمن مئزرين ودرهم انفقه ثلاثا ولا حاجة لى الى الباقى فرده قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس فى نفسى منه شئ فالتفت الى واخذ بيدى فاطافنى معه اسبوعا كل شوط منها فى جوهر من معادن الارض تتخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر للناس فقال هذا كله اعطانيه ربى فزهدت فيه وآخذ من ايدى الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والمقصود ان الزيادة على الحاجة انما تأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فلا تغفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء قال تعالى * انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا * وعن موسى عليه السلام انه قال يارب جعلت رزقى هكذا على ايدى بنى اسرائيل يغدينى هذا يوما و يعشينى هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائى اجرى ارزاقهم على ايدى البطالين من عبادى ليؤجروا فيهم فلا ينبغى ان يرى المعطى الا من حيث انه مسخر مأجور وقيل فى تفسير قوله تعالى * لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله * معناه ليبع احد ثوبيه وقيل ليستقرض بجاهه فذلك مما آتاه الله وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضايعهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن ظنهم بربهم ومات بعضهم فاوصى بماله لثلاث طوايف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن بالله واما الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله وكان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان اعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين فى عليين وفقير لا يسأل وان اعطى اخذ فهذا مع المقربين فى جنات الفردوس وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين وقال ابراهيم بن ادهم لشقيق البلخى حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال شقيق فكيف الفقراء عندكم يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا استاذ (ثم الزهد عزوف القلب) اى ميله وانصرافه (عن الدنيا الى الآخرة طوعا) اى اختيارا وجعله طاعة فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة عن الشئ الى ما هو خير له منه ومنه قوله تعالى * وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين * اى باعوه طمعا فى ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك احب عندهم من يوسف فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد فى الدنيا وكل من باع

الآخرة بالدنيا فهو ايضا زاهد فى الآخرة لكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد فى الدنيا كما يخصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل واسم الحنيف بمن يميل الى الحق وان كان الكل بمعنى الميل فى وضع اللسان فالذى يرغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس فهو الزاهد المطلق والذى يرغب فى كل حظ ينال فى الدنيا ولم يزهد فى مثل تلك الحظوظ فى الآخرة بل طمع فى الحور والقصور والانهار والاثمار فهو ايضا زاهد لكن دون الاول والذى يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذى يترك المال دون الجاه او بالعكس او يترك التوسع فى الاكل ولا يترك التجمل فى الزينة فلا يستحق اسم الزهد مطلقا ودرجته فى الزاهدين درجة من يتوب عن بعض المعاصى فى التائبين وقد تقدم الخلاف فى صحة التوبة لكن لا خلاف فى صحة الزهد عن البعض ثم الزهد عبارة عن ترك المباحات ومن ترك المحظورات لا يسمى زاهدا و يشترط فى المرغوب عنه ان يكون مقدورا عليه ولذا قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما انا ففيما ذا زهدت وقال ابن ابى ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتى فى مسألة الا رد علينا يعنى ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادرى اهو ابن الحائك او ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها انتهى فمن عرف ان ما عند الله باق وان الآخرة خير وابقى عزف قلبه عن الدنيا الى العقبى مع القدرة على تحصيل مراتب الغنى والى هذا الشرط اشار بقوله طوعا (ولا يعبأ باليد) اى ولا يعتبر بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا وعدما وقلة وكثرة اذا حصل الزهد فيها (او وجودها) اى الدنيا جاها ومالا (لسليمن عليه السلام) مع انه كان زاهدا فى الدنيا وراغبا فى العقبى كسائر الانبياء والاولياء (وكون عيسى) اى ولكونه (عليه السلام اخلى يدا من نبينا صلى الله عليه وسلم مع انه) اى نبينا (افضل) وزهده اتم واكمل على انه لا بدع ان يوجد فى المفضول بعض ما لا يوجد فى الافضل فتأمل ولعل الحكمة فى اختيار عيسى عليه السلام المبالغة فى الزهد فانه مسلك اهل الترهب واما نبينا عليه الصلاة والسلام فلما كان رحمة لكافة الانام اختار طريقا يسع جميع امته ان يتبعوه ولانه صاحب الملة الحنيفية السمحاء وليس فى دينه من حرج ولكونه مظهر المرتبة الجمع بين الصفات الجمالية والنعوت الجلالية كما يشير اليه قوله اشبع يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع ان الزهد عند المحققين هو ترك ما يشغلك عن المولى وزاد العقبى ثم كل مؤمن يعلم ان الآخرة خير وابقى لكن قد لا يقدر على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه بالمآل واما لاستيلاء الشهوة عليه فى الحال واما لاغتراره فى الاستقبال بمواعيد الشيطان فى التسويف يوما بعد يوم الى ان يختطفه الموت ولا يبقى معه الا حسرة بعد الفوت والى تعريف

خساسة الدنيا اشار قوله تعالى * قل متاع الدنيا قليل * والى تعريف نفاسة الآخرة
قوله * وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثوب الله خير لمن آمن * واما قول ابن مسعود
ماعرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى * منكم من يريد الدنيا ومنكم
من يريد الآخرة * فرواه البيهقى فى دلائل النبوة باسناد حسن لكن حمل على ان منهم
من يريد الدنيا ليصرف فى طريق العقبى ومنهم من يريد الآخرة ويترك الدنيا
بالكلية رضا للمولى وعملا بما قال عيسى عليه السلام ياطالب الدنيا لتبر تركك للدنيا
ابر (وهو) اى الزهد (يثمر) خمسة اشياء (المكاشفة) لاحوال الآخرة (كما سبق
فى حديث النجافى وحارثة رضى الله عنه) اما حديث النجافى فهو انه سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح فى قوله تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام * فقيل له ماهذا الشرح فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح له
الصدر وانفسح قيل يارسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافى عن دار
الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله رواه الحاكم واما حديث
حارثة فهو انه لما قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا مؤمن حقا فقال وما حقيقة
ايمانك قال عرفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى ذهبها وحجرها وكأنى بالجنة
عن يمينى والنار عن يسارى وكأنى بعرش ربى بارزا فقال عليه السلام عرفت فالزم
نور الله قلبك بالايمان رواه البزار من حديث انس والطبرانى من حديث الحارث
ابن مالك (والفراغ) اى ويثمر الزهد فراغ خاطر ارباب الارادة (للعبادة) التى
هى سلوك سبيل السعادة (فورد من احب آخرته اضر بدنياه) تمامه ومن احب
دنياه اضر بآخرته فآثروا ما يبقى على مايفنى رواه احمد والطبرانى من حديث ابى
موسى (وتعظيم قدرها) اى ويثمر تعظيم مقدار العبادة (فورد ركعتان من عالم
زاهد خير من عبادة المتعبدين الى آخر الدهر) لم اجد له اصلا بهذا السياق وانما هو
لابن مسعود موقوفا وللشيرازى فى الالقاب عن على مرفوعا ركعة من عالم بالله خير
من الف ركعة من متجاهل بالله وللديلمى عن انس ركعتان من رجل ورع افضل
من الف ركعة من مخلط ولابن النجار عن محمد بن على مرسلا ركعتان من عالم
افضل من سبعين ركعة عن غير عالم وقد صح لفقيه واحد اشد على الشيطان
من الف عابد (ومحبته تعالى) اى ويثمرها الزهد فقد ورد فى الخبر ان اردت
ان يحبك الله فازهد فى الدنيا رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم
حديث ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى ايدى الناس يحبك الناس (ومعرفته)
اى ويثمرها فى الخبر قد ورد اذا رأيتم العبد قد اعطى صمتا وزهدا فى الدنيا
فاقربوا منه فانه يلقى الحكمة رواه ابن ماجه من حديث ابى خالد وقد قال
تعالى * ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا * ولذا قيل من زهد فى الدنيا اربعين

يوما اجرى الله ينابيع الحكمة فى قلبه وانطق بها لسانه كذا فى الاحياء وقد وجد
معناه من حديث من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على
لسانه رواه ابو نعيم من حديث ابى ايوب ومن المعلوم انه لا يكون العبد عابدا
مخلصا الا اذا كان زاهدا وفى الخبر ايضا من زهد فى الدنيا ادخل الله الحكمة قلبه
وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام
رواه ابن ابى الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا ولابن عدى من حديث
ابى موسى من زهد فى الدنيا اربعين يوما واخلص فيها العبادة اجرى الله ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه (فهما) اى المحبة والمعرفة اللتان يثمرهما الزهد
(لا يحصلان الا بدوام الذكر) اى ذكر المولى (والفكر) لزاد العقبى (الممتنعين
مع الشغل بالدنيا) وقد قال تعالى * اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا * اى
على الزهد فى الدنيا كما جاء فى التفسير وقال تعالى * انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم ايهم احسن عملا * قيل معناه ايهم ازهد فيها وقال تعالى * من كان
يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله
فى الآخرة من نصيب * وقال عز وعلا * لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى * وللطبرانى من حديث ابن
مسعود بسند حسن من اشرب قلبه حب الدنيا التاط منها اى ابتلى بثلاث
شقاء لا ينفذ عناه وحرص لا يبلغ غناه * وامل لا يبلغ انتهاه وللديلمى من رواية
على بن ابى طلحة مرسلا لا يستكمل عبد الايمان حتى يكون قلة
الشئ احب اليه من كثرته وله من حديث انس من زهده فى الدنيا بصره بعيوب
نفسه وفقهه فى الدين وعن عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها
ولابن حبان من حديث على من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف
من النار لها عن الشهوات ومن يرقب الموت ترك اللذات ومن زهد فى الدنيا هانت
عليه المصيبات وجاء فى الآثار لا تزال لا اله الا الله تدفع عن العباد سخط الله عز
وجل مالم يبالوا بما نقص من دنياهم وفى لفظ مالم تؤثروا صفقة دنياهم على دينهم
فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال تعالى * كذبتم لستم بها صادقين وعن بعض
الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى امر الآخرة ابلغ من زهد فى الدنيا وقال
بعض الصحابة لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد فى الدنيا
منكم وقال عمر رضى الله عنه الزهادة فى الدنيا راحة القلب والجسد وقال ابن
سعد كفى به ذنبا ان الله تعالى زهدنا فى الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل

لسفيان اشتهى ان ارى عالما زاهدا فقال ويحك تلك ضالة لاتوجد وقال يوسف ابن اسباط انى لاشتهى من الله ثلاث خصال ان اموت حين اموت وليس فى ملكى درهم ولا يكون على دين ولايكون على عظمى لحم فاعطى ذلك كله وروى ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء الجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها فقال بنوه قدقبل الفقهاء وانت ترد وانت على حالتك هذه فبكى الفضيل وقال اتدرون ما مثلى ومثلكم كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لكى ينتفعوا بجلدها وكذلك انتم اردتم ذبحى على كبرسنى موتوا يا اهلى جوعا خيرلكم من ان تذبحوا فضيلا (ثم الادنى) من مراتب الزهد (باعتبار نفسه) اى نفس الزهد وذاته مع قطع النظر عن حكمه ومامنه وفيه كما سيأتى (ان يجاهد فيه) اى فى تحصيل الزهد (لميل النفس الى الدنيا) والتفاتها اليها ولكنه يجاهدها ويكفها عنها (وهو تزهد) وهو مبدأ الزهد فى حق من يصل الى درجة الزهد بالكسب والجهد (ثم) الاعلى منه (ان ينفر) طبعه (عنها) اى عن الدنيا لعدم ميل نفسه اليها (فهو زهد) فالمتزهد فى الدنيا يذيب اولانفسه فى الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب اولا كيسه ثم يذيب نفسه فى الطاعة لافى الصبر على مافارقه والمتزهد على خطر لانه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها فى قليلها او كثيرها (ثم) الاعلى منه (عدم الميل) اليها (و) عدم (التنفر) عنها وذلك بان يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة الى ماطمع فيه من غيرها خيرا منها ولكن هذا الزاهد يرى لامحالة زهده ويلتفت اليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيئاله قدر لماهو اعظم قدرا منه وهذا ايضا نقصان عند من له عرفان (ويعرف) صاحب هذا المقام (بتسوية سرقة ماله ومال غيره) لعدم ميله الى كل منهما ولقوله عليه السلام لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه ويكره لاخيه مايكره لنفسه بل ربما يهون عليه سرقة مال نفسه دون سرقة مال غيره (ثم) الاعلى (عدم الاعتبار بزهده) لفنائه فى الله وبقائه به فقدانطوى فى نظره وجود كل شئ فضلا عن زهده وهى المرتبة العليا بان يزهد فى الدنيا طوعا ويزهد فى زهده ايضا فلايرى زهده اصلا اذلايرى انه ترك شيئا ما اذعرف ان الدنيا لاشئ وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الالتفات الى الدنيا ومن هنا قال ابو يزيد لابى موسى عبد الرحيم فى اى شئ تتكلم قال فى الزهد قال فى اى شئ قال فى الدنيا فنفض يده وقال ظننت انك تتكلم فى شئ الدنيا لاشئ اى شئ تزهد فيها فاذن لايلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت الى مازهد فيه ولايلتفت الى مازهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدابه ولايراه شيئا معتدابه الا لقصور معرفته فسبب نقصان

الزهد نقصان المعرفة (وباعتبار مامنه) اى والادنى فى الزهد باعتبار مامنه الزهد ان يكون زهده للنجاة (من خوف النار) ومافيها من انواع العقاب (ثم) الاعلى ان يكون زهده (من اجل الرجاء الى الجنة) ومافيها من انواع الثواب وانما يكون اعلى مما قبله (لاقتضائه المحبة) اى زيادتها والمحبة اعلى المقامات كما سيأتى فى خاتمة الكتاب (ثم) الاعلى ان يكون زهده (من رفع الالتفات) لخواطره (الى ماسواه تعالى) فلاتكون له رغبة الافى الله وفى لقائه ورضائه ولايلتفت قلبه الى الآلام ليقصد الخلاص منها والى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذى يصبح وهمه هم واحد وهو الموحد الحقيق الذى لايطلب غيرالله ومن طلب غيرالله فقد عبده سواء وجده اوفقده وهذا زهد المحبين وهم العارفون لانه لايحب الله تعالى خاصة الامن عرفه ولاتظنن ان اهل الجنة عند النظر الى وجهه الكريم تبقى لذة الحور والقصور وسائر النعيم المقيم فى قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به فالطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة كالصبى الطالب للعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا لان اللعب بالعصفور فى نفسه اعلى والذمن الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق ومن هنا روى اكثر اهل الجنة البله وعليون لاولى الالباب (وباعتبار مافيه) اى ادنى الزهد باعتبار مافيه الزهد ان يكون زهده (فى بعض الدنيا كالمال دون الجاه) اوعكسه (وهو كالتوبة من بعض الذنوب) وقد اختلف فى صحتها لكن الصحيح اعتبارها فى الجملة على ماتقدم بخلاف الزهد فانه لاخلاف فى صحة بعضه (ثم) الاعلى ان يكون زهده (فى كلها) اى فى جميع الدنيا مالها وجاهها (ثم) الاعلى وهى المرتبة العليا ان يكون زهده (فيماسواه تعالى) حتى عن زهده فى نفسه ايضا وقد ذكر الله تعالى فى آية واحدة سبعة ممافيه الزهد فقال * زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب * ثم اجمله فى آية اخرى ورده الى خمسة فقال * اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد * الى ان قال * وما الحيوة الدنيا الامتاع الغرور * ثم رده الى اثنين فقال * المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا * وقال فى موضع آخر * انما الحيوة الدنيا لعب ولهو * ثم رد الكل الى واحد فى موضع آخر فقال * ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى * فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس فى الدنيا والحاصل ان الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب

عن البقاء فى الدنيا واذا رغب عنها لم يردها ولذا لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا
لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى * قل متاع الدنيا قليل
والآخرة خير لمن اتقى * اى لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك
الزاهدون وفضح المنافقون اما الزاهدون المحبون فى الله فقاتلوا فى سبيل الله كأنهم
بنيان مرصوص وانتظروا احدى الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون
رائحة الجنة و يبادرون اليه مبادرة الظمآن الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله
او نيل رتبة الشهادة وكان من مات فيهم على فراشه يتحسر على فوت سعادة
الشهادة حتى ان خالد بن الوليد رضى الله عنه لما احتضر للموت على فراشه كان
يقول كم غررت روحى وهجمت على الصفوف طمعا فى الشهادة والآن اموت موت
العجائز فلما مات عد على جسده ثمان مائة ثقب من آثار الجراحات واما المنافقون
ففروا من الزحف خوفا من الموت فقيل لهم ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم
الآية هذا واجمع ماقيل فى حد الزهد قول ابى سليمن الدارانى قد سمعنا
فى الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شئ يشغلك عن الله عز وجل وقرأ
ابو سليمن قوله تعالى * الا من اتى الله بقلب سليم * فقال هو القلب الذى ليس فيه
غير الله وقال انما زهدوا فى الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للاخرى (و باعتبار
الحكم) اى والزهد الادنى باعتبار حكم الزهد (الفرض) اى يجب على السالك ان يزهد
فيه (وهو) اى الزهد الفرض ان يكون زهدا (فى الحرام) وهو لا بد منه لكمال
الاسلام وجل الاحكام (ثم السنة) اى الزهد الذى يسن للمريد ان يزهد فيه
(وهو) اى الزهد السنة ان يكون زهدا (فى الشبهة ثم) الزهد (النفل) المندوب
المستحب (وهو) اى الزهد النفل ان يكون زاهدا (فى فضول المباح) وقال قوم الزهد
فى الحلال لا فى الشبهة والحرام فليس ذلك من درجاته فى شئ ثم رأوا انه لم يبق حلال
فى اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن و يؤيده قول الحسن رأيت سبعين بدريا
كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم وفى خبر آخر كانوا بالبلاء اشد
فرحا منكم بالرخاء وكان احدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه و يقول اخاف
ان يفسد على قلبى فمن كان له قلب فهو لا محالة يخاف على فساده والذين قد امات
حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال * ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها
والذين هم عن آياتنا غافلون * وقال تعالى * ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هويه وكان فرطا * وقال عز وعلا * فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة
الدنيا ذلك مبلغهم من العلم * فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم المعرفة فان قلت
مهما كان الصحيح ان الزهد هو ترك ماسوى الله فكيف يتصور مع الاكل والشرب
واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سواه فاعلم ان معنى

الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقلب على المولى ذكرا وفكرا ولا يتصور
ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت فى الدنيا على دفع
المهلكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا
بغير الله فان ما لا يتوصل الى الشئ الا به فهو منه كذا فى الاحياء وقد يقال المراد
بالاشتغال بالمولى ان يكون بالقلب دون القالب فان الواصلين الى مقام الحضور
لا يشغلهم شئ من الامور فقلبهم لا يغفل عن الله ولو كانوا فى الزراعة والتجارة
كما يشير اليه قوله سبحانه * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله * الآية كما ان قلب
اهل الدنيا لا يغفل عن دنياهم ولو كان قالبهم فى المسجد والطاعة والقراءة ونحوها
بل اهل القلوب لكمال ذكرهم وفكرهم لو ارادوا ان يغفلوا قلبهم ساعة لم يقدروا
على ذلك كما ان اهل الغفلة لو اجتهدوا ان يحضروا قلبهم ساعة عجزوا عما هنالك
بل العارفون عدوا الغفلة كفرا وارتدادا كما اشار اليه العارف ابن الفارض
بقوله

(شعر)

* ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا حكمت بردتى *

فالحاضرون على الدوام هم الانبياء عليهم السلام والاولياء من اتباعهم الكرام والغافلون
الكاملون هم الكافرون المشبهون بالانعام واما المخلطون فهم فى احوالهم مختلفون
فتارة يحضرون واخرى يغفلون وهم الذين قال تعالى فيهم * وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا * الآية (و يخرج) السالك (عنه) اى عن الزهد
و يدخل فى حب الدنيا بخمسة اشياء (القصد الى الكسب ان كان) القصد (للذة) اى
بشهوة النفس بالمكسوب (دون العدة) اى بخلاف ما اذا كان القصد من الكسب
الاستعداد والاستعانة (على العبادة) التى هى المندوب والمطلوب وهذا محمل قول
ابى سليمان الدارانى من تزوج اوسافر فى طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى
الدنيا وذلك لانه نقل عنه ايضا انه قال كل ما شغلك عن الله من مال او ولد فهو
عليك شؤم (والادخار) يخرج السالك عن الزهد ايضا (ان زاد) الادخار (على
قوت السنة) كما ثبتت الرخصة فى السنة (الا لمن لا يكسب) اى لا يقدر على الكسب
لعدم حرفة او لاشتغاله بتحصيل وجوه معرفة (ولا يأخذ من الايدى) مع هذه
الحالة ايضا فانه لا يخرجه الادخار عن الزهد وان كان زائدا على قوت السنة (كداود
الطائى وهو ملك عشرين دينارا) ورثها من ابيه (قنع بها عشرين سنة) ثم اعلم
انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل
على من احب المدح بالزهد بل لا بد من الزهد فى المال والجاه جميعا فى مقام الكمال
هذا وقوم يظهرون الزهد بالتقشف وآخرون بالتكلف ومن الخواص قوم ادعوا
الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم

وثلا ينظر اليهم بالعين التى ينظر بها الى الفقراء فيحقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وان ما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجئوا الى المضائق وكل هؤلاء اكلة الدنيا بالدين لم يعبأوا بتصفية اسرارهم ولا تهذيب اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوها حالالهم فهم مائلون الى الدنيا متبعون الهوى فهذا كله كلام الخواص فاذا معرفة الزهد مشكل حتى على الزاهد نفسه فينبغى ان لا يتعبد بلبس خاص موافقا للسنة وان يقول فى باطنه على ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم * اى لا تحزنوا حزن فزع ولا تفرحوا فرح بطر والا فلا يخلو تأثيرهما فى النفس باعتبار اصل الطبع ثم الكمال ان يحزن بوجود المال و يفرح بفقده لانه سبب وجود صحة الحال والثانية ان يستوى عنده ذامه ومادحه بل ينبغى ان يفرح بذمه و يحزن بمدحه والثالثة ان يكون انسه بالله ونسيانه عما سواه ولذا قيل لبعضهم الى ماذا افضى بهم الزهد فقال الى الانس بالله واما الانس بالدنيا و بالله فلا يجتمعان كالماء والهواء فى القدح فالماء اذا دخل خرج الهواء وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا والآخرة جميعا وعمل لهما واذا بطن الايمان سويداء القلب و باشره ابغض الدنيا ولم ينظر اليها ولم يعمل لها ولذا ورد فى دعائه عليه السلام اللهم انى اسألك ايمانا يباشر قلبى وقال ابو سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العابدين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين وقال السرى لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه وقال النصرابادى الزاهد غريب فى الدنيا والعارف غريب فى الاخرى وقال يحيى بن معاذ الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر ثم لا يستدل بامساكه قليلا من المال على فقد زهده فى مقام الكمال كما لداود الطائى فان مدار الزهد فى الدنيا عدم محبتها وقد قال الفضيل جعل الله الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها (والتغذى) بالذال المعجمة اى الاكل (من بر) اى دقيق حنطة (منخول) يخرجه من الزهد ايضا (والمواظبة على الادام) يخرجه ايضا منه (و) كذا (اتخاذ ثوبين) كقميصين (واثاثين) اى متاعين من امتعة البيت كصحنين وابريقين احدهما زائد عن استعماله (وجنس رفيع) اى مستحسن ولذيذ من الادام والثوب والاثاث والاولى فى المقام الاعلى عدم التقيد بالادنى والاعلى كما كان طريق المصطفى وقد قال يحيى بن معاذ الرازى الزاهد الصادق قوته ما وجد ولبسه ما ستر ومسكنه حيث ادركه المساء الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة مجلسه والاعتبار

فكرته والقرآن حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شعاره والحياء دثاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته والجنة مبلغه ان شاء الله وحده ثم اعلم ان المهمات الضرورية فى الامور الدنيوية ستة المطعم والملبس والمسكن والاثاث والمنكح وما يكون وسيلة الى هذه الخمسة اما المطعم فلا بد للانسان من قوت حلال يقيم صلبه واقل مقداره لقيمات كما ورد فى حده واقل جنسه ما يقوته ولو خبز نخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول واقل ادامه الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت والسمن واللبن واعلاه اللحم وذلك فى الاسبوع مرة او مرتين ووقته الاقل فى ثلاثة ايام واوسطه فى اليوم والليلة مرة واقصاه فى اليوم والليلة مرتين و يشير اليه قوله تعالى * ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * وكان يعيش عليه السلام بالاسودين اى التمر والماء وما شبع هو واهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفى رواية عنه عليه السلام انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب كثير وكان عيسى عليه السلام يقول يا بنى اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى وخبز الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكره ولما اتى عليه السلام اهل قبا اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح فى يده وقال اما انى لست احرمه ولكنى اتركه تواضعا لله واما الملبس فاقل درجاته ما يدفع الحر والبرد و يستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه ان يكون له مع ذلك منديل وسروال واقل جنسه المسوح الخشنة واوسطه الصوف الخشن واعلاه القطن الغليظ قال ابو بردة اخرجت لنا عائشة كساء ملبدا وازارا غليظا وقالت قبض عليه السلام فى هذين رواه الشيخان ولابن ماجه من حديث ابى ذر باسناد جيد ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وقد اشترى عليه السلام سروا لا باربعة دراهم كما رواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة ولابى الشيخ من رواية عروة بن الزبير مرسلا كان رداؤه عليه السلام اربعة اذرع وعرضه ذراعان ونصف وفى طبقات ابن سعد من حديث ابى هريرة كان له ازار من نسج عمان طوله اربعة اذرع وشبر فى ذراعين وشبر وعن جابر قال دخل عليه السلام على فاطمة وهى تطحن بالرحى وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لنعيم الابد فانزل الله سبحانه * ولسوف يعطيك ربك فترضى * وقال عليه السلام لعائشة ان اردت اللحوق بى فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه رواه الترمذى والحاكم وصححه من حديث عائشة ولابى نعيم والحاكم والبيهقى فى شعبه ان من خيار امتى فيما انبأنى العلى الاعلى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله و يبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون

الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم فى الارض وافئدتهم عند العرش وعد على قميص
عمر اثنى عشر رقعة بعضها من ادم واشترى على كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم
ولبسه وهو فى الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذى كسانى هذا
من رياشه وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق ولاحمد
من حديث معاذ ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين واما المسكن فالاعلى ان يقنع بزاوية
من المسجد كاصحاب الصفة واوسطها بيت من سعف ونحوه وادناها حجرة مبنية
اما بشراء او كراء وللطبرانى من رواية ابى العالية ان العباس بنى غرفة فقال له عليه
السلام اهدمها ولابى داود من حديث انس بسند جيد رأى عليه السلام قبة مشرفة
فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل
الرجل اصحابه عن تغير وجهه عليه السلام فاخبر بذلك فذهب فهدمها فمر عليه
السلام بالموضع فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعا له بخير ولابن حبان فى الثقات
وابى نعيم فى الحلية عن الحسن مرسلا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة
على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال عبد الله بن عمر ومر علينا عليه السلام ونحن نعالج
خصا فقال ما هذا فقلنا خص انا قد وهى فقال ارى الامر اعجل من ذلك رواه ابو داود
والترمذى وصححه وابن ماجه وقال الحسن دخلنا على صفوان بن محيريز وهو فى بيت
من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم رجل قد مات وهذا قائم على حاله
ولابى داود من حديث انس بسند جيد كل بناء وبال على صاحبه الا ما الا يعنى ما لابد
منه وكان فى السلف من بنى داره مرارا فى مدة عمره لضعف بنائه وكان منهم اذا حج
اوغزا نزع بيته اووهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده قال الحسن كنت اذا دخلت بيوته عليه
السلام ضربت بيدى الى السقف وقال عليه السلام للرجل الذى شكا اليه ضيق منزله
اتسع فى السماء يعنى فى الجنة رواه ابو داود فى المراسيل ووصله الطبرانى وقال ابن مسعود
يأتى قوم يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم
ويموتون على غير ملتكم واما اثاث البيت فاعلاها حال عيسى عليه السلام اذ كان
لا يصحب الا مشطا وكوزا فرأى انسانا يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط ورأى آخر
يشرب من النهر فرمى الكوز ثم الظرف ينبغى ان يكون من الخزف ولو مكسور الطرف
وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة فى اشياء متعددة كالذى معه قصعة يأكل
فيها ويشرب فيها وقالت عائشة رضى الله عنها كان ضجاعه اى فراشه عليه السلام
الذى ينام عليه وسادة من ادم حشوها ليف رواه ابو داود وابن ماجه والترمذى
وقال حسن صحيح وللترمذى فى الشمائل من حديث حفصة ان فراشه عليه السلام
كان عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف ورأى عليه السلام على باب منزل
عائشة سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا ارسلى به الى فلان رواه الترمذى

وحسنه

وحسنه والنسائى فى الكبرى من حديثها وقال الحسن ادركت سبعين من الخيار
ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط وكان اذا اراد
النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه واما المنكح فقال قائلون لا زهد فى اصل
النكاح ولا فى كثرته والى هذا ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الى سيد الزاهدين
النساء فكيف نزهد فيهن ووافقه ابن عيينة قال وكان على ازهد الصحابة وله اربع
نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الدارنى ان كل ما شغلك عن الله
من اهل اومال او ولد فهو عليك مشوم وهو مستفاد من قوله تعالى * لا تلهكم
اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون * وقوله * ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم * وقال ابو سليمان الزهد فى النساء
ان يختار المرأة الفقيرة الضعيفة على المرأة الجميلة الشريفة وقال الجنيد احب للمريد
المبتدى ان لا يشغل قلبه بثلاث ولا يغير حاله الكسب وطلب الحديث والتزوج وقال
احب للصوفى ان لا يكتب ولا يقرأ لانه اجمع لهمه واما ما يكون وسيلة الى هذه الخمسة
فهو المال والجاه اما الجاه فانه قد يفتقر الى خادم له فينفعه وقد يحتاج الى دفع ظلم
عن نفسه اوغيره والغالب ان من اشتغل بالعلم والعمل تمهد له من قلوب الخلق ما يدفع به
عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين الابرار واما المال فقدر الضرورة كاف
فى المعيشة فاذا كان كاسبا واكتسب حاجة يومه ينبغى ان يتركه ويشتغل بامر يهمه
وقد قال ابو سليمان لا ينبغى للرجل ان يرهق اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوه
والا تركهم وفعل بنفسه ما شاء وروى ان ابراهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة
فذهب الى صديق له يستقرض شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله اليه لو سألت
خليلك لاعطاك فقال يارب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسألك شيئا منها فاوحى الله
اليه ليس الحاجة من الدنيا فتبين من هذا ان تحصيل قدر الحاجة من امر الدين
(والاولى المبالغة فى التشديد) اى التضييق على نفسك ان كنت من المريدين المجتهدين
(تحاميا) اى تحافظا عن ستة اشياء (عن الانس بالدنيا) ونسيان العقبى والاشتغال
بغير ذكر المولى (و) عن (طول المكث للحساب) المتضمن لعذاب الحجاب (و) عن (الحبس)
والتوقف (عن الجنة) وما فيها من الثواب (واللوم) اى وعن الملامة فى اكتساب
السيئات (والتعيير) اى التوبيخ فى تقصير الطاعات (والحرمان عن الدرجات العالية)
والمقامات الغالية (وهو) اى المبالغة على النهج المذكور كله ورد فيه (المأثور)
عن السلف الصالحين فعن الثورى وكان قد شدد على نفسه فقيل له لو خففت أتلت
الجنة ايضا فما هذه الشدة فقال كيف لا اشدد على نفسى وقد وردان جارية تضحك
عند زوجها فى الجنة فتشرق الجنان الثمانية بنور اسنانها فيظنون ان ذلك نور
من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فنودوا ان ارفعوا رؤسكم ليس الذى

تظنون انما هو نور جارية تبسمت فى وجه زوجها واما ما حكى ان داود الطائى كان له جب مكسور فيه ماؤه فكان لا يرفعه من الشمس و يشرب منه الماء الحار و يقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا فلعله محمول على وقت رياضته وابتداء مخالفته النفس فى شهوته والا فبعد من الزهد البارد لانه عليه السلام كان يستعذب الماء و يقول فى دعائه اللهم اجعل حبك احب الى من حب الماء البارد وقد دخل بستانا فقال لصاحبه ان كان عندك ماء بارد فى شن والا كرعنا فاتى به فشرب وكان بعض العارفين يقول اذا شربت الماء البارد احمد الله من صميم قلبى وايضا انما خلق الله اللذات الدنيوية لتكون انموذجا للذات الاخروية وقد قال تعالى * قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق * وقال تعالى * يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين * اى المتجاوزين من الحد فى امر الدين كارهبانين (وورد) فى الحديث (لو كانت الدنيا تعدل عند الله) اى تساوى وتماثل (جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء) رواه الترمذى من حديث سهل بن سعد ورواه ابن ماجه بلفظ تزن بدل تعدل وقال قطرة ابدا بدل شربة ماء رواه الحاكم وصححه (الدنيا ملعونة ملعون) وفى نسخة وملعون (ما فيها الا ما كان لله) وهو العبادة وما يعين عليها وفى رواية الطبرانى من حديث ابى الدرداء الا ما يبتغى به وجه الله عز وجل واسناده لا بأس به ورواه الترمذى من حديث ابى هريرة وحسنه ولفظه الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما يعنى وما يجرى مجراه فانه سبحانه خلق الاشياء كلها لعباده كما يشير اليه قوله تعالى * هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا * وخلق عباده لعبادته كما قال * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * فشكر نعمته ان يصرفها فى طاعته وكفرانها ان يصرفها فى معصيته او غفلته (ثم الحالات التى قبل الموت) خيرا او شرا تسمى (دنيا والتى بعده) اى بعد الممات تكون (آخرة) فان من مات فقد قامت قيامته وقد يقال بين الموت والبعث حال يقال له البرزخ فانه الواسطة بين الدنيا والاخرى (لكن العبادة وما لا بد منه فيها) مما يعين عليها كالاكل والشرب واللباس والنوم والمخالطة ونحوها بقدر الضرورة (معدودة من الآخرة بخروجها عما جمع) من امورها (فيما ورد) فى التنزيل (انما الحيوة الدنيا لعب) وهو ما يتعب الشخص فيه نفسه من غير فائدة له وهو فعل الصبيان والمجانين (ولهو) وهو ما يشغل به عن الطاعات ويلهو عن العبادات وهو فعل اهل الغفلة من الشباب وارباب المال والجاه كما يشير اليه قوله تعالى * الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر * (الآية) اى * وزينة * وهى الغالب على النساء ومن تشبه بهن من السفهاء * وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد * وهو حال اكثر اهل الدنيا من الاغنياء والامراء (فهى) اى الاشياء التى جمعت فى الآية السابقة (الدنيا باجمعها) اى تمامها (ومتاعها)

مبتدأ خبره (ما جمع) من انواعها (فيما ورد) فى التنزيل (زين للناس حب الشهوات) اى اللذات (الآية) اى * من النساء والبنين * اى دون البنات ولذا قيل فى قوله تعالى * المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات * ان البنات داخلة فى الباقيات الصالحات * والقناطير المقنطرة * اى الحمول الكثيرة * من الذهب والفضة * وقد ورد لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب * والخيل المسومة * اى المعلمة او المرسلة * والانعام * من الابل والبقر والغنم * والحرث * للزراعة والاشجار والاثمار والازهار * ذلك متاع الحيوة الدنيا * اى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور * والله عنده حسن المآب * وجزيل الثواب * وما عند الله خير للابرار (والشغل بها حب حظوظها) اى لذاتها وشهواتها (باطنا وتحصيلها ظاهرا) واما الانبياء والاصفياء فاختار الله لهم الدرجات العليا فى العقبى والمحن والبلايا فى الدنيا فعن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم لقد كان الانبياء قبلى ليبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباء وان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتلهم القمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم رواه ابن ماجه باسناد صحيح وعن ابن عباس قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى فى بطنه من الهزال (وعلاج حبها معرفة الرب) فان معرفة الرب موجبة لحبه وحبه لا يجتمع مع حب غيره كما يشير اليه قوله سبحانه * ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه * ولانه سبحانه يبغضها فلا ينبغى لاحد ان يحبها (والنفس) اى ومعرفة قدرها حتى لا يضيعها فى طلبها الدنية ويمنعها عن تحصيل المنازل السنية (وشرف الآخرة) ودرجاتها العالية الباقية ونفاسة مراتبها الرفيعة المنيعة (وخساسة الدنيا) من خسة شركائها وسرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها ويكفيك فى ذمها ما ورد فى حقها من ان الدنيا جيفة وطالبها كلابها فقد روى ابو الشيخ فى تفسيره عن على موقوفا الدنيا جيفة فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب واخرج الديلمى عن على مرفوعا اوحى الله تعالى الى داود يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها افتحب ان تكون كلبا مثلهم فتجر معهم ولاحمد عن عائشة مرفوعا ورجاله ثقات الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وفى صحيح مسلم والترمذى عن ابى هريرة مرفوعا الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ورواه احمد من عبد الله بن عمرو بزيادة فاذا فارق الدنيا فارق السجن ثم الدنيا فتنة وبلية كما فى صحيح مسلم الدنيا خضرة حلو وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وفقنا الله سبحانه وتعالى بما يحب ويرضى فى الدنيا والاخرى وبلغنا المقام الاسنى مع الذين احسنوا الحسنى انه جواد كريم

الباب العشرون فى التوحيد والتوكل واليقين

(بسم الله الرحمن الرحيم) المتفرد بتوحيد الذات وتفريد الصفات عليه يتوكل المتوكلون وبه يتقرب المتقون الموقنون (ادنى رتب التوحيد) من مراتبه الاربع (محض القول) بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر اللسان لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو جاهل به ومنكر له كتوحيد المنافق (وهو) اى قوله (النفاق والعياذ بالله منه) اى من النفاق وما يترتب عليه من الخلاف والشقاق (ولا يفيد) ذلك التوحيد فى الحال (الا عصمة الدم والمال) اى حفظ دم الموحد وماله (فورد) فى الحديث الصحيح وصدره امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله (فاذا قالوها) اى كلمة التوحيد (عصموا منى دماءهم واموالهم) تمام الحديث الا بحقها وحسابهم على الله (ثم التصديق) معه وهو ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما صدق به عموم المسلمين و يكون اعتقاده (كالعامى) اى كما هو اعتقاد العوام (والمتكلم) وهو الخائض فى علم الكلام (فهو) اى المتكلم (لا يتميز) عن العامى فى هذا المقام (الا بالحيلة) اى الصنعة الجدلية (الدافعة لتشويش المبتدعة) المانعة من انهزام قواعد اهل السنة والجماعة (و يفيد) التصديق الجنانى مع الاقرار اللسانى (النجاة من الخلود فى النار) ولو كان صاحبه من الفساق والفجار (ثم مشاهدة صدور الكل) اى ظهور جميع ما يقع فى الكون (منه تعالى) وفى الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال فى المصنوعات وما سبق توحيد الذات والصفات وهذا انما يكون بطريق الكشف بواسطة نور الحق لتنوير الاسرار وهو مقام المقربين الابرار وذلك بان يرى اشياء كثيرة ظاهرها الاغيار ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار فيقول المشاهد حينئذ ليس فى الدار غيره ديار (ويفيد) هذا التوحيد (اعتماد القلب عليه) فى امور الدنيا والاخرى (وانقطاعه عما سواه) فلا يرى احدا يضر و ينفع او يعطى و يمنع الا اياه (وهو التوكل) اى الاعتماد على الله وعدم الالتفات الى ما عداه وتوضيحه ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وضر ونفع وحلو ومر وخير وشر وغنى وفقر وحيات وممات الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم الوجود فى دائرة الشهود فالمنفرد بابداعه وابدائه واختراعه هو الله سبحانه لا شريك له فيه واذا انكشف لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من ملكوت السموات والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد فى مقامين و يبتغى به ان يتطرق الى قلبك شائبة الشرك بشيئين احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثانى الالتفات الى الجمادات اما الالتفات

الى الجمادات فكاعتمادك على المطر فى خروج الزرع ونباته ونمائه والى الغيم فى نزول المطر وعلى البرد فى اجتماع الغيم وعلى الريح فى استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك فى التوحيد وجهل بحقائق امر التفريد ولذا قال تعالى * فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون * قيل معناه يقولون لولا استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذا محركه وهكذا ينتهى الى المحرك الاول الذى لا محرك له ولا هو متحرك فى نفسه ومنه قوله تعالى * وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * واما الالتفات الى اختيار الحيوانات فى الافعال الاختيارية فيقول الشيطان كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذى يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك وان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه ولا ترجوه وامرك بيده فانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر ان جميع ما فى السموات وما فى الارض من الشمس والقمر والنجوم والمطر والارض والحجر والمدر والشجر وكل حيوان وملك و بشر مسخرات فى قبضة القدرة الالهية الصمدانية والقوة السبحانية الربانية ثم اعلم انه سبحانه قال * وما تشاؤن الا ان يشاء الله * واجمع السلف على ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يتحرك الانسان ولا يسكن الا اذا شاء الله شاء العبد ام لم يشأ فليست المشية اليه فمهما وجدت المشية التى تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية والمشية تحدث ضرورة فى القلب فهذه ضروريات يرتبط بعضها الى بعض وليس للعبد ان يدفع وجود المشية ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث المشية للقدرة فهو مضطر فى الجميع فان قيل فهذا جبر محض والجبر يناقض الاختيار وانت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبرا مختارا اجيب بانه لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه فى عين الاختيار مجبور لانه عبد مسخر مقهور ولذا قال بعض العارفين لا تختر فان كنت مختارا فاختر ان لا تختار وربك يخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه اعلم بحقائق الاسرار (ثم رؤية عدم ما سواه) اى مشاهدته بجنب وجود مولاه فلا يرى فى الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين الاحرار (ويفيد) هذا التوحيد (الاستغراق به تعالى) اى بشهوده (والغيبة عن الغير) اى الغفلة عن وجود غيره (وهو) عند الصوفية (الفناء) فى التوحيد الحاصل من كمال الصفاء وجمال الوفاء من حيث انه لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا فاذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه فى توحيده بمعنى انه فنى عن رؤية نفسه بالكلية وقد فنى عن رؤية

فنائه ايضا ويسمى الفناء عن الفناء ويبقى له البقاء فى مشاهدة اللقاء فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف والسنان والثانى موحد بجنانه مفهوم لسانه لكن ليس فيه انشراح وانفتاح لشانه والثالث موحد بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا والرابع موحد بمعنى انه لم يظهر فى نظر شهوده غير الواحد الواجب فى وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد ويسمى مقام جمع الجمع فى حال التوحيد وهو وان لا تحجبه الكثرة عن الوحدة ولا تحجبه الوحدة عن الكثرة وبهذا يتبين لك ان توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه لا يخلو عن مشاهدة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد سوى الواحد الحق المطلق فان قلت كيف يتصور ان لا يشاهد الا واحدا وهو يشاهد السماء والارض وما بينهما من الطول والعرض وهى كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا فاعلم ان العارفين قالوا صدور الاحرار قبور الاسرار كما يشير اليه قوله عليه السلام لو تعلمون ما اعلم وقالوا ايضا افشاء سر الربوبية كفر لكن قد يمكن الاشارة الى كشف ما فيه ستر بان يقال الشئ قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار وقد يكون واحدا بنوع آخر من ملاحظة واستبصار وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه وعروقه وعظامه واحشائه واعضائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة اخرى واحد وكم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه واجزائه فهو فى حال الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكأنه فى عين الجمع والملتفت الى الكثرة فى تفرقه فكذا كل ما فى الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة وهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواها كثير ثم هذه المشاهدة التى لا يظهر فيها الا الواحد الحق تارة تدوم وتارة كالبرق الخاطف وهى الاكثر والدوام نادر عزيز يغلب فى المجاذيب والى هذا المقام اشار الحسين المنصور بن الحلاج حيث رأى الخواص يدور فى الاسفار فقال فيما ذا انت قال ادور فى الاسفار لاصحح حالى فى التوكل وقد كان من المتوكلين فقال الحسين قد افنيت عمرك فى عمران باطنك فاين الفناء فى التوحيد فكان الخواص فى تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع من التفريد فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع اذ معنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد فان كان العباد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد وان كان له معنيان ويكون الفعل مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا ويقال قتله الجلاد لكن الامير قتل بمعنى آخر والجلاد قتل بمعنى آخر فكذلك العبد فاعل بمعنى والله فاعل بمعنى آخر فمعنى كون الله فاعلا

انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه المحل الذى خلقت فيه القدرة بعد ان خلق الله فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم ولاجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله سبحانه الافعال فى القرآن مرة الى الملائكة واخرى الى العباد ونسبها بعينها مرة الى نفسه فقال تعالى * قل يتوفيكم ملك الموت الذى وكل بكم * وقال * ثم توفته رسلنا * وقال * الله يتوفى الانفس حين موتها * وقال * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى * وهو جمع بين النفى والاثبات ظاهرا ولكن معناه ما رميت بالمعنى الذى يكون به الرب راميا اذ رميت بالمعنى الذى يكون به العبد راميا فانهما لغتان مختلفتان فالمعنى وما رميت حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حيث خلق فيك قوة الرمى او خلق فى مرمى الوصول الى عين العدو وقيل ما رميت خلقا اذ رميت كسبا ولكن الله قدر رميك ازلا وكذا ذكر الله تعالى فى القرآن الادلة والآيات فى الارض والسموات ثم قال * اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد * وقال * شهد الله انه لا اله الا هو * فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس بمتناقض بل طريق الاستدلال مختلف فكم من طالب عرف الله بالنظر الى الموجودات كما قال بعضهم ما نظرت شيئا الا ورأيت الله بعده وهذا طريق المريد السالك وكم من طالب عرف الموجودات بالله سبحانه كما قال بعضهم ما نظرت شيئا الا ورأيت الله قبله وهذا مسلك المريد المجذوب ومن هنا قال من قال عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى فالحاصل ان الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تناقض لهذه المعانى اذا فهمت حقائق المعانى ولذا قال عليه السلام للذى ناوله التمرة خذها لو لم تأتها لاتتك كما رواه ابن حبان والطبرانى فاضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تأتى على الوجه الذى يأتى الانسان به اليها وكذا لما قال ذلك التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد قال عليه السلام عرف الحق لاهله وذلك لان من اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذى عرف الحق لاهله ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز فى مرامه المستعير فى كلامه ومن هنا قال عليه السلام اصدق بيت قاله العرب قول لبيد * الا كل شئ ما خلا الله باطل * متفق عليه من حديث ابى هريرة والمعنى ان ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وانما حقيته وحقيقته لغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا الحى القيوم ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق وما سواه باطل اى مضمحل وزائل وكما قال تعالى * كل شئ هالك الا وجهه * ومن هنا قال سهل يا مسكين كان ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الآن كأن لم تكن فانه اليوم كما كان وهذا تفصيل ما اجمل فى قول بعضهم كان الله ولم يكن معه شئ وهو الآن على ما عليه كان هذا واذ ثبت فى نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك ان له تمام العلم

والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والرحمة بجملة الآحاد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اكمل لا محالة فلبك عليه وحده ولم يلتفت الى غيره بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله فالحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة (والالتفات الى الغير) حينئذ لاحد الامرين (اما لضعف اليقين) وذلك (لتطرق الشك) وخطوره فى امور يجب عدم الالتفات اليها (وعدم الاستيلاء) اى وانما قلة غلبة اليقين واستيلائه (على القلب) ودخول اليقين فى سويدائه (واما للضعف الجبلى) اى الخلقى الطبيعى وهو مرض القلب باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة لديه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من غير نقصان فى اليقين فان من كان يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر عنه طبعه ويمتنع عليه تناوله (كالجبان مطيع الوهم لا يطيق البيتوتة فى بيت خال او فيه ميت) ولو كلف العاقل ان يبيت مع الميت فى قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا لكونه ميتا وانه جماد فى الحال وان سنة الله مطردة بانه لا يحشره الآن ولا يحييه ولو احياه لقدر كما كان واحيه وابقاه وعانقه وارتضاه كما ان سنته سبحانه مطردة بان القلم الذى فى يده لا يقلبه حية وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك فى هذا اليقين فينفر قلبه عن مضاجعة الميت فى فراش بل الميت معه فى بيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن فى القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شئ منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت فى البيت وحده مع اغلاق الباب واحكامه فاذن لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون فى القلب شئ واليقين شئ آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى * اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى * فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليترقى من مقام علم اليقين الى عين اليقين هذا وقد قال تعالى * الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا * فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذا قيل الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلفين على الطلب والكسب غلب سوء ظنه وضعفت قوة توكله وعنه عليه السلام ان الله عز وجل بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضاء واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط (وادنى رتب التوكل) على الله (ان يعتمد) عليه (اعتماد الموكل) من المخلوق (على الوكيل) مثله (المعلم) اى المعلوم للموكل (بشفقته تعالى وقدرته وعلمه) كما مر سماعه وهذه الدرجة الاولى (ثم) التوكل الاعلى منه ان يعتمد عليه سبحانه (اعتماد الطفل على الام) فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع الى احد سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا رآها تعلق فى كل حال بذيلها ولم يتركها وان نابه امر فى غيبتها كان اول

سابق الى لسانه يا اماه يا اماه واول خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق بكفالتها وشفقتها وكفايتها ورعايتها فمن كان انتهاؤه الى الله ونظره الى مولاه واعتماده عليه فى دنياه واخراه كلف به كما تكلف الصبى بامه بل اقوى منه فانه سبحانه ارحم الراحمين فيكون متوكلا حقا كما ان الطفل متوكل على امه صدقا (وتفارق) هذه الرتبة الثانية الدرجة (الاولى) بشيئين (بعدم الالتفات على الاعتماد استغراقا بالام) فى باب الاستناد اذ الصبى اذا طولب بتفصيل الكل لا يعرف ان التوكل ما هو فلا يعرف الا الوكيل وتوضيحه فى مقام الفرق بين هذا وبين الاول ان هذا متوكل وقد فنى فى توكله عن توكله اذ ليس يلتفت قلبه الى التوكل وحقيقته بل على المتوكل عليه فقط فلا مجال فى قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فتوكل بالتكلف والكسب وليس فانيا عن توكله حيث له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادناه فقال ترك الامانى قيل فاوسطه قال ترك الاختيار وهذا اشارة الى الدرجة الثانية وسئل عن اعلاه فلم يذكره وقال لم يعرفه الا من بلغ اوسطه (وترك التدبير) اى وتفارق الثانية الاولى بترك تدبير الامور اذا كان فى مقام الحضور (فتلك) الرتبة الاولى (لا تنافيه) اى اصل التدبير (بالطريق الذى رسمه) اى بينه (الوكيل) به وعينه بان يفعله نصرا بحجة او تلويحا ولكن تنافى بعض التدبيرات التى ما رسمه بها ولا كلفه فى تحصيلها وذلك كالمتوكل على وكيله فى الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذى اشار اليه وكيله او التدبير الذى عرف من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما الذى يعرفه باشارته بان يقول اسكت انت وتكلم الا بحضورك فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضا لتوكله عليه اذ ليس هو فزعا منه الى حول نفسه وقوتها فى اظهار الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا ولا معتمدا له فى قوله لما حضر بقوله واما المعلوم بعادته واطراد سنته فهو ان يعلم من عادته ان لا يحاج الخصم الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته ووفائه بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لا يستغنى عن التدبير فى الحضور وعن التدبير فى احضار السجل ونحوه من الشهود فى الامور (ثم) اعلى رتب التوكل على الله تعالى (ان يكون) المتوكل بين يدى الله سبحانه فى حركاته وسكناته (كالميت بين يدى الغاسل) حال تقلبه وسائر تصرفاته لا يفارقه الا فى انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذى قوى يقينه بانه سبحانه مجرى الحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وان كله يحدث جبرا فيكون غائبا عن الانتظار لما يجرى عليه (وتفارق) هذه المنزلة

الثالثة الدرجة (الثانية بترك السؤال مطلقا) سواء كان السؤال من الله او من غيره في جميع الاحوال كما روى عن الخليل انه لما قال له جبريل الك حاجة قال اما اليك فلا واما الى الله فبلى فقال سل ربك فانك في مقام البلاء المورث للولاء فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى وحاصله ان صاحب هذا المقام يفارق الصبى في ماله من المرام فان الصبى يفزع الى امه ويصيح وراءها او يتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثال هذا مثال صبى فرض انه يعلم امه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله وانه وان لم يطلب منها اللبن فالام تبتدئ وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ورحمته ورعايته وانه يعطى ابتداء افضل مما يسأل فكم من نعمة ابتدأها قبل الدعاء و بغير الاستحقاق كما يشير اليه قوله تعالى * وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها (فتلك) اى الرتبة الثانية (انما تنافيه) اى السؤال (من غيره تعالى) فقط (وهى) اى الدرجة الثانية (اندر) اى اقل (وقوعا و) اعز (بقاء ثم الثانية ثم الاولى) كذلك فان انبساط القلب الى ملاحظة الحول والقوة والاسباب طبعى وانقباضه بالكلية عن ملاحظة هذه الاشياء عارض لايدوم فاذن رجع حال المتوكل الى التبرى من الحول والقوة وهذا هو تحقيق معنى لاحول ولا قوة الا بالله حقا صدقا وقد اشكل امر الحول والقوة على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعى انه يدقق في الرأى والمعقول حتى يشق الشعر بحدة نظره فهى مهلكة مخطرة ومزلقة قدم عظيمة هلك فيه العالمون اذا ثبتوا لانفسهم امرا وهو شرك في التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت نسبته ورفعت درجته وارتفعت همته وهو الذى يصدق بمعنى قوله لاحول ولاقوة الا بالله وعن بعض العارفين انه قال ما مضمونه اسأت بالذنب واعتذرت منه الى الرب مع ان اعتذارى عند قلبى اسوء من ذنبى لتضمنه دعوى الوجود والقدرة والفعل وهذه كلها مخصوصة بربى (ولا بد منه) اى من التوكل في امر الرزق وغيره ثمانية اشياء (فورد) في التنزيل (وعلى الله) اى لا على ماسواه (فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) كاملين او اذا اصررتم مؤمنين والامر للوجوب وفي آية اخرى * وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وقال * نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اى كافيه فيما تمناه وقال * اليس الله بكاف عبده * فمن يطلب من غيره الكفاية فهو مكذب لهذه الآية وقال * ان الله يحب المتوكلين * وناهيك بخصلة موجبة للمحبة الالهية وقال * ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم * اى عزيز لايذل من استجار به ولا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى حماه وزمامه و بابه حكيم لايقصر عن تدبير امر من توكل على حسن تدبيره وفق تقديره وقال * وتوكل على الحى الذى لايموت * ايماء الى ان من يموت لا اعتماد عليه

ولا

ولا استناد اليه كما حكى عن الخواص (ولو توكلتم) وفي رواية لو انكم تتوكلون (على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير) تمامه تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذى والحاكم وصححاه من حديث عمر وهو مقتبس من قوله تعالى * وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم * وفي رواية زيادة ولمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال وفي رواية للبيهقى لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال وعن ابن مسعود مرفوعا اريت الامم بالموسم فرأيت امتى قد ملأت السهل والجبل فاعجبنى كثرتهم وهيئاتهم فقيل لى ارضيت فقلت نعم فقيل ومع هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يارسول الله قال الذين لايكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محيصن فقال يارسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله ان يجعلنى منهم فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة رواه منيع باسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس وللحاكم وغيره من حديث ابن عباس من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه بما في يديه وللطبرانى وغيره من رواية الحسن عن عمران بن حصين ولم يسمع منه انه قال عليه السلام من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لايحتسب من انقطع الى الدنيا وكله الله اليها و يروى انه لما قال جبريل لابراهيم الخليل الك حاجة فقال اما اليك فلا وفاه بقوله حسبى الله ونعم الوكيل انزل الله فيه * وابراهيم الذى وفى * وقد اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ما من عبد يعتصم بى من دون خلق فيكيده اهل السموات والارض الا جعلت له مخرجا وقال سعيد بن جبير لدغتنى عقرب فاقسمت على امى لتسترقين فناولت الراقى التى لم تلدغ وقال بعض العلماء لايشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر آخرتك ولاتنال من الدنيا الا ما كتبه الله لك وقال هرم بن حيان لاويس القرنى اين تأمرنى ان اكون فاومأ الى الشام فقال الهرم كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد خالطتها الشكوك فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا فقال ابو موسى الديبلى قلت لابى يزيد ما التوكل فقال ما تقول انت فقلت ان اصحابى يقولون لوان السباع والافاعى عن يمينك و يسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب ولكن لوان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما خرجت من جملة المتوكل قال في الاحياء ماذكره ابو موسى خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام الثالث وماذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذى هو من اصول التوكل وهو العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تمييز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة الى اصل العدل والحكمة وهذا اغمض انواع العلم ووراء سر القدر وابو يزيد قل ما يتكلم

الاعن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن نحو الحيات شرطا في المقام الاول من التوكل فقد احترز الصديق في الغار اذ سد منافذه الا ان يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه باطن سره او يقال انما فعل ذلك شفقة على رسوله لا على نفسه وانما يزول التوكل بحركة سره لغيره لامر يرجع الى نفسه والنظر في هذا المجال لان امثال ذلك لا تناقض احوال التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف وحق المتوكل ان لا يخاف بتسلط الحيات اذ لا حول للحيات ولا قوة الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير ويشير الى هذا المقام قوله تعالى لموسى * لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون * وقال * فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى * لانك في المنظر الاعلى (وايضا) اى كما لا بد من التوكل اوجوبه لا بد منه لما يحصل (فيه التفرغ للعبادة عن الالتفات) الى تحصيل الاقوات كالمانع عن ارادة طريق السعادة فقد سئل ذو النون المصرى عن التوكل فقال خلع الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد وقطع الاسباب الى الاعمال في مقام التفريد فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربوبية يعنى بالتبرى من الحول والقوة (وايضا) لا بد من التوكل فانه كما هو المعلوم (لا يتغير القدر المقسوم) قال تعالى * نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا * الآية وقد سئل حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك وان كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء فلا تيأس من الله ان يقضيها عنك ويقرب منه قول صاحب المنازل ما بيدى لم اعرف نصيب من وما يصيبنى لم اعرف بيد من وفي هذا اشارة الى مجرد الايمان بسعة القدرة وان في المقدورات اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة (فورد الرزق مقسوم مفروغ) ليس له اصل بهذا المبنى ولكنه صحيح من حيث المعنى فلابيهقى في الشعب مرفوعا عن ام الدرداء ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله ويشير اليه قوله سبحانه * الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم * بل فيه تنبيه نبيه على ان ما بقى له شئ من رزقه لم يأت له طلب اجله وقد قال بعض العلماء لو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه وانه لو سأل الله ان لا يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف اخلقك ولا ارزقك ولذا قال ابن عباس اختلف الناس في كل شئ الا في الرزق والاجل فانهم اجمعوا على ان لا رازق ولا مميت الا الله وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن اكبر بطونا فانظروا الى الانعام والوحوش كيف قيض الله لها الرزق وقال ابو يعقوب السوسى المتوكلون تجرى ارزاقهم على ايدى العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون وقال

بعضهم العبيد كلهم في رزق الله لكن بعضهم يأكل بذل السؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يعبدون فيشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة ويشير الى هذا المقام قوله تعالى * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون * الى ان قال * ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون (اربع فرغ منهن الخلق) بالفتح (والخلق) بالضم (والاجل والرزق) رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود ولفظه فرغ الى ابن آدم من اربع الخلق والخلق والرزق والاجل ورواه احمد والطبرانى عن ابى الدرداء بلفظ فرغ الله عز وجل الى كل عبد من خمس من اجله ورزقه واثره اى عمله ومضجعه اى محل موته وشقى او سعيد ولقد احسن من قال من اهل الفنون

* جرى قلم القضاء بما يكون * فسيان التحرك والسكون *
* جنون منك ان تسعى لرزق * ويرزق في غشاوته الجنين *

(وايضا) لا بد من التوكل اذ (المطلوب) من العبد (هو العدة) اى الاستعداد (على الطاعة) لزاد المعاد (وهو تعالى قادر على اعطائه لسبب حاصل بالطلب او دون السبب) اى او حاصل بغيره من انواع الكسب فقد قال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق دلالة على ان الرزق مأمور بطلب العبد ويؤيده قوله عليه السلام للسائل بعد اعطائه التمرة خذها ولو لم تأتها لاتتك وقد تقدم مبناه وما يؤيده من معناه وسئل ابو عبد الله القرشى عن التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدنى فقال ترك كل سبب موصل الى سبب حتى يكون الحق المتولى لذلك فالاول عام للمقامات الثلاثة المتقدمة والثانى اشارة الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم الخليل اذ قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا اذ كان سؤاله سببا يوصل الى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ثقة بان الله ان اراد سخر جبريل لذلك فيكون هو المتولى لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله سبحانه فلم ير معه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه واعز (والموت جوعا مقدر ايضا كالموت شبعا) فلا بد من التوكل سواء كان شبعانا او جيعانا وقد قال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب فالاول اشارة الى فزع العبد اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه والثانى اشارة الى كمال توكله عليه فعن ابى على الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفى بعلمه والمفوض يرضى بحكمه ثم اعلم ان الشخص اذا كان بطالا فعليه ان يصير كاسبا وعمالا ولا معنى للتوكل في حقه الا ما يليق بمقامه وفق مرامه فان كمال التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فهو خاصة للمجتهدين اما من العلماء الزاهدين

واما من الصلحاء العابدين فما للبطال والاتكال واذا كان مشتغلا بالله وملازما لمسجده او بيته وواظبا على علمه وعبادته بتحسين نيته وتزيين رعايته فالله سبحانه يقرر حبه فى قلوب خلقه حتى يحملوا اليه فوق كفايته فما روى الى الآن من قديم الزمان عالم اوعابد استغرق الاوقات بالله سبحانه وهو فى وسط الديار من القرى والامصار فمات جوعا بل لواراد ان يطعم جماعة من الناس بموله لقدر عليه فمن كان لله كان الله له لكن ينبغى ان يكون نظره الى مسبب الاسباب لاالى الاسباب نعم لا يطمع فى الحلاوى والطير السمنى والثياب الرفيعة والبيوت المشيدة مع انه لوقدر له شئ من ذلك فلابد من ظهوره هنالك كما يشير اليه * نحن قسمنا بينهم معيشتهم * ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر * ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب * وفى الخبر ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لايحتسب فالاهتمام الكثير بامر الرزق قبيح من ذوى الدين وهو اقبح من العلماء المجتهدين لان من شرطهم القناعة والاشتغال بالطاعة حسب الاستطاعة الا اذا اراد ان لايأخذ من ايدى الناس ويأكل من كسبه فذلك له وجه لايق بالعالم العامل الذى سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فان الكسب يمنع من السير بالفكر الباطن غالبا فاشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى بما يعطيه اولى لانه تفرغ للاولى واعانة للمعطى على نيل الثواب فى العقبى ومن نظر الى مجارى سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب ولا على كد الاكتساب ولذا سأل بعض الاكاسرة حكيما عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل جاهل لظن ان العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا ان الرزق من غيرهم ولاثقة بالاسباب الظاهرة لهم فقد دخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم فى اى موضع هو فاطلبوه فقالوا نسأل الله فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل على الله وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت فى البادية فنالنى جوع شديد فغلبتنى ان اسأل الله عزوجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتنى ان اسأل الله تعالى صبرا فلما هممت بذلك سمعت قائلا يقول

* وتزعم انه منا قريب * وانا لا نضيع لمن آتانا *
* ويسألنا القوى جهدا وصبرا * كانا لانراه ولا يرانا *

(وايضا) لابد من التوكل اذ (اصلاح) فى الامور (مستور) لان من عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته فى اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لايدرى اى الاسباب خيرله كما قال عمر لاابالى اصبحت غنيا اوفقيرا فانى لاادرى ايهما خيرلى (وايضا) لابد من التوكل حيث (انه) اى الله سبحانه (ضمن الرزق بلاتعليق) اى من غير تقييد بشرط الكسب والطلب (فورد) فى التنزيل (ومامن دابة فى الارض الاعلى الله

رزقها) اى واولم تكسبه ولم تطلبه لاسيما والرزق مبهم فى نفسه غيرمعلوم باعتبار محله وجنسه فعن ابراهيم بن ادهم سألت رهبانا من اين تأكل فقال ليس هذا العلم عندى ولكن سل ربى من اين يطعمنى (فما اقبح من يثق) اى يعتمد (على سوقى) مع ان الغالب عليه الكذب وخلف الوعد (بعد الاقراض اوالضيافة ولايثق على ضمانه تعالى) مع كمال صدقه وجمال وعده وقد قيل مكتوب فى التورية ملعون من ثقته انسان مثله وفى الحديث من اعتز بالعبيد اذله الله رواه ابونعيم فى الحلية عن عمر وقد حكى عن عابد انه عكف فى مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام بالمسجد لواكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعادها ثلاثا فقال فى الرابعة يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا فى ضمانه فعكوفك فى المسجد خيرلك فقيل ياهذا لولم تكن اماما تقف بين يدى الله و بين العباد مع هذا النقص فى التوحيد خيرلك يعنى فضلت وعد يهودى على ضمان الله تعالى للرزق (وايضا) لابد من التوكل اذ (لافائدة فى الطلب) حيث لايزيد بطلبه ولاينقص بتركه فلامنفعة فى طلبه (الا المذلة) لمخلوق مثله ولايحل للمؤمن ان يذل نفسه (وضياع الوقت) اى وتضييع العمر فى غيرعبادة هى المطلوب من العبد بحسب الامر (وايضا) لابد من التوكل اذ (الحياة فى الاستقبال مشكوك والموت متيقن) مساوك (والاستعداد للمتيقن اولى) من الاستعداد للمشكوك (بخلاف الثواب والعقاب) فانهما ولوكانا مقدرين كسائر الاسباب لكن لابد للانسان ان يسعى فى اكتساب مايوجب الثواب وفى اجتناب مايقتضى العقاب (لورود الاوامر والنواهى) فى الكتاب (وتعليقهما على العمل) حيث قال * ومن يعمل من الصالحات * ومن عمل صالحا * الآيات وقال تعالى * جزاء بما كانوا يعملون * وان ليس للانسان الاماسعى (واماماورد) فى التنزيل (وابتغوا من فضل الله) فقد يتوهم منه ان المعنى اطلبوا من رزق الله وليس كذلك (فالعلم والثواب) هما المراد من فضل الله (اوهوامر اباحة) بقدر الحاجة اوامر بطلب الحلال دون الشبهة هذا وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن الجهال وحرام فى الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين ولاينال بمحظور مقام من مقامات الدين فدفعه بقوله (ولاينافيه) اى التوكل اربعة اشياء منها (الكسب لانه) اى التوكل (عمل الباطن) فيجتمع مع عمل الظاهر بل هو اتم عند بعض ارباب السرائر ثم فى مراتب الكسب تفصيل باعتبار السبب (فان كان السبب مقطوعا به بارتباط المسبب) بحيث لم يحصل المسبب بدون السبب (لسنته تعالى كمد اليد للطعام) اى لاكله (والوقاع) اى كالجماع (للولد) اى لخلقه (وبث البذر للحصاد) بالقمح والكمراء لقطعه (فالترك حمق) بل جنون محض (فورد) فى التنزيل (فلن تجد لسنت الله تبديلا) ولن تجد لسنت الله تحويلا *

وتوضيحه اذا كان الطعام موضوعا بين يديك وانت جائع محتاج اليه ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد الى الطعام سعي وحركة وكذا مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله فهذا جنون محض وجهل ظاهر وليس من التوكل في شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله شبعا دون اكل الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت ان يخلق الله نباتا من غير بذر او تلد الزوجة من غير وقاع كما ولدت مريم فهذا وامثاله جنون وليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالعلم والحال اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق الطعام واليد والاسنان وقوة الحركة وانه هو الذي يطعمك ويسقيك ويشبعك ويرويك واما الحال فهو ان يكون سكون قلبك واعتماده على الله سبحانه وتعالى لا على اليد والطعام فكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تثق على حضورها لطعام وربما يسلط الله عليك من يغلبك عليه واذا كان هذا علمه وحاله فمد اليد اليد فانه متوكل على الله ومعتمد عليه (وان كان) السبب (مظنونا) اي مشكوكا فيه (بعدم حصول المسبب دونه) اي من غير السبب (غالبا كحمل الزاد للسفر في البوادي) التي لا يطرقها الناس الا نادر (وكذلك) تركه خطأ وجنون وايقاع للنفس في التهلكة (لانه) اي حمل الزاد في السفر (سنة الاولين) اي عادة الانبياء والمرسلين وطريقة السلف الصالحين من الصحابة والتابعين (لكنه) اي ترك حمل الزاد (يجوز) ولذا كان يفعل الخواص وهو من الخواص لكنه بالنسبة الى العوام القاء للنفس في التهلكة وهو حرام وانما يجوز (ان ارتاضت النفس) في مقام المرام (وصبرت عن الطعام اسبوعا) اي سبعة ايام (او ما قرب منه) اي من الاسبوع واقله ان يكون ثلاثة ايام ولياليها وقد روي ان ابا تراب النخشبي رأى صوفيا مد يده الى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف اي لا تصوف الا مع التوكل ولا يصح التوكل الا لمن يصبر على الطعام اكثر من ثلاثة ايام وعن ابي علي الروذباري ان قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب (دون الشغل عنه تعالى) بان يعده من غير ضيق قلب وتشويش خاطر كما حكي ان رجلا قال دخل ابو تراب النخشبي مكة طيب النفس فقلت اين اكلت ايها الاستاذ فقال اكلة بالبصرة واكلة بالنباج واكلة ههنا كذا في الرسالة القشيرية (وقدرت) اي وان قدرت وظاهر كلام الاحياء ان يقال او قدرت (على الاقتيات بالحشيش) فبعد هذين الشرطين لا يخلو غالبا في البوادي في كل اسبوع من ان يلقاه آدمي او ينتهي الى قرية او الى حشيش يكون سببا لحياته وقد يكون له ثبات على الرضى هنالك الى الموت ان لم يتيسر شيء من ذلك

فان الذي يحمل الزاد قد يؤخذ زاده او يضل بعيره فيموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقده واما لو انحاز الى شعب من الشعاب حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقه طارق فيه وجلس متوكلا فهو آثم به ساع في اهلاك نفسه كما روي ان زاهدا من الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل وقال لا اسأل احدا شيئا حتى يأتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد ان يموت ولم يأته شيء فقال يا رب ان احييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لا ارزقنك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اما علمت ان ارزق عبدي بيد عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذن التباعد عن الاسباب بالكلية مراغمة للحكمة وجهل لسنة الله القديمة (واما ما ورد) في التنزيل (وتزودوا) وهو امر بطلب الزاد واخذ الزاد (فزاد الآخرة) هو المراد (بقرينة) ما بعده (فان خير الزاد التقوى) النافعة في المعاد (او هو) اي تزودوا (امر لقوم) خاص من اهل اليمن وغيرهم (يقصدون الحج بلا زاد اتكالا على الناس) اي اعتمادا على اعطائهم من ازوادهم (ويؤذون) الناس (بالالحاح في السؤال) ومنهم جمع يدعون انهم متوكلون والحال انهم متأكلون (والا) اي ان لم ترتض النفس ولم تصبر عن الطعام (فحرام عليه) ترك السبب من الكسب والطلب (لانه سعي في الهلاك) للبدن والله لا يحب الفساد ورؤف بالعباد (وان كان) السبب (موهوما كالاستقصاء في دقائق التدبير) من امر الزراعة والتجارة وسائر انواع الصناعة ومنه الكي والرقية والطيرة (فهو) اي الاستقصاء في هذا الباب (ينافيه) اي التوكل عند اولي الالباب (لانه غاية الحرص) ونهاية الاتكال على الاسباب فعن سهل التوكل ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما حجابهم تدبيرهم (ويستفتي العزب قلبه) اي دون المعيل فانه يتعين عليه طلب الحلال لاجل العيال فانهم لا يكلفون بالتوكل وفق ما له من الحال (فيختار) العزب (الكسب) بسبب ثلاثة اشياء (نية التصدق) بما فضل عن قوته على سائر الفقراء لا سيما ذوي القربى (والاعانة على البر) اي والمساعدة على اهل المجاهدة في العلم والعمل لقوله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى (والتحامي) اي المحافظة (عن الشغل عنه) اي عن ذكره وفكره (تعالى بالالتفات الى غيره) سبحانه ولو من حوله وقوته فاذا كان المكتسب مكتسبا لعياله او لتفريق ماله من ماله فهو بيديه مكتسب ومنتفع وبقلبه عنه منقطع لقوة حاله في مقام كماله (والترك) اي ويختار العزب ترك الكسب (لشغل الكسب عنه تعالى) اي عن القيام بحقه كما هو حقه (وانقطاعه اليه) اي ولكمال انقطاع العبد الى حضور سيده عملا بقوله تعالى * وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا *

والحاصل ان الكسب لا ينافى حال التوكل اذا روعيت فيه الشروط وانضاف اليه الحال والمعرفة (ويعرف) صاحب هذا الحال (بعدم التغير لفقد المال وكذا التزود ونحوه) من الادخار للاستقبال ومن النكاح واختيار العيال اختيارا وتركا فيختاره بنية التصدق والاعانة و يتركه لشغله عن الحق والعبادة (و يكسب المعيل) لاجل العيال (كما روى عن الصديق رضى الله عنه) انه لما بويع للخلافة اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادى فكره المسلمون ذلك فقالوا كيف تفعل هذا وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلونى عن عيالى فانى ان اضعتهم كنت لما سواهم اضيع حتى فرضوا له قوت اهله من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق وقته لمصالح المسلمين اولى و يستحيل ان يقال لم يكن ابو بكر فى مقام التوكل فمن اولى بهذا منه فدل على انه ما كان متوكلا باعتبار ترك الكسب والسعى بل باعتبار قطع الالتفات الى قوته و كفايته والعلم بان الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الاسباب و بشروط كان يراعيهما من طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير ان يكون درهمه احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد فى الدنيا نعم يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق كنت اكتسب فى كل يوم دينارا لا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الا قيراطا ادخل به الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم فى التوكل بحضرته وكان يقول استحيى ان اتكلم فى مقامه وهو حاضر عندى والحاصل ان التوكل مقام شريف ومرام لطيف ولذا قال ابو سليمان الدارانى لاحمد ابن ابى الحوارى لى من كل مقام نصيب الا من هذا التوكل المبارك فانى ما شممت منه رائحة هذا من كلامه مع علو قدره ومقامه ولعله اراد اقصى ادراك وهو مشاهدة ان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه وان كل ما يقدره مولاه على عبده من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه وقال الخواص وقد سئل عن اعجب شئ رآه فى اسفاره فقال رأيت الخضر عليه السلام ورضى بصحبتى ولكنى فارقته خوفة ان تسكن اليه نفسى فيكون نقصا فى توكلى (ولا يكلف العيال) بالاتكال (الا ان تساعده) فيماله من الحال بالتوكل مع عدم المال والا فيجب عليه الكسب بقدر نظام الكمال فمن سهل من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن على التوحيد فسبحان من اقام العباد فيما اراد ومع هذا الحال لا يخرج المعيل عن مقام الاتكال على الملك المتعال فقد قال الحسن البصرى وددت ان اهل البصرة فى عيالى وان حبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا واهتممت برزقى لظننت انى مشرك بربى (ولا الادخار) اى ولا ينافى التوكل وضع الذخيرة

(لما دون الاربعين) يوما (من العزب) وللسنة من المعيل كما سيأتى (واختلف فيه) اى فى الادخار هل يكون منافيا للتوكل ام لا فذهب سهل الى انه يخرج به عن التوكل مطلقا وذهب الخواص الى انه لا يخرج عن التوكل بالاربعين يوما و يخرج بما زاد على الاربعين وقال ابو طالب المكى لا يخرج عن حدود التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز اصل الادخار كما فى الاحياء على ما سيأتى بيانه فى الاثناء (والتحقيق) فى مقام التوفيق (ان الفضل) فى قلة الادخار (لقصر الامل) فى التعلق بهذه الدار وتوضيحه ان كل ثواب موعود على مقام محمود فانه يتوزع على قدر رتبته فيه مما يوافقه و ينافيه ثم تلك الرتبة لها بداية ونهاية و يسمى اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين اللاحقين ثم اصحاب اليمين ايضا على درجات وكذلك السابقون واعالى درجات اصحاب اليمين اللاحقين تلاصق اسافل درجات السابقين كما قيل نهاية الاولياء بداية الانبياء فلا معنى للتقدير فى مثل هذا التقرير بل التحقيق ان التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل وتجويز قرب الاجل واما عدم امل البقاء فيبعد اشتراطه واوفى نفس فان ذلك كالممتنع وجوده ثم الناس متفاوتون فى طول الامل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يكون عمر الانسان بحسب غالب العادات و بينهما درجات لا حصر لها فى الاوقات فمن لم يأمل اكثر من شهر اقرب الى المقصود ممن يأمل سنة فى الوجود (وميقات الكليم) اى ميعاد موسى عليه السلام حيث قال تعالى ﴿ واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ﴾ (ليس الامل) اى لجواز طول الامل بقدر اربعين من الاجل فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان ما رخص فيه الامل (بل لاستحقاق نيل المرام) اى وصول موعود موسى (عليه السلام) بعد اربعين يوما الى مقام الكلام (على ما هو السنة الالهية) السبحانية والحكمة الربانية الصمدانية (فى تدبير الامور) الانسانية (كما فى صيرورة الجنين) اى تصوير الطفل فى بطن امه من الاطوار الانسانية الايجادية المتضمنة للتربية التدريجية الامدادية (نطفة) اربعين يوما (وعلقة) كذلك (ومضغة) كذلك (وورد خمرت طينة آدم بيدى) اى بصفتى من نعوت الجمال والجلال او بقدرتى وارادتى على وجه الكمال (اربعين صباحا) رواه الديلمى من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسى باسناد ضعيف وذلك لان استحقاق تلك الطينة لتخمر كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر (ومنه) اى مما ذكر من الكتاب والسنة (يؤخذ فى الرياضة) على اختيار المشايخ للاربعين و يؤيده حديث من اخلص لله اربعين يوما ظهرت له ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد تقدم ومن حفظ على امتى اربعين حديثا حشر مع العلماء وله طرق يقوى بعضها ببعض فيصير حسنا (وللسنة) اى ولا ينافى التوكل

الادخار للسنة الكاملة (من المعيل) اى صاحب العيال من الاطفال والنساء (تطييبا لقلوب الضعفاء كما هو المروى) فى سنة سيد الانبياء ففى الصحيحين انه عليه السلام ادخر لعياله قوت سنة (بخلاف مافوقها) فان ماوراء السنة لايدخرله الا بحكم ضعف القلوب والركون الى ظاهر الاسباب من الطلب والكسب (ويترك المضطرب) اى المتشوش اضطرابا يشغل قلبه عن الذكر والفكر (طريق المتوكل) غير المضطرب (بالادخار) فان كان يصلح قلبه بالادخار فهو اولى فى الاختيار بل لو امسك صنعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان قلبه لايفرغ الا برعايته فذلك اولى فى مقام عنايته (لان الغرض) وهو مدار المقصود (صلاح القلب) فى عبادة الرب المعبود فرب شخص يشغله وجود المال عن تحصيل الكمال ورب شخص يشغله عدمه لحصول شتات البال والمحذور مايشغل العبد عن الحضور والافجميع مافى الدنيا ليس فى عينه محذور ولا فى وجودها وعدمها محظور واذا بعث الله رسوله الى اصناف الخلق ومنهم اهل التجارات والزراعات والمحترفون بانواع الصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المزارع بترك زراعته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك لها بالاشتغال بها بل دعا الكل الى الله وطاعته وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم فى انصراف قلوبهم عن الدنيا الى الله سبحانه وعبادته وعمدة الاشتغال فى عبادة الرب هو القلب فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما ان صواب القوى ترك الادخار على قدر طاقته فقد ادخر عليه السلام لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيئا لغد كما تقدم ونهى بلالا عن الادخار وقال انفق بلال ولا تخش من ذى العرش اقلالا رواه البزار من حديث ابن مسعود وابى هريرة وذلك حين دخل عليه النبى عليه السلام وعنده صبر من تمر وللطبرانى والحاكم من حديث ابى سعيد انه عليه السلام قال لبلال الق الله فقيرا واذا سئلت فلاتمنع واذا اعطيت فلاتخبأ وقد اخبر عليه السلام ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزايمه كما رواه احمد وغيره من حديث عمر تطييبا لقلوب الضعفاء حتى لا يأتى بهم الضعف الى اليأس والقنوط فيتركون الميسور عليهم من الخير لعجزهم عن منتهى درجات الاقوياء فما ارسل سيد الانبياء الا رحمة للعالمين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لايضر ويدل عليه ماروى ابوامامة الباهلى ان بعض اصحاب الصفة توفى فما وجد له كفن فقال عليه السلام فتشوا ثوبه فوجدوا دينارين فى داخل ازاره فقال عليه السلام كيتان رواه احمد وكان غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا فلا يقول ذلك فى حقه فهذا يحتمل وجهين لان حاله يقتضى امرين احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال تعالى * فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم * وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر

والتوكل مع الافلاس منه فهو نوع تلبيس وثانيهما ان لايكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين فى الوجه فان كل مايخلفه الرجل من الدنيا فهو نقصان لدرجته فى العقبى اذ لايؤتى احد شيئا من الدنيا الا نقص بقدره فى الاخرى واما بيان ان الادخار مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ماروى عن بشر قال الحسين المغازى من اصحابه كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام له بشر وقال مارأيته قام الى احد غيره قال ودفع الى كفا من دراهم وقال اشترلنا بها من اطيب ماتقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لى قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رأيته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقى من الطعام شئ كثير فاخذه الرجل وجمعه فى ثوبه وحمله وانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لى بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية من الطعام من غير اذن فقال ذلك اخونا فتح الموصلى زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار والله سبحانه اعلم بحقايق الاسرار (ولا مباشرة اسباب) اى ولا ينفى التوكل مباشرة اسباب هى (تدفع الضرر) المتعرض للخوف فى نفس او مال (ان كان) الضرر (مقطوعا به اومظنونا كالتحرز عن النوم فى مكمن السباع) اى فى الارض المسبعة (وممر السيل) اى وفى مجرى السيل من الوادى لاسيما فى الليل فانه ادهى للويل (وتحت الحائط) اى الجدار (المائل) الى السقوط وكذا السقف المنكسر الذى يخاف منه الهبوط (لان التعرض للهلاك منهى عنه) فكل ذلك منهى عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة منه (بخلاف الموهوم) اى بخلاف ما اذا كان الضرر موهوما فان مباشرته تنفى التوكل فترك الموهوم منها من شرط التوكل وهى التى نسبتها الى دفع الضرر نسبة الكى والرقية فان الكى والرقية قد يقدم على المحذور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المحذور لازالة ماوقع (فورد فى وصف المتوكلين) انهم (لايكتوون ولا يسترقون) على ماتقدم فما وصفهم عليه السلام الابترك الكى والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع (الا فى اذى الناس) استثناء من قوله ولا مباشرة اسباب تدفع الضرر اى الا ان يكون الضرر فيما ناله من اذى الناس له ويكون مما لااثر له فى الخارج كالشتم والملامة والتعيير والتوبيخ والمذمة فانه اذا امكنه الصبر والتحمل وامكنه الدفع والتشفى (فالاولى فيه الصبر) وترك اسباب تدفع الضرر وقول المصنف فالاولى اولى من قول صاحب

الاحياء فشرط التوكل الاحتمال والصبر (فورد) فى التنزيل (فاتخذه وكيلا واصبر على مايقولون) تمامه * واهجرهم هجرا جميلا (ولنصبرن على ما آذيتمونا) آخره * وعلى الله فليتوكل المتوكلون (ودع اذيهم) اى اترك مدافعته ومعاقبته فى الحال اومكافاته ومجازاته فى الاستقبال (وتوكل على الله) فان من توكل عليه كفاه (بخلاف اذى السباع) فانهم مجبولون على الاضرار وفى معناها الكفار فالصبر على اذى الحيوانات كالعقارب والحيات ليس من التوكل فى الدرجات اذلافائدة فيه فى حال من الحالات (فيأخذ) المتوكل (السلاح فورد) فى التنزيل (وليأخذوا اسلحتهم) فى صلوة الخوف وهو امر ايجاب اواستحباب وقداختفى عليه السلام عن اعين الاعداء فى الغار خوفا من ضرر الكفار وقدقال تعالى لموسى عليه السلام * فاسر بعبادى ليلا * فهذا وماقبله كله فى حق النفس واما فى حق المال فاشار بقوله (ويعقل البعير) اى يربط رجله لئلا يفارق رحله (فورد) انه قال عليه السلام للاعرابى لما اهمل البعير وقال توكلت على الله (اعقلها وتوكل) اى على الله رواه الترمذى من حديث انس وضعفه يحيى القطان ورواه الطبرانى من حديث عمرو بن امية الضمرى باسناد جيد بلفظ قيدها (ويسد الباب) اى يغلقه (غيرمستقص) اى مبالغ (فى الحفظ) كالتماسه من الجيران حفظه مع وجود غلقه وكجمعه اغلاقا كثيرة فى محله فقدكان مالك بن دينار يغلق بابه ليلا بشريط ويقول لولا الكلاب ماشددته وفيه لطافة اذالدنيا جيفة وطالبها كلابها كماورد وقدتقدم (ولايحفظ متاعا يحرص فيه) اى فى اخذه (السارق) ويطمع فيه الطارق فيكون هو سبب معصيته وباعث معصيته او يكون امساكه موجب هيجان رغبته (بل يقتصر على مالابد منه ككوز) يشرب منه (وركوة) يتطهر بها (وجراب) يضع زاده فيه (وسلاح) اذاكان من اهل الجهاد اوسلاح كل احد بحسب مقامه ووفق مرامه كالكتب للعلماء وعدة الحرف للفقراء والعصا سلاح الضعفاء وسنة الانبياء وكان بعض المتجردين لم يكن فى خلوته شئ فاذادخلها اغلقها فاذاخرج منها تركها مفتوحة ويقول انا متاع البيت ولما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة وقال له خذها قال لاحاجة لى اليها قال لم قال يوسوس الى العدو ان اللص قداخذها فكأنه احترز من ان يعصى السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها فى اللاحق ولذا قال ابوسليمان هذا من ضعف قلب الصوفية هو قدزهد فى الدنيا فما عليه من اخذها (ويغتم) المتوكل (ان سرق) اى جعل مسروقا (لمعصية السارق وتعرضه للعقاب) اللاحق (لا) يغتم (لنقص المال بل يفرح به) اى بنقص المال (لما فيه من صلاحه) اى لما فى نقص المال من كمال صلاح الحال (تحسينا للظن به تعالى) فيما قدره وقضاه من ازل الآزال (ويشكره تعالى على

جعله مظلوما لاظالما ونقص دنياه) من ماله (لادينه) الذى من كماله فقدشكى بعض الناس الى عالم انه قطع الطريق عليه واخذماله فقال ان لم يكن غمك انه صار فى المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما نصحت المسلمين وسرق من على ابن الفضيل دينار وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكى ويحزن فقال له اعلى الدنيا تبكى فقال لاوالله ولكن على المسكين انه يسأل يوم القيمة ولم تكن له حجة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال انى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه (ولايبالغ فى الطلب) اى طلب المسروق اوالسارق (وسوء الظن بالمسلم) اى وفى التهمة للجيران اوغيرهم من اقاربه واصحابه (والاولى ان يعفو) اولا (ويحل) ثانيا (فهو) اى ماذكر من العفو والاحلال (صدقة ان كان) السارق (فقيرا والا) اى وان لم يكن السارق فقيرا (فاغناء له عن المعصية) التى هى السرقة (وعمل بماورد انصر اخاك ظالما اومظلوما) وتوضيحه مافى الاحياء فان قلت كيف يتصور ان لايحزن اذا اخذ متاعه الذى هو محتاج اليه ولايأسف عليه وذلك لانه ان كان لايشتهيه ولايريده لم امسكه لديه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه لحاجته اليه فكيف لايتأذى قلبه ولايحزن على فقده وقدحيل بينه وبين مايشتهيه فاقول انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له فى ان يكون له ذلك المتاع ولولا ان الخيرة له فيه مارزقه الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن به تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولولم يكن ذلك عنده مقطوعا به واحتمل ان يكون خيرته فى ان يبتلى لفقد ذلك حتى ينصب فى تحصيل غرضه ويكون ثوابه فى النصب والتعب اكثر فلما اخذه الله بتسليط اللص تغير ظنه لانه فى جميع الاحوال واثق بالله حسن الظن به فيقول لولا ان الله علم الخيرة الآن فى عدمها لما اخذها منى فبمثل هذا الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذبه يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث انها الاسباب بل من حيث انه يسرها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا له وهو كالمريض بين يدى الطبيب الحبيب يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح به وقال لولا انه عرف ان الغذاء ينفعنى وقدقويت على احتماله لما قربه الى وان اخذ عنه الغذاء فرح ايضا وقال لولا انه عرف ان الغذاء يضرنى لما حال بينى وبينه فكل من لايعتقد فى لطف الله مايعتقده المريض فى الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته فى اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لايدرى اى الاسباب خيرله كما قال عمر رضى الله عنه لاابالى اصبحت غنيا اوفقيرا فانى لاادرى ايهما خيرلى فلذلك ينبغى ان لايبالى المتوكل بسرقة متاعه او ببقائه فانه لايدرى ايهما خيرله فى الدنيا ولافى الاخرى وكم من متاع

فى الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غنى يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول ليتنى كنت فقيرا ويتمنى ما يضطر المتوكل الى تركه فى البيت فينبغى ان ينوى عند خروجه منه الرضى بما يقضى الله تعالى فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما يأخذه السارق هو منه فى حل او هو فى سبيل الله او ان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقير فهو اولى ويكون له نيتان لو اخذه غنى او فقير احداهما ان يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه باكل الحرام لما ان جعله فى حل والثانية ان لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى دفع المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما على ما فى الصحيحين وتمامه قيل كيف انصره ظالما قال تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره فنصرة الظالم منعه عن الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له والتحقيق ان هذه النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الازلى السابق ولكن يتحقق بها الزهد بنيته فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه وقصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الامر ان يكون فى هذا المقام متوكلا على الله سبحانه بالعلم والحال اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفايته فى اغلاق الباب بل بدفع الله سبحانه اياه كما سبق فى الكتاب فكم من بيت يغلق ولا ينفع وكم من بعير يعقل ويموت او يفلت فكم من اخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا يتكل اصلا على هذه الاسباب بل على مسبب الاسباب ورب الارباب واما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به فى نفسه وبيته ويقول اللهم ان سلطت على ما فى البيت من يأخذه فهو فى سبيلك وانا راض بحكمك فانى لا ادرى انما اعطيتنى هبة فلا تسترجعها او عارية او وديعة فتستردها ولا ادرى انها رزقى قبل خلقى او سبقت مشيئتك فى الازل انها رزق غيرى وكيف ما قضيت فانا راض به وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا به على بلائك بل جريا على مقتضى سنتك فى ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب ثم اذا عاد فوجد متاعه فى البيت فينبغى ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وان لم يجده بل وجده مسروقا نظر الى قلبه فان وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالى ذلك منه فى الدنيا الا ليزيد رزقه فى العقبى فقد صح مقامه فى التوكل وظهر به صدقه وان تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له انه ما كان صادقا فى دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد الا ممن لا يأسف على ما فاته من الدنيا ولا يفرح بما يأتيه بل قد يكون على العكس من ذلك فكيف يصح له التوكل نعم قد صح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه فى الطلب والتجسس

بعده وان لم يقدر على ذلك حتى يتأذى قلبه واكثر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة معيبة له فى دينه من حيث انها اظهرت له قصوره عن جميع المهمات وكذبه فى جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغى ان يجتهد حتى لا يصدق نفسه فى دعواها ولا يتدلى بحبل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء مدعية للخير فى امورها (وينويه) اى العفو ابتداء (ليثاب وان لم يسرق) انتهاء (كما فى ترك العزل) فانه اذا نوى تحصيل الولد المجاهد فى سبيل الله يثاب به ولو لم يولد (فورد فيه) اى فى ترك العزل (ثواب ولد كبر وقتل فى سبيله تعالى) وفى الاحياء كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل فى سبيل الله وان كان لم يولد له لانه ليس من امر الوالد الا الوقاع واما الخلق والحيوة والرزق والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان ثوابه على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك امر السرقة لكن مخرجه قال لم اجد له اصلا هذا واذا جعله فى سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة الى الآخرة فان اعيد عليه (فلا يأخذ) اى فالاولى ان لا يقبله (لو اتى به) اى بالمال المسروق (وان جاز الاخذ) والقبول فانه ملكه فى ظاهر العلم (لان النية) بمجردها (لا تخرج الملك) عن يد المالك لكن اخذه غير مستحسن عند المتوكلين فقد روى ان ابن عمر رضى الله عنهما سرقت ناقته فطلبها حتى اعيى ثم قال فى سبيل الله فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان ناقتك فى مكان كذا وكذا فلبس نعليه وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب فتأخذها فقال انى كنت قلت فى سبيل الله وكذا من اخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا فغاب عنه كره له ان يرده الى البيت بعد اخراجه منه فيعطيه فقيرا آخر وحكى عن رجل من العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه فيه فقال له كم كان فذكره فحمله الى البيت ووزن من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه بانهم كانوا اخذوا الهميان مزحا معه فجاء هو واصحابه اليه وردوا الذهب اليه فابى عليهم وقال خذوه حلالا فما كنت لاعود فى مال اخرجته فى سبيل الله ولم يقبله فالحوا عليه فدعا ابناله وجعل يصره صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لم يبق منه شئ ثم اقل درجات المتوكل ان لا يدعو على السارق الذى ظلمه بالاخذ فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته وتأسفه على ما فات وبطل زهده وفى الخبر من دعا على ظالم فقد انتصر وقد تقدم وفى رواية ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون مقدار ما ظلمه ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه فيقتص له من المظلوم وقد تقدم وحكى ان الربيع بن خثيم سرق له فرس ثمنه عشرون الفا وكان قائما يصلى فلم يقطع صلاته ولم ينزعج قلبه لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما انى كنت قد رأيته وهو يحله قيل فما منعك ان تزجره قال كنت فيما

هو احب الى من ذلك يعنى الصلوة فى مقام الاحسان وكمال التكلان قال فجعلوا يدعون على السارق فقال لاتفعلوا وقولوا خيرا فانى قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم فى شئ كان قد سرق له الاتدعو على ظالمك فقال ما احب ان اكون عونا للشيطان عليه قيل افرأيت لو ردت عليك السرقة قال لا آخذها ولا انظر اليها الانى كنت قد احللتها له وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمنى احد ثم قال انما ظلم نفسه الايكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى ازيده شرا (ولا ازالة الضرر) اى ولا ينفى التوكل دفع الضرر (المقطوع به) اى بالسبب المقطوع به (كالشرب لدفع العطش) وكذا الاكل لدفع الجوع واللبس لدفع الحر والبرد (والمظنون) اى والضرر المظنون فيه بالسبب المظنون وهو الطرف الراجح من المشكوك (كالحجامة) والفصد (والاسهال) اى شرب الدواء المسهل وسائر اسباب الطب من معالجة البرودة بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة (بخلاف الموهوم) وهو الطرف المرجوح من المشكوك (كالرقية والطيرة) والكى فروى ان عمران بن الحصين اعتل فاشاروا عليه بالكى فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا وتسلم على الملئكة فلما اكتويت انقطع ذلك عنى وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم تاب من بعد ذلك واناب الى الله فرد الله عليه ما كان يجده من امر الملائكة وقال لمطرف ابن عبد الله الم تر الى الملائكة التى كان اكرمنى الله بها قد ردها الله على بعد ان كان قد اخبره بفقدها (والترك) لمباشرة السبب (حرام فى المقطوع به) عند خوف الموت (دون المظنون) فان تركه ليس بحرام واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ وصف به النبى عليه السلام المتوكلين واقواها الكى وتليه الرقية ولذا نهى عليه السلام عن الكى دون الرقية فى البخارى وانهى امتى عن الكى وفى الصحيحين من حديث عائشة انه عليه السلام رخص فى الرقية من كل ذى حمة ثم الطيرة آخر درجاتها فالاعتماد عليها والا تكال اليها فى هذا الباب غاية التعمق فى ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهى المظنونة كالمداواة بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس محذورا بخلاف المقطوع بل قد يكون تركه افضل من فعله فى بعض الاحوال وفى حق بعض الاشخاص ويدل على ان التداوى غير مناقض للتوكل فعله عليه السلام وقوله وامره اما قوله فحديث ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعنى الموت رواه الطبرانى وغيره وحديث تداووا عباد الله رواه الترمذى وصححه وابن ماجه من حديث اسامة بن شريك وسئل عليه السلام عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال هى من قدر الله رواه الترمذى وابن ماجه والحديث المشهور ما مررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر امتك بالحجامة رواه الترمذى من حديث ابن مسعود

وحديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا تبيغ بكم الدم فيقتلكم رواه الترمذى من حديث ابن عباس فذكر ان تبيغ الدم سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاص منه اذ لا فرق بين اخراج الدم المهلك من الاهاب وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واما امره عليه السلام فقد امر غير واحد من اصحابه الكرام بالتداوى والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اى فصده كذا فى الاحياء ورواه مسلم من حديث جابر قال رمى سعد فى اكحله فحسمه النبى عليه السلام بيده بمشقص الحديث وقد كوى اسعد بن زرارة رواه الطبرانى ويؤخذ منه ان سبب الكى اذا كان موهوما فالاولى تركه وينافى التوكل فعله وقد قال لعلى كرم الله وجهه وكان وجع العين لا تأكل من هذا يعنى الرطب وكل من هذا فانه اوفق لك يعنى السلق الذى طبخ بشعير وقال لصهيب وقد رآه يأكل التمر وهو وجع العين اتأكل التمر وانت رمد فقال انما آكل بالجانب الآخر فتبسم عليه السلام واما فعله صلى الله عليه وسلم فقد روى من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة رواه ابن عدى من حديث عائشة وقال انه منكر انتهى وحديث الاكتحال ثابت فى الترمذى كما لا يخفى وللطبرانى باسناد حسن انه عليه السلام لدغته عقرب فغشى عليه فرقاه الناس الحديث وله فى الاوسط عن انس انه عليه السلام كان اذا اشتكى تقمح كفا من شونيز ويشرب عليه ماء وعسلا ولابى يعلى والطبرانى فى الكبير من حديث عبد الله بن جعفر ان النبى عليه السلام احتجم بعد ما سم وللبزار وابن عدى فى الكامل من حديث ابى هريرة انه عليه السلام كان اذا نزل عليه الوحى صدع رأسه فيغلفه بالحناء وللترمذى وابن ماجه من حديث سلمى كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء فكما ان التداوى مروى ومشهور (فترك الدواء ايضا مأثور) عن السلف مسطور فروى عن الصديق انه قيل له لو دعونا لك طبيبا فقال قد رآنى الطبيب وقال انى افعل ما اريد وقيل لابى الدرداء فى مرضه ما تشتكى قال ذنوبى قيل فما تشتهى قال رحمة ربى قالوا الا ندعو لك الطبيب قال الطبيب امرضنى وقيل لابى ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما فقال انى مشغول عنهما قيل لو سألت الله ان يعافيك فقال اسأله فيما هو اهم على منهما وكان قد اصاب الربيع ابن خيثم فالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود واقرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم يغن الدواء من الله شيئا من الداء وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلوك هذا الطريق ان يترك التداوى من شرب الدواء وغيره وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضرر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى فوجه الجمع انه عليه السلام وبعض اصحابه الكرام تداووا توسعة للانام

ورخصة فى الاحكام وتركه بعض الاعلام من مشايخ الاسلام عملا بالعزيمة المناسبة لحالهم من المقام والا فالتداوى لايضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء فلايرى ان الدواء نافع بنفسه بل من حيث انه جعله الله سببا لنفعه كما لايرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا وفى الاحياء ولايصح وجه الجمع بين فعله عليه السلام و افعال التاركين من الاعلام الا بحصر الصوارف عن التداوى فى ذلك المقام فترك الدواء المذكور والمأمور انما هو لاحد اسباب سبعة (لمعرفة عدم النفع بالمكاشفة) وهو ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف له بانه قد انتهى اجله فان التداوى لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق التداوى من هذا السبب فانه من المكاشفين فقد قال لعائشة فى امر الميراث انهما اختاك ولم يكن لها الا اخت واحدة ولكن كانت امرأته حاملا فوضعت انثى فعلم انه قد كوشف بانها حامل بانثى ولا يبعد ايضا ان يكون قد كوشف بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار التداوى وقد شاهده عليه السلام تداوى وامره كذا فى الاحياء وفرق بين انكار التداوى وعدم مباشرته كما لا يخفى (اولكون المرض مزمنا والعلاج موهوما) فى النفع (كالكى) والرقية ونحوهما وعليه حمل كلام الربيع (اوللشغل عنه) اى لاشتغال قلبه عن المرض وتداويه بما يوافقه وينافيه (بخوف العاقبة وعلمه تعالى) بما وقع له فى السابقة فينسيه ذلك الم الامراض اللاحقة فلا يتفرغ قلبه للتداوى شغلا بحاله وتأملا فى مآله وعليه يدل كلام ابى الدرداء وابى ذر فى ترك الدواء فكان تألم قلبه خوفا من ذنبه اكثر من تألم بدنه من حلول مرضه ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته اوكالخائف الذى يحمل الى ملك من اجل سياسته اذا قيل الا تأكل وانت جائع فيقول انى مشغول عن الاكل وعن الم الجوع بما هو اهم منه ويقرب من هذا الاشتغال سهل رحمه الله حيث قيل له ما القوت فقال هو الحى القيوم فقيل له انما سألناك عن القوام قال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء قال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد قال مالك والجسد دع من تولاه اولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها (اولقصد تطويله) اى لارادة استبقاء المرض (لنيل الاجر بالصبر) على بلائه تعالى فقد ورد فى ثواب المرض ما يكثر ذكره ومن ذلك ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالابريز ومنهم من يخرج دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا رواه الطبرانى من حديث ابى امامة وقال ابن مسعود تجد المؤمن من اصح شئ قلبا وامرضه جسما وتجد المنافق من اصح شئ جسما وامرضه قلبا ويشير اليه قوله تعالى * واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم * فلما عظم الثناء على المرض والبلاء احب قوم المرض واغتنموه وتركوا الدواء لينالوا ثواب الصبر على الداء فكان فيهم

من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسى العلة ويرضى بحكم الله تعالى وما فيه من الحكمة ويعلم ان ذكر الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلاتهم من قعود مثلا مع الصبر على قضائه سبحانه من العلة افضل من الصلاة قائما مع العافية والصحة وكان سهل يقول ترك التداوى وان ضعف عن الطاعات افضل من التداوى لاجل القوة على العبادات وكانت به علة عظيمة ولم يتداولها وكان يداوى الناس منها وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شئ من الدواء فانما هو سعة من الله عز وجل لاهل الضعف ومن لم يدخل فى شئ منه فهو افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء وان كان هو الماء البارد يسأل عنه لم اخذت ذلك ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لعلمهم ان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضاء والتوكل افضل من امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لايمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة (اولتكفير الذنب) بان يرى طول المرض تكفير الخطايا فلابى يعلى وابن عدى من حديث ابى هريرة لايزال الحمى والصداع بالعبد حتى يمشى على الارض كالبردة ما عليه خطيئة وللطبرانى من حديث ابى الدرداء نحوه وله فى الاوسط من حديث انس مثل المريض اذا صح وبرئ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء فى صفائها ولونها وللقضاعى من حديث ابن مسعود حمى يوم كفارة سنة وفى رواية حمى ليلة ولاحمد وابى يعلى من حديث ابى سعيد الخدرى باسناد جيد ان رجلا من المسلمين قال يارسول الله ارأيت هذه الامراض التى تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال ابى وان قلت قال وان شوكة فما فوقها قال فدعا ان لا يفارقه الوعك حتى يموت الحديث والوعك الحمى اوشدة المها وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابى بن كعب انه قال يارسول الله ما جزاء الحمى قال تجرى الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم اوضرب عليه عرق فقال اللهم انى اسألك حمى لاتمنعنى خروجا فى سبيلك ولا خروجا الى بيتك ولا مسجد نبيك الحديث وقال عيسى عليه السلام لايكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسمه وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياه وروى ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه فقال كيف ارحمه بما به ارحمه اى به اكفر ذنوبه وازيد فى درجته (اولامتحان النفس) اى لتجربتها فى القدرة على الصبر فى المحنة بعدم الجزع والفزع والشكاية فقد ورد نحن معاشر الانبياء اشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء وان كان فى ايمانه ضعف خفف عليه البلاء رواه احمد وابو يعلى والحاكم وصححه (اوطغيانها) اى تجاوز النفس عن حدها (فى الصحة) اى فى ايام الصحة والعافية (بتضييع الوقت بالتنعم) فى الشهوات واللهوات (وتأخير الخيرات

اى وبتأخير الطاعات والعبادات والمبرات (لتطويل الامل) وتبعيد الاجل وتوضيحه ان يستشعر العبد فى نفسه مبادى البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك التداوى خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان اوطول الامل وتسويف العمل بتأخير الخيرات والمبرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث الهوى وتتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصى والسيئات واقلها ان تدعو الى التنعم فى المباحات وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم فى مخالفة النفس وملازمة الطاعات فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصيبات ولذا قيل لا يخلو المؤمن من علة اوقلة اوذلة وروى ان الله تعالى يقول الفقر سجنى والمرض قيدى احبس به من اشاء من خلقى وقال بعض العارفين لانسان كيف كنت بعدى قال فى عافية قال ان كنت لم تعص الله فانت فى عافية فان كنت عصيته فاى داء ادوى من المعصية ماعوفى من عصى وعن على كرم الله وجهه انه لما رأى زينة النبط بالعراق فى يوم عيدهم قال ما هذا الذى اظهروه قالوا يا امير المومنين هذا يوم عيدلهم فقال كل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد وما احسن من قال من ارباب الحال

* وليس العيد لمن لبس الجديد * انما العيد لمن امن من الوعيد *

وقال تعالى * كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى * قيل اى بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون * انا ربكم الاعلى * لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة لشغلته عن الفضول الدنيوية فضلا عن دعوى الالوهية وروى ان عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وفى الخبر انه عليه السلام عرض عليه امرأة فذكر من صفتها ونعتها حتى هم ان يتزوجها فقيل وانها ما مرضت قط فقيل لا حاجة لى فيها رواه احمد من حديث انس باسناد جيد وذكر عليه السلام الامراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما اعرفه فقال عليه السلام عنى اليك من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا رواه ابو داود وذلك لما ورد ان الحمى حظ كل مؤمن من النار رواه احمد من حديث ابى امامة ولابن ماجه من حديث ابى هريرة انه عليه السلام عاد مريضا من وعك كان به فقال ابشر ان الله عز وجل يقول هى نارى اسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى العقبى (والاولى الاخفاء) اى اخفاء مرضه وسوء حاله (صبرا) على بلائه تعالى (ورضاء) بقضائه سبحانه (وتحاميا عن الشكاية الا على سبيل الحكاية) وانما جاز ذلك لثلاثة اغراض (لقصد العلاج للطبيب) اذا كان المريض من الضعفاء بخلاف الاقوياء فكان الامام احمد به علل لا يخبر بها المتطبب اذا سأله عنها وتارة يخبر بامراض يجدها ويقول انما اصف قدرة الله فى

(او تعليم حسن الصبر) اى اولتعليم المريدين استحسان الصبر وجواز اظهاره (بالشكاية) على طريق الحكاية بل لبيان الشكر فى الرواية بان يظهر المرض بلية يصبر عليها او نعمة يشكر الله بها فيتحدث به كما يتحدث بالنعمة وقال الحسن البصرى اذا حمد المريض ربه تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى (وهو) اى صاحب هذا المقام يكون (من المقتدى به) فى امر الرعاية (او اظهار العجز) والافتقار (من الصبر اليه تعالى وهو) انما يستحسن (من القوى) فى مقام الصبر كما روى عن على كرم الله وجهه انه قيل له فى مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله فاحب ان يظهر فيه العجز والافتقار مع ما علم فيه من القوة والاقتدار (فالنية) اى تحسينها واصلاحها (مرخصة) لاظهار علة واسبابها او المعنى ان النية مرخصة للتداوى وتركه فان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والاوقات وانما الاعمال بالنيات واما من ترك التداوى توكلا فلا وجه له للاظهار اصلا فان الاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ولذا قال يعقوب عليه السلام انما اشكوا بثى وحزنى الى الله وقيل فى معنى قوله فصبر جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذى اذهب بصرك قال مر الازمان وطول الاحزان فاوحى الله تعالى اليه تفرغت بشكوى الى عبيدى فقال يارب اتوب اليك وروى عن طاوس ومجاهد انهما قالا يكتب على المريض انينه فى مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه اظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قيل ما اصاب ابليس من ايوب عليه السلام الا انينه فى مرضه فجعل الانين حظه منه واعله محمول على انين كان يمكنه ان لا يظهره عند عواده والا فقد سبق انه تسبيح ويثاب عليه مع انه امر طبعى لا يدخل تحت اختيار المريض وفى الخبر اذا مرض العبد قال الله تعالى للملكين انظرا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير دعوا له وان كان شكا وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد عيادة العباد خشية الشكاية فى المقام وخوف الزيادة فى الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض ووهيب بن الورد وبشر بن الحارث وكان الفضيل يقول اشتهى المرض بلا عواد وقال لا اكره العلة الا لاجل العواد هذا ومما ينفع فى باب التوكل من حسن الظن بمجيء الرزق وفق الرفق ان يعلم الحكايات التى فيها عجائب صنع الله تعالى فى وصول الرزق الى صاحب التوكل فى سائر الاوقات كما روى عن حذيفة المرعشى وكان قد خدم ابراهيم بن ادهم فقيل له ما اعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم بن ادهم وقال يا حذيفة ارى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه

يا الله بكل حال والمشار اليه بكل معنى وقال

* انا حامد انا شاكر انا ذاكر * انا جائع انا نائع انا عارى *
* هى ستة فانا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى *
* مدحى بغيرك لهب نار خضتها * فاجر عبيدك من لهيب النار *

ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى اول من يلقاك فخرجت فاول من لقينى كان على بغلة فناولته الرقعة فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت هو فى المسجد الفلانى فدفع الى صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فسألته عن راكب البغلة فقال هذا رجل نصرانى فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجئ الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصرانى وركب على رأس ابراهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصرى جعت بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتنى نفسى بالخروج فخرجت الى الوادى لعلى اجد شيئا يسكن ضعفى فرأيت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت فى نفسى منها وحشة وكأن قائلا يقول لى جعت عشرة ايام وآخره يكون حظك شلجمة متغيرة فرجعت ودخلت المسجد فقعدت فاذا انا برجل اعجمى قد اقبل حتى جلس بين يدى ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت كيف خصصتنى بها فقال اعلم انا كنا فى البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق فنذرت ان خلصنى الله ان اتصدق بهذا على اول من يقع عليه بصرى من المجاورين وانت اول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها كعك سميد مصرى ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت قبضة من من هذا وقبضة من هذا وقبضة من هذا وقلت رد الباقى الى صبيانك هدية منى لهم وقد قبلتها ثم قلت فى نفسى رزقك يسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه فى الوادى وقال ممشاد الدينورى كان على دين فاشتغل قلبى بسببه فرأيت فى النوم كأن قائلا يقول يا بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين خذ عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم (وحكى عن بنان الحمال قال كنت فى طريق مكة اجئ من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة وقالت يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم اتى على ثلاث لم آكل فوجدت خلخالا فى الطريق فقلت فى نفسى احمله حتى يجئ صاحبه فربما يعطينى شيئا فارده عليه فاذا انا بتلك المرأة فقالت انت تاجر تقول عسى يجئ صاحبه فآخذ منه شيئا ثم رمت الى شيئا من الدراهم وقالت انفقه فاكتفيت بها الى قريب من مصر (وحكى ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا اذا جاء النفير فنشترى ما يوافقك فلما ورد النفير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها تصلح له وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال

اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له القصة (وقيل كان فى الزمن الاول رجل فى سفر ومعه قرص فقال ان اكلته مت فوكل الله ملكا فقال ان اكله فارزقه وان لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه الى ان مات ولم يأكله وبقى القرص بعده ويقرب منه ما فى حيوة الحيوان ان دودة اكلها التراب وتموت جوعا خوفا من فراغه وحزنا على فراقه وكذا طير على ساحل البحر يموت عطشا خوفا من نفاد ما فيه من الماء وقال ابو سعيد الخراز دخلت البادية بغير زاد فاصابتنى فاقة فرأيت المرحله فسررت بان وصلت ثم فكرت فى نفسى انى سكنت واكلت على غيره سبحانه فاليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها فحفرت لنفسى فى الرمل حفيرة وواريت جسدى فيها فسمعوا صوتا عاليا فى نصف الليل يا اهل المرحلة ان لله وليا حبس نفسه فى الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجونى وحملونى الى القرية وروى ان رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فقال عمر يا هذا اهاجرت الى عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل حتى افتقده عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر انى اشتقت اليك فما الذى شغلك عنا فقال انى قرأت القرآن فاغنانى عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت فيه قال وجدت فيه * وفى السماء رزقكم وما توعدون * فقلت رزقى فى السماء وانا اطلبه فى الارض فبكى عمر وقال صدقت وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه وقال ابو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا انا امشى فى الطريق اذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى ان استغيث ثم قلت لا والله لا استغيث فما استتم هذا الخاطر حتى مر برأس البئر رجلان فقال احدهما تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب وبارية وطموا البئر على رأسه فهممت ان اصيح ثم قلت فى نفسى الى من هو اقرب منهما فسكت فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشئ كشف عن رأس البئر وادلى رجله وكأنه يقول تعلق بى فى همهمة له كنت اعرف له ذلك فتعلقت به فاخرجنى فاذا هو سبع فمر وتركنى فهتف بى هاتف فقال يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف فمشيت وانا اقول

* اهابك ان ابدى اليك الذى اخفى * وانت عليم ما بلا حظة طرفى *
* نهانى هواى منك ان اكتم الحياء * واغنيتنى بالفهم منك عن الكشف *
* تلطفت فى امرى فابديت شاهدى * الى غائبى واللطف يدرك باللطف *
* تراءيت لى بالغيب حتى كأنما * تبشرنى بالغيب انك فى الكف *
* اراك وبى من هيبتى لك وحشة * فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف *
* وتحيى محبا انت فى الحب حتفه * وذا عجب كون الحيوة مع الحتف *

فهذه احوال رجال ماتوا قبل الموت فلا لحقهم شئ من الفوت وفى هذا المقام قال من قال
دع نفسك وتعال * وبيان ذلك الحال ان تطيب نفس السالك لهذه

المسالك بالموت ان لم يأته رزقه علما بان رزقه هو الموت والجوع وان كان نقصانا فى الدنيا فهو زيادة كمال فى العقبى فيرى انه سبق اليه من خير الرازقين ويعتقد انه سبحانه خير الرازقين كما انه احسن الخالقين (والاصل) الذى عليه مدار الدين خصوصا (فيه) اى فى التوكل هو (اليقين) وقد قال تعالى ❁ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ❁ اى عين اليقين فانه كان عليه السلام واتباعه الكرام فى مقام علم اليقين ولذا تفسيره الموت عند عامة المفسرين من الائمة المتبحرين وقال عز وعلا ❁ هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ❁ الى ان قال ❁ وهم بالآخرة هم يوقنون ❁ وقول على كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لانه انما يزداد وضوحا عينا بعد ما كان ظاهرا غيبا كما ان الذى يرى انسانا فى وقت الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع شمس النهار بانه انسان فى صورته وهيأته بل يزداد وضوحا فى عرفان تفصيل خلقته والحاصل انه ما يزداد اليقين من طريق العلم والبيان وانما يزداد باعتبار الظهور والعيان فينتقل من علم اليقين الى عين اليقين وبرؤية الحق ينتقل من علم اليقين الى حق اليقين ونظيره ان خبر الكعبة متواتر عند كل سالك المناسك فله علم اليقين فى سلوك تلك المسالك الى ان يشاهد البيت من بعيد فيشهد له بعين اليقين مع تأييد ثم اذا قبل الحجر الاسعد والتزم الملتزم انتقل الى حق اليقين فى الحرم المحترم والله سبحانه اعلم (وورد) عنه صلى الله عليه وسلم (من كان غريزته العقل) اى طبيعته (وسجيته اليقين) اى خلقته وطويته (لم تضره الذنوب) اى ارتكابها لانهما يدعوان الى سرعة التوبة عن اكتسابها والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فى اجتنابها (من افضل ما اوتيتم اليقين) فى امر الدين (وعزيمة الصبر) فى مقام المجتهدين قال تعالى ❁ وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ❁ وقال ❁ ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ❁ ولابى نعيم فى الحلية والبيهقى عن ابى سعيد مرفوعا ان من ضعف اليقين ان ترضى الناس بسخط الله وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره اليك حرص حريص ولا يرده كراهة كاره وان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح فى الرضاء واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط (وهو) اى اليقين (عدم الشك) فى امر الدين (عند المتكلم) اى فى علم الكلام (والاستيلاء) للامر (على القلب) باستيلاء الرب (فى علم الآخرة) المنتج للعمل فى مرضات الله سبحانه وهذا التعريف عند المتصوفة والفقهاء ولذا توصف عندهم بالضعف والقوة والكمال والزيادة بخلاف غيرهم ومن هنا (قيل) لمن جزع وقت الموت (ضعف يقين فلان عند الموت) كأن الاظهر ان يقال فى الموت اى فى حال وقوعه (مع عدم الشك) لاحد من المسلم والكافر (فيه) اى فى وجود الموت وثبوته فهو يقين يشبه الشك (وقوى فى الرزق) اى ويقال لمن ترك بالكلية مباشرة الاسباب وتوكل على الله حق توكله بترك الاكتساب قوى فلان فى امر الرزق (مع الشك فيه) اى

فى وجود الرزق اذ يحتمل عدمه بان يموت جوعا فى مقامه (ومجاريه) اى محال اليقين ومجاليه (كل ما جاء به الشرع) المبين (والاصول) لليقين اربعة (التوحيد) للحق (وبلوغ الرزق) للخلق (والجزاء) على الاعمال (واطلاعه تعالى على الاحوال) سرا وعلانية فانه يعلم السر واخفى (والجدوى) اى فائدة اليقين اربعة ايضا (عدم الالتفات الى المسخرات) من العلويات والسفليات (والاجمال فى الطلب) اى طلب الرزق ففى الحديث اجملوا فى طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها رواه ابن ماجه وغيره من حديث ابى حميد الساعدى والمعنى اكسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعى وتصحيح الثبات فى المقامات (مع ترك التأسف على الفوات) قال تعالى ❁ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ❁ اى من الدنيا وورد من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة الف سنة ومن اسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة الف سنة اخرجه الرازى فى مشيخته عن ابى عمرو (والاقدام على الطاعات) اى واكتساب العبادات (مع الامتناع عن المعصية) اى مع الاجتناب عن جميع السيئات (والمبالغة فى اصلاح الظاهر والباطن) بتحصيل الاخلاق والشمائل وتحسين الاحوال والفضائل

﴿ الخاتمة فى المحبة والسلوك ﴾

اى وسلوك طريق المحبة وسبيل المودة ومن لم يغترف من بحر المعرفة لم يعترف حقيقة المحبة مع غير الجنس والمثل والصفة وقال لا معنى لها الا المواظبة على الطاعة ولما انكر المحبة انكر الانس والشوق والذوق والمحو والصحو والفناء والبقاء والقبض والبسط وسائر لوازم المحبة وتوابع المودة وسائر مقامات اهل المعرفة وسيجىء كشف الغطاء عن هذه الحالة ببيان الكتاب والسنة (بسم الله الرحمن الرحيم) تنجلى الامور وتنشرح الصدور والامة مجمعة على ان الحب لله ورسوله فرض فكيف يفترض ما لا وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد ان يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من احب (ورد) فى التنزيل ما يقوى هذا التأويل (قل ان كنتم تحبون الله) اى تدعون محبته (فاتبعونى) فانى رئيس المحبين فى سلوك المودة (يحببكم الله) كما احبنى وسمانى حبيب الله وللاتباع حظ من متبوعهم بقدر الاتباع ومما يدل على اثبات الحب لله قوله عز وعلا ❁ يحبهم ويحبونه ❁ ثم فى قوله سبحانه ❁ والذين آمنوا اشد حبا لله ❁ دليل على اثبات الحب ومناقبه والتفاوت فى مراتبه (لا يؤمن احدكم) ايمانا كاملا او ايمانا اصلا (حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما) من الولد والوالد وما عداهما والحديث رواه الشيخان من حديث انس بلفظ لا يجد احد حلاوة الايمان حتى الحديث وعن ابى رزين العقيلى انه قال يا رسول الله ما الايمان قال الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وفى الصحيحين من حديث انس ايضا لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وفى رواية لهما ومن نفسه وللبخارى من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يا رسول الله لانت احب الى من كل شىء الا نفسى فقال لا والذى نفسى بيده حتى اكون احب اليك من نفسك فقال

عمرانت الآن والله احب الى من نفسى فقال الآن يا عمر يعنى آمنت وهو خبر ويحتمل ان يكون استفهاما ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله سبحانه * قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بامره * فان ذلك جرى مجرى التهديد والانكار والقصد به الاثبات والاقرار ونبه عليه السلام على تفاوت المحبة بينه وبين الله سبحانه فى هذا المقام بقوله احبوا الله لما يغذوكم به من نعمة واحبونى لحب الله اياى فاشار الى ان محبة الله اصالة ومحبته عليه السلام تبعية كما يقتضيه مقام الربوبية والعبودية وروى ان رجلا قال يارسول الله انى احبك قال فاعد للفقر تجفافا رواه الترمذى وحسنه وعن عمر رضى الله عنه انه عليه السلام نظر الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تمنطق به فقال عليه السلام انظروا الى هذا الرجل الذى قد نور الله قلبه لقد رأيته بين ابوين يغذيانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله الى ما ترون رواه ابو نعيم فى الحلية باسناد حسن وفى الصحيحين من حديث انس وابن مسعود وابى موسى قال اعرابى يارسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير صلوة ولا صيام الا انى احب الله ورسوله فقال له عليه السلام المرء مع احب قال انس فما رأيت المسلمين فرحوا بشئ بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال الصديق من ذاق خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر اى من ارباب الدنيا وقال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال ابو سليمن الدارانى ان من خلق الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون عنه بالدنيا وروى ان عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت ابدانهم وتغيرت الوانهم فقال لهم ما الذى بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذاهم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذى بلغكم الى ما ارى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم الى ثلاثة آخرين فاذاهم اشد نحولا وتغيرا كأن وجوههم المرايا من النور فقال ما الذى بلغ بكم ما ارى فقالوا الحب لله عز وجل فقال انتم المقربون انتم المقربون انتم المقربون وقال هرم بن حيان اذا عرف المؤمن ربه احبه واذا احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الآخرة بعين الفترة وهو بجسده فى الدنيا وروحه فى الآخرة وقال يحيى بن معاذ عفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق

الآمال فكيف حبه وحبه يدهش العقل فكيف وده ووده ينسى ما دونه فكيف لطفه وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب احب الى من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال ايضا الهى انى مقيم بفنائك مشغول بثنائك اخذتنى اليك وسربلتنى بقربك وامكنتنى من لطفك ونقلتنى فى الاحوال وقلبتنى فى الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضاء وحبا تسقينى من حياضك وتحملنى فى رياضك ملازما لامرك مشغوفا بقولك ولما طر شاربى ولاح طائلى فكيف انصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت منك هذا صغيرا ولى ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة اليك همهمة لانى احبك وكل حبيب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف (والمحبة اعظم المقامات واهم المهمات) فقيل المحبة محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل المحبة ايثار المحبوب على المصحوب وقيل مشاهدة الحبيب فى المشهد والمغيب وقيل المحبة ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك فى مقام المطلوب وقيل المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب يعجز القلوب عن ادراك نهايته ويمنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد حرم الله المحبة على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون بعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وعن ذى النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تركن الى غير الله (وهى) اى المحبة (ميل النفس الى الموافق) اى الى ما يوافق هواها ولا ينافى مشتهاها وتوضيحه ان المدركات تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك ويلذه ويلايمه والى ما ينافيه وينافره ويؤلمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام ولا التيام فكل ما فى ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما كان فى ادراكه الم ومحنة فهو مبغوض عنده وما يخلو عن استعقاب لذة وراحة والم وشدة فلا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروها فاذن كل لذيذ محبوب عند الملتذبه ومعنى كونه محبوبا ان فى الطبع ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان فى الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشئ الملذفان تأكد ذلك الميل وقوى سمى عشقا وشوقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب فاذا قوى سمى مقتا ويقال سحقا ثم لما كان الحب تابعا للادراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس فلكل حاسة نوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة فى بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم فلذة العين فى الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور الحسنة المليحة ولذة الاذن فى النغمات الطيبة الموزونة ولذة الشم فى الروايح الطيبة ولذة الذوق فى الاطعمة المستلذة ولذة اللمس فى اللينة والنعومة ثم لذات الحواس الخمس تشارك فيها البهايم الانسان فان كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله لا يدرك بالحواس ولا يتمثل بالخيال فلا يحب فاذا قد بطل خاصية الانسان وما تميز به عن الحيوان من الحس السادس الذى يعبر

عنه اما بالعقل واما بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة اقوى من البصر الظاهر كما يشير اليه قوله سبحانه * فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور * والقلب اشد ادراكا من العين ولذا قال * ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب * و * الا من اتى الله بقلب سليم * وجمال المعانى المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار ولذا قال تعالى * وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون * و * ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون * فتكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التى تجل عن ان تدركها الحواس ابلغ واتم فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم اليه اقوى واعم ولا معنى للحب الا الميل الى ما فى ادراكه لذة (ولا لذة اعظم من محبته تعالى ومعرفته) فلا ينكر اذن حب الله الا من قعد به القصور عن درجة البهائم فضلا فلم يجاوز ادراكه الحواس اصلا (فالادنى) من اللذات (المطعم) اى لذة الاكل والشرب من المستلذات (ثم المنكح) من المشتهيات وذلك بالنسبة الى المكلف والا فالصبى عنده بعد الاكل تمام لذته اللهو واللعب (ثم الجاه) الصورى (ثم العلم) بالامر الضرورى (و يعرف) الترقى (بترك الادنى واستحقاره عند وجدان الاعلى) واستقراره كما ان المرأة الثيب اذا ارادت زوجا فخيرت بين غنى عنين وفقير رجول فالغالب انها لا تختار الغنى لا سيما اذا كانت غنية ولها قوة شهوية فعلم ان لذة المنكح اعلى من لذة المطعم ثم لو فرض انها كانت من اشراف القوم وفرض ان الرجولية زالت من الناس الا من اراذلهم كالكناسين والدباغين فالغالب انها لا تختار زوجا من هذه الطائفة ولو كان غنيا وفى الشهوة قويا فعلم ان لذة الجاه اعلى من لذة المنكح ثم لو فرض شريف ذو نسب ذاق لذة العلم وليس فى البلد عالم الا من اراذل القوم المذكورين فالغالب انه لا يأنف ان يحضر فى مجلس هذا العالم ليستفيد منه العلم فعلم ان لذة العلم اعلى من لذة الجاه وكذا المخير بين النظر الى صورة جميلة و بين استنشاق رائحة طيبة اذا اختار النظر الى الحسن الصورة علم به ان الصور الجميلة عنده الذ من الروائح الطيبة وكذا اذا حضر الطعام واستمر اللاعب بالشطرنج علم ان لذة اللعب عنده اقوى من لذة الاكل (واستكراه البعض العلم للنقص) فى كماله (كاستكراه المريض المطعم) لعلة فى حاله (والصبى المنكح) لعدم بلوغ مثله والا فلا يخفى ان فى العلم والمعرفة لذة حتى ان الذى ينسب الى العلم ولو بشئ خسيس كالشطرنج ونحوه من الكيمياء والسيمياء وامثاله يفرح به والذى ينسب الى الجهل ولو فى شئ حقير يغتم بسببه ثم مراتب العلم متفاوتة باعتبار تفاوت المعلوم (والعلم به تعالى اشرف العلوم فشرفه) اى العلم (بشرف المعلوم) وليت شعرى هل فى الوجود شئ اجل واعلى واكمل واغلى من خالق الاشياء ومكملها ومزينها ومبديها ومعيدها

ومدبرها ومربيها فالذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله فى مصنوعاته وتدبيره فى ارضه وسمواته (ومن ثم يكون الفتوى) بل الكتابة (اشرف من الحياطة) ونحوها من الصياغة والصباغة (والرؤية له سبحانه الذ منه) اى من العلم به (لازدياد الكشف) فى معرفة ذاته وصفاته (فيها) اى فى الرؤية حال تجلياته (فاللذة باعتبار هذا) المعلوم وازدياد الكشف المفهوم (وسببها) اى موجب المحبة وباعثها (الكمال) فى الجمال (فهو) اى الكمال (محبوب طبعا) ولو فى زيادة الجاه والمال (ومن ثم احب العالم) لما له كمال فى العلم (والصالح) لما له كمال فى العمل لا لصورتهما الظاهرة بل لسيرتهما الباطنة الباهرة فان الطباع مجبولة على حب الانبياء والعلماء والاولياء مع انهم لم يشاهدوا الهم شيئا من الاشياء ومنه حب ارباب المذاهب كابى حنيفة ومالك والشافعى واحمد وغيرهم من المشايخ حتى ان الرجل قد يتجاوز حبه لصاحب مذهبه او مشربه حد العشق بسببه فيحمله ذلك على ان ينفق جميع ماله فى نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه فى قتال من يطعن فى امامه او شيخه فكم من دم اريق فى نصرة المذاهب باختلاف المراتب فليت شعرى من يحب متبوعا من عالم او صالح فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته وهيأته فاستحسانه الذى حمله على افراط حبه انما هو لاستحسان سيرته وهى صورته الباطنة لا صورته الظاهرة (والوجه الجميل) لما له من صورة الجمال (والكلام البليغ) لما له من سيرة اهل الكمال (والاحسان فان الانسان) اى جنسه (عبيده) اى عبيد الاحسان وفى نسخ الاحياء عبد الاحسان وهو اظهر لحمله على الانسان والمعنى انه قد جبلت القلوب على حب من احسن اليها و بغض من اساء عليها كما ورد وقد ورد ايضا اللهم لا تجعل لفاجر على يدا فيحبه قلبى كما رواه الديلمى وهذا المقام اذا حقق رجع الى الاول فان المحسن من امد بالمال والمعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وتمام الشهود وهو من جملة الكمال الا ان الاول كمال لذاته وهذا من عوارض صفاته بل اذا حكى من سيرة بعض الملوك واصحاب المال فى اقطار الارض العدل والاحسان غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار احسانه لبعد المزار وتنائى الديار فاذا ليس حب الانسان مقصورا على من احسن اليه فقط بل المحسن فى نفسه محبوب وان كان لا ينتهى احسانه قط الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب فالصور ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملها وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصورة الباطنة بالبصيرة الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعانى الباطنة اكثر من حبه للمعانى الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا

مصورا على الحائط لجمال صورته الظاهرة و بين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة (ولا كمال) فى الجمال والجلال (الا له تعالى) شانه وهو الملك المتعال (ولا احسان الامنه) كما يشير اليه قوله تعالى * ومابكم من نعمة فمن الله (والاعلى ان يحب) اى الله (لذاته) مع قطع النظر عما تقتضيه صفاته الجمالية من رجاء الجنة ونعوته الجلالية من خوف العقوبة وماتوجبه صفات الافعال من الاكرام والاحسان والانعام (وهو) اى الحب الذى لذاته (من المواهب) اللدنية والمراتب العندية دون المكاسب العبدية كما ورد نعم العبد صهيب لولم يخف الله لم يعصه (بخلاف غيره) اى غير الحب لذاته من انواع الحب الآتية المعبر عنها بقوله (ثم للكمال ثم للاحسان وهو) اى الحب الذى للاحسان (محبة النفس) اى نفس المحب (فى الحقيقة) وان كان يطلق عليه محبة الله فى ظاهر الشريعة والطريقة فاذن يرجع الفرق الى تفاوت الرتبة والافكل واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكل من احب المحسن لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا اى بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لوزال زال الحب مع بقاء ذاته ولونقص نقص الحب و يتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه وفى الاحياء ان الانسان لايخفى انه يحب نفسه ولايخفى انه قد يحب غيره لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لالاجل نفسه هذا مماقد يشكل على الضعفاء حتى يظنون ان لايتصور ان يحب الانسان غيره لذاته مالم يرجع منه حظ الى المحب سوى ادراك ذاته فالحق ان ذلك متصور وموجود ولاهل الكمال مدرك ومشهود وذلك كحب الجمال فان كل جمال محبوب عند كل مدرك للجمال وذلك لعين الجمال لان ادراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لالغيرها ولايظنن ان الصور الجميلة لاتتصور الالقضاء الشهوة فان قضاءها لذة اخرى قد تحب الصور الجميلة لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجارى محبوبان لا يشرب الماء ولاتؤكل الخضرة او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية فقدكان عليه السلام يحب الخضرة والماء الجارى كما روى ابونعيم فى الطب النبوى من حديث ابن عباس انه عليه السلام كان يحب ان ينظر الى الخضرة و لماء الجارى والطباع السليمة من العوارض السقيمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان والآثار حتى ان الانسان لتفرج عنه الغموم بالنظر اليها لالطلب حظ وراء النظر اليها فاذا ثبت ان الله جميل كان لامحالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما ورد ان الله جميل يحب الجمال رواه مسلم من حديث ابن مسعود هذا وقد يكون الموجبة للمحبة مناسبة خفية بين المحب والمحبوب اذرب شخصين يتأكد الحب بينهما لالسبب جمال اوحظ مال بل بمجرد تناسب الارواح دون

تشاكل الاشباح كما ورد الارواح جنود مجندة فماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف رواه مسلم من حديث ابى هريرة والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين ثم اعلم ان المستحق للمحبة انما هو الله وحده وان من احب غيرالله لامن حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره فى معرفة ربه وانما يحب غيره من الانبياء والاصفياء لكونهم احباءله سبحانه ومحبوب المحبوب محبوب ولان اسباب المحبة المتقدمة مجتمعة فى حقه سبحانه بجملتها على وجه الدوام والكمال واما فى حق غيره تعالى فلايوجد الآحادها على وجه النقصان والزوال وانها حقيقة فى حقه عز وجل وفى حق غيره مجاز محض بل وهم وتخيل صرف لاحقيقة لها لافى شهودهم كما فى وجودهم فان العبد لاوجود له من ذاته بل هو محو محض وعدم صرف لولافضل الله عليه بالايجاد وهو هالك عقيب وجوده اولافضل الله عليه بالابقاء والامداد ثم المحبة ثمرة المعرفة تنعدم بانعدامها و تضعف بضعفها و تقوى بقوتها ولذا قال الحسن من عرف ربه احبه ومن عرف النار بعد منها ومن عرف الدنيا زهد فيها ثم الله سبحانه هو المنفرد بالجود والاحسان والطول والامتنان من غير غرض ولاعوض بخلاف احسان الانسان مع ان احسانه ايضا من جملة احسان الملك المنان بل الاحسان على وجه الكمال من غيره محال وكيف يكون غيره محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان ثم العلم من اسباب المحبة فاين علم الاولين والآخرين من علم الله تعالى الذى لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولافى الارض ولقد خاطب الخلق كلهم فقال * وما اوتيتم من العلم الاقليلا * بل لواجتمع اهل الارض والسماء ان يحيطوا بعلمه وحكمته فى تفصيل خلق نملة او بعوضة لم يطلعوا على عشر عشيرة كما قال تعالى * ولايحيطون بشئ من علمه الابماشاء * فالقدر اليسير الذى علمه الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى * خلق الانسان علمه البيان ثم لاقدرة ولاقوة الابالله فان العبد لايملك لنفسه نفعا ولاضرا ولاموتا ولاحيوة ولانشورا وماهو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه و بنفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق اسبابه والممكن له من ذلك ولوسلط بعوضة على اعظم ملك واقوى ملك لاهلكته فليس للعبد قوة الابتمكين مولاه كما يشير اليه حديث لاحول ولاقوة الابالله وكما قال فى اعظم ملوك الارض * انامكناله فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا * والسموات مطويات بيمينه والارض ومن عليها جميعا فى قبضته وناصية جميع المخلوقات بيد قدرته ان اهلكهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه ذرة وان خلق امثالهم الف الف مرة لايزيد فى كماله سبحانه ذرة وليس كمال لغيرالله الابقدر مااعطاه واما كماله فكمال معرفة العارفين الاعتراف

بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصفه ونعته كما قال سيد المرسلين عليه السلام لااحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين * العجز عن درك الادراك ادراك * فسبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فالواجب على العبد ان يحب الله لجمال ذاته وكمال صفاته لالغرض ولالعوض مما يلايم قلب العبد من حالاته ولذا اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان اود الاوداء الى من عبدنى لغير نوال ولكن ليعطى الربوبية حقها وفى الزبور ومن اظلم ممن عبدنى لجنة اونار اولم اخلق جنة ونارا لم اكن اهلا ان اطاع ومر عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجوا الجنة فقال مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك فقالوا نعبده حباله ونعظيما لجلاله فقال انتم اولياء الله معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم انى استحيى ان اعبد الله للعقاب والثواب فاكون كالعبد السوء اذا لم يخف لم يعمل اوكالاجير السوء ان لم يعط اجرا لم يعمل ثم المناسبة للمحبة بين الله وعبده انه امران يتخلق باخلاقه فى اكتساب محامد الصفات التى هى من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الرحمة على الخلق والنصيحة والارشاد لهم الى الحق فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه قرب الصفات ويشير الى تلك المناسبة قوله تعالى * انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق * اذ لم يستحق داود خلافة الله الا بتلك المناسبة واليه يومى قوله عليه السلام ان الله خلق آدم على صورته اى صفته الكمالية من النعوت الجمالية والجلالية وقد ظن القاصرون ان لاصورة الا الصورة الظاهرة فشبهوا وجسموا وصوروا تصويرا كثيرا تعالى عن ذلك علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى فى الحديث القدسى مرضت فلم تعدنى قال وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان ولوعدته لوجدتنى عنده وهذه المناسبة لاتظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرائض واتمام الشمائل كما قال تعالى * لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به كما رواه مسلم من حديث ابى هريرة وهذا موضع يجب فيضان العلم عنه فقد تحزب الناس فيه الى قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى فى عيسى وقالوا هو الاله وقال آخرون تدرعت الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به كما تقول الوجودية وهم طائفة ابن عربى بالمعية واما الذين انكشفت لهم استحالة التشبيه والتمثيل والاتحاد والحلول واتضح لهم فى ذلك حقيقة التنزيه فهم الاقلون عددا والاكثرون عددا ولعل ابا الحسن الثورى كان ينظر من هذا المقام اذ غلبه الوجد فى قول القائل هذا الكلام (شعر)

* لازلت انزل فى ودادك منزلا * تتحير الالباب عند نزوله *

(وآثارها) اى نتايج المحبة وآثارها خمسة (الشوق) وهو غلبة المحبة فى مقام الذوق (فورد طال شوق الابرار الى لقائى) قال ابو الدرداء لكعب اخبرنى عن اخص آية يعنى فى التورية فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى لقائى وانى الى لقائهم اشد شوقا وقال مكتوب فى جانبها من طلبنى وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فقال ابو الدرداء اشهد لسمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فى الاحياء وسكت عنه مخرجه ومن دعاء نبينا عليه السلام كما اخرجه النسائى والحاكم اللهم انى اسألك الرضاء بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك وكان ابراهيم بن ادهم من المشتاقين قال فقلت يوما يارب ان اعطيت احدا من المحبين لك مايسكن به قلبه قبل لقائك فاعطنى ذلك فقد اضر بى القلق قال فرأيت فى النوم انه اوقفنى بين يديه وقال ياابراهيم اما استحييت منى ان تسألنى ان اعطيك مايسكن به قلبك قبل لقائى وهل يسكن قلب المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يارب تهت فى حبك فلم ادر ما اقول فاغفرلى وعلمنى ما اقول فقال قل اللهم رضنى بقضائك وصبرنى على بلائك واوزعنى شكر نعمائك فاوحى الله الى داود عليه السلام ياداود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى وتقطعت اوصالهم من محبتى ياداود هذه ارادتى فى المدبرين عنى فكيف ارادتى بالمقبلين على ياداود احوج مايكون عبدى الى اذا استغنى عنى وارحم ماكون بعبدى اذا ادبر عنى واجل مايكون عبدى اذا رجع الى (وهو) اى الشوق (غلبة التطلع) اى الاشراق (من وراء حجب الغيب الى الجمال) اى جمال الحق وسبحان من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار لشدة ظهوره ولذا قيل

* لقد ظهرت فاتخفى على احد * الا على اكمه لايبصر القمرا *
* لكن بطنت بما ظهرت محتجبا * فكيف يعرف من بالعزة استترا *

فهو الاول والآخر والظاهر والباطن (وانبعاث القلب الى الطلب) اى وقيام قلب العبد الى طلب الرب فلقد كان الخواص يضرب صدره ويقول واشوقاه الى من يرانى ولااراه ويقال الشوق نار الله الموقدة من نور بلائه لاهل ولائه اشعلها فى قلوب اوليائه حتى يحرق بها مافى قلوبهم من الخواطر والارادات والعوارض والحاجات فيكونوا من خلاصة اصفيائه (و) يرتفع (بالموت شوق اللقاء) اى الملاقات (لحصوله حال النزع والاشراف (ولايرتفع شوق زيادة الانكشاف) وهى الرؤية المعبر عنها بالزيادة فى قوله تعالى * للذين احسنوا الحسنى وزيادة (فللرؤية مراتب لاتتناهى) لعدم تناهى التجليات الالهية الصمدية الازلية الابدية ومن جهة عدم

نهاية التجليات الجمالية لاهل الجنة قال تعالى * لهم مايشاؤن فيها ولدينا مزيد * فتتزايد النعم ساعة فساعة كما يشير اليه قوله تعالى * كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل * اى صورة * واتوا به متشابها * اى سيرة لان الثانى يزيد على الاول لذة وكذا من جهة عدم نهاية التجليات الجلالية لاهل النار قال عز وعلا * فذوقوا فلن نزيدكم الاعذابا * كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب * فلا يدخل تحت الحصر دركات اهل النار كما لا يدخل فى حيز الحصر درجات اهل الجنة فكل عارف فى جنة عرضها السموات والارض من غير ان يضيق على مثله اصلا الا انهم يتفاوتون فى سعة متنزهاتهم بقدر درجاتهم فى اتساع نظرهم وسعة معارفهم فى مقاماتهم فهذا القدر ينبهك على ان معرفة الله تعالى الذ الاشياء ولذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية الا العارفون فى الدنيا فالرؤية بقدر المعرفة لان المعرفة هى البذر الذى ينقلب فى الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة ومن لم يعرف الله فى الدنيا لا يراه فى العقبى * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلى ايضا على درجات مختلفة ولذا قال عليه السلام ان الله يتجلى للناس عامة ولابى بكر خاصة كما رواه ابن عساكر من حديث جابر وذلك لانه افضل الناس بسر وقر فى صدره فضل لا محالة بتجلى انفرد به فى سره وتوضيحه ان طيبة الجنة ان كل واحد فيها مايشتهيه فمن لم يشته الا لقاء الله فلا لذة له فى غيره بل ربما يتأذى به فاذا نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فاصل السعادات هى المعرفة التى عبر عنها الشرع بالايمان والاسلام والاحسان والله المستعان فللعارفين فى معرفتهم وفكرتهم لمناجاة الله لذات لو عرضت عليهم الجنة فى الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لذة المحبة ثم الواصلون الى رتب المعرفة ينقسمون الى الاقوياء المرادين المجذوبين فيكون اول معرفتهم لله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء المريدين من المجتهدين فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون منها الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى * اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد * و بقوله * شهد الله انه لا اله الا هو * ومنه نظر بعضهم حيث قيل له بم عرفت ربك قال عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى والى الثانى الاشارة بقوله * سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم * الآية و بقوله * اولم ينظروا فى ملكوت السموات * و بقوله * قل انظروا ماذا فى السموات والارض * وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين والاوسع على السالكين واليه اكثر دعوة القرآن المبين فالعارف لا يرى غير الله ولا يعرف سواه ويعلم انه ليس فى الوجود الا الله وافعاله اثر من آثار قدرته فهى تابعة فلا وجود لها بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذى به وجود الافعال كلها ومن هذا حاله فلا ينظر فى شئ من الافعال الا ويرى فيه الفاعل و يذهل

عن الفعل من حيث انه ارض وسماء وشجر وما بل ينظر فيه من حيث ان له صانعا فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره فكل العالم تصنيف الله فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله كان الموحد الحق الذى لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذى يقال انه فنى فى التوحيد وانه فنى عن نفسه واليه الاشارة بقول من قال * كنا بنا ففنينا عنا فبقينا نحن بلا نحن * ولذا قال ابو سليمن الدارانى ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله وفى اخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت الفتى مشغوفا بطلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه وقال ابو سليمن ايضا من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثورى لرابعة ماحقيقة ايمانك قالت ماعبدته خوفا من ناره ولا رجاء لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حباله وشوقا اليه وقالت فى معنى المحبة (شعر)

* احبك حبين حب الهوى * وحبا لانك اهل لذاكا *
* فاما لذى هو حب الهوى * فشغلى بذكرك عمن سواكا *
* واما الذى انت اهل له * فكشفك للحجب حتى اراكا *
* فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا *

ولعلها ارادت بحب الهوى حب الله لاحسانه اليها و بانعامه عليها بالحظوظ العاجلة و بحبه لما هو اهله الحب لجلاله وجماله الذى انكشف لها وهو اعلى الحبين واقواها وقد قيل لرابعة ماتقولين فى الجنة قالت الجار ثم الدار فبينت انه ليس فى قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة و بذلك يشير قول آسية رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة هذا ومن عرف الله عرف ان اللذات المفرقة والشهوات المختلفة كلها تنطوى تحت هذه اللذة كما قال (شعر)

* كانت لقلبى اهواء مفرقة * فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى *
* فصار يحسدنى من كنت احسده * وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى *
* تركت للناس دنياهم ودينهم * شغلا بذكرك يا دينى ودنيائى *

وقال بعضهم * وهجره اعظم من ناره * و وصله اطيب من جنته *

وما ارادوا بهذا الايثار لذة القلب فى معرفة الرب على لذة الاكل والشرب والجماع ونحوها فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب فلذته فى لقاء الله فى مقام الايناس

(والانس) ايضا من آثار المحبة (وهو) اى الانس (غلبة الفرح بالقرب الى الرب وقصر النظر على المطالعة) اى مراقبته ومشاهدته ومن هنا قيل الاستيناس بالناس علامة الافلاس ومن انس بالله توحش عن خلق الله وفى اخبار داود عليه السلام ان الله تعالى قال ياداود ابلغ اهل ارضى انى حبيب

لمن احبنى وجليس لمن جالسنى وانيس لمن انس بذكرى وصاحب لمن صاحبنى ومختار لمن اختارنى ومطيع لمن اطاعنى ما احبنى عبدا علم ذلك يقينا من قلبه الا قبلته لنفسى واحببته حبا لا يتقدم اليه احد من خلقى من طلبنى بالحق وجدنى ومن طلب غيرى لم يجدنى فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى وسدوها فانسوا بى اونسكم واسارع الى محبتكم فانى خلقت طينة احبابى من طينة ابراهيم خليلى وموسى نجيى ومحمد صفيى وانى خلقت قلوب المشتاقين من نورى ورقتها بجلالى وفى اخبار داود عليه السلام ايضا ان الله اوحى اليه قل لعبادى المتوجهين الى محبتى ماضركم اذا احتجبت عن خلقى ورفعت الحجاب فيما بينى و بينكم حتى تنظروا الى بعيون قلوبكم وماضركم ما زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم كرامتى وماضركم سخط الخلق اذا التمستم رضائى وفى اخباره ايضا ان الله اوحى اليه ان كنت تحبنى فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبى وحبها لا يجتمعان فى قلب يا داود خالص احبتى مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ومن هنا قيل علامة الانس بالحق ضيق صدر صاحبه من معاشرة الخلق واستهتاره بعذوبة الذكر ولذاذة الفكر فان خالط فهو منفرد فى جماعة ومجتمع فى خلوة وغريب فى حضر وحاضر فى سفر وشاهد فى غيبة وغائب فى شهود ومخالط بالقالب ومباين بالقلب (ويفارق) الانس (الشوق بكونه) اى الانس (حالة الاضافة الى الحاضر وذلك) اى الشوق حالة الاضافة (الى النائى) اى البعيد الغائب ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما الشوق الى الغائب فاذا كان الغائب حاضرا فلمن اشتاق فهذا كلام مستغرق بالفرح لما ناله غير ملتفت الى ما بقى فى الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم تكن شهوته الا فى الانفراد والخلوة كما حكى ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يقتضى التوحش من غير الله بل كل ما يعوق من الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روى ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغثيان لان الحب يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره المطلوب فيخرج عذوبة ما سواه من القلوب وقال بعض الحكماء فى دعائه يا من انسنى بذكره واوحشنى من خلقه قال الله لداود عليه السلام كن بى مستأنسا ومن سوائى متوحشا وقيل لرابعة بم نلت هذه المنزلة قالت بتركى ما لا يعنينى وانسى بمن لم يزل وقيل من ذاق حلاوة الوحدة استوحش من نفسه الوحدة وكأنه يشير الى قول من قال * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب * وعن على كرم الله وجهه فى وصف اهل الانس من خواص الانس هم قوم هجم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفهون

وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله فى ارضه والدعاة الى دينه وقد قيل (شعر)

* الانس بالله لا يحويه بطال * وليس يدركه بالحول محتال *
* والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة لله عمال *

(ويجدى) اى يثمر الانس (الانبساط) اى النشاط على حاشية البساط بالاقوال والافعال والمناجاة على سبيل الادلال (كما ورد) فى التنزيل واذ قال ابراهيم (رب ارنى كيف تحيى الموتى) وقال موسى (رب ارنى انظر اليك انجح فى الاول) اى اجيب لابراهيم بقوله خذ اربعة من الطير الآية (لوجود الشرط فيما طلب (واعتذر فى الثانى) فيما طلبه اى جواب موسى بقوله لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى (لفقده) اى لفقد الشرط وعدمه كما بينه قوله * فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا (ولولا الانس) اى وجوده المقتضى للانبساط لموسى عليه السلام (لعوتب) على ما صدر عنه من السؤال والكلام (كما احترق قوم الكليم) عليه التسليم حيث قالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فالانبساط قد يكون منكرا لصورة لما فيه من الجراءة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم مقام الانس كموسى عليه السلام ومن لم يقم فى ذلك المقام وتشبه بهم فى الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر بسببه كما فى قوم موسى ومثاله مناجات برخ الاسود الذى امر الله تعالى موسى كليمه عليه السلام ان يسأله ان يستسقى لبنى اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام يستسقى لهم فى سبعين الفا فاوحى الله اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين ويأمنون مكرى ارجع الى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فبينما موسى يمشى ذات يوم فى طريق اذا بعبد اسود قد استقبله بين عينيه تراب من اثر السجود فى شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه فقال ما اسمك قال اسمى برخ فقال انت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا فقال فى كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذى بدا لك انقصت عليك غيومك ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين الست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت بالرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح برخ حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر وانبت الله العشب فى نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاصمت ربى كيف انصفنى فهم موسى عليه السلام به فاوحى الله اليه ان برخا يضحكنى كل يوم

ثلاث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص البصرة فبقى فى وسطها خص لم يحترق وابو موسى اميريومئذ بالبصرة فاخبر بذلك فبعث الى صاحب الخص فاتى بشيخ فقال له ياشيخ مابال خصك لم يحترق قال اقسمت على ربى عز وجل لايحرقه فقال ابوموسى انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكون فى امتى قوم شعثة رؤسهم دنسة ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب الاولياء قال الحسن ايضا ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص فجعل يتخطأ النار فقال امير البصرة انظر لا تحترق بالنار فقال انى اقسمت على ربى عز وجل لايحرقنى بالنار قال فاعزم عليها ان تطفأ قوم عليها فطفئت وكان ابو حفص يمشى ذات يوم فاستقبله رستاقى مدهوش فقال له ابو حفص مااصابك قال ضل حمارى ولااملك غيره فوقف ابو حفص فقال وعزتك لااخطو خطوة حتى ترد عليه حماره قال فظهر الحمار فى الوقت ومن ابو حفص رحمه الله فهذا وامثاله يجرى لذوى الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون فى كلامهم ومناجاتهم فى خلواتهم اشياء هى كفر عند العامة لوسمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد فى احوالهم وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القائل (شعر)

* قوم يخاطبهم زهو بسيدهم * والعبد يزهو على مقدار مولاه *
* تاهوا برؤيته عما سواه له * ياحسن رؤيتهم فى عز ماتاهوا *

ومن الانبساط قول موسى عليه السلام * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء * وقوله فى الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون وقومه فقال ولهم على ذنب فاخاف ان يقتلون (والاعلى الترك) اى الاولى من المراتب فى مقام الانس هو ترك الانبساط فى حضرة المولى (استغناء) عن السؤال فى مراتب انتقال الاحوال (كما كان له عليه السلام فى تحويل القبلة) حيث كان متأدبا فى مقام الانس والدلال فاكتفى بالحال عن السؤال تبعا للخليل حيث قال حسبى من سؤالى علمه بحالى كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى * قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضيها * اى تحبها وتهواها (والقرب) ايضا من آثار المحبة كما يشير اليه حديث لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه (وهو) اى القرب (زوال كل معترض) اى شاغل ومانع عن ذكره تعالى وفكره (وهو) اى المعترض انما هو (النفس) اى متابعة هواها ومطاوعة مشتهاها قال تعالى * افرأيت من اتخذ الهه هواه * وورد ابغض اله عبد فى الارض الهوى وقيل وجودك ذنب لايقاس به ذنب (والشيطان) لانه يدعو حزبه الى الطغيان فى الدنيا والى النيران فى العقبى ولان نسبة الاضلال اليه ايضا قد تبعد عن حقيقة صفة الجلال فانه من اسباب الضلالة كما ان النبى

سبب الهداية فاضافة الهداية الى النبى فى قوله * وانك لتهدى الى صراط مستقيم * مجاز * و * انك لاتهدى من احببت * حقيقة ومن المجاز فى جانب الاضلال قول الخليل رب انهن اضللن كثيرا من الناس فهو الله سبحانه هو الهادى والمضل من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادى له وهو يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو اعلم بالمهتدين كما هو اعلم بالضالين (والخلق) لان مخالطتهم غالبا يدعو الى الغيبة والبعد عن قرب الرب لاسيما حب الاهل والولد والاصحاب والاحباب والعقار من البساتين والمتنزهات من الدار فى الديار حتى النوح بطيب اصوات الاطيار وروح نسيم الاشجار فبقدر انسه وقربه الى غير الله يبعد عن انسه وقربه الى مولاه كانه لايتقرب الانسان من المشرق الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدره الا من وصل الى مقام جمع الجمع بحيث لايحجبه الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة (والدنيا) فان قطع علائقها ورفع عوائقها واخراج حب غير الله من القلب هو الموجب لقرب الرب فان القلب مثل الاناء الذى لايتسع للخل اوالهواء مالم يخل منه الماء وماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وكمال الحب المورث للقرب ان يحب الله بكل قلبه ومادام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر مايشتغل بغير الله وحبه وقربه ينقص منه حب الله ويبعد عن قرب ربه وبقدر مايبقى فى الاناء ينقص من الخل اوالهواء ويشير الى هذا التفريد والتجريد قوله سبحانه * قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون * وقوله * ان الذين قالوا ربنا الله * اى فى مقام التوحيد * ثم استقاموا * على مقام التجريد وقدم التفريد بل هو معنى قولك لا اله الا الله اى لامعبود ولاموجود ولامشهود سواه (وكماله) اى القرب (الغيبة فى رؤية فعله) اى غيبة العبد فى رؤية افعال ربه (حتى لايرى نفسه) ايضا (فاعلة) فى الحقيقة (كما ورد) فى التنزيل (ومارميت) خلقا اوحقيقة (اذرميت) كسبا اومجازا وقد سبق تحقيقه وتدقيقه وحاصل المرام فى هذا المقام ان الحبيب هو القريب من الله والقريب من الله هو البعيد من صفات البهائم ونعوت الشيطان والتخلق بمكارم الاخلاق التى هى اخلاق الرحمن فهو قريب بالصفة لابالمكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فقد تغير فربما توهم بهذا ان القرب لما تجدد فقد تغير وصف العبد والرب جميعا اذ صار قريبا بعد ان لم يكن وهو محال فى حق الله تعالى اذ التغير عليه من المحال بل لايزال فى نعوت الكمال وصفات الجمال والجلال على ماكان عليه فى ازل الآزال فكلما كان العبد اكمل صفة واتم معرفة واثبت قوة فى قهر النفس والشيطان صار اقرب الى الرحمن فمنتهى الكمال لله وقرب كل واحد منه بقدر كماله فى التخلق باخلاق الله وافعاله (والاتصال) ايضا من آثار المحبة وليس المراد بالاتصال هنا ضد الانفصال ولذا قال (وهو) اى الاتصال برادبه (المكاشفة والمشاهدة) فى مقام

المراقبة والمشاهدة اقوى من المكاشفة اذ يتصور وهم الخلاف فى المكاشفة بخلاف المشاهدة والحاصل ان المكاشفة اول نتايج المجاهدة والمشاهدة نهاية المساعدة وبشير اليه قوله عليه السلام بعد ذكر الايمان والاسلام الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقيل المحاضرة ابتداء والمكاشفة بعده والمشاهدة انتهاء فالمحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا باستيلاء الذكر والمكاشفة حضوره بنعت البيان غير مفتقر الى تأمل دليل وتطلب سبيل والمشاهدة هو وجود الحق من غير بقاء تهمة وبلا ريبة فاذا صحا سماء الاسرار عن غيوم الاستار فشمس المشهود مشرقة عن برج شوق الانوار كذا فى ارشاد المريدين وهو تفسير علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين

(شعر)

• عباراتنا شتى وحسنك واحد • فكل الى ذاك الجمال يشير •

(كما فى قول ابن عمر رضى الله عنهما كنا نترآى الله تعالى فى ذلك المكان) اى نتكلف فى مشاهدته او نجتهد حتى نصل الى مرتبة رؤيته ومنزلة حضرته فى ذلك الحال الذى هو جلى الشان جلى البرهان وانما قال هذا الكلام حال كونه (معتذرا عن ترك رد السلام) لبعض الصحابة الكرام (فى الطواف) اى فى حال طواف بيت الله الحرام (وحارثة) اى وكما فى قول حارثة للنبى عليه السلام (كما سبق) فى تحقيق المقام (وماورد) اى وكما ثبت (اعبد الله) وهذا نقل بالمعنى والصواب ان ينقل بالمبنى وهو ان تعبد الله (كأنك تراه) وهذا اعلى مقام العبد واقصاه واما ادناه فكما يشير اليه آخر الحديث (فان لم تكن تراه فانه يراك) وقد بسطنا القول فيه فى شرح الاربعين وهو خير معين (ومحبة الله تعالى العبد) اى للعبد ايضا من آثار محبة العبد لله سبحانه (وورد) فى التنزيل ما يدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال (يحبهم ويحبونه) وفى تقديم يحبهم ايماء الى ان الاصل هو المحبة الازلية الصمدية الموجبة لمحبة العبد الابدية وورد فى الحديث (اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه) بالمصائب على قدر ماله من المراتب فان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل (فان احبه الحب البالغ اقتناه) واقتناه المال وغيره اتخاذه قنية فالمعنى اختاره من بين خلقه وجعله من خواص ملكه وفى رواية فقيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا ولدا اى فى قلبه فعلامة محبة الله ان توحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره كما يشير اليه قوله • واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه * رواه الطبرانى وفى رواية اذا احب الله عبدا ابتلاه (فان صبر على بلائه اجتباه) فى مقام ولائه (وان رضى) باعطائه (اصطفاه) لمقام لقائه وعن بعض العلماء اذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك والحديث الثانى ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجه

ولده فى مسنده وقد يتوهم من المتن انهما حديث واحد وليس كذلك كما بيناه (وورد) ايضا (اذا احب الله عبدا) من عبيده (جعل له واعظا من نفسه) اى يبصره بعيوب نفسه ويعرفه طريق انسه (وزاجرا من قلبه) بامر ربه (يأمره) بالخير (وينهاه) عن الشر والحديث رواه ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ام سلمة باسناد حسن لكن بلفظ اذا اراد الله بعبد خيرا الحديث وله من حديث انس اذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه وورد من حديث انس كما رواه الديلمى اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا • ان الله يحب التوابين • ومعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم تضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضره الكفر الماضى قبل الاسلام وان كبر وقال عليه السلام ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الايمان الا من يحب رواه احمد والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود ولاحمد وابى يعلى من حديث ابى سعيد من اكثر ذكر الله احبه الله وعن رابعة من احب شيئا اكثر ذكره فذكر الله علامة لمحبة الله ولمحبة العبد اياه وفى الصحيحين من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول اعمل ما شئت فقد غفرت لك ويؤيده انه ورد مثل هذا لاهل بدر (ومعناها) اى معنى محبة الله للعبد (ان يبليه) اى من علامة حب العبد للمولى ان يبليه بالبلاء المورث لزيادة الولاء واما علامة كونه محبوبا له سبحانه ان يتولى الله شانه ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو المبشر عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه هما واحدا من ذكر ربه والمبغض فى الدنيا فى قلبه والموحش له من غيره والمونس له بلذة المناجاة فى خلوته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فانظر فى تحقيق هذا المبنى فما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى وقد قال بعض العلماء ليس فى الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل المحبة والمعرفة ولا فى جهنم عذاب اشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشئ من ذلك وقد جاء من بعض المتبحرين من المفسرين فى قوله سبحانه • ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة • انهم هم الذين ادعوا المعرفة والمحبة من غير تحقق تلك الحالة (فلا يصلح) العبد (لغيره) اى لغير مولاه فيما قدره وقضاه (كما ورد) فى التنزيل (واصطنعتك) اى اخترتك بالرسالة (لنفسى) اى لمعرفة ذاتى وصفاتى (وعلاماتها) اى امارات محبة العبد لله ثمانية (كتمانها) لانه قد يدخل فى الدعوى ما يجاوز حد المعنى ويزيد عليه فى المبنى وتنتظم عليه العقوبة فى العقبى ويتعجل عليه البلوى فى الدنيا ويكون ذلك من الافتراء على الله من غير الامتراء • ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا • نعم قد تكون للمحب سكرة فى حبه

حتى تدهش فى عقله ولبه فيضطر الى اظهار حبه لربه والافصدور الاحرار قبور الاسرار ولقد قال بعض الابرار

* من اطلعوه على سر فنم به * لم يأمنوه على الاسرار ماعاشا *

(وحب الموت) فانه سبب اللقاء ولذا قال عليه السلام لن تروا ربكم حتى تموتوا وقال حذيفة حبيب جاء على فاقة لاافلح اليوم من يندم وفى وصية ابى بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مرى والباطل خفيف وهو مع خفته وبى فان حفظت وصيتى لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتى لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وكان الثورى وبشر الحافى يقولان لايكره الموت الا المريب لان الحبيب على كل حال لايكره لقاء الحبيب نعم من يكون فى ابتداء مقام المحبة ليس يكره الموت بل يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء ربه وعلامته المداومة على الطاعة واستغراق الهم فى استعداد زاد المعاد وان يكون مؤثرا مااحبه الله على مايحب نفس العبد ويهواه فان من بقى مستمرا على متابعة الهوى فحبو به مايهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبو به كما قيل

* اريد وصاله ويريد هجرى * فاترك ما اريد لما يريد *

(والاطاعة) اى بمداومة الطاعة قدر الاستطاعة فمن احب الله لا يتبع هواه كما قال ابن المبارك

* تعصى الاله وانت تظهر حبه * هذا لعمرى فى الفعال بديع *
* لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع *

وفى هذا المعنى من بديع المبنى

* واترك ما اهوى لما قد هويته * وارضى بما يرضى وان هلكت نفسى *

(والتلذذ فى العبادة) بالمواظبة على الذكر والمداومة على الفكر وكثرة التلاوة فقد حكى عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة المناجاة فى شدة الارادة فادمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتنى فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول فى منامى ان كنت تزعم انك تحبنى فلم جفوت كلامى اما تزى مافيه من لطيف عتابى وشريف خطابى فانتبهت وقد اشرب قلبى تلاوة القرآن فعاودت الى حالى وقال ابن مسعود لاينبغى ان يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب القرآن فلم يحب الله وقال سهل علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبى عليه السلام وعلامة حب النبى حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يأخذ منها الا زادا يبلغه الى العقبى وعن مطرف ان المحب لايسأم من حديث حبيبه واوحى الله الى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى اليس كل محب يحب لقاء حبيبه فها انا موجود لمن طلبنى

وقال يحيى بن معاذ من احب الله ابغض نفسه اى لانه مما سواه وقال ايضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس بمحب يؤثر كلام الله على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ثم اعلم انه ليس فى الوجود غيره سبحانه فى عين اهل الشهود من ذاته وصفاته ومصنوعاته ولذا ذكر عن الشيخ ابى سعيد الميهنى لما قرئ عليه قوله * يحبهم ويحبونه * قال بحق يحبهم فليس يحب الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس فى الوجود غيره فمن لايحب الا نفسه وافعال نفسه وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث انها متعلقة بذاته فهو اذا لايحب الا نفسه كما ان العارف لايحب جميع مصنوعات الله ومكنوناته الا من حيث آثار قدرته وانوار ارادته واسرار صفاته وما ورد من الالفاظ فى حبه عبارة يؤول مبناه ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ويشاهده بابه والى تمكنه اياه من قربه والى ارادته ذلك به فى ازله محبة لمن حبه ازلى مهما اضيف الى الارادة الالهية الازلية التى اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب الى الرب واذا اضيف الى فعله الذى يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث سببه الذى يقتضيه كما قال لايزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فيكون قربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجب عن قلبه وحصوله فى درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه به فهو معنى حبه وجملة الكلام فى هذا المقام ان حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلى ونتيجة حب ربه الابدى فحب العبد مكتنف بين حبى الرب كما يشير اليه قوله سبحانه * يحبهم ويحبونه * مع قوله * ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله * ثم لايخفى ان مراتب الحب ومافيه من الدرجات انما تكون على قدر الطاعة والعبادات ويدل على تفاوت المقامات ماروى ان اباحذيفة بن ربيعة بن عبد الشمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش فى ذلك وقالوا انكحت عقيلة من عقائل قريش مولى فقال والله لقد انكحته اياها وانى لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله قالوا فكيف وهى اختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم كذا فى الاحياء وقال مخرجه لم اره من حديث حذيفة وروى ابونعيم فى الحلية المرفوع منه من حديث عمر ان سالما يحب الله حقا من قلبه وفى رواية ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم يخف الله عز وجل ماعصاه فهذا يدل على ان من الناس من لايحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره ايضا فلاجرم يكون تنعمه بلقاء الله عند قدومه عليه على قدر حبه له وعناءه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها وتعلقه بها وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا واذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصى وقال الجنيد الناس فى محبة الله عام وخاص فالعوام نالوا ذلك

بمعرفتهم فى دوام احسانه اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتمالكوا ان احبوه الا انهم يقل محبتهم ويكثر على قدر نعمتهم قلت ويشير الى ذلك قوله تعالى * فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف * بل ايماء الى رجائهم الجنة وخوفهم النار فى دار القرار ومن هنا قال الشبلى لما سمع قوله * منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة * الخ فاين من يريد الله وقد اجبت عن هذا فى بعض مؤلفاتى (والمصيبة) اى والتلذذ فى البلية لما يرى فيها من فعل المبلى سواء يكون فى مقام الصبر او الرضاء والشكر (والحرص فى الخلوة) عن الخلق دون الجلوة لانها غالبا تمنع عن مشاهدة الحق واقل درجات الحب التلذذ بالخلوة والتنعم بمناجاته من دون الرياء والسمعة فمن كان المنام والاشتغال بكلام الدنيا الذ عنده من العبادة واطيب من مناجاة الله فكيف يصح محبته فعلامة الحب كمال الانس بمناجات المحبوب وكمال التنعم بالخلوة به وكمال الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوقه عن لذة المناجات وعلامة الانس ان يصير العقل والفهم كله لذة مشغوفا بلذة المناجاة كالذى يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللذة الى بعضهم حتى كان فى صلاته فوقع الحريق فى داره ولم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة اصابته وهو فى الصلوة ولم يشعر به وعن الصديق من ذاق من خالص محبة الله اشغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر (والمناجاة) اى والحرص فى الدعاء والنداء والثناء فى جميع الحالات والمقامات فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء الوقت عن الخلائق بانقطاع العلائق وانفصال العوائق (وبغض الدنيا) بان لا يأخذ منها الا الزاد العقبى من سلوك طريق المولى وفى اخبار داود عليه السلام لا تستأنس الى احد من خلقى فانى انما اقطع عنى رجلين رجل استبطأ ثوابى فانقطع ورجل نسينى فرضى بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه فى الدنيا حيران ثم مهما انس بغير الله كان بقدر انسه بغير الله مستوحشا من الله ساخطا عن درجة محبته وفى قصة برخ وهو العبد الاسود الذى استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو الا ان فيه عيبا قال يارب وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبنى لم يسكن الى غيرى (والوحشة من الخلق) لان محبة الله ومحبة غيره لا يجتمعان (واتحاد الهم) هم الدين لما ورد من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقال بعض العارفين ان لله تعالى عبادا احبوه فاطمأنوا اليه فذهب عنهم التأسف على كل ما فات فلم يشتغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم ثم حق المحب اذا رجع من غفلته فى لحظة ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب لنفسه ويسأله ويقول يارب باى ذنب قطعت برك عنى وابعدتنى عن حضرتك وشغلتنى بنفسى وبمتابعة الشيطان (وطريقها) اى طريق تحصيل

المحبة (السلوك) اى سير مسالك اهل الشريعة والطريقة والحقيقة من منازل السائرين ومراحل الطائرين وقد قيل ان الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق وفيه تنبيه نبيه على ان كل مخلوق له سر مع خالقه لا يطلع عليه الا من هو اقرب منه اليه وعن هذا قال تعالى * وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم * ثم اقرب الطرق الى الله تعالى هو المحبة وهى حاصلة بمتابعة الكتاب والسنة ومخالفة الهوى والبدعة وتمامه باجتناب السيئات من المحرمات والمكروهات واكتساب الطاعات من الفرائض والنوافل من السنن المؤكدات والمستحبات (فورد لا يزال العبد يتقرب الى) اى بعد اداء الفرائض والواجبات والسنن الرواتب (بالنوافل) من الصلوة والطواف والذكر والفكر والثناء والدعاء وما استحسنه العلماء (حتى احبه) حبا يليق بارباب المناقب (فاذا احببته) حبا بليغا (كنت له سمعا) يسمع بى (وبصرا) يبصر بى (وقلبا) يعقل بى (ويدا) يبطش بى (ورجلا) يتقوى بى رواه البخارى وغيره بالفاظ مختلفة فيستخرج ذلك من السالك صفاء ذكر ورقة قلب ودقة فكر يفكر عنه ما سبق من الغفلة ويكون هفوته سببا لتجدد ذكر ربه وصفاء قلبه ومهما لم ير المحب الا المحبوب ولم ير شيئا الا منه لم يأسف على فقد المطلوب واستقبل الكل بالرضاء بما وقع من القضاء وعلم ان المحبوب لم يقدر له الا ما فى خيرته ويتذكر قوله تعالى * وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم * ولعله عليه السلام قال فى هذا المقام انه ليغان على قلبى فى اليوم والليلة فاستغفر الله سبعين مرة كما فى الصحيحين وانما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعدا بالاضافة الى القدم الثانى كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة لاهل التوفيق على الفتور فى الطريق والالتفات الى غير الحبيب والرفيق كما روى عنه عليه السلام مما روى عن ربه تبارك وتعالى انه قال فى بعض الكتب المنزلة ان ادنى ما اصنع بالعالم اذا آثر شهوات الدنيا على طاعتى ان اسلبه لذة مناجاتى فسلب المزيد بسبب الشهوات عقوبة العموم واما الخصوص فيحجبون عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون الى ما ظهر من مبادى اللطف وذلك هو المكر الخفى الذى لا يقدر على الاحتراز منه الا القوى من ذوى الاقدام الراسخة وقد سمع ابراهيم بن ادهم قائلا يقول وهو فى سياحته وكان على جبل لبنان

☼ كل شئ لك مغفور سوى الاعراض عنا ☼ قد وهبنا لك ما فات بقى ما فات منا ☼

فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وطرأت عليه احوال وغلبة ثم قال سمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت وقد قدمنا ان درجات الحب لا نهاية لها فى مقام القرب فحق العبد ان يجتهد فى كل نفس ما يفيد حبا حتى يزداد فيه قربا ولذا قال عليه السلام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون كذا فى الاحياء وقال مخرجه لا اعلم هذا الا فى منام لعبد العزيز ابن ابى رداد

قال رأيت النبى عليه السلام فى المنام فقلت يارسول الله اوصنى فقال ذلك بزيادة فى آخره رواه البيهقى ولعل تلك الزيادة مافى بعض الروايات ومن لم يكن فى زيادة فهو فى نقصان وقدقال الشيخ البستى

۞ زيادة المرء فى دنياه نقصان ۞ وربحه غير محض الخير خسران ۞

وقال بعض العارفين من عبدالله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عبده بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لايخلو عن خوف والخائف لايخلو من محبة ولكن الذى غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الايسير يقال هو فى مقام المحبة و بعد من المحبين ويجعل فى طريق السير من الطائرين المجذوبين المحبوبين وقدقيل فى وصف حال العارفين

۞ قريب الوجد ذومرمى بعيد ۞ على الاحرار منهم والعبيد ۞

۞ لقد عزت معانيه فغابت ۞ عن الابصار الالشهيد ۞

۞ غريب الوصف ذوعلم غريب ۞ كان فؤاده زبر الحديد ۞

۞ ترى الاعياد فى الاوقات تجرى ۞ له فى كل يوم الف عيد ۞

۞ وللاحباب افراح بعيد ۞ ولا نجد السرور له بعيد ۞

وكان الجنيد ينشد ابياتا يشير بها الى اسرار العارفين وان ذلك لايجوز اظهارها للغافلين وهى هذه

۞ فسرت بناس فى الغيوب قلوبهم ۞ فحلوا بقرب الماجد المتفضل ۞

۞ مراضا بقرب الله فى ظل عرشه ۞ تجول بها ارواحهم وتنقل ۞

۞ مواردهم فيها على العز والبها ۞ ومصدرهم عنها الماه واكمل ۞

۞ تروح بعز مفرد من صفاته ۞ وما كنه اولى لديه واعدل ۞

۞ ساكتم من علمى به ما يصونه ۞ وابذل منه ماارى الحق يبذل ۞

۞ فاعطى عباد الله منه حقوقهم ۞ وامنع منه ماارى المنع اعدل ۞

۞ على ان للرحمن سرا يصونه ۞ الى اهله فى السر والصون اجمل ۞

فامثال هذه المعارف التى اشير اليها لايجوز ان يشترك الناس فيها ولاينبغى ان يظهرها من انكشف له شئ منها لمن لم ينكشف له عنها بل لواشترك الناس فيها لخربت الدنيا ولم يبق على نظامها فالحكمة تقتضى شمول الغفلة لعمارة الدنيا وتمامها ولذا قيل الغفلة من الله رحمته ولولا الحمقى لخربت الدنيا بل لواكل الناس الحلال اربعين يوما لتعطلت الدنيا لزهدهم فيها وذهولهم عنها و بطلت الاسواق والمعايش منها ولو اكل العلماء من مال الحلال لاشتغلوا بانفسهم لتحصيل الكمال واوقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما انتشر من العلوم بين الانام ولكن لله فيما هوشر ظاهر احكم

واسرار على مالايخفى كما ان له فى الخير اسرارا وحكما لاتحصى لانهاية لحكمته ولاغاية لقدرته هذا وقديظهر مقال السر على لسان العارف حال السكر فهومعذور لانه مقهور اذ بما يشتعل من الحب نيرانه فلايطاق سلطانه وقدفيض القلب به فلا يندفع فيضانه ولاينطق لسانه فيقول القادر على كتمانه

۞ فقالوا قريب قلت ماانا صانع ۞ بقرب شعاع الشمس لوكان فى حجرى ۞

۞ فمالى منه غير ذكر بخاطر ۞ يهيج نار الحب والشوق فى صدرى ۞

والعاجز عنه يقول

۞ تخفى فيبدى الدمع اسراره ۞ و يظهر الوجد عليه النفس ۞

و يقول ايضا

۞ ومن قلبه مع غيره كيف حاله ۞ ومن سره فى جفنه كيف يكتم ۞

وكان صاحب البردة اخذ من هذه الزبدة فى قوله

۞ ايحسب الصب ان الحب منكتم ۞ مابين منسجم منه ومضطرم ۞

وقال بعض العارفين اكثر الناس من الله بعدا اكثرهم اشارة به اى الى مقام قربه وقددخل ذوالنون المصرى على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لايحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكنى اقول لايحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون ولكنى اقول لايحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه اى من دعوى حبه وقدقال ابوتراب النخشبى فى علامة الحب ابياتا هى

۞ لاتخدعن فللمحب دلائل ۞ ولديه من تحف الحبيب وسائل ۞

۞ منها تنعمه بمر بلائه ۞ وسروره فى كل ماهو فاعل ۞

۞ فالمنع منه عطية مقبولة ۞ والفقر اكرام و بر عاجل ۞

۞ ومن الدلائل ان يرى من عزمه ۞ طوع الحبيب وان الح العاذل ۞

۞ ومن الدلائل ان يرى متبسما ۞ والقلب فيه من الحبيب بلابل ۞

۞ ومن الدلائل ان يرى متفهما ۞ لكلام من يحظى لديه السائل ۞

۞ ومن الدلائل ان يرى متقشفا ۞ متحفظا من كل ماهو قائل ۞

وقال يحيى بن معاذ الرازى فى هذا المعنى من المبنى

۞ ومن الدلائل ان تراه مشمرا ۞ فى خرقتين على شطوط الساحل ۞

۞ ومن الدلائل حزنه ونحيبه ۞ خوف الظلام فماله من عاذل ۞

۞ ومن الدلائل ان تراه مسافرا ۞ نحو الجهاد وكل فعل فاضل ۞

۞ ومن الدلائل زهده فيما ترى ۞ من دار ذل والنعيم الزائل ۞

۞ ومن الدلائل ان تراه باكيا ۞ ان قد رآه على قبيح فاعل ۞

۞ ومن الدلائل ان تراه مسلما ۞ كل الامور الى المليك العادل ۞

❊ ومن الدلائل ان تراه راضيا ❊ بمليكه فى كل حكم نازل ❊
❊ ومن الدلائل ضحكه بين الورى ❊ والقلب محزون كقلب الثاكل ❊

(وهو) اى السلوك او طريقه بلزوم عشرة اسباب تكون رفيقه (بلزوم الوضوء) اى الطهارة الظاهرة (فهو) اى الوضوء وما فى معناه (ينور القلب) بسبب تأثير صفاء الظاهر لصفاء الباطن (والخلوة) اى و بلزومها عن الجلوة (فهى) اى الخلوة (تفرغ عن الشواغل) المانعة عن تحصيل الفضائل وقد تقدم تحقيق بحث الخلطة والعزلة ثم القوم مختلفون فى طرق سلوكهم فمنهم من جعل مدار الخلوة على خلو القلب عن غير ذكر الرب ومشاهدة الحق ولو كان فى مجمع الخلق كما يشير اليه قوله تعالى ❊ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ❊ وهو طريق السادة النقشبندية و القادة الشاذلية و يقال فى حقهم انهم غريبون قريبون وكائنون بائنون وعرشيون فرشيون ومنهم من اختار الخلوة المتعارفة بينهم تهوينا للمبتدى وتسهيلا للمنتهى وكان المصنف منهم ولذا قال (والاولى ان يكون) السالك الذاكر (فى بيت مظلم) ضيق ليس فيه متاع الا ما لا بد منه (او يلف رأسه) اذا كان فى مسجد ونحوه (و يغمض عينيه) حال ذكره وفكره لا حين صلوته فانه مكروه على خلاف دأبه عليه السلام وسنته وانما يختار البيت المظلم ولف الرأس وتغميض العين (لتركد الحواس) اى لتسكن وتستقر وفيه ان ما ذكر انما هو يسكن حاسة البصر ولعل اراده بصيغة الجمع لتوارد النظر (والسكوت) اى و بلزومه عن غير ذكر ربه فقد ورد من صمت نجا ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (فهو) اى السكوت المشتمل على الفكر (يلقح العقل) اى ينتج كماله (و يقوى القوى) من اللسان وما يتبعه من الجوارح والاركان (والجوع) اى و بلزومه للصيام او للصبر على فقده والا فهو ليس مطلوبا بنفسه ولذا ورد فى دعائه عليه السلام واعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع فانه اذا اشتد عن حده يكون شاغلا لصاحبه عن ذكر ربه وفكر حبه (والسهر) فى الذكر والفكر والعبادة والتلاوة والا فهو ايضا ليس بمطلوب فى حد ذاته (فهما) اى الجوع والسهر (ينوران القلب) اذا كان مشتغلا بذكر الرب (بتقليل دمه وذوبان شحمه) فيكون مضيقا لمجرى الشيطان ودخوله ووصوله فيختارهما (على الاعتدال) فيهما (فالافراط) والمبالغة منهما (شاغل) عن العبادة (كالتفريط) والتقصير عن قدر الحاجة لارباب الارادة واصحاب السعادة (ونفى الخواطر) اى و بلزوم نفيها ودفعها اذا كانت مذمومة كما قال العارف ابن الفارض

❊ ولو خطرت لى فى سواك ارادة ❊ على خاطرى سهوا حكمت بردتى ❊

اى بارتدادى عن مقام كمالى وحال ودادى وهذا اذا استقرت الخواطر ولم تكن من العواطر والا فلا عبرة لها واشار اليها بقوله (فالتمييز) بين الخاطر الالهى والملكى والشيطانى والنفسى

(شاغل) للسالك عما هو بصدده من حصول ذكر ربه ووصول سير قربه فى مقام حبه (والتسليم) اى و بلزوم التسليم والتفويض (له تعالى فى كل حال) من جميع اموره الدنيوية والاخروية فيترك تدبيره واختياره فى جميع احواله الى ما دبره الحق له فى آزاله (ونصب متفقد) اى و بلزوم تعيين خادم متفقد للوازمه (يبلغ القوت الحلال) اى يوصل اليه مأكوله ومشروبه من مال الحلال والا فشبهه اقرب اليه من الحرام فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان الحلال الصرف من الطيبات (فهو) اى الحلال (الاصل) فى محافظة الاعمال والاحوال كما يشير اليه قوله تعالى ❊ يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ❊ وقوله سبحانه ❊ يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون ❊ فقدم اكل الحلال على صالح الاعمال وقد امر الله بالمؤمنين بما امر به المرسلين اشعارا بان هذا شان السالكين من السابقين واللاحقين ولان الحلال يثبت ثواب عبادة لم يفعلها الشخص والحرام يبطل ثواب عبادة فعلها وتوضيحه شخص تعب فى النهار بسبب كسب الحلال وكانت له وظيفة عبادة فى الليل من الاعمال ففاتت منه العمل بسبب فتور البدن وظهور الكسل فلا شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية فى الارادة ومن اكل الحرام او لبس الحرام وترك المنام وقام الليل كله بالصلوة وسائر انواع العبادة لا يقبل منه كما ورد من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلوة ما دام عليه منه شئ رواه الامام احمد عن ابن عمر بل قوله تعالى ❊ انما يتقبل الله من المتقين ❊ يعم اكل الحرام وسائر المحرمات على الانام (وترك غير الفرائض) القطعية والظنية (والرواتب) اى وغير السنن المؤكدة للصلوات الخمس وهذا اللزوم بالنسبة الى المبتدئ حيث الافضل فى حقه مجرد الذكر واما بالنسبة الى المتوسط فالاكمل فى حقه التلاوة و بالنسبة الى المنتهى الصلوة لانها جامعة للذكر والتلاوة واعمال الجوارح واختلاف الحالة كما فى عوارف المعارف (والذكر الدائم) اى ولزوم الذكر على سبيل الدوام (مستقبلا) لبيت الله الحرام (مع الحضور) اى حضور القلب فى مشاهدة الرب ولعله اراد بالحضور هنا مجرد نفى الغفلة (باللسان) اى بلسان البيان او بلسان القلب والجنان او بالجمع بينهما وهو اكمل وان كان الذكر الخفى افضل لقوله تعالى ❊ واذكر ربك فى نفسك ❊ وهو يحتمل انه اراد به الخفية عن الخلق واخفى منها وهى السر مع الحق كما لا يخفى وكذا ما ورد خير الذكر الخفى وورد ان الذكر الذى لا تعلمه الحفظة افضل مما تعلمه سبعين ضعفا فلذا اختاره النقشبندية لتسليك المريدين فيأمرونهم بان يلصقوا السنهم الى حنكهم و يقولون بلسان قلوبهم لا اله الا الله و يشيرون فى لا اله الى نفى ما سوى الله وفى الا الله الى اثبات ذاته وصفاته و يريدون بالكلمة معنى لا اله معبودا وموجودا ومشهودا بحسب مراتبهم وتفاوت مناقبهم واما اهل الذكر الجلى باللسان فيشيرون بالنفى الى جانب اليمين

وفى الاثبات الى جانب اليسار وهو القلب وهذه كلها اصطلاحات للمشايخ الكبار واختيارات لهم فى مقام الاظهار والاسرار والا فلا ثبت عن النبى المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقة ولا طريق مصافحة انما الثابت بالتواتر الصحبة ومتابعة الكتاب والسنة اذا عرفت هذا (قيل) افضل الذكر (هو الله) لانه المقصود لا سواه الا انه لا يحصل التوحيد فى مقام التفريد اذ اثبات وجوده لا شك لاحد فى شهوده ولذا قالت رسلهم افى الله شك وقال تعالى * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله * فلا بد من كلمة التوحيد لتحقق صفة التفريد وقدام جميع الانبياء والرسل بذلك لاتباعهم واشياعهم (وورد) عن نبينا صلى الله عليه وسلم (افضل الذكر لا اله الا الله) تمامه وافضل الدعاء الحمد لله كما رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر مرفوعا (وقيل لا اله الا هو الحى القيوم) وهو لا ينافى ما تقدم لما فيه من زيادة الحى القيوم ولانه آية من القرآن دالة على التوحيد مع زيادة البرهان فالحى الازلى الابدى يشير الى ان غيره لا يصلح للالوهية لانه اما لا حيوة له او حياته حادثة والقيوم هو الذى يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته من قدرته وارادته وحكمته فى مصنوعاته وفى هذا تلويح الى بطلان ما يقوله الوجودية من المعية فى المراتب الشهودية حيث قال ابن العربى سبحان من اوجد الاشياء وهو عينها وقد وقع التناقض فى عين كلامه المنافى لمرامه فانه سبحانه اذا اوجد الاشياء واحدثها كيف يتصور ان يكون عينها فما للتراب ورب الارباب فهو ابعد من قول من قال بالاتحاد فى مقام الالحاد والله رؤف بالعباد (فورد) فى بعض الروايات تقوية لما تقدم (الاسم الاعظم) ثابت (فى آية الكرسى) اى فى اولها (وآل عمران) اى فى صدر سورتها (وهما يشتركان فيه) اى فى وجود لفظ الله لا اله الا هو الحى القيوم فيهما دون غيرهما من السور فانها خالية عنهما والحديث رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه وابن ابى شيبة عن اسماء بنت يزيد مرفوعا بلفظ اسم الله تعالى الاعظم فى هاتين الآيتين * والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة آل عمران * الم الله لا اله الا هو الحى القيوم * والظاهر انه فى الآيتين كلتيهما معا على سبيل الاجتماع ويحتمل الانفراد وكذا الكلام فيما ورد من حديث ابى امامة اسم الله الاعظم فى ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه قال القاسم التابعى فالتمسته فوجدته انه الحى القيوم لوجوده فيها ويؤيده حديث اصحاب السنن الاربعة وغيرهم ان الاسم الاعظم يا حى يا قيوم وهو المناسب لما تقدم والله اعلم واما ما اورده المصنف فما رأيته فى حديث ثم فى المستدرك للحاكم عن سعد بن ابى وقاص اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وهو دعوة ذى النون يونس عليه السلام ويؤيده قوله سبحانه * فاستجبناله ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين * وقيل هو هو حيث صدر به وختم به فى قوله هو الله الذى لا اله الا هو * ويقال

* اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع *

ومن هنا قيل ان فى كلمة الجلالة انواعا من الجمالة اذ لو حذف الفه بقى لله ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض واذا حذف لامه الاولى بقى له وله ما فى السموت وما فى الارض وله الحمد فى الاولى والآخرة وله الكبرياء فى السموات والارض واذا حذف لامه الثانية بقى هو لا اله الا هو قل هو الله احد الى آخره وهو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فسبحان من لا يعرفه ما هو الا هو وقد جاء فى الاسم الاعظم روايات اخر كما بينته فى شرح الحصين والجمهور على ان الاسم الاعظم هو الله وقد قال القطب الربانى السيد عبد القادر الجيلانى ان الله هو الاسم الاعظم لكن بشرط ان تقول الله وليس فى قلبك سوى الله ومن هنا قال شيخ مشايخنا الشيخ ابو الحسن البكرى قدس الله سره السرى فى اول حزبه استغفر الله مما سوى الله تعقبه بعض علماء الظاهر حيث لم يعرف الله ولا ما سواه وقد شرحته فى جوابه وبينت القول بصوابه (والاولى فيه) اى فى المختار من الاذكار (الاستفتاء من القلب) فيختار ما يلهمه الرب (ويواظبه) ليلا ونهارا وسرا وجهارا (حتى تسقط حركة اللسان) اى كلفتها (ويجرى) الذكر على اللسان (دون اختيار) اى من غير تكلف تذكار واحضار (ثم يرجع) الذكر (الى القلب) اى ينتهى اليه ويستولى عليه (ثم يمحق) وينمحى (الحروف من المبنى (ويبقى المعنى ثم يرتفع العدد) من المائة والالف ونحوهما مما لا بد له من احضار المبنى (ويصير) مداومة تصور الذكر (حالة مستديمة) دالة على رتبة مستقيمة (وحينئذ تحدث المحبة) وتظهر المودة (فلا ينسى المذكور) فى حال من احوال الذاكر كالاكل والشرب والخلطة والعزلة والسكوت والكلام واليقظة والمنام فقد قال المحبة دوام الذكر ويؤيده حديث من احب شيئا اكثر ذكره وقال سفيان المحبة اتباع صاحب النبوة ويؤيده آية * قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى * ولله در القائل

* عجبت لمن يقول ذكرت ربى * وهل انسى فاذكر ما نسيت *
* اموت اذا ذكرتك ثم احيى * ولولا حسن ظنى ما حييت *
* فاحيى بالمنى واموت شوقا * فكم احيى عليك وكم اموت *
* فليت حباله نصب لعينى * فان قصرت فى نظرى عميت *
* شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب ولا رويت *

وقال ابن الجلاء اوحى الله الى عيسى عليه السلام انى اذا اطلعت على سر عبدى فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبى وتوليته بحفظى (ثم يغيب) الذاكر (عن) مشاهدة (جميع الاشياء ظاهرا وباطنا) فى مكنوناتها من ارضها وسمواتها (حتى عن النفس) اى وجودها واجزائها (وصفاتها) اى وعن شهود صفاتها الذميمة والمحمودة وسائر حالاتها (و) يغيب (عن محاضراتها فى المذكور وهو القرب) اى المأثور عن الجمهور

فمن الخواص المحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات (ثم يغيب) الذاكر (عن الذكر) اى عن وجوده وشهوده (ايضا) كما غاب عما عداه من المسطور (فى شهود المذكور) اى حضوره بطريق الفرح والسرور (وهو الفناء) فى بحر النور (ثم يحدث الاتصال) وهو كمال البقاء فى القرب الناشى من جمال الحب (ويشاهد) الذاكر (ما يشاهد) من عالم الوصال (اظهور النور) من اشعة الجمال ولمعة الجلال فى مقام الكمال (والغفلة) اى و للغفلة والذهول (عن الشواغل) والموانع من حصول الوصول الى تحقيق الفروع والاصول وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية لها حبيبنا معنا ولكن شغل الدنيا عنه قطعنا وكانه مأخوذ من قوله تعالى ❁ وهو معكم اين ما كنتم ❁ وقوله * شغلتنا اموالنا واهلونا * وقال السرى من احب الله عاش ومن مال الى الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح بلاش والعاقل عن عيوبه فتاش وكانه مقتبس من قوله تعالى ❁ فلنحيينه حيوة طيبة * وقال هرم بن حيان اقول المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرى بعين الرغبة وبقى بجسده فى الدنيا وبروحه فى العقبى مع المولى فى المقام الاعلى وما قال الشبلى اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود ذكرى للذاكرين وجنتى للمطيعين وزيادتى للمشتاقين وانا خاصة للمحبين (ويصير) الذاكر حينئذ (من ملوك الدين) ومن الأئمة المجتهدين ومشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره بتوفيق ربه وهو خير المعين فيحقق علم اليقين فكمل ايمانه واسلامه واحسانه فى عين اليقين واستغرق فى بحر التوحيد ونهر التفريد وغاص فى عين العلم وغاب عن عين غيره فى زين الحلم فلنذكر بعض احوال المحبين فقد قال بعضهم لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب فكأنه اشار الى انه مجذوب ومطلوب وانه بسبب لذته فى خدمة محبوبه غير متعوب ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال لله عباد فى هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الامات فى ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل ولم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله وقيل لبشر باى شئ بلغت هذه المنزلة فقال كنت اكاتم الله حالى يعنى اسأله ان يكتم على ويخفى امرى وروى انه رأى الخضر فقال له ادع الله لى فقال يسر الله عليك طاعته قلت زدنى قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق حتى لا يطلعوا عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها وفى الاخبار ان الله تعالى اوحى الى بعض انبيائه انما اتخذ لخلتى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له هم غيرى ولم يؤثر على شيئا من خلقى وان احرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمنشار لم يجد لمس الحديد الم فمن لم يبلغ الى دار غلبة الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب ووراء كمال الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفاوته فى الزيادة والنقصان

والله المستعان ومما يؤيد هذا الشان من البرهان ما روى انه عليه السلام قال لابى بكر الصديق ان الله قد اعطاك مثل ايمان كل من آمن بى من امتى واعطانى مثل ايمان كل من آمن بى من ولد آدم رواه الديلمى عن على (وقد انتهى الكتاب) الذى هو لب اللباب الكل فصل وباب عند ارباب الالباب (متحلى المقطع) المشير الى ان ❁ ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون (بالدعاء المأثور) عن سيد الابرار وسند الاخيار (اللهم انا نسألك الهدى) بالايمان (والتقى) عن العصيان (والعفاف) بالكفاف للانسان (والغنى) عن الخلق فى جميع الاحيان والحديث رواه مسلم والترمذى وابن ماجه عن ابن مسعود بلفظ اللهم انى اسألك الحديث فلعل ما ذكره رواية فى المبنى او نقل بالمعنى واختار صيغة الجمع لتدخل معه ويدخل معنا كما فى قوله (ونعوذ بك من علم لا ينفع) وهو يحتمل احتمالين احدهما انه فى نفسه لم يكن من العلوم النافعة كما يشير اليه ما ورد ان من العلم جهلا وثانيهما انه لم يكن ينفع صاحبه بالعمل به لما ورد اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه ونعم ما قال ذو الحالة الفاخرة

❁ يا من تباعد عن مكارم اخلاقه ❁ ليس التفاخر بالعلوم الذاخرة ❁

❁ من لم يهذب علمه اخلاقه ❁ لم ينتفع بعلومه فى الآخرة ❁

(وقلب لا يخشع) بان اسود بالغفلة ولم تؤثر فيه النصيحة والموعظة واسباب المعرفة كما قال تعالى * فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ❁ وقال عز وعلا ❁ الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم * وقال عز وجل * ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة (ونفس لا تشبع) من الدنيا فتكون حريصة عليها ومقبلة بكليتها اليها او كناية عن كثرة اكلها وعدم قناعتها بمقدار كفايتها (ودعاء لا يسمع) اى لا يقبل فى حال دعوتها والحديث رواه ابن ابى شيبة عن ابن عمرو والطبرانى فى الاوسط عن ابن عباس وزاد اللهم انى اعوذ بك من هؤلاء الاربع ورواه الحاكم وابن ابى شيبة عن ابن مسعود بلفظ اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وفى رواية لابن حبان وغيره عن انس اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع وقول لا يسمع وفى رواية لابى داود عن ابى هريرة اللهم انى اعوذ بك من الاربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع فى هذه الروايات دلالة واضحة على عدم منع جواز السجع الصادر عن استقامة الطبع كما حكى انه قيل لصاحب المنازل اترك السجع فقال رجعت عما سجعت (وآخر دعوينا) بتوفيق مولانا (ان الحمد لله رب العالمين) فى اولانا فى اولانا واخرانا وفيه ايماء الى قوله سبحانه اخبارا عن اهل الجنة وهو * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين ❁ وفيه تنبيه نبيه على ان آخر مقامات اهل

الجنة فى درجات المعرفة والمحبة هو الرضاء والشكر بمزيد النعمة وازالة المحنة كما يومى اليه قوله سبحانه * وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب * اى تعب * ولا يمسنا فيها لغوب * اى كلال وكسل وفسر الحزن بانواعه بحسب ما كان كل احد مبتلى بفرد من اصنافه فقيل حزن الفقراء كراء البيت او التحويل منه او حزن الفراق وحجابه وهو لاهل الاشتياق الى مشاهدة الله ورفع نقابه وهو اعلى مراتب ارباب الكمال واعلى مناصب اصحاب الجمال المتزايد المترقى ساعة فساعة الى ازل الآزال والله سبحانه اعلم بحقائق الاحوال (والسلام على عباده الصالحين) من الانبياء والمرسلين السابقين (والصلوة على محمد رسوله) سيد الاولين والآخرين (خاتم النبيين وعلى اتقياء امته) من اهل بيته وصحابته واتباعهم واشياعهم اجمعين (الى يوم الدين) آمين يا رب العالمين وكان الفراغ منه على يد مؤلفه رحم وغفر مع سلفه وخلفه آخر يوم الخميس المشرف على ليلة الجمعة المسماة بليلة الرغائب من شهر الله المعظم رجب المرجب احد الاشهر الحرم من شهور عام اربعة عشر بعد الالف من هجرة خير البشر وشافع المحشر من مكة الامنية الى المدينة الامينة النازل فيها للمؤمنين انواع السكينة حامدا ومصليا ومسلما ومفوضا ومتوكلا ومؤمنا ومسلما

والصلوة والسلام على سيد المرسلين وافضل الخلق اجمعين وعلى آله

واصحابه واتباعه الى يوم الدين آمين آمين بحرمة

سيد المرسلين

طبع فى المطبعة العامرة فى سلخ رمضان المبارك من سنة احدى

وتسعين ومائتين والف من هجرة من له العز

والشرف